

فَقَهَاءُ الْفِيحَاءِ
وَتَطَوُّلُ الْحُرُكَاتِ الْفَكِيرَةِ فِي الْحَالَةِ



سَلَسِلَتُ رَأْيَاتِ حَلِيَّةٍ مُحَقَّقَةٍ (١)

فُقَهَاءُ الْفِيحَاءِ

وَتَطَوُّلُ كَرَامَاتِ الْفِكْرِ فِي الْحَلَةِ

لِلسَّيِّدِ هَادِي حَمْدُ آلِ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

(١٣٢٦-١٤٠٥ هـ)

الْجُرْعَةُ الْأَوَّلَةُ

رِوَايَةُ وَمُحَقِّقُ

أ. د. عَلِيِّ عِبَّاسٍ عَلِيَّوِيٍّ الْأَعْمَرِيِّ

إِشْرَافُ

لِجَمَادِ عَلِيِّ مَجِيدِ الْحَلِيِّ

مُرَاجَعَةُ وَضَبْطُ

مُرَكَّبَاتُ الْأَشْخَالَةِ

قِسْمُ شُعْرَةِ الْحَقَائِقِ وَالْأَنْبَاءِ وَالْأَنْبَاءِ



الجمعية العراقية للدراسات الإسلامية
مركز الدراسات الإسلامية
مركز الدراسات الإسلامية

موبايل: 009647602320073

E-mail: hilla@alkafeel.net

آل كمال الدين، هادي حمد، ١٣٢٦-١٤٠٥ هجري

فقهاء الفيحاء وتطور الحركة الفكرية في الحلة / للسيد هادي حمد آل كمال الدين الحسيني ؛ دراسة وتحقيق
أ. د. علي عباس عليوي الأعرجي ؛ إشراف أحمد علي مجيد الحلي ؛ مراجعة وضبط مركز تراث الحلة قسم شؤون
المعارف الإسلامية والإنسانية. -الطبعة الأولى-. كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف
الإسلامية والإنسانية، مركز تراث الحلة، ١٤٣٩ هـ. = ٢٠١٨.

٢ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (سلسلة تراثيات حليّة محقّقة ؛ ١)

يتضمّن إرجاعات ببليوجرافية.

١- الفقهاء الشيعة الإمامية -العراق- -الحلة- -ترجم. ألف. الأعرجي، علي عباس عليوي -- محقق. ب. الحلي،
أحمد علي مجيد، ١٣٩١ هجري -- مشرف. ج. العتبة العباسية المقدسة. قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية.
مركز تراث الحلة. د. العنوان.

BP192.8 .A55 2018

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الكتاب: فقهاء الفيحاء وتطور الحركة الفكرية في الحلة.

تأليف: للسيد هادي حمد آل كمال الدين الحسيني (١٣٢٦-١٤٠٥ هـ).

دراسة وتحقيق: أ. د. علي عباس عليوي الأعرجي.

إشراف: أحمد علي مجيد الحلي.

مراجعة وضبط: مركز تراث الحلة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية.

جهة الإصدار: العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية.

الطبعة: الأولى.

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع.

سنة الطبع: ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٨ م.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦٠٥) لسنة ٢٠١٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأهـل

إِلَى حَامِلِ اللّوَاءِ الْكَبِيرِ فِي طَفٍّ كَرْبَلَاءَ ...
إِلَى مَنْ فَدَاهُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ (.. اَرْكَبْ - بِنَفْسِي - أَنْتَ يَا أَخِي) ..
إِلَى الَّذِي لَوْ نَظَرَ إِلَى الْجَمْعِ نَظْرَةً لَكَانُوا كُلُّهُمْ سَلَامَانَ ...
وَإِلَى السَّيِّدِ الْجَلِيلِ د. نَجْمِ الْفَحَامِ الْأَعْرَجِيِّ، مُوَفَّقًا، وَمُسَدِّدًا، وَمُؤَيَّدًا

عَلِيَّ عَبَّاسِ الْأَعْرَجِيِّ

كَلِمَةُ الْمَرْكَزِ

الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع، ولا لعطاءه مانع، ولا كصنعه صنع صانع، وهو الجواد الواسع، فطر أجناس البدائع، وأتقن بحكمته الصنائع، لا تخفى عليه الطلائع، ولا تضيع عنده الودائع، جازي كل صانع، ورايش كل قانع، وراحم كل ضارع، منزل المنافع، والكتاب الجامع بالنور الساطع، وهو للدعوات سامع، وللكربات دافع، وللدراجات رافع، وللجبابرة قانع؛ فلا إله غيره، ولا شيء يعدله، وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، اللطيف الخبير، وهو على كل شيء قدير، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآله الطيبين الطاهرين الذين اصطفيتهم، واخترتهم من بين كل العباد، السادة الأئمة.

وبعد...

فإنَّ الحديث عن الحِلَّةِ ينطوي على متعةٍ مميَّزة، لا يستشعرها أو يحسُّ بها إلا مَنْ خَبَرَهَا - فلا يعرف الشوق إلا مَنْ يكابده - ولهذا علل؛ وأسباب، منها:

١. ذاتي: ما تميَّز به أهل هذه القَصبة من طيب النفس، ورجاحة القلب، ودماثة الخلق، وقوَّة تركيب العقل، وغيرها من النعوت العقلية والنفسية.

٢. موضوعي: التراث الهائل، وما حوَّاه من موضوعات مختلفة؛ فقد ترك علماءها تراثاً جمّاً، تنوّع بتنوّع الحاجة الفكرية والعلمية. ومنه لنا أن نقسّم النتاج الفكري لعلماء الحِلَّة على قسمين:

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفِكْرِيِّ فِي الْحِلَّةِ

القسم الأول: النتاج الفكريّ الأصيل لهم، كالفقه والأصول، والعقائد، وغيرها من العلوم التي لها مدخليّة مباشرة في حيوات الناس، وهي سبب سعادتهم، وتركها سبب الدمار لحياتهم الدنيويّة والأخرويّة.

القسم الثاني: النتاج الفكريّ الثانويّ لهم، والذي ليس له مدخليّة بالجانب الحياتيّ لهم، ويمكن أن نعدّه من (الترف الفكريّ)، منه الشعر والأدب والخطابة، وهو كثير، ومصاديقه كثيرة، وله شعراء فحول، خناذيد، وخطباء مفلّقون لا يُشَقُّ لهم غبار، أمثال الشفهيّ، والخليعيّ، والصفّي الحليّ، بل إنّ أحد عشر شاعرًا حليًّا عدّوا من شعراء الغدير، ذكرهم الأُمينيّ في موسوعته (الغدير في الكتاب والسنة والأدب).

ومن هذا وذاك، تنوّعت المعارف في الحِلَّة، ومنها تنوّعت مشارب علمائها؛ فهم قد أخذوا من كلّ علمٍ بحظٍّ وافٍ، وكبير وأبدعوا فيه.

ومن وحي هذه العلوم تنوّعت النتاجات الفكرية، وتنوّع المنتجون لها، فكان الفقيه، والأصوليّ، والمؤرّخ، والأديب، والخطيب، وقد تطوّى كلّها في شخصٍ واحدٍ، كما في العلامة الحليّ، وولده الفخر، ومَن سارَ على هديهما، من تلامذة نجباء علماء.

ومن أجل إحياء ذكر هؤلاء العظماء، الفقهاء، الأصوليّين، الأدباء، ومَن سار على سمتهم، كان لا بُدَّ مَن ينبري لجمعهم تحت مسمّى واحد؛ بإطلاق الأصل اللغويّ عليهم، وهو (فقهاء الفيحاء)؛ لأنّ ما حواه هذا الكتاب يشمل الفقهاء وغيرهم؛ فلا ينظرنَّ أحدٌ ويقول: إنّ العنوان لم يطابق المعنون.

ولا نريد أن نذكر أكثر من هذا؛ فالكتاب الآن بين يدي القارئ الكرام، وهم مَن سيفيد منه، بعد أن أخرجه مركز تراث الحِلَّة بهذه الحِلَّة القشبيّة؛ فعالج التصحيفات، والتحريفات، والأخطاء الطباعيّة، والتاريخيّة، وغيرها.

كَلِمَةُ الْمَرْكَزِ

ولا ننسى العمل العلمي والتقني، من حيث عمل الفهارس الفنية، جزى الله العاملين خيرًا.

ولا يسعني وأنا بين جدران هذا الصرح العلمي (مركز تراث الحلة) الذي وفق بحمد الله تعالى أن يحيي علماء الحلة إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لله تعالى، ومن ثم إلى الآباء والأبناء، والشيوخ، والكهول، وإلى الذين لبسوا القلوب على الدروع وخلفوا يتامى، وأرامل، وطلقوا الدنيا بزيتها، وزخرفها، وعانقوا الحور العين، إلى شهداء المذهب والعقيدة، شهداء الفتوى المباركة الممضاة بنور صاحب العصر والزمان عليه السلام على إمام الأمة، ومرجعها، صاحب الشيبة المقدسة ساحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل، والثناء الجميل إلى ساحة السيد أحمد الصافي (دام عزه) المتولي الشرعي للعتبة العباسية المقدسة صاحب اليد البيضاء في الدعم المادي والمعنوي، وكذلك جناب الشيخ عمار الهلائي جزاه الله خيرًا، وأخص بالشكر جناب الشيخ المحقق أحمد علي مجيد الحلي، على قراءته الكتاب، والأخوين الذين عملا الفهارس الفنية: رأفت ليث، وعلي خضير.

والحمد لله كما هو أهله.

صادق الخويلدي

مدير مركز تراث الحلة

١٣ رجب الأصب ١٤٣٩هـ

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُشْهَدْ أَحَدًا حِينَ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلَا اتَّخَذَ مُعِينًا حِينَ بَرَأَ النَّسَمَاتِ؛ لَمْ يُشَارَكَ فِي الْإِلَهِيَّةِ، وَلَمْ يُظَاهَرْ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ، كَلَّتِ الْأَلْسُنُ عَنْ غَايَةِ صِفَتِهِ وَالْعُقُولُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَتَوَاضَعَتِ الْجَبَابِرَةُ لِهَيْبَتِهِ، وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِخَشْيَتِهِ، وَانْقَادَ كُلُّ عَظِيمٍ لِعَظَمَتِهِ؛ فَلَكَ الْحَمْدُ مُتَوَاتِرًا مُتَّسِقًا، وَمُتَوَالِيًا مُسْتَوْسِقًا وَصَلَوَاتُهُ عَلَى رَسُولِهِ أَبَدًا، وَسَلَامُهُ دَائِمًا سَرْمَدًا، وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ...

وبعد...

فإنَّ الكتابةَ في حيوات العلماء وسوانحهم من الأمور الصعبة والمتعسِّرة في أحيان كثيرة؛ وذلك لأسبابٍ منها:

١. إنَّ بعض العلماء تشابهت أسماؤهم، وألقابهم لاسيما في أبناء الملة الواحدة، والمذهب الواحد.

٢. تشابه ألقاب بعض الشخصيات في القرن الواحد، وفي عقود من الزمن بعينها؛ كالتسمية المأثورة في مددٍ زمنيَّة تجاوزت القرن الخامس الهجريّ - على التقريب - فقد سمَّى بعضهم نفسه بـ (عزُّ الدين)، و(عميد الدين)، و(بهاء الدين) وما شاكلها من الأسماء المضافة إلى الدين التي انتشرت بعد سيطرة بعض المماليك على رقاب الناس وتكنية أنفسهم وإطلاق ألقاب مضافة إلى الذات

فَهْمَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْخَلْتِ

المقدّسة (القائم بأمر الله)، (الحامي لدين الله)، (المعتصم بالله) فتشوّفت نفوس العامة إلى الدين فنسبت نفسها إليه؛ فحدث هذا الاختلاط.

٣. التّصحيف والتّحريف الذي طال كتب التراجم بسبب النّسخ، أو بسبب القراءة المغلوطة، أو انتقال النظر عند النقل من المصادر؛ مثل: القسّيني والقسّريني، الحليّ، والحلبّي، الحليّ، والحلّلاوي (نسبة إلى بيع الحلوى)، الحائك (للمهنة)، والحائك (للشاعر نادراً)، وغيرها.

٤. النسبة في بعضهم إلى العائلة، والمنطقة معاً، أو النسبة إلى المهنة والمنطقة، أو النسبة إلى الجدّ والمهنة؛ فبسبب هذا التداخل حصلت صعوبة التمييز بين شخصيّة وأخرى؛ أضف إلى ذلك أنّ بعض علماء الأنساب ذكروا ضابطة في النسبة إلى المنطقة والانتساب لها، وهي أن يعيش العلّم مدّة لا تقل عن ثلاث سنوات، بعدها يجوز لنا نسبته إلى المنطقة، وبعضهم أربع سنوات؛ ولهذا اختلفت النّسب، واختلطت.

٥. كثرة الانتساب إلى بعض المناطق؛ بسبب الاعتزاز بالجدّ، أو المنطقة أدّى إلى خلط كبير بين الأنساب، مثاله: ما وقع به المصنّف من خلط بين أبي عليّ الطوسي (ت ٥١٥هـ)، وبين الشيخ نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) في مسألة رواية ابن إدريس (ت ٥٩٨هـ) عن الثاني، وهل يروي السابق عن اللاحق؟!، والمقصود من الطوسي الذي يروي عنه ابن إدريس الحليّ هو أبو عليّ الطوسي الذي قال عنه الحرّ العامليّ في أمل الآمل: ٢/ ٢٤٣-٢٤٤: «يروي عن خاله أبي عليّ الطوسيّ بواسطة وغير واسطة، وعن جدّه لأمه أبي جعفر الطوسيّ».

لهذه الأسباب وغيرها جعل هذه المهمّة عسيرة، وتحتاج إلى التدقيق والتحقيق، في أصول الكتب والمدوّنات التاريخية.

مُقدِّمةُ التحقِّق

وهذا الكتاب للسيد هادي كمال الدين الحسيني، من علماء الحلة الفيحاء، ألفه وأنهى تأليفه في الستينيات من القرن المنصرم، وطُبِع الجزء الأوّل منه، طبعته وزارة المعارف - كما أشار هو في مقدّمته - والجزء الثاني جاء متأخراً بسنين عدّة عن الأوّل، طُبِع بعد وفاته، وبالتحديد بعد سقوط النظام السابق؛ وكان مليئاً بالأخطاء المطبعيّة، والتصحيّفات والتحريفات التي عاجلتها بحمد الله تعالى، وهذا الكتاب بحسب وفاة المصنّف لا يعدُّ تراثاً، ولكن بحسب سنة التأليف هو من التراث، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ترجمته لعلماء الحلة الفيحاء، ترجمة جيّدة تُعدُّ محاولة فتحت الباب للباحثين وفتحت أذهانهم للوقوف على التراث الضخم والثّر لمدينة الحلة قديماً وحديثاً؛ فكان هذا التحقيق.

أمّا عن عملي في هذا الكتاب:

١. قمتُ بقراءة الكتاب قراءة متأنّية؛ وتنزيده بمساعدة الأخوة العاملين في مركز تراث الحلة.

٢. بعدها قمتُ بالمراجعة العلميّة للآراء الواردة فيه، وعرضها على المراجع والمطّان التي استقى منها المصنّف مادة البحث، من آراء فكريّة، وفقهيّة، وغيرها.

٣. المراجعة التاريخيّة وممارسة النقد التاريخيّ للحوادث والآراء الواردة في هذا الكتاب، وترجيح الصواب قدر الإمكان.

٤. تخريج الأحاديث بالرجوع إلى مظانّ الكتب، وكلّ الآراء التي وردت في فقهاء الفيحاء.

٥. ترجمة وافية للعلامة السيّد هادي كمال الدين، وذلك بالرجوع إلى المصادر، وإجراء اللقاءات الشخصيّة مع معارفه، ولاسيما ابنه السيّد عليّ (حفظه الله).

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحِلَّةِ

٦. قمتُ بدراسة عن منهج السيّد هادي كمال في كتابه فقهاء الفيحاء، وبيان موارد استقائه المعلومة، مع عرضٍ وافٍ وموجزٍ لأفكاره وآرائه.

وغيرها من الأعمال التي سيجدها القارئ اللبيب في منهج البحث والتحقيق. وأخيراً ما كان لهذا العمل أن يتمّ لولا دعاء المؤمنين، وهمّة العاملين في مركز تراث الحِلَّة، وأخصُّ بالذكر الشيخ الفاضل صادق الخويلديّ (وفقه الله)؛ إذ كان لآرائه السديدة خير مواساة لي، وتعزّيد لهذا الكتاب. والوصف لا يتمُّ إلا بالمراجعة العلميّة والتعليق والتنقيب عن المعلومة، بذكر الأستاذ أحمد عليّ مجيد الحليّ، وفقه الله لكلّ خير. أسأله تعالى التوفيق والسداد للجميع، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

عليّ عباس الأعرجيّ
مركز تراث الحِلَّة

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

المطلب الأول

السيد هادي كمال الدين

حياته وآثاره

(١٣٢٦-١٤٠٥هـ/١٩٠٥-١٩٨٦م)

نَسْبُهُ

هو السيد هادي ابن السيد حمد آل كمال الدين الحسيني، وقد ترجمه ﷺ لنفسه ذاكراً سلسلة نسبه في أثناء ترجمته للسيد حسين كمال الدين في كتابه هذا؛ بقوله: «وَسِلْسِلَةُ نَسَبِي تَتَّصِلُ بِهِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ بَعْدَ حَذْفِ الْأَلْقَابِ؛ إِنِّي السَّيِّدُ هَادِي بْنُ السَّيِّدِ حَمْدِ بْنِ السَّيِّدِ فَاضِلِ بْنِ الشَّرِيفِ أَبِي الْحُسَيْنِ حَمْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ حَسَنِ بْنِ عَيْسَى بْنِ كَامِلِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عَلِيِّ زَوْجِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَنْصُورِ بْنِ كَمَالِ الدِّينِ الْأَوَّلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ أَحْمَدَ عَزَّ الدِّينِ بْنِ نَجْمِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ شُكْرِ بْنِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ الْأَسْمَرِ بْنِ النَّقِيبِ شَمْسِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ النَّقِيبِ عَلِيِّ بْنِ أَبُو طَالِبِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الشَّرِيفِ بْنِ يُحْيَى بْنِ النَّقِيبِ الْحُسَيْنِ النَّسَّابَةِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُحَدِّثِ بْنِ عُمَرَ بْنِ يُحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ ذِي الدَّمْعَةِ بْنِ زَيْدِ الشَّهِيدِ بْنِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام»^(١).

(١) يُنظر: الجزء الثاني من هذا الكتاب في ترجمة السيد حسين كمال الدين من أعلام القرن الحادي

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ

ولادته

لم تذكر المصادر سنة ولادته، ولكنني عثرت على وثيقة حصلت عليها من نجل المؤلف^(١) السيّد عليّ هادي كمال الدين فيها أبيات تهنئة مرسلة إلى السيّد حمد كمال الدين والد المؤلف تؤرّخ لولادته المباركة، وهي للحاجّ مجيد العطار الحليّ، وفيها يقول:

حمد بن فاضل أنت أعظم عالم فيك المكارم قد أنار سبيلها
غذّتك من درّ المعارف أسرة وعليك من غرر العلى إكليلها
هي ليلة فيها أتتك بشارة بولادة الهادي فعزّ مثيلها
قد عمت البشرى بها كلّ الورى فلذاك يحسن أرخوا (تفضيلها)
(١٣٢٦هـ)

وفي الوثيقة نفسها هناك كلام للشيخ سعيد الشيخ محسن، تعقيباً على مقطوعة العطار الحليّ، وفي أسفلها ختمه، يقول: «مولاي حجة الإسلام السيّد حمد بن آية الله العالم الفاضل السيّد فاضل دام ظلّك، هذه أبيات للحاجّ مجيد مشفوعة بقصيدة في تهنّيتكم بمولودكم المبارك مع قصيدتي وتاريخي، وقد كلّفني الحاجّ مجيد إرسال الجميع إليكم إلى النجف الأشرف، بواسطة ملاذنا ومرجع تقليدنا عمّكم السيّد صالح حفظه الله استعجالاً للقيام بالخدمة الموسومة؛ وإذا شرّفتهم الحلة فسنعقد مجلس تهنئة للقصائد الأخرى، هذا ودمتم باحترام سيدي.. ٢٨/ج ١/١٣٢٦هـ.

خادمكم سعيد الشيخ محسن، الختم».

(١) وذلك عند لقائي به يوم ٢٩/١٢/٢٠١٦م، ٢٩ ربيع الأوّل ١٤٣٨هـ في داره في منطقة الجمعية بمعية الأستاذ محمّد سامي الباحث في مركز تراث الحلة.

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

وبحسب هذا التاريخ تكون ولادة السيّد هادي في سنة ١٣٢٦ هـ، ولكن تاريخ الوثيقة هو الثامن والعشرون من جمادى الأولى، وليس شرطاً أن يكون يوم الولادة هو هذا اليوم، فهو تاريخ الرسالة المرسلة إلى السيّد حمد والد المؤلّف، وقد تكون الولادة قبل ذلك بقليل.

نسبته

اشتهرت هذه الأسرة بلقب (كمال الدين) نسبةً إلى جدّهم السيّد كمال الدين بن السيّد منصور بن السيّد عليّ الزوبع بن السيّد محمّد المنصور بن السيّد محمّد المنصور، الذي ينتهي نسبه إلى الإمام زيد الشهيد بن الإمام السجاد بن الإمام الحسين عليه السلام بن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ^(١).

فهم يرجعون إلى ذلك النسب العلويّ، وتلك الشجرة الراسخة الثابتة التي أصلها ثابت، وأغصانها منتشرة في أرجاء المعمورة، تؤتي أكلها كلّ حين.

وقد ذكر الشيخ آغا بزرك ذلك في ترجمة السيّد حمد قوله: «هو السيّد حمّد بن السيّد محمّد حسن بن السيّد عيسى بن السيّد كامل بن السيّد منصور بن السيّد كمال الدين بن أبي الحسن منصور بن عليّ الحسيني الملقّب زوبع من فضلاء عصره في الحلة هاجر جدّه زوبع من الكوفة إلى الحلة وتعاقد فيها أولادّه وأحفاده إلى اليوم ويعرفون بآل كمال الدين، وفيهم فقهاء وأدباء ووجهاء، وتوفي المترجم في سنة ١٢٨٧ هـ وخلف ثمانية أولاد أعقبوا بأجمعهم وأصغرهم سنّاً العلامة المجاهد السيّد عيسى كمال الدين الذي وُلِدَ عام وفاة والده المترجم وتوفي سنة ١٣٧٢ هـ، وقد أطلعني على شجرة نسبهم المبدوءة باسم جدّ الأسرة النجفية - آل الصّافي - وغيره من العلماء، وقد رآها أيضاً

(١) شذرات من تاريخ أسر الحلة وعشائرها: ١٣٢.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ حَسَنُ ابْنِ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ كَاشِفِ الْغِطَاءِ صَاحِبِ - أَنْوَارِ الْفَقَاهَةِ - أَيَّامِ إِقَامَتِهِ فِي الْحِلَّةِ فَصَدَّقَهَا وَصَّرَحَ بِأَنَّ الْمُتَرَجِّمَ حَفِيدُ السَّيِّدِ عَيْسَى بْنِ كَامِلٍ، وَتَارِيخُ خَطِّهِ ١٢٤٩ هـ... إِلَى أَنْ قَالَ الْعَلَّامَةُ الطَّهْرَانِيُّ، وَمِنْ أَنْجَالِ الْمُتَرَجِّمِ السَّيِّدُ جَعْفَرُ الْحِلِّيِّ الشَّهِيرُ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣١٥ هـ، وَصَاحِبُ (سِحْرِ بَابِلِ) الْمُطْبُوعِ، وَقَدْ تَرْجَمْنَاهُ فِي نُقْبَاءِ الْبَشَرِ، وَمِنْهُمْ أَيْضًا الْعَالِمَانِ السَّيِّدُ عَلِيُّ صَاحِبُ (الضِّيَاءِ اللَّامِعِ فِي شَرْحِ الشَّرَائِعِ) فِي (١٧) مَجْلَدًا، وَالسَّيِّدُ فَاضِلٌ، وَقَدْ تَوَفَّيَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ سَنَةَ ١٣٢٢ هـ، فَنَظَمَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ لَتَارِيخِ وَفَاتِهِمَا رُبَاعِيَّةً كُلُّ شَطْرِ مِنْهَا تَارِيخٌ أَوْهَا: فَضَى الْعَالِمَانِ فَنَاحَ الْهُدَى^(١).

وَمِنْ أَعْلَامِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ - أُسْرَةُ كَمَالِ الدِّينِ - السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ الْأَبْزَرِ الْحُسَيْنِيِّ الْحِلِّيِّ^(٢)، وَهُوَ سَيِّدٌ شَرِيفٌ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْعُظَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ الْمَشْهُورِينَ وَالْعُلَمَاءِ النَّابِهِينَ مُعَاصِرًا إِلَى سَمِيِّهِ الْأَدِيبِ السَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ مِنْ بَنِي حَمْزَةَ، نُقْبَاءُ الشَّامِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٠٧٢ هـ، قَالَ فِي (أَمَلُ الْأَمَلِ) عَنْ ابْنِ الْأَبْزَرِ؛ إِنَّهُ: «السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ الْأَبْزَرِ الْحُسَيْنِيُّ الْحِلِّيُّ، عَالِمٌ فَقِيهٌ، مُحَدِّثٌ جَلِيلٌ، شَاعِرٌ مُعَاصِرٌ، لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا (كِتَابُ الرَّجَالِ)، وَكِتَابٌ فِي النَّحْوِ»^(٣).

وَلَهُ رِسَالَةٌ فِي عِلْمِ الْبَدِيعِ أَسْمَاهَا (دُرُّ الْكَلَامِ وَيَوَاقِيتُ النَّظَامِ)، وَقَدْ حَقَّقَهَا السَّيِّدُ جَعْفَرُ الْأَشْكُورِيُّ وَطُبِعَتْ فِي الْعَتَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ - مَرْكَزُ تَرَاثِ الْحِلَّةِ، وَوَصَفَهُ صَاحِبُ كِتَابِ (السَّلَافَةِ) بِقَوْلِهِ: «إِنَّهُ سَيِّدٌ سَادَ بِالْجِدِّ وَالْجِدِّ فِي اكْتِسَابِ الْمَعَالِي؛ فَقَطَعَ

(١) طبقات أعلام الشيعة: ٤٤١.

(٢) فِي مَاضِي النَجَفِ وَحَاضِرِهَا: ٢٥٤ / ٢: «السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ كَمَالِ الدِّينِ الْأَنْوَرِيِّ الْحُسَيْنِيِّ، وَلَعَلَّ الْمُتَرَجِّمَ - كَمَا يَقُولُ الطَّهْرَانِيُّ - مِنْ أَحْفَادِ عَزِّ الدِّينِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْأَبْزَرِ تَلْمِيزُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْحِلِّيِّ». وَالتَّرْجَمَ لَهُ كَانَ حَيًّا سَنَةَ ١٠٩٧ هـ، بِاعْتِبَارِ إِنْهَاءِ كِتَابِ أَمَلِ الْأَمَلِ الَّذِي أَعْلَنَ مُعَاصِرَتَهُ لَهُ. وَيُنْظَرُ: مُوسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٨٩ / ١١.

(٣) أَمَلُ الْأَمَلِ: ٨٦ / ٢.

مُقَدِّمَةُ الْحَقِيقِ

طَمَعَ اللاحِقِ بِهِ وَجَدَّ، وَسَعَى إِلَى نَيْلِ غَايَاتِ الْفَضَائِلِ، وَدَأَّبَ، وَأَنْشَدَ لِسَانُ حَالِهِ:
وَمَا سَوَّدَتْ نِيَّ هَاشِمٍ عَنْ وَرَائِهِ أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبٍ^(١)

نشأته

كان السيّد هادي كمال الدين الولد الوحيد لوالديه، ووالده السيّد حمد بن فاضل بن كمال الدين، علّم من أعلام الحِلَّة؛ استطاع أن يغرس حبّ العلم في نفس نجله السيّد هادي الذي نشأ نشأة علميّة ودينيّة في بيته.

نشأ السيّد هادي كمال الدين وترعرع في بيتٍ أشرفت نوافذه على محلّة (التعيس)، في بيئته مكنته من الاختلاط مع أطفال تلك المحلّة، وبالتالي الاحتكاك والتعرّف على عادات أبناء جلدته، وتقاليدهم وأعرافهم، فضلاً عن نشأته وإطلاعه على أصولها العشائريّة وتركيبتها السكّانيّة^(٢)، فضلاً عمّا اتّسمت به من أنشطة معرفيّة وحرفيّة أثّرت في تشكيل خصائصها الاجتماعيّة^(٣).

بدأت رحلته الشاقّة في مضمار الدرس والتعلّم قبيل الحرب العالميّة الأولى، وهو ابن خمس سنوات معتمّاً عمامة خضراء دلالة على نسبه الشريف إلى البيت العلويّ، إذ درس مبادئ القراءة والكتابة، وشيئاً من الحساب، إلى جانب حفظ القرآن الكريم في إحدى الكتاتيب على يد الشيخ (ارزوقي)^(٤).

(١) سلافة العصر: ٥٣٧-٥٣٨.

(٢) وقد ذكر نجله السيّد عليّ في لقائنا المزبور أنّه كثيراً ما كان يُحُلّ عن طريقه الكثير من المنازعات العشائريّة، ويخرج المتخاصمون من عنده راضين.

(٣) يُنظر: السيّد هادي كمال الدين وملاحم من جهوده الفكرية، م.م. محمّد سامي كريم، مجلّة تراث الحِلّة، س ٢، مج ٢، ع ٣، ٢٠١٧ م: ٣١٧-٣٥٨.

(٤) ولد الشيخ عبد الرزاق سعيد إسماعيل محمّد عليّ عبد الرضا حسين في مدينة الحِلّة، عام ١٨٨١ م =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلَّتَيْنِ

وبما أنَّ أسرة آل (كمال الدين) كانت من الأسر العلميَّة، والدينيَّة؛ فإنَّها غالباً ما كانت تُرسل أبنائها إلى الدراسة الدينيَّة بعيدة عن أجواء الدراسة الحكوميَّة، لذلك فإنَّ السيّد هادي درس المقدّمات على يد والده السيّد حمد كمال الدين، وبعدها سافر إلى النجف الأشرف؛ ليلتحق بالدراسة في الحوزة العلميَّة، فكان من جملة العلماء الذين درس السيّد هادي كمال الدين على أيديهم: الشيخ هادي كاشف الغطاء، والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، والشيخ محمّد طه النجف^(١).

وكالاته

نتيجةً لاجتهاده في طلب العلم وتميّزه فيه، قام جملة من العلماء بإعطائه وكالة واعتماديةً تحوّلَه فضّ المنازعات، واستلام الحقوق الشرعيَّة، وإمامة الصلاة، وأوّل هذه الوكالات للسيّد أبي الحسن الأصفهانيّ، وتاريخها ١٣ رمضان ١٣٥٨ هـ، الموافق لعام ١٩٣٩ م، نصّها:

«إلى إخواننا المؤمنين المتمسّكين بشرع سيّد المرسلين محمّد وآله الطاهرين لا يخفى عليكم أنَّ ولدنا العلامة الثقة السيّد هادي حمد بن السيّد فاضل آل كمال الدين دام تأييده من العلماء الأتقياء، وقد نصّبته وكيلاً من قبلنا على قبض الحقوق الشرعيَّة وإيصالها إلينا ونقل الفتوى عنّا مأموناً على ذلك، بل هو فوق ذلك، وعلى عامّة مقلّدينا إعزازه

= في حلّة الطاق، أطلق عليه لقب المعلّم الأوّل؛ لأنّه أوّل معلّم يُدخل طلابه المدارس الحكوميَّة في الحلّة آنذاك، توفيّ عام ١٩٦٢ م. للمزيد يُنظر: جريدة الجنائن، العدد ١٢٩، بتاريخ ١٢/٩/٢٠٠٢، ومعالَم مضيئة من تاريخ الحلّة، ١٩٢٠-١٩٧٠ م: ٧٧-٨١.

(١) هو محمّد طه بن الشيخ مهديّ بن الشيخ محمّد رضا بن الشيخ محمّد، ولِدَ في سنة ١٢٤١ هـ، له عدد من المؤلّفات، منها: كتاب الزكاة، وشرح كتاب النكاح. توفيّ عام ١٣٣٢ هـ. للمزيد يُنظر: معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء: ٢/٣٠٠-٣٠٣.

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

وتوقيره، وأنَّ أقواله أقوالنا، وأمره أمرنا، وأوصيه بملازمة التقوى والتمسُّك بالسبب الأقوى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١).

وقد منحه الشيخ (عبد الكريم الجزائري)^(٢) الوكالة أيضًا في الحِلَّة في ٢٣ محرَّم ١٣٦٠ هـ الموافق لسنة ١٩٤١ م، وهذا نصُّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، إلى كافَّة إخواننا المؤمنين بعد السلام عليكم والدعاء لكم بالتوفيق إعلموا أنَّ ولدنا العالم الفاضل السيّد هادي بن ثقة الإسلام السيّد حمد كمال الدين أتّي قد نصّبته مرشدًا لعامة المسلمين إلى أحكام الدين، وشرع جدّه سيّد المرسلين، إرشاد العباد إلى الهدى والاتحاد، فاسمعوا منه ترشدوا إن شاء الله تعالى، وأوصيه بملازمة التقوى والاحتياط، فإنّه أهل لذلك، أسأل الله تأييده وتوفيقه والسلام عليكم»^(٣).

وهناك وثيقة مؤرّخة - ويبدو أن التاريخ غير واضح^(٤) - لو كالةٍ منحها إيّاه الشيخ هادي كاشف الغطاء المتوفّي في ٩ محرَّم الحرام ١٣٦١ هـ، هذا نصُّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين أجمعين، وبعد فلا يخفى على كافّة إخواننا المؤمنين إنّنا قد نصّبنا ولدنا العزيز المهذّب الكامل العالم المحروس بالله السيّد عبد الهادي نجل العالم السيّد حمد مرشدًا إلى أحكام الدين وشرعية المصطفى جدّه سيّد النبيين ﷺ، وقد رخصناه وأذنّا له في الوعظ والإرشاد إلى الفرائض الدينيّة والأخلاق والآداب الشرعيّة، وقد أوصيناه

(١) موجودة صورتها في ملحق كتاب السيّد هادي كمال الدين (التخميس والتشطير في أصحاب آية التطهير)، الجزء الثاني منه.

(٢) ستأتي ترجمته.

(٣) يُنظر: الثنائيات، هادي كمال الدين: ١٤.

(٤) التاريخ الموجود في الوثيقة عليه خبر كثيف، وأغلب الظنّ أنّ التاريخ سنة ١٣٥٣ هـ. والله العالم.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحِلَّةِ

بملازمة التقوى والتمسُّك بالسبب الأقوى، وهو أهلٌ وكفوٌ لذلك، ومحلٌ لِمَا هنالك، نسأل الله تعالى أن يوفِّقه وجميع المؤمنين إلى العلم والعمل بمنه وكرمه، آمين، والله تعالى حسْبُنَا ونعم الوكيل، من الراجي عفو ربِّه المدعو بالهادي ابن الشيخ كاشف الغطاء رحمته. بعدها باشر العمل الاجتماعي والسياسي والعلمي في الحِلَّة بعد أن أكمل شطراً من العلوم الدينية التي تؤهِّله لهذه المهمة الملقاة على عاتقه، فجاهد وجوّد.

أبرز شيوخه

لا توجد لدينا ملامح واضحة عن الذين تتلمذ على أيديهم الكريمة، بل وحتى مقدار التحصيل العلمي الذي وصل اليه السيّد هادي كمال الدين؛ ولكن من خلال القرائن؛ نستطيع أن نتلمّس مقدار علمه، والمستوى الذي وصل إليه، ومنها:

١. إعطاء الوكالات والاعتمادات^(١)؛ فقد عُرف عن علمائنا الأبرار في الغيبة الكبرى احتياطهم في إعطاء الوكالات والاعتمادات إلّا لمن يرون فيه الأهلية بالقول والعمل، فقد حصل السيّد كمال الدين على أربع وكالات من أبرز مجتهدَي الشيعة الإمامية آنذاك، وهم السيّد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ هادي كاشف الغطاء، والشيخ محمّد طه النجف، وستأتي ترجمتهم تبعاً.

٢. مقدار ما وصل إليه من العلم؛ فردوده على العلماء، وترجيح رأي على رأي، ممّا يدلُّ دلالة واضحة وقطعيةً أنَّ هذا الرجل وصل إلى مرحلة تؤهِّله إلى مرتبة

(١) ثَمَّة فرق جوهري بين الوكالة والاعتمادية إذا صحَّ التعبير، فالوكيل كالأصيل عقلاً، وله ما له، وعليه ما عليه، أمّا الاعتمادية فهي عادةً تكون في الأمور الحسبية وما شاكلها؛ وعلى هذا المفهوم تكون الوكالة أوسع مداراً من الاعتمادية، فحينما يقول المرجع: (ثقتي، وينطق عني)، وما شابهها من الألفاظ، هذا يعني أنه يتسنّم مرتبة علميةً مميزةً، وتستكنه كلماته وأوصافه الدقة العلمية والورع والمعرفة، ومعرفة مباني المجتهد الذي وكَّله.

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

علمية سامية، ومقدار ما لديه من علم؛ فمن ذلك ردّه على السيّد الخوئيّ ثبُتُ في كتابه (منهج الاستنباط)^(١)، ودفاعه عن العلامة في ردّ البيضاويّ^(٢) عليه في مسألة الاستصحاب^(٣)، وردوده على العلامة وغيرهم، بله الردود النقدية والشعرية واللغوية على جملة من الأدباء.

٣. تنوّع موارد المعرفة؛ فتنوّع مصادر المعرفة مع إتقانها يعدُّ من منابع معرفة المرء وما يملكه من خزين معرفيٍّ، فتجد السيّد كمال الدين يناقش المفسّرين، والأصوليين، والفقهاء - كما مرّ عليك - والأدباء والشعراء والنقاد واللّغويين، كلّ هذا الخزين المعرفي المتقن، جعلت منه عالماً لا يُشَقُّ له غبار، وفيه دلالة واضحة وقطعية لا تقبل الشكّ عن مستوى أساتذته وشيوخ العلم لديه.

ومن أساتيدّه^(٤):

١. السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ: «وُلِدَ أبو الحسن ابن السيّد محمّد الموسويّ عام ١٨٦٧م في قرية مديس من قرى أصفهان، وبدأ حياته العلمية فيها منذ نعومة أظفاره، إذ تلقّى تعليمًا أوليًّا في قريته، ثمّ سافر النجف إلى الأشرف عام ١٨٩٠م، وتوفّي في الكاظمية عام ١٩٤٥م»^(٥).

٢. الشيخ محمّد طه نجف^(٦): هو الشيخ محمّد طه بن مهديّ بن محمّد رضا بن

(١) لاحظ: الجزء الأوّل من فقهاء الفيحاء، مقدّمات المصنّف.

(٢) يُنظر: قواعد الأحكام: ١/ ٢٠٥، ومنتهى المطلب: ٣/ ٥٨، وقد ذكرها صاحب الرياض في حياة العلامة: ١/ ٣٧٠ وما بعدها.

(٣) يُنظر: مقدّمات المصنّف، الجزء الأوّل من فقهاء الفيحاء.

(٤) يُنظر: السيّد هادي كمال الدين وملاح من جهوده الفكرية، مجلّة تراث الحِلّة: ٣١٧-٣٥٨.

(٥) يُنظر: من أعلام الفكر والقيادة، عبد الكريم آل نجف: ٢/ ٦٩-٨٧.

(٦) تُنظر ترجمته في: طبقات أعلام الشيعة: ١٤/ ٩٦١-٩٦٧، التحف من مخطوطات النجف: ١٤.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

- محمّد ابن الحاج نجف الحكيمآبادي التبريزي النجفي، من آثاره: إتيقان المقال في أحوال الرجال، طُبع في المطبعة العلويّة، النجف الأشرف، سنة ١٣٤٠هـ، حاشية المعالم، طُبع في النجف^(١)، ولد سنة ١٢٤١هـ، وتوفي في عام ١٣٢٣هـ.
٣. الشيخ عبد الكريم الجزائري: هو الشيخ عبد الكريم بن الشيخ علي بن كاظم، ولد في النجف الأشرف سنة ١٢٨٩هـ، كان من نوابغ العلم والفقه والأصول والسياسة، وأحد أعلام الأدب العربي، توفي عام ١٣٨٢هـ^(٢).
٤. الشيخ هادي كاشف الغطاء: ولد في ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، قال في الأعلام^(٣): «هادي بن عباس بن عليّ ابن كاشف الغطاء، فاضلٌ إماميٌّ عراقيٌّ، من كتبه: أوجز الأنباء في مقتل سيّد الشهداء، المقبولة الحسينيّة... أدب، وتراجم، والمستدرّك على نهج البلاغة... والبرهان المبين فيمن يجب اتّباعه من النبيّين»^(٤)، توفي في ٩ محرم ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.
٥. محمّد حسين كاشف الغطاء: هو الشيخ محمّد حسين ابن الشيخ عليّ ابن الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ موسى آل كاشف الغطاء، ولد في النجف سنة ١٢٩٤هـ، له مواقف وطنيّة وعربيّة كثيرة، من بينها مشاركته في المؤتمر الذي أُنْعِدَ عام ١٩٣١م في المسجد الأقصى في فلسطين، توفي عام ١٩٥٤م^(٥).

(١) يُنظر: فهرس التراث: ٢/ ٢٤٥-٢٤٦.

(٢) يُنظر: النجف الأشرف وحركة الجهاد، كامل سلمان الجبوري، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، مؤسّسة المعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢: ٣٧٨.

(٣) ٨/ ٥٨. ويُنظر: نقيب البشر: ٧٤٠، والذريعة: ١/ ٣٠٣ و ٢/ ٤٧٣ و ٢/ ٨٠٥.

(٤) وقد حقّقت شرح المقبولة الحسينيّة بعنوان (الفاجمة الشجعيّة في شرح المقبولة الحسينيّة للغراوي النجفي رحمته الله)؛ فتُنظر ترجمته منها بتفصيلٍ وافٍ.

(٥) للمزيد يُنظر: معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء: ٢/ ٢٧٢-٢٧٦.

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

أدبه وما قيل فيه

كان السيّد هادي كمال الدين من الأدباء المكثّرين من الأدب شعراً ونثراً، وكان ناقدًا أديبًا بحقّ، تجد ذلك واضحًا وبيّنًا في كتابه (فقهاء الفيحاء)، فعند تناول حياة أديب من الأدباء تجده يتوجّه إلى أدب المترجم له بالنقد والتوجيه الأدبيّ الرائع، فهو يقوم الأدباء ويوجههم ويؤاخذهم على ما قالوه بلغة عالية وأخاذة، وبمنتهى الصراحة.

أمّا شعره في فقهاء الفيحاء وغيره، فيكفي ما قاله العلماء الأدباء، ومنهم العلامة آغا بزرك الطهرانيّ في كتابه (التخميس والتشطير): «لقد أطلّعت على هذا السّفر النفيس، فوجدته أحسن ما نظم في التشطير والتخميس، لناظمه الصديق الشفيق، السيّد السند، الأديب الحسيب النسب، مولانا السيّد هادي كمال الدين الحليّ زيد عزّه، ورأيت من الجزء الثاني من كتاب التخميس والتشطير في أصحاب آية التّطهير - غنيًّا من المدح والتّقريض - فعدلت عن الثناء إلى تقديم الدعاء، فحرّرت بيدي المرتعشة في مكتبتي العامّة»^(١).

أمّا الأستاذ جعفر الخليلي؛ فقال عنه: «سيّد العلامة السيّد هادي كمال الدين استوعبت قسماً غير قليل من ديوان التخميس والتشطير، ومشيت معك وأنت تخمّس وتشطّر دون أن تحتاج إلى تزكية، فشعرك مزكّي من فطرته، وليس ذلك بالغريب، أنت من دوحة سمت ونمت، وأثمرت أدباً هو اليوم أحد مفاخر أدبنا الرفيع ويكفي، الذي أعجبني كثيراً هو أنّك من ناحية الفن قد حلّقت وأبدعت حين ربطت آيات التشطير والتخميس ربطاً لا يمكن أن يفصل القارئ بين الأصل والتخميس، وهي ميزة تثير الإعجاب وتدعوني إلى أن أبارك لك وأهنّيك بهذا التوفيق سائلاً المولى بأن يرعى موهبتك هذه ويمدّ في عمرك»^(٢).

(١) التخميس والتشطير في أصحاب آية التّطهير: ٩.

(٢) التخميس والتشطير في أصحاب آية التّطهير: ٩.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ

وذكره السيّد محسن الأمين: «ساحة العلامة السيّد هادي كمال الدين لقد طالعت هذا السّفر القيّم، وتلوت تشطيره وتخميسه، فلمست في كلّ شطرٍ منه تخميسة إعجازك الأدبيّ وفنّك الرائع الذي يعبرُ بصدق عن الذات ويصوّر الإحساس، ولعلّ الكثير من القراء، وأنا منهم، يعرف حقّ المعرفة أنّك شاعر تلين له القوافي وتخضع، فتأتي بالقصائد والأناشيد التي تبعث في الشعب روح العقيدة والحياة والعزّة والطموح إلى الأُمَّة الإسلاميّة سابق مجدها وماضي تاريخها وتذكي فيها العزائم الواهية، وتُحيي منها موات الهمم، هذا عندي مع مطالعتي، بجميع ما كتبه ونشرته، دليل مبلغ أصالتك في الأدب العربيّ وعراقتك فيه»^(١).

وأستاذنا الدكتور نعمة رحيم عزّواي^(٢) له رأيٌ بالسيّد هادي، فقد وصفه بقوله: «إنّ السيّد هادي شاعر ذرب اللسان، متّقد الخاطرة، سريع البديهة»^(٣).

وفي عام ١٩٧٤م طلبت دائرة المعارف الإيرانيّة بطهران من السيّد هادي كمال الدين أن يرسل لها كتاباته في الأدب والشعر أو السياسية وغيرها من المواضيع^(٤)، لتنشر له في جرائدها، إلّا أنّ السيّد لم ينشر في تلك الدائرة، وذلك لأسبابٍ لم نتمكن من معرفتها^(٥).

وكذا الأستاذ محمّد سعيد رشيد الطاهريّ في العام ١٩٦٧م، حين قرظ ديوانه

(١) التخميس والتشطير في أصحاب آية التطهير: ٩.

(٢) أستاذي وشيخي الدكتور نعمة رحيم عزّواي، فعزّواي اسم جدّه، لاسمه الثلاثي، وغدا كاللقب له لقب العزّواي (العشيرة) من هذه التسمية، توفيّ يوم ٢٠/٩/٢٠١١م.

(٣) الحياة الثقافية في الحِلّة ١٩٥٨-١٩٦٨: ٩١.

(٤) كتاب من دائرة المعارف الإيرانيّة بطهران، اطّلع عليها وزوّدني بها الباحث محمد سامي من نجل المؤلّف السيّد عليّ هادي كمال الدين، بتاريخ ٢١/١٠/٢٠١٣م.

(٥) السيّد هادي كمال الدين وملاح من جهوده الفكرية، مجلّة تراث الحِلّة: ٣١٧-٣٥٨.

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

المزبور؛ بقوله: «إِنِّي قد قرظت هذا الكتاب الجليل مفخرةً من مفاخر الثقافة، وفتح جديد في عالم الأدب لاسيما الأدب الحليّ حيث لم نكن متعودين فيما سبق أن نرى مثل هذا الإنتاج تناوله مجموعاً في كتاب، وإذا استمرّ سماحة العلامة الكبير، والشاعر العبقريّ المجاهد السيّد هادي كمال الدين على مواصلة إنتاجه الثقافيّ وبمثل هذه الروعة والابتكار، فسيقود أكبر ثورة فكريّة، وسوف لا يمرُّ زمن طويل حتّى تعود إلى الحِلّة الفيحاء بهاؤها ومجدها الثقافيّ الذي طوته الأيّام مع الأسف بسبب الروح الانزوائية التي شاعت بين أدباء الحِلّة؛ ولعدم تشجيع ذوي الكفاءات حتّى نبغ سيّدنا (الهادي)، ففتح باب الجهاد الفكريّ بكتبه النفيسة، ومنشوراته ومجلّته وجريدته (التوحيد)، ومدرسته، وخطبته ومحاضراته، كما ساهم إلى حدٍّ بعيدٍ في الجهاد العقائديّ والسياسيّ، وما أعظم هذا القائد بين قادة الفكر بفتح الجبهة وليس له جنود، إلّا ما عبّاه من استقلال الرأي والمبدأ، وحصافة التفكير، والغيرة الدينيّة»^(١).

توظيفه الشعر للقضايا الوطنيّة

الشعر قضية، كما قيل، وقد اختفت قبيلة من الوجود بسبب بيت شعر قاله جرير في قبيلة الشاعر الراعي النميريّ، يقول:

فغَضَّ الطرف إنَّك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً^(٢)
وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، يقول: «حكى أبو عبيدة عن يونس، قال: قال عبد الملك بن مروان يوماً، وعنده رجال: هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر، ودُّوا لو أنّهم اقتدوا منه بأموالهم؟ فقال أسماء بن خارجة الفزاريّ: نحن يا أمير المؤمنين،

(١) التخميس والتشطير في أصحاب آية التطهير: ٩.

(٢) يُنظر: هذا البيت في ديوانه: ٧٥.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحَلْتِ

قال: وما هو؟ قال: قول الحارث بن ظالم المري:

وما قومي بشعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا
فوالله يا أمير المؤمنين، إنِّي لألبس العمامة الصفيقة، فيخيَّل لي أنَّ شَعَرَ قفائي قد بدا
منها.

وقال هانئ قبيصة النميري: يا أمير المؤمنين، قال: وما هو؟ قال قول جرير:
فغَضَّ الطرف إنَّك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
كان النميري يا أمير المؤمنين، إذا قيل له: ممَّن أنت؟ قال: من نمير، فصار يقول بعد
هذا البيت: من عامر بن صعصعة^(١).

وهكذا هو حال السيّد يستعمل لسانه الذرب لتأجيج العواطف وإثارة دفائن
العقول في قضايا الوطن الوطنيّة والمصيريّة، ومن ذلك قوله في الاتفاقية التي عقدت بين
الأردن والعراق في عام ١٩٦٧ م، بأنّها لم تكن مجدبة للعرب بصورة عامّة، والعراقيين
بصورة خاصّة:

إنَّ اتفاق (الأردن) الـ مشبوه شرّ الاتفاق
مذتمّ ذلك بيننا أرخت: قد خسر العراق^(٢)
ومن توظيفه الشعر، قضية الدفاع عن فلسطين العربيّة، وكان يحرص على أن
يكرّس جميع المثقّفين جهودهم للدفاع عن حقّهم المغتصب من قبل الصهاينة، إذ ذكر
ذلك في شعره^(٣):

عن اندحار أمّتي في حربها مع (الصهاين) بكلّ معركة
فبين قومي وغوى سلطتها لا شكّ مسؤوليّة مشتركة

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٢٨-٢٩، كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِي: ٧٥، والعمدة لابن رشيق: ١/ ٧٥.

(٢) الثنائيات: ٨٧.

(٣) الثنائيات: ١٠١.

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

ولم يكتفِ بذلك فحسب؛ بل إنَّ السيّد هادي كمال الدين كان يريد من المجتمع العربيّ المسلم أن يراجع خطواته ويحسبها بدقّة، ويفيد من أخطائه في حربه مع الصهاينة، ويرسم الخطط الكفيلة لإنجاح مشروع الدفاع عن فلسطين، ولا سيما أنَّ المجتمع الغربيّ، بكلِّ قوّته، ساند الصهاينة، ودافع عن مشروعهم التوسّعيّ الغاصب، ويتّضح لنا ذلك من خلال قوله^(١):

في حرب (إسرائيل) قومي قد مضوا في خطوات ليس للأمام
تحتاج كلّ خطوة أن يضعوا أمامها علامة استفهام
مصنّفاتُه بقلمه^(٢)

وقد قسّمها المصنّف رحمته الله: على ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: المصنّفات المطبوعة للمؤلف

١. فقهاء الفيحاء، و^(٣) تطوّر الحركة الفكرية في الحلة^(٤).

٢. التخميس والتشطير في أصحاب آية التطهير.

٣. تحفة الخضر والأعراب في النحو والإعراب.

٤. الحرب بين الفضيلة والرديلة.

٥. جناح النجاح.

(١) الثنائيات: ١٠٤.

(٢) وقد ذكرها رحمته الله في نهاية كتابه (فقهاء الفيحاء)، وقد أوردتها كما هي من دون تغيير؛ فهو لم يراعِ التسلسل الهجائيّ.

(٣) وقد صوّب العنوان المطبوع نتيجة خطأ طباعيّ؛ إذ كان (أو تطوّر الحركة الفكرية)، وقد عدّله إلى (وتطوّر...)، والتصويب موجود في قائمة التصويبات في الطبعة القديمة.

(٤) ورقمه في مكتبة المتحف العراقيّ (١٠١١١) بتاريخ ١٩٧٦ م.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحِلْيَةِ



٦. شظايا قنبلة^(١).

٧. مداعبات، وقد ذكره غير ذات مرّة في كتابه فقهاء الفيحاء.

٨. من مخازي الشيوعيين.

٩. لحساب من هذه الخيانة؟.

١٠. الإيثار الحليّة.

القسم الثاني: المصنّفات المخطوطة المسجّلة بمكتبة المتحف العراقيّ بموجب الأمر الإداريّ (٣٧٥٠) في ٣/٣/١٩٧٦ م

١. منهل القضاء الشرعيّ وفق المذهب الجعفريّ^(٢).

٢. جغرافية القرآن الكريم، في أربعة أجزاء.

٣. أرجوحة الأريب في هزّ أطروحة الدكتور حسن الخطيب.

٤. في مدح أهل البيت عليهم السلام.

٥. الأمثال الشعبيّة في الديار العراقيّة.

٦. مآخذ الشعراء.

٧. أدب الأعياد.

٨. جولة في عوالم الفكر.

(١) مكتوبة بالضاد المعجمة، وهو ليس صحيحًا.

(٢) وهو بجزأين، والموجود فقط الأوّل منه، ضاع نتيجة اقتحام البيت من رجال الأمن البعثيين. علمت ذلك في لقائي بنجل السيّد في التاريخ المزبور.

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ



٩. طرائف التاريخ الأبجديّ.
١٠. وحشيّة المتمدّنين في حرب السويس.
١١. الألغاز والأحاجي.
١٢. عقود الزبرجد في حساب الكلمات بحساب أبجد.
١٣. أحكام قرقوش.
١٤. فرائد الفوائد.
١٥. هكذا يجب أن نثور.
١٦. ذكرى رزيّة الطّفّ، مع ملحق بالقصائد (النضنيّة، العلويّة الغراء، المقصورة الكماليّة).
١٧. الجغرافية المنظومة.
١٨. لآلئ وأصداف.
١٩. الوقوع بين محذورين.
٢٠. المساجلات الأدبيّة.

القسم الثالث: المصنّفات غير المسجّلة في المتحف العراقيّ

١. الثعلب الصريع.
٢. الشموخ لا الرضوخ.
٣. المنظوم في القرآن الكريم.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلْتِ



٤. ما وراء الستار.
٥. الأعداد الحسابية في الآيات القرآنية.
٦. أنا وإيليا أبو ماضي.
٧. القرآن يسأل ويجيب.
٨. توضيح ما يحتاج إلى توضيح في القرآن الكريم.
٩. رحلتي إلى الآخرة.
١٠. الحرب الحاضرة، أو الحرب العالمية الثانية.
١١. ديوان الكماليات (الثلاثيات، الرباعيات، الخماسيات).
١٢. السداسيات، والسباعيات.
١٣. من أعماق الضمير.
١٤. أمواج الحياة.
١٥. أنفاس الربيع.
١٦. قبضة من أزهار.
١٧. أوراود وأشواك.
١٨. أزاهير شتّى^(١).

(١) يقول السيد علي كمال الدين، نجل المؤلف رحمه الله: توجد مؤلفات صودرت وأخرى أُلُفَّت من قِبَل رجال إِبَّان حكم الصنم لا نعلم عنها شيئاً. وفي تعداد هذا الأخير، يصل العدد الموجود إلى ٤٨ مصنفًا؛ خلا ما ضاع وتلف.

مُقَدِّمَةُ الْحَقِيقِ

ومن أعماله الأخرى: جريدة التوحيد، وهي جريدة أسبوعية كانت تُطبع في مطبعة القضاء ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م، وبعد أعداد انتقل بها إلى بغداد واحتجبت^(١).

وحُوِّلَت فيما بعد إلى مجلَّة، صدر منها العدد الخامس في السنة الأولى ٢ رجب ١٢٦٥ هـ / ١ حزيران ١٩٤٦ م في عددٍ خاصٍّ بدأ بمقالة (الحلَّة في بحر الماسي فمن ينقذها؟) سوء تصرُّفات الدكتور عبد الحميد شلاش أفلقت راحة الحليَّين وأثار سخطهم).

أمَّا عن أعماله الأخرى غير المؤلَّفة، فهي تأسيسه مدرسة العلوم الدينيَّة في عام ١٩٤٤ م، وهي أوَّل مدرسة أهليَّة في الحلَّة، يدرس تلاميذها العلوم الفقهيَّة، ومبادئ القرآن الكريم، وأصول العبادات، والإحكام الشرعيَّة، وعلوم اللُّغة العربيَّة من نحو، وصرف، وعروض، فضلاً عن دروس في مادَّتي العلوم والاجتماعيَّات، وكان مقرَّها في بادئ الأمر في (محلَّة جبران)، ثمَّ انتقلت إلى مجاور حسينيَّة ابن طاووس، وكان من أعضاء هيأتها التدريسيَّة: الشيخ عبد الكريم الماشطة، والسيد عبود الشلاه والسيد مهديّ القزويني، وفرهود مكِّي والسيد محمَّد عليّ النجَّار، والأستاذ عليّ عبد عجام، واستمرَّت حتَّى عام ١٩٦٦ م^(٢).

اغتياله

كان السيّد هادي كمال الدين من العلماء العاملين، وكان وطنياً، لا يساوم، وكان لا يسكت عن أمرٍ يضرُّ أبناء بلده العزيز، ويردُّ بقوة على أيِّ شخصيَّة مهما بلغت من العلو،

(١) معجم المطبوعات النجفيَّة: ١٣١.

(٢) في مقابلة شخصيَّة مع نجل المؤلف، ويُنظر: الحياة الاجتماعيَّة في لواء الحلَّة ١٩٣٢-١٩٥٨، رسالة ماجستير، كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة، جامعة بابل، ٢٠١٢: ٩١.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ

من ذلك ما حصل في عام ١٩٥٥م حين طلب منه مسؤول حزب الاتحاد الدستوري في الحِلَّةُ الذهاب معه إلى بغداد لزيارة رئيس الوزراء آنذاك (نوري السعيد)، وعندما قابلا (نوري السعيد)، طلب رئيس الوزراء من السيّد هادي كمال الدين الكفّ عن الانتقادات التي يوجّهها ضدّ الحكومة العراقية في مقالاته، وخاصّة في (جريدة الفرات) لسان حال حزب الاتحاد الدستوري؛ فحصلت مشادة كلاميّة بينه وبين رئيس الوزراء نوري السعيد، بسبب رفض السيّد مجاملة الحكومة على حساب مصالح الشعب العراقي^(١).

وكان قبل هذا قد حُكِمَ بالإعدام في العام ١٩٣٦م؛ وكان السبب هو تأسيس (جمعية الحرس الوطني السريّة)، هذا ما ذكره نجله في المقابلة المذبذبة؛ إذ يقول: لقد نشرت جريدة البلاد يوم الاثنين ١٦ تشرين الثاني، الموافق ١ رمضان ١٣٥٥هـ، الصحيفة الرابعة، العدد ٧٢٤، السنة الثامنة «صدور العفو الملكي عن المحكوم عليهم من قبل المجالس العرفيّة في الديوانيّة وسنجار، صدرت الإرادة الملكيّة بإعفاء ١٠٨ أشخاص عمّا بقي من مدّة الحكم الصادر عليهم من المجلس العرفيّ في الديوانيّة في المدّة ما بين ٥/٥/١٩٣٦ - ٢٦/٧/١٩٣٦م»^(٢).

إلّا أنّ الباحث محمّد سامي ذكر «وفي عام ١٩٤١م، ذكرت جريدة الفجر أنّ السيّد هادي كمال الدين ساهم مع بعض الثوّار في ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق بتأسيس (جمعية الحرس الوطني) في الحِلَّة، وكان من أهداف تلك الجمعية تأمين الدفاع الذاتي للمتطوّعين في الثورة، وكذلك تأمين التموين للمواطنين حتّى يتفرّغ جيش الثورة لقتال الإنكليز، وقدّم السيّد هادي كمال الدين طلباً إلى متصرّف لواء الحِلَّة آنذاك (أمين الخالص) بالموافقة على تأسيس تلك الجمعية، إلّا أنّها سرعان ما أُغلقت؛

(١) مقابلة شخصيّة للباحث محمّد سامي أجراها مع السيّد عليّ هادي كمال الدين نجل المؤلّف في داره في شارع (٤٠) بتاريخ ٢٣/١٠/٢٠١٣.

(٢) هذا هو نص القرار بالعفو عن المسجونين كما رأيته عنده.

مَقْدَمَةُ الْحَقِيقِ

بسبب فشل تلك الثورة، وأغلقت لكونها لم تكن رسميَّة ومعارضة لسياسة الحكم آنذاك»^(١).

وإذا جمعنا بين الرأيين نصل إلى نتيجة مفادها: أنَّ السيِّد كان قد أسَّس هذه الجمعيَّة التي كانت سبباً في حكمه بالإعدام سنة ١٩٣٦م، ولكن حين بزغ نور جديد من ثورة قادمة، أعاد تشكيل هذه الجمعيَّة إبان ثورة الكيلاني ١٩٤١م، ولمَّا تلقَّى الصَّدَّ من أمين الخالص لم يستمر فيها واضطَّرَّ إلى عدم تفعيلها.

ويبدو أنَّ السيِّد هادي كمال الدين انعزل عن التدخُّل في المواقف السياسيَّة بعد عام ١٩٦٨م؛ وذلك لكثرة المضايقات التي تعرَّض لها من قِبَل سياسات الحكومات العراقيَّة المتعاقبة، والتي رأت فيه ندّاً قوياً لها، لاسيما أنَّه كان رجل دين، وله دوره المؤثِّر في المجتمع اجتماعيًّا، وسياسيًّا، لذلك قرَّر الانشغال في تأليف الكتب وكتابة الشعر من خلال مخطوطاته الخاصَّة التي تركها^(٢).

وبحسب نجل السيِّد هادي، السيِّد عليّ كمال الدين، استدعي إلى مديريَّة الأمن في الحِلَّة، وكانت أيَّام شهر شعبان المبارك، فتحدَّث مدير الأمن معه بكلام خشن وعاتبه على نشاطه التبليغي، وفي هذه الاثناء قدَّم له قدحاً من العصير، لكنَّ السيِّد هادي لم يشربه معللاً ذلك بكونه صائماً، وبعدها قال له مدير الأمن إنَّ هذه الأيام ليست من شهر رمضان كي تصوم، فردَّ عليه السيِّد إنَّه صيام مندوب، وبعد أن لَوَّح وألَحَّ عليه اضطرَّ السيِّد إلى شرب العصير المسموم، وبعد أيَّام قلائل لاقى ربَّه مظلوماً في العام ١٩٨٦م الموافق لـ ١٤٠٥هـ، فالسلام عليه يوم وُلِدَ ويوم استشهد ويوم يبعث حيًّا.

(١) السيِّد هادي كمال الدين وملاح من جهوده الفكريَّة، مجلَّة تراث الحِلَّة.

(٢) السيِّد هادي كمال الدين وملاح من جهوده الفكريَّة، مجلَّة تراث الحِلَّة..

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

المطلب الثاني

منهج السيّد هادي كمال الدين في فقهاء الفيحاء

المنهج هو المسار الذي يضعه الباحث في بدء كتابته البحث، وعليه يسير إلى نهاية البحث أو الكتاب أو المؤلّف، ويتضمّن مفهومي مهمّين لا بدّ من مراعاتهما:

الأول: المنهج الخارجي

وهو الطريق الذي يختطّه لنفسه، ويسير عليه بعنوان الأعمّ، كما فعل السيّد هادي كمال الدين في مقدّمة كتابه هذا حين اعترض على منهج التعريف بالعلماء المترجمين على أساس الحروف يقول: «عِنْدَ مُرَاجَعَتِنَا لِمَصَادِرِ هَذَا الْكِتَابِ وَجَدْنَا أَنَّ بَعْضَ مَنْ أَرَدْنَا تَرْجُمَتَهُمْ قَدْ وُلِدَ فِي أَعْقَابِ قَرْنٍ، وَتَوَقَّى فِي بِدَايَةِ الْقَرْنِ الَّذِي يَلِيهِ؛ فَمِثْلُ هَذَا لَا يُمَكِّنُنَا اعْتِبَارَهُ مِنْ أَهْلِ هَذَيْنِ الْقَرْنَيْنِ مَعًا؛ فَهُوَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ، أَوْ الْقَرْنِ الَّذِي تَوَقَّى فِيهِ؛ وَلِذَلِكَ تَهَرَّبَ بَعْضُهُمْ فِي تَرْجُمَتِهِ لَشُعْرَاءِ الْحِلَّةِ؛ فَاعْتَبَرَ تَنَسُّقَ كِتَابِهِ حَسَبَ تَرْتِيبِ الْحُرُوفِ الِهْجَائِيَّةِ فَكَانَ نَشَارًا؛ فَبَيْنَمَا أَنْتَ تَقْرَأُ تَرْجُمَةَ جَعْفَرٍ؛ الْمُحَقِّقِ الْحِلِّيِّ مِنْ مَوَالِيدِ سَنَةِ ٦٠٢هـ، وَإِذَا بِكَ تَطَفُّرٌ عِبرَ الْقُرُونِ؛ لَتَقْرَأُ تَرْجُمَةَ السَّيِّدِ جَعْفَرِ الْحِلِّيِّ مِنْ مَوَالِيدِ سَنَةِ ١٢٧٧هـ؛ فَتَضِيعُ عَلَيْكَ مِنْ أَجْلِ تِلْكَ الطَّفَرَةِ خَصَائِصُ ذَلِكَ الْعَصْرِ، وَمَوَاجَاتُ التَّطَوُّرِ، كَمَا أَنَّ بَعْضَهُمْ رَاعَى الْقُرُونِ، وَهَذَا أَسْلَمَ الطَّرِيقُ كَصَاحِبِ الْبَابِلِيَّاتِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْتَزِمْ بِخَطِّهِ هَذِهِ فَصَدَرَتْ مِنْهُ هَفَوَاتٌ، وَالْإِنْسَانُ مُعَرَّضٌ لِلْخَطَا مَا دَامَ دُونَ

فقهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْخَلْتِ

العِصْمَةُ؛ كَهْفُوتِهِ فِي اعْتِبَارِ (شُمَيْمِ الْحَلِيِّ) مَثَلًا، مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ بَيْنَمَا هُوَ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ السَّابِعِ؛ لِأَنَّهُ تُوِّفِيَ سَنَةُ ٦٠١ هـ، وَسَهَا أَيْضًا فِي تَارِيخِ أَبِي الْحَسَنِ السَّكُونِيِّ، وَأَبُو^(١) النَّجْمِ الضَّرِيرِ، وَالشَّيْبَانِيُّ، وَعَبْدُ الرَّسُولِ الطُّرَيْحِيُّ، وَسُلَيْمَانُ الْكَبِيرُ الْمَزِيدِيُّ، وَغَيْرِهِمْ، أَمَّا أَنَا فَارْتَأَيْتُ افْتِقَاءَ أَثَرِ الَّذِينَ اعْتَبَرُوا الْقُرُونَ فَجَعَلْتُ مَجْمُوعَةً كُلِّ عَصْرِ مُرْتَبَةً عَلَى الْحُرُوفِ الْهَجَائِيَّةِ^(٢).

هذا هو المنهج الذي سار عليه في كل الكتاب، ما خلا بعض الموارد التي يعتذر فيها؛ لكون بعض من ترجم لهم يُختلف في سني وفاتهم.

الثاني: المنهج الداخلي

وفيه أربعة أمور:

١. الكم: وهو التعامل مع المادة العلمية حين الترجمة للشخصيات العلمية، فتراه تارةً يترجم لعلم من الأعلام بنصف صحيفة، وتارةً يترجم لآخر بصحيفة واحدة، وأخرى يترجم لعلم بحوالي عشرة صحائف، كما فعل مع العلامة الحلي، وفخر المحققين، وأضرابهم، بينما ترجم للسيد مهدي القزويني، والسيد عبد الله شبر بعدة أسطر!!.

٢. طرائق عرض الترجمة: لم يسر السيد هادي كمال الدين بطريقة واحدة في عرض الترجمة؛ فهو تارةً يقدم نسب المؤلف على مصنفاته، وتارةً يذكره بد (صاحب كتاب الشرائع) مثلاً، وليس حصراً، وغيرها، ومرةً يقدم مقدمة تاريخية على الزمن الذي عاش فيه المترجم له بذكر الحوادث الموجودة، والتي بدورها

(١) كذا، والصواب (أبي نجم).

(٢) فقهاء الفيحاء، مقدمة ترجمة الأعلام.

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

أثرت على النتاج الفكري والعلمي في المترجم له، وهو في كل ترجمة يعرضها لا يكف عن الاستشهاد بالشعر وتشطيره وتخميسه لشعر المترجم له، فضلاً عن نقده واستقصاء مواطن الجمال والهنا، كما فعل مع السيّد حيدر الحليّ، وغيره من الأدباء.

٣. الاسترسال، أو الاسهاب: فالسيد هادي رحمته الله كثيراً ما كان يُطنب في ذكر الترجمات (بها يمتُّ الصلّة، وبها لا يمتُّ) بحيث يسترسل في حديثه إلى ذكر أشياء خارجة عن الترجمة، كما فعل مع الباقلانيّ في نسبته إلى الباقلاء، واستيفائه (القَصِيْدَةَ الهِنْكَارِيَّةَ) إلى حدّ خرج عن المؤلف في التأليف، كلُّ هذا من أجل المزحة، والفكاهة، وإظهار مكنته الأدبيّة في التملُّح!!

٤. تناول العلماء: فالسيد هادي كمال الدين، لم يلتزم بالعنوان الرئيس الذي ألزم نفسه فيه، وهو ضابط (الفقاهة)؛ فقد ترجم لكلّ مَنْ انتسب إلى الحِلَّة ولادةً، ووفوداً، ومستقراً بالعنوان الأعمّ لضابطة الفقاهة، فالفقاهة والتفقه والفقه مصطلحات تدلُّ على معنى الفهم والعلم والمعرفة^(١)؛ فكلُّ ما دخل تحت هذا الحقل الدلاليّ انضمت ترجمته في هذا الكتاب، فقد ترجم لشعراء، وأدباء، وكلاميين، ونلتمس له العذر في ذلك أنّ معظم الشعراء والأدباء والكلاميين لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه لولا التفقه في الدين وعلومه.

موارده

تعدّدت موارد السيّد هادي في كتابه فقهاء الفيحاء؛ ولكنّه في موارد اعتمد مصدرًا واحدًا نقل عنه ويذكره، إلّا أنّ الكتاب قد ضاع فيما بعد وفاته، وهذا الكتاب هو

(١) لسان العرب: ١٣/ ٥٢٢ (فقه).

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

(نشر الخزامى في تراجم أصحابنا القدامى)، يقول الطهراني: «نشر الخزامى في تراجم أصحابنا القدامى، فيه تراجم علماء الحِلَّة غالباً لفاضل بن حمد بن محمد حسن بن عيسى آل كمال الدين الحسيني الحليّ، والمؤلف أخ السيّد جعفر صاحب (سحر بابل وسجع البلابل) (ذ ١٢ / ١٥١)، والنسخة الممزقة عند حفيده الهادي بن أحمد بن فاضل المؤلّف أورد صورة صفحة منه في كتابه (فقهاء الفيحاء)، وينقل عنه بعض التراجم، منها ترجمة الرافضيّ أبي القاسم بن الحسين الذي ترجمناه في (الأنوار الساطعة)»^(١).

إِلَّا أَنَّ الْكِتَابَ قَدْ قُفِدَ بُعِيدَ اغْتِيَالِ السَّيِّدِ هَادِي وَمَدَاهِمَةِ الْبَعْثِيِّ لَبَيْتِهِ وَمَصَادِرَةِ بَعْضِ الْكُتُبِ، وَمِنْهَا هَذَا الْكِتَابُ، فَلَوْ قُدِّرَ لِهَذَا الْكِتَابِ الْوُصُولُ لَكَانَ أَوَّلَ كِتَابٍ يَتَرَجَّمُ لِعُلَمَاءِ الْحِلَّةِ قَبْلَ فَتَهَاءِ الْفَيْحَاءِ؛ بَلْ إِنَّ السَّيِّدَ هَادِي كَمَالَ الدِّينِ اسْتَمَدَّ فِكْرَةَ الْكِتَابِ مِنْهُ، وَلَوْلَا الْخُرْمُ وَالطَّمَسُ وَالرُّطُوبَةُ الَّتِي أَكَلَتْ الْوَرَقَ، لَمَا أَلَفَ فَتَهَاءُ الْفَيْحَاءِ، وَلَعَمِلَ حَوَاشِي عَلَيْهِ أَوْ تَعْلِيقَاتٍ بَدَلًا مِنَ التَّأْلِيفِ.

وَمِنْ مَوَارِدِهِ الْآخَرَى كِتَابَا (أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ، وَالدَّرِيْعَةُ) لِلْعَامِلِيِّ وَالطَّهْرَانِيِّ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ -، وَفِي أَحْيَايْنِ أُخْرَى يَعْتَمِدُ كِتَابُ الطَّبَقَاتِ لِلطَّهْرَانِيِّ، وَلَا سِيَّمَا الْأَجْزَاءُ الْآخِرَةُ مِنْهُ (الْقُرْنُ الثَّانِي عَشَرَ، وَالثَّلَاثُ عَشَرَ).

فَمَعْظَمُ الْمَعْلُومَاتِ كَانَتْ لِهَٰذَيْنِ الْعُلَمَاءِ الْبَارِزَيْنِ؛ وَهُوَ تَارَةً يَرْجِّحُ رَأْيَهُمَا، وَتَارَةً يَخَالِفُهُمَا الرَّأْيَ.

وَهُنَاكَ مَصْدَرٌ آخَرُ رَجَعَ إِلَيْهِ السَّيِّدُ هَادِي كَمَالَ الدِّينِ مَخْطُوطًا، وَهُوَ (إِنْسَانُ الْعِيُونِ فِي مَشَاهِيرِ سَادِسِ الْقُرُونِ)، وَكَانَ الْمَخْطُوطُ تَحْتَ رَقْمِ ١٩٥، فِي مَكْتَبَةِ الْجَامِعَةِ الْمُسْتَنْصَرِيَّةِ، وَقَدْ حَقَّقَهُ إِحْسَانُ الثَّامِرِيِّ وَرَفِيقُهُ دَارُ وَرْدٍ، ٢٠٠٧ م.

(١) الذريعة: ١٥٩ / ٢٤. وترجمة الرافضي في الأنوار الساطعة: ١٣٥.

مُقَدِّمَةُ الْمُتَحَقِّقِ

وقد رجع إليه المؤلّف في أكثر من ثلاث مرّات، عندما يعوزه الاستشهاد، وحين يريد تثبيت فكرته وتأكيدّها.

هذه أبرز المصادر التي رجع إليها؛ أمّا المصادر الأخرى الثانويّة، فهي أكثر من ثلاثين مصدرًا، توزّعت ما بين مصادر أصوليّة، وفقهيّة، وبيبلوغرافيّة، وغيرها.

هذا الكتاب

فقهاء الفيحاء وتطور الحركة الفكرية في الحلة، طُبِعَ هذا الكتاب في العام ١٩٦٢م، الموافق لـ ١٣ محرم ١٣٨٣هـ، بتقديم السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم، في جزئه الأوّل، وهي الطبعة التي ساعدت وزارة المعارف على طبعها، وبمساعدة السيّد باقر الدجيليّ - متصرّف اللواء-، وفي حينها صار وزير البلديات، ذكر ذلك السيّد هادي في مقدّمته للكتاب.

وتوجد له طبعة ثانية قد رجع إليها غير واحد من الباحثين، وهي طبعة مكتبة الزين، بغداد، ١٩٧٦م، والطبعتان في زمن المؤلّف رحمه الله.

وفي كلتا الطبعتين كثيرٌ من الأخطاء الطباعيّة، واللّغويّة، والنحويّة، وغيرها، والتي نربأ بالمؤلّف الوقوع فيها، ولا سيما كتابة الظاء مكان الضاد وبالعكس؛ فهو في كلّ الكتاب يكتب (فظائع) بالضاد، ومنها كتابة الهمزة على النبرة ومفردة، وغيرها كثير قد ذكرت الصواب في أثناء هوامش الكتاب؛ ليتّضح الصواب من غيره هناك.

ووفاءً منّا إلى المؤلّف ونجله، رأينا أن نذكر مقدّمته للجزء الثاني من الكتاب، ولتكون هناك بصمة من أنامله على المصنّف، يقول:

ومن سيرته ومن نضاله السياسي والاجتماعي، نورد على سبيل الإيجاز ما يلي:

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَقَطْوَالُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ

١. حُكِمَ بالإعدام سنة ١٩٣٦ م لمعارضة الحكم الملكي، وأُرسل إلى سجن الموصل لتنفيذ الحكم، وكان رقمه بالسجن (٤٨٠٤٥)، وأُطلق سراحه لسقوط الحكومة قبل تنفيذ الحكم بأيام، وقد نشرت معظم الصحف العراقية هذا الخبر، ومنها جريدة البلاد بعددها ٧٣٤، الصادر بتاريخ ٦ / ١١ / ١٩٣٦ م، وكانت فرحة أهالي الحِلَّةِ كبيرة، واستقبل بمسيرات رائعة تليق بمكانته العلميَّة والجهاديَّة.

٢. أسَّس مدرسة العلوم الشرعيَّة سنة ١٩٤٤ م، ثُمَّ غَيَّرَ اسمها إلى مدرسة العلوم الدينيَّة، وبعدها إلى مدرسة العلوم الكميَّة، وهي الوحيدة المعترف بها في وزارة التربية والدفاع، وتخرَّج منها نخبة كبيرة من أبناء الحِلَّةِ لا يزال بعضهم على قيد الحياة، يذكرونها بفخر واعتزاز، وأصدر لها مجلَّة التوحيد سنة ١٩٤٦ م تنطق باسمها، وتفضح ممارسات المسؤولين الفاسدين، فأغلقت كما ذكر بكتابه المخطوط (شيء من حياتي).

٣. أصدر جريدة التوحيد عام ١٩٥٩ م بعد قيام الثورة عام ١٩٥٨ م، وأغلقت الجريدة بعد مدَّة، وأُبعد مع نقيب المحامين إلى زرباطية، وعند استلام البعثيِّين الحكم سنة ١٩٦٣ م، أصدر جريدة الحقيقة التي أغلقت؛ كونها فضحت البعثيِّين، ممَّا تسبَّب في إبعاده إلى أربيل تحلُّصًا من مواقفه الجريئة ومعاداته لطغاة البعث، كما ورد في كتاب إبعاده الصادر من الحرس (اللاقومي) ومسؤوليه آنذاك إلى معتقل أربيل، وقبع فيه حتَّى سقط نظام البعث عام ١٩٦٣ م.

٤. كان من أعضاء حزب الاستقلال ومن محاضريه، وحاول نوري السعيد استمالة حزبه ومثاله بالمال والجاه، لكنَّه رفض يبأء وشمم كلَّ المغريات، وبذلك نال غضب نوري السعيد، فقطع مصادر رزقه، وأغلق الجريدة،

مَقْدَمَةُ الْحَقِيقِ

وقطعت المياه عن أرضه في (بنشّه)، وعلى الرغم من كل ذلك لم يلن ولم يهادن، وزاد في صلابته ومقارعتة للحكومة وأعوانها.

٥. ساهم في الثورة العراقية المجيدة (ثورة العشرين) وعمره ١٥ سنة ملازمًا المرحوم والده حجة الإسلام السيّد حمد بالقصائد الثورية والمراسلات مع شيوخ العشائر، وسترى في ثنانيا هذا الكتاب الكثير من مواقف أسرته من العلماء الأعلام مثل المجتهد المقلّد حجة الإسلام السيّد صالح، وحجج الإسلام السيّد رسول، والسيّد عيسى آل كمال الدين، وغيرهم من الذين تناولوا العلم والأدب أبا عن جد.

٦. عند عودة البعثيين إلى الحكم عام ١٩٦٨م، بدأت المضايقات من جديد، وطلب منه الحضور إلى الإذاعة والتلفزيون لمدح الحزب وقادته ومنّوه بالسيّارة والمسكن والرواتب المجزية، إلّا أنّه رفض كلّ طلباتهم، وآثر الانزواء في بيته، لكنه لم يسلم من مضايقاتهم، فقد نُصبت نقطة أمنيّة في باب داره لمراقبته ومراقبة زوّاره، ثمّ استدعي إلى الأمن ونظّمت له صحيفة أعمال، ولما لم تنفع معه كلّ هذه الإجراءات، عمدوا إلى اعتقال ابنه الأصغر المهندس السيّد محمّد الجواد، ومن بعده ابنه الأكبر، وليأسهم من تأثير هذه الممارسات الإجراميّة، استدعي إلى الأمن، ودسّوا له السمّ كإخوانه المناضلين، ولم يبق إلّا أيامًا معدودة حتّى فاضت روحه الزكيّة إلى بارئها تشكو ظلم المجرمين.

٧. لا بُدّ من إقرار حقيقة أنّ كلّ من يعلو مجده ويسطع سعده ويرتفع نجمه، تكثر حسّاده بدافع الحقد والأنانيّة والحسّنة، وهذا ما تعرّض له المرحوم، فقد حاول البعض القليل ممّن لا وفاء لهم النيل من سيرته، مع أنّ بعضهم كان معلّمًا في مدرسته الدينيّة، مطبّقين المثل (جزاء الإحسان بكاء العين، والعين

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْخَلْتَيْنِ

تكره الأرحح منها)، وهذه شيمة ضعفاء النفوس، ولكنه بقي شامخاً كالشمس لا يحجبها غربال، ونال احترام القاصي والداني، وكُتِبَ الكثير عن سيرته في الصحف والمجَلَّات والإذاعات وعن مؤلَّفاته التي اعتبرت من المصادر المعتمد بها، ولا بدَّ أن نذكر أحد سارقي الأدب، قد نشر كتاب المرحوم (الأمثال العامية في الديار العراقية) باسمه مستغلاً مركزه الوظيفي في لجنة رقابة المطبوعات بوزارة الثقافة والإعلام العفلقية، دون وازع من ضمير، وسوف نطبع هذا الكتاب ليطلع أصحاب العقول النيرة إلى أساليب السرقات بكل أنواعها، وهذا غيَضٌ من فيض من سيرة المرحوم المؤلف الذي لبَّى نداء ربِّه شهيداً ومظلوماً سنة ١٩٨٦ م.

٨. لقد أتمَّ المؤلف تأليفه هذا الكتاب سنة ١٩٦٥ م، ولم يتسنَّ له أو لعائلته نشره إبان الحكومة الصدامية وما قبلها، ولا بدَّ من الإشارة إلى أن مكتبة المؤلف قد تعرَّضت إلى النهب من قِبَل أزلام النظام الصدامي، وأحرقت الكثير من مؤلَّفاته الخطية المطبوعة مع الكثير من المخطوطات الثمينة الخاصة بفقهِ أهل البيت (عليه السلام)، والتي تعدُّ مصادر لكلِّ الأبحاث التي يلجأ إليها المؤلفون.

عملنا في هذا الكتاب

لم يكن الكتاب مخطوطاً وذا نسخٍ خطيةٍ لنجري المقابلة ونحدِّد النسخ وما شاكل ذلك من أمور التحقيق، مع كونه موجوداً ومخطوطاً في مكتبة المتحف العراقيّ وتحت الرقم ١٠١١١ في سنة ١٩٧٦ م، ولكنَّ الكتاب المخطوط ضاع مع ما ضاع من مخطوطات نفيسة تعدُّ بالآلاف في نكبة ١٩٩١ م في العراق، ولا سيما في النجف وكربلاء، وبعد نكبة العقد الأخير من القرن المنصرم، جاءت مصيبة العام ٢٠٠٣ م حين سقط

مُقَدِّمَةُ الْحَقِيقِ

النظام الطاعى، وأصبحت مكتبة المتحف العراقى نهباً وسلباً، وفُقد ما فُقد من كتب ومخطوطات نفيسة، ومع ما موجود هناك لم يبقَ منها سوى الألف والمائة موجودة ومفهرسة الآن، لحين كتابة هذه السطور...

أمّا عن عملي في هذا الكتاب، فهو على النحو الآتى:

١. ضبط النصّ قدر الإمكان، والإشارة إلى الفرق مع المنقول في هوامش البحث.

٢. تخريج الآيات والأحاديث النبويّة الشريفة من مظانها، وذكر اختلاف الروايات في هوامش الكتاب.

٣. تحقيق بعض أسماء العلماء، والكتب؛ نتيجة لسهو المؤرّخين، أو للتشابه في الأسماء، كما حصل في آل نـ، وآل طاووس.

٤. استخراج معاني الكلمات الصعبة من كتب المعجمات، وتوضيحها في الهامش.

٥. تخريج آراء العلماء الأعلام من كتبهم، والإشارة إلى فروق النقل في هامش البحث.

٦. تخريج الأشعار من الدواوين والمجاميع الشعرية، والإشارة إلى الخلاف في روايتها.

٧. كلّ عالمٍ يترجم له السيّد هادي كمال الدين نذكر مصادر ترجمته بجملة من المصادر توضع في هامش البحث، وتكون وافية قدر الإمكان.

٨. توزيع الفقرات والإشارة إليها في البدء والانتهاى؛ ليحصل المائر بين الطبعة القديمة والتحقيق الحالى.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفِكَرِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

٩. تشكيل النصّ برمّته، والإشارة إلى الخلاف في بعض القراءات النحويّة للجمل، من جهة، وإعطاء جماليّة للنصّ في تحريكه من جهةٍ أخرى.
١٠. تقسيم الجزأين على صحائف متساوية بالنسبة للجزأين في الطبعتين السابقتين، فالجزء الأوّل ينتهي بالحافظ رجب البرسيّ، ويبدأ الجزء الثاني بابن العرندس، إلّا أنّنا وضعناهما في جزءٍ واحدٍ؛ لكونهما في قرنٍ واحدٍ وهو القرن التاسع الهجريّ، من جهة، وليتساوى الجزآن، من جهةٍ أخرى.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

العراق / الحلة الفيحاء

محرم الحرام سنة ١٤٣٩ هـ



فَقَهَاءُ الْفِيحَاءِ
وَتَطَوُّلُ كِتَابِ الْفَيْكَةِ فِي الْحِلَّةِ
لِلسَّيِّدِ هَادِي حَمْدٍ آلِ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ
(١٣٢٦-١٤٠٥ هـ)



السَّيِّدُ هَادِي حَمْدٌ آلُ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَهْنِئَةٌ

وَهَلِ الْحَيَاةُ سِوَى مَجْمُوعَةٍ قَصَصٍ مُتَضَادَّةٍ، مُتَمَنَّعَةٍ مِنْ كِتَابِ الْوُجُودِ الَّذِي أَلْفَهُ
الْحَالِقُ الْمُبْدِعُ أَجْمَلَ تَأْلِيفٍ؛ لِيَكُونَ إِبْدَاعُهُ دَلِيلًا عَلَى مُبْدِعِهِ؟..

وَهَلِ الْمَجْدُ الْإِنْسَانِيُّ سِوَى فَضْلِ مُهِمٍّ مِنْ أَبْرَزِ قِصَّةٍ مِنْ قَصَصِ ذَلِكَ السَّفَرِ
الْحَالِدِ؟.

وَهَلِ الْيَقِظَةُ الْفِكْرِيَّةُ سِوَى عُنْوَانِ ذَلِكَ الْفَضْلِ؟.

وَهَلِ الْفِقْهُ سِوَى جُزْءٍ بَارِزٍ مِنْ ذَلِكَ الْعُنْوَانِ السَّاحِرِ الْأَخَّاذِ؟.

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ سَهَّلَ عَلَيْكَ مَا لِكِتَابِي هَذَا مِنْ أَهَمِّيَّةٍ؛ فَقَدْ عُنِيَ هَذَا الْكِتَابُ (فُقَهَاءُ
الْفَيْحَاءِ) بِتَسْجِيلِ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَتَطَوُّرِهَا بِصُورَةٍ تَقْرُبُ مِنَ الدَّقَّةِ، فِيهَا النِّقْدُ الْبَرِيءُ،
وَالْعَرْضُ الْأَمِينُ، وَالْمُنَاقَشَةُ الْعِلْمِيَّةُ الْهَادِيَّةُ دُونَ تَحَامُلٍ مُغْرِضٍ، وَلَا مُحَابَاةٍ عَاطِفِيَّةٍ؛
فَابْتَعَدْنَا جَهْدَ اسْتِطَاعَتِنَا عَنِ الْأَغْرَاضِ التِّجَارِيَّةِ؛ فَقَوَّضْنَا ذَلِكَ الْمُرَشَّحَ وَمَزَقْنَا ذَلِكَ
السَّتَارَ.

وَلِمَثَلِ هَذَا الْبَحْثِ فِي التَّارِيخِ قِيَمَةٌ كَبِيرَةٌ، وَإِنَّ التَّارِيخَ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ عِبَارَةٌ عَنْ
تَسْجِيلِ حَوَادِثَ زَمَنِيَّةٍ الْغَايَةِ مِنْهَا تَسْلِيمُهَا إِلَى الْجِيلِ الْقَادِمِ؛ فَهُوَ أَشْبَهُ بِالْمِرَاةِ تَنْعَكِسُ

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفِكْرِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

عَلَيْهَا صُورُ الْحَوَادِثِ، وَإِنَّ مِقْدَارَ حُسْنِ تِلْكَ الصُّورَةِ وَدَرَجَةِ مُطَابَقَتِهَا لِلْأَصْلِ مُتَنَاسِبٌ طَرْدِيًّا مَعَ مَا فِي تِلْكَ الْمِرَآةِ مِنْ صَفَاءٍ وَجَلَاءٍ، وَلَا جُلِ ذَلِكَ جَازَ لِلشَّاعِرِ أَنْ يَقُولَ:

لَيْسَ بِإِنْسَانٍ وَلَا عَاقِلٍ مَنْ لَا يَعِي التَّارِيخَ فِي صَدْرِهِ^(١)
وَلِلْمُؤَرِّخِ فَضْلٌ آخَرُ هُوَ اسْتِعْمَالُهُ طَاقَتَهُ الْفِكْرِيَّةَ وَإِيقَاطَ ذَاكِرَتِهِ وَضَمِيرِهِ عِنْدَ سَرْدِ الْحَوَادِثِ وَرَبْطُ سِلْسِلَتِهَا بِرِبَاطٍ مَنْطِقِيٍّ، وَالخُرُوجُ مِنْ مَقَائِسَتِهَا بِاسْتِثْنَائِ صَحِيحٍ مَقْبُولٍ، وَهَذَا مَا أَحْسَبُهُ أَكْبَرَ نَاحِيَةٍ فِي الْمُؤَرِّخِ، وَإِلَّا فَفِي اسْتِطَاعَةٍ مَنْ يَعْرِفُ مُجَرَّدَ الْقِرَاءَةِ وَالكِتَابَةِ أَنْ يَجْمَعَ الْحَوَادِثَ مِنْ مَظَاهِبِهَا وَيُوَحِّدَ مَوْضُوعَاتِهَا عَلَى صَوِّ فَهَارِسِهَا فَيَكُونُ مُؤَرِّخًا فِي عِدَادِ الْمُؤَرِّخِينَ... فَمُحَاكَمَةُ الْحَوَادِثِ وَاسْتِيعَابُ مَفَاهِيمِهَا وَالْمُقَارَنَةُ وَالِاسْتِنْبَاطُ وَالتَّعْقِيَاتُ كُلُّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ مُسْتَوًى ثَقَافِيًّا يَرْتَفِعُ عَنْ مُسْتَوًى مَنْ يَعْرِفُ مُجَرَّدَ الْقِرَاءَةِ وَالكِتَابَةِ أَوْ مَنْ يَقَارِبُهُ فِي هَذَا الْمُسْتَوًى.

وَهُنَاكَ نَاحِيَةٌ أُخْرَى؛ وَأَعْنِي بِهَا نَاحِيَةُ الْإِخْرَاجِ وَالتَّعْبِيرِ؛ فَالْمُؤَرِّخُ الْمُتِمِّكُنُ مِنْ نَاحِيَةِ الْفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ بِمَقْدُورِهِ أَنْ يُضْفِي عَلَى الْحَوَادِثِ التَّارِيخِيَّةِ مِنْ رُوحِهِ الشَّفَافَةِ أَلْوَانًا شَتَّى مِنَ اللَّذَّةِ وَالتَّمَتُّعِ؛ وَالفَقْهَاءُ مَوْضُوعُ كِتَابِي هَذَا مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ الشَّائِقَةِ يُعِيدُ إِلَى ذَهْنِ الْقَارِئِ تِلْكَ الذِّكْرِيَّاتِ الرَّائِعَةِ، وَالثَّرْوَةَ الْعِلْمِيَّةَ الضَّخْمَةَ الَّتِي يَعْتَزُّ بِهَا تَارِيخُ الْحِلَّةِ الْمَجِيدِ؛ فَهُوَ قَبْسٌ مُضِيئٌ مِنْ تَارِيخِ عَصْرِ تَطَوُّرِ فِكْرِيٍّ وَاجْتِمَاعِيٍّ عَمِيقِ الْجُذُورِ بِالْإِنْطِلَاقِ..

(١) هذا بيت من بيتين منسوبين للإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، والثاني:

ومن روى أخبار من قد مضى أضاف أعـامـاراً إلى عمره
يُنظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لشهاب الدين السلاوي (ت ١٣١٥هـ)، تحقيق: جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء: ١/ ٦٢. ولم أعثر في ديوانه على هذين البيتين، سواء تحقيق عمر الطباع أو الجمع والتحقيق لمحمد إبراهيم سليم المسمى (الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس).

السيد هادي كمال الدين الحسيني

فَلا غَرَابَةَ إِذَا مَحَرَّتْ سَفِينَةُ هَذِهِ الْبُحُوثِ فِي تَيَّارَاتِ صَاحِبَةٍ مِنْ بَحْرِ التَّارِيخِ فِي رِحْلَةٍ مُتَمَتِّعَةٍ طَوِيلَةٍ تَبْدَأُ مِنْ مَرَفَأٍ تَأْسِيسِ الْحِلَّةِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ^(١)، وَتَرُسُو بِمِينَاءِ الْعَصْرِ الْحَالِي بِقِيَادَةِ (الضَّمِيرِ) رُبَّانِ هَذِهِ السَّفِينَةِ الْأَمِينِ الَّذِي جَنَّبَهَا تَلَاطِمَ أَمْوَاجِ التَّنَاقُصِ مِنَ التَّحَامِلِ وَالْمُحَابَاةِ، وَأَوْصَلَهَا إِلَى شَاطِئِ سَلَامَةِ الْبُحُوثِ مِنْ تَيَّارَاتِ الْأَخْطَاءِ قَدَّرَ الطَّاقَةَ مُسْتَعِينًا بِإِشَارَاتِ (بُوصَلَةٍ) التَّحْقِيقِ إِلَى مَوَاطِنِ الْحَقِّ، وَإِنَّ رِحْلَةَ شَاقَّةَ كَهْذِهِ فِي (بَحْرِ الظُّلُمَاتِ) كَهَذَا تَحْتَاجُ إِلَى نَفَقَاتٍ بَاهِضَةٍ مِنَ الْوَقْتِ الثَّمِينِ؛ وَمَنْ صَرَفَ طَاقَةَ فِكْرِيَّةٍ مَادِّيَّةٍ.

وَقَدْ يَسَّرَ اللَّهُ لَنَا كُلَّ ذَلِكَ، وَقُمْنَا فِي إِنْجَازِ طَبْعِ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي تَفَضَّلَتْ وَزَارَةُ الْمَعَارِفِ الْجَلِيلَةُ فَأَوْلَتْهُ اهْتِمَامَهَا وَسَاعَدَتْهُ بِالْحَدِّ الْأَعْلَى مِنَ الْمُسَاعَدَةِ الْمَادِّيَّةِ الَّتِي كَانَتْ مَوْضِعَ شُكْرِنَا وَتَقْدِيرِنَا فَبِفَضْلِ مُسَاعَدَتِهَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُنْجِزَ طَبْعَ هَذَا الْكِتَابِ، تَارِكِينَ تَقْدِيرَ الرَّابِطِ الْأَسَاسِيِّ بَيْنَ الْحَاضِرِ وَالْمَاضِي إِلَى فِطْنَةِ الْقَارِئِ؛ فَهُوَ الْجَدِيدُ بِاسْتِخْلَاصِ ذَلِكَ الرَّابِطِ بِطَرِيقِ الْمُقَارَنَةِ وَالِاسْتِئْتِجَاجِ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الرَّابِطَ هُوَ الْغَايَةُ الْأَسَاسِيَّةُ الْمُتَوَخَّاهُ مِنْ هَذِهِ الْبُحُوثِ؛ لِتَحْمِلِ النِّشَاءَ الْجَدِيدَ عَلَى الْمُحَاكَاةِ وَالتَّقْلِيدِ لِسِيرَةِ أَعْلَامِنَا وَأَبْطَالِنَا؛ وَذَلِكَ فِي مَا يَتَسَقُّ وَذَاتِيَّةً أُمَّتِنَا الَّتِي تَسْتَمِدُّ عَنَاصِرَ عَظَمَتِهَا مِنْ بَيْتِهَا؛ لِتَسْتَجِلِّي الْعِبْرَةَ، وَتُكَفِّفَ الْعِبْرَةَ مِثْلَةً بِقَوْلِ شَاعِرِهَا^(٢):

(١) مُصِّرَتِ الْحِلَّةِ سَنَةِ ٤٩٥ هـ، أَي: نَهَايَةِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْمِيلَادِيِّ. يُنْظَرُ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ: ٢/ ٢٩٤، وَذَكَرَ أَنَّ تَمْصِيرَهَا حَصَلَ فِي شَهْرِ الْمُحَرَّمِ. وَيَبْدُو أَنَّ السَّيِّدَ هَادِي كَمَالَ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ سَارَ عَلَى هَدْيِ الْبَابِلِيَّاتِ، لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ الْحَاجِّ جَعْفَرِ بْنِ الْحُسَيْنِ النُّجْفِيِّ، يَقُولُ صَاحِبُ الذَّرِيعَةِ: «مَبْتَدَأًا بِالْقَرْنِ السَّادِسِ الَّذِي مُصِّرَتِ الْحِلَّةِ الْمَزِيدِيَّةُ الْفِيحَاءُ فِيهِ». الذَّرِيعَةُ: ١٩٤/١٤.

(٢) هَذَا الْبَيْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. يُنْظَرُ: شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: ١٩/ =

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْخِلَافَةِ

تَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي^(١)، وَفَعَلُ مِثْلًا فَعَلُوا
وَمَنْ عَرَفَ شَرَفَ نَفْسِهِ، وَشَرَفَ مَاضِيهِ كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ هَذِهِ زَاجِرًا لَهُ عَنِ الرَّذَائِلِ
وَمُشْجَعًا لَهُ عَلَى نَيْلِ الْمَكَارِمِ، وَمَنْ هُنَا يَنْجَلِي السِّرَّ الَّذِي اسْتَهْدَفَهُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَشَهِيدُ
الْإِبَاءِ فِي تَقْرِيعِهِ صَنَائِعِ الطَّاعِيَةِ يَزِيدُ فِي قَوْلَتِهِ الْخَالِدَةِ الْمَأْثُورَةِ: (وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ عُرَبًا كَمَا تَزْعُمُونَ)^(٢).

فَإِنَّ الرُّجُوعَ إِلَى شَرَفِ الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ مَدْعَاةٌ إِلَى انْتِهَاجِ سُبُلِ الْفَضِيلَةِ وَقَدْ
تَوَخَّيْتُ مِنْ كِتَابِي، هَذِهِ الْغَايَةَ الشَّرِيفَةَ؛ لِتَذْكِيرِ نَاشِئَتِنَا بِمَجْدِهِمُ الْعَظِيمِ الْغَابِرِ؛ لِيَسْلُكُوا
نَفْسَ الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَهُ أَسْلَافُهُمْ إِلَى الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ وَالْخُلُودِ.

وَقَدْ حَاوَلْتُ حَرِيصًا أَنْ يَكُونَ فِي غَايَةِ مِنَ الْإِنْجَازِ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ عَرَضِي الْإِفَاضَةَ
وَالِإِسْهَابَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لِيَضِيقُ عَنْهُ الْوَقْتُ الْفَسِيحُ، وَيَقْصُرُ عَنْهُ الْبَاقُ الطَّوِيلُ وَإِنَّمَا هِيَ
إِلْمَامَةٌ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِمْ: (لَا يُثْرِكُ الْمَيْسُورُ بِالْمَعْسُورِ)^(٣).

وَبِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ رَأَيْتُ لِزَامًا عَلَيَّ تَسْجِيلَ آيَاتِ شُكْرِي وَتَقْدِيرِي لِحَضَرَاتِ الْأَسَاتِذَةِ
الَّذِينَ يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْفَضْلُ فِي تَأْلِيفِ هَذَا الْكِتَابِ بِتَشْجِيعِي، وَبَوَضْعِ ثِقَتِهِمْ بِي فِي
الْقِيَامِ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ وَحَثِّهِمْ إِيَّايَ عَلَى الْاضْطِلَاعِ بَعِيْنِهِ، وَفِي مُقَدِّمَةِ هَؤُلَاءِ سِيَادَةُ الْإِدْرَائِي

= ٣٣٢، وفي تاريخ بغداد: ١١ / ٢ / ١١ نسبه لامرئ القيس. والبيت ليس في ديوان امرئ القيس
(ط بيروت - صادر).

(١) وفي الأصل (نبي). والصواب ما أثبتناه. يُنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٩ / ٣٣٢.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٣٣٣، مقتل الحسين (عليه السلام)، الخوارزمي: ٢ / ٣٣، الفتوح لابن الأعمش: ٥ / ١٣٤، البداية والنهاية: ٨ / ٢٠٣.

(٣) وهو حديث منسوب للرسول (ﷺ). يُنظر: عوالي اللآلئ: ٤ / ٥٨، ح ٢٠٥، وقد ورد في
المضمون نفسه عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الميسور لا يسقط بالمعسور). يُنظر: الكافي: ٣ / ٣١٥،
ح ١٧.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدٌ آلُ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

الحازم اللوذعي السيّد باقر الدّجيني^(١) مُتَصَرِّفُ اللِّوَاءِ وَالْأَسَاتِذَةُ الَّذِينَ شَجَّعُونِي، كَمَا لَا يَفُوتُنِي شُكْرِي لِأَخِي الْعَلَامَةِ الْجَلِيلِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْحُسَيْنِ الْأَمِينِيِّ^(٢) مُؤَلِّفِ الْكِتَابِ الْقِيَمِ (شُهَدَاءُ الْفَضِيلَةِ) وَالْمُشْرِفِ عَلَى إِدَارَةِ مَكْتَبَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَام فِي النَّجَفِ الْأَشْرَفِ، كَمَا أَشْكُرُ صَدِيقِي الْعَلَامَةَ الشَّيْخَ آغا بُرُوكَ الطَّهْرَانِيَّ^(٣) فَقَدْ وَضَعَ مَكْتَبَتَيْهِمَا تَحْتَ تَصَرُّفِي، وَبَدَلًا جُهْدَهُمَا الْمَشْكُورَ فِي تَوْفِيرِ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ إِلَيَّ، وَمِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ اسْتَمَدْتُ التَّسْدِيدَ وَالتَّوْفِيقَ.

أَيُّهَا النَّاطِرُ فِي تَأْلِيفِنَا إِنَّ تَجِدَ نَقْصًا فَأَبْدِلْهُ كَمَالًا
أَوْ تَجِدَ عَيْبًا فَأَصْلِحْ مَا تَرَى إِنَّمَا الْعِصْمَةُ لِلَّهِ تَعَالَى

٢٤ / ٤ / ١٩٦٢ م المؤلّف

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) توفي رحمته الله (١٣٩٠ هـ).

(٣) توفي رحمته الله (١٣٨٩ هـ).

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُ الْكَفَّالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الْحِلَّةُ: بِكَسْرِ الْحَاءِ، وَتَشْدِيدِ اللَّامِ، لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ يُطْلَقُ عَلَى عِدَّةٍ مَعَانٍ: كَالشَّجَرَةِ الشَّائِكَةِ الَّتِي هِيَ أَصْغَرُ مِنَ الْعَوْسَجِ، أَوْ رَدَّهَا الشَّاعِرُ فِي رَجَزِهِ^(١):

يَأْكُلُ مِنْ خَضَبٍ سَيَّالٍ وَسَلَمَ وَحِلَّةٍ لَمَّا يُوْطِئُهَا النَّعَمُ
وَالْحِلَّةُ بِكَسْرِ الْحَاءِ الْقَوْمُ النَّزُولُ وَفِيهِمْ كَثْرَةٌ^(٢)

وَالْحِلَّةُ أَيُّضًا مَصْدَرٌ قَوْلِكَ: حَلَّ الْهَدْيُ، وَبِضْمِ الْحَاءِ إِزَارٌ وَرِدَاءٌ، أَوْ ثَوْبٌ وَبِطَانَةٌ وَجَمْعُهَا حُلٌّ.

وَالْحِلَّةُ بِكَسْرِ الْحَاءِ كَمَا ذَكَرَ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ قَرْيَةً بَيْنَ وَاسِطَ وَالْبَصْرَةِ، وَتُسَمَّى: حِلَّةُ بَنِي صُلْدٍ^(٣).

(١) تاج العروس: ١٤ / ١٦٠.

(٢) تاج العروس: ١٤ / ١٥٩.

(٣) لم يذكر ذلك ياقوت، وإنما ذكر «حِلَّةُ بَنِي قَيْلَةَ بِشَارِعِ مَيْسَانَ بَيْنَ وَاسِطَ وَالْبَصْرَةِ». معجم البلدان: ٢ / ٢٩٥، ويبدو أن المؤلف أخذها من رياض العلماء عند ترجمة العلامة الحلي. ينظر: رياض العلماء: ١ / ٣٧٠.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

كَمَا أَنَّهَا اسْمُ بَلَدَةٍ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَازِ تُسَمَّى حِلَّةُ دُبَيْسِ بْنِ عَفِيفٍ ^(١) الْأَشْعَرِيِّ ^(٢)، وَأَشْهَرُهَا حِلَّةُ بَنِي مَزِيدٍ... إلخ.

وَهِيَ الْوَاقِعَةُ عَلَى بُعْدِ بَضْعَةِ أَمْيَالٍ شَرْقَ بَابِلَ ^(٣)، وَعَلَى مَسَافَةِ ٦٤ مِيلًا تَقْرِبًا جَنُوبَ غَرْبِي بَغْدَادَ عَلَى نَحْوِ ٤٠ مِيلًا إِلَى الشَّامِلِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْكُوفَةِ قَدْ شِيدَتْ أَعْلَبُ عَمَارَاتِهَا مِنْ حِجَارِ أَنْقَاضِ بَابِلِ الْقَدِيمَةِ.

وَفِي الْحِلَّةِ مَقَامُ مَشْهَدِ الشَّمْسِ الشَّهِيرِ فِي الْمَاضِي بِقُبَّتِهِ الذَّهَبِيَّةِ ^(٤)، وَالتِّي لَمْ يَبْقَ مِنْ ذَهَبِهَا الْيَوْمَ شَيْءٌ، وَيَقَعُ هَذَا الْمَقَامُ التَّارِيخِيُّ الْمُقَدَّسُ عَلَى مَسَافَةِ كِيلُومَتَرَيْنِ تَقْرِبًا مِنَ الْحِلَّةِ، وَلَهُ قُدْسِيَّةٌ قَبْلَ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ نَبُوخَذَنْصَرَ ^(٥) أَحَدَ مُلُوكِ الْبَابِلِيِّينَ قَدْ أَقَامَ فِي

(١) همام الدولة: - وهو غير سميّه (بهاء الدولة) - منصور بن دبيس، صاحب الحِلَّةِ المزيديّة، ويجمع نسبهما في ناشرة بن نصر بن سرة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد. اشتهر (همام الدولة) بنسبة (الهامة) إليه، وهي بلد بين واسط وخوزستان، يمرُّ به نهر يأخذ من دجلة، توفي سنة ٣٨٦ هـ. يُنظر: أعيان الشيعة: ٦ / ٣٩٠، الأعلام: ٧ / ٢٩٩، لاحظ هامشه.

(٢) ذكر ياقوت: ٢ / ٢٩٥. «والحِلَّةُ أيضًا: حِلَّةُ بني دبيس بن عفيف الأسديّ قرب الحويزة من ميسان بين واسط والبصرة، والأهواز في موضع آخر»، فياقوت ذكره باسم (الأسديّ)، وفي المتن ذكره المصنّف (الأشعريّ)، وقد ذكره عبد الله الأفنديّ في الرياض (الأشعريّ). وقد نقله الأفنديّ عن ياقوت خطأ. يُنظر: رياض العلماء: ١ / ٣٧٠، وترجم له الأمين في الأعيان: ٦ / ٣٩٠، ولم يذكر أنّه أشعريّ انتسابًا أو مذهبًا، فلاحظ.

(٣) قال ياقوت (٢ / ٢٩٤) عن موقعها: «طولها سبع وستون درجة وسدس، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، تعديل نهارها خمس عشرة درجة، وأطول نهارها أربع عشرة ساعة وربع».

(٤) لم أعر على مصدر يُشير إلى أنّ هذه القبة كانت ذهبية أو مطلية بالذهب. ومن عجيب ما ذكر عن منارة هذا المقام - ما ذكره العامليّ في أنيس الجليس - أنّ هذه المنارة كانت تميل إذا أقسموا عليها. راجع: مرافد الحِلَّةِ، أو الكتاب نفسه، وأظنه قد وهم بمنارة مسجد أصفهان.

(٥) يبدو أنّه (بخت نصر) فيوجد في كتاب تاريخ الحِلَّةِ ليوסף كركوش: ١٤٩ وما بعدها رواية عن بختنصر «إني شيدت في بابل معبدًا بالآجر والقار للشمس التي تعدُّ صاحبة السلطة المطلقة»

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُ الْكَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

مَوْضِعِهِ مَشْهَدًا تُقَامُ فِيهِ طُقُوسُهُمُ الدِّينِيَّةُ تَقْدِيسًا لِأَهْلِ الشَّمْسِ، وَشَاءَتِ الْعِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ أَنْ يَكُونَ مَحَلَّ تَقْدِيسِ الشَّمْسِ مَوْضِعًا لِتَقْدِيسِ خَالِقِ الشَّمْسِ فِي مَشْهَدِ الشَّمْسِ عَلَى يَدَيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَمَا فَاتَتْهُ فَرِيضَتَا الظَّهِيرَةِ وَالْعَصْرِ، وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى صِفِّينَ؛ وَقَدْ اعْتَرَفَ بِهَذِهِ الْكَرَامَةِ الْكَثِيرُونَ مِنْ عُلَمَاءِ الْفَرِيقَيْنِ^(١)، وَلَيْسَ إِنْكَارُهَا إِلَّا لَدَى مَنْ يُنْكِرُ مَعَاجِزَ الْأَنْبِيَاءِ كَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ^(٢)، وَيَنْفِي كَرَامَةَ الْأَوْلِيَاءِ^(٣)، وَهَذَا حَدَثٌ تَارِيخِيٌّ مُهِمٌّ لِلْغَايَةِ؛ لِذَلِكَ خَلَّدَهُ الْمُؤَلَّفُونَ وَالشُّعْرَاءُ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ السَّيِّدُ الْحَمِيرِيُّ، الْقَائِلُ:

رُدَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لَمَّا فَاتَتْهُ وَقَتِ الصَّلَاةِ وَقَدْ دَنَتْ لِلْمَغْرِبِ
حَتَّى تَبْلَجَ نُورُهَا فِي وَقْتِهَا لِلْعَصْرِ ثُمَّ هَوَتْ هَوَى الْكُوكَبِ^(٤)
وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ مُحَمَّدُ الدِّينِ ابْنُ جَمِيلٍ^(٥)، وَفِي زَمَنِ النَّاصِرِ:

-
- =والحاكمة الناهية». ويُنظر: مزيل اللبس في مسألتَي شقِّ القمر وردِّ الشمس: ٥٠٤. ويوجد للسَّيِّدِ الخرسان تعقيب جميل حول ذلك، فليراجع.
- (١) يُنظر: تفسير الرازي: ١٢٦/٣، طبعة مصطفى محمَّد وأولاده، البداية والنهاية: ٨٣/٦، الحاوي في الفتاوي: ٥٧١-٥٧٢. ومن طرق الخاصَّة كثير.
- (٢) يُنظر: سبيل الهدى والرشاد، دار الكتب العلميَّة: ٤٣١/٩.
- (٣) يُنظر: حاشية ردِّ المختار (باب كرامات الأولياء ثابتة): ٤٦٥/١.
- (٤) من القصيدة المعروفة بالمدَّهبة، وهي في (١١٢) بيتًا، شرحها السَّيِّدُ المرتضى علم الهدى، وطبع بمصر سنة ١٣١٣هـ، وأول القصيدة قوله:
- هَلَّا وَقَفْتُ عَلَى الْمَكَانِ الْمَعْشَبِ بَيْنَ الطَّوِيلِيعِ فَالِلْوَى مِنْ كِبْكِ
وانظر: ديوان السَّيِّدِ الحميري: ٨٧-٨٩.
- (٥) مجد الدين بن جميل المتوفَّى ٦١٦هـ، وقصيدته من الغدير يات مطلعها:
- أَلَمْتُ وَهِيَ حَاسِرَةٌ لَشَامَا وَقَدْ مَلَأَتْ ذَوَائِبَهَا الظَّلَامَا
يُنظر: القصيدة وترجمة المؤلِّف في كتاب الغدير للأميني: ٤٠١/٥ وما بعدها، وعليَّ في الكتاب والسنة والأدب، للشاكري: ٢٠٩/٤.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

وَأَثَرِ بِالطَّعَامِ وَقَدْ تَوَالَتْ ثَلَاثٌ لَمْ يَذُقْ فِيهَا طَعَامًا
فَرَدَّ عَلَيْهِ ذَاكَ الْقُرْصُ قُرْصًا وَزَادَ عَلَيْهِ فَوْقَ الْقُرْصِ جَامًا
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ الْمُعْتَزَلِيِّ الشُّنِّيِّ (١):

يَأْمَنُ لَهُ رُدَّتْ ذُكَاءٌ (٢) وَلَمْ يَقْزُ بِنَظِيرِهَا مِنْ قَبْلُ إِلَّا يُوشَعُ
وَكَّرَرَهُ أَيْضًا؛ فَقَالَ:

إِمَامٌ هُدَى بِالْقُرْصِ آثَرَ فَاقْتَضَى لَهُ الْقُرْصُ رَدَّ الْقُرْصِ أَبْيَضَ أَزْهَرًا (٣)
وَمِنْ الْمُعْتَزَلِيِّينَ مِنْ عُلَمَاءِ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ (٤)، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الْحَمُونِيِّ (٥)، وَابْنُ حَجَرَ مُفْتِي الْحِجَازِ فِي الْفَصْلِ الرَّابِعِ مِنَ الْبَابِ التَّاسِعِ مِنْ صَوَاعِقِ
الْمُحَرِّقَةِ (٦)، وَابْنُ حَنْبَلٍ أَحَدُ [أَثَمَةِ] الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ فِي (مَوْفَقِهِ) (٧)، وَغَيْرُهُمْ.

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي (٥٨٦هـ - ٦٥٦هـ): عزّ الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائنيّ الحكيم
الأصوليّ، مؤلّف فاضل، وأديب فحل، ومتكلّم معتزليّ، له تصانيف عدّة أهمّها: شرح نهج
البلاغة في عشرين مجلّدًا، وله تصانيف أخرى، وأمّا أشعاره فكثيرة، وأجلّها وأشهرها: القصائد
السبع العلويّات، نظمها في صباه وهو في المدائن في سنة ٦١١هـ، ولها شروح عدّة. ترجمته في:
إثبات الهداة ٢/ ٥٣٣، وعليّ في الكتاب والسنة والأدب: ٤/ ٢١٥، وهذا البيت من قصيدته
العينية المكتوبة حول ضريح أمير المؤمنين (عليه السلام).

(٢) ذُكَاءٌ - بالضمّ -: اسم الشمس، لسان العرب: ٢٨٧/ ١٤.

(٣) في هذا البيت وما قبله يُنظر: القصائد السبع العلويّات: ١٠٨، ١٤٠.

(٤) مناقب أمير المؤمنين، ابن المغازليّ: ١٦، ٢٧.

(٥) فرائد السمطين: ١/ ٦٤، ٧٧.

(٦) الصواعق المحرقة: ٨٤. وللمزيد يُنظر: ينابيع المودّة: ١/ ٤١٩، إعلام الوری: ١٧٨، كشف
اليقين: ١١١، خصائص أمير المؤمنين: ٤٢، التفسير الكبير للرازيّ: ٣٢/ ١٢٦، المناقب
للخوارزميّ: ٣٣٠، ح ٣٤٩.

(٧) كذا ورد في المطبوع، ويبدو أنّه كتاب المسند (في مسنده)، إذ لا يوجد كتاب له باسم (الموفق)،
وللمزيد حول مسألة ردّ الشمس في الحلة يُنظر: مزيل اللبس في مسائلتي شقّ القمر وردّ الشمس،
للعلامة المحقّق السيّد محمد مهديّ الخرسان، ط ٢٠١٢، العتبة العلوية المقدّسة.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدًا لِكَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

أَمَّا الْفِرْقَةُ الْجُعْفَرِيَّةُ فَمُجْمَعَةٌ عَلَى إِعَادَةِ الشَّمْسِ، وَقَالَ أَحَدُ مُجْتَهِدِيهَا الْأَعَظَمِ ابْنُ نَهْا:

جَادَ بِالْقُرْصِ وَالطَّوَى مِلْءُ جَنِيٍّ هِ وَعَافَ الطَّعَامَ وَهُوَ سَعُوبٌ
فَأَعَادَ الْقُرْصَ الْمُنِيرَ عَلَيْهِ الـ قُرْصَ، وَالْمُقْرُصَ الْكَرَامَ كَسُوبٌ^(١)
وَمَسْأَلُهُ رَدُّ الشَّمْسِ لَيْسَتْ أَمْرًا مُتَمَنِّعًا فِي ذَاتِهِ وَغَايَةُ مَا يَكُونُ اسْتِبْعَادُهُ لِمُخَالَفَةِ
الطَّبِيعَةِ، وَهُوَ مُمَكِّنٌ؛ أَيْ: مَسْلُوبُ الضَّرُورَةِ مِنْ طَرَفِي وَجُودِهِ وَعَدَمِهِ، وَكُلُّ مَا كَانَ
كَذَلِكَ جَازَ حُصُولُهُ عَقْلًا، وَقَدْ خَالَفَ الْإِنْسَانُ كَثِيرًا مِنْ قَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ بِمَا أَوْتِيَهُ مِنْ
ذِكَاةٍ؛ فَكَيْفَ يَسْتَحِيلُ مُحَالَفَتُهَا عَلَى خَالِقِ الْإِنْسَانِ؛ كَرَامَةٍ لِبَعْضِ أَوْلِيَائِهِ؟.

أَمَّا كَوْنُ هَذِهِ الْكَرَامَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ صَادَفَ وَقُوعُهَا فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ غَيْرِ إِسْلَامِيٍّ فَهُوَ
مِنْ غَرِيبِ الْإِتْفَاقِ، وَقَدْ حَدَّثَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سُنَنٌ، وَجَاءَ التَّشْرِيعُ الْإِسْلَامِيُّ مُطَابِقًا لَهَا
كَإِقْرَارِهِ رَجَمَ الْخَائِنِ أَبِي رِغَالٍ^(٢) امْتِدَادًا لِلتَّشْرِيعِ الْجَاهِلِيِّ لِمَا فِيهِ مِنْ تَقْيِيحِ خِيَانَةِ الْوَطَنِ

(١) سيأتي تخريج البيتين في ترجمته.

(٢) التواريخ ذكرت أن العرب رجمت قبر أبي رغال، وقد بعثته ثقيف ليدلَّ أبرهة الأشرم على الطريق حتى أنزله بالمغمس، فلما نزل مات أبو رغال فرجمت العرب قبره، فهو القبر الذي يرجم، والعرب تتمثل بذلك، وفي ذلك يقول جرير عن الفرزدق:

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال
ويُنظر: المجموع للنووي: ٣٠٣/١٦، وقد ذكر ابن سيده: كان عبدًا لشعيب وكان عشارًا جائرًا.
المختصص: ٣٥٤/٢، وفي مجمع البيان: ٤٤١-٤٤٣ «وعتوا عن أمر ربهم ففقروها، فأهلك
الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلاً واحداً يقال له أبو رغال،
وهو أبو ثقيف، كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه».
ويُنظر أيضًا: البحار: ٣٩٣/١١. وقد نقل العلامة الحلي في منتهى المطلب: ٥٢٩/٨ عن الشافعي
وأبي حنيفة في استخراج الكنز من قبور الجاهلية حال وجوده فيها. واستشهاد المصنف بأبي رغال
على أنه كان دليلاً لأبرهة وقد خان وطنه، وهذا الأمر غير ثابت، فرواية العلامة «أصيب كما
أصيب أصحابه» تُعزَّزُ أنه كان في الحرم ولم ينزل عليه العذاب إلا بعد خروجه منه.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

الَّذِي جَعَلَ الْإِسْلَامَ حُبَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ.

وَقَدْ كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَعْبُدُ الْأَصْنَامَ فِي الْكَعْبَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَجَاءَ الْإِسْلَامُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ فِي الْكَعْبَةِ، وَقَدْ صَحَّ عَنِ الرَّسُولِ أَنَّهُ قَالَ: (يَجْرِي فِيكُمْ مَا جَرَى فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ حَذَوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، وَالْقَذَّةِ بِالْقَذَةِ)^(١).

وَقَدْ صَحَّ أَنَّ يُوشَعَ بْنَ نُونٍ أَعَادَ الشَّمْسَ^(٢)؛ فَإِنَّ الْقَوْلَ بِإِعَادَتِهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام تَصْدِيقٌ لِلْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ^(٣)، وَالَّذِي يُنْكِرُهُ يَطْعَنُ بِمَقَامِ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ، وَيُكَذِّبُ حَدِيثَهُ، وَمَا ادَّعَى أَحَدٌ رَدَّ الشَّمْسِ فِي الْعَصْرِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَّا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام؛ وَلَكثَرَةُ الْمُشَابَهَةِ فِي الْحَوَادِثِ التَّارِيخِيَّةِ، قَالَ الْعُقَلَاءُ: (التَّارِيخُ يُعِيدُ نَفْسَهُ)^(٤)، وَلَيْسَ فِي إِعَادَةِ الشَّمْسِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا يَمْنَعُ كَوْنَهُ كَانَ قَدِيمًا مَشْهُدًا لِمِثَالِ آلِهَةِ الشَّمْسِ الَّتِي يُقَدِّسُهَا الْبَابِلِيُّونَ؛ فَهُوَ مَوْضِعٌ إِلَى حَدِيثَيْنِ مُتَعَاقِبَيْنِ يَجْمَعُهُمَا اسْمُ (مَشْهُدِ الشَّمْسِ)، وَيَخْتَلِفَانِ مَوْضِعًا، وَسَبَبًا كَمَا نَعْلَمُ أَنَّ الْكَعْبَةَ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضِعًا لِلْحَجِّ؛ ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ فَرَضَ الْحَجَّ إِلَيْهَا أَيْضًا؛ فَهَلْ يَسُوعُ لِعَاقِلٍ أَنْ يُكَذِّبَ تَشْرِيعَ الْإِسْلَامِ لِفَرِيضَةِ الْحَجِّ بِزَعْمِ أَنَّ هَذَا الْحَجَّ كَانَ مِنْ أَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ؟

(١) يُنْظَرُ: الْاِقْتِصَادُ الْهَادِي إِلَى طَرِيقِ الرِّشَادِ: ٢١٣، وَتَمَّتْ الْحَدِيثُ: (حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ فِي جَحْرٍ ضَبٌّ لَدَخَلْتُمُوهُ). وَيُنْظَرُ أَيْضًا: الْوَافِي: ٤٦١/٢.

(٢) يُنْظَرُ: فَرجُ الْمَهْمُومِ: ٨٧، ١٤٣، مُسْتَدْرَكُ سَفِينَةِ الْبَحَارِ: ١٩٥/٥.

(٣) جَاءَ فِي الْمَنَاقِبِ لِابْنِ شَهْرَآشُوبَ: ٣١٦/٢، وَفِيهِ: إِنَّ الشَّمْسَ رَدَّتْ عَلَيْهِ مَرَّاتًا، وَيُنْظَرُ: كَشْفُ الْغَطَاءِ: ١٠٨/١ «وَدَعَا بَرْدَ الشَّمْسِ، فَرُدَّتْ مَرَّتَيْنِ، وَرَوَى سِتِّينَ مَرَّةً»، وَأَنْظَرُ: بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ١٦٦/٤١ بَابُ رَدِّ الشَّمْسِ لَهُ.

(٤) أَجْمَلَ مَا قِيلَ فِي تَوْجِيهِ هَذِهِ الْمَقُولَةِ تَجْدُهُ فِي كِتَابِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ مَهْدِيِّ شَمْسِ الدِّينِ (التَّارِيخُ وَحَرَكَةُ التَّقَدُّمِ الْبَشَرِيِّ وَنَظَرَةُ الْإِسْلَامِ): ٩٥ وَمَا بَعْدَهَا، فِيهَا كَلَامٌ وَافٍ وَتَطْبِيقِيٌّ لِهَذِهِ الْمَقُولَةِ الْعَامَّةِ.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُ آلِ كَيْمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

وَلَا أَرَى بِتَكَرُّرِ الْحَوَادِثِ، أَوْ مُشَابَهَةِ أَسْمَائِهَا مَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ بَعْضِهَا؛ فَمُعْجَزَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي إِشْبَاعِهِ الْخَلْقَ الْكَثِيرَ مِنَ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ ^(١) قَدْ نَقَلُوا نَظِيرَهَا فِي قِصَّةِ عُرْسِ (قَانَا) ^(٢)؛ فَهَلْ يُجَوِّزُ لِعَاقِلٍ إِزْجَاعُ مُعْجَزَةِ الرَّسُولِ إِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَيُنْكِرُ مُعْجَزَتَهُ؟!.

وَالْحِلَّةُ كَمَا اشْتَهَرَتْ بِمَشْهَدِ الشَّمْسِ اشْتَهَرَتْ كَذَلِكَ بِمَوَاقِعِهَا الْأَثَرِيَّةِ الْمُهَمَّةِ الْكَثِيرَةِ، وَزَادَ فِي قُدْسِيَّتِهَا تَنْزِيلُ اللَّهِ تَعَالَى صُحْفَ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ فِي أَرْضِ (كُوَيْ) ^(٣) مِنْ بَابِلَ أُمِّ الْحِلَّةِ الْفَيْحَاءِ، وَالتِّي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كُتُبِهِ الْمُقَدَّسَةِ ^(٤).

تَأْسِيسُ الْحِلَّةِ

أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ تَأْسِيسَهَا هُوَ الْأَمِيرُ الْعَرَبِيُّ، سَيِّفُ الدَّوْلَةِ صَدَقَةُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ دُبَيْسِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مَرْيَدِ الْأَسَدِيِّ ^(٥) سَنَةَ ٤٩٥ هـ الْمُوَافِقَةُ لِسَنَةِ ١١٠٩ م أَقَامَهَا عَلَى الصُّفَّةِ الْيُمْنَى مِنْ نَهْرِ الْفُرَاتِ فِي مَوْضِعٍ يُعْرَفُ بـ (الْجَامِعَيْنِ) تَثْنِيَّةُ جَامِعٍ، وَالنَّسْبَةُ إِلَيْهِ: (جَامِعَانِي) ^(٦).

(١) يُنْظَرُ: الْكَافِي: ١/ ٤، ١٧٧، هَدَايَةُ الْأُمَّةِ إِلَى أَحْكَامِ الْأَثْمَةِ: ١٣/ ١.

(٢) يُنْظَرُ: مُعْجَزَةُ (عَرَسِ قَانَا) فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، مَجْمَعُ الْكُنَائِسِ الشَّرْقِيَّةِ، يُوْحَنَّا: ١/ ٢-١١، الصَّفْحَةُ: ٢٩٣، وَانْظُرْ: أَضْوَاءُ عَلَى الْمَسِيحِيَّةِ: ٥٣-٥٤، وَفِيهِ نَقْدٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ؛ كَوْنِ النَّبِيِّ عِيسَى ﷺ حَوْلَ الْمَاءِ إِلَى خَمْرِ فِي (عَرَسِ قَانَا).

(٣) مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ: ٤/ ٤٨٧ «كُوَيْ: بِالضَّمِّ ثُمَّ السَّكُونِ، وَالثَّاءُ مَثْلَةٌ، وَالْألفُ مَقْصُورَةٌ تُكْتَبُ بِالْيَاءِ، لِأَنَّهَا رَابِعَةُ الْأَسْمِ.. وَكَوَتْ الزَّرْعُ تَكْوَيْثًا إِذَا صَارَ أَرْبَعُ وَرَقَاتٍ وَخَمْسُ وَرَقَاتٍ وَهُوَ الْكُوْتُ، وَكُوَيْ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: بِسَوَادِ الْعِرَاقِ فِي أَرْضِ بَابِلَ، وَبِمَكَّةَ وَهُوَ مَنْزِلُ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ خَاصَّةً ثُمَّ غَلَبَ عَلَى الْجَمِيعِ». وَلِلْمَزِيدِ يُنْظَرُ: مَجْلَّةُ تَرَاثِ النَّجَفِ لِلْسَّيِّدِ سَامِي الْبَدْرِيِّ، تُحَدِّثُ مِلًّا عَنْهَا فِي الْعَدَدِ الْمَزْدُوجِ (١-٢).

(٤) لِلْمَزِيدِ يُنْظَرُ: الْعِرَاقُ بِلْدَ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، عَلِيٌّ الْكُورَانِي: ٢/ ٥.

(٥) قَالَ الْخَوَانِسَارِيُّ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ: ٢/ ٢٦٩: هُوَ مِنْ أَمْرَاءِ دَوْلَةِ الدِّيَالَةِ، وَهُوَ غَيْرُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ابْنِ حَمْدَانَ الَّذِي هُوَ مِنْ جَمَلَةِ مَلُوكِ الشَّامِ. وَيُنْظَرُ: الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ: ٢/ ١٩٠، وَلِحْيَا (دَبِيس) الْجَدُّ الْأَكْبَرُ يُنْظَرُ: سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ١٨/ ٥٥٧.

(٦) وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ نَسْبَتِهِ هَكَذَا، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْجَامِعَيْنِ أَقْدَمُ مِنَ الْحِلَّةِ بِقُرُونٍ، فَقَدْ وَرَدَتْ =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

وَقَدْ كَانَ هَذَا الْمَوْضِعُ غَابَةً تَحْتَبِي بِهَا الْحَيَوَانَاتُ، وَحِينَ اخْتَطَّهَا الْأَمِيرُ الْمَذْكُورُ، وَبَنَى فِيهَا الْقُصُورَ، وَالْدُّورَ، وَالْعِمَارَاتِ، انْتَقَلَ إِلَيْهَا مِنَ النَّيْلِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ مَنَازِلُ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ، وَكَانَ نَهْرُ النَّيْلِ يَجْرِي بِمَاءِ الْفُرَاتِ بِالْقُرْبِ مِنْ بَغْدَادَ؛ ثُمَّ يَتَعَرَّجُ جَنُوبًا وَشَرْقًا^(١).

وَمِنْ الْخُطَلِ الْفَاضِحِ مَا وَرَدَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْمُجَلَّدِ الْأَوَّلِ الصَّادِرِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ١٣٣٧، ص ٥٠ مِنْ مَجَلَّةِ اللِّسَانِ أَنَّهَا تَقَعُ عَلَى بُعْدِ ٥٠ مِيلًا عَنْ بَغْدَادَ، وَمِنْ الْخُطَأِ أَيْضًا مَا جَاءَ فِيهَا مِنْ أَنَّ تَأْسِيسَهَا كَانَ سَنَةَ ٣٩١ هـ^(٢).

كَيْفَ انْتَقَلَتِ الْأُسْرَةُ الْمَزِيدِيَّةُ إِلَى النَّيْلِ؟

كَانَتْ تَسْكُنُ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ الْأَسَدِيَّةُ صَوَاحِي الْبَصْرَةِ فِي رَعْدٍ مِنَ الْعَيْشِ تَحْتَ ظِلِّ إِمَارَةٍ جَلِيلَةٍ ذَاتِ نَفُوذٍ وَاسِعٍ، وَتَقَالِيدَ عَرَبِيَّةٍ مَتِينَةٍ؛ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَخْرُجْ بِالرَّغْمِ مِنْ نَفُوذِهَا الْوَاسِعِ عَنِ الدَّائِرَةِ الَّتِي رَسَمَتْهَا لَهَا الدَّوْلَةُ الْبُؤْيُيَّةُ فِي عِلَاقَاتِهَا الْخَارِجِيَّةِ؛ فَاسْتَقْلَلَتْهَا فِي الْوَاقِعِ لَمْ يَكُنْ سِوَى اسْتِقْلَالٍ دَاخِلِيٍّ مَحْدُودٍ لَيْسَ إِلَّا، أَمَّا فِي عِلَاقَاتِهَا الْخَارِجِيَّةِ فَإِنَّهَا مُضْطَّرَةٌ أَنْ تَدُورَ فِي فُلُكِ الدَّوْلَةِ الْبُؤْيُيَّةِ كَمَا تَدُورُ التَّوَابِعُ حَوْلَ الْقَمَرِ، وَمِثْلُ هَذَا الْاسْتِقْلَالِ لَيْسَ بِذِي شَأْنٍ لَا سِيَمًا عِنْدَ مَنْ يَقُولُ:

وَنَحْنُ أَنْأَسُ لَا تَوْسُطَ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ، أَوِ الْقَبْرِ^(٣)
وَزِيَادَةٌ عَلَى مَا لَدَيْهَا مِنْ نَزْعَةٍ نَحْوِ الْاسْتِقْلَالِ كَانَ قَدْ حَدَثَ سُوءُ تَفَاهُمٍ بَيْنَ الدَّوْلَةِ وَالْإِمَارَةِ تَطَوَّرَ مَعَ الزَّمَنِ إِلَى نِزَاعٍ مُسَلِّحٍ رَهِيْبٍ وَقَعَتْ بِسَبَبِهِ حُرُوبٌ دَامِيَةٌ سَنَةَ ٤٠٥ هـ

= قبل هذا التاريخ في تاريخ الطبري (ت ٣١٠ هـ)، وغيره. (أحمد الحلي).

(١) يُنظر: معجم البلدان: ٢/ ٢٩٤.

(٢) مَجَلَّةُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، الْمَجَلَّدُ الْأَوَّلُ: ٥٠.

(٣) الْقَائِلُ هُوَ أَبُو فِرَاسِ الْحَمْدَانِي. يُنظر: ديوانه، قَدَّمَ لَهُ وَبَوَّهَ وَشَرَحَهُ: عَلِيٌّ بْنُ مَلِحٍ: ٢٥-٢٦.

السيد هادي محمد آل كمال الدين الحسيني

الموافقة لسنة ١٠١٤ م، كان أبرز أهدافها، وأهمها هو الاستيلاء على الجزيرة الديسية، وجعلها تحت نير النفوذ البويهي مباشرة لهذه الجزيرة المتاخمة لحدود خوزستان من أهمية استراتيجية، واقتصادية؛ فأدّت تلك الحروب إلى مضايقة الأمير العربي أبي الحسن علي بن مزيد مضايقة أجبرته على التزوح إلى النبل الذي كان يوم ذاك قرية كبيرة مأهولة واقعة على مهر النبل الذي احتقره الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٢ هـ، والذي سميت القرية المذكورة باسمه في ما بعد^(١).

وعندما سكنها هذا الأمير زادت أهميتها، وأصبحت ذات كيان مرئوق، وقد أقام فيها بالتعاقب ثمانية أمراء؛ كلهم مزديون، آخرهم الأمير علي بن دبّيس، وأمدّت سلطتهم من سنة ٤٠٥ هـ حتى سنة ٥٤٥ هـ، وكان الأمير الرابع من هذه السلالة صدقة الأول^(٢) الذي تولى الإمارة سنة ٤٧٩ هـ المصادفة لسنة ١٠٨٦ م، واستمر حكمه ٢٢ عاماً، وهو أول من لقّب من أفراد هذه الأسرة بـ (ملك العرب) حيناً، وبسيف الدولة حيناً آخر^(٣)؛ حتى حدثت بينه وبين السلطان (بركيارق)^(٤) جفوة أدّت به إلى مغادرة النبل إلى أرض الجامعين، وتمّ ذلك في المحرم من سنة ٤٩٥ هـ؛ فسكنها

(١) يُنظر في انتقال أبي الحسن علي بن مزيد وتأسيس الحلة: الكامل، لابن الأثير: ٣٦٨-٣٦٩، تاريخ ابن خلدون: ٢٧٧/٤ وما بعدها.

(٢) يُنظر: وفيات الأعيان: ٢٢٩/١، دول الإسلام: ٢٠/٢، تاريخ ابن الوردي: ١٨/٢، تاريخ ابن خلدون: ٢٨٠/٤ ابن الأثير: ١٠/١٥٤، التاج: ٧/٢٨٣، وفيه وفاته سنة ٥٠٤ هـ، ومراة الزمان: ٢٥/٨.

(٣) كذا، والصواب أن يقول: (أخرى).

(٤) أبو المظفر ركن الدنيا والدين بركيارق بن جلال الدولة ملك شاه، وهو أحد أبناء جلال الدولة ملك شاه الذين خاضوا صراعاً على السلطة بعد وفاة والدهم، وهم ناصر الدنيا والدين محمود، ومعرّ الدين أحمد سنجر، وغيث الدنيا والدين محمد، كما شارك في هذه الصراعات ابنه ملكشاه بن بركيارق. يُنظر: الأعلام: ١/١٦٢، ويُنظر: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، د. حسين أمين، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحِلَّةِ

بِحَيْثِهِ، وَحَاشِيَتِهِ، وَأَتْبَاعِهِ بَعْدَ تَمْصِيرِهَا، وَتَشْيِيدِ الْقُصُورِ، وَالْمَنَازِلِ الْأَنْيَقَةِ وَالْحَدَائِقِ
الْغَنَاءِ.

وَقَدْ اسْتَمَرَّتْ فِي تَقْدِيمِهَا الْعُمَرَانِيَّ بِاطْرَادٍ حَتَّى أَصْبَحَتْ جَنَّةً مِنْ جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ،
وَأَصْبَحَتْ مِنْ أَهَمِّ الْمُدُنِ الْعِرَاقِيَّةِ، وَقَدْ رَأَاهَا الرَّحَّالَةُ ابْنُ جُبَيْرٍ بَعْدَ عِمْرَانِهَا بِنَحْوِ ٨٥
عَامًا؛ وَزَعَمَ أَتَمُّهَا: «مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ عَتِيقَةُ الْوَضْعِ، تَهْدَمُ سُورُهَا؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا حَلَقٌ مِنْ
جِدَارٍ تُرَابِيٍّ».

وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ كَيْفَ يَكُونُ الْجِدَارُ تُرَابًا؟ وَكَيْفَ لَا يَتَنَاقَضُ هَذَا الْقَوْلُ مَعَ قَوْلِهِ
فِيمَا بَعْدَ إِتَمِّهَا: «قَوِيَّةُ الْعِمَارَةِ مُتَّصِلَةٌ حَدَائِقِ النَّخِيلِ جَامِعَةٌ لِلْمَرَافِقِ الْمَدِينَةِ؟»، وَكَيْفَ
وَصَفَهَا بِالْقَدِيمَةِ الْعَتِيقَةِ فِي حِينٍ لَمْ يَمْضِ عَلَى عِمَارَتِهَا سِوَى ٨٥ خَرِيفًا؟^(١).

لَقَدْ عَلِمْتَ فِيمَا مَرَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ قُدْسِيَّةِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، وَالْآنَ نُؤَيِّدُهُ بِالْإِشَارَةِ
لِوُرُودِ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ فِي فَضْلِهَا؛ مِنْهَا: مَا رَوَاهُ صَاحِبُ كِتَابِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ فِي مُجَلَّدِ
(السَّمَاءِ وَالْعَالَمِ)^(٢) عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِمَا لَا يَقْبَلُ الْجَدَلُ فِي عَظِيمِ فَضْلِهَا، وَكَفَاهَا
فَضْلًا تَخْرِيجُ الْمِثَّاتِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ الَّذِينَ أَحْيَاوُا الشَّرِيعَةَ، وَخَدَمُوا الْعِلْمَ وَالِدِّينَ،
وَالْإِنْسَانِيَّةَ كَمَا لَهَا حَقُّ الْفَخْرِ بِاِحْتِضَانِ الْمِثَّاتِ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَقَادَةِ الْفِكْرِ، وَرِجَالِ
السِّيَاسَةِ، وَقَادَةِ الْحَرْبِ.

(١) قال ابن جبير في رحلته: ١٨٩، باب (ذكر مدينة الحِلَّةِ حرسها الله تعالى): «هي مدينة كبيرة
عتيقة الوضع مستطيلة، لم يبقَ من سورها إلا حلق من جدار ترابيٍّ مستدير بها، وهي على شطِّ
الفرات يتَّصل بها من جانبها الشرقي ويمتدُّ بطولها، ولهذه المدينة أسواق حافلة جامعة للمرافق
المدينية والصناعات الضرورية، وهي قوِيَّةُ العِمَارَةِ كثيرةُ الخلق متَّصلةُ حدائق النخيل داخلًا
وخارجًا فديارها بين حدائق النخيل». وقد أخذ المصنِّف من النص مقدار الحاجة كما ترى.
ويُنظر أيضًا: الروض المعطار: ١٩٧.

(٢) مجلَّد (السَّمَاءِ وَالْعَالَمِ)، هو الرابع عشر من كتاب بحار الأنوار، الطبعة الحجرية.

السَّيِّدُ الْهَادِي جَمْدُ الْكَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِي

وَصْفُ الْحِلَّةِ

الْحِلَّةُ، وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحِلَّةُ؟ مَدِينَةُ السَّحْرِ الْحَلَالِ، وَالْمُنْعَةُ وَالْجَمَالِ، وَالْعِلْمِ
وَالْأَدَبِ وَالْكَمَالِ، وَالنُّبُوغِ وَالذِّكَاةِ، وَالْكَرَمِ وَالسَّخَاءِ.

الْحِلَّةُ مَعْقِلُ الْعُرُوبَةِ، وَوَطَنُ الشَّيْعِ، وَكَعْبَةُ الْعِلْمِ، وَعُرْوُسُ الْفُرَاتِ، فَمِنْ مَنَاطِرِ
خَلَابَةِ، وَطَبِيعَةِ فَاتِنَةٍ هِيَ مُنْعَةٌ لِلْعُيُونِ، وَمِنْ سَجَعِ الْبَلَابِلِ وَتَغْرِيدِ الطُّيُورِ هِيَ مُنْعَةٌ
لِلْأَذَانِ، وَمِنْ ثِقَافَةِ وَعِلْمٍ وَأَدَبٍ هِيَ مُنْعَةٌ لِلْعَقْلِ وَالْقَلْبِ، وَقَدْ امْتَاَزَتْ هَذِهِ الْبَلَدَةُ الطَّيِّبَةُ
الْكَرِيمَةُ بِعُدُوبَةِ هَوَائِهَا وَمَائِهَا، وَاعْتِدَالِ مُنَاجِحِهَا، وَصَفَاءِ سَمَائِهَا، وَجَمَالِ مَنَاطِرِهَا،
وَتَوْقُودِ ذِكَاةِ أَبْنَائِهَا، مَا جَعَلَهَا خَلِيقَةً بِفَخْرِهَا، وَمَا أَصْدَقَنِي الْآنَ حِينَ أَصِفُهَا بِقَوْلِي:

مَدِينَةُ الْحِلَّةِ سَحَّارَةٌ	مَا فَارَقَ الْإِبْدَاعَ آفَاقَهَا
تَعْهَدُ الْخُسْنَ لَزُورِهَا	فِي كُلِّ مَا وَافَقَ أَذْوَاقَهَا
كَانَتْ فُنُونُ السَّحْرِ أُسْطُورَةً	فَارْتَأَتْ الْحِلَّةُ إِحْقَاقَهَا
فَلِلْجَمَالِ هَهُنَا سَطُورَةٌ	لَمَّا طَغَى أَسْلَسَ أَخْلَاقَهَا
كُنُوزُ حُسْنٍ غَيْرُ مَحْبُوءَةٍ	قَدْ أَكْثَرَتْ لِلنَّاسِ إِنْفَاقَهَا
فَلَيْلُهَا قَدْ كَادَ مِنْ حُسْنِهِ	يَسْتَمِيلُ الشَّمْسَ وَإِشْرَاقَهَا
كَأَنَّمَا أَشْجَارُهَا غَاذَةٌ	تُقَدِّمُ الْحُلُوى وَأَطْبَاقَهَا
مَبَاهِجٌ كَثِيرَةٌ مُجِّدَتْ	فِي أَلْسُنِ الْمُتَمَنِّعَةِ خَلَاقَهَا
لَوْظَهَرَتْ جَنَّةٌ عَدْنٌ لَهَا	كَانَتْ سَوَى الْفَيْحَاءِ مُصْداقَهَا
لَيْسَ بِهَا شَيْئٌ سِوَى أَتْمَا	قَدْ مَلَأَتْ بِالْخَيْرِ أَسْوَاقَهَا
وَأَعْجَبُ الْأَشْيَاءِ أَنِّي عَلَى	ضَيْقِي بِهَا، لَا زِلْتُ مُشْتَاقَهَا

هَذِهِ هِيَ الْحِلَّةُ الْفَيْحَاءُ الَّتِي نَشَأَتْ بَيْنَ أَحْضَانِ الطَّيِّعَةِ الْفَاتِنَةِ، وَعَلَى كَنَفِي نَهْرِ
الْفُرَاتِ، لَهَا جَمَالُهَا الصَّاحِبُ، وَجَوْهَا الْهَادِي، وَالسَّمَاءُ الصَّاحِيَّةُ، وَالنَّسِيمُ الْعَلِيلُ؛

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

وَلَمَّمِيزَاتُهَا هَذِهِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي تَكْوِينِ شَخْصِيَّةِ الْفَرْدِ الْحَلِيِّ؛ وَلِهَذَا السَّبَبِ كَانَتْ فِي بَعْضِ أَدْوَارِهَا الْكَعْبَةُ الَّتِي يَحْجُجُ إِلَيْهَا طُلَّابُ الْعُلُومِ، وَالْفَلَسَفَةِ وَالْأَدَبِ حَتَّى أَصْبَحَتْ فِي عَهْدِهَا النَّيِّرِ مِنْ أَعْظَمِ الْجَامِعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَسَاهَمَتْ بِقِسْطٍ غَيْرِ يَسِيرٍ فِي نَهْضَةِ الشَّرْقِ الثَّقَافِيَّةِ، وَهَذَا فِي تَارِيخِ الْفِكْرِ صَفَحَاتٌ غُرٌّ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ الثَّانِيَةُ بَعْدَ بَغْدَادٍ فِي تَقْدِيمِهَا الثَّقَافِيِّ، وَوَعِيَهَا الْعِلْمِيُّ السَّابِعُ أَثْنَاءَ، وَبَعْدَ حَمَلَةٍ (هُوَ لَاكُو) سَنَةِ ٦٥٦ هـ الْمُوَافِقِ لِسَنَةِ ١٢٥٨ م، تِلْكَ الْحَمْلَةُ الظَّالِمَةُ الَّتِي أَغْرَقَتْ مَجْدَ الْعَبَّاسِيِّينَ بِالْدمَاءِ، وَالْهَمَاءِ.

وَقَدْ امْتَدَّحَ الْحِلَّةَ جَمَاعَةً، وَذَمَّهَا آخَرُونَ؛ فَمِنْ الَّذِينَ ذَمُّوا ابْنَهَا الصَّنْفِيَّ الْحَلِّيَّ الشَّاعِرُ؛ فَقَدْ صَوَّرَهَا، وَأَحْسَنَ تَصْوِيرَهَا بِقَوْلِهِ:

مَنْ لَمْ تَرَ الْحِلَّةَ الْفَيْحَاءَ مُقْلَتَهُ فَإِنَّهُ فِي انْقِصَاءِ الْعُمَرِ مَعْبُودٌ
فَالْغُدُرُ طَافِحَةٌ، وَالرَّيْحُ نَافِحَةٌ وَالْوَرَقُ صَادِحَةٌ، وَالطَّلُّ مَوْضُودٌ
مَا شَانَهَا غَيْرُ بَغْيِ الْجَاهِلِينَ بِهَا كَأَنَّهَا جَنَّةٌ فِيهَا شَيَاطِينُ^(١)
وَمَنْ ذَمَّهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ الْغَزِّيَّ^(٢)، وَقَدْ كَذَبَ بِوَصْفِهَا، وَلَمْ يُنْصِفْهَا بِقَوْلِهِ:

(١) ديوانه: ٣٢.

(٢) الْغَزِّيُّ (٤٤١-٥٣٤ هـ/ ١٠٤٩-١١٣٠ م): إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ (أَوْ ابْنُ يَحْيَى ابْنِ عُثْمَانَ) بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيِّ الْأَشْهَبِيِّ الْغَزِّيِّ، أَبُو إِسْحَاقَ، شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ غَزَّةَ بِفِلَسْطِينَ، وَلِدَهَا، وَرَحَلَ رَحْلَةً طَوِيلَةً إِلَى الْعِرَاقِ وَخِرَاسَانَ، وَمَدَحَ آلَ بُوَيْهِ وَغَيْرَهُمْ، وَتَوَقَّى بِخِرَاسَانَ، وَدُفِنَ بِبَلْخِ، لَهُ (دِيَوَانٌ شَعْرٌ مَخْطُوطٌ) فِي دَارِ الْكُتُبِ الْمَصْرِيَّةِ بِالرَّقْمِ (١٢٢ أَدَبِ)، يَقَعُ فِي خَمْسَةِ آلَافِ بَيْتٍ، وَكَانَ قَدْ بَاعَ فِي خِرَاسَانَ وَكَرْمَانَ نَحْوَ عَشْرَةِ مِنْ مَسُودَاتِ شَعْرِهِ قَبِيلَ وَفَاتِهِ، وَهُوَ صَاحِبُ الْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي مَطَّلَعُهَا:

قَالُوا هَجَرْتَ الشَّعَرَ قُلْتُ ضَرُورَةً بَابُ الْبَوَاعِثِ وَالِدَوَاعِي مَغْلَقٌ
يُنْظَرُ: مِرَاةُ الزَّمَانِ: ٨/ ١٣٣، نَزْهَةُ الْأَبْنَاءِ: ٤٦٢، وَفِيهِ أَنَّهُ تَجَاوَزَ التَّسْعِينَ، الْمُتَنَزِّمُ: ١٥/ ١٠، وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ: ١/ ١٤، وَسَمَّاهُ (إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عُثْمَانَ)، وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ النَّجَّارِ أَنَّهُ (إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ)، الْإِعْلَامُ: ٥٠/ ١.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدٌ أَلْكَمَالُ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

أَنَا فِي الْحِلَّةِ الْغَدَاةِ كَأَنِّي عَلَوِيٌّ فِي قَبْضَةِ الْحَجَّاجِ
بَيْنَ عَرَبٍ لَا يَفْهَمُونَ كَلَامًا طَبَعُهُمْ خَارِجٌ عَنِ الْمُنْهَاجِ
وَصُدُورٌ لَا يَشْرَحُونَ صُدُورًا شَغَلَتْهُمْ عَنْهَا صُدُورُ الدَّجَاجِ
وَالْمَلِكُ الَّذِي يُحَاطِبُهُ النَّاسُ سِ بَسِيفٍ مَاضٍ وَفَخْرٍ وَتَاجِ
مَالُهُ مِنْ نَاصِحٍ وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ بَ وَقَدْ طَالَ فِي مَقَامِي لِحَاجِي
قِصَّةٌ مَا وَجَدْتُ غَيْرَ أَبِي فَخْرٍ الدِّينِ طِبَّاهَا لَطِيفَ عِلَاجِ
وَإِذَا سُلِّطَتْ صُرُوفُ اللَّيَالِي كُسِرَتْ صَخْرٌ تَدْمَرُ بِالزُّجَاجِ^(١)

وَيُلَاحِظُ الْقَارِئُ فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ مَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ تَعْلِيلًا لِهَذِهِ الثَّوَرَةِ النَّفْسِيَّةِ
وَلِهَذَا الْهَجَاءِ؛ فَسَيْفُ الدَّوْلَةِ لَمْ يَشْرَحْ صَدْرَ هَذَا الشَّاعِرِ الشَّحَازِ بِالْذَّنَانِيرِ، وَلَا بِصُدُورِ
الدَّجَاجِ، وَلَعَلَّ لِنَفْسِيَّةِ هَذَا الشَّاعِرِ الْوَضْعِيَّةِ، وَلِحَاجَةِ الْعَنِيفِ الَّذِي اعْتَرَفَ بِهِ فِي
أَبْيَاتِهِ هَذِهِ الْأَثَرِ الْكَبِيرِ فِي حِرْمَانِهِ، أَوْ فِي حِرْمَانِهِ الْمُرْعُومِ؛ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى إِسْفَافِهِ وَإِمْعَانِهِ
بِالْكَذِبِ وَصَفُهُ لِلْحَلِيِّينَ الْعَرَبِ الْإِفْحَاحَ بِأَتَمِّهِمْ لَا يَعْرِفُونَ كَلَامًا، وَأَتَمِّهِمْ بُخْلَاءُ وَأَنَّ
طَبَعُهُمْ خَارِجٌ عَنِ الْمُنْهَاجِ، وَلَكِنِّي لَا أَعْرِفُ أَيَّ مِنْهَا جِ يَعْنِي؟

فَهَلْ هُوَ مِنْهَا جُهِمٌ فِي حِرْمَانِ الشَّحَازِينَ؟!

وَالْحَقُّ إِنَّ الْحِلَّةَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ يُؤَثِّرُ الْحَقَّ يَجْرُؤُ أَنْ يَقُولَ فِيهَا مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ
السَّخِيفِ إِلَّا مَنْ بَلَغَ مِنَ الْوَقَاحَةِ الذَّرْوَةَ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا عَيْبٌ فَهُوَ تَقْرِيطُهَا فِي بُهَائِهَا
وَاحْتِصَانُهَا لِلْغُرَبَاءِ الدُّخْلَاءِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الصَّفِيُّ الْحَلِّيُّ وَأَمثَالُهُ إِلَى هَجَائِهَا إِلَّا مِنْ هَذَا
الْبَابِ الْوَاسِعِ قَدْ حَمَلَنِي ذَلِكَ أَنْ أَقُولَ:

(١) هذا البيت خارج عن وزن البحر الخفيف (المؤلف).

أقول: وهذه الأبيات ذكرها ياقوت في معجم البلدان: ٢/ ٢٩٤-٢٩٥، وفيه (كالدجاج).
ويبدو أن الوزن المستقيم:

وَإِذَا كُسِرَتْ صُرُوفُ اللَّيَالِي كُسِرَ صَخْرٌ تَدْمَرُ بِالزُّجَاجِ.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفِكْرِيِّ فِي الْحِلَّةِ

هِيَ الْحِلَّةُ الْفِيحَاءُ مَنْ زَارَ رَبْعَهَا فَسَوْفَ يَرَى أَلطَافَهَا بِانْتِظَارِهِ
وَمَا حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِفِرَاقِهَا فَإِنْ كَانَ هَذَا، كَانَ دُونَ اخْتِيَارِهِ
وَلَيْسَ بِهَا عَيْبٌ يَشِينُ جَمَاهَا وَيَنْقُصُ يَوْمًا مِنْهُ بَعْضَ اعْتِبَارِهِ
سِوَى أَنَّهُا تُعْطِي الْغَرِيبَ زِمَامَهَا وَإِنَّ ابْنَهَا لَمْ يَلْقَ غَيْرَ احْتِقَارِهِ
فَمَا هِيَ إِلَّا جَنَّةٌ بِجَمَاهَا لِذَلِكَ حُفَّتْ دُونَنَا بِالْمَكَارِهِ
فَلَيْسَ بِاسْتِطَاعَةِ الصَّفِيِّ، وَلَا بِاسْتِطَاعَتِي، وَلَا بِاسْتِطَاعَةِ كُلِّ أَحَدٍ عَتَبَ عَلَى
الْفِيحَاءِ أَنْ يَخْرِهَا^(١) فِي غَيْرِ تَنْكِرِهَا لِابْنَائِهَا، وَلَا بُدَّ أَنْ يَعْتَرَفَ بِفَتْتِهَا، وَجَمَالِ رُوعَتِهَا،
وَخَصَائِصِهَا الْمُتَمَتِّزَةِ كَخِدْمَتِهَا لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، وَمَا أَوْصَلَتْهَا إِلَيْهِ مِنْ تَطَوُّرٍ
وَنُضُوجٍ.

النُّضُوجُ الْفِكْرِيُّ وَبَوَاعِثُهُ

أَسْلَفْنَا الْقَوْلَ فِيمَا لِلْمَنَاحِ اللَّطِيفِ وَالْبَيِّنَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ أَثَرٍ فِي تَكْوِينِ شَخْصِيَّةِ الْفَرْدِ
الْحَلِيِّ، وَقَدْ سَاعَدَ عَلَى إِثْنَاءِ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ شُيُوعُ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ أَثْنَاءَ كَوَارِثِ الْحُمْلَةِ
التَّزْرِئَةِ الْوَحْشِيَّةِ عَلَى الْعِرَاقِ بِقِيَادَةِ الطَّاعِيَةِ الْعُسُوفِ (هُوْلَاكُو)؛ وَهُنَاكَ سَبَبٌ آخَرُ لَهُ
وَثِيقُ الصِّلَةِ بِنَتَائِجِ تِلْكَ الْحُمْلَةِ، وَهُوَ أَنَّ بَغْدَادَ نَعَرَّضَتْ بِسَبَبِ تِلْكَ الْحُمْلَةِ الَّتِي تَمُوجُ
بِالْأَهْوَالِ إِلَى مَجَاعَةٍ شَدِيدَةٍ^(٢) اضْطَرَّتْ سَكَّانَ عَاصِمَةِ الْعِرَاقِ إِلَى مُقَايَصَةِ تُجَّارِ الْحِلَّةِ
الْكُتُبِ النَّفِيسَةِ بِالْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ^(٣)؛ فَانْتَقَلَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ أَكْثَرُ مَكْتَبَاتِ بَغْدَادِ إِلَى الْحِلَّةِ؛

(١) إمَّا مَأْخُودٌ مِنْ (خَزَ) خَزَّ الشَّيْءَ لَفْظُهُ كَمَا تَلْفُظُ الْحُمُوضَةُ، أَوْ مِنَ الطَّعْنِ، أَوْ مِنَ (وَحَزَ) وَحَزَهُ
بِالرَّمْحِ أَيْ طَعَنَهُ. الْعَيْنُ: (خَزَ) وَ(وَحَزَ). عَلَى الثَّانِي يَكُونُ اللَّفْظُ فِي الْمَتْنِ (يُوحَزُهَا).

(٢) يُنْظَرُ: صَبْحُ الْأَعْمَى فِي صِنَاعَةِ الْإِنْشَاءِ: ٣٣٤ / ٤.

(٣) يُنْظَرُ: تَلْخِيسُ مَجْمَعِ الْأَدَبِ فِي مَعْجَمِ الْأَلْقَابِ، تَحْقِيقُ: مُصْطَفَى جَوَاد: ١ / ٤، بَغْدَادُ،

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُ آلِ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

وَيُصَافُ إِلَى هَذِهِ الْأَسْبَابِ مَا فِي الْأَمَارَةِ الْمَزِيدِيَّةِ مِنْ حَدَبٍ عَلَى الْعُلَمَاءِ، وَاحْتِرَامٍ وَتَشْجِيعٍ لِلْعِلْمِ، وَالنَّاسُ عَلَى دِينٍ مُلُوكَهَا فَنَشَطَتِ الْحَرَكَةُ الثَّقَافِيَّةُ فِي رُبُوعِ الْفَيْحَاءِ نَشَاطًا مَلْحُوظًا، وَانْتَشَرَتِ انْتِشَارًا مُدْهِشًا.

وَلَا تَتَعَسَّفُ إِذَا قُلْنَا إِنَّ مَوْعِجَ الْحِلَّةِ هُوَ الْآخِرُ كَانَ عَامِلًا مُسَاعِدًا عَلَى تَبَيُّنِ هَذَا الْجَوِّ الْعِلْمِيِّ الْأَدَبِيِّ وَانْتِشَارِ الْوَعْيِ، وَنُضُوجِهِ؛ فَبَسَبَبِ مَوْعِجِهَا الْجُغْرَافِيِّ وَكَثْرَةِ طُرُقِ الْمُواصَلَاتِ؛ الْأَمْرُ الَّذِي سَهَّلَ الْاِتِّصَالَ بَيْنَ الْحِلَّةِ وَالْمَرَكَزِ الثَّقَافِيَّةِ الْآخَرَى فِي الْعِرَاقِ كَبَغْدَادَ، وَالْكُوفَةِ، وَالنَّجَفِ الْأَشْرَفِ، وَكَرْبَلَاءَ، وَالْبَصْرَةِ حَتَّى أَصْبَحَتْ أَكْثَرُ جَامِعَةٍ عِلْمِيَّةٍ لِلشَّيْعَةِ فِي الْفَتْرَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ الْقَرْنِ الْخَامِسِ وَالْقَرْنِ النَّاسِعِ.

لِلتَّفَكُّهِ

إِنَّ مِنْ مَوَارِدِ التَّفَكُّهِ مَا وَرَدَ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِ (شُعْرَاءِ الْحِلَّةِ)، أَوْ (الْبَابِلِيَّاتِ) تَحْتَ عُنْوَانِ (الْبَيْئَةِ وَالْمَسِيرَةِ)؛ حَيْثُ قَالَ: «وَالْحِلَّةُ إِحْدَى الْبُلْدَانِ الَّتِي حَبَّاهَا اللَّهُ [بِطَيْبِ] الثَّرْبَةِ، وَصَفَاءِ الْجَوِّ، وَكَثْرَةِ الْخَيْرَاتِ، وَلُطْفِ النَّسِيمِ؛ وَلِذَلِكَ دُعِيَتْ بِالْفَيْحَاءِ؛ لِمَرَحَتِهَا، وَبَهْجَتِهَا، وَتَرَكَّزَ مَوْعِجُهَا الْجُغْرَافِيُّ... إلخ»^(١).

وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ النَّسَبَ بَيْنَ مَرَحِ الْحِلَّةِ وَتَرَكُّزِ مَوْعِجِهَا الْجُغْرَافِيِّ، وَبَيْنَ تَلْقِيهِهَا بِالْفَيْحَاءِ عَلَى أَنَّ نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى تَرَكُّزِ مَوْعِجِهَا الْجُغْرَافِيِّ؛ فَمَا يُؤْمِنُنَا لَوْلَا هَذَا التَّرَكُّزُ أَنْ تَنْتَقِلَ بِنَا الْحِلَّةَ إِلَى الصَّيْنِ الشُّيُوعِيَّةِ، أَوْ إِلَى خَاقَانَ مِنْ إِيرَانَ؟ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَتَرَ فَحَافِظَتْ بِأَعْجُوبَةٍ عَلَى مَوْعِجِهَا الْجُغْرَافِيِّ؛ وَهَذَا لَا شَكَّ مِنْ خَصَائِصِ الْحِلَّةِ، وَمُمَيِّزَاتِهَا كَمَا تَفَضَّلَ مُؤَلِّفُ (شُعْرَاءِ الْحِلَّةِ)؛ فَلَهُ مِنَّا أَلْفُ شُكْرٍ وَشُكْرٍ.

(١) يُنْظَرُ: شُعْرَاءُ الْحِلَّةِ أَوْ الْبَابِلِيَّاتِ، عَلِيِّ الْخَاقَانِيِّ: ١٤-١٥، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّة.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحِلَّةِ

أَخْصَبُ الْأَدْوَارِ

لَيْسَ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي شَيْءٍ قَوْلُنَا: إِنَّ الْحِلَّةَ بِمَثَابَةِ الدَّرَةِ اللَّامِعَةِ فِي تَاجِ الْعِرَاقِ، وَلَا نُغَالِي إِذَا قُلْنَا: إِنَّ الْقُرْنَ السَّابِعَ الْهَجْرِيَّ قَدْ ابْتَدَأَتْ مِنْهُ نُقْطَةُ الانْطِلَاقِ، دُونَ أَنْ نَبْخَسَ مَا لِلْقُرْنِ السَّادِسِ مِنْ فَضْلٍ فِي التَّمْهِيدِ وَالتَّحْضِيرِ؛ فَقَدْ سَاهَمَ مُسَاهِمَةٌ مَشْكُورَةٌ فِي إِعْدَادِ هَمْزَةِ الْحِلَّةِ الْفَيْحَاءِ حَتَّى جَاءَ الْقُرْنُ السَّابِعُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الانْطِلَاقِ، وَمُتَابَعَةِ السَّيْرِ الْمُوَفَّقِ فِي الطَّرِيقِ الثَّقَافِيِّ حَتَّى حَفَلَ بِعُلَمَاءِ الْحِلَّةِ الْأَعْلَامِ، وَأَيْمَّةِ الْأَدَبِ اللَّامِعِينَ كَالْحَسَنِ بْنِ مَعَالِي الْبَاقِلَانِيِّ مِنْ أَيْمَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَابْنِ بَطْرِيْقِ الْأَسَدِيِّ مِنْ أَيْمَةِ عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْفَلَسَفَةِ، وَابْنِ نُمَا الرَّبِيعِيِّ مِنْ أَيْمَةِ عِلْمِ الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ، وَالصَّفِيِّيِّ مِنْ أَيْمَةِ الشَّعْرِ^(١)، إِلَى مِثَالٍ هَؤُلَاءِ؛ فَكَأَنَّ لَيْسَ لِلثَّقَافَةِ مِنْ مَكَانٍ تَأْوِي إِلَيْهِ أَفْضَلُ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْمُبَارَكَةِ (فَالْقَتَّ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى)^(٢)؛ فَقَدْ طَافَتْ مُدُنًا عَدِيدَةً قَبْلَ اسْتِقْرَارِهَا فِي الْحِلَّةِ حَيْثُ كَانَتْ الْحُزْرَةُ الْعِلْمِيَّةُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي بَغْدَادَ بِرِئَاسَةِ الشَّيْخِ الْمُفِيدِ؛ ثُمَّ نَقَلَهَا إِلَى النَّجَفِ الْأَشْرَفِ تَلْمِيذُهُ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ؛ ثُمَّ نَقَلَهَا إِلَى الْحِلَّةِ الْعَلَّامَةِ (أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ)^(٣)، وَأَصْبَحَتِ الْحِلَّةُ بِفَضْلِ جُهُودِهِ مِنْ أَهَمِّ الْمَرَاكِزِ الثَّقَافِيَّةِ فِي الْعِرَاقِ، وَأَصْبَحَ سُوقُ الْعِلْمِ فِيهَا مِنْ أَرْوَاجِ الْأَسْوَاقِ حَتَّى الْقُرْنِ التَّاسِعِ الَّذِي كَانَ مَعَ الْأَسْفِ فَاتِحَةً دُورِ الْحُمُولِ وَالرُّكُودِ.

(١) ستأتي ترجمة كل واحد من هؤلاء الأعلام، تبعاً.

(٢) هذا شطري بيت للبارقي، تتمته: (كما قر عينا بالإياب المسافر)، وفي مدينة المعاجز: ٣/ ٤١٠، نسبه إلى لبيد بن ربيعة، وهو مما تمثلت به عائشة حين وردها قتل أمير المؤمنين عليه السلام. يُنظر: الاقتصاد للطوسي: ٢٢٩، فرج المهموم: ٢١١.

(٣) هناك قول إن من نقلها هو العلامة الحلي، وسوقها كان رائجاً في عصر ابن إدريس وابن أبي العزّ والمحقق الحلي، وفخار بن معد. (أحمد الحلي).

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُ آلِ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

سَلَامَةُ الْحِلَّةِ مِنْ نَكْبَةِ النَّتْرِ

فِي لُجَجِ الاضطرابِ السِّيَاسِيِّ أَثْنَاءَ فِتْرَةِ حُكْمِ الْمَغُولِ الرَّهِيْبِ، الْفِتْرَةُ الَّتِي كَانَتْ تَضْطَرُّمُ بِالْحَقْدِ عَلَى التُّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْمُسْلِمِينَ بَاتَتِ الْحِلَّةُ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ مُهَدَّدَةً بِالْغَزْوِ الْهَمَجِيِّ تَهْدِيدًا تَوَقَّعُهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ؛ وَكَانَتْ تَنْتَظِرُ أَنْ تَتَحَمَّلَ قِسْطَهَا مِنْ تِلْكَ الْمَظَالِمِ، وَالْكَوَارِثِ الَّتِي شَمِلَتْ الْقَطْرَ الْعِرَاقِيَّ بِكَافَةِ أَنْحَائِهِ تَحَمَّلَتْ بَعْدَادُ مِنْهَا الْقِسْطَ الْأَكْبَرَ.

فَمَنْ الْعَجَبِ الْعَاجِبِ أَنْ تَتَجَنَّبَ الْحِلَّةُ تِلْكَ الْوَيْلَاتِ، وَتَنْجُو مِنْ تِلْكَ الْمَآسِي وَالْأَحْدَاثِ الدَّامِيَةِ وَالْأَهْوَالِ الْمُفْزِعَةِ الَّتِي كَشَفَتْ عَنْ سَفَالَةِ الْغَزَاةِ وَوَحْشِيَّتِهِمْ، وَعَطَشَتِهِمْ لِسَفْكِ الدِّمَاءِ، إِذَنْ فَمَا السَّرُّ الْكَامِنُ فِي نَجَاةِ الْحِلَّةِ مِنْ شَرِّ هَؤُلَاءِ الْجَفَاءِ الطُّغَاةِ؟.

إِنَّ التَّارِيخَ يُجَيِّنُنَا عَلَى هَذَا السُّؤَالِ بِأَنَّ (هُوَ لَا كُو) ^(١) الْمُشْتَقَّ اسْمُهُ الْكِرِيهُ مِنَ الْهَلَاكِ حِينَ نَزَلَ بِجَبُوشِهِ الْجَرَّارَةِ عَلَى مَقْرِيَةٍ مِنْ بَعْقُوبَةٍ قَبْلَ اسْتِيْلَائِهِ عَلَى بَعْدَادَ سَنَةِ ٦٥٦ هـ كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحِلَّةِ قَدْ نَزَحُوا إِلَى الْبَطَائِحِ، وَلَمْ يَبْقَ مُقِيمًا بِهَا سِوَى الْقَلِيلِ؛ وَمِنْ هَذَا الْقَلِيلِ وَالِدُ الْعَلَامَةِ الْحَلِيِّ سَدِيدُ الدِّينِ يُونُسُ بْنُ عَلِيٍّ؛ فَاجْمَعَ رَأْيُ الْمُتَخَلِّفِينَ عَلَى مُكَاتَبَةِ ^(٢) قَائِدِ الْحَمَلَةِ (هُوَ لَا كُو خَان) يُنَبِّئُونَهُ أَنَّ الْحِلَّةَ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَأْيِهَا شَقُّ عَصَا الطَّاعَةِ؛ وَرَأَوْا أَنَّ مِنَ الْمُنَاسِبِ أَنْ يُرْسَلُوا أَعْجَمِيًّا يَأْلَفُهُ الْقَائِدُ؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْجِنْسِ؛ لِيَتِمَّكَنَ مِنْ إِصْلَاحِ الرِّسَالَةِ دُونَ حَاجَةٍ إِلَى مُتَرَجِّمٍ.

(١) ولد ١٢١٧ م، وحكم من (١٢٥٦-١٢٦٥ م). يُنظر بتفصيل أوفى: (الموسوعة الحرة، هولوكو خان). وهولوكو معناه الخنزير أو الذئب في لغة المغول. يُنظر:

www.adictators.com/Adictators/Holako/Holako.html.

ويبدو أَنَّ السَّيِّدَ مُحَمَّدًا أَخَذَ الْاِشْتِقَاقَ اللَّغَوِيَّ بَعْدَ التَّعْرِيبِ لِحَظًا مَادَّةَ الْفِظِ (هـ، ل، ك)، وَلَيْسَ أَصْلُ الْاِشْتِقَاقِ مِنَ اللَّغَةِ الْمَغُولِيَّةِ (الْمَنْغُولِيَّةِ).

(٢) يُنظر عن هذه الحادثة: صدى الفؤاد: ١٢٣، مقدِّمة مختصر المراسم: ٣٩.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

وَفِعْلًا تَمَّ ذَلِكَ، وَأَرْسَلُوا هَذَا الرَّسُولَ بِرِسَالَةٍ تَتَضَمَّنُ طَلَبَ الْأَمَانِ لِأَهْلِ الْحِلَّةِ وَإِفْهَامِهِ بِطَاعَتِهِمْ؛ وَلَكِنْ (هُوَ لَا كُو) أَصَرَ عَلَى طَلَبِ حُضُورِ أَصْحَابِ الرِّسَالَةِ عِنْدَهُ، وَ[بِالْـرَّغْمِ] مَنْ أَنَّ هَذَا الطَّلَبَ مَجْهُولُ النَّبِيَّةِ، وَأَنَّ الْمُوَافَقَةَ عَلَيْهِ مُعَامَرَةٌ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا نَعَا مِنْ إِزْسَالٍ وَفِدٍ حِلِّيٍّ قَبْلَ التَّضَحِّيَةِ فِي سَبِيلِ الْحِلَّةِ يَضُمُّ أَلَمَعَ شَخْصِيَّاتِهَا وَأَبْرَزَهَا؛ أُمَثَالَ ابْنِ أَبِي الْغُرِّ^(١)، وَابْنَ طَاوُوسٍ^(٢) بِرِثَاسَةِ سَدِيدِ الدِّينِ وَالِدِ الْعَلَامَةِ، وَعِنْدَ وُصُولِ الْوَفْدِ وَمُقَابَلَتِهِ لِلْقَائِدِ جَرَتْ مُحَادَثَاتٌ وَمَبَاحِثُ أَشْفَرَتْ عَنْ نَجَاحِ الْوَفْدِ فِي مَهْمَّتِهِ نَجَاحًا هَائِلًا وَأَخَذُوا مِنْ قَائِدِ الْحُمَلَةِ (فَرَمَانًا) بِالْأَمَانِ لِلْحِلَّةِ وَأَعْمَالِهَا، وَعَيْنَ لِلْحِلَّةِ (شَحْنَةً)، وَهَذَا نَجَاحٌ عَظِيمٌ كَانَ مِنْ أَسْبَابِهِ؛ بَلْ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِهِ عَلَى الْأَرْجَحِ بَرَكَتُ خُطْبَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمَعْرُوفَةِ بِ(الزُّورَاءِ)؛ وَذَلِكَ أَنَّ (هُوَ لَا كُو) عِنْدَمَا سَأَلَ الْوَفْدَ عَمَّا أَقْدَمَهُ عَلَى هَذِهِ الْمَخَاطَرَةِ، كَانَ جَوَابُ رَئِيسِ الْوَفْدِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَشَارَ بِخُطْبَتِهِ^(٣) هَذِهِ إِلَى مَجِيءِ التَّتَرُّ وَانْتِصَارِهِمْ، وَوَصْفِهِ، وَقَدْ انْطَبَقَتْ

(١) هو ابن أبي العزّ، وقد كتبت عنه مفصلاً في مقدّمة مختصر المراسم العلوية: ٧٤-٧٨ وضبطته ونسبته، فراجع. (أحمد الحليّ).

وترجم الطهراني في طبقات أعلام الشيعة لمحمّد بن أبي العزّ، وترجم ابن الفوطيّ في معجم الألقاب لعليّ بن أبي العزّ، والذي يغلب على الظنّ أنّهما واحد، وأنّ الصحيح في اسمه عليّ، ثمّ إنّ الطهرانيّ ترجم لرجل يسمّى محمّد بن عليّ القويقيّ، ويكنّى أبا العزّ، وقال: إنّهُ من مشايخ فخار بن معد الموسويّ (المتوفّى ٦٣٠هـ)، والظاهر أنّه جدّ ابن أبي العزّ. يُنظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب: ٤/ ٢٠٢ الرقم ٣٦٦٩، كشف اليقين للعلامة الحليّ: ١٠١ رقم الحديث ٩٣، رياض العلماء: ٦/ ٩، أعيان الشيعة: ٢/ ٢٥٨، طبقات أعلام الشيعة: ٣/ ٩٥ و١٦٥، وفي طبقات أعلام الشيعة: ٣/ ١٦٣ (القرن السابع)، وفيه: أبو العزّ.

(٢) يُنظر: عمدة الطالب: ١٩٠.

(٣) هذا نموذج من الخطبة: «الزوراء وما أدراك ما الزوراء... والويل والعويل لأهل الزوراء من سطوات الترك، وهم قوم صغار الحديق، وجوههم كالمجان المطوقة، بأسهم الحديد، جرد مرد، يقدّمهم ملك يأتي من حيث بدا ملكهم، جهوريّ الصوت، قوي الصولة، عليّ الهمة، لا يمرّ بمدينة إلّا فتحها، ولا تُرفع عليه راية إلّا نكسها، الويل الويل من ناواه، فلا يزال كذلك حتّى =

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُ الْكَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

الأَوْصَافُ عَلَيْكُمْ، فَاذْبَحُوا الْقَائِدُ بِمَا تَصَمَّتْهُ الْخُطْبَةُ مِنْ بَشَارَةِ الْإِنْتِصَارِ^(١).

وَبَرَكَتِهِ هَذِهِ الْخُطْبَةُ نَجَتْ الْكُوفَةَ، وَالْحِلَّةَ وَأَعْمَالَهَا، وَالنَّجَفَ، وَكَرْبَلَاءَ مِنْ شُرُورِ
التَّوْبَةِ وَوَيْلَاتِهِمْ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ كَرَامَاتِ عَلِيِّ عَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلَى هَذِهِ فَقَسَّ
مَا سَوَّاهَا، وَمِنْ ذَلِكَ الْحِينِ ابْتَدَأَ زِدْهَارُ الْحِلَّةِ الْعِلْمِيِّ، وَالْأَدَبِيِّ، وَالْعِمْرَانِيِّ يَنْمُو بِسُرْعَةٍ
عَجِيبَةٍ زِدْهَارًا قَلَّ مِثْلُهُ فِي التَّارِيخِ.

تَعْرِيفُ الْفَقْهِ

هُوَ مَا نَوَصَّلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ الْإِسْتِدْلَالِ، وَقِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ إِنَّهُ
الْعِلْمُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَنْ أَدْلَتِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ^(٢).

وَمَعْنَاهُ لُغَةً: الْفَهْمُ مُطْلَقًا، وَالْفَقِيهُ مَعْنَاهُ: الْفَاهِمُ^(٣).

= يُظْفَرُ. قواعد الأحكام للعلامة الحلي: ١/ ١٥، مسند الإمام علي، القبانجي: ٨/ ٤٦٧.
(١) بتفصيل وافٍ يُنظر: خاتمة المستدرک، للنوري: ٢/ ٤١٧-٤١٩، والخطبة موجودة في نهج
السعادة: ٣/ ٤٣٣/ ١١٥.

(٢) يُنظر: معالم الأصول: ٦٦، وهنا كلام للعلامة في التذكرة: ١/ ١٤ أحب أن أورد: «وأما
ما يروى من الروايات المذكورة في مطائنها من مفهوم الاجتهاد في عصره ع عليه السلام فإنه كان لا يتجاوز
عملية بذل الجهد لا كما أصبح عليه الآن مما يدل عليه اصطلاحاً من استنباط الأحكام الشرعية
من أدلتها التفصيلية، كما إننا لا نتفق مع الرأي القائل بوقوع الاجتهاد من قبل رسول الله ع،
كما ذهب إلى ذلك الأمدي في الأحكام». يُنظر: رأي الأمدي في الأحكام في أصول الأحكام:
٣٩٨/ ١.

(٣) جاء في اللسان: ١٣/ ٥٢٢ «الفقه: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته
وشرفه وفصله على سائر أنواع العلم... وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة، شرفها الله تعالى،
وتخصيصاً بعلم الفروع منها، والفقه في الأصل الفهم، يقال: أوتي فلان فقهاً في الدين أي فهماً
فيه قال الله ع: ﴿لِيَفْقَهُوا فِي الدِّينِ﴾؛ أي ليكونوا علماء به». والمصنف - على غير العادة في
التأليف - قدّم المعنى الاصطلاحي على اللغوي، ولم يوجد النسبة بينهما، بعدها ذكر اصطلاحاً، =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

وَأَمَّا اصطلاحاً؛ فَإِنَّهُ الْفَهْمُ الْخَاصُّ لِلْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْعَالَمُ بِهَا يُسَمَّى فَقِيهًا، وَمُجْتَهِدًا.

وَالْأَحْكَامُ الْمَذْكُورَةُ خَمْسَةٌ؛ ثَلَاثَةٌ إِيْجَابِيَّةٌ، وَهِيَ الْوُجُوبُ: كَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالْاِسْتِحْبَابِ، وَيُرَادُفُهُ النَّدْبُ: كَالْتَسْبِيحِ، وَقِرَاءَةِ الْأَدْعِيَةِ، وَالصَّوْمِ غَيْرِ الْوَاجِبِ، وَإِعْطَاءِ بَعْضِ الصَّدَقَاتِ، وَثَالِثُهَا الْإِبَاحَةُ: كِبَابَحَةِ شُرْبِ الْمَاءِ، وَاثْنَانِ سَلْبِيَّانِ؛ هُمَا الْحُرْمَةُ: كَحُرْمَةِ شُرْبِ الْخَمْرِ، وَأَكْلِ الْمَيْتَةِ لِعَیْرِ ضَرُورَةٍ، وَثَانِيُهَا الْكَرَاهَةُ: كَكَرَاهَةِ أَكْلِ لَحْمِ الْبَقْرِ^(١)؛ فَكُلُّ مَا كَانَتْ الضَّرُورَةُ فِي جَانِبِ وُجُودِهِ مُتَّفِقَةً عَنْ جَانِبِ عَدَمِهِ؛ فَهُوَ الْوَاجِبُ وَعَكْسُهُ الْحَرَامُ، وَكُلُّ مَا سَلَبَتْ الضَّرُورَةُ مِنْ طَرَفِي وُجُودِهِ وَعَدَمِهِ عَلَى السَّوَاءِ فَهُوَ الْمُبَاحُ، فَإِنْ تَرَجَّحَ جَانِبُ الْوُجُودِ فَهُوَ الْمُسْتَحَبُّ، وَعَكْسُهُ الْمَكْرُوهُ.

وَإِنَّ الْفَقْهَ الْإِسْلَامِيَّ مَصْدَرٌ غَنِيٌّ لِلتَّشْرِيعَاتِ الْحَدِيثَةِ؛ وَلِمُرُوتِهِ اسْتَطَاعَ مُسَايَرَةَ التَّطَوُّرَاتِ الزَّمْنِيَّةَ فَلَمْ يَضُقْ عَنْ اسْتِيعَابِ مُتَطَلِّبَاتِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضِيَاتِهِ^(٢).

وَالْفَقْهُ الْجُعْفَرِيُّ عَلَى الْأَخْصِ امْتَنَزَ بِفَتْحِهِ بَابَ الْاجْتِهَادِ، وَعَدَمَ الْجُمُودِ وَاسْتِقَائِهِ الْأَحْكَامَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ، وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا^(٣).

وَقَدْ سَمَّا الْفَقْهُ الْجُعْفَرِيُّ عَنْ تَخَرُّصَاتِ الْمُتَعَصِّبِينَ مِنْ أُولِي الْغَايَاتِ، وَالْمَارِبِ

=ويبدو أَنَّهُ التعريف الخاص به، والذي أوجده هو.

(١) لحديث ورد عن رسول الله ﷺ: (من أكل لقمة سمينة نزل من الداء مثلها من جسده، ولحم البقر داء، وسمنها شفاء، ولبنها دواء، وما دخل الجوف مثل السم)، وأحاديث أخرى نصّت على ذلك. مستدرک الوسائل: ٣٤٦/١٦.

(٢) للمزيد يُنظر: تاريخ حصر الاجتهاد، آغا بزرك الطهراني: ٢٧ وما بعدها، الاجتهاد والتجديد في التشريع الإسلامي: ٣٥٦.

(٣) يُنظر: تاريخ حصر الاجتهاد: ٢٦ و ٢٧ و ٢٨، والاجتهاد والتجديد في التشريع الإسلامي: ٧٤ و ٩٤ و ٣٥٦ و ٣٧٧ و ٣٩٠.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُ آلِ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

وَالْعَاطِفَةِ، وَقَدْ اعْتَرَفَتْ بِهِ مِصْرُ رَسْمِيًّا^(١)، وَنَحْنُ نَتَفَاءُلُ بِزَوَالِ ظِلِّ الطَّائِفَةِ الثَّقِيلِ فِي عَصْرِ نَا الْجُمْهُورِيِّ؛ فَالْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَاحِدَةٌ، وَقَبْلَتُهَا وَاحِدَةٌ، وَدِينُهَا وَاحِدٌ، وَنَبِيُّهَا وَاحِدٌ؛ فَلْتَكُنْ كَلِمَتُهَا وَاحِدَةً.

الاستصحاب

هُوَ يَقِينٌ سَابِقٌ، وَشَكٌّ لَاحِقٌ، وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ الْيَقِينِ تَطْبِيقًا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لَا تَنْقُضِ الْيَقِينَ بِالشَّكِّ)^(٢)، وَقَدْ عَرَفَهُ آيَةُ اللَّهِ الشَّيْخُ مُرْتَضَى الْأَنْصَارِيِّ بِأَنَّهُ: «إِبْقَاءُ مَا كَانَ؛ وَالْمُرَادُ بِالْإِبْقَاءِ: الْحُكْمُ بِالْبَقَاءِ»^(٣).

وَفِي حُجَّةِ الاستصحابِ، وَاعْتِبَارِهِ خِلَافٌ طَوِيلٌ؛ فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ بِاعْتِبَارِهِ؛ (لِكَوْنِهِ أَمَارَةً شَرْعِيَّةً، وَكَاشِفًا ظَنًّا عَنِ الْوَاقِعِ)، وَاخْتَارَ آخَرُونَ اعْتِبَارَهُ (لِكَوْنِهِ أَصْلًا عَمَلِيًّا) وَكَوْنُ الاستصحابِ أَمَارَةً أَقْوَى مِنْ كَوْنِهِ دَلِيلًا؛ لِأَنَّ الْأَمَارَةَ تَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ بِنَفْسِهَا، وَأَمَّا الدَّلِيلُ فَهُوَ مَا يُلْزَمُ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ عِلْمًا بِشَيْءٍ آخَرَ، وَإِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمُلَازِمَةِ وَالدَّلَالَةِ ظَاهِرٌ^(٤).

(١) لم أعثر على مصدر رسمي للحكومة المصرية، ولكن ذكره سيّد سابق في فقه السنة. سيّد سابق: ١٤ و ٧.

(٢) ورد عن المصنّف (لا تنقض بالشكّ اليقين)، وهو قد ذكره بالمعنى مع تقديم وتأخير، وليس هكذا ورد عن المعصوم. يُنظر: التهذيب: ٨/١، ح ١١، الوسائل، الباب: ١ من نواقض الوضوء، ٣٧ و ٤١ و ٤٤ من النجاسات.

(٣) يُنظر: فرائد الأصول: ٩/٣، وهو حكم المكلف ببقاء شيء وترتيبه آثار البقاء في ما كان متيقنًا ثبوتًا ومشكوكًا بقاء، فله موضوع ومحمول، موضوعه المتيقن ثبوته والمشكوك بقاءه ومحموله الحكم بالبقاء بترتيب آثار بقاءه في حال الشكّ، وعليه تكون حقيقة الاستصحاب هو فعل المكلف. يُنظر: اصطلاحات الأصول: ٣٣.

(٤) منهم من يراه حجة؛ لكونه أمارَةً شَرْعِيَّةً من جهة بناء العقلاء، وملاكُ اعتباره حينئذٍ إفادته الظنّ النوعي كما في سائر الأمارات الشرعية، ومنهم من يراه حجةً للاذعان العقليّ الظنيّ ببقاء=

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحِلَّةِ

وَمَوْضُوعُ الاسْتِصْحَابِ [مِنْ] الْمَسَائِلِ الْأُصُولِيَّةِ، وَالْفَقْهِيَّةِ^(١)؛ أَمَّا صَلَاتُهُ بِالْأُصُولِ؛ فَلِكُونِهِ مِنْ مَبَاحِثِهِ، وَأَمَّا الْمَسَائِلُ الْفَقْهِيَّةُ فَمِنْ النَّاحِيَةِ الْعَمَلِيَّةِ، وَقَدْ وَرَدَ مِنْ كِتَابِ (مَبَانِي الاسْتِنْبَاطِ) مِنْ مَقَرَّرَاتِ آيَةِ اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ الْخَوَّيِّ الْمُعَاصِرِ فِي دَلَالَةِ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَلَى الاسْتِصْحَابِ: «قَالَ: سَأَلَ أَبِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَا حَاضِرٌ أَنِّي أُعِيرُ الذَّمِّيَّ ثَوْبِي، وَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ يَشْرَبُ الْحَمْرَ، وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْخَنزِيرِ فَيَرُدُّهُ عَلَيَّ، فَأَغْسِلُهُ قَبْلَ أَنْ أُصَلِّيَ فِيهِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (صَلِّ فِيهِ، وَلَا تَغْسِلُهُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّكَ أَعَزَّتَهُ إِيَّاهُ، وَهُوَ طَاهِرٌ، وَلَمْ تَسْتَيْقِنْ أَنَّهُ نَجَسُهُ)^(٢)».

فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوُجْهَ فِي طَهَارَةِ الثَّوْبِ، وَعَدَمَ وَجُوبِ غَسْلِهِ، هُوَ إِعْطَاؤُهُ إِيَّاهُ طَاهِرًا عَدَمَ عِلْمِهِ بِنَجَاسَتِهِ؛ فَالْعِلْمُ بِالطَّهَارَةِ وَالشَّكُّ فِي ارْتِفَاعِهَا هُوَ الْوُجْهَ فِي كَوْنِ الثَّوْبِ مُحْكُومًا عَلَيْهِ بِالطَّهَارَةِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ^(٣).

انْتَهَتْ عِبَارَةُ صَاحِبِ كِتَابِ مَبَانِي الاسْتِنْبَاطِ.

وَلَا أَذْرِي لِمَاذَا أَجْرَى قَاعِدَةَ الاسْتِصْحَابِ، وَتَرَكَ قَاعِدَةَ أَصَالَةِ الْعَدَمِ^(٤)؟.

=الحكم وملأك اعتباره حينئذ الظن الشخصي، ويكون حاله حال بعض الظنون الخاصة كالظن بالقبلة، والظن في عدد الركعات،... واختار المحققون من المتأخرين أنه حجة؛ لكونه أصلاً عملياً من جهة دلالة النص أو الإجماع عليه، وعلى المسلكين الأولى يكون الاستصحاب مثبتاً للحكم وطريقاً إليه، وعلى المسلك الأخير يكون وظيفة مجمولة مع عدم الطريق إلى الواقع، فلا يمكن فرض جامع في البين. يُنظر: زبدة الأصول: ٦/٤.

(١) يُنظر: اصطلاحات الأصول: ٣٣.

(٢) يُنظر: تهذيب الأحكام: ٢/٣٦١/١٤٩٥، الاستبصار: ١/٣٩٢/١٤٩٧، الوسائل:

٣/٥٢١، أبواب النجاسات، ب ٧٤، ح ١.

(٣) مباني الاستنباط: ٤/٣٤، وهذه التقارير للسيد أبي القاسم الكوكبي؛ تلميذ السيد الخوئي رحمه الله.

(٤) الاستصحاب كما عرفه السيد الخوئي رحمه الله: «حكم الشارع ببقاء اليقين في ظرف الشك من حيث =

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدِيَّ إِلَى كَيْسَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

أَمَّا رِوَايَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانَ؛ فَصَرِيحَةٌ أَنَّ أَبَاهُ سَأَلَ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عليه السلام بِذَلِكَ، وَلَكِنَّا لَمْ نَجِدْ سُؤَالَ؛ وَإِنَّمَا هُوَ مُجَرَّدُ سَرْدِ حِكَايَةٍ؛ وَالْخَبَرُ إِعْلَامٌ، وَالسُّؤَالُ اسْتِعْلَامٌ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا كَبِيرٌ!

كَمَا أَنَّ مَا أَوْرَدَهُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْجَلِيلِ ^(١) دَلِيلٌ ^(٢) عَلَى حُجِّيَةِ الْاسْتِصْحَابِ؛ لِقَوْلِهِ عليه السلام: (كُلُّ شَيْءٍ نَظِيفٌ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ قَدَرٌ) ^(٣) يُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى أَصَالَةِ الْعَدَمِ، وَحِينَئِذٍ لَا تَبْقَى فِيهِ حُجَّةٌ عَلَى الْاسْتِصْحَابِ؛ فَمِنْ شَرَائِطِ الدَّلِيلِ انْحِصَارُهُ، وَمَتَى شَمِلَهَا وَغَيْرَهَا؛ فَلَا يَكُونُ دَلِيلًا، مِثْلُ هَذَا قَوْلِهِ عليه السلام: (كُلُّ شَيْءٍ لَكَ حَلَالٌ حَتَّى تَعْرِفَ أَنَّهُ حَرَامٌ) ^(٤).

الاجْتِهَادُ

هُوَ مَلَكَهٌ قَادِرَةٌ عَلَى اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ أَدْلَتِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ ^(٥)؛ وَيَرَى الْآمِدِيُّ أَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنِ «اسْتِفْرَاغِ الْوُسْعِ فِي طَلَبِ الظَّنِّ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى

= الجري العملي». مصباح الأصول: ٦/٣، المعجم الأصولي: ١/١٤٣. أمَّا أصالة العدم فتفيد الظن. يُنظر: الألفين: ٩٧، وقد تقرر في محله أن أصالة العدم لا دليل على اعتبارها من حيث هي، وإنما تعتبر إذا رجعت إلى شيء من الأصول المعتمدة. نهاية المقال: ٣١٢.

(١) مباني الاستنباط: ٣٥/٤.

(٢) في الأصل: (دليلاً).

(٣) يُنظر: الوسائل ج: ٢، أبواب النجاسات، باب ٣٧، ح ٤، وثمّة حديث قريب، وهو قول الإمام الصادق عليه السلام: (الماء كله طاهر حتى تعلم أنه قدر). الكافي: ١/٣، ح ٢، ٣، التهذيب: ١/٢١٥، ح ٦١٩.

(٤) وتتمّة الحديث: (بعينه فتدعه). يُنظر: الوسائل: ١٢/٦٠، الباب ٤ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٤، مع تفاوت يسير.

(٥) لغة احتمال التعب والمشقة. لسان العرب: ٣/١٣٥ (جهد). وفي التعريف الاصطلاحيّ هذا يُنظر: رسائل الشهيد الثاني: ٢/٧٦٨، ومجمع الفائدة للأردبيلي: ١/١٣.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

وَجِهٍ يُحْسُ مِنَ النَّفْسِ الْعَجْزُ عَنِ الْمَزِيدِ»^(١).

وَعَرَفَهُ الدَّهْلَوِيُّ^(٢) بِ«اسْتِفْرَاحِ الْجُهْدِ فِي إِدْرَاكِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفَرْعِيَّةِ مِنْ أَدِلَّتِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ»^(٣).

وَيَعْرِفُهُ مُحَمَّدٌ الْخَضْرِيُّ بِكَوْنِهِ: «بَدَلُ الْفَقِيهِ وَسَعَهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ»^(٤).

وَكُلُّ هَذِهِ التَّعَارِيفِ مُتَقَارِبَةٌ فِي الْمَعْنَى؛ وَلَكِنَّهَا لَمْ تُتَوَقَّعْ إِلَى تَعْرِيفِ الاجْتِهَادِ؛ فَ(بَدَلُ الْوَسْعِ وَالْجُهْدِ شَيْءٌ)، وَ(إِدْرَاكُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمَعْرِفَتُهَا) شَيْءٌ آخَرٌ؛ وَلِذَا نَرَى الْعَامِّيَّ الَّذِي اسْتَفْرَغَ جُهْدَهُ وَوَسَعَهُ فِي إِدْرَاكِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لَا يُسَمَّى مُجْتَهِدًا بِالْإِجْمَاعِ^(٥).

وَأَحْسَنُ هَذِهِ التَّعَارِيفِ أَوَّلُهَا، وَقَدْ ذَكَرَ الْعَلَامَةُ الْحَلِيُّ - أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ - فِي (قَوَاعِيدِهِ) شُرُوطَهُ؛ وَهِيَ مَعْرِفَةُ تِسْعَةِ أَشْيَاءٍ:

١. الْكِتَابُ الْمَجِيدُ.

(١) الأحكام من أصول الأحكام: ١٤١/٤، يُنظر: قريب منه تعريف البهائي في زبدة الأصول: ١٥٩.

(٢) ترجمته في الأعلام: ١/١٤٤.

(٣) وتَمَّةُ الْكَلَامِ: «الرَّاجِعَةُ كِلَيَاتِهَا إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: الْكِتَابِ، وَالسَّنَةِ، وَالْإِجْمَاعِ، وَالْقِيَاسِ». قَالَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ فَرِيدٌ وَجَدِي فِي مَادَّةِ (جُهْدٍ) مِنْ دَائِرَةِ مَعَارِفِ الْقُرْنِ الْعَشْرِينَ: ٣/٢٣٦ عَنْ رِسَالَةِ الْإِنْصَافِ فِي بَيَانِ سَبَبِ الْاِخْتِلَافِ، لِأَمْدٍ بَنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الدَّهْلَوِيِّ الْفَارُوقِيِّ الْحَنْفِيِّ الْمَحْدَثِ الْفَقِيهِ (ت ١١٧٦ هـ أَوْ ١١٧٩ هـ).

(٤) أصول الفقه للخضري: ٣٥٧.

(٥) يَقُولُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ تَقِيُّ الْحَكِيمِ: «وَالْأَنْسَبُ فِيهَا نَرَى أَنْ يَعْرِفَ ب: مَلَكَةُ تَحْصِيلِ الْحُجْجِ عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ أَوْ الْوِظَائِفِ الْعَمَلِيَّةِ، شَرْعِيَّةً أَوْ عَقْلِيَّةً. وَهَذَا التَّعْرِيفُ مُنْتَزِعٌ مِمَّا تَبَيَّنَتْهُ مَدْرَسَةُ النَجَفِ الْحَدِيثَةِ فِي عِلْمِ الْأَصُولِ». الْأَصُولُ الْعَامَّةُ لِلْفَقْهِ الْمُقَارَنِ: ٥٦٣. وَيُنْظَرُ هَذَا التَّعْرِيفُ الَّذِي تَبَنَّاهُ السَّيِّدُ الْحَكِيمُ تَجَدُّهُ فِي مُصْبَاحِ الْأَصُولِ: ٤٣٤.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُ آلِ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

٢. وَالسُّنَّةُ الشَّرِيفَةُ.

٣. وَالْإِجْمَاعُ.

٤. وَالْخِلَافُ.

٥. وَأَدَلَّةُ الْعَقْلِ مِنَ الْبَرَاءَةِ الْأَصْلِيَّةِ، وَغَيْرِهَا.

٦. وَلِسَانُ الْعَرَبِ.

٧. وَأُصُولُ الْعَقَائِدِ.

٨. وَأُصُولُ الْفِقْهِ.

٩. وَشَرَائِطُ الْبُرْهَانِ^(١).

وَلَيْسَ مِنْهُ الرَّأْيُ، وَالْقِيَاسُ، وَالِاسْتِحْسَانُ، وَالِاسْتِثْنَاءُ، وَإِنْ كَانَ الشَّافِعِيُّ يَرَى اتِّحَادَ مَفْهُومِي الْقِيَاسِ، وَالِاجْتِهَادِ بِمَعْنَاهُ الْخَاصِّ^(٢)، وَبَعْضُهُمْ يَرَاهُ مُرَادِفًا لِلِاسْتِحْسَانِ وَالْقِيَاسِ مَعًا^(٣)، وَإِنَّا نَرَى أَنَّ بَيْنَ الْقَائِلِينَ بِالْقِيَاسِ وَالنَّافِينَ لَهُ مَعْرَكَةٌ حَامِيَّةَ الْوُطْنِيسِ، وَمِنَ الْقَائِلِينَ بِالْقِيَاسِ (أَبُو حَنِيفَةَ) أَخَذَهُ عَنْ حَمَّادٍ^(٤) عَنْ إِبْرَاهِيمَ

(١) يُنْظَرُ: قَوَاعِدُ الْأَحْكَامِ: ٤٢٣/٣.

(٢) قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي كِتَابِهِ الرِّسَالَةِ: ٤٧٧ «فَمَا الْقِيَاسُ؟ أَهُوَ الْاجْتِهَادُ أَمْ هُمَا مُفْتَرَقَانِ؟ قُلْتُ: هُمَا اسْمَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ». وَنَفَى أَنْ يَكُونَ الْاسْتِحْسَانُ مِنَ الْاجْتِهَادِ. الرِّسَالَةُ: ٥٠٤. يَقُولُ السَّيِّدُ الْمُرْتَضَى رحمته الله: «وَفِي الْفُقَهَاءِ مِنْ فَصْلِ بَيْنَ الْقِيَاسِ وَالِاجْتِهَادِ، وَجَعَلَ الْقِيَاسَ مَا تَعَيَّنَ أَصْلُهُ الَّذِي يُقَاسُ عَلَيْهِ، وَالِاجْتِهَادُ مَا لَمْ تَعَيَّنْ... وَفِيهِمْ مَنْ أَدْخَلَ الْقِيَاسَ فِي الْاجْتِهَادِ وَجَعَلَ الْاجْتِهَادَ أَعْمَ مِنْهُ». يُنْظَرُ: الذَّرِيعَةُ إِلَى أَصُولِ الشَّرِيعَةِ: ١٨٨/٢.

(٣) يَقُولُ مُصْطَفَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ: «فَالرَّأْيُ الَّذِي نَتَحَدَّثُ عَنْهُ هُوَ الْاعْتِمَادُ عَلَى الْفِكْرِ فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَهُوَ مُرَادُنَا بِالِاجْتِهَادِ وَالْقِيَاسِ، هُوَ أَيْضًا مُرَادِفٌ لِلِاسْتِحْسَانِ وَالِاسْتِنْبَاطِ». تَمْهِيدٌ لِتَارِيخِ الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: ١٣٨.

(٤) أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْكُوفِيُّ الْفَقِيهَ، رَوَى عَنْ أَنَسٍ وَغَيْرِهِ، قَالَ الْعَجَلِيُّ: كُوفِي ثِقَةٌ، وَكَانَ أَفْقَهُ أَصْحَابِ =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

النَّخَعِيُّ^(١)، وَهُوَ نَوْعَانِ: قِيَاسٌ مَنْصُوصٌ الْعِلَّةِ، وَلَا نِزَاعَ فِيهِ، وَقِيَاسٌ مُسْتَنْبَطُ الْعِلَّةِ^(٢)؛ وَهُوَ مُحَلُّ الْخِلَافِ بَيْنَ الْإِمَامِيَّةِ، وَإِخْوَانِهِمْ أَهْلِ الشُّنَّةِ.

نَقَلَ الْعَلَامَةُ الْفَاضِلُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ صَادِقٌ بَحْرُ الْعُلُومِ فِي كِتَابِهِ الْقِيَمِ (دَلِيلُ الْقَضَاءِ الشَّرْعِيِّ)^(٣):

«وَإِذَا رَجَعَتْ إِلَى فَتَاوَى الصَّحَابَةِ الْجَمَاعِيَّةِ مِنْهَا، وَالْفَرْدِيَّةِ الَّتِي مَبْنَاهَا الرَّأْيُ وَالْاجْتِهَادُ وَجَدَتْ مِنْهَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ اسْمُ (الْقِيَاسِ)؛ كَاجْتِهَادِهِمْ فِي عُقُوبَةِ شَارِبِ الْخَمْرِ، مَنْ شَرِبَ سَكْرًا، وَمَنْ سَكَّرَ هَذِي، وَمَنْ هَذِي افْتَرَى، وَحَدُّ الْمُفْتَرِي تَمَانُونَ؛ وَلَنَا بَعْضُ الْإِيزَادَاتِ عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ الْمَنْسُوبِ إِلَى الْأُمَيْرِ^(٤)، وَالَّذِي يُخَاِمِرُنِي الشَّكُّ فِي هَذِهِ النَّسْبَةِ؛ فَقَدْ بُنِيَ هَذَا الْقِيَاسُ عَلَى الدَّلَالَةِ الْإِتْرَامِيَّةِ، وَفِيهِ مَاخِذٌ لَا يُمَكِّنُ بِسَبَبِهَا نِسْبَتَهُ لِلْأُمَيْرِ؛ فَنَحْنُ نَمْنَعُ أَنَّ كُلَّ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ هَذِهِ لِحَوَازِ أَنْ يَنَامَ بَعْدَ سُكْرِهِ، أَوْ يَمُوتَ، أَوْ يَقُولَ غَيْرَ الْهَذْيَانِ، كَمَا أَنَّ شَارِبَ الْقَلِيلِ لَمْ يَسْكُرْ فَلَيْسَ السُّكْرُ شَرْطًا لِزِمَامٍ لِلشُّرْبِ كَمَا لَا نُسَلِّمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ قَدْ هَذِي افْتَرَى؛ فَرُبَّمَا يَكُونُ هَذْيَانُهُ فِي أَشْيَاءٍ صَادِقَةٍ، كَقَوْلِهِ: (مَا أَحْسَنَ الْبَدْرُ وَأَرْوَعَ الْوَرْدُ) أَلُوفَ الْمَرَّاتِ، أَوْ يَتَكَلَّمُ كَلَامًا غَيْرَ مَفْهُومٍ؛ فَهُوَ

=إبراهيم النخعي، وقال النسائي: ثقة إلا أنه مرجئ. تهذيب التهذيب: ١٤ / ٣.

(١) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي الفقيه، كان مفتي أهل الكوفة، قال أبو نعيم: مات سنة (٩٦هـ). تهذيب التهذيب: ١٥٥ / ١.

(٢) العلة الملاك الذي ينشأ عنه جعل الحكم لموضوعه أو العلامة التي جعلها الشارع وسيلة لاستكشاف موارد ثبوت الحكم من أن تكون هذه العلامة هي المناط لجعل الحكم، وهي تارة تكون منصوصة، بمعنى أن الشارع قد نصَّ على أنها المناط من جعل الحكم على موضوعه أو نصَّ على أنها العلامة والضابطة لاستكشاف موارد الحكم، وتارة لا تكون منصوصة، فيتعيَّن أنها مستنبطة. يُنظر: المعجم الأصولي: ٤٠٥ / ٢.

(٣) دليل القضاء الشرعي أصوله وفروعه، مطبوع في مطبعة النجف، ١٩٥٦.

(٤) يُنظر: إرشاد المفيد: ١٠٨، البحار: ١٥٩ / ٧٦، ١٦١.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدِي أَلِ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

هَذَيَانُ، وَلَيْسَ فِيهِ افْتِرَاءُ!، وَلَمَّاذَا لَا نَقُولُ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ سَكَرَ، وَمَنْ سَكَرَ اشْتَهَى، وَمَنْ اشْتَهَى زَنَى، وَمَنْ زَنَى إِمَّا يُرْجَمُ أَوْ يُقْتَلُ، أَوْ يُجْلَدُ^(١).

وَإِنَّ الْقَوْلَ بِالرَّأْيِ مَعْنَاهُ: الْقَوْلُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ مِنْ كِتَابٍ، أَوْ سُنَّةٍ، أَوْ إِجْمَاعٍ؛ وَإِذَا جَارَ لَزِيدٌ أَنْ يَجْتَهِدَ بِرَأْيِهِ جَارَ لَعَمْرُو الاجْتِهَادَ نَقِيضُهُ، وَإِلَّا فَتَرْجِيحٌ بِلَا مُرْجَحٍ، وَهُنَاكَ الْقَوَاضِي.

وَأَوَّلُ مَنْ فَتَحَ بَابَ الْقِيَاسِ الْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فِيمَا لَوْ صَحَّتِ الرَّسَالَةُ الْمَنْسُوبَةُ إِلَيْهِ الْمَرْوِيَّةُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ أَبِيهِ، وَالتِّي جَاءَ فِيهَا: «اعْرِفِ الْأَشْيَاءَ بِالْأَمْثَالِ، وَقَسِ الْأُمُورَ»^(٢).

وَهِيَ رَوَايَةٌ لَيْسَتْ مَوْضِعَ اعْتِمَادٍ^(٣)، كَذَّبَهَا ابْنُ حَزْمٍ حَتَّى صَرَّحَ أَنَّ الرَّاويَ سَاقِطٌ، وَأَبُوهُ أَسْقَطٌ مِنْهُ^(٤)؛ أَمَّا كَوْنُهَا دَالَّةً عَلَى فَتْحِ بَابِ الاجْتِهَادِ فَبَاطِلٌ، وَصَرَّاحَتُهَا فِي الْقِيَاسِ ظَاهِرَةٌ حَتَّى بِالنَّصِّ الْحَرْفِيِّ فِي قَوْلِهِ (قَسِ الْأُمُورَ).

وَالْمَشْهُورُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ قَاسَ فِي الْإِسْلَامِ أَبُو حَنِيفَةَ^(٥)، وَقَدْ عَجَزَ الْقَائِلُونَ بِالْقِيَاسِ

(١) يُنْظَرُ: أَعْيَانُ الشَّيْءِ: ٥٠ / ١، فِيهِ كَلَامٌ حَوْلَ هَذَا الْحَدِيثِ، وَرَدَّ السَّيِّدُ الْأَمِينُ عَلَى صَاحِبِ كِتَابِ فَجْرِ الْإِسْلَامِ، أَحْمَدُ أَمِينٍ: ٢٩١، ط ٤.

(٢) وَرَدَّ فِي كِتَابِهِ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: «اعْرِفِ الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ وَقَسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ بِنَظَائِرِهَا وَاعْمَدْ إِلَى أَقْرَبِهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَشْبِهَا بِالْحَقِّ». وَقَدْ أَوْرَدَهَا بِتَمَاهُهَا فِي الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ: ٧١، وَصَبَحَ الْأَعْشَى: ١٠ / ١٩٤.

(٣) لَكِنَّ السَّيِّدَ الْخَوَّصِيَّ نَقَلَ فِي كِتَابِ الاجْتِهَادِ: ٦-٧، يَقُولُ: «وَلَعَلَّ أَوَّلَ مَنْ غَرَسَ بِذَرَةَ الْعَمَلِ بِالْقِيَاسِ (عَمَرَ)، فَإِنَّهُ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ... وَمَنْ أَخَذَ بِالْقِيَاسِ وَالِاسْتِحْسَانِ أَبُو حَنِيفَةَ النِّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ١٥٠ هـ، تَلَقَّاهُ مِنْ أَسْتَاذِهِ حَمَّادِ بْنِ سَلِيانٍ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٠ هـ»، وَقَدْ ذَكَرَ السَّرْحَسِيُّ فِي الْمَبْسُوطِ: ١٦ / ٦٣ «هُوَ دَلِيلُ جُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَنَّ الْقِيَاسَ حُجَّةٌ».

(٤) يُنْظَرُ: الْمَحَلَّى: ١ / ٥٩.

(٥) يُنْظَرُ: الْمَحَلَّى: ٩ / ٣٩٤.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

مِنْ إِقَامَةِ دَلِيلٍ عَلَى مَشْرُوعِيَّتِهِ، وَمَعْنَى الْقِيَّاسِ اِطْرَادُ أَحْكَامٍ غَيْرِ مَوْجُودَةٍ عَلَى أَحْكَامٍ تُشَابِهُهَا حَسَبَ رَأْيٍ مَنْ يَقِيْسُ؛ وَهَذَا تَخْتَلِفُ نَتِيجَةُ الْقِيَّاسِ بِاخْتِلَافِ مَوْضِعِ مُبَايَنَتِهِ لِلدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ يَسْتَنْبِطُ الْقَوَاعِدَ الْكُلِّيَّةَ بَيْنَمَا يَقْتَصِرُ الْقِيَّاسُ عَلَى الْقَضَايَا الْجُزْئِيَّةِ.

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ حَزْمٍ فِي الْمُحَلَّى حَدِيثًا عَنْ أَبِي بَكْرٍ نَصُّهُ: «أَيُّ أَرْضٍ تُقْلَنِي؟ أَوْ أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي؟ إِنْ قُلْتُ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بِرَأْيِي، أَوْ بِهَا لَا أَعْلَمُ»^(١).

وَدَلَالَةُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ صَرِيحَةٌ عَلَى مَنَعِ الْقَوْلِ بِالرَّأْيِ وَالْقِيَّاسِ؛ فَالْقَائِلُ بِهِمَا لَا يُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى؛ لَوْجُودِ مُتَشَابِهَاتِ الْقَضَايَا الْمُخْتَلِفَةِ الْأَحْكَامِ كَالرَّبَا، وَالْبَيْعِ، وَالزَّوَّاجِ مِنْ بِنْتِ الْعَمِّ، وَالْعَمَّةِ، وَهِيَ أَحْكَامٌ تَعْبُدِيَّةٌ يَجِبُ فِيهَا الْإِدْعَانُ التَّامُّ لِلشَّرْعِ يَلْزِمُهَا النَّصُّ؛ لِعَجْزِنَا عَنْ مَعْرِفَةِ أَسْرَارِ التَّشْرِيعِ، وَعِلَلِهِ، وَيَكْفِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَانِعًا عَنِ الْقَوْلِ بِالْقِيَّاسِ، إِذْ بِاسْتِعْمَالِ الرَّأْيِ قَدْ يَحْصُلُ مَا يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ، وَقَدْ حَدَّثَنَا التَّارِيخُ أَنَّ الرَّسُولَ الْأَعْظَمَ كَانَ يُعْطِي لِلْفَارِسِ سَهْمَيْنِ وَلِلرَّاجِلِ سَهْمًا^(٢)، وَالْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ سَاوَى بَيْنَهُمَا؛ لِاسْتِعْمَالِهِ الرَّأْيِ مُبَرَّرًا ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «لَا أَفْضَلَ الْحَيَوَانَ عَلَى الْإِنْسَانِ، فَهَلْ يَجُوزُ ذَلِكَ»^(٣)!!؟

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ، وَعِنْدَمَا نَجْهَلُ بَعْضَ الْأَحْكَامِ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِالرُّجُوعِ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤)، وَلَمْ يَقُلْ: قِيْسُوا أَوْ اعْمَلُوا بِرَأْيِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، وَقَدْ فَصَّلْنَا هَذَا فِي كِتَابِنَا (مَنْهَلُ

(١) المحلّى: ٦٠ / ١.

(٢) يُنْظَرُ: السرائر: ١٠ / ٢.

(٣) جاء في تذكرة الفقهاء: ٢٥٠ / ٩ «وقال أبو حنيفة: يجوز أن يفضل، ولا يعطى من لم يحضر الوقعة». ويُنْظَرُ: مصدره: العزيز في شرح الوجيز: ٣٧٤ / ٧.

(٤) النحل: ٤٣.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدِي أَلِ كَيْسَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

الْقَضَاءُ الشَّرْعِيُّ وَفَقَّ الْمَذْهَبِ الْجَعْفَرِيِّ^(١).

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الاجْتِهَادِ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْاِفْتِدَارِ عَلَى مَعْرِفَةِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ،
وَعِبَارَةٌ أُخْرَى هُوَ مَعْرِفَةُ مُرَادِ الْمُعْصُومِينَ عليهم السلام مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَبَيْنَ الرَّأْيِ،
وَالْقِيَاسِ وَاضْحَ كُلِّ الْوُضُوحِ^(٢).

وَإِنَّ الْقِيَاسَ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا فِي عَهْدِ الرِّسَالَةِ، وَإِنَّمَا اسْتَحْدَثَهُ النَّاسُ بَعْدَهُ، وَأَمَّا
الاجْتِهَادُ فَقَدْ كَانَ مَسْنُونًا عَلَى عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ؛ وَلَكِنَّهُ [فِي] ضِمْنِ دَائِرَةِ ضَيْقَةٍ بِحُكْمِ
نُدْرَةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ؛ لَوْجُودِ الرَّسُولِ وَمَعْرِفَةِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ مِنْهُ رَأْسًا: «وَإِنَّ الْإِمَامَ عَلِيَّ بْنَ
أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَصَرَ عَلَى الاجْتِهَادِ^(٣) إِصْرًا أَدَّى إِلَى ذَهَابِ خِلَافَتِهِ وَإِعْطَائِهَا إِلَى عُثْمَانَ،
وَذَلِكَ يَوْمَ الشُّوْرَى حِينَ اشْتَرَطُوا عَلَى الْخَلِيفَةِ أَنْ يَسِيرَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ الشَّيْخَيْنِ^(٤)
فَأَبَى أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام إِلَّا السَّيْرَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَاجْتِهَادِهِ، وَإِنَّ مُوَافَقَةَ
عُثْمَانَ رضي الله عنه عَلَى هَذَا الشَّرْطِ كَانَ مِنْ نَتَائِجِهِ غَلَقَ بَابِ الاجْتِهَادِ؛ بِحَيْثُ حَرَّمَ الْعُلَمَاءُ أَهَمَّ
مَا يَمْتَّازُونَ بِهِ مِنْ مُوهَبَةٍ وَالتَّزَوَّلَ بِهِمْ إِلَى مُسْتَوَى الْعَوَامِ الْمُقْلِدِينَ، كَمَا أَنَّ تَبَنَّى عُثْمَانَ
لِلنِّظَامِ الْإِقْطَاعِيِّ، وَمُفَاجَأَةِ الْإِمَامِ (عَلِيٍّ) الْمُجْتَمَعِ الْقِسْمَةِ بِالسَّوِيَّةِ كَانَا سَبَبِينَ آخَرِينَ
مِنْ أَسْبَابِ عَدَمِ عَدِّ وَصُولِ الْخِلَافَةِ إِلَيْهِ عليه السلام».

وَهَذِهِ الْقَضَايَا يَجِبُ أَنْ نَنْظُرَهَا مِنْ الزَّاوِيَةِ التَّارِيخِيَّةِ فَحَسْبُ لَا أَنْ تَكُونَ سَبَبًا

(١) في الجزء الأوَّل في مبحث (تطوُّر القضاء العراقي)، وهو كتاب مخطوط.

(٢) يُنظر: القياس حقيقته، حجَّيته، د. مصطفى جمال الدين، للفائدة.

(٣) مقتبس من كتابنا (منهل القضاء الشرعي وفق المذهب الجعفري). (المؤلف).

(٤) في هذا الأمر يُنظر: أمالي الطوسي: ١٦٦/٢ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ٣٢٠، شرح نهج البلاغة:

١/ ١٨٧ و ١٨٨، تاريخ يعقوبي: ١٦٢/٢، بحار الأنوار: ٣١/ ٣٦٨-٣٦٩ و ٣٧١ و ٣٧٢ و

٣٩٩، وراجع أيضًا: مسند أحمد: ١/ ٧٥، تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٢٣٨، الصواعق المحرقة:

١٠٦، التمهيد للباقلاني: ٢٠٩، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١١٤، فتح الباري: ١٣/ ١٩٧.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

لِلْحَقِّدِ وَالْكَرَاهِيَةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ الْوَاحِدَةِ؛ فَمَا أَحْوجَنَا الْآنَ إِلَى اتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَبَنْدِ الْخِلَافَاتِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى خَيْرٍ، وَلَا تُفِيدُ غَيْرَ الْمُسْتَعْمِرِينَ، وَقَدْ ذَهَبَ أَمْسُ بِهَا فِيهِ.

هَلْ تَأَثَّرَ الْإِسْلَامُ بِالْفَقْهِ الرُّومَانِيِّ^(١)؟

سُؤَالٌ قَدْ يَجُولُ فِي بَعْضِ النُّفُوسِ الْمَرِيضَةِ بِدَاءِ الْجَهْلِ، أَوِ الْغَرَضِ، وَلَكِنْ مِنْ السُّهُولَةِ الْجَوَابُ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ بِأَنَّ مِنَ الْخَطَأِ فِي الرَّأْيِ أَنْ يَزْعَمَ زَاعِمٌ تَأَثَّرَ الْإِسْلَامُ بِالْفَقْهِ الرُّومَانِيِّ؛ فَمُشَرِّعُ الْإِسْلَامِ أَوْ عَلَى الْأَصَحِّ مُبْلَغُ التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ كَانَ أُمِّيًّا^(٢)، وَلَمْ يَطَّلِعْ بِحُكْمِ أُمِّيَّتِهِ وَيَتِمِّهِ، وَإِطَارِ بَيْتِهِ الضِّيقِ، وَطَرَاكِ حَيَاتِهِ الْبِدَائِيَّةِ، وَفَقْرِ ذَاتِ يَدِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ قَوَانِينِ وَشَرَائِعِ الْأُمَمِ النَّائِيَةِ؛ فَإِذَا حَصَلَ تَشَابُهُ بَيْنَ بَعْضِ التَّشْرِيعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَغَيْرِهَا؛ فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ اقْتَبَسَ ذَلِكَ اقْتِبَاسًا؛ لِأَنَّا لَا نَقُولُ: إِنَّ التَّشْرِيعَاتِ الْأُخْرَى خَارِجَةٌ؛ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا عَنِ الصَّالِحِ الْمُفِيدِ، وَلَمْ نَقُلْ بَعْدَ وَجُودِ بَقِيَّةٍ نَقِيَّةٍ فِيهَا مِنَ الدِّيَانَاتِ السَّمَاوِيَّةِ الْأُخْرَى.

وَلَمَّا كَانَ هَدَفُ التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ ذَلِكَ الصَّالِحَ الْمُفِيدَ كَانَ بَدِيهِيًّا الْعُثُورُ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى ذَلِكَ الْمُفِيدِ لَا اقْتِبَاسًا، وَلَكِنْ وَضْعًا صَالِحًا وَافِقَ وَضْعًا صَالِحًا؛ فَحُرْمَةُ الْكُذِبِ، وَحُرْمَةُ الْاِعْتِدَاءِ، وَالْكَبَائِرُ قَدْ جَاءَتْ بِهَا كَافَّةُ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ، وَفِي ضِمْنِهَا الْإِسْلَامُ؛ لِأَنَّ الْغَايَةَ الْإِصْلَاحِيَّةَ فِي الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ وَاحِدَةٌ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي شَرْعِيَّةِ

(١) أورد العلامة الأخ السيّد صادق بحر العلوم في [دليل القضاء الشرعي]: ٤٤٩-٥٠٤ تحت عنوان (علاقة الشريعة الإسلامية بالشريعة الرومانية) بحثًا إضافيًا يؤيد وجهة نظرنا بأدلة واضحة متينة، فراجعها؛ فإنّه ثمين. (المؤلف).

(٢) ذكرت في توجيه ذلك آراء ليس هنا محلّ عرضها؛ يمكن للمريد الذهاب إلى ما كتبه الفقيه الشيخ جعفر السبحاني في كتابه (مفاهيم القرآن)، الجزء الخاص بـ(النبي الأكرم) ومسألة أُمِّيَّتِهِ، وتوضيح هذه النسبة.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدٌ آلُ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

الرَّوَّاجِ، وَالْمِيرَاثِ، وَالْأَحْكَامِ التَّعَاقُدِيَّةِ، وَغَيْرِهَا، وَلَكِنَّ الْاِخْتِلَافَ يَقَعُ فِي دَقَائِقِ الْمَوْضُوعَاتِ، وَتَفْصِيْلَاتِهَا وَالْإِسْلَامُ يَتَضَمَّنُ مُنْتَهَى الْحِكْمَةِ فِي تَشْرِيعَاتِهِ بِاعْتِبَارِهِ آخِرَ الْأَدْيَانِ؛ فَصِغَةُ الطَّلَاقِ، وَقِيُودُهُ، وَشُرُوطُهُ هُوَ وَضْعُ إِسْلَامِيٍّ بَحْتٌ، وَإِنْ كَانَ مَوْضُوعُ الطَّلَاقِ لَيْسَ خَاصًّا بِالْإِسْلَامِ؛ فَالْإِسْلَامُ هُوَ دِينُ الْفِطْرَةِ السَّالِمَةِ؛ فَكُلُّ مَا يَطْنُهُ الظَّانُّ مَنْ التَّأَثُّرِ لَيْسَ هُوَ تَأَثُّرًا بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ الْحَوَادِثِ الْاِقْتِرَائِيَّةِ لَا يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِ أَحَدِهِمَا التَّأَثُّرُ بِالْآخَرِ.

أَمَّا الْأَثَرُ الَّذِي أَحَدَتْهُ الثَّقَافَةُ الرُّومَانِيَّةُ، وَالْيُونَانِيَّةُ؛ فَعَلَى أَصُولِ الْفِقْهِ وَلَيْسَ عَلَى الْفِقْهِ نَفْسِهِ؛ أَعْنِي وَقُوعَ التَّأَثُّرِ عَلَى طُرُقِ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى صَحَّةِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ أَوْ فَسَادِهِ بَعْدَ وَزْنِهِ بِمِيزَانِ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ كَأَدِلَّةِ الْمَنْطِقِ نَحْوَ حُرْمَةِ السَّيِّئِ مَثَلًا حَيْثُ لَمْ يَرِدْ بِهَا نَصٌّ خَاصٌّ؛ فَقُولُ: السَّيِّئُ مُضَرٌّ بِالْأَخْلَاقِ وَالْهَالِ، وَكُلُّ مَا يَضُرُّ بِالْأَخْلَاقِ، وَالْهَالِ حَرَامٌ، فَالسَّيِّئُ حَرَامٌ لَا أَنَّهُ يَجِبُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْقَضَايَا إِثْبَاتُ الْمُقَدِّمَتَيْنِ لِتَكُونَ النَّتِيجَةُ صَحِيحَةً؛ فَالْكُبْرَى بَدِيهَةٌ؛ فَضَرُّهَا بِالْأَخْلَاقِ وَالْهَالِ لَا نِزَاعَ فِيهِ، وَأَمَّا كُبْرَى الْقِيَاسِ فَلِقَاعِدَةٌ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)^(١).

وَفِي صَحَّةِ هَاتَيْنِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ (الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى) ثَبَتَتِ النَّتِيجَةُ، وَهِيَ حُرْمَةُ السَّيِّئِ؛ فَتَحْرِيمُهَا دَاخِلٌ تَحْتَ تِلْكَ الْعُمُومَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ تَشْرِيعِ الْإِسْلَامِ، وَإِنْ هَذَا النُّوعُ مِنَ الِاسْتِدْلَالِ قَدْ وَقَعَ فِي عَصْرِ التَّرْجَمَةِ^(٢) فِي ظِلِّ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَلَيْسَ فِي زَمَنِ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ^(٣).

وَلِلْإِسْلَامِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي نَهْضَةِ أَوْرُبَا الْفِكْرِيَّةِ وَإِقْبَاطِهَا مِنْ لَيْلِ جَهَالَةِ الْقُرُونِ

(١) للحديث ولفظه الآخر طرق وأسانيد كثيرة لا يسعنا ذكرها، نكتفي بالإشارة إلى بعضها:

الكافي: ٥/ ١٦٩، ح ٤، صحيح البخاري: ٣/ ٩٣ و ٩٥، سنن الترمذي: ٣/ ٥٢٤، ح ١٢٢١.

(٢) وذلك في عهد المأمون. انظر: حياة الإمام الرضا^(عليه السلام) للشيخ باقر القرشي: ٢/ ٢٢٣ وما بعدها.

وانظر عن تعريب بعض الكتب في عصر المأمون: كشف الظنون: ١/ ٥٩١.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْخِلَاطِ

الْوُسْطَى؛ نَظَرًا لِمَا احْتَوَاهُ مِنْ مُمَيِّزَاتٍ بَاهِرَةٍ، مِنْهَا الْيُسْرُ، وَالتَّيْسِيرُ حَتَّى وَرَدَ فِي نُصُوصِهِ قَاعِدَةٌ (لَا حَرَجَ) ^(١)، وَقَاعِدَةٌ (لَا ضَرَرَ، وَلَا ضَرَارَ)، وَوَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ^(٢).

وَهَذِهِ الْمُرُونَةُ هِيَ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ فِي ذُبُوعِ الْإِسْلَامِ، وَانْتِشَارِهِ بِمِثْلِ السَّحْرِ حَتَّى اتَّسَعَتْ رُقْعَةُ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ ذَلِكَ اتِّسَاعُ الْعَجِيبِ الْمُدهِشِ فِي أَقَلِّ مِنْ رُبْعِ قَرْنٍ بِصُورَةٍ لَا نَظِيرَ لَهَا فِي التَّارِيخِ؛ لِأَنَّهُ دِينَ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، وَالْفِطْرَةُ حَسَبَ مَذَلُّوْلِهَا خَالِيَةٌ مِنَ التَّعْقِيدِ، وَالتَّكْلِيفِ، وَالتَّصْنُعِ؛ فَالشَّهَادَتَانِ وَهُمَا الْخُطُوبَةُ الْأُولَى فِي طَرِيقِ الْإِسْلَامِ بِحَيْثُ يُعْصَمُ مَنْ قَاهُمَا دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَأَصْبَحَ حُكْمُهُ حُكْمَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ تَكُنْ فِيهِمَا صُعُوبَةٌ، وَمَشَقَّةٌ.

هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ دِينَ اللَّهِ الْخَالِدُ شَرَّعَتْ أَحْكَامُهُ الْعَالِيَةَ لِسَعَادَةِ الْبَشَرِ؛ فَوَضَعَ قَاعِدَتَهُ الْمَتِينَةَ لِحُرِّيَّةِ الرَّأْيِ، وَالْإِعْتِقَادِ لِلْجَمِيعِ حَتَّى لِمُخَالَفِيهِ، وَأَعْدَائِهِ؛ فَقَالَ عَزَّ مَنْ قَائِلٌ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ^(٣)، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ^(٤) وَبَلَغَ غَايَةَ التَّسَامُحِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ^(٥)، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ ^(٦)؛ ثُمَّ عَلَّمَنَا

(١) ومفادها: أن كل قانون وحكم يكون حرجياً على الإنسان؛ بمعنى أن يكون تحمُّله شاقاً عليه لسبب ما بحيث لا يتحمَّل مثله، يرتفع عن المكلف ما دام فيه حرج ومشقة، فيرتفع وجوب الصوم ما دام فيه مشقة، فإذا ارتفعت رجع الوجوب، وكذا في غيره من الواجبات، والمصدر الشرعي للقاعدة هو قوله تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحَج: ٧٨، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥. يُنظر: الموسوعة الفقهية الميسرة: ١٩/١.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) البقرة: ٢٥٦.

(٤) الكافرون: ٦.

(٥) المائدة: ١٠٥.

(٦) الاسراء: ٨٤.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُكَ الْكَفَّالُ الدِّينُ الْحَسَنِيُّ

آدَابُ الْمُنَاطَرَةِ بِتَسَامُحٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

وَقَدْ انْتَشَلَ الْمَرْأَةُ مِنْ هُوَّةِ الذَّلِّ وَالْهُوَانِ إِلَى ذُرْوَةِ الْعِزِّ حِينَ قَالَ: (الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَمَاتِ)^(٢)، وَسَاوَاهَا بِالرَّجُلِ حِينَ قَالَ: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾^(٣)، وَسَاوَاهَا بِهِ فِي حَقِّ الْمَلَكِيَّةِ، وَالْمِيرَاثِ، وَالتَّجَارَةِ كَمَا سَاوَاهَا بِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَمُسْلِمَةٌ)^(٤). وَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ نَفْهَمُ أَنَّ التَّعْلِيمَ فِي الْإِسْلَامِ إِجْبَارِيٌّ، وَأَمْرُ الْإِسْلَامِ بِالرَّحْمَةِ حَتَّى كَانَتْ الْبَسْمَلَةُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى الرَّحْمَةِ بِصِيغَتَيْنِ^(٥): خَاصَّةٌ وَعَامَّةٌ جُزْءًا مِنْ سُورَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سِوَى [سُورَةِ] بَرَاءَةٍ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَحْسُنُ إِلَّا فِي مَوْضِعِهَا كَمَا تَحْسُنُ الْعُقُوبَةُ بِمَحَلِّهَا، وَالْإِسْلَامُ اعْتَنَى عِنَايَةً خَاصَّةً بِالْعَامِلِ وَالْفَلَّاحِ، وَلَمْ يَجْعَلْ مِنْهُمَا - كَالشُّيُوعِيَّةِ - أَدَاةً جَامِدَةً حَتَّى اعْتَبَرَتْ هَذَا الْإِنْسَانَ الْكَرِيمَ كَسَائِرِ الْمَوَادِّ الْاِقْتِصَادِيَّةِ لَا حِسَّ وَلَا إِرَادَةَ، وَلَا شُعُورًا؛ ذَلِكَ وَاضِحٌ مِنْ قَوْلِ الْيَهُودِيِّ (كَازُلْ مَا رَكُسْ)^(٦): (الْإِنْسَانُ أَكْبَرُ رَأْسٍ مَالٍ).

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) مستدرک الوسائل: ٢/ ٦٢٨، الباب: ٧٠ من أبواب أحكام الأولاد، ح ٤، كنز العمال: ٤٦١/١٦.

(٣) الأحزاب: ٣٥.

(٤) الكافي: ١/ ٣٦ كتاب فضل العلم، وفيه: «طلب فريضة على كل مسلم، إلا إن الله يحب بغاة العلم». ويُنظر: المستدرک: ٣/ ١٧٤.

(٥) في جزئية البسملة فيما إذا كانت جزءًا من كل سورة أو من الحمد أو آية فذة، يُنظر: البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي، مبحث تفسير سورة الحمد.

(٦) كتابات مختارة في علم الاجتماع والفلسفة الاجتماعية، كارل ماركس (١٨١٧-١٨٨٣ م)، تحرير: تي. بي. بوتنور وماكيملان روبل، بلاتيمور، ميريلاند، بنكوين، ١٩٦٤ م، الطبعة الأولى، ١٨٤٨ م.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحِلَّةِ

أَمَّا الْإِسْلَامُ فَعَلَى نَقِيضِ ذَلِكَ، فَقَدْ بَالَعَ فِي تَكْرِيمِ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ، وَاحْتِرَامِ الْعَامِلِ، وَالْفَلَّاحِ، وَهُمَا دُعَاةُ الْبِنَاءِ الْاِفْتِصَادِيِّ احْتِرَامًا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ فَاشْعَرْنَا الرَّسُولَ ﷺ عَظَمَةَ الْعَامِلِ، وَالْفَلَّاحِ حِينَ سَلَكَ مَسْلَكَهُمَا هُوَ وَابْنُ عَمِّهِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَكَانَا مِنَ الْفَلَاحِينَ حِينَئِذٍ، وَالْعَمَالِ حِينَآ آخَرَ فَعَرَسَا النَّخِيلَ بِأَيْدِيهِمَا، وَرَعَى الرَّسُولُ ﷺ الْمَاشِيَةَ، وَتَاجَرَ بِأَمْوَالِ خَدِيجَةَ [عَلَيْهَا السَّلَامُ] فِي الشَّامِ، وَيَكْفِي لِلْمِهْنَةِ شَرَفًا إِذَا كَانَ رَئِيسُ الْأُمَّةِ يَمْتَنِيهَا بِنَفْسِهِ وَقَدْ قَرَّرَ كَرَامَةَ الْعَمَالِ، وَشَجَّعَ عَلَى الْعَمَلِ، وَشَرَعَ نِظَامًا لِلْحِمَايَةِ حُقُوقِهِمْ فِي حَاضِرِهِمْ وَمُسْتَقْبَلِهِمْ؛ وَلِتَكْرِيمِهِ الْعَمَلَ أَزْرَى بِالْمُسْتَفْعِينَ انْتِفَاعًا غَيْرَ مَشْرُوعٍ؛ فَحَرَّمَ الْاِحْتِكَارَ، وَالرِّبَا، وَالسَّرِقَةَ، وَالْغَضَبَ، وَأَوْجَبَ الْكَسْبَ الْحَلَالَ حَتَّى اعْتَبَرَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْوَاجِبَاتِ، وَلَكِنَّهُ فِي دَعْوَتِهِ الصَّاحِبَةَ إِلَى الْعَمَلِ رَأَفَ بِحَالِ الْمَرْأَةِ فَجَعَلَ نَفَقَتَهَا عَلَى زَوْجِهَا أَوْ وَلِيِّهَا فَلَمْ يُكَلِّفْهَا مَشَقَّةَ حَمْلِ عَيْنَيْنِ؛ ثِقُلَ وَلَدِهَا فِي أَحْسَنِهَا وَعِبَاءُ مَعَاشِهَا عَلَى أَكْتَافِهَا، وَلَمْ يَتْرُكْهَا عَاطِلَةً بِلَا عَمَلٍ؛ وَإِنَّمَا قَسَمَ الْحَيَاةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا بِالْعَدْلِ؛ فَالْأُمُورُ الْخَارِجِيَّةُ لِلرَّجُلِ وَالسُّلْطَةُ فِي الْأُمُورِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلْمَرْأَةِ مِنْ تَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ، وَتَرْبِيَةِ الطُّفْلِ، وَجَعَلَ الْأُمُورَ الْهَالِيَّةَ مُشْرَكَةً بَيْنَهُمَا؛ فَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِهَا كَالْمَلِكَةِ الْمُتَوَجِّعَةِ، لَهَا كَرَامَتُهَا، وَعِزُّهَا؛ فَإِذَا كَانَ هُنَاكَ مِنْ هَوَانٍ فَرَجِعُ إِلَى سُوءِ التَّرْبِيَةِ، وَلَيْسَ هُوَ ذَنْبُ الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾^(١)؛ وَلَا هَتَمَ بِهِ شَرُّهُ فِي التَّحِيَّةِ، وَطَلَبَ إِفْشَاءَهُ، وَسَلَامُ الْإِسْلَامِ حَقِيقِيٌّ لَا السَّلَامُ الْمُزَيَّفُ سَلَامُ الْحَبَالِ، وَالسَّنَقِ، وَالْحَرْقِ، وَدَفْنِ النَّاسِ أَحْيَاءً، وَتَعْلِيْقِ الْفَتَيَاتِ عَارِيَاتٍ عَلَى أَعْمَدَةِ الْكَهْرَبَاءِ لِمُجَرَّدِ الْمُخَالَفَةِ فِي الرَّأْيِ، وَسَرِقَةِ أَمْوَالِ الشَّعْبِ وَالنَّهْبِ، وَالسَّلْبِ.

إِنَّ الْإِسْلَامَ يَدْعُو بِحَرَارَةٍ لِلْإِحْسَانِ إِلَى الْمُسِيءِ؛ فَقَالَ: (ادْرَأُوا السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ)^(٢)،

(١) البقرة: ٢٠٨.

(٢) الكافي، ٢/ ١٠٧/ ١/ ١، والوافي: ٤/ ٤٣٧.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدٌ آلُ كَيْمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

و(أَحْسِنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ)^(١)، وَقَالَ: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ)^(٢).
وَلَكِنَّهُ يَكْرَهُ الْإِسْتِسْلَامَ، فَأَمَرَ بِإِحْمَادِ الْفِتْنَةِ، وَالِدَسَائِسِ بِالْقُوَّةِ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾^(٣).

وَقَرَّرَ قَاعِدَةَ حُبِّ الْوَطَنِ؛ فَقَالَ: (حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ)^(٤)، كَمَا حَافَظَ عَلَى الصَّحَّةِ الْعَامَّةِ؛ فَقَالَ: (النَّظَافَةُ مِنَ الْإِيمَانِ)^(٥)، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى النَّظَافَةِ)^(٦)؛ نَظَافَةُ الْقَلْبِ مِنَ الْحِقْدِ، وَالسُّوءِ، وَنَظَافَةُ الْعَقْلِ مِنَ الْعَقِيدَةِ الْفَاسِدَةِ، وَالتَّفَكُّيرِ الْأَثِيمِ، وَنَظَافَةُ الْيَدِ مِنَ السَّرِقَةِ، وَالْبَطْشِ وَإِيْدَاءِ النَّاسِ، وَنَظَافَةُ الْجِسْمِ مِنَ الدَّرَنِ، وَنَظَافَةُ الثَّوْبِ مِنَ الْوَسَخِ، النَّظَافَةُ الْمُطْلَقَةُ الْعَامَّةُ دُونَ فَيْدٍ، أَوْ شَرْطٍ.

كَمَا أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِالتَّعَاوُنِ، وَهُوَ طَرِيقُ الْمَحَبَّةِ، وَالنَّجَاحِ وَمَظْهَرٌ صَادِقٌ مِنْ مَظَاهِرِ

(١) الوافي: ٤/ ٤٣٧ (باب دفع السيئة بالحسنة).

(٢) رواه صاحب الوسائل في الباب: ١٥٢ من أبواب أحكام العشرة في حديث عن الكليني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله هكذا: (... والمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه...)، ورواه بهذا النص السيوطي في الجامع الصغير: ٢/ ١٨٥، إِلَّا أَنَّهُ بِتَقْدِيمِ اللِّسَانِ عَلَى الْيَدِ، وَكَذَا مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: ١/ ٣٦، وَالبخاري في صحيحه: ١/ ٧، نَعَمْ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي سننه: ٢/ ٢٦٧ هكذا: (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده).

(٣) البقرة: ١٩٣.

(٤) سفينة البحار: ٨/ ٥٢٥، يُنْظَرُ مَنَاقِشَةُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي كِتَابِ (الصحيح من سيرة النبي الأعظم): ٤/ ١٥٣ وما بعدها.

(٥) نهج الفصاحة: ٢٣٦، وَقَدْ رَفَضَتِ اللِّجْنَةُ الدَّائِمَةُ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ صَحَّةَ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ. يُنْظَرُ: ٤/ ٣٦٧ من فتاوى اللجنة.

(٦) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (تَنْظَفُوا بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَنَى الْإِسْلَامَ عَلَى النَّظَافَةِ، وَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا كُلُّ نَظِيفٍ). كُنْزُ الْعَمَالِ: ٩/ ٢٧٧، وَهَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْغَزَالِيُّ أَبُو حَامِدٍ فِي إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ: ٦٠/ ٧٣، الْبَابُ الْخَامِسُ فِي آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ وَالْمُعَلِّمِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ: (بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ).

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتِ

الْإِتِّحَادِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(١).

واعتبر الحكم بيد الجماعة، وجعل الحاكم نائباً عنها، وأشرك المرأة في الحكم بما سنّه من قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فللمرأة حق كحق الرجل في معارضة الحاكم الزائع عن طريق العدل، ويكفي من عظمته النظام السوري، وتضييقه رفعة الملكية الفردية بما وضعه في طريقها من شروط التملك والتصرف والانتقال؛ فزاعى في حقوق الملكية حقوق الجماعة قبل مصلحة الفرد الذي لم ينل حق التملك إلا بإقرار من الشارع النائب عن الجماعة كإحياء الأرض الموات مثلاً.

ونظر إلى الإنسان نظرة احترام؛ فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾^(٢)، وحث على البر، والإحسان، والأخلاق الكريمة: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(٣)؛ فرفع بذلك مقام الإنسانية إلى أسمى درجات الكمال.

وكافح استغلال الإنسان لأخيه الإنسان؛ بتحريره الربا والتعامل به حتى مع الكفار بعكس اليهودية التي حرمتها على أبنائها فيما بينهم وأباح التعامل به مع غير اليهود، الأمر الذي يدل على أنانية طاغية، ونظرة قصيرة في الإصلاح.

أما الإسلام فنظرته للبشر عامة؛ ولذلك كانت دعوته الإصلاحية عامة ولا يشك عاقل في تشجيع الإسلام للقيم المادية؛ فإنه جمع في تشريعها تشجيع القيم الاقتصادية، والروحية معاً؛ فقال كما في وصية الإمام علي عليه السلام: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)^(٤)؛ وعلي معصوم وكلامه حجة؛ لقوله تعالى:

(١) المائدة: ٢.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) مجمع الزوائد: في حسن خلقه وحياته وحسن معاشرته، النبي ﷺ: ١٥/٩.

(٤) وفي الفقيه: ١٥٦/٣، وتحرير الأحكام: ٢٤٩/٢ يرويان عن الإمام الكاظم عليه السلام، الوسائل: =

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدٍ إِلَى كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وَمِنْ هُنَا صَحَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّأْيُ مِنْ صُنْعِ الْإِسْلَامِ، وَتَوَيَّدُهُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ:
﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ
إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ دَعْوَةٌ لِمُسَاعَدَةِ الْمُعْزِزِينَ، فَضْلًا
عَنْ تَشْرِيْعِهِ الزَّكَاةَ، وَالصَّدَقَاتِ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا
وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(٣) وَقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾^(٤)؛ بَلْ دَعَا إِلَى الْإِثَارِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٥) وَلَكِنَّهُ وَضَعَ الْمُسَاعَدَةَ فِي مَوْضِعِهَا، وَحَرَّمَ الْعَاطِلَ
الْقَادِرَ عَلَى الْعَمَلِ مِنْ تِلْكَ الْمُسَاعَدَةِ؛ فَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى *
وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى﴾^(٦)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾^(٧) وَقَالَ:
﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾^(٨).

وَهَذَا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ مِنَ التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْحَالِدَةِ، هِيَ الْجُدُورُ الْوَتْدِيَّةُ إِلَى نَبْتَةِ

= ٤٩ / ١٢، الباب ٢٨ من أبواب مقدمات التجارة، ح ٢، وفي مستدرک الوسائل: ١ / ١٤٦،

٥٨ / ١٣ عن الإمام الحسن عليه السلام.

(١) النحل: ٤٣.

(٢) القصص: ٧٧.

(٣) التوبة: ٦٠.

(٤) يونس: ٢٦.

(٥) الحشر: ٩.

(٦) النجم: ٣٩-٤٠.

(٧) الملك: ١٥.

(٨) التوبة: ١٠٥.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتِ

الْكَرَامَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ، وَالسَّعَادَةُ، وَالرِّقْيُ؛ فَلَوْ طُبِّقَتْ لِأَصْبَحَ مُجْتَمَعًا مِثَالِيًّا وَعَادَ لَنَا عِزُّنَا السَّلِيبُ^(١).

فَالْإِسْلَامُ بِمَا فِيهِ مِنْ تَسَامُحٍ وَتَيْسِيرٍ قَادِرٌ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ الْخُلُودِ؛ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَمثلةَ التَّيْسِيرِ فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَحْثِ؛ وَإِنِّي أَخَالِفُ أَبَا السُّعُودِ فِيْمَا أَوْرَدَهُ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلْكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ أَنْ عَلِيًّا عليه السلام، قَالَ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ؛ ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ)، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَقَالَ: أَفِي كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى أَعَادَ مَسْأَلَتَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (وَيْحَكَ وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ أَقُولَ نَعَمْ؟ وَاللَّهِ لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجِبَتْ، وَلَوْ وَجِبَتْ مَا اسْتَطَعْتُمْ)»^(٢)... إلخ.

فَهَذَا حَدِيثٌ يُكْذَبُ آخِرُهُ أَوَّلُهُ، فَعَدَمُ الْاسْتِطَاعَةِ هِيَ الَّتِي تُؤْمِنُ الرَّجُلَ مِنْ أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ ﷺ نَعَمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

كَمَا نَلَا حِظُّ أَنَّ الرِّوَايَةَ تَجْعَلُ التَّشْرِيعَ الْإِسْلَامِيَّ مِنْ صُنْعِ الرَّسُولِ، وَاخْتِيَارِهِ دُونَ التَّشْرِيعِ السَّمَاوِيِّ؛ وَالْحَقُّ إِنَّ الرَّسُولَ كَاسِمِهِ مُجَرَّدُ رَسُولٍ، وَمُبَلِّغٌ لِلرَّسَالَةِ عَنِ اللَّهِ كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظَتَا (رَسُولٍ) وَ(نَبِيٍّ)^(٣)؛ فَلَيْسَ بِوَسْعِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ، إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ وَحْيٍ يُوحَى وَهُوَ قَدْ بَلَغَ النَّاسَ أَنَّ الْحَجَّ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ؛ فَإِذَا قَالَ الرَّسُولُ: نَعَمْ؛ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ كَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَكَيْفَ بَلَغَهُمْ أَنَّهُ مَرَّةً؟! وَلَعَلَّ قَائِلًا يَقُولُ: وَلِمَاذَا لَا يُجَوِّزُ؟

(١) من المعلوم أن هذه المقدمة الطويلة من المصنّف رحمته الله هي بسبب ما نُشر في عصره من الأفكار الماركسيّة التي انقضت بفتوى آية الله العظمى السيّد محسن الحكيم رحمته الله: الشيوعية كفر وإلحاد. (أحمد الحلبي).

(٢) يُنظر: تفسير أبي السعود: ٣/ ٨٤. والآية من المائدة: ١٠١، والرجل يقال له: عكاشة بن محسن، وقيل: هو سراقه بن مالك.

(٣) انظر: أصول الكافي باب الفرق بين النبيّ والرّسول والمُحدّث، خبر ٤ من كتاب الحجّة، وللفرق بينهما أيضًا انظر ما أورده العسكري في الفروق اللّغويّة.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُكَ الْكَفَّالُ الدِّينُ الْحَسَنِيُّ

وَقَصِيَّةُ بَقَرَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ أَمَامَنَا؛ فَقَدْ كَلَّفَهُمُ اللَّهُ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾^(١)، فَلَوْ ذَبَحُوهَا لاجْتِرَئَ بِهَا وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾، وَلَوْ ذَبَحُوهَا لاجْتِرَئَ بِهَا؛ وَلَكِنَّهُمْ: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وَقَدْ صَحَّ فِيهِمْ: (شَدُّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)^(٢)، وَأَنْتَ إِذَا لَاحَظْتَ هَذِهِ الْحَادِثَةَ الَّتِي عَرَضَهَا عَلَيْكَ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ عَلِمْتَ بِالْحَالِ أَنَّ التَّشْدِيدَ لَمْ يَكُنْ مِنْ صُنْعِ مُوسَى، وَإِنَّ الْيَهُودَ أَنْفُسَهُمْ عَرَفُوا هَذَا؛ وَهَذَا يَقُولُونَ لِمُوسَى: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾، كَمَا أَنَّ مُوسَى لَمْ يَقُلْ: أَنَا أَقُولُ، أَوْ يَقُولُ لَهُمْ مَا يُؤْمِنُكُمْ أَنْ أَقُولُ؛ وَإِنَّمَا نَرَاهُ يُصْرِّحُ عَنْ إِرَادَةِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ: (إِنَّهُ يَقُولُ).

وَهَذِهِ الْقِصَّةُ مُخَالَفُ مَا رَوَاهُ أَبُو الشُّعُودِ الَّذِي أَنَاطَ التَّشْرِيعَ بِصَاحِبِ الرِّسَالَةِ (مُحَمَّدٍ ﷺ)، وَنَسَبَتْهُ إِلَيْهِ بَحِثٌ يَقُولُ: (مَا يُؤْمِنُكُمْ أَنْ أَقُولُ: نَعَمْ؟)^(٣).

إِشْكَالٌ عَلَى الْعَلَامَةِ الْحَلِيِّ

قَالَ الْعَلَامَةُ الْحَلِيُّ - أَعْلَى اللَّهِ مَقَامُهُ - فِي (قَوَاعِدِهِ) عِنْدَ بَحْثِ الطَّهَّارَةِ: بِأَنَّ الطَّهَّارَةَ، وَالْحَدَثَ «لَوْ تَيَقَّنَهَا وَشَكَّ فِي الْمُتَأَخَّرِ؛ فَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ حَالَهُ قَبْلَ زَمَانِهَا تَطَهَّرَ وَإِلَّا اسْتَصْحَبَهُ»^(٤).

(١) البقرة: ٦٧ إلى الآية ٧١.

(٢) يُنظر: عيون أخبار الرضا ﷺ، ١٦/٢، مستدرک الوسائل: ٢١٢/١٥، فتح الباري: ٢٢٠/١٣.

(٣) الرسول والأئمة ﷺ لهم مساحة واسعة من المولى ﷺ في مجال التشريع الإسلامي، دلت على ذلك روايات وردت عنه في مجال الفقه، ومن أراد الإفادة فليراجع آيات الاستنباط.

(٤) قواعد الأحكام: ١/٢٠٥، ومنتهى المطلب: ٥٨/٣.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

فَأُورِدَ عَلَيْهِ الْقَاضِي الْبَيْضَاوِيُّ، وَهُوَ أَحَدُ أَجَلَّةِ عُلَمَاءِ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ، وَكَانَ صَدِيقًا لِلْعَلَّامَةِ قَائِلًا: «إِنَّ الِاسْتِصْحَابَ حُجَّةٌ مَا لَمْ يَظْهَرْ دَلِيلٌ عَلَى رَفْعِهِ، وَمَعَهُ لَا يَبْقَى حُجَّةٌ؛ بَلْ يَصِيرُ خِلَافُهُ هُوَ الْحُجَّةُ؛ لِأَنَّ خِلَافَ الظَّاهِرِ إِذَا عَصَدَهُ دَلِيلٌ صَارَ هُوَ الْحُجَّةُ وَهُوَ ظَاهِرٌ، وَالْحَالَةُ السَّابِقَةُ عَلَى حَالَةِ الشَّكِّ؛ فَقَدْ انْتَقَضَتْ بِضِدِّهَا^(١) فَإِنْ كَانَ مُتَظَهِّرًا فَقَدْ ظَهَرَ أَنَّهُ أَحَدَثَ حَدَثًا يَنْقُضُ تِلْكَ الطَّهَارَةَ؛ ثُمَّ حَصَلَ الشَّكُّ فِي رَفْعِ هَذَا الْحَدِيثِ؛ فَيَعْمَلُ عَلَى بَقَاءِ الْحَدِيثِ بِأَصَالَةِ الِاسْتِصْحَابِ^(٢)، وَبَطْلَ الِاسْتِصْحَابِ الْأَوَّلِ^(٣)؛ وَإِنْ كَانَ مُحَدِّثًا فَقَدْ ظَهَرَ ارْتِفَاعُ حَدِيثِهِ بِالطَّهَارَةِ الْمُتَأَخَّرَةِ عَنْهُ، ثُمَّ حَصَلَ الشَّكُّ فِي نَاقِضِ هَذِهِ الطَّهَارَةِ، وَالْأَصْلُ فِيهَا الْبَقَاءُ^(٤)، وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى الْقَانُونِ الْكُلِّيِّ الْأَصُولِيِّ أَنْ يَبْقَى عَلَى ضِدِّ مَا تَقَدَّمَ»^(٥).

فَأَجَابَهُ الْعَلَّامَةُ الْحَلِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: «لَمْ أَسْتَدِلَّ بِالِاسْتِصْحَابِ؛ بَلْ أَسْتَدِلُّ بِقِيَاسِ مُرَكَّبٍ مِنْ مُنْفَصِلَةٍ مَانِعَةٍ الْخُلُوءِ^(٦) بِالْمَعْنَى الْأَعَمِّ عِنَادِيَّةٍ^(٧)، وَحَمْلَتَيْنِ^(٨).

(١) ذكر المؤلف في الأصل: (انتقض بضده)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) يعني استصحاب الحادث على الحالة السابقة المعلومة.

(٣) أي: الحدث من أجل تيقنه زوال ذلك الحدث إن كانت حالته السابقة المعلومة، الحدث والعكس بالعكس.

(٤) وذلك لتيقنها حيث حصل متيقن، وشكوك فيستصحب اليقين إذا كان قد علم الحالة السابقة، وإلا فيرجع إلى قاعدة أصالة العدم (المؤلف).

(٥) يُنظر: أعيان الشيعة: ٤٠١/٥.

(٦) مانعة الخلو، قسم من أقسام القضية المنطقية، وهي ما حكم فيها بتنافي طرفيها أو عدمه كذبًا، بمعنى عدم إمكان ارتفاعها معًا ويجتمعان في غير السلب، ومعنى ذلك أنه لا يخلو من أحدهما إمَّا الطهارة، أو الحدث.

(٧) عنادية: أي: عدم جواز اجتماعها، أعني الحدث والطهارة. (المؤلف).

(٨) والحمليتان، أي: أنا طاهر، أنا محدث، فقد حصل هذا التركيب الخبري من تكوين هاتين الجملتين، أعني القضيتين الحمليتين وبينهما تعاند وتضاد، وقد حُكِمَ على موضوعهما بحكمين =

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدِي أَلْكَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

وَتَقْرِيرُهُ: إِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي الْحَالَةِ السَّابِقَةِ مُتَطَهِّرًا؛ فَالْوَاقِعُ بَعْدَهَا؛ أَمَّا أَنْ تَكُونَ الطَّهَّارَةُ، وَهِيَ سَابِقَةٌ عَلَى الْحَدَثِ الرَّافِعِ لِلطَّهَّارَةِ الْأُولَى فَتَكُونُ الطَّهَّارَةُ الثَّانِيَةُ بَعْدَهُ، وَلَا يَخْلُو الْأَمْرُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ صَدَرَ مِنْهُ طَهَّارَةٌ وَاحِدَةٌ رَافِعَةٌ لِلْحَدَثِ فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ، وَحَدَثٌ وَاحِدٌ رَافِعٌ لِلطَّهَّارَةِ، وَامْتِنَاعُ الْخُلُوبَيْنِ أَنْ يَكُونَ السَّابِقَةُ الطَّهَّارَةُ الثَّانِيَةُ، أَوْ الْحَدَثُ ظَاهِرٌ، أَوْ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الطَّهَّارَةُ السَّابِقَةُ، وَإِلَّا كَانَتْ طَهَّارَةٌ عَقِيبَ طَهَّارَةٍ؛ فَلَا تَكُونُ طَهَّارَةٌ رَافِعَةٌ لِلْحَدَثِ، وَالتَّقْدِيرُ خِلَافُهُ فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ السَّابِقُ الْحَدَثُ؛ فَالطَّهَّارَةُ الثَّانِيَةُ مُتَأَخِّرَةٌ عَنْهُ؛ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ إِنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ إِلَّا طَهَّارَةٌ وَاحِدَةٌ رَافِعَةٌ لِلْحَدَثِ؛ فَإِذَا امْتَنَعَ تَقَدُّمُهَا عَلَى الْحَدَثِ وَجَبَ تَأْخُرُهَا عَنْهُ^(١)، وَإِنْ كَانَ فِي الْحَالَةِ السَّابِقَةِ مُحَدِّثًا فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ السَّابِقُ الْحَدَثُ، أَوْ الطَّهَّارَةُ، وَالْمُتَأَخِّرُ هُوَ الْحَدَثُ؛ فَيَكُونُ مُحَدِّثًا فَقَدْ ثَبَتَ بِهَذَا الْبُرْهَانِ أَنَّ حُكْمَهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مُوَافِقٌ فِي الْحَالَةِ الْأُولَى بِهَذَا الدَّلِيلِ، لَا بِالِاسْتِصْحَابِ، وَالْعَبْدُ^(٢) إِنَّمَا قَالَ: أَسْتَصْحِبُهُ؛ أَيُّ: عَمِلَ بِمِثْلِ حُكْمِهِ^(٣). انْتَهَى كَلَامُ الْعَلَامَةِ - أَعْلَى اللَّهِ مَقَامُهُ -.

وَالْحَقُّ مَعَ الْعَلَامَةِ، وَقَدْ اسْتَحْسَنَهُ الْبَيْضَاوِيُّ، وَأَثْنَى عَلَى الْعَلَامَةِ أَبْلَغَ الثَّنَاءِ^(٤).
وَإِنِّي أَرَى صَحَّةَ بُرْهَانِ الْعَلَامَةِ بِحَيْثُ لَا يَقْبَلُ الْجَدَلُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ كَانَ مُتَيَقِّنًا طَهَّارَتَهُ، وَحَدَّثَهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ حَالَتَهُ الْأُولَى الْحَدَثُ؛ فَتَيَقَّنَ بِالطَّهَّارَةِ الثَّانِيَةِ الْمُتَيَقِّنَةَ رَفَعَ الْحَدَثَ.

=متنافيين لا يمكن اتِّفَاقَهما. (المؤلف).

(١) الامتناع: ارتفاع النقيضين. (المؤلف).

(٢) هكذا كانت الألفة بين الشيعة والسنة قبل أن يفسدها المستعمر، فلاحظ كلمة (العبد) وما تحمله

من تواضع، وإن جاز تأويلها بأنه عبد الله، ومع ذلك ففيها حسن مجاملة ودليل محبة. (المؤلف).

(٣) منتهى المطلب: ٥٩/٣ وما بعدها

(٤) يُنظر: منتهى المطلب: ٥٩/٣.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَدِيثِ الثَّانِي فَهُوَ فِي حَالَةِ شَكِّ زَوَالِ الطَّهَارَةِ وَعَدَمِهَا، وَلَا عِبْرَةَ وَلَا اعتِدَادَ بِمِثْلِ هَذَا الشَّكِّ حَيْثُ لَا يُنْقَضُ يَقِينُهُ بِشَكِّهِ؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْقُضَ الْيَقِينَ بِالشَّكِّ أَبَدًا)^(١).

وَكَذَلِكَ فِيمَا لَوْ كَانَ الرَّجُلُ مُتَطَهِّرًا عَنْ يَقِينٍ، ثُمَّ تَيَقَّنَ طَهَارَةً وَحَدَّثًا، ثُمَّ حَصَلَ شَكُّهُ فِي الْمُتَقَدِّمِ مِنْهُمَا؛ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ بِنَقْضِ طَهَارَتِهِ السَّابِقَةِ وَصَارَ شَكُّهُ، هَلْ إِنَّهُ أَرَالَ الْحَدِيثَ الطَّارِئَ؟ أَمْ لَا؟ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ حَصَلَ لَهُ يَقِينٌ بِرَفْعِ الطَّهَارَةِ، وَشَكٌّ فِي الطَّهَارَةِ؛ فَعَلَيْهِ وَالْحَالَةُ هَذِهِ الْبِنَاءُ عَلَى حَالَتِهِ السَّابِقَةِ؛ إِذِ الْأَصْلُ فِي الْمُسْأَلَةِ عَدَمُ زَوَالِ الْحَدِيثِ الطَّارِئِ.

إِنِّي أَوْرَدْتُ هَذِهِ الْحَادِثَةَ كَنَمُودَجٍ لِإِقْتِبَاسِ الْعُلُومِ الْأَجْنَبِيَّةِ وَإِدْخَالِهَا فِي عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ، وَهِيَ دَلِيلٌ عَلَى مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ فِي مَوْضُوعٍ سَابِقٍ بِأَنَّ الْفِقْهَ الْإِسْلَامِيَّ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِالثَّقَافَةِ الرُّومَانِيَّةِ، أَوْ غَيْرِهَا؛ وَإِنَّمَا هِيَ بَرَاهِينٌ عَقْلِيَّةٌ دَخَلَتْ عَلَى أَصُولِ الْفِقْهِ وَلَيْسَ عَلَى الْفِقْهِ لَا تَزِيدُ فِي التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ وَلَا تَنْقُصُهُ؛ وَلَكِنَّهَا أَدَلَّةٌ عَلَى صَحَّةِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ أَوْ فُسَادِهِ بِمَا لَا تُخْرِجُهُ عَنْ دَائِرَةِ الْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ؛ فَالْمَنْطِقُ مَثَلًا، وَقَدْ تَرَجَّهْهُ فِي عَصْرِ الْمَأْمُونِ، وَهُوَ قَوَاعِدُ وَأَصُولٌ تُوزَنُ بِهَا صَحَّةُ الْقَضَايَا وَفُسَادُهَا وَلَيْسَ لِلْمَنْطِقِ دَخْلٌ فِي نَفْسِ الْقَضِيَّةِ وَجَوْهَرِهَا؛ فَقَوْلُنَا: مِنَ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ: الْهَاءُ ضَرْوَرِيٌّ، وَكُلُّ ضَرْوَرِيٍّ نَافِعٌ، فَيَسْتَجِبُ: الْهَاءُ نَافِعٌ، فَهَلْ كَانَ نَفْعُ الْهَاءِ مُتَوَقِّفًا عَلَى مَعْرِفَةِ هَذَا النَّوعِ مِنَ الِاسْتِدْلَالِ؟ أَوْ نَقُولُ إِنَّ نَفْعَ الْهَاءِ تَأَثَّرَ بِالْمَنْطِقِ، بِحَيْثُ لَمْ يَكُنِ الْهَاءُ نَافِعًا لَوْ لَمْ نَعْرِفْ إِقَامَةَ هَذَا الْبُرْهَانِ عَلَى نَفْعِهِ، وَكَذَلِكَ الْمَسْأَلَةُ الْفَقْهِيَّةُ الصَّحِيحَةُ قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا لَا تُؤَثِّرُ فِيهَا أَمْثَالُ هَذِهِ الثَّقَافَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ.

(١) تهذيب الأحكام: ١/٤٢١/١٣٣٥، الاستبصار: ١/١٨٣/٦٤١، الوسائل: ٢/١٠٥٣،

أبواب النجاسات، ب(٣٧)، ح(١).

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدِي إِلَى كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

الْخِلَافُ بَيْنَنَا، وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ

صَحَّ مَا وَرَدَ عَنْ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ عليه السلام قَوْلُهُ: (سَتَفَرِّقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ، وَالباقون في النار)^(١).

وَمِنْ هُنَا نَفْهَمُ بِطَرِيقِ الْمُلَازِمَةِ كَثْرَةَ تَشَعُّبِ الْأَرَاءِ وَتَبَايُهِهَا ضَرُورَةً احْتِفَاطٍ كُلِّ فِرْقَةٍ بِمُمَيِّزَاتِهَا، وَإِلَّا لَمَّا صَحَّ التَّعَدُّدُ وَالانْقِسَامُ، وَكَذَلِكَ نَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْفِرَقَ الْمُتَعَدِّدَةَ تَقِفُ فِي سِيرِهَا الْاِعْتِقَادِيِّ عِنْدَ خَمْسِ شُعَبٍ مِنْ طَرِيقِ الْإِسْلَامِ تُسَمَّى هَذِهِ الشُّعَبُ بِالْمَذَاهِبِ، وَهِيَ: (الْمَذَهَبُ الْجَعْفَرِيُّ، وَالْحَنَفِيُّ، وَالْمَالِكِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ، وَالْحَنَبَلِيُّ)، وَلِإِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ (٥٨) فِرْقَةً مِنْ أَصْلِ (٧٣) فِرْقَةً كَ: الْقَادِرِيَّةِ، وَالزَيْدِيَّةِ؛ وَهِيَ حَنَفِيَّةُ الْمَذَهَبِ، وَكَالْتَقَشَبَنْدِيَّةِ، وَالرَّفَاعِيَّةِ، وَالْمُعْتَزَلَةِ، وَلِلْجَعْفَرِيَّةِ (١٥) فِرْقَةً كَالْاِثْنَيْ عَشْرِيَّةِ، وَالْأَخْبَارِيَّةِ^(٢)، وَالْكَشْفِيَّةِ، وَالْكَيْسَانِيَّةِ، وَنَحْنُ لَا نَشْكُ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْفِرَقِ قَدْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ الصَّحِيحَ، وَلَمْ نَعْرِفْ بِإِسْلَامِهِ كَ: الْبَابِيَّةِ، وَالْعَلِيَّ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْكَشْفِيَّةِ الْمُغَالِينِ.

وَالْاِخْتِلَافُ بَيْنَ الْإِمَامِيَّةِ، وَبَيْنَ إِخْوَانِهِمْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَقْلٌ بِكَثِيرٍ مِنَ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ الْإِمَامِيَّةِ وَبَعْضُ مَنْ يَتَسَمَّى بِالشُّيْعَةِ جُزْأً كَ: الْبَابِيَّةِ وَالْعَلِيَّ الْإِلَهِيَّةِ مَثَلًا؛ بَلْ وَأَقْلُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنْفُسِهِمْ؛ وَلَعَلَّ مَسَائِلَ الْخِلَافِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ السُّنِّيِّينَ لَا تَتَجَاوَزُ ثَلَاثًا مَسْأَلَةً فَقْهِيَّةً جَمَعَهَا الْعَلَامَةُ الْحَلِّيُّ، وَأَفْرَدَ لَهَا كِتَابًا أَسْمَاهُ (الْاِئْتِصَارُ)^(٣) أَيْدَ فِيهِ بِحُكْمِ تَشْيِيعِهِ وَجْهَةً نَظَرَ الشُّيْعَةَ، فِيهَا أَقَامَهُ مِنْ بَرَاهِينٍ وَحُجُجٍ،

(١) يُنْظَرُ: الْكَافِي: ٢٢٤/٨، الْخِصَالُ: ٥٨٥، الْمَوَاقِفَاتُ: ٧٦/٤. وَقَدْ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ (إِلَى ثَلَاثِ).

وَالْتَصَوِّبُ مِنَ الْمَصَادِرِ.

(٢) الصَّوَابُ أَنَّ الْأَخْبَارِيَّةَ مَدْرَسَةً فِكْرِيَّةً اِثْنَا عَشْرِيَّةً، وَلَيْسَتْ فِرْقَةً فِي قِبَالِ الْاِثْنَيْ عَشْرِيَّةِ.

(٣) لَا يَوْجَدُ كِتَابٌ لِلْعَلَامَةِ الْحَلِّيِّ بِهَذَا الْعِنَانِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلْسَّيِّدِ الْمُرْتَضَى عِلْمِ الْهُدَى (ت ٤٣٦هـ)، وَمَسَائِلُهُ تَنْفِي عَلَى الثَّلَاثَاثَةِ، يَبْدَأُ فِيهِ بِكِتَابِ الطَّهَارَةِ، وَيَنْتَهِي بِمَسْأَلَةِ فِي الْوَصِيَّةِ، وَالكِتَابُ فِي=

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

وَهَذِهِ الْخِلَافَاتُ أَهْدَأُ مِنَ الْخِلَافَاتِ بَيْنَ الْحَنْفِيِّ وَالْحَنْبَلِيِّ، وَالْحَنْفِيِّ وَالشَّافِعِيِّ مَثَلًا.

الْأَحْكَامُ الْفُرْعِيَّةُ

تَنْقَسِمُ الْأَحْكَامُ الْفُرْعِيَّةُ إِلَى: عِبَادَاتٍ، وَالْأَصْلُ فِيهَا الصَّحَّةُ. وَإِلَى: مُعَامَلَاتٍ، وَالْأَصْلُ فِيهَا الْفَسَادُ حَتَّى يَرِدَ فِيهَا مَا يُصَحِّحُهَا. وَتَنْقَسِمُ الْمُعَامَلَاتُ إِلَى: (إِيقَاعَاتٍ، وَعُقُودٍ، وَأَحْكَامٍ)؛ فَلَا أَحْكَامَ كَ: اللَّقِطَةِ وَالْقَضَاءِ، وَالشَّهَادَاتِ، وَالْحُدُودِ، وَالصَّيْدِ وَالذَّبَاحَةِ، وَالْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ، وَالْمِيرَاثِ. وَأَمَّا الْإِيقَاعَاتُ فَكَ: الْإِفْرَارِ، وَالطَّلَاقِ، وَالْعِنَقِ وَالنَّدُورِ، وَأَمَّا الْعُقُودُ فَنَحْوُ: عَقْدِ الْبَيْعِ وَالْهَبَةِ وَالزَّوْاجِ، وَيَقَعُ فِي جُزْئِيَّاتِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ خِلَافٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ؛ وَمِنْ أَمْثِلَةِ هَذَا الْخِلَافِ حُرْمَةُ أَكْلِ الثَّلْعَبِ وَالضَّبِّ، وَالْجِرِّيِّ، وَكُلِّ سِبَاعِ الطَّيْرِ، وَكُلِّ مَا لَيْسَ لَهُ فِلْسٌ مِنَ السَّمَكِ وَحُرْمَةُ شُرْبِ النَّيِّدِ، وَعَدَمُ طَهَارَةِ جِلْدِ الْمَيِّتِ حَتَّى بَعْدَ دَبْغِهِ، وَكَقَوْلِنَا بِصَحَّةِ مِيرَاثِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾^(١) وَالَّذِي يَدَّعِي أَنَّ هَذَا الْمِيرَاثَ فِي خُصُوصِ الْعِلْمِ عَلَيْهِ تَحْمُلُ عِبَاءُ الْإِثْبَاتِ الَّذِي يَقْتَضِي بِهِ الْخُصْمُ؛ لِيَصَحَّ أَنْ يَكُونَ حُجَّةً وَإِلَّا فَهُوَ مُجَرَّدُ دَعْوَى أَوْ مُصَادَرَةٍ عَلَى الْمَطْلُوبِ؛ فَالشَّيْعَةُ بَنَتْ رَأْيَهَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَلَى النَّصِّ، وَقَدْ جَاءَ عَامًّا؛ وَإِطْلَاقُ الْعَامِّ يَشْمَلُ كَافَّةَ مُصَادِقِهِ حَتَّى يَصْدِمَهُ دَلِيلُ التَّخْصِصِ كَمَا أَنَّ الْمِيرَاثَ؛ الْأَصْلُ فِيهِ الْحَقِيقَةُ، وَاسْتِعْمَالُهُ مَجَازًا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَرِينَةٍ ثَابِتَةٍ صَارِفَةٍ عَنْ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يَتْبَادَرُ إِلَى الذَّهْنِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَدِيثَ (لَا نُورَثُ) مُحَلٌّ تُهْمَةً هُوَ تَمَسُّكُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ بِبَيْتِهَا، وَلَمْ تَتْرُكْهُ صَدَقَةً، وَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ؛ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُدْفَنَ بِجَوَارِ أَبِي بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ كَمَا رَوَاهَا أَهْلُ السِّيَرِ، وَيَكْفِي أَنْ يَكُونَ مِنْ رَوَاتِهَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ؛ فَقَدْ ذَكَرَ فِي

= (٥٩٧) صحيفة، وما ذكر هو من سبق القلم، فلاحظ.

(١) النمل: ١٦.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُكَ الْكَفَمَالُ الدِّينُ الْحُسَيْنِيُّ

مَنْهَاجِهِ فِي وَصِيَّةِ عُمَرَ لابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ مَا يَلِي: (انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ السَّلَامَ، وَلَا تَقُلْ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ) ^(١).

فَهَلْ يَسْتَأْذِنُ غَيْرُ مَالِكٍ؟! وَإِنْ كَانَتْ لَا تَمْلِكُ الْغُرْفَةَ فَآيْنَ حَدِيثُ (لَا نُورُثُ)؟ أَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْمِيرَاثِ الْعِلْمُ؛ فَالْعِلْمُ لَا يَأْتِي بِطَرِيقَةِ الْوَرَاثَةِ، وَلَيْسَ كُلُّ عَالِمٍ يَكُونُ ابْنُهُ عَالِمًا، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ مَسَائِلِ الْخِلَافِ ^(٢).

وَمِنْ مَسَائِلِهِ أَيْضًا نَجَاسَةُ الْكِتَابِيِّينَ، وَكُلُّ كَافِرٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ^(٣)، وَأَمَّا الِاسْتِدْلَالُ بِآيَةِ: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ ^(٤)؛ فَالْمُرَادُ بِالطَّعَامِ الْخُبُوبُ، وَمَا شَابَهَهَا؛ لِأَنَّ مِنْ طَعَامِهِمْ لَحْمَ الْخَنَزِيرِ، وَالْمَيْتَةِ، وَلَفْظُ الطَّعَامِ عَامٌّ فَهُوَ أَحَدُ مَصَادِيقِهِ ^(٥)!!

(١) منهاج السنة: ٣/ ١٣٣، ويُنظر: صحيح البخاري: ٤/ ٢٠٥.

(٢) فقد جعل عمر مكان قبر النبي ﷺ وما حوله ملكًا لعائشة، مع أنه ملك للنبي ﷺ، ورثته فاطمة رضي الله عنها، ولو ورثت منه عائشة فحفصة مثلها! ولو كان للمسلمين وجعل أبو بكر عائشة ولية عليه فعزها بيد عمر، فكيف حصر التصرف بالمكان بها، وقال: (فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردّنتي ردوني)؟!.

أما أهل البيت رضي الله عنهم فردّوا قول عمر وعائشة، قال الإمام الباقر عليه السلام كما في الكافي: ١/ ٣٠٠: (لَمَّا حَضَرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْوَفَاةَ قَالَ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَخِي إِنِّي أَوْصِيكَ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظْهَا، إِذَا أَنَا مِتُّ فَهَيِّئْ لِي رِسُولَ اللَّهِ ﷺ لِأَحْدِثَ بِهِ عَهْدًا، ثُمَّ اصْرَفْنِي إِلَى أُمِّي ﷺ، ثُمَّ رَدَّنِي فَادْفَنْنِي بِالْبَقِيعِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيَصِيبُنِي مِنْ عَائِشَةَ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ وَالنَّاسُ صَنِيعَهَا وَعِدَاتُهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَعِدَاتُهَا لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ).

(٣) التوبة: ٢٨.

(٤) المائدة: ٥.

(٥) يُنظر: مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام للسَّيِّدِ السَّبْزَوَارِيِّ: ١/ ٣٦٢، في توجيه هذه الآية، وفيه: «أنّه لا ريب في إطلاق الطعام على كلّ ما يُطعم، وإطلاقه لإخراج ذبائحهم التي لا يُذكر عليها اسم الله تعالى وسائر أطعمتهم الرطبة، للنجاسة العرضيّة من جهة عدم =

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

وَلِقَائِلٍ أَنْ يُجِيبَ بِأَنْ اسْتِعْمَالَ الْعَامِّ فِي أَفْرَادِهِ غَيْرُ مَوْضِعٍ يَفَاشٍ وَلَا يَخْرُجُ بَعْضُهُ إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَالِدَّلِيلُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حُرْمَةِ لَحْمِ الْخَنَزِيرِ؛ وَلَمَّا كَانَتْ الْحَلِيَّةُ حَسَبَ الْآيَةِ مُتَبَادِلَةً بَيْنَ الْجَانَيْنِ ظَهَرَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالطَّعَامِ غَيْرُ هَذَا كَمَا أَنَّهُمْ لَا يَسْتَحِلُّونَ ذَيْبَحَتَنَا فَلَمْ يَكُنْ طَعَامُهُمْ كَالْخَنَزِيرِ وَالْمَيْتَةِ حَلًّا لَنَا، وَلَمْ يَكُنْ طَعَامُنَا كَذَيْبَحَتِنَا حَلًّا لَهُمْ سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ، وَعَصْدَهُ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ مِنْ اشْتِرَاطِ التَّذْكِيَّةِ^(١)؛ فَلَا تُجُوزُ ذَيْبَحَةُ إِلَّا إِذَا ذَكَاهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَلَا يَصَحُّ الْمَشْرُوطُ إِلَّا بِحُصُولِ شَرْطِهِ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِالنَّسْخِ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ الْخِلَافِ تَجْوِيزُهُمْ لِلصَّلَاةِ خَلْفَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ^(٢)، وَنَحْنُ نَشْتَرِطُ الْعَدَالََةَ لِنَهِيهِ تَعَالَى عَنِ الرُّكُونِ إِلَى الظُّلْمَةِ^(٣)، وَغَيْرِ الْعَادِلِ ظَالِمٌ؛ لِامْتِنَاعِ ارْتِفَاعِ النَّقِیْضَيْنِ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ الْخِلَافِ عَدَمُ قَوْلِنَا بِالتَّعْصِيبِ^(٤)، وَنَقُولُ بِرَدِّ الْفَاضِلِ عَلَى أَصْحَابِ

=اجتنابهم عن شرب الخمر وأكل لحم الخنزير وذبائحهم التي من الميتة فلا وجه بها للنجاسة الذاتية بالأخبار الواردة في تفسير الآية وما يأتي في صحيح ابن جابر ظاهر فيما قلناه. وبجملة من الأخبار: منها: «صحيح إسماعيل بن جابر قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في طعام أهل الكتاب؟ فقال: (لا تأكله)، ثم سكت هنيئة، ثم قال: (لا تأكله)، ثم سكت هنيئة، ثم قال: (لا تأكله ولا تتركه تقول: إنه حرام ولكن تتركه تتنزه عنه، إن في أنيتهم الخمر ولحم الخنزير)»، وأشكل عليه: أولاً: بأنه يمكن أن يكون المراد بالطعام الحبوب، فيكون مخالفاً لظاهر الآية، فلا بد من تأويله. وفيه: أنه خلاف الإطلاق...».

(١) إشارة إلى الآية الكريمة التي مرّت سابقاً، وهي: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾.
(٢) لرواياتهم عنه عليه السلام: (إن الصلاة جائزة خلف البرِّ والفاجر). ينظر: سنن أبي داود: ١/ ١٦٢، ح ٥٩٤، نيل الأوطار للشوكاني: ٣/ ٢١٤.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ هود: ١١٣.

(٤) الانتصار: ٥٥٣.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدٌ آلُ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

الْفُرُوضِ بِالْقَرَابَةِ؛ وَالِدَلِيلِ الْعَقْلِيِّ يُسَاعِدُ عَلَى الْقَوْلِ بِالتَّعْصِيبِ غَيْرَ أَنَّ وُجُودَ النَّصِّ يَمْنَعُنَا مِنَ الْقَوْلِ بِهِ^(١).

وَمِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَخْتَلِفُ فِيهَا الْفُقَهَاءُ الْجَعْفَرِيُّ عَنِ الْفُقَهَاءِ السُّنِّيِّ مَسْأَلَةُ نِكَاحِ الْمُتَعَةِ؛ فَقَدْ زَعَمُوا؛ وَمِنْهُمْ الْأُسْتَاذُ أَحْمَدُ أَمِينُ الْمِصْرِيِّ إِنَّهَا لَيْسَتْ نِكَاحًا؛ لِارْتِفَاعِهَا بِغَيْرِ طَلَاقٍ^(٢)، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا التَّغْلِيلَ عَلِيلٌ؛ إِذْ يَلْزَمُهُ أَوَّلًا إِثْبَاتُ أَنَّ كُلَّ نِكَاحٍ صَحِيحٌ يَرْتَفِعُ بِالطَّلَاقِ، وَإِلَّا فَدَعَاؤُهُ سَالِبَةٌ بِانْتِفَاءِ الْمَوْضُوعِ؛ وَالْغَرِيبُ ذَلِكَ مِنْ أَحْمَدَ أَمِينٍ؛ فَالنِّكَاحُ كَمَا يَرْتَفِعُ بِالطَّلَاقِ يَرْتَفِعُ بِغَيْرِهِ كَالْفَسْخِ مَثَلًا، وَيَزَعُمُ هَذَا الرَّجُلُ أَنَّ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي حَمَلَتْ الشَّيْئَةَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْمُتَعَةِ نَهْيُ عُمَرُ عَنْهَا، وَفِي هَذَا وَحْدَهُ مَا يَكْفِينَا مَوْثِقَةُ الرَّدِّ؛ فَاعْتَرَفَهُ صَرِيحٌ أَنَّ النَّهْيَ صَادِرٌ مِنْ عُمَرَ، وَلَيْسَ لِعُمَرَ صِلَاحِيَّةٌ تَشْرِيعُ الْأَحْكَامِ، أَوْ مُعَارَضَةٌ لِلتَّشْرِيعِ، وَهَذَا مَا أَدْرَكُهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ حَيْثُ أَفْتَى بِإِبَاحَةِ الْمُتَعَةِ؛ فَلَمَّا عُوْتُبَ بِأَنَّ أَبَاهُ هُوَ الَّذِي نَهَى عَنْهَا كَانَ جَوَابُهُ مُفْجِعًا: (قَبِلْنَا رَوَايَتَهُ، وَخَالَفْنَا رَأْيَهُ)^(٣)، إِشَارَةً لِقَوْلِ عُمَرَ: (مُتَعَتَانِ مُحَلَّلَتَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ،

(١) قال المرتضى في الناصريّات: ٤١٥: «لا حجة لكم فيما ذهبتم إليه من التعصيب، وقولكم بالتعصيب خارج عن الكتاب والسنة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ فلم يجعل للرجال من الميراث شيئاً دون النساء، ومن ذهب إلى توريث العصبه خالف هذا الظاهر وعم الأخ وابن الأخ». ويُنظر: الانتصار: ٥٥٣.

(٢) يقول في ضحى الإسلام: ٣/ ٢٥٦ الطبعة الثالثة: «الدليل على أن المتعة ليست بنكاح إنها ترتفع بغير طلاق ونقول: ليس بأيدينا من أدلة الشرع ما يفيد أن كل نكاح لا يرتفع إلا بالطلاق، بل بأيدينا ما يفيد عدمه كالفسخ وغيره».

(٣) روي «أن رجلاً من أهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء، فقال: هي حلال. فقال: إن أباك قد نهى عنها، فقال ابن عمر: أرايت إن كان أبي قد نهى عنها وقد سنّها رسول الله ﷺ أترك السنة وتتبع قول أبي؟». يُنظر: الجمع بين الصحيحين: ٢/ ٣٤١، عن مسلم: ٢/ ٨٨٥، وعن ابن عباس في البخاري: ٢/ ٢٧٢ و ٣/ ٥٢٢ و ٥٣٤، ومسلم: ٢/ ٩١١، وانظر البخاري: ٩/ ١٦٧، =

فَتْهَاءُ الْفِيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِتِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

وَأَنَا مُحَرِّمُهَا^(١).

وَقَدْ أَبَاحَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْمُحْكَمِ؛ فَقَالَ عَزَّ مَنْ قَائِلٍ: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾^(٢) وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾^(٣) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٤)، وَهَذَا وَقَدْ أَكَيْدَتْهُ حَتَّى صَحَّاحُ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ أَنْفُسِهِمْ؛ فِيهِ الْجُزْءُ الثَّلَاثُ الصَّحِيفَةُ (٨٤) مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى بِالمَطْبَعَةِ الْمَلِكِيَّةِ بِمِصْرَ، وَكَذَلِكَ الصَّحِيفَةُ (٧١، س ٢) مِنْهُ تَصْرِيحٌ لَا غُبَارَ عَلَيْهِ بِأَنَّهَا مُبَاحَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَنْزِلْ قُرْآنٌ يُحَرِّمُهَا؛ ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ حَلَّتِيهَا إِلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَصَدَرَ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ؛ ثُمَّ اِزْتَأَى عُمَرُ تَحْرِيمَهَا، وَكُلُّ مَا يُقَالُ عَنْ شُبْهَةِ النِّسْخِ يُخَالِفُ صَرِيحَ مَا وَرَدَ فِي صَحَّاحِ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ، وَيَرُدُّهُ عَمَلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا، وَالْقَوْلُ بِإِبَاحَتِهَا، وَقَوْلُ ابْنِ عُمَرَ، وَغَيْرِهِ بِذَلِكَ؛ فَلَوْ كَانَتْ مَنْسُوخَةً لَمَا اسْتَمَرَّ الْعَمَلُ بِهَا إِلَى عَهْدِ عُمَرَ، وَلَمَا قَالَ بِمَشْرُوعِيَّتِهَا عَلِيٌّ ؓ؛ وَهُوَ بَابُ مَدِينَةِ الْعِلْمِ، وَأَقْضَى الصَّحَابَةِ، وَاتَّقَاهَا كَمَا فَصَّلْنَاهُ فِي كِتَابِنَا (مَنْهَلُ الْقَضَاءِ الشَّرْعِيِّ وَفَقَّ الْمَذْهَبِ الْجَعْفَرِيِّ).

=ومسلم: ١٠٢٢/٢، ومسند سبرة بن معبد الجهني في الجمع بين الصحيحين: ٥٠٧-٥٠٥/٣،

عن مسلم: ١٠٢٦-١٠٢٣، و٤/٢٠٤٠، ومواضع أخرى كثيرة.

(١) روي عن عمر أنه قال: (متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهي عنهما وأعاقب

عليهما). إن نهي عمر عن المتعتين أصبح من المتواتر بين الفريقين في كتبهم، منها: السنن الكبرى:

٢٠٦/٧، مسند أحمد: ٥٢/١، كنز العمال: ٥١٩/١٦، شرح نهج البلاغة: ٢٥٢/١٢، التبيان:

١٦٦/٣، الشافي: ١٩٥/٤، تلخيص الشافي: ٢٩/٤ و٣/١٥٣.

(٢) النساء: ٢٤.

(٣) يُنظر: نيل الأوطار: ٢٧٥/٦، وشرح النووي على صحيح مسلم: ١١٨/٦، وهي قراءة ابن

مسعود، ويُنظر: مجمع البيان: ٣٢/٣.

(٤) المائدة: ٨٧.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدِي أَلِ كَيْسَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

كَمَا أَنَّ مِنْ مَسَائِلِ الْخِلَافِ تَقْدِيمَنَا ابْنَ الْعَمِّ الشَّقِيقَ عَلَى الْعَمِّ الْأَبِ فِي الْمِيرَاثِ، وَقَدْ أَمَعَنَ فِي الشَّطْطِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ يَوْمِي إِلَى تَقْدِيمِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى عَمِّهِ الْعَبَّاسِ فِي مِيرَاثِهِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ مُتَّفَقٌ، أَمَّا عِنْدَنَا فَلَا بَنَتَهُ فَاطِمَةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَوْجَاتِهِ تَمَامُ الْمِيرَاثِ، وَأَمَّا عِنْدَ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ؛ فَلَعَدَمَ قَوْلِهِمْ بِتَوْرِيثِ الْأَنْبِيَاءِ^(١).

وَمِنْ الْخِلَافِ أَنْ نَقُولَ بِالْإِمَامَةِ، وَإِنَّهَا مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، وَنَقُولَ بِعِصْمَةِ الْأَئِمَّةِ الْاِثْنِي عَشَرَ كِعِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِلِاشْتِرَاكِ بِالسَّبَبِيَّةِ وَوَحْدَةِ الْبَاعِثِ، وَإِخْوَانِنَا يَقُولُونَ بِعِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ فَحَسْبُ، وَقَدْ يَنْفَوْنَهَا فَيَجُوزُونَ عَلَيْهِمُ الْمُعْصِيَةَ وَالْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ، وَنَقُولُ بِالْإِمَامَةِ وَنَشْتَرِطُ النَّصَّ الصَّرِيحَ، وَيُخَالِفُنَا أَبُو حَنِيفَةَ فَجَعَلَ انْعِقَادَهَا بِأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ^(٢): بَيْعَةُ أَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ، أَوْ اسْتِخْلَافُ الْخَلِيفَةِ، أَوْ ظُهُورُ الْفَاطِمِيِّ بِالسَّيْفِ، وَقَدْ اعْتَبَرَ عُمَرُ الْخِلَافَةَ مِنَ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ؛ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ لِأَبِي بَكْرٍ بِشَأْنِ الْخِلَافَةِ: (إِتَمَنَّاكَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى دِينِنَا، أَفَلَا تَأْتِمُنْكَ عَلَى دُنْيَانَا؟)^(٣).

وَالْحَقُّ إِنَّ الْخِلَافَةَ مِنْ أَهَمِّ أُمُورِ الدِّينِ لَا الدُّنْيَا، وَهُوَ فَرْقٌ جَوْهَرِيٌّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ؛ وَلِذَلِكَ فَشَلَّ بَعْضُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ حِينَ ذَهَبَ إِلَى الْأَزْهَرِ فِي مُعَاجَلَةِ هَذَا الْمَوْضُوعِ فِي مِصْرَ زَاعِمًا: «إِمْكَانَ قِيَامِ الْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَسَاسِ إِزَالَةِ الْفَوَارِقِ بَيْنَ الطَّوَائِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَصُولِ الدِّينِيَّةِ عَلَى الْأَقْلَ، وَتَقْرِيبِ شِقَّةِ الْخِلَافِ بَيْنَ هَذِهِ الطَّوَائِفِ حَتَّى تَنْحَصِرَ فِي الْفُرُوعِ وَحْدَهَا... إلخ»^(٤).

(١) للحديث الموضوع: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث).

(٢) يُنظر: مغني المحتاج، الشربيني: ١٣١/٤ - ١٣٢.

(٣) يُنظر: قرّة العينين في تفضيل الشيخين، النوع الخامس عشر من فضائل أبي بكر. وقد رواه المؤلف بالمضمون.

(٤) الشخص هو عبد المتعال الصعدي، وقد نشر هذا المقال في مجلة الرسالة، العدد (١٧٩) لسنة

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

هَذِهِ فِقْرَاتٌ مِنْ مُحَاضَرَتِهِ فَتَدَهَا شَابٌّ لَيْسَ مِنْ فَطَاحِلِ الْعُلَمَاءِ فِي مِصْرَ وَمَا ادَّعَى زُورًا أَنَّهُ رَئِيسُ الْمَجْلِسِ الدِّينِيِّ الْأَعْلَى، وَلَا ادَّعَى أَنَّ فِي رَأْسِهِ عِلْمَ ابْنِ سِينَا وَلَا ادَّعَى أَنَّ فِي صَدْرِهِ فَلَسَفَةَ أَفْلَاطُونٍ إِنَّمَا هُوَ أَسْتَاذٌ مُتَوَسِّطُ التَّحْصِيلِ الْعِلْمِيِّ مِنْ شَبَابِ مِصْرَ، وَهُوَ الْأُسْتَاذُ عَبْدُ الْمُتَعَالِ الصَّعِيدِي؛ فَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ فَأَفْحَمَهُ وَقَدْ قَرَأْنَا رَدَّ الصَّعِيدِيِّ عَلَى هَذَا الطَّالِبِ الَّذِي زَعَمَ فِي مِصْرَ إِنَّهُ رَئِيسُ مَجْلِسِ الشَّيْعَةِ الْأَعْلَى^(١)، فِي حِينَ لَمْ يَكُنْ لِلشَّيْعَةِ مَجْلِسٌ كَهَذَا لَا أَعْلَى وَلَا أَسْفَلَ، وَهَذَا الرَّجُلُ لَمْ يُقْلِدْهُ أَحَدٌ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ بِالْفِتْيَا أَحَدٌ؛ وَإِنَّمَا لِمَصْلَحَتِهِ بِالْحُكُومَةِ كَانَ يَقْضِي أَشْغَالَ النَّاسِ فَيَصِلِي خَلْفَهُ مَنْ يُرِيدُ قَضَاءَ حَاجَتِهِ عَلَيْهِ؛ فَإِذَا انْتَهَتْ الْحَاجَةُ تَرَكَ الْاِئْتِمَامَ بِهِ، وَهَذَا بِإِمْكَانِ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْهُ بِنَفْسِهِ فَيَسْأَلُ أَهْلَ النَّجَفِ كَافَّةً فِي مَقَامِهِ الْعِلْمِيِّ، وَعَنْ لَقْبِهِ الْمُتَمَازِ، وَعَنْ وَرَعِهِ وَفَضْلِهِ.

وَرَدَّ الصَّعِيدِيُّ مَنُشُورًا فِي مَجَلَّةِ الرِّسَالَةِ الْمِصْرِيَّةِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الرَّدِّ قَوْلُهُ: «فَإِنِّي أَرَى أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ شَائِكٌ لَا يُوصِلُنَا إِلَى الْغَايَةِ الْمَطْلُوبَةِ مِنْ هَذِهِ الْوَحْدَةِ غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ، وَيَقُومُ فِيهِ بِنَاؤُهَا مَعَ قِيَامِ هَذِهِ الْفُرُوقِ وَبَقَاءِ تِلْكَ الْخِلَافَاتِ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ؛ فَالْخِلَافُ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ فِي عِصْمَةِ الْأَئِمَّةِ خِلَافٌ حَقِيقِيٌّ، وَهُوَ خِلَافٌ فِي أَصْلِ مِنْ أُصُولِ الْاِعْتِقَادِ لَا فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الْفُرْعِيَّةِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَرَوْنَ أَنَّ الْعِصْمَةَ صِفَةٌ خَاصَّةٌ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَمَّا الشَّيْعَةُ فَلَا يَرَوْنَ الْعِصْمَةَ خَاصَّةً بِهِمْ وَيَعْتَقِدُونَ الْعِصْمَةَ فِي الْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ أَيْضًا، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ هُمْ أَنْبِيَاءٌ أَوْ رُسُلٌ، وَقَدْ تَكَلَّفَ الْأُسْتَاذُ (...) إِزَالَةَ الْفَوَارِقِ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَالشَّيْعَةِ فِي هَذَا الْاِعْتِقَادِ؛ فَقَالَ: مَا مُؤَدَّاهُ: (إِنَّ عِصْمَةَ النَّبِيِّينَ تَحْتَاطِفُ عَنْ عِصْمَةِ الْأَئِمَّةِ عِنْدَ الشَّيْعَةِ، وَإِنَّمَا فِي الْأَئِمَّةِ مَعْنَاهَا الْعُدْلُ وَالثَّقَّةُ؛ وَنَحْنُ إِذَا وَثِقْنَا مِنْ رَجُلٍ فِي عِلْمِهِ

(١) يقول الصَّعِيدِيُّ: «سمعت المحاضرة التي ألقاها بدار جمعية الشبان المسلمين صاحب السباحة

الشيخ عبد الكريم الزنجاني كبير مجتهدى الشيعة ورئيس مجلسهم الأعلى». يُنظر: مجلة الرسالة،

العدد (١٧٩) لسنة ١٩٣٦ م.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدِي إِلَى كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

وَدِينِهِ، وَعَمَلِهِ اسْتَبْعَدْنَا أَنْ يَقَعَ مِنْهُ خَطَأٌ، أَوْ مَالَتْ نُفُوسُنَا إِلَى اسْتِبْعَادِ وَفُوعِ هَذَا الْخَطَأِ مِنْهُ، أَمَّا عِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَهَا مَعْنَاهَا الْحَقِيقِيُّ فَهُمْ مَعْصُومُونَ عَنْ كُلِّ خَطَأٍ؛ وَالْفَرْقُ ظَاهِرٌ فِي التَّقْدِيرَيْنِ وَفِي الْحُكْمَيْنِ... إلخ»^(١).

وَقَدْ جَاءَ فِي كَلَامِ هَذَا الطَّالِبِ مَا يُدْرِكُ خَطَأَهُ حَتَّى عَوَامِّ الشَّيْعَةِ، وَمِنْ الْمُؤَسِّفِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِاسْمِ الشَّيْعَةِ فِيمَا يُخَالِفُ عَقِيدَةَ الشَّيْعَةِ فِي الْإِمَامَةِ، وَيَعْرِفُهَا رَجُلٌ مُضِرٌّ لَيْسَ مِنَ الشَّيْعَةِ؛ فَيَكْشِفُ بِجَلَاءِ أَخْطَاءِ رَئِيسِ مَجْلِسِ الشَّيْعَةِ الْأَعْلَى عَلَى حَدِّ تَغْيِيرِهِ الَّذِي اعْتَبَرَ عِصْمَةَ الْأَئِمَّةِ مَجَازِيَةً، مُجَرَّدُ ثِقَةٍ، وَعَدْلٌ لَا تَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الْمَعْصِيَةُ اسْتِحَالَتِهَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ الْأُمُورَ الْمُسْتَبْعَدَةَ يَجُوزُ وَفُوعُهَا، وَهَذَا يُنَاقِضُ رَأْيَ الشَّيْعَةِ؛ فَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْعِلْمِ ضَيِّلٌ لَا يَجْهَلُهُ حَتَّى الْعَوَامِّ السُّدَجِ؛ فَإِذَا كَانَتْ الْعِصْمَةُ كَمَا يَقُولُ هَذَا الطَّالِبُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ يَهْبِئُهَا لِلْمَنَاتِ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَسْتَبْعِدُ حَضْرَتَهُ وَفُوعَ الْمَعْصِيَةِ مِنْهُ، أَوْ تَمِيلُ نَفْسُهُ الظَّاهِرَةُ إِلَى ذَلِكَ الْاسْتِبْعَادِ، ثُمَّ نَسْأَلُهُ هَلْ يَجُوزُ لِأَحَدِ الْأَئِمَّةِ الْاِثْنِي عَشَرَ أَنْ يَرْتَكِبَ كَبِيرَةً؛ فَإِنْ قَالَ بِالْإِمْكَانِ فَقَدْ خَالَفَ عُمُومَ الشَّيْعَةِ؛ وَإِذَا قَالَ بِالْامْتِنَاعِ؛ فَقَدْ اتَّخَذَتْ عِصْمَةُ الْإِمَامِ وَعِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَرَأْيَ الشَّيْعَةِ الْإِجْمَاعِيَّ بِالْعِصْمَةِ هُوَ اسْتِحَالَةُ الْمَعْصِيَةِ عَلَى الْمَعْصُومِ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا، وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى عِصْمَةِ الْإِمَامِ بِجُمْلَةِ أُمُورٍ مِنْهَا:

مَا أَوْرَدَهُ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ النَّرَاقِيُّ^(٢) فِي كِتَابِهِ الْجَلِيلِ (أَيُّسُ الْمُوَحِّدِينَ فِي أَصُولِ الدِّينِ)، فِي «أَنَّ الْعِصْمَةَ شَرْطٌ فِي الْإِمَامَةِ، وَاشْتِرَاطُهَا فِي كَمَالِ الْوُضُوحِ لِمَا عُلِمَ مِنْ أَنَّ رُتْبَةَ الْإِمَامَةِ مِثْلُ رُتْبَةِ النَّبَوَّةِ؛ فَجَمِيعُ الْأَدَلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى عِصْمَةِ النَّبِيِّ بَعَيْنُهَا دَالَّةٌ عَلَى عِصْمَةِ الْإِمَامِ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْإِمَامُ غَيْرَ مَعْصُومٍ وَيَصْدُرُ مِنْهُ الْخَطَأُ وَالْخَلَلُ، وَالْحَالُ إِنَّهُ

(١) مجلَّة الرسالة، العدد (١٧٩) لسنة ١٩٣٦ م.

(٢) في الأصل: (النراقبي)، وما موجود ومعهود (النراقبي)، وأثبتناه وفقاً للمشهور.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

هُوَ حَافِظٌ لِلشَّرْعِ الْإِلَهِيِّ، وَنَاصِرٌ النَّوَامِيسِ النَّبَوِيَّةِ... إلخ»^(١).

وَقَالَ: «وَمَتَى كَانَ الْإِمَامُ جَائِزَ الْخَطَا فَهُوَ أَيْضًا مُحْتَاجٌ إِلَى إِمَامٍ آخَرَ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَيُحْتَاجُ إِلَى إِمَامٍ ثَالِثٍ، وَهَكَذَا يَذْهَبُ إِلَى غَيْرِ النَّهَائِيَّةِ، وَلَا يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مَعْصُومًا مَأْمُونًا مِنَ الْخَطَا»^(٢).

وَقَالَ: «وَأَيْضًا إِذَا لَمْ يَكُنِ الْإِمَامُ مَعْصُومًا، وَجَازَ الْخَطَا عَلَيْهِ فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ جَمِيعِ الرَّعِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ أَعْلَمُ، وَأَعْرِفُ مِنْ جَمِيعِ الرَّعِيَّةِ، وَفَسَادُ الْخَطِيئَاتِ وَالْمَعَاصِي عِنْدَهُ أَظْهَرُ، وَمَعَ ذَلِكَ يَرْتَكِبُهَا مِنْ جِهَةٍ أَنَّ الْخَطَا مِنَ الْعَالَمِ أَشَدُّ قُبْحًا»^(٣).

وَقَالَ: «وَأَيْضًا مَتَى كَانَ الْإِمَامُ جَائِزَ الْخَطَا وَتَصَدَّرَ مِنْهُ الْمَعْصِيَةُ يَلْزَمُ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ، وَيُرَدُّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ الْخَطَا، وَالْحَالُ أَنَّ الْإِمَامَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَاجِبُ الْإِطَاعَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤)، وَالْمُرَادُ مِنْ أُولِي الْأَمْرِ الْخُلَفَاءُ، وَالْإِمَامَةُ بِالِاتِّفَاقِ؛ فَرَدُّ قَوْلِهِ مَعَ وَجُوبِ طَاعَتِهِ لَا يَجْتَمِعَانِ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا، وَغَيْرَ جَائِزِ الْخَطَا، وَالْأَدِلَّةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ... إلخ».

وَمِنْ هُنَا اشْتَرَطَتِ الشَّيْعَةُ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مَنْصُوصًا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْعِصْمَةَ مِنَ الْأُمُورِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى؛ فَلَا إِمَامَةَ أَوْ خِلَافَةَ كَمَا قَالَ الْمُرْحُومُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ حُسَيْنٍ كَاشِفُ الْغِطَاءِ فِي كِتَابِهِ (أَصْلُ الشَّيْعَةِ وَأُصُولُهَا) بِأَتَمِّهَا: «هِيَ الْأَصْلُ الَّذِي امْتَنَزَتْ بِهِ الْإِمَامِيَّةُ، وَافْتَرَقَتْ عَنْ سَائِرِ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ فَرْقٌ جَوْهَرِيٌّ أَصْلِيٌّ،

(١) وهو كتاب فارسي في أصول الدين للمولى مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني المتوفى سنة

١٢٠٩ هـ، مرتَّب على خمسة أبواب، طُبِعَ مع (كنز الرموز) سنة ١٣٢٥ هـ، وترجمته إلى العربية

للشيخ عبد الرسول الجواهري. يُنظر: الذريعة: ٤٦٧/٢. يُنظر: الفصل الثالث من الكتاب.

(٢) يُنظر: الفصل الثالث من الكتاب.

(٣) أنيس الموحدین: الفصل الثالث.

(٤) النساء: ٥٩.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدِي آلِ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

وَمَا عَدَاهُ مِنَ الْفُرُوقِ فَرَعِيَّةٌ عَرَضِيَّةٌ^(١)؛ فَلَوْ كَانَ مَا قَالَهُ هَذَا الرَّجُلُ صَحِيحًا لَمَا كَانَ خِلَافٌ بَيْنَ الشَّيْعَةِ، وَأَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، وَهَذَا مَا لَا يَقْبَلُ الْجَدُلُ، وَالْبَحْثُ فِيهِ شَبِيهُ بِالْفُضُولِ.

تَارِيخُ تَأْسِيسِ عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ

لَمْ يَكُنْ هَذَا الْعِلْمُ الْجَلِيلُ مُدَوَّنًا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، وَلَا عَرَفَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ بِالصُّورَةِ الَّتِي نَعْرِفُهَا نَحْنُ الْيَوْمَ، وَإِنَّ الْإِمَامَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَوَّلَ مَنْ بَحَثَ فِيهِ^(٢)، وَشَوَاهِدُ ذَلِكَ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّ الْإِمَامَ الْبَاقِرَ عليه السلام أَوَّلَ مَنْ دَوَّنَهُ^(٣) أَوْ أَمَرَ بِتَدْوِينِهِ؛ ثُمَّ جَاءَ وَلَدُهُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام؛ فَأَصَافَ إِلَيْهِ مَا أَمْلَأَهُ عَلَى تَلْمِيزِهِ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ^(٤) الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٧٩ هـ^(٥) ذَلِكَ الْحَكِيمُ الْمُتَالَهُ الْجَلِيلُ الَّذِي حَاجَجَ

(١) أصل الشيعة وأصولها: ٢٢١.

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح: ٤٤: (كِتَابُ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيَّنًا حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ، وَقَرَائِصُهُ وَفَضَائِلُهُ وَنَاسِخُهُ وَمُنْشُوخُهُ، وَرُخْصَتُهُ وَعَزَائِمُهُ وَخَاصُّهُ وَعَامُّهُ، وَعِبَرُهُ وَأَمْثَالُهُ وَمُزَسَّلُهُ وَمُحْدُوذُهُ، وَمُحْكَمُهُ وَمُتَشَابِهُهُ مُفَسَّرًا مُجْمَلًا وَمُبَيَّنًا غَوَامِضَهُ). وعلى هذا يكون جانب التنظير الأوَّلِيَّ لأمير المؤمنين عليه السلام، وليس الجانب التنظير التطبيقي الثانوي، كما سيأتي.

(٣) يُنظر: الشيعة وفنون الإسلام: ٩٥، ويُنظر: شخصيات إسلامية، عبد الرحمن الشراقي: ٥١.

(٤) يقول محمد أبو زهرة، في كتابه (الإمام الصادق): ٢٧٥ «وكلام العالمين هشام ويونس من علماء النصف الثاني من القرن الثاني الهجري الذين عاصروا أصحاب أبي حنيفة؛ وإذا فقد تصدَّى من فقهاء الشيعة من فكروا في أصول الاستنباط، بل دَوَّنُوا بعضها، وإنَّ أصول الفقه في هذا الزمان الذي ظهر فيه هذان العالمان كانت تنحو في اتجاه وضع مناهج الاستنباط ووضع المقاييس الضابطة من غير دفاع عن مذهب معين...». ويُنظر: الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، ١٩٨٤ م: ٤١٣.

(٥) بعضهم يرى وفاته سنة ١٩٩ هـ. الذريعة: ٦/ ١٨٦.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

الْجَاحِظَ فَأَلْفَجَهُ؛ فَزَادَهُ فَلَجًا^(١) عَلَى فَلَجٍ رُغِمَ صَغَرَ سِنَّهُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِي هَذَا الْعِلْمِ (كِتَابُ الْأَلْفَاظِ وَمَبَاحِثُهَا)^(٢)، وَهِيَ خُلَاصَةٌ أَبْحَاثِ هَذَا الْعِلْمِ، وَهُنَاكَ مَنْ يَقُولُ: هُوَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى آلِ يَفْطِينَ، وَيُسَمَّى كِتَابُهُ: (اِخْتِلَافُ الْحَدِيثِ)^(٣).

وَقَدْ اِزْدَادَ هَذَا الْعِلْمُ اتِّسَاعًا، وَتَنْظِيمًا بِامْتِدَادِ الزَّمَنِ فَضَبَطَ الْعُلَمَاءُ قَوَاعِدَهُ وَحَرَّرُوا مَسَائِلَهُ وَبُحُوثَهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَيْدِي عُلَمَاءٍ عَصْرِنَا؛ فَأَفْرَغَ هَؤُلَاءِ وَسْعَهُمْ فِي تَجْوِيدِهِ، وَتَرْتِيبِهِ، وَتَبْوِيهِ، وَتَيْسِيرِ تَحْصِيلِهِ؛ فَالْفَوْا فِيهِ الْكُتُبَ الْقِيَمَةَ نَظْمًا، وَنَثْرًا فَمِنْ الْكُتُبِ الْمَشْهُورَةِ^(٤) كِتَابُ (مَبَانِي الْأُصُولِ) لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ هَاشِمِ الْخَوَاسَارِيِّ^(٥)، وَ(ذُرُرُ الْفَوَائِدِ) لِلْيَزْدِيِّ^(٦)، وَ(الْعَنَاوِينُ) لِلْعَلَامَةِ الْمُجَاهِدِ الشَّيْخِ مَهْدِيِّ الْخَالِصِيِّ^(٧)، وَ(الْكِفَايَةُ) لِلْأَخُونَدِ؛ إِلَّا أَنَّ الْكِفَايَةَ لَيْسَ فِيهَا الْكِفَايَةُ؛ فَقَدْ جَاءَتْ مُعَقَّدَةً بِتَرَائِبٍ بَعِيدَةٍ عَنِ النَّهْجِ الْعَرَبِيِّ، وَغَيْرِ هَذِهِ الْكُتُبِ مَا يُعْجِزُنِي إِحْصَاؤُهُ^(٨).

أَمَّا الْمُؤَلَّفَاتُ الْمَنْظُومَةُ فِي هَذَا الْعِلْمِ فَكَثِيرَةٌ أَيْضًا كَمَنْظُومَةِ مِيرْزَا مُحَمَّدٍ بَاقِرِ الْخَوَاسَارِيِّ، وَمَنْظُومَةِ السَّيِّدِ هَاشِمِ كَمَالِ الدِّينِ الشَّهِيرِ بِ(الشَّرْعِ) عَلَّمَ الْكُوفَةِ؛ الْمُسَمَّاةُ

(١) يُنْظَرُ: كِتَابُ: هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ نِعْمَةً: ١٤٠ وما بعدها. وانظر: مناظرات هشام في هذا الكتاب. وانظر: كتاب الانتصار للخيَّاط المعتزلي (ت ٣٠٠هـ): ٢١٢، والذي عدَّ فيه تأليف الجاحظ ضدَّ هشام (بذلك قد ثار لأستاذه من هشام).

(٢) يُنْظَرُ: رِجَالُ النِّجَاشِيِّ: ٤٣٢، التَّرْجُمَةُ رَقْمُ ١١٦٤، وَرَاجِعُ: الشَّيْعَةُ وَفَنُونُ الْإِسْلَامِ: ٩٥.

(٣) يُنْظَرُ: الذَّرِيعَةُ: ١٨٦/٦ و ٣٣/١٤.

(٤) إِنَّ كَلَامَ السَّيِّدِ الْمُؤَلَّفَ هُنَا عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ لَا الْإِسْتِقْصَاءَ، مِنْ نَاحِيَةِ الْمُؤَلَّفَاتِ، وَكَذَا الْمَنْظُومَاتِ.

(٥) يُنْظَرُ: الذَّرِيعَةُ: ٩/٣ و ١١١٩.

(٦) يُنْظَرُ: الذَّرِيعَةُ: ٨/١٣٢.

(٧) وَهُوَ (تَوْضِيحُ الْعَنَاوِينِ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ) لَوَالِدِهِ. يُنْظَرُ: مُوسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ١٤/١٤ ق ٥٩٣/١.

(٨) يُنْظَرُ: الشَّيْعَةُ وَفَنُونُ الْإِسْلَامِ: ٩٥.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدِي أَلْكَامُ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

بِ(الدَّرَرُ الْفَوَائِدُ فِي الْأُصُولِ وَالْفَوَاعِدِ)، وَمَنْظُومَةُ الْكَوَاكِبِ^(١).

وَيَرَى الْمُتَتَّبِعُ أَنَّ عُلَمَاءَ الشَّيْعَةِ مِنَ الْمُجَلِّينَ فِي هَذَا الْمَضَامِرِ، وَلَيْسَ صَحِيحًا مَا جَاءَ فِي مَجَلَّةِ الرِّسَالَةِ الْمِصْرِيَّةِ مِنْ أَنَّ الشَّافِعِيَّ ﷺ وَاضِعُ عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ^(٢)، وَتَحْتَ هَذَا الْعُنْوَانِ نَشَرَ الْأُسْتَاذُ الشَّيْخُ مُصْطَفَى عَبْدَ الرَّزَّاقِ أُسْتَاذُ الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي كُلِّيَّةِ الْأَدَابِ، وَرَئِيسُ الْأَزْهَرِ فِي مَجَلَّةِ الرِّسَالَةِ سِلْسِلَةَ بُحُوثٍ جَاءَ بِهِ الْبَحْثُ الثَّلَاثُ، مِنْهَا مَا رَوَاهُ عَنِ الْخُطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ أَبِي يُوسُفَ، قَالَ: «قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَمَّا أَرَدْتُ طَلَبَ الْعِلْمِ جَعَلْتُ أَخْيَرُ الْعُلُومِ، وَأَسْأَلُ عَنْ عَوَاقِبِهَا؛ فَقَالَ لِي: تَعَلَّمِ الْقُرْآنَ، فَقُلْتُ إِذَا تَعَلَّمْتُ الْقُرْآنَ، وَحَفِظْتُهُ فَمَا يَكُونُ آخِرُهُ؟ قَالُوا: تَجْلِسُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيُقْرَأُ عَلَيْكَ الصَّبِيَّانُ، وَالْأَحْدَاثُ؛ ثُمَّ لَا تَلْبَثُ أَنْ يَخْرُجَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَحْفَظُ مِنْكَ، أَوْ يُسَاوِيكَ فِي الْحِفْظِ؛ فَتَذْهَبُ رِيَاسَتُكَ؛ فَقُلْتُ: فَإِنْ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ، وَكَتَبْتُهُ حَتَّى لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا أَحْفَظُ مِنِّي، قَالُوا: إِذَا كَبُرْتَ، وَضَعُفَتْ حَدَّثَتْ وَاجْتَمَعَ عَلَيْكَ الصَّبِيَّانُ لَا تُثَامِنُ أَنْ تَغْلَطَ فَيَرْمُوكَ بِالْكَذِبِ فَيَصِيرَ عَارًا عَلَيْكَ فِي عَقِبِكَ، فَقُلْتُ: لَا حَاجَةَ لِي فِي هَذَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَتَعَلَّمُ النَّحْوَ، فَقُلْتُ: إِذَا تَعَلَّمْتُ النَّحْوَ الْعَرَبِيَّةَ مَا يَكُونُ آخِرُ أَمْرِي؟ قَالُوا: تَقْعُدُ مُعَلِّمًا وَكَثُرَ رِزْقُكَ دِينَارَانِ إِلَى الثَّلَاثَةِ، قُلْتُ: وَهَذَا لَا عَاقِبَةَ لَهُ، قُلْتُ: فَإِنْ نَظَرْتُ فِي الشَّعْرِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْعَرَ مِنِّي مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِي؟ قَالُوا: تَمْدَحُ هَذَا فَيَهَبُ لَكَ، وَيَحْمِلُكَ عَلَى دَابَّتِهِ، أَوْ يَحْلَعُ عَلَيْكَ خِلْعَةً، وَإِنْ حَرَمَكَ هَجَوْتُهُ؛ فَصِرْتَ تَقْدِفُ الْمُحْصَنَاتِ!، فَقُلْتُ: لَا حَاجَةَ لِي فِي هَذَا، قُلْتُ: فَإِنْ نَظَرْتُ فِي الْكَلَامِ فَمَا يَكُونُ آخِرُهُ؟ قَالُوا: لَا يَسْلَمُ مَنْ نَظَرَ فِي الْكَلَامِ شِنَعَاتِ الْكَلَامِ؛ فَيَرْمَى بِالزَّنْدَقَةِ، فَإِمَّا أَنْ يُؤْخَذَ فَيُقْتَلَ، وَإِمَّا أَنْ يُسَلِّمَ

(١) الذريعة: ٩/ ٣/ ١١١٩، ٧٧/ ٢٣ وما بعدها.

(٢) يُنظر: مجلّة الرسالة، العدد ٢٩، (الشافعي واضع علم أصول الفقه) في ٢٢/ ١/ ١٩٣٤، وقال

الشيخ مصطفى عبد الرزاق في كتاب (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية): ٢٠٢ طبعة ١٩٥٩:

«إنَّ النزوع إلى تدوين الفقه كان أسرع إلى الشيعة من سائر المسلمين».

فَهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

فَيَكُونُ مَذْمُومًا، قُلْتُ: فَإِنْ تَعَلَّمْتُ الْفِقْهَ؟ قَالُوا: تُسْأَلُ وَتُفْتَى النَّاسَ، وَتُطَلَّبُ لِلْقَضَاءِ، وَإِنْ كُنْتَ شَابًّا، قُلْتُ: لَيْسَ فِي الْعُلُومِ شَيْءٌ أَنْفَعُ مِنْ هَذَا؛ فَرَزَمْتُ الْفِقْهَ، وَتَعَلَّمْتُهُ... إلخ^(١).

إِنَّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ تُفِيدُ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ لَمْ يَكُنْ قَدْ طَلَبَ الْعِلْمَ لَوَجْهِ اللَّهِ، وَهِيَ رِوَايَةٌ لَيْسَتْ شِيعِيَّةً؛ وَإِنَّمَا رَوَاهَا شَيْخُ الْأَزْهَرِ، وَلَكِنَّا مَعَ ذَلِكَ نَجِلُّ مَقَامَ أَبِي حَنِيفَةَ عَنْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ.

وَفِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ سِلْسِلَةٌ طَوِيلَةٌ مِنَ الْأَسْئَلَةِ وَالْأَجْوِبَةِ؛ أَكْثَرُهَا غَيْرُ مَنْطِقِيٍّ؛ فَالسَّبَبُ الَّذِي مَنَعَهُ عَنْ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ لَمْ يَكُنْ سِوَى مَا أَلْقَاهُ مُسْتَشَارُهُ فِي رَوْعِهِ مِنْ أَنَّ بَعْضَ تَلَامِذَتِهِ الْأَحْدَاثَ قَدْ يَكُونُونَ أَحْفَظَ مِنْهُ، أَوْ يَكُونُونَ بَدْرَجَتِهِ؛ فَتَذْهَبُ رِئَاسَتُهُ فَكَمَا يَجُوزُ الْاِحْتِمَالُ أَنْ يَجُوزَ عَدَمُ حُصُولِهَا فَيَنْفَرِدُ بِالرَّئَاسَةِ كَمَا أَنَّ افْتِرَاضَهُ تَعَلُّمَ الشَّعْرِ حَتَّى لَا يَكُونَ أَشْعَرَ مِنْهُ لَيْسَ مَنْطِقِيًّا فَمَا لِلشَّعْرِ غَايَةٌ وَحُدُودٌ كَمَا لَا تَنْحَصِرُ أَسْبَابُ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِهِ بِالرَّئَاسَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ؟ فَيَكُونُ اِحْتِمَالُ عَدَمِ حُصُولِهَا مَانِعًا عَنْ تَعَلُّمِ كِتَابِ اللَّهِ، وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ نَرَى مَانِعِيهِ هُمُ الَّذِينَ أَمَرُوهُ، وَهَلْ يَنْقُضُ الْعَاقِلُ غَرَضَهُ؟!.

كَمَا أَنَّ الَّذِينَ مَنَعُوهُ عَنْ تَعَلُّمِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زَعَمُوا بِأَنَّهُ إِذَا كَبُرَ وَضَعُفَ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأَحْدَاثُ؛ فَإِذَا غَلَطَ رَمُوهُ بِالْكَذِبِ وَصَارَ عَارًا عَلَيْهِ وَلَا أَذْرِي لِمَاذَا خَصُّوا الصَّبِيَّانَ، وَالْأَحْدَاثَ فِي سَمَاعِ الْحَدِيثِ؟ فَهَلْ حَسَبُوا سَمَاعَ الْحَدِيثِ مِنْ نَوْعِ سَمَاعِ الْأَغَانِي؟ وَإِلَّا فَمَا شَأْنُ الْأَحْدَاثِ بِالْحَدِيثِ؟ وَمِنْ أَيْنَ يَعْلَمُ الْأَحْدَاثُ، وَالصَّبِيَّانُ الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ وَالْكَاذِبَ حَتَّى إِذَا كَذَبَ عَيَّرُوهُ بِالْكَذِبِ؟ وَالْمَعْهُودُ أَنَّ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ لِسَمَاعِ

(١) تاريخ بغداد: ٣٣٢ / ١٣ وما بعدها، وينظر: تهذيب الكمال: ٤٢٤ / ٢٩، سير أعلام النبلاء:

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدِي أَلِ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

الْحَدِيثُ الْكُھُولُ، وَالشُّيُخُ الَّذِينَ يُسَاعِدُ تَقَدُّمُهُمُ السَّنَّ عَلَى تَعَلُّمِ هَذِهِ الْقَضَايَا، وَأَمَّا الصَّبِيَّانُ فَاللَّائِقُ بِهِمُ اللَّهُوُّ وَاللَّعِبُ، وَلَا نَذْرِي كَيْفَ اقْتَنَعَ بِمَلاحِظَةِ مُسْتَشَارِيهِ، وَهِيَ خَاطِئَةٌ؛ فَأَعْرَضَ عَنْ تَعَلُّمِ حَدِيثِ الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ لَا سِيَّمَا وَالْمَانِعُ وَهَمِيٌّ، وَالدَّلِيلُ عَلَى عَدَمِ وَجَاهَةِ هَذَا السَّبَبِ إِقْبَالُ أَفَاضِلِ الْعُلَمَاءِ، وَالْفُقَهَاءِ عَلَى سَمَاعِ الْحَدِيثِ، وَحِفْظِهِ، وَتَعَلُّمِهِ، وَلَمْ يُعَيِّرْهُمْ صَبِيَّانٌ وَلَا أَحَدَاتٌ.

أَمَّا السَّبَبُ الَّذِي قَدَّمَهُ مُسْتَشَارُهُ لِمَنْعِهِ لَهُ عَنْ تَعَلُّمِ النُّحُو؛ بِأَنَّهُ يَقْعُدُ مُعَلِّمًا وَأَكْثَرُ رِزْقِهِ دِينَارَانِ إِلَى ثَلَاثَةٍ، وَهَذَا لَا عَاقِبَةَ لَهُ!! لَسْتُ أَدْرِي مِنْ أَيْنَ اسْتَفَادُوا هَذَا التَّحْدِيدَ وَحَصَرَهُ بِهَذَا الْمِقْدَارِ؟ وَقَدْ أَخْبَرَنَا التَّارِيخُ أَنَّ مَسْأَلَةَ نُحْوِيَّةٍ وَاحِدَةً كَانَتْ سَبَبًا إِلَى ثُرُوءٍ كَبِيرَةٍ^(١)، فَكَيْفَ اقْتَنَعَ فَاِمْتَنَعَ لِمُجَرَّدِ وَهْمٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ؟!، وَلَنَنْظُرَ فِي سَبَبِ عُزُوفِهِ عَنْ تَعَلُّمِ الشُّعْرِ؛ فَإِنَّا لَمْ نَجِدْ مُسْتَشَارِيهِ قَدْ قَدَّمُوا لَهُ مَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ رَادِعًا؛ فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُ تَعَلَّمَ الشُّعْرَ؛ إِمَّا يَمْدَحُ أَوْ يَهْجُو فَيَقْذِفُ الْمُحْصَنَاتِ، وَهَلِ الشُّعْرُ لَمْ يَتَجَاوَزْ هَذَا؟ ثُمَّ كَيْفَ يَحْكُمُ عَلَى نَفْسِهِ سَلَفًا إِنَّهُ يَصِيرُ أَشْعَرَ النَّاسِ، وَهَلِ الْهَجَاءُ مُنْهَصِرٌ بِقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ؟ هَذِهِ أَسْئَلَةٌ مِنَ السَّهْلِ الْجَوَابُ عَلَيْهَا بِالنَّفْيِ أَمَّا امْتِنَاعُهُ عَنْ تَعَلُّمِ عِلْمِ الْكَلَامِ؛ فَلِسَبَبٍ غَيْرِ وَجِيهِ أَيْضًا، وَهُوَ جَوَازُ خَطِيئَةٍ؛ فَأَمَّا أَنْ يُقْتَلَ أَوْ يُسَلَّمَ مَذْمُومًا، وَهَذَا التَّارِيخُ يُحَدِّثُنَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ لَمْ يُقْتَلُوا، وَلَمْ يَنْلَهُمْ حَتَّى حَصَلَ أَحَدُهُمْ وَهُوَ الْعَلَامَةُ الْحَلِيُّ عَلَى لَقَبِ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ^(٢)، وَلَا كَتَائِبَ لَهُ إِلَّا الْكُتُبُ، وَلَا عِدَّةٌ إِلَّا الْقَلَمُ وَالْمَحْبَرَةُ، وَقَدْ عَاشَ أَكْثَرُهُمْ فِي أَهْمَةٍ تُشَبِّهُ أَهْمَةَ الْمُلُوكِ.

(١) وهي المسألة التي حصلت بين سيبويه والكسائي والمعروفة بـ (المسألة الزبورية) في حضرة جعفر البرمكي. انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، أو مسألة هارون العباسي حين سأل أبا يوسف القاضي عن الحكم الشرعي في قوله: (فأنت طلاق والطلاق عزيمة... ثلاثاً، أو ثلاث). انظر: مغني اللبيب: ٥٣/١، في توجيهها وكامل الرواية.

(٢) انظر ما كتبه فياض في كتابه تاريخ الإمامية: ٧٠، وما جرى من نشره التشيع في بلاد إيران.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

ثُمَّ إِنَّهُمْ عِنْدَمَا مَنَعُوهُ^(١) عَنْ تَعَلُّمِ النَّحْوِ كَيْفَ سَوَّغَ لَهُ عَقْلُهُ أَنْ يَسْأَلَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ تَعَلُّمِ الشَّعْرِ وَالْكَلامِ، وَالْفِقْهِ؛ وَهَذِهِ الْعُلُومُ تَأْتِي بَعْدَ النَّحْوِ، وَلَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهَا وَالتَّخَصُّصُ بِهَا دُونَ تَعَلُّمِهِ، وَحَذْفِهِ؛ فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَسْأَلَ عَنْ تَعَلُّمِهَا، وَعَنْ نَتَائِجِهَا؛ لِأَنَّهُ مِنْهَيٌّ عَنْهَا ضِمْنًا؛ وَلَكِنَّهُ اسْتَمَرَّ يَسْأَلُ حَتَّى انْتَهَى بِهِ الْمَطَافُ إِلَى الْفِقْهِ، وَإِذَا كُلُّ مَا فِيهِ مِنْ مُشَوِّقَاتٍ لَا يَتَعَدَّى حُطَامَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ مِنْ أَهْمَةِ الْقَضَاءِ وَجَلَالَةِ الْإِفْتَاءِ، وَلَا نَدْرِي كَيْفَ تَعَلَّمَ الْفَقْهَ دُونَ تَعَلُّمِ النَّحْوِ؟.

وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ أَكِيدَاهَا الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ مُصْطَفَى عَبْدَ الرَّزَّاقِ رَئِيسُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَنَشَرَهَا فِي مَجَلَّةِ الرَّسَالَةِ، الْعَدَدُ الثَّالِثُ مِنْ سِلْسِلَةِ أَبْحَاثِ الْمَعْنَوِيَّةِ بِ(الشَّافِعِيِّ وَاضِعُ عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ)، وَجَاءَ الشَّيْخُ مُصْطَفَى بِقِصَّةِ أَبِي حَنِيفَةَ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ رُوحِ ذَلِكَ الْعَصْرِ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَلَكِنَّهُ اعْتَرَفَ بِمَا يَنْقُضُ عُنْوَانَ بَحْثِهِ الْمُنَوَّهَ عَنْهُ؛ فَقَدْ أَوْرَدَ قَوْلَهُ: «كَانَ أَتْمَاهُ الْمَذَاهِبِ الْفَقْهِيَّةِ قَبْلَ الشَّافِعِيِّ إِلَى جَمْعِ الْمَسَائِلِ وَتَرْتِيبِهَا وَرَدَّهَا إِلَى أَدِلَّتِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ عِنْدَمَا تَكُونُ دَلَالُهَا نُصُوصًا»^(٢).

وَهَذِهِ الدَّلَالُ هِيَ مِنْ مَفَاهِيمِ عِلْمِ الْأُصُولِ؛ وَقَدْ صَرَّحَ إِنَّهَا مَوْجُودَةٌ قَبْلَ الشَّافِعِيِّ، وَلَيْسَ لِلشَّافِعِيِّ سِوَى أَنَّهُ بَدَأَ لَهُ إِكْمَالُ النَّقْصِ وَلَيْسَ إِكْمَالُ النَّقْصِ مَعْنَاهُ الْوَضْعُ؛ وَلِذَلِكَ غَفَلَ الرَّازِيُّ حِينَمَا زَعَمَ أَنَّ النَّاسَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَنْ صَنَّفَ فِي عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ هُوَ الشَّافِعِيُّ^(٣)، وَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي رَتَّبَ أَبْوَابَهُ؛ فَذَلِكَ مُجَرَّدُ دَعْوَى وَنُطَالِيهِ بِالْبُرْهَانِ؛ فَقَدْ قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى نَقِيضِهَا؛ حَيْثُ عَلِمَتْ أَنَّ وَاضِعَ أَصُولِ هَذَا الْعِلْمِ هُوَ الْإِمَامُ عَلِيُّ، وَالْبَاقِرُ، وَالصَّادِقُ عليهم السلام وَتَمَّتْ أَكْثَرُ قَوَاعِيدِهِ فِي عَهْدِ الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام، وَفَائِدَةُ هَذَا الْعِلْمِ

(١) أي الذين سألهم منعه عن تعلُّم النحو.

(٢) ص ١٤٣.

(٣) يُنظر: المحصول في علم الأصول: ٥١/١.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُكَ كَمَالُ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

مُحَاكَمَةُ الْأَدِلَّةِ، وَالْبَحْثُ عَنْ عَوَارِضِهَا مِنْ حَيْثُ الصَّحَّةُ وَالْفَسَادُ، وَالْقُوَّةُ، وَالضَّعْفُ؛ لِإِيصَالِ الْمُجْتَهِدِ إِلَى حَقِيقَةِ الْحُكْمِ الْفَقْهِيِّ حَسَبًا أَدَّى إِلَيْهِ اسْتِنْبَاطُهُ، وَاسْتِثْنَاؤُهُ، وَاجْتِنَاهُ عَلَى ضَوْءِ تِلْكَ الْقَوَاعِدِ الْأُصُولِيَّةِ^(١).

وَقَدْ نَهَجَ السُّيُوطِيُّ نَهَجَ الرَّازِي فَزَعَمَ فِي (الْأَوَائِلِ)^(٢) أَنَّ أَوَّلَ مَنْ صَنَّفَ فِي هَذَا الْعِلْمِ هُوَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ.

وَقَدْ أَوْضَحْنَا أَنَّ أَئِمَّةَ أَهْلِ الْبَيْتِ قَدْ سَبَقُوا الشَّافِعِيَّ فِي وَضْعِ هَذَا الْعِلْمِ أَمَّا الْإِمَامُ الْبَاقِرُ عليه السلام فَوَضَعَ مِثْمَاتَ مَسَائِلِهِ، وَنَهَجَ الصَّادِقُ عليه السلام نَهَجَ أَبِيهِ؛ وَالشَّافِعِيُّ مِنْ تَلَامِذِهِ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام، وَقَدْ كَانَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَضْلٌ تَأْسِيسِيهِ فِي نَهَجِ الْبَلَاغَةِ كَثِيرٌ مِنْ مَسَائِلِ هَذَا الْعِلْمِ كَالنَّاسِخِ، وَالْمَنْسُوخِ، وَالْمُحْكَمِ، وَالْمُتَشَابِهِ، وَالْخَاصِّ، وَالْعَامِّ^(٣).

وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ الْكُلِّيَّةُ: (كُلُّ شَيْءٍ مُطْلَقٌ حَتَّى يَرَدَّ فِيهِ نَهْيٌ)^(٤) وَهُوَ مَا نَدْعُوهُ بِأَصَالَةِ الْبَرَاءَةِ، وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ: (كُلُّ شَيْءٍ لَكَ طَاهِرٌ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ نَجِسٌ)^(٥)، وَهُوَ مَا نُسَمِّيهِ أَصَالَةَ الطَّهَارَةِ، وَمِنْ هَذَا الْأَمْثَلَةِ: (كُلُّ مَجْهُولٍ فِيهِ الْقُرْعَةُ)^(٦)، وَ(كُلُّ شَيْءٍ يُجْتَرُّ فُسُورُهُ حَلَالٌ وَلِعَابُهُ حَلَالٌ)^(٧)، وَ(كُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ وَحَرَامٌ فَهُوَ لَكَ حَلَالٌ حَتَّى تَعْرِفَ الْحَرَامَ

(١) يُنْظَرُ: الْفِكْرُ التَّرْبُوِيُّ عِنْدَ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ، د. علاء الدين القزويني: ٤١٢ وما بعدها.
(٢) يُنْظَرُ: الْوَسَائِلُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَوَائِلِ، السُّيُوطِيُّ بِابِ تَأْسِيسِ عِلْمِ أَصُولِ الْفَقْهِ، طَبْعَةُ الْمَكْتَبَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ.

(٣) يُنْظَرُ: نَهَجُ الْبَلَاغَةِ، تَحْقِيقُ: صَبْحِي الصَّالِحِ: ٤٤

(٤) يُنْظَرُ: مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ١/ ٢٠٨ (ح ٩٣٧)، الْوَسَائِلُ: ٤/ ٩١٧ الْبَابُ ١٩ مِنْ أَبْوَابِ الْقُنُوتِ (ح ٣).

(٥) مُسْتَدْرَكُ الْوَسَائِلُ: ١/ ١٦٤ (ح ٥)، مَعَ اخْتِلَافِ لَفْظِ الْحَدِيثِ فِي الْمَجَامِيعِ الْحَدِيثِيَّةِ.

(٦) الْوَسَائِلُ، الْبَابُ ١٣ مِنْ أَبْوَابِ كَيْفِيَّةِ الْحُكْمِ (ح ١١).

(٧) يُنْظَرُ: الْهُدَايَةُ لِلصَّدُوقِ: ٦٧، تَهْذِيبُ الْأَحْكَامِ: ١/ ٢٢٨ (ح ٦٥٨)، وَوَسَائِلُ الشَّيْعَةِ: ١/ ٢٣٢ =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحَلْتِ

مِنْهُ^(١)، وَهُوَ مَا يُسَمَّى أَصَالَهَ الْحِلِّ فِي الْمُشْتَبِه، وَمِنْهَا (كُلُّ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ)^(٢)، وَ(مَا عَلَى الْأَمِينِ إِلَّا الْيَمِينُ)^(٣)، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَقَدْ دَوَّنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ نَحْوَ سِتِّينَ قَاعِدَةً^(٤)، وَقَدْ خَالَفَ بَعْضُهَا إِخْوَانُنَا أَهْلَ السُّنَّةِ؛ كَقَوْلِهِمْ بِتَصْوِيبِ كُلِّ مُجْتَهِدٍ، وَكَتَجْوِيزِهِمْ لِلْأَمْرِ أَنْ يَأْمُرَ بِمَا عَلِمَ انْتِفَاءً شَرْطٍ وَفُوعِهِ وَقْتَ التَّكْلِيفِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ حَسْبًا أَدَّى إِلَيْهِ اجْتِنَاهُذُهُمْ، وَالْمَرْءُ لَا يُطَالَبُ بِأَكْثَرِ مِنْ بَذْلِ وَسْعِهِ فِي التَّقْصِي، وَالْبَحْثِ وَلِلْمُجْتَهِدِ الْمُخْطِئِ حَسَنَةٌ، وَلِلْمُصِيبِ حَسَنَتَانِ^(٥).

= (ح ٥) و ٣/ ٤١٤ (ح ٤).

(١) وسائل الشيعة: ٥٩/ ١٢، ب ٤ من أبواب ما يكتسب به (ح ١).

(٢) الكافي: ١/ ٨/ ٤٠٩/ ٦.

(٣) يُنْظَرُ: أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ الْعَامِلِي: ١/ ١٠٣. يَقُولُ الشَّيْخُ أَسَدُ اللَّهِ الْكَاظمِي فِي مَقَابِسِ الْأَنْوَارِ: ٢٦٤ «وَأَمَّا الْكَلَامُ الْمَعْرُوفُ الدَّائِرُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَهُوَ: (مَا عَلَى الْأَمِينِ إِلَّا الْيَمِينُ) فَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ، وَلَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ غَيْرِي مِنْ نَقْلَةِ الْأَخْبَارِ الْمُتَّبِعِينَ لِمَصَادِرِهَا وَمَوَارِدِهَا، الْمُطَّلَعِينَ عَلَى خَبَايَاهَا وَنَوَادِرِهَا فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ، وَلَا فِي كُتُبِ الْفَقْهِ مُسَنِّدًا وَلَا مُرْسَلًا، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يُسْتَنْبَطُ بِالنَّظَرِ وَالْاجْتِهَادِ بَعْدَ خَوْضٍ وَغُورٍ شَدِيدٍ وَتَعَمُّقٍ وَتَدَبُّرٍ سَدِيدٍ فِي الْأَخْبَارِ».

(٤) قَالَ الْعَامِلِيُّ فِي الْأَعْيَانِ: ١/ ١٠٣ «وَجَمَعَ مَلَأَ مُحَسِّنُ الْكَاشَّانِي كِتَابًا سَمَّاهُ (الْأَصُولُ الْأَصْلِيَّةُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)، وَهَذِهِ الْأَصُولُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا أَمْثَالُ: (كُلُّ شَيْءٍ مُطْلَقٌ حَتَّى يَرُدَّ فِيهِ نَهْيٌ)، (كَلِمًا غَلَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ فَاللَّهُ أَعَذَرَ لِعَبْدِهِ)، (كُلُّ شَيْءٍ أَمَرَ النَّاسَ بِهِ فَهُمْ يَسْعَوْنَ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَا يَسْعَوْنَ لَهُ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عَنْهُمْ)، (كُلُّ مَجْهُولٍ فِيهِ الْقَرَعَةُ)، (كُلُّ طَلَاقٍ لَا يَكُونُ عَلَى السُّنَّةِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ)، (كُلُّ يَابَسٍ ذَكِيٍّ)، (كُلُّ شَيْءٍ طَاهِرٍ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ نَجَسٌ)، (الْمَاءُ كُلُّهُ طَاهِرٌ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ قَذَرٌ)، (كُلُّ مَا لَيْسَ لَهُ دَمٌ فَمَيْتَتُهُ طَاهِرَةٌ)، (كُلُّ شَيْءٍ يَجْتَزِي فَسْؤْرُهُ حَلَالٌ وَلَعَابُهُ حَلَالٌ)، (كُلُّ مَا كَانَ فِيهِ حَلَالٌ وَحَرَامٌ فَهُوَ لَكَ حَلَالٌ حَتَّى تَعْرِفَ الْحَرَامَ مِنْهُ بَعِينَهُ فَتَدَعِهِ)، (كُلُّ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ)، (كُلُّ مُسْكِرٍ خَمِرٍ)، (الْحُجُّ عَرَفَةَ)، (مَا عَلَى الْأَمِينِ إِلَّا الْيَمِينُ)، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَوْجَدُ فِي طَيِّ كُتُبِ الْفَقْهِ».

(٥) فِي هَذِهِ الْقَوَائِنِ يُنْظَرُ: الرَّازِي فِي كِتَابِهِ (الْمَحْصُولُ)، وَمَجْمُوعَةُ مَقَالَاتِ الْاجْتِهَادِ وَالْحَيَاةِ.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدٍ إِلَى كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

مِنْ شَوَاهِدِ عَبْقَرِيَّةِ هِشَامٍ

هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ عَبْقَرِيٌّ، جَلِيلُ الْقَدْرِ، عَظِيمُ الشَّانِ؛ وَلِعَبْقَرِيَّةِ هَذَا الْفَيْلَسُوفِ الْيَافِعِ أَمْثَلُهُ رَائِعَةٌ كَثِيرَةٌ تَحْتُلُّ مَكَانًا بَارِزًا مِنْ تَارِيخِ النُّبُوغِ وَالْأَلَمَعِيَّةِ، وَيَكْفِينَا مِنْهَا لَوْذَعِيَّتُهُ فِي تَخْلُصِهِ مِنْ مَكِيدَةِ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمٍ^(١) قَاضِي الْقَضَاةِ، وَهِيَ مَكِيدَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَمَدْرُوسَةٌ قَدْ حَاكَهَا لِلْإِنْفَاعِ هَذَا الْجَهْدُ النَّابِهَ، وَسَعَى بِدَمِهِ عِنْدَ الرَّشِيدِ.

وَمُلَخَّصُ الْقَضِيَّةِ: «إِنَّ يَحْيَى سَأَلَ (هِشَامًا) عَنْ إِمْكَانِ إِقَامَةِ الدَّعْوَى بَيْنَ شَخْصَيْنِ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ؛ وَكِلَاهُمَا مُحِقٌّ فِي دَعْوَاهُ؟ فَأَجَابَ هِشَامٌ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ فِي جَانِبِ أَحَدِهِمَا، فَعِنْدَئِذٍ قَالَ يَحْيَى: فَمَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ وَالْعَبَّاسِ حِينَ تَدَاعَا فِي ثِرَاتِ رَسُولِ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْمُحِقُّ مِنْهُمَا؟»^(٢).

وَقَدْ تَبَيَّنَ لِلْقَارِئِ الْحَقُّدُ اللَّئِيمُ الْكَامِنُ بِهَذَا السُّؤَالِ إِنَّهُ حَقًّا سُؤَالٌ مُخْرِجٌ؛ أَيْ يَقُولُ هِشَامٌ إِنَّ الْحَقَّ مَعَ عَلِيٍّ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّ الْحَقَّ يَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ يَدُورُ؟ فَيَتَعَرَّضُ بِذَلِكَ لِسَخَطِ الرَّشِيدِ؛ لِحُكْمِهِ عَلَى جَدِّهِ بِدَعْوَى الْبَاطِلِ، أَمْ يَقُولُ إِنَّ الْحَقَّ فِي جَانِبِ الْعَبَّاسِ؟ فَيَتَعَرَّضُ لِسَخَطِ اللَّهِ وَتَأْنِيبِ ضَمِيرِهِ الْيَقِظِ، وَيُخَالِفُ عَقِيدَتَهُ؛ وَلَا جُلَّ أَنْ نَعْلَمَ مِقْدَارَ الْعَوَامِلِ الَّتِي اعْتَمَلَتْ فِي نَفْسِهِ وَمِقْدَارَ رَدِّ الْفِعْلِ الَّذِي أَحْدَثَهُ هَذَا السُّؤَالُ الْحَاقِدِ؛ لِنَدْعُ هِشَامًا نَفْسَهُ يُحَدِّثُنَا عَنْهُ.

قَالَ هِشَامٌ: «فَأُسْقِطَ فِي يَدَيَّ؛ ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام: (لَا زِلْتَ مُؤَيَّدًا بِرُوحِ الْقُدْسِ يَا هِشَامُ)؛ فَأَجَبْتُهُ؛ وَقُلْتُ: مَا تَقُولُ فِي الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ تَحَاكَمُوا إِلَى دَاوُدَ مَنْ كَانَ الْمُحِقُّ مِنْهُمَا؟ وَمَنْ كَانَ الْمُبْطِلُ؟ فَقَالَ: كِلَاهُمَا مُحِقٌّ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَا أَنْ يَكْشِفَا

(١) وهو يحيى بن خالد البرمكي، وليس ابن أكثم، يُنظر: الإرشاد: ٢٥٥-٢٥٧. ويُنظر: كتاب

هشام بن الحكم، الشيخ عبد الله نعمة: ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) يُنظر: الإرشاد: ٢٥٥-٢٥٧.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتِ

لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطَاةً فِي الْحُكْمِ؛ أَيُّ: تَرْكُهُ لِلأَوَّلَى، قَالَ قُلْتُ: إِذْنُ؟ بِذَا نُجِيئُكَ، إِنَّ عَلِيًّا وَالْعَبَّاسَ تَدَاعِيَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ؛ لِيُعْرِفَاهُ خَطَاةً فِي أَمْرِهِ... إلخ^(١).

وَأَبُو بَكْرٍ شَأْنُهُ شَأْنُ النَّاسِ لَيْسَ مَعْصُومًا عَنِ الْخَطَا، وَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يَقُولُ بِعِصْمَتِهِ مُطْلَقًا، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ جَارَ عَلَيْهِ الْخَطَا، وَهُوَ يَعْتَرِفُ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ فِي أَعْوَجَاجًا فَلْيَقُومْهُ)^(٢). وَمِنْ هُنَا اشْتَرَطْنَا عِصْمَةَ الْإِمَامِ؛ لِأَنَّ وَظِيفَةَ الْإِمَامِ تَقْوِيمُ أَعْوَجَاجِ الرَّعِيَّةِ، وَلَيْسَ وَظِيفَةُ الرَّعِيَّةِ تَقْوِيمُ أَعْوَجَاجِ الْإِمَامِ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَ خَلِيفَةَ الرَّسُولِ وَقَائِمَ مَقَامِهِ؛ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا مِثْلَهُ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيِّ.

الْخِلَافُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْإِخْبَارِيِّينَ^(٣)

إِنَّ مَسَائِلَ الْخِلَافِ بَيْنَ الْأُصُولِيِّينَ وَالْإِخْبَارِيِّينَ لَيْسَتْ بِالْأَمْرِ الْيَسِيرِ، وَمِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَأَهْمُهَا، مَسْأَلَةُ التَّقْلِيدِ، الَّتِي أَوْجَبَهَا الْأُصُولِيُّونَ عَلَى مَنْ لَمْ يَبْلُغْ دَرَجَةَ الْجَهْدِ^(٤)، أَوْ الْعَمَلِ بِالِاحْتِيَاظِ، وَمَنَعَ الْإِخْبَارِيُّونَ مَنْ تَقْلِيدِ الْمُجْتَهِدِ وَالزَّمُوا النَّاسَ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْإِمَامِ رَأْسًا وَدُونَ وَاسِطَةِ الْمُجْتَهِدِ، وَالرُّجُوعِ إِلَى الْإِمَامِ مَعْنَاهُ الرُّجُوعُ إِلَى أَخْبَارِهِ، وَهُمْ عَلَى تَرْجِيحِ قَوْلِهِمْ أَخْبَارًا تَمْنَعُ مَنْ أَخَذَ الدِّينَ بِالرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ^(٥)، وَمِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ قَوْلُهُمْ: (إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُصَابُ بِالْعُقُولِ)^(٦)، وَيَقُولُونَ: (إِنْ عَلِمَ الْأُصُولُ لَمْ يَرُدِّ بِهِ

(١) يُنْظَرُ: الْإِرْشَادُ: ٢٥٥-٢٥٧.

(٢) وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْخَضْرِيُّ بَكَ فِي مُحَاضَرَاتِ تَارِيخِ الْأُمَمِ وَالْمُلُوكِ، الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ، دَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ: ٢٤٣، أَنَّ الْقَائِلَ هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ.

(٣) الْخِلَافُ بَيْنَ الْأُصُولِيِّينَ وَالْإِخْبَارِيِّينَ كَبِيرٌ، وَقَدْ عَزَفْتُ عَنْ ذِكْرِ تَفَاصِيلِهِ وَتَوْضِيحَاتِهِ مِرَاعَاءً لِلِاخْتِصَارِ.

(٤) يُنْظَرُ بِتَفْصِيلٍ وَافٍ: كِتَابُ الْمَعْجَمِ الْأُصُولِيِّ: ١/ ٣٢ وَمَا بَعْدَهَا.

(٥) يُنْظَرُ بِتَفْصِيلٍ وَافٍ: كِتَابُ الْمَعْجَمِ الْأُصُولِيِّ: ١/ ٣٥ وَمَا بَعْدَهَا.

(٦) بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ٢/ ٣٠٣، الْحَدِيثُ ٤١، وَتَمَّتْ الْحَدِيثُ: (إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُصَابُ بِالْعُقُولِ النَاقِصَةِ، =

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدِي أَلْ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

نَصُّ عَنْ أُمَّتِنَا^(١)... إلخ.

وَالْحَقُّ الَّذِي لَا غُبَارَ عَلَيْهِ إِنَّ عِلْمَ الْأُصُولِ وَارِدٌ عَنْ أُمَّتِنَا كَمَا اسْتَشْهَدْنَا فِي مَهْجِ
الْبَلَاغَةِ عَلَيْهِ، وَيَكْفِي ذَلِكَ فِي تَفْنِيدِ هَذَا الزَّعْمِ؛ وَأَمَّا فَدْحُهُمْ بِمَسْأَلَةِ الاجْتِهَادِ^(٢) فَغَيْرُ
وَارِدٍ أَيْضًا؛ لَوُرُودِ الْأَخْبَارِ فِي الاجْتِهَادِ، وَشُرُوطِهِ، وَفِي شَرَائِطَ مَنْ يَصْحُحُ تَقْلِيدُهُ وَمَنْ
لَا يَصْحُحُ، وَالْغَرِيبُ إِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ قَوْلًا لَا عَمَلًا؛ فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَحْكَامَ دِينِهِمْ
مِنْ عُلَمَائِهِمْ، وَهُوَ مَعْنَى التَّقْلِيدِ الَّذِي يُنْكِرُونَهُ، وَاسْتِنْبَاطُ عُلَمَائِهِمْ لِمِثْلِكَ الْأَحْكَامِ هُوَ
مَعْنَى الاجْتِهَادِ الَّذِي يَنْفَرُونَ مِنْهُ فَتَبَيَّنَ أَنَّ النِّزَاعَ لَيْسَ سِوَى نِزَاعٍ لَفْظِيٍّ، وَإِنَّ مَنْشَأَ هَذَا
الْوَهْمِ هُوَ التَّسْمِيَةُ اللَّفْظِيَّةُ؛ أَيْ: تَسْمِيَةُ اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ بِلَفْظِ الاجْتِهَادِ؛ فَظَنُّهُ عَمَلًا
بِالرَّأْيِ الْمَحْضِ غَافِلِينَ عَنْ أَنَّ الْأُصُولِيِّينَ يُشَارِكُونَهُمْ فِي تَجَنُّبِ الْعَمَلِ بِالرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ
غَيْرِ مَنْصُوصِ الْعِلَّةِ، وَالْوَاقِعُ إِنَّ الْمُرَادَ مِنْ لَفْظَةِ الاجْتِهَادِ هُوَ الاجْتِهَادُ الْمُتَحَصِّلُ
مِنَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالْإِجْمَاعِ، وَحُكْمِ الْعَقْلِ الْقَطْعِيِّ كَحُكْمِ الْعَقْلِ بِقُبْحِ التَّكْلِيفِ
بِالْمُحَالِ، وَكَحُكْمِهِ بِقُبْحِ الظُّلْمِ، وَحُسْنِ الْعَفْوِ، وَهِيَ مِنْ أَوَّلِيَّاتِ الْأَحْكَامِ الْعَقْلِيَّةِ،
وَمِنْ أَجْلِ تَوَهُمِهِمْ هَذَا لَمْ يَوْجِبُوا الاجْتِهَادَ كَمَا نُوْجِبُهُ نَحْنُ عَيْنًا، أَوْ تَخْيِيرًا.

الْأَدِلَّةُ^(٣)

الْأَدِلَّةُ عِنْدَنَا أَرْبَعَةٌ: الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَالْإِجْمَاعُ، وَحُكْمُ الْعَقْلِ. وَيَقْتَصِرُ
الْإِخْبَارِيُّونَ عَلَى: الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ. وَبَعْضُهُمْ يَقْتَصِرُ عَلَى السُّنَّةِ وَحَدَّاهَا بِنَاءً عَلَى عَدَمِ
تَجْوِيزِ هَذَا الْبَعْضِ الْأَخْذَ بِظَاهِرِ الْكِتَابِ، وَلَكِنِّي لَا أَدْرِي لِمَاذَا يَأْخُذُونَ إِذْنًا؟ بِظَاهِرِ

= وَالْأَرْأَاءُ الْبَاطِلَةُ، وَالْمَقَائِيسُ الْفَاسِدَةُ، وَلَا يَصَابُ إِلَّا بِالتَّسْلِيمِ).

(١) لتبيان آرائهم يُنظر: كتاب الفوائد المدنية للاستزادة.

(٢) يُنظر: الفوائد الطوسية: ٤٢١-٤٢٢.

(٣) يُنظر: في الخلاف بين الأصوليين والإخباريين، كتاب الفوائد الطوسية: ٤٢٠ وما بعدها.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

الرَّوَايَةُ لَا سِيَّمَا وَتَعْلِيلُهُمْ فِي عَدَمِ الْأَخْذِ بِظَاهِرِ الْكِتَابِ هُوَ عَدَمُ اسْتِطَاعَةِ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَتَفَهَّمَ نُصُوصَ الْكِتَابِ، وَهَذَا الْمَحْذُورُ يُوجَدُ أَيْضًا فِي الْأَخْذِ بِظَاهِرِ الرَّوَايَةِ، وَإِذَا اتَّخَذَ السَّبَبُ يَلْزَمُ مِنْهُ اتِّخَاذُ الْمُسَبِّبَاتِ؛ فَالرَّوَايَةُ لَا يَنْفَقُهَا كُلُّ أَحَدٍ، وَلَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ مُمَيِّزٍ يُمَيِّزُ صَحِيحَهَا وَفَاسِدَهَا، وَيَعْرِفُ مُؤَدَّاهَا، وَيَجْمَعُ بَيْنَ مَا ظَاهِرُهُ التَّعَارُضُ بِتَخْرِيجٍ، وَهَذَا هُوَ الْمُجْتَهِدُ.

مِنْ أَمْثَلَةِ الْخِلَافِ

١. الْأُصُولِيُّونَ يُجَوِّزُونَ الْعَمَلَ بِالظَّنِّ فِي نَفْسِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، وَالْأَخْبَارِيُّونَ لَا يُعَوِّلُونَ إِلَّا عَلَى الْعِلْمِ، وَهُوَ فِي نَظَرِهِمْ قَطْعِيٌّ، وَوَاقِعِيٌّ، وَعَادِيٌّ، وَأَصْلِيٌّ؛ وَهُوَ مَا تَوَصَّلَ عَنِ الْمَعْصُومِ ثَابِتًا، وَلَمْ يَجْزِ فِيهِ الْخَطَأُ^(١).

٢. الْأُصُولِيُّونَ يَقُولُونَ بِجَوَازِ وُجُودِ غَيْرِ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَخْبَارِ؛ فَلِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَغَيْرِهِ احْتِاجُوا إِلَى الْمُجْتَهِدِ، وَالْأَخْبَارِيُّونَ يَقُولُونَ فِي صَحَّةِ كَافَةِ أَخْبَارِ الْكُتُبِ الْمُعْتَمَدَةِ، وَيَقُولُونَ إِنَّ جَامِعِيهَا أَتَقْنُوها، وَحَدَفُوا مِنْهَا الضَّعِيفَ وَالْمَوْضُوعَ، وَاتَّبَاعَهُمْ لِهَذَا الْقَوْلِ هُوَ التَّقْلِيدُ بِعَيْنِهِ الَّذِي أَنْكَرُوهُ عَلَى الْأُصُولِيِّينَ^(٢)، كَمَا أَنَّ اعْتِبَارَهُمُ الْقَرَأَيْنِ مُوجِبَةٌ لِلْعِلْمِ بِصَحَّةِ الْخَبَرِ، وَصُدُورِهِ عَنِ الْمَعْصُومِ هُوَ مِنْ مَعَانِي الاجْتِهَادِ؛ وَلِأَجْلِ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّهُ نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ يَجِبُ وَقُوفُكَ عَلَى أَنَّ الْأُصُولِيِّينَ يَمْنَعُونَ عَنِ الْفُتْيَا مَنْ لَمْ يَكُنْ مُجْتَهِدًا، وَيُجَوِّزُهُ الْإِخْبَارِيُّونَ لِمَنْ لَهُ اِطِّلَاعٌ عَلَى الْأَحْكَامِ، وَمُؤَدَّى هَاتَيْنِ الْعِبَارَتَيْنِ وَاحِدٌ؛ فَالاطِّلَاعُ عَلَى الْأَحْكَامِ وَمَعْرِفَتُهَا مِنْ حَيْثُ الصَّحَّةِ، وَالْفَسَادُ هُوَ مَعْنَى الاجْتِهَادُ^(٣).

(١) يُنْظَرُ: مِنْتَهَى الْمَطْلَبِ: ٢٤/٣.

(٢) الْفَوَائِدُ الطُّوسِيَّةُ: ٤٢٧.

(٣) يُنْظَرُ لِلْاِسْتِزَادَةِ: كِتَابُ الرِّسَالَةِ الْأُصُولِيَّةِ لِلْبَهْبَهَائِيِّ: ١٨-٣٢.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدٌ آلُ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

كَمَا أَنَّ الْخِلَافَ بَيْنَنَا فِي نِسْبَةِ الْعِلْمِ لِحَمِيعِ الْأَحْكَامِ إِلَى الْمُجْتَهِدِ نَاشِئٌ عَنِ الْخِلَافِ فِي مَسْأَلَةِ تَجْزِئَةِ الاجْتِهَادِ، أَوْ عَدَمِ تَجْزِئَتِهِ وَالْقَائِلُونَ بِهَا مِنَّا يُوَافِقُونَ الْأَخْبَارِيِّينَ فِيمَا يُخَصُّ اجْتِهَادَ الْمُجْتَهِدِ، وَالْجِهَةُ الثَّانِيَةُ فِيهَا نِزَاعٌ بَيْنَ الْأُصُولِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ، أَعْنِي مَسْأَلَةَ التَّجْزِي، وَعَدَمَ التَّجْزِي^(١).

٣. الْأُصُولِيُّونَ يَعْمَلُونَ بِأَصَالَةِ الْبَرَاءَةِ، وَأَصَالَةِ الْإِبَاحَةِ، وَالْأَخْبَارِيُّونَ يَعْمَلُونَ بِالْإِحْتِيَاظِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

٤. لَا يَقُولُ الْأَخْبَارِيُّونَ بِحُجَّةِ الْإِجْمَاعِ، وَيَرَى الْأُصُولِيُّونَ حُجَّتَهُ^(٢).

وَلَقَدْ تَصَدَّى الْعُلَمَاءُ إِلَى تَفْصِيلِ هَذِهِ الْخِلَافَاتِ فِي مَطَانِنَهَا؛ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهَا مَنْ يُرِيدُ الزِّيَادَةَ فِي الْإِطْلَاعِ^(٣).

الْخَاتَمَةُ عَكْسُ الْبِدَايَةِ

ابْتَدَأَتِ الْحَرَكَةُ الدِّينِيَّةُ بِالنِّظَامِ الشُّورِيِّ عِنْدَ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ؛ فَاخْتَارُوا أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةً، وَبُوعَ يَوْمَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَأَعْلَنَ سَيَاسَتَهُ فِي خُطْبَتِهِ الَّتِي خَاطَبَ بِهَا الْأَنْصَارَ، وَالتَّيَّ وَرَدَ فِيهَا: (نَحْنُ الْأُمَرَاءُ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ لَا تَمْتَازُ دُونَكُمْ بِمَشُورَةٍ، وَلَا نَقْضِي دُونَكُمْ الْأُمُورَ... إلخ)^(٤).

وَكَانَتْ وَصِيَّةُ عُمَرَ مِنْ أَظْهَرِ الصُّوَرِ لِلنِّظَامِ الشُّورِيِّ^(٥) حِينَ جَعَلَهَا فِي سِتَّةِ

(١) يُنظر: مصابيح الظلام في شرح مفاتيح الشرائع، البهبهاني: ٢٩/١ وما بعدها.

(٢) يُنظر: رياض المسائل: ١٠٣/١ وما بعدها.

(٣) يُنظر: رياض المسائل: ١٠٣/١ المقدمة بعنوان (الحركة الإخبارية نبذة عن التاريخ السياسي للحركة)، و ١٠٥ (محاوِر الخلاف بين المدرستين)، وغيرها من العناوانات.

(٤) انظر ما أورده ابن أبي الحديد المعتزلي في: شرح النهج: ٨/٦.

(٥) يُنظر: تاريخ العرب السياسي، زكار ييضمون: ٣٨. ويعترف الدكتور ضياء الدين الرئيس في=

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَدْ اسْتَمَرَّتِ الْحُكُومَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ شُورِيَّةً مَعَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ فِي الْأَصْلِ مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى مَا يَنْزِلُ بِهِ الْوَحْيُ السَّمَائِيُّ: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١)، وَلَكِنَّ نَتِيجَةَ الْأَخْذِ بِهَذَا النِّظَامِ الشُّورِيِّ لَمْ تَكُنْ مُوَافِقَةً لِهَذَا النِّظَامِ؛ بَلْ مُعَاكِسَةً لَهُ حَيْثُ انْتَهَى إِلَى نِظَامٍ (بِيرُوقْرَاطِيٍّ) شَدِيدِ التَّطَرُّفِ وَضَعَ الزَّعَامَةَ الدِّيْنِيَّةَ فِي صَنْدُوقٍ مِنْ حَدِيدٍ؛ وَأَلْقَى مَفَاتِيحَهُ بِأَيْدِي أَرْبَعَةٍ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ هُمْ الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ، وَمَا كَانَ مَسْمُوحًا لِغَيْرِهِ بِتَوَلِّي هَذِهِ الزَّعَامَةَ، وَلَوْ كَانَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ، وَأَفْقَهُ بِوَاسِطَةِ مَنْعِ اجْتِهَادِ الْمُجْتَهِدِينَ الْآخَرِينَ [عَلَى] الرُّغْمِ [مِنْ] أَنَّ التَّشْرِيعَ الْإِسْلَامِيَّ وَنُصُوصَهُ الصَّحِيحَةَ تَسْتَدْعِي فَتْحَ بَابِ الاجْتِهَادِ؛ لِكَوْنِ الْإِسْلَامِ نِظَامًا لَا يَخْتَصُّ فِي زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ؛ فَمَا يَرَاهُ أَبُو حَنِيفَةَ مَثَلًا صَالِحًا حَسَبَ مُقْتَضَيَاتِ عَصْرِه لَا يَكُونُ صَالِحًا فِي زَمَنِ آخَرَ، وَهَذَا يَقْتَضِي وُجُودَ فِقْهِهِ مُجْتَهِدٍ يَقْضِي بِمَا يَتَلَاءَمُ وَتَطَوُّرَاتِ الزَّمَنِ وَجُزْئِيَّاتِ الْمَسَائِلِ؛ بِحَيْثُ لَا يَجْرُجُ فِي اجْتِهَادِهِ عَنِ الدَّائِرَةِ الَّتِي رَسَمَتْهَا الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَهَذَا الْاجْتِهَادُ^(٢) هُوَ الْقَاسِمُ الْمُشْتَرَكُ الْأَعْظَمُ لِلْمَصَالِحِ الْمُتَبَايِنَةِ فِي الْعُصُورِ وَالْأُمَمِ الْمُتَبَايِنَةِ؛ فَحَصَرُ التَّقْلِيدِ بِالْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ مُخَالِفٌ فِي جَوْهَرِهِ لِلنِّظَامِ الشُّورِيِّ الَّذِي ابْتَدَأَتْ بِهِ الْحُكُومَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ حَسَبَ عَقِيدَةِ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ، وَهَكَذَا ابْتَدَأَ النِّظَامُ شُورِيًّا، وَانْتَهَى بِبِيرُوقْرَاطِيَّا ضَيَّقَ مَسَاحَةَ الْحُرِّيَّةِ، وَالْإِنْطِلَاقِ.

أَمَّا نِظَامُ الزَّعَامَةِ الدِّيْنِيَّةِ عِنْدَ الشَّيْعَةِ فَمُعَاكِسٌ تَمَامًا لِلنِّظَامِ السُّنِّيِّ حَيْثُ ابْتَدَأَ بِمَا يُشْبِهُ النِّظَامَ (الْبِيرُوقْرَاطِيَّ)؛ وَذَلِكَ بِحَصْرِ الشَّيْعَةِ لِلْإِئِمَّةِ بِاثْنَيْ عَشَرَ إِمَامًا لَا تَجُوزُ مُخَالَفَتُهُمْ حَتَّى كَانَتْ الْعَيْبَةُ الْكُبْرَى لِلْحُجَّةِ الْمُهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَنْحَ حَقِّ اخْتِيَارِ الزَّعِيمِ الدِّيْنِيِّ، لِلْأُمَّةِ

= كتابه (النظريات السياسية الإسلامية) بأن الخلافة بالصورة التي انتهى إليها نظام الشورى لم

يكن أساسها الأحاديث، وإنما إجماع الصحابة على حد زعمه: ١٠٦.

(١) الحشر: ٧.

(٢) في المطبوع: (الاجتهاد).

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدٌ آلُ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

نَفْسِهَا وَفَقَ شُرُوطُ مُعَيَّنَةٍ^(١)، وَبِذَلِكَ اسْتَفَادَتْ فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ مِنْ شُعُورِهَا بِوُجُودِهَا فَتَعَلَّمَتْ تَحْمَلَ مَسْئُولِيَّةَ الْبَحْثِ وَالْاخْتِيَارِ، وَانْفَتَحَتْ لَهَا بَابُ الْمُنَافَسَةِ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى كَانَ لِلْفَرْدِ حَقُّ رَفْضِ الزَّعِيمِ، وَالْعُدُولِ عَنْ تَقْلِيدِهِ إِلَى زَعِيمٍ آخَرَ يُعْتَقَدُ أَنَّهُ أَكْثَرُ عَدَالَةً وَعِلْمًا، وَلَمْ تَكُنْ لِهَذِهِ الزَّعَامَةِ أَبَوَاقُ لِلدَّعَايَةِ، وَالتَّهْرِيجِ، وَلَا رِشَوَاتٍ، وَلَا حَفَلَاتٍ، وَلَا نَفَقَاتٍ؛ بَلْ تَتِمُّ فِي غَايَةِ الْبَسَاطَةِ، وَمُنْتَهَى السُّهُولَةِ وَذَلِكَ حِينَ يَبْرُزُ مَنْ تَتَوَقَّرُ فِيهِ شُرُوطُ الْكِفَاءَةِ بَيْنَ أَخْدَانِهِ كَمَا يَبْرُزُ الْبَدْرُ بَيْنَ النُّجُومِ، وَمِثْلُ هَذِهِ الزَّعَامَةِ هِيَ أَرْقَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْفِكْرُ فِي النِّظَامِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ وَالْحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ الْمُلَائِمِينَ لِطَبِيعَةِ الْحَيَاةِ الرَّاقِيَةِ.

وَقَدْ عَرَفَتْ مِمَّا مَضَى كَيْفَ ابْتَدَأَتْ، وَكَيْفَ انْتَهَتْ الزَّعَامَةُ الدِّينِيَّةُ حَسَبَ الرَّأْيِ السُّنِّيِّ شُورِيَّةٍ دِيمُقْرَاطِيَّةٍ، وَكَيْفَ انْتَهَتْ إِلَى بِيْرُوقْرَاطِيَّةٍ، وَكَيْفَ ابْتَدَأَتْ الزَّعَامَةُ الشَّيْعِيَّةُ بِمَا يُشَبِّهُ الْبِيْرُوقْرَاطِيَّةَ، وَكَيْفَ انْتَهَتْ إِلَى مَا يُشَبِّهُ الشُّورَى؛ فَكَلَا الْمَذْهَبَيْنِ لَمْ يَقْطَعْ الطَّرِيقَ الَّذِي بَدَأَ السَّيْرُ مِنْهُ؛ وَإِنَّمَا خَالَفَهُ وَهُوَ فِي مُتَنَصِّفِ الطَّرِيقِ وَسَلَكَ مَسْلَكًا يُنَاقِضُ الْمَسْلَكَ الْأَوَّلَ، وَيَعَاكِسُهُ فِي جَوْهَرِهِ وَمَادَّتِهِ، فَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ مِنْ نُقْطَةٍ لِلِالْتِقَاءِ فَهِيَ نَظَرُتُهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ إِنَّهُ دِينٌ وَدَوْلَةٌ؛ وَذَلِكَ لَا يَشْكُ بِهِ مَنْ يَنْظُرُ [لِلْإِسْلَامِ بِعَيْنِ الْوَاقِعِ وَشَوَاهِدُهُ كَثِيرَةٌ كِمَعَالِجَةِ الْإِسْلَامِ الْقَضَايَا الدِّينِيَّةِ، وَالدُّنْيَوِيَّةِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ فَلَمْ يَكُنْ رُوحِيًّا بَحْثًا كَالْمَسِيحِيَّةِ، وَلَا مَادِّيًّا بَحْثًا كَالْيَهُودِيَّةِ؛ وَلَكِنَّهُ سَلَكَ مَسْلَكًا وَسَطًا يَنْتَهِي بِسَالِكِهِ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

مُنَاقَشَةٌ

صَرَّحَ الْأُسْتَاذُ الْجَلِيلُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ^(٢) رَئِيسُ الْأَزْهَرِ فِي كِتَابِهِ (الْإِسْلَامُ وَأُصُولُ

(١) إشارة إلى الرواية المقدسة: (من كان مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه).

(٢) الشيخ علي حسن أحمد عبد الرزاق، ولد ١٣٠٥ هـ، وتوفي ١٣٨٦ هـ، وكتابه هذا أصدره =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

الْحُكْمُ): «إِنَّ الْإِسْلَامَ دِينٌ لَا دَوْلَةَ»، وَهَذَا خِلَافُ الْوَاقِعِ^(١) وَإِنِّي لَمُسْتَعْرِبٌ جِدًّا أَنْ يَصْدُرَ مِثْلُ هَذَا الرَّأْيِ عَنْ عَالِمٍ كَبِيرٍ يَتَوَلَّى زَعَامَةَ جَامِعَةٍ دِينِيَّةٍ كَبِيرَةٍ؛ فَالْإِسْلَامُ دِينٌ؛ لِأَنَّهُ يُعَلِّمُ النَّاسَ طَرِيقَ عِبَادَةِ الْخَالِقِ، وَالْإِسْلَامُ دَوْلَةٌ بِمَا سَنَّهُ مِنْ نُظُمِ الدَّوْلَةِ، وَمَقُومَاتِهَا كِنِظَامِ الْجَبَايَةِ، وَالْخَرَاجِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَالِيَّةِ، وَكِنِظَامِ الْجِهَادِ فِي الْإِسْلَامِ، وَمُعَامَلَةِ الْأَسْرَى مِنَ النَّاحِيَةِ الْحَرْبِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَأَمْرُهُ بِالصَّحَّةِ الْعَامَّةِ مِنْ طَرِيقِ النِّظَافَةِ؛ وَكَوْنُهَا مِنَ الْإِيمَانِ وَسَائِرِ نُظُمِهِ الْعُمُرَانِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ، وَقَوَاعِدِ الْمُرَافَعَاتِ وَتَشْرِيعِ الْحُقُوقِ وَمُعَاوَنَةِ الْمُعْوِزِينَ، وَالْعَاطِلِينَ، وَنَصْبِ الْجُسُورِ، وَحَفْرِ التَّرْعِ، وَالْأَنْهَارِ، وَتَعْيِيدِ الطَّرِيقِ، وَكُلِّ نَوَاحِي الْحَيَاةِ.

وَقَدْ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ خُصُومُ الْإِسْلَامِ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ (الْإِسْلَامُ فِي نَظَرِ الْغَرْبِ) عَنْ وَزَارَةِ الْخَارِجِيَّةِ، وَأَشْنُطُنْ، بِقَلَمِ فِيلِبِّ وَايْرَلَنْد، قَالَ: «وَمِنَ الصَّرُورِيِّ عِنْدَ بَحْثِ مَوْقِفِ الْإِسْلَامِ إِزَاءَ أَيِّ رَأْيٍ سِيَاسِيٍّ، مَعْرِفَةُ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي وَضَعَهُ مُحَمَّدٌ، وَرَضِي بِهِ أَتْبَاعُهُ، لَا مِنْ حَيْثُ هُوَ دِينٌ فَحَسَبُ، بَلْ مِنْ حَيْثُ هُوَ كِيَانٌ اجْتِمَاعِيٌّ سِيَاسِيٌّ وَضَعَ نَمَطًا لِحَيَاةِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الدِّينِيَّةِ، وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالسِّيَاسِيَّةِ»^(٢).

وَمَا ذَكَرْنَاهُ يَكْفِي لِنَفْنِيدِ رَأْيِ الْأُسْتَاذِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَ هَذَيْنِ الشَّقَّيْنِ: «وَلَايَةُ الرَّسُولِ عَلَى قَوْمِهِ وَلَايَةٌ رُوحِيَّةٌ مَنَشُوهَا إِيْمَانُ الْقَلْبِ وَخُضُوعُهُ خُضُوعًا صَادِقًا

=سنة ١٩٢٥م، وقد تراجع الشيخ عليّ عبد الرزاق عن رأيه في آخر أيامه كما يقول الإمام محمد الغزالي. يُنظر: الحقُّ المَرَّ لمحمد الغزالي: ١٨/٣.

(١) يقول محمد بيومي مهران في توصيفه، الإمامة وأهل البيت: ٤٣/١ «وكانت الفكرة الجوهرية في الكتاب- بل الخطيرة- هي دعوى الشيخ عليّ عبد الرزاق أن الإسلام دين لا دولة، ورسالة روحية، لا علاقة لها بالحكومة والسياسة الدنيوية، وعمار الكون، وتنظيم المجتمعات، وأن نبي الإسلام- محمدًا ﷺ- لم يؤسس دولة، ولم يرأس حكومة، ولم ييسس مجتمعًا، ولم يدعُ إلى شيء من ذلك، بل كان رسولاً فقط، ما عليه إلا البلاغ».

(٢) الإسلام في نظر الغرب: ١٢٧.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدٍ إِلَى كَيْسَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

تَامًا يَتَّبِعُهُ خُضُوعُ الْجِسْمِ».

«وَلَايَةُ الْحَاكِمِ وَلَايَةٌ مَادِّيَّةٌ تَعْتَمِدُ إِخْضَاعَ الْجِسْمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهَا بِالْقَلْبِ اتِّصَالٌ».

«تِلْكَ وَلَايَةٌ هِدَايَةٍ إِلَى اللَّهِ، وَإِرْشَادٍ إِلَيْهِ، وَهَذِهِ وَلَايَةٌ تَدْبِيرٍ لِمَصَالِحِ الْحَيَاةِ، وَعِمَارَةِ الْأَرْضِ، تِلْكَ الدِّينُ وَهَذِهِ الدُّنْيَا».. إلخ.

ثُمَّ جَاءَ حُكْمُ الشَّيْخِ غَيْرِ حَكِيمٍ بَعْدَ هَذِهِ الْمُقَارَنَةِ؛ فَقَالَ: «وَمَا أَبْعَدَ بَيْنَ السِّيَاسَةِ وَالدِّينِ»^(٣)؛ وَلَكِنَّا لَا نُوَافِقُ سَمَاحَتَهُ؛ فَلَيْسَ كُلُّ عَمَلٍ دُنْيَوِيٍّ يَكُونُ مُجَرَّدًا عَنْ عُنْصِرِ الدِّينِ؛ فَطَلَبُ الْكَسْبِ الْحَلَالِ أَمْرٌ دُنْيَوِيٌّ مَعَاشِيٌّ وَلَكِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْوَاجِبَاتِ وَأَقْرَبِ الْقُرْبَاتِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ تُوَصِّلُنَا إِلَيْهِ تَعَالَى فِإِطَاعَةُ أَمْرِهِ بِالْعَمَلِ وَالْكَسْبِ الْمَشْرُوعِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٤).

إِنَّ هَذِهِ الطَّاعَةَ تُقَرِّبُنَا مِنْهُ، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: «إِنَّ وَلَايَةَ الْحَاكِمِ مَادِّيَّةٌ تَعْتَمِدُ إِخْضَاعَ الْجِسْمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهَا بِالْقَلْبِ اتِّصَالٌ»^(٥)... إلخ.

هَذَا الْقَوْلُ يَحْتَاجُ إِلَى تَأْمُلٍ؛ فَإِنَّ بَعْضَ وَلَايَاتِ الْحُكَّامِ تَكُونُ مُوَافَقَةً لِهَوَى الرِّعِيَّةِ؛ وَمَعْنَى ذَلِكَ إِنَّهَا تَتَّصِلُ بِالْقَلْبِ؛ لِأَنَّ الْهَوَى وَالرِّضَا مِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ لَا مِنْ أَعْمَالِ الْجِسْمِ، وَلَوْ أَنَّ الْمُسِيحِيَّةَ قَالَتْ هَذَا الْقَوْلُ لَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْهَا أَيُّ اعْتِرَاضٍ؛ لِأَنَّهَا رُوحِيَّةٌ خَالِصَةٌ؛ وَبِسَبَبِ رُوحِيَّتِهَا الْمُتَطَرِّفَةِ نَشَأَتْ فِكْرَةٌ فَضَّلَ الدِّينَ عَنِ السِّيَاسَةِ فِي الْمَالِكِ الْأَوْرَبِيِّ الْمُسِيحِيَّةِ وَقَلَّدَتْهَا بَعْضُ الْحُكُومَاتِ الشَّرْقِيَّةِ فَفَصَلَتْ الدِّينَ عَنِ السِّيَاسَةِ؛ لِمُجَرَّدِ

(٣) يُنْظَرُ: الْإِسْلَامُ وَأَصُولُ الْحُكْمِ: ٤٥، ٥٦، ٦٣.

(٤) الْمَلِكُ: ١٥.

(٥) يُنْظَرُ: الْأَسْلَامُ وَأَصُولُ الْحُكْمِ: ٧٢، ٦٧، ٧٥.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْخِلَافَةِ

التَّطَرُّفُ بِالتَّغْلِيدِ الْأَعْمَى وَلِدَوَافِعِ شُعُوبِيَّةٍ حَقِيرَةٍ بَعْدَ أَنْ مَهَّدَتْ لَهُذِهِ الْفِكْرَةَ بِإِعْلَانِ
إِلْحَادِهَا وَتَنَكُّرِهَا إِلَى الْإِسْلَامِ [عَلَى الرَّغْمِ] [مِنْ] تَمَسُّكِ شُعُوبِهَا بِالْإِسْلَامِ^(١).

وَبَقِيَ الْإِسْلَامُ كَالْجَبَلِ الْأَشْمِّ لَمْ يَعْصِبْ بِهِذِهِ الْعَوَاصِفِ الَّتِي لَا بُدَّ أَنْ تَتَلَشَّى وَيَذْهَبَ
مَعَهَا ذَلِكَ؛ فَلِلْإِسْلَامِ شَخْصِيَّتُهُ الْقَوِيَّةُ فَلَنْ تَقْوَى عَوَامِلُ الْهَدْمِ وَالتَّخْرِيبِ، وَمَعَاوِلُ
التَّفْسُخِ مِنْ اقْتِلَاعِ أُسُسِهِ الْمُتَيْنَةِ، وَقَطْعِ جُذُورِهِ الْمُتَمَدِّدَةِ إِلَى أَعْمَاقِ نُفُوسِنَا وَضَمَائِرِنَا،
وَعُقُولِنَا، وَلَنْ تَقْوَى آيَةُ سُلْطَةٍ مَهْمَا كَانَ شَأْنُهَا عَلَى تَجَزُّئَةِ سُلْطَةِ الْإِسْلَامِ، وَسَيَبْقَى
الْإِسْلَامُ مُحَلِّقًا بِجَنَاحَيْهِ (الْمَادِيِّ وَالرُّوحِيِّ) فِي سَمَاءِ الْعِزِّ وَالرَّفْعَةِ، وَالْخُلْدِ حَتَّى يُظْهِرَهُ
اللَّهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

إِنَّ سُلْطَتِي الْإِسْلَامِ (الْمَادِيَّةَ وَالرُّوحِيَّةَ) مَرَّجَعُهُمَا وَاحِدٌ؛ وَهُوَ الْإِسْلَامُ بِمَفْهُومِهِ
الْعَامِّ، أَعْنِي نَظَرَتُهُ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، وَإِذَا كَانَتْ عَوَامِلُ الْفُضْلِ بَيْنَ هَاتَيْنِ
السُّلْطَتَيْنِ وَقَدْ فَشِلَتْ حَتَّى فِي الشُّعُوبِ الْمَسِيحِيَّةِ الَّتِي تَتَقَبَّلُ دِيَانَتَهَا دَوْلَةً رَسْمِيَّةً، لَهَا
شَخْصِيَّتُهَا الدَّوْلِيَّةُ؛ فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يُكْتَبَ لَهُذِهِ الْفِكْرَةُ الْإِنْهَزَامِيَّةُ النَّجَاحُ فِي شُعُوبٍ
تُدِينُ بِالْإِسْلَامِ؟.

وَقَدْ جَرَّبَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْأَدْوَارِ الثَّلَاثَةِ صِلَاحِيَّةَ الْإِسْلَامِ لِمُعَاجَلَةِ شُؤُونِ
الْمَجْمُوعَةِ الْبَشَرِيَّةِ كَدِينٍ وَدَوْلَةٍ حَتَّى بَلَغَتْ الْأُمَّةُ فِي عَهْدِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأُمُومِينَ،
وَالْعَبَّاسِيِّينَ شَأْوًا بَعِيدًا مِنَ الرُّقِيِّ وَالتَّقَدُّمِ؛ وَوَضَعُوا لِلْمَدَنِيَّةِ الزَّاهِرَةِ أُسُسًا مَتِينَةً
صَمَدَتْ أَمَامَ التَّيَّارَاتِ الْفِكْرِيَّةِ الْمُعَاكِسَةِ وَاسْتَطَاعَ الْإِسْلَامُ بِقُوَّتِهِ الْإِلَهِيَّةِ الْعَجِيبَةِ أَنْ
يَسْتَأْصِلَ مَا بِالْأَنْفُسِ مِنْ جُذُورِ الْوَرَاثَاتِ الرَّدِيئَةِ فَصَفَّاهَا مِنْ دَرَنِ التَّرَبِّيَةِ الْجَاهِلِيَّةِ
السَّيِّئَةِ فَكَانَ تَجْرِبَةً نَاجِحَةً فِي إِنْقَازِ النَّاسِ مِنْ أَثَرِ الْوَسْطِ السَّيِّئِ وَالتَّدهُورِ الْخُلُقِيِّ،

(١) يُنْظَرُ: الْجُزْءُ الْخَاصُ بِ(الْمَسِيحِيَّةِ) مِنْ كِتَابِ قِصَّةِ الْحِصَارَةِ لِلْكَاتِبِ (وَلِ دِيُورَانْتِ). فِيهِ كَلَامٌ
وَافٍ عَنِ الْمَسِيحِيَّةِ وَالنَّزْعَةِ الرُّوحِيَّةِ الْمُبَالِغِ فِيهَا.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُكَ الْكَامِلُ الدِّينَ الْحُسَيْنِيَّ

وَالاجْتِمَاعِيَّ، وَالسِّيَاسِيَّ، وَالاِقْتِصَادِيَّ؛ فَتَالَ الْإِعْجَابَ وَالاحْتِرَامَ حَتَّى مِنْ أَعْظَمِ مُحَالَفِيهِ عِنَادًا وَحَقْدًا.

أَمَّا مَا تَرَاهُ الْيَوْمَ مَعَ الْأَسَفِ مِنْ بَعْضِ الْمَآخِذِ فَهُوَ نَتِيجَةُ تَفَاعُلَاتِ تَارِيخِيَّةٍ طَوِيلَةٍ كَانَتْ مَبْدُوهَا تَسَاهُلُ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِ الدِّينِ، وَانْحِرَافُهُمْ عَنْ جَادَتِهِ الْمُسْتَقِيمَةِ حَتَّى وَصَلَ الْمُرُوقُ بِهَوْلَاءِ إِلَى انْقِطَاعِ صِلَتِهِمْ بِالْإِسْلَامِ أَوْ إِلَى وَشَكِ الْانْقِطَاعِ كَمَا قُلْتُ:

بِإِسْلَامِهِ مَا لَهُ مِنْ صِلَاتٍ وَبِالرُّغْمِ مِنْهُ إِلَيْهِ انْتَمَى
تَفَضَّلَ يَوْمًا مُدِيرُ النُّفُوسِ عَلَيْهِ فَسَجَّلَهُ مُسْلِمًا
وَانْجِلَالُ الْأَخْلَاقِ بِهَذَا الشَّكْلِ حَصِيلَةُ الْجُهُودِ الْاسْتِعْمَارِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ، أَوِ الْغَرِبِيَّةِ؛ فَكُلُّ أُمَّةٍ ابْتَلَاهَا اللَّهُ بِالْاسْتِعْمَارِ تَسَوَّءَ أَخْلَاقُهَا وَتَضَعُفُ رَابِطَتُهَا الدِّينِيَّةُ، وَأُمْتُنَا مِنْ بَعْضِ هَذِهِ الْأُمَمِ كَوَاهَا الْاسْتِعْمَارُ بِنَارِهِ، وَأَفْقَدَهَا الْكَثِيرَ مِثْلَهَا الْعُلْيَا وَأَعْجَادَهَا، وَقَدْ أَوْهَمَهَا الْمُسْتَعْمَرُونَ أَنَّ ذَلِكَ الْمُرُوقَ ظَاهِرَةٌ مِنْ ظَوَاهِرِ التَّمَدُّنِ وَالرُّقْيَى، وَالْوَعْيِ الصَّحِيحِ، وَإِنَّ الدِّينَ حَبْرٌ عَثَرَةٌ وَأَفْيُونُ الشُّعُوبِ^(١)؛ فَكَانَتْ نَتِيجَةُ تَفَاعُلِ هَذِهِ الْأَوْهَامِ، وَالْإِسْلَامِ ظُهُورَ اضْطِرَابٍ فِكْرِيٍّ لَا يُسَرُّ بِخَيْرٍ؛ فَاتَّجَاهُ نَحْوَ تَقَبُّلِ الْقِيَمِ الْغَرِبِيَّةِ، وَالْانْفِصَالِ التَّامِّ عَنْ مَاضِينَا الْمَجِيدِ، وَاتَّجَاهُ آخَرُ نَحْوَ تَقَبُّلِ الْفُوضَى الشُّيُوعِيَّةِ، وَهُوَ مُعَاكِسٌ لِلاتَّجَاهِ الْأَوَّلِ إِلَّا فِي قِطْعٍ صِلَتِنَا بِالْمَاضِي؛ حَيْثُ يَلْتَقِي كِلَا الْاتَّجَاهَيْنِ فِي هَذِهِ النُّقْطَةِ وَهُنَاكَ اتَّجَاهٌ مُحَافِظٌ سَلِيمٌ يَدْعُو إِلَى التَّمَسُّكِ بِأَهْدَابِ الْمَاضِي بَعْدَ تَخْلِيصِهِ مِنَ الشَّوَائِبِ الَّتِي شَانَتْهُ نَتِيجَةُ لِعَوَامِلَ كَثِيرَةٍ لَيْسَ هُنَا مَجَالُ الْإِفَاضَةِ فِيهَا، وَاتَّجَاهُ آخَرُ لَا إِلَى هَوْلَاءِ، وَلَا إِلَى هَوْلَاءِ

(١) هذه المقولة منسوبة لكارل ماركس، وبعضهم إلى لينين، والحقيقة كلاهما ذكرها واتفق عليها. يُنظر: كارل ماركس، هنري لوفافر، ترجمة: محمد عيتاني: ١٦. ويُنظر: الدستور السوفيتي:

۱۲۸

السَّيِّدُ الْهَادِي حَمْدًا لَكَ يَا كَمَالُ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

تَلَكُّوْهُ، وَلَا مُحَابَاةَ؛ وَبِهَذَا وَحْدَهُ سَيَعُوْدُ الْإِسْلَامُ إِلَى صِفَائِهِ، وَجَاذِبَتِهِ، وَسَيَأْخُذُ سَبِيلَهُ إِلَى النَّفْسِ؛ لِيُعْذِّبَهَا بِالْإِيمَانِ، وَإِلَى الْعُقُولِ فَيُعْذِّبَهَا بِالْمَعْرِفَةِ، وَإِلَى الْقُلُوبِ فَيُعْذِّبَهَا بِالْوَجْدَانِ حَتَّى تُصْبِحَ هَذِهِ الْأُمَّةُ الضَّعِيفَةُ الْمُتَهَرِّثَةُ، الْمُتَفَكِّكَةُ، أُمَّةٌ ذَاتُ كِيَانٍ مُتَمَازٍ، وَشَخْصِيَّةٍ جَلِيلَةٍ وَيَعُوْدُ نُورُ الْإِسْلَامِ الْوَضَاءُ بِنُورِهِ الْهَادِي فَيَمْلَأُ النَّفْسَ الْحَالِكَةَ وَالْعُقُولَ الْمُظْلَمَةَ بِأَسْعَةِ الْإِيمَانِ، وَنُورِ الْحَقِّ، وَلِسَانِ حَالِهَا: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (١).

حُبُّ الْإِسْتِقْلَالِ، وَالْإِدْرَاكِ السِّيَاسِيِّ

تَقُولُ دَهَاقَةُ السِّيَاسَةِ: إِنَّ حُبَّ الْإِسْتِقْلَالِ يَسْبِقُ الْإِدْرَاكَ السِّيَاسِيَّ، وَالْحَقِيقَةُ عَلَى نَقِيضِ ذَلِكَ، فَلَيْسَ بِإِمْكَانٍ هَذَا الْحُبُّ أَنْ يَنْبُتَ وَيَعِيشَ طَوِيلًا فِي النَّفْسِ قَبْلَ مَعْرِفَتِهَا نَتَائِجَ ذَلِكَ الْإِسْتِقْلَالِ، وَعَوَامِلِهِ، وَطُرُقِ كَسْبِهِ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْإِدْرَاكِ السِّيَاسِيِّ؛ [الذي] يَحِبُّ أَنْ يَسْبِقَ حُبَّ الْإِسْتِقْلَالِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ الْحُبِّ، وَالسَّبَبُ يَحِبُّ تَقْدِيمُهُ عَلَى الْمُسَبَّبَاتِ بِالْبَدَاهَةِ، وَيُمْكِنُ اطِّرَادُ هَذَا الْإِدْرَاكِ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ مِنْ قَضَايَا الْمُجْتَمَعِ؛ فَالْتَّنْظِيمُ الدِّينِيُّ مَثَلًا لَمَّا كَانَ سَبَبًا لِدَعْمِ كِيَانِ الدِّينِ، وَجَبَ أَنْ تَتَبَّعَهُ وَنَعْرِفَ كُنْهَهُ، وَغَايَتَهُ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ حُبُّ هَذَا التَّنْظِيمِ، وَالسَّعْيُ الْحَثِيثُ لَتَحْقِيقِهِ، وَنَحْنُ إِذَا فَكَّرْنَا جَدِّيًا فِي هَذَا التَّنْظِيمِ رَأَيْنَا نَتَائِجَهُ الْبَاهِرَةَ، وَآثَارَهُ الرَّائِعَةَ فِي حَيَاتِنَا الْعَمَلِيَّةِ، وَنَجِدُ بَذُورَ تِلْكَ الْفَوَائِدِ تَنْمُو لِتُؤْتِيَ ثَمَارَهَا الطَّيِّبَةَ، وَإِلَّا فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ نَنْقُبَ السَّفِينَةَ، وَنَرْتَقِبَ نَجَاتَهَا مِنَ الْغَرَقِ.

وَإِنَّ إِدْرَاكَنَا السِّيَاسِيَّ يَحِبُّ أَنْ لَا يَخْرُجَ عَنْ دَائِرَتِهِ الْإِصْلَاحُ الدِّينِيُّ كَوَسِيلَةٍ إِلَى إِصْلَاحِ الْمُجْتَمَعِ؛ فَالْدِّينُ وَالسِّيَاسَةُ لَا يَتَعَارَضَانِ؛ بَلِ الدِّينُ هُوَ السِّيَاسَةُ

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحِلْيَةِ

الْحُكْمِيَّةُ^(١)، سِيَاسَةُ النَّفْسِ وَتَرْوِيضُهَا عَلَى قَبُولِ الطَّاعَةِ، وَسِيَاسَةُ الْمُجْتَمَعِ وَتَوْجِيهُهُ إِلَى مَا فِيهِ سَلَامَتُهُ وَخَيْرُهُ، وَمَتَى كَانَ إِدْرَاكُنَا السِّيَاسِيَّ سَلِيمًا؛ فَإِنَّا نَجِدُ حِينَذَلِكَ مِنَ الدِّينِ نَاصِرًا، وَمُرْشِدًا إِلَى الْكَمَالِ، وَحَائِلًا دُونَ الْحَرَكَاتِ الْهَدَامَةِ ضِدَّ مُجْتَمَعِنَا؛ فَيَعُدُّهَا بِمَرَارَةِ الْحَيَّةِ، وَالْفَسْلِ الذَّرِيعِ.

الإِجَازَةُ

الإِجَازَةُ نَوْعَانِ: إِجَازَةٌ بِالْحُكْمِ، وَيُشْتَرَطُ فِيهَا الِاجْتِهَادُ، وَإِجَازَةٌ رِوَايَةً، كِإِجَازَةِ الْأَدِيبِ مُحَمَّدٍ عَلِيِّ الْيَعْقُوبِيِّ^(٢)؛ وَمَعْنَاهَا جَوَازُ نَقْلِ الرِّوَايَةِ عَنِ الْمُجَازِ؛ وَمِثْلُ هَذِهِ الإِجَازَةُ لَيْسَتْ بِالْأَمْرِ الْمُهْمِّ، وَيَجُوزُ إِعْطَاؤُهَا لِلْعَامِّيِّ الْحَافِظِ عِنْدَ الْاطْمِئْنَانِ^(٣).

كِتَابُ نَشْرِ الْخُزَامِيِّ

عَثَرْنَا عَلَى كِتَابٍ (نَشْرُ الْخُزَامِيِّ فِي تَرَاجِمِ أَصْحَابِنَا الْقُدَامَى)^(٤) لِلْعَلَامَةِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ جَدِّنَا الْفَاضِلِ السَّيِّدِ فَاضِلِ السَّيِّدِ حَمْدَتَهُ، وَقَدْ قَدَّمَ لَهُ مُقَدِّمَةً نَفِيسَةً فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، وَخَتَمَهُ فِي شَرْحِهِ لِلْبَابِ الْحَادِي عَشَرَ لِلْعَلَامَةِ الْحَلِيِّ - أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ - فِي نَفْسِ الْمَوْضُوعِ، وَالْكِتَابُ مَعَ الْأَسْفِ قَدْ أَتْلَفَتْهُ الْأَرْضُ فَلَمْ تَتَسَلَّسَلْ أَوْرَاقُهُ؛ وَقَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُهَا؛ وَبَيَّنَّ الْأَوْرَاقِ السَّالِمَةِ مِنَ الْعَثِّ، وَالضِّيَاعِ وَرَقَةً مَرَقَمَةً بِعَدَدِ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ،

(١) في الأصل: (الحِكْمِيَّة).

(٢) العجب من السيّد المؤلّف أنّه حَصَرَ مِثَالِ الإِجَازَةِ بِإِجَازَةِ الشَّيْخِ الْيَعْقُوبِيِّ، وَإِلَّا لِلْإِمَامِيَّةِ إِجَازَاتٌ رِوَايَةً لَا حَصَرَ لَهَا فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ. (أحمد الحَلِيِّ).

(٣) في هذين النوعين يُنظر: نهاية الدراية: ٤٥٢ وما بعدها، رسائل في دراية الحديث: ١/ ٢٥٠، الكفاية في علم الرواية: ٣٦٣، مقدّمة ابن الصلاح في علوم الحديث: ١٠٦.

(٤) يُنظر: الذريعة: ١٥٨/ ٢٤. النشر: الرائحة الطيبة. الخزامى: نبات زكي الرائحة، وهي زهرة أطيب الأزهار نفحة. خزانة الأدب: ١٨٣/ ٢.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدٌ أَلْ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

وَلَيْسَتْ هِيَ الصَّفْحَةُ الْأَخِيرَةُ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَوْرَاقِ مَا تَلَفَ بَعْضُهُ وَسَلِمَ الْبَعْضُ الْآخَرُ؛ فَفَقِدَ الْإِزْتِبَاطُ وَلَوْ سَاعَدَنَا الْحُظُّ بِالْكِتَابِ كَامِلًا لَا سَتَجْلِينَا مِنْهُ صَفَحَاتٍ مُشْرِقَةً مِنْ تَارِيخِ الْحِلَّةِ الْوُضِيءِ؛ وَ[بِ]رُغْمِ ذَلِكَ فَإِنَّا اسْتَفَدْنَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ بَعْضَ الْمَعْلُومَاتِ الثَّمِينَةِ فِي اسْتِجْلَاءِ مَا انْبَهَمَ عَلَيْنَا مِنَ الْقَضَايَا الْغَامِضَةِ؛ وَقَدْ أَخَذْنَا صُورَةً زَنْكُغَرَفِيَّةً لِمُصَوِّرَةِ الْغِلَافِ؛ لِتَخْلِيدِ نَوْعِ خَطِّهِ كَمَا تَوَفَّقْنَا لِتَخْلِيدِ ذِكْرِهِ الْعَاطِرَةِ؛ أَسْكَنَهُ اللَّهُ فَيْسَحَ جَنَّاتِهِ.

نَشْرُ الْخَزَامَى

مُلَاحَظَةٌ وَتَنْبِيهُ

عِنْدَ مُرَاجَعَتِنَا لِمَصَادِرِ هَذَا الْكِتَابِ وَجَدْنَا أَنَّ بَعْضَ مَنْ أَرَدْنَا تَرْجَمَتَهُمْ قَدْ وُلِدَ فِي أَعْقَابِ قَرْنٍ، وَتَوَفَّى فِي بَدَايَةِ الْقَرْنِ الَّذِي يَلِيهِ؛ فَمِثْلُ هَذَا لَا يُمَكِّنُنَا اعْتِبَارَهُ مِنْ أَهْلِ هَذَيْنِ الْقَرْنَيْنِ مَعًا؛ فَهُوَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ، أَوْ الْقَرْنِ الَّذِي تُوَفَّى فِيهِ؛ وَلِلذَلِكَ تَهَرَّبَ بَعْضُهُمْ فِي تَرْجَمَتِهِ لِشُعْرَاءِ الْحِلَّةِ؛ فَأَعْتَبَرْتُ تَنْسِيقَ كِتَابِهِ حَسَبَ تَرْتِيبِ الْحُرُوفِ الْهَجَائِيَّةِ فَكَانَ نَشَازًا؛ فَبَيْنَمَا أَنْتَ تَقْرَأُ تَرْجَمَةَ جَعْفَرٍ؛ الْمُحَقِّقِ الْحِلِّيِّ مِنْ مَوْلِيدِ سَنَةِ ٦٠٢ هـ، وَإِذَا بِكَ تَطَفُّرٌ عِبرَ الْقُرُونِ؛ لِتَقْرَأَ تَرْجَمَةَ السَّيِّدِ جَعْفَرِ الْحِلِّيِّ مِنْ مَوْلِيدِ سَنَةِ ١٢٧٧ هـ؛ فَتَضِيعُ عَلَيْكَ مِنْ أَجْلِ تِلْكَ الطَّفَرَةِ خَصَائِصُ ذَلِكَ الْعَصْرِ، وَمَوْجَاتُ التَّطَوُّرِ كَمَا أَنَّ بَعْضَهُمْ رَاعَى الْقُرُونِ، وَهَذَا أَسْلَمَ الطَّرِيقُ كَصَاحِبِ الْبَابِلِيَّاتِ^(١)، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْتَزِمَ بِحُطَّتِهِ هَذِهِ فَصَدَرَتْ مِنْهُ هَفَوَاتٌ، وَالْإِنْسَانُ مُعَرَّضٌ لِلْخَطِئِ مَا دَامَ دُونَ الْعِصْمَةِ؛ كَهَفَوْتِهِ فِي اعْتِبَارِ (شُمِيمِ الْحِلِّيِّ) مَثَلًا، مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ، بَيْنَمَا

(١) يعني به اليعقوبي.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِتِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

هُوَ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ السَّابِعِ؛ لِأَنَّهُ تُوِّفِيَ سَنَةُ ٦٠١ هـ^(١)، وَسَهَا أَيْضًا فِي تَارِيخِ أَبِي الْحَسَنِ
السَّكُونِيِّ، وَأَبُو^(٢) النَّجْمِ الضَّرِيرِ، وَالشَّيْبَانِيُّ، وَعَبْدُ الرَّسُولِ الطُّرَيْحِيُّ، وَسُلَيْمَانُ الْكَبِيرِ
الْمَزِيدِيُّ، وَغَيْرِهِمْ^(٣).

أَمَّا أَنَا فَارْتَأَيْتُ اقْتِفَاءً أَثَرِ الَّذِينَ اعْتَبَرُوا الْقُرُونِ فَجَعَلْتُ مَجْمُوعَةً كُلِّ عَصْرِ مَرْتَبَةً
عَلَى الْخُرُوفِ الْهَجَائِيَّةِ؛ مُتَوَحِّيًا مِنَ الْقُرَّاءِ الْكَرَامِ إِسْدَالَ ثَوْبِ الْإِغْضَاءِ عَمَّا فِيهِ مِنْ
هِنَاتٍ؛ فَمَا قَصَدْتُ إِلَّا خَيْرًا، وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ.

المؤلفُ

(١) يُنْظَرُ: هَدِيَّةُ الْعَارِفِينَ: ١/٧٠٣.

(٢) كَذَا، وَالصَّوَابُ (أَبِي نَجْم).

(٣) سَتَأْتِي تَرْجُمَةٌ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الدَّوَاتِ تَبَعًا، إِمَّا فِي الْمَتْنِ عَنْ طَرِيقِ الْمُصَنِّفِ ﷺ، أَوْ يَأْتُونَ
عَرَضًا فَنُتَرَجِّمُ لَهُمْ فِي الْهَامِشِ.



القرنُ الرَّابِعُ الهِجْرِيُّ



القرن الرابع الهجري

١. الحائك^(١) (المتوفى سنة ٣٣٤هـ)

هُوَ أَبُو رُقَيْيَةَ، الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ مِنْ ذُرِّيَةِ ابْنِ الدُّمَيْنَةِ، وَرَدَ فِي كِتَابِ (الْأَعْلَامِ) لِعَبْدِ الصَّاحِبِ الدُّجَيْلِيِّ عِنْدَ تَرْجَمَتِهِ إِزَاءَ رَقْمِ (١) مَا يَلِي: «لَمْ يَكُنْ أَبُوهُ حَائِكًا، وَلَا فِي أَصْلِهِ حَائِكٌ؛ وَإِنَّمَا هُوَ لَقَبٌ لِمَنْ يَشْتَهَرُ بِقَوْلِ الشَّعْرِ، وَكَانَ مِنْ أَجْدَادِهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَمْرٍو الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الدُّمَيْنَةِ شَاعِرًا؛ فَسُمِّيَ حَائِكًا؛ لِحُوكِهِ الشَّعْرَ»^(٢)، وَقَدْ صَرَحَ بِذَلِكَ الْقَفْطِيُّ^(٣) فِي إِنْبَاءِ الرُّوَاةِ^(٤)، وَهُوَ غَيْرُ مَا ارْتَأَاهُ الْأَبُ أَنْتَاسُ الْكَرْمَلِيِّ فِي تَرْجَمَتِهِ بِالْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنَ الْإِكْلِيلِ؛ إِذْ قَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ ذَكَرُوهُ بِاسْمِ الْحَائِكِ أَرَادُوا تَحْقِيرَهُ؛ لِأَنَّ الْأَقْدَمِينَ كَانُوا يُحَقِّرُونَ الصَّنَائِعَ»^(٥)، وَهُوَ رَأْيٌ لَمْ يَسْتَنْدِ عَلَى أَصْلِ.

وَالْحَقُّ كَمَا يَبْدُو لِي لَمْ يَكُنْ بِجَانِبِ الدُّجَيْلِيِّ إِنَّهُ سُمِّيَ حَائِكًا؛ لِحُوكِهِ الشَّعْرَ مُوَافِقًا بِذَلِكَ رَأْيَ الْقَفْطِيِّ؛ فَهَذَا الْقَوْلُ لَا يُعْضِدُهُ دَلِيلٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا صَحَّ فَهُوَ حِينَئِذٍ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ، وَهُوَ خِلَافُ الْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ فِي الِاسْتِعْمَالِ، وَاسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ مَجَازًا يَحْتَاجُ بِالضَّرُورَةِ إِلَى قَرِينَةٍ مَا بَعْدَ عَنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ الْمُتَبَادِرِ إِلَى الذَّهْنِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ؛

(١) ترجمته في أخبار الحكماء: ١١٣، وبغية الوعاة: ٢١٧، وتلخيص ابن مكتوم: ٥١-٥٢، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي: ١/٣٦٢، وروضات الجنات: ٢٣٨، وطبقات الأمام لصاعد الأندلسي: ٥٨-٥٩، وطبقات ابن قاضي شهبة: ١/٣١٩، وكشف الظنون: ١٤٤، ١٣٣٨، ١٤١٥، ١٨٢٢، ٢٠٥٠، ومعجم الأدباء: ٧/٢٣٠-٢٣١. وترجم له السيوطي في البغية: ٢٣٢ ترجمة أخرى باسم (الحسين بن أحمد بن يعقوب أبي محمد الهمداني)، وذكره ابن قاضي شهبة، وصاحب روضات الجنات باسم (حسين) أيضًا.

(٢) الأعلام: ٩٤/٢.

(٣) في الأصل (القطفني)، والصواب هو المثبت، وما يأتي بلفظ القفطي فهو مصحح.

(٤) يُنظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/٣١٤.

(٥) الإكليل: ٨/٢٩٧.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتَيْنِ

وَهَذِهِ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ، وَعَدَمُ الدَّلِيلِ دَلِيلُ الْعَدَمِ؛ فَأَصْلُ كَلِمَةِ (حَائِكٍ) وَضَعَتْ فِي الْأَصْلِ لِمَنْ يَحْكُوكَ النَّسِيجَ؛ فَاسْتَعْمَلَهَا فِي مَنْ يَحْكُوكَ الشَّعْرَ يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ^(١) فَأَيْنَ هُوَ؟

وَالْغَرِيبُ ادَّعَاؤُهُ أَنَّ لَفْظَ (حَائِكٍ) لَقَبٌ لِمَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ؛ فَهَلِ الْمُتَنَبِّي، وَالْمَهْيَارُ، وَأَبُو تَتَامٍ، وَالْفَرَزْدَقُ، وَالْأَخْطَلُ، وَابْنُ الرُّومِيِّ، وَالْمَعْرِيُّ، وَمَثَاتُ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ اسْتَهْرُوا بِلَقَبِ حَائِكٍ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْعُذْرَ الْبَارِدَ يُرِيدُ بِهِ قَائِلُهُ دَفْعَ الْمَعْرَةِ عَنْ هَذَا الشَّاعِرِ، وَلَوْ فَكَّرْنَا بِإِنْصَافٍ لَمَّا وَجَدْنَا بِالْحَيَاكَةِ عَيْنًا^(٢) حَتَّى يُضْطَرَّ أَحَدُهُمْ إِلَى مِثْلِ هَذَا التَّعْسُفِ بِالتَّأْوِيلَاتِ الْبَعِيدَةِ الْمُتَكَلِّفَةِ؛ فَالْبَحْثُ فِي أَجْدَادِ هَذَا الرَّجُلِ بُغْيَةَ الْعُثُورِ عَلَى مَنْ تَسَمَّى مِنْهُمْ بِلَقَبِ الْحَائِكِ؛ فَيَجِدُ ضَالَّتَهُ فِي أَحَدِهِمْ، وَيُسَمِّي سُلَيْمَانَ بْنَ عَمْرٍو^(٣) وَيُعَلِّلُهُ بِأَنَّهُ كَانَ يَحْكُوكَ الشَّعْرَ؛ كُلُّ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ التَّعْسُفِ لَا مُبَرَّرَ لَهُ؛ فَسَوَاءٌ كَانَ الرَّجُلُ حَائِكًا لِلشَّعْرِ - بِكُسْرِ الشَّيْنِ - أَوْ حَائِكًا لِلشَّعْرِ - بَفَتْحِ الشَّيْنِ -؛ مِمَّا تَنْقُصُ بِهِ قِيَمَةُ الشَّخْصِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ؛ وَلَعَلَّ صَاحِبَ هَذِهِ التَّرْجِمَةِ كَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ حَائِكًا؛ لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا اللَّقَبِ لَا يَأْتِي جُزْأً؛ فَقَدْ اسْتَهْرَ بِهِ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ دُونَ أَبِيهِ؛ وَلَوْ كَانَ لَقَبًا لِأَبِيهِ، أَوْ لَجَدَّهُ لَكَانَ مِنَ الْأَجْدَرِ أَنْ يُلَقَّبَ بِ(ابْنِ الْحَائِكِ) لَا (الْحَائِكِ)، وَالْفَرْقُ بَيْنَ اللَّقَبَيْنِ ظَاهِرٌ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يُلَقَّبْ أَبُوهُ أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْهَمْدَانِيُّ بِلَقَبِ (الْحَائِكِ) كَانَ لَقَبًا لِجَدِّهِ لَوَرِثَ أَبُوهُ حِصَّتَهُ مِنْ مِيرَاثِ هَذَا اللَّقَبِ هَذَا أَوَّلًا.

وَأَمَّا ثَانِيًا فَإِنَّ رَدَّهُ عَلَى إِنْسِتَاسِ الْكَرْمَلِيِّ بِأَنَّ إِرَادَةَ التَّحْقِيرِ رَأْيٌ لَمْ يَسْتَنْدِ عَلَى دَلِيلٍ؛

(١) ذكر الخليل في العين: ٢٥٧/٣ «والشاعر يحوك الشعر حوكًا»، وهذا دليل على استعمال الحوك للشعر؛ ومن ثمَّ معجم العين من أقدم المعجمات العربيَّة، ولأنَّ الجذر (حوك) يدلُّ على الضَّمِّ والجمع، كذلك هو النسيج والشعر، فكلاهما يدلَّان عليه، انظر كلام ابن فارس في هذا. معجم مقاييس اللغة: ١٢١/٢، وفي أساس البلاغة للزحشرى: ٢٠٨ «ومن المجاز الشاعر يحوك الشعر حوكًا».

(٢) في الأصل (عابا).

(٣) يُنظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٣١٥/١.

القرن الرابع الهجري

فهذه هفوة أخرى قد تكون أشدّ شناعة؛ فالحياة من المهن المكرّوهة شرّاً، ولذلك نجد في كتاب نهج البلاغة لأُمير المؤمنين عليه السلام تعبيراً لابن الأشعث^(١) بقوله بأنّه: (حائك وابن حائك)؛ فهل مؤلف (الأعلام) يريد دليلاً أقوى من هذا الدليل^(٢)؟.

لقد سبق وأن قلنا إنّ الحياة ليس فيها آية معرّة بذاتها؛ فهي من المهن الشريفة، وتعلّمها واجب كفاي في الشرع الشريف؛ وإنّا لحقّقها الكراهة عرّضاً نتيجة أمور، إذا أمكن انتفاؤها انتفت الكراهة؛ من جملة هذه الأمور عادة الحائك الانزوائيّة، فهو يعيش في عزلة عن المجتمع فلا يكاد يعرف ما يتجاوز حدود بيته والسوق، كما أنّ طول مكثه بين الصبيان، والنساء يجعله قليل الاطلاع على الأوضاع الاجتماعيّة، ويسبّب له الضجر والملل؛ فتسوء أخلاقه لعمله المزعج الرتيب، والمعروف عنه كثرة أكاذيبه وأيمايه الباطلة، وغير ذلك، وهذه الأمور هي التي سببت كراهة الحياة؛ وإلا فالتاريخ يحتفظ بمجموعة كبيرة من الحكمة الأفاضل، ويكفي الحياة فضلاً أن إدريس النبي عليه السلام أول من نسج الثياب، وخاطها، ولبسها فهو أول مخترع لهذه المهنة^(٣) شأنها شأن السيّمات؛ فحرمة السيّما إنّما كانت بسبب الأفلام الخليعة، والروايات الحقيرة، واجتماع الجنسين بصورة تنافى والآداب الشرعيّة؛ فلو كانت السيّما محشمة، وتهدف إلى معاز سامية نافعة لما كان لتحريمها وجه معقول؛ فلا يمكن الاستغناء عن الحياة حتى يمكن

(١) هو ليس ابن الأشعث، وإنّا هو الأشعث بن قيس الكندي.

(٢) هذا خلاف ما وجهه عليّ بن زيد البيهقي في معارج نهج البلاغة: ١٠٤ - ١٠٥ «والحيّاك المتبخر، والحيّاة المتبخرة.. وقيل: كان الأشعث من أبناء ملوك كنده، ولم يكن حائكاً بمعنى ناسج الثوب، بل إنّما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام، بهذا المشي والهيئة، وهذا مشي المخانيث، ويدلّ على حسبه ووجاهته في قومه قول أمير المؤمنين عليه السلام: (فما فداك في واحدة منها مالك ولا حسبك). وأمير المؤمنين عليه السلام إنّما عيّره بالتخنّث، فعبر عن هذا الفعل الشنيع باستعارة مليحة دالة على هيئة المخانيث».

(٣) يُنظر: فتح الباري: ٦/ ٢٦٧، المعارف: ٥٥٢، مجمع البحرين: ٤/ ٧٠.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحِلَّةِ

الاستِغْنَاءُ عَنِ الْمَلْبُوسِ؛ فَالكَرَاهَةُ لِلْحَائِكِ عِنْدَ التَّحْقِيقِ لَا لِلْحَيَاكَةِ نَفْسِهَا، وَمَعَ أَسْوَأِ
الاحْتِمَالَاتِ، إِذَا سَلَّمْنَا بِكَرَاهِيَّتِهَا لِنَفْسِهَا؛ فَكُلُّ مَكْرُوهٍ جَائِزٌ؛ وَيَبْقَى التَّفَاضُلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
الْمِهْنِ وَالصَّنَاعَاتِ الْأُخْرَى، وَفِي ذَلِكَ مَجَالٌ وَاسِعٌ لِلتَّفَاضُلِ بِمَقْدَارِ التَّفَاوُتِ فِي نَفْعِهَا
وَشَرَفِهَا؛ لِأَنَّ الصَّنَائِعَ لَمْ تَكُنْ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ.

أَمَّا خَطَأُ إِنْسِتَاسِ الْكِرْمَلِيِّ فَرَعْمُهُ أَنَّ الْأَقْدَمِينَ يُحَقِّرُونَ الصَّنَائِعَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا
الزَّعْمَ مِنْ اخْتِرَاعِ مُحِيطَةِ الْأُسْتَاذِ؛ فَالصَّنَائِعُ مُحْتَرَمَةٌ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا بَعْضَ الصَّنَائِعِ الْحَقِيرَةِ
بِطَبِيعَتِهَا؛ كَمَسْحِ الْأَحْذِيَةِ، وَنَزَاحَةِ الْمَرَاحِيضِ، وَإِلَّا فَهَلْ جَعَلُوا الصَّيْرَفَةَ وَالصِّيَاغَةَ،
وَالتَّجَارَةَ، وَالْبِنَاءَ، وَالْمُهَنْدَسَةَ، وَالزَّرَاعَةَ، وَأَمْثَالَ ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ الَّتِي كَانَ الْأَقْدَمُونَ
يُحَقِّقُونَهَا؟ وَلَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَوْلُهُ:

لَنَقْلُ الصَّخْرِ مِنْ قُلَلِ الْجِبَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَنَنِ الرِّجَالِ
يَقُولُ النَّاسُ لِي فِي الْكَسْبِ عَارٌ فَقُلْتُ الْعَارُ فِي ذَلِّ السُّؤَالِ ^(١)
وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَسْبِ بَعْضُهُ؛ لِأَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْكَسْبَ عَارٌ،
هُمْ أَنْفُسُهُمْ كَانُوا أَهْلَ كَسْبٍ.

إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ الْهَمْدَانِيَّ ^(٢) صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ حَسَبًا تُشِيرُ إِلَيْهِ
مَجْمُوعَةٌ جَدُّنَا الْعَلَامَةُ الْمُجْتَهِدُ السَّيِّدُ فَاضِلُ بْنُ عَبْدِ الْمُسَمَّاةِ: نُشِرَ الْخَزَامِيُّ «كَانَ يُكْنَى

(١) يُنْظَرُ: الدِّيَوَانُ الْمُنْسُوبُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

(٢) كَتَبَهَا السَّيِّدُ عليه السلام بِالْمَعْجَمَةِ وَالْعَارِيَةِ، وَ(الْهَمْدَانِيَّ) بَفَتْحِ الْمِيمِ وَإِعْجَامِ الذَّالِ نَسْبَةً إِلَى بَلَدِهِ
(هَمْدَانَ) لَا إِلَى الْقَبِيلَةِ الْمَعْرُوفَةِ الَّتِي مِنْهَا الْحَارِثُ الْهَمْدَانِيُّ صَاحِبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَخَلَقَ
كثِيرٌ كَمُحَمَّدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ الزِّيَّاتِ، وَمُحَمَّدَ بْنِ الْأَصْبَغِ، وَمُحْفُوظَ بْنِ نَصْرِ الْكُوفِيِّ،
وغيرهم من الرواة، وهي بإهمال الدال وتسكين الميم، ومن هذه البلدة علي بن الحسين من
أصحاب الإمام الجواد عليه السلام، وأبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى، وإبراهيم محمد بن علي بن
إبراهيم وكيل الناحية المقدسة، وأبوه علي، وغيرهم. وبهذا تكون الكتابة بالعارية لا بالمعجمة كما
كتبها السيد عليه السلام. بعد كل هذا يُنْظَرُ: معجم البلدان: ٤١٠/٥.

القرن الرابع الهجري

بأبي رُقَيْيَّة، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني الحلي^(١)، وجاءَ فيما بقي من ترجمته ما يلي: «كَانَ الْمُؤَمَّا إِلَيْهِ شَاعِرًا مَاهِرًا، وَهَجَاءً فَحَاشًا، لَا يَعِفُّ لِسَانُهُ عَنْ قَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، وَلَا يَكِلُ نَاطِرُهُ عَنْ رُؤْيَا هِنَاتٍ، يَعْرِفُ مِنَ الْفَقْهِ طَرْفًا، وَمِنَ الْآدَابِ طَرْفًا، وَشَيْئًا مِنَ الْأُصُولِ، وَفِي مَيْدَانِ النَّحْوِ يَصُولُ وَيَجُولُ، فَهُوَ أَبُو عُذْرَتِهِ، وَفَارِسُ حَلْبَتِهِ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ظَرَافَتِهِ، وَأَرْحَمِيَّتِهِ لَمْ يَكُنِ الْإِنْصَافُ مِنْ شِمَّتِهِ، وَقَدْ سُجِنَ حَتَّى مَاتَ سَنَةَ ٣٣٤ هـ فِي السَّجْنِ؛ لِاتِّهَامِهِ بِهَجْوِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى عِثْرَتِهِ -، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَالِكَ سَهْوٌ وَاشْتِبَاهٌ؛ أَمَّا بِتَلْقِيهِ بِالْحَلِيِّ، أَوْ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ أَنْ لَقَبَهُ بِالْحَلِيِّ لَيْسَ لِلْحَلَّةِ الْفِيحَاءُ، أَوْ إِنَّهُ لِلْحَلَّةِ قَبْلَ عِمْرَانِهَا فَإِنَّهَا تَمَّصَّرَتْ سَنَةَ ٤٩٥ هـ؛ أَيُّ قَبْلَ (١٦١) عَامًا عَلَى هَذَا التَّارِيخِ، وَيُؤَيِّدُ الْوَجْهَ الْأَخِيرَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْعَلَامَةُ الْكَبِيرُ الْمُحَقِّقُ السَّيِّدُ مُحْسِنُ الْأَمِينِ الْعَامِلِيُّ^(٢) فِي أَعْيَانِهِ بِبَحْثِهِ عَنْ شَاعِرٍ حَلِّيٍّ مِنْ إِرْشَادِ الْمُفِيدِ الْمُتَوَفَّى قَبْلَ تَأْسِيسِ الْحَلَّةِ بِثَمَانِينَ عَامًا؛ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ سَبَبُ بَحْثِهِ هَذَا الْوَجْهَ الَّذِي بَيَّنَّاهُ لَكَانَ الْبَحْثُ سَهْوًا؛ بَلْ عَبَثًا، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ مِثْلُ الْعَامِلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ».

وَقَدْ جَاءَ فِي مَجْمُوعَةِ الْجَدِّ إِنَّهُ: «مَاتَ فِي سِجْنِهِ مَسْمُومًا، وَلَمْ يَكُنْ سَبَبُ ذَلِكَ مَعْلُومًا، وَقَدْ تَنَاقَضَتْ فِيهِ الْأَقْوَالُ، وَكَثُرَ الْقِيلُ وَالْقَالُ، عَامَلَهُ اللَّهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ؛ فَهُوَ عَلَامُ الْغُيُوبِ، وَالْمُطَّلَعُ عَلَى سِرِّ الْقُلُوبِ»^(٣).

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى التَّوَقُّفِ عَنِ الطَّعْنِ بِهِ؛ لِمَجْهُولِيَّةِ حَالِهِ، وَقَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ شُيُوخِ الْأَدَبِ عَنْ شَخْصِيَّتِهِ الْعَامِضَةِ بِعُنْوَانٍ: ابْنُ الْحَائِكِ، وَنَفَى كَوْنَهُ حَلِّيًّا، وَلَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ.

(١) جاء في الاعيان: ١٧/٥ ما نصه: «ولكن المظنون أنهم التمسوا الحبسه عذرا من هذا النوع كما هي العادة في التحامل على شيعة أهل البيت ر...»، وربما يؤكد ذلك وصف الخزرجي له بالإحاطة بالمناقب والمثالب، فإن المثالب يغلب استعمالها في مثالب أعداء أهل البيت ر...، والمناقب في مناقبهم، وكونه همدانياً، وهمدان معروفة بالتشيع، والله أعلم».

(٢) نشر الخزامي.



القرنُ السَّادِسُ الهِجْرِيُّ



القرن السادس الهجري

٢. جمال الدين بن أبي القاسم (سنة ٥٣١هـ)

هو السيد الجليل السيد جمال الدين أبي القاسم، عبد الله بن علي بن أبي المحاسن، زهرة الحسيني الحلبي، ابن أخ السيد أبي المكارم صاحب الغنية؛ ولد سنة ٥٣١هـ كما أرخوه في (نظام الأقوال)^(١). ويروي عنه ولده السيد محيي الدين، أبو حامد محمد بن عبد الله من مشايخ المحقق الحلبي، وابن طاووس، وغيرهما، له كتاب التجريد في الفقه^(٢)، وقد اقتبسنا ترجمته هذه بتصرف من كتاب (الذريعة) للمحقق البحاث الشيخ آغا بزرك «حفظه الله»^(٣).

٣. الحسين بن عقيل^(٤) (سنة ٥٥٧هـ)

الحسين بن عقيل بن سنان الحفاجي، الأصولي الحلبي، عالم متبحر، ومؤلف مبدع،

(١) نظام الأقوال لنظام الدين الساجي، ينقل عنه الرياض والأعيان بكثرة، وهو تلميذ الشيخ البهائي. توفي في ١٢ شوال ١٠٣١هـ. ترجمته في: الكنى والألقاب: ٢٥٧/٣.
(٢) الذريعة: ٣/٣٥١ الرقم ١٢٦٩، وله: «جواب بعض الإسماعيلية، وجوابات المسائل البغدادية» الذريعة: ٥/٢١٦ الرقم ١٠١٨، وله رسالة في سياق العمل بالتمتع بالعمرة إلى الحج، الذريعة: ١٢/٢٧٤ الرقم ١٨٣٧، والغنية عن الحجج والأدلة، الذريعة: ١٦/٦٧ الرقم ٣٣٦، و«التبيين لمسألتي الشفاعة وعصاة المسلمين، وتبيين المحجة في كون إجماع الإمامية حجة»، الذريعة: ٣/٣٣٣ الرقم ١٢٠٨. وقد أجازاه وولده محمد شاذان بن جبريل القمي في كفاية الأثر: ١٣، ومن خلال بعض إجازات مشايخه له ولأخيه يظهر أنه كان في الحلة ولأهو حلبي، فلاحظ. (أحمد الحلبي).

(٣) يُنظر: الذريعة: ٣/٣٥١، الأعيان: ٨/٥٩، الكنى والألقاب: ١/٢٩٩.

(٤) يُنظر ترجمته: تاريخ الإسلام، حوادث ٥٠١-٥٢٠هـ، ١٥٧ الرقم ١٧٧، لسان الميزان: ٢٩٩/٢ الرقم ١٢٤١، أعيان الشيعة: ٦/٩٠، معجم المؤلفين: ٤-٢٦، وفي لسان الميزان:

٥٥٧هـ، موسوعة طبقات الفقهاء: ٦/٨٥، معجم المؤلفين: ٤/٢٦.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

وَكَاتِبٌ مُتَرَسِّلٌ، وَأَدِيبٌ لَامِعٌ، كَانَ مِنَ الْبَارِزِينَ بَيْنَ مُفَكِّرِي الْمُسْلِمِينَ، وَأَشْحَذَهُمْ رَأْيًا، وَأَحَدَهُمْ ذِكَاءً وَفِطْنَةً، وَيُسْتَفَادُ مِمَّا وَرَدَ فِي كِتَابِ (أَعْيَانِ الشَّيْعَةِ) لِلْمَرْحُومِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَمِينِ الْعَامِلِيِّ جَزَمَهُ بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ نِسْبَةِ (أُصُولِي) إِنَّهُ الْعَارِفُ بِعِلْمِ أُصُولِ الْفَقْهِ^(١)، وَعِنْدِي إِنَّهُ كَمَا يَجُوزُ هَذَا الاحْتِمَالُ، يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى الْفِرْقَةِ الْأُصُولِيَّةِ فِي مَقَامِ الْفِرْقِ الْأُخْرَى؛ كَالْإِخْبَارِيَّةِ، وَالشَّيْخِيَّةِ، مَثَلًا؛ وَحِينَئِذٍ يَسْتَوِي فِي هَذِهِ النِّسْبَةِ الْعَالَمُ الْخَبَرُ، وَالْعَامِّي الْجَاهِلُ، وَذَهَابُ السَّيِّدِ إِلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ تَرْجِيحٌ بِلَا مُرْجَحٍ فِي خِلَافٍ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ، وَلَوْ قَالَ مَثَلًا: الْأُصُولِيُّ الشَّيْعِيُّ؛ فَقَرِينَةُ (الْأُصُولِي، الشَّيْعِيُّ) تُوَيِّدُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ؛ وَلَوْ قَالَ مَثَلًا: الْأُصُولِيُّ الْعَرُوضِيُّ، النَّحْوِيُّ لَجَازَ احْتِمَالُ السَّيِّدِ الَّذِي قَالَ: «الظَّاهِرُ إِنَّهُ عَمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سِنَانِ الْحَفَاجِيِّ الشَّيْعِيِّ، الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ الرَّائِي لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ» سنة ٤٦٦ هـ.. إلخ.

وَلَسْنَا نَرْتَابُ فِي عِلْمِ صَاحِبِ التَّرْجَمَةِ، وَلَا فِي تَصْلُغِهِ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ؛ وَإِنَّمَا نُخَالِفُ صَاحِبَ أَعْيَانِ الشَّيْعَةِ فِي الْمُرَادِ مِنْ كَلِمَةِ (الْأُصُولِي)؛ هَلْ إِنَّهُ مِنَ الْفِرْقَةِ الْأُصُولِيَّةِ، أَوْ إِنَّهُ الْعَالِمُ بِعِلْمِ الْأُصُولِ؟ وَقَدْ قَالَ فِيهِ صَاحِبُ كِتَابِ [لِسَانِ] الْمِيزَانِ، إِنَّهُ: «مِنْ رُؤُوسِ الشَّيْعَةِ، صَنَّفَ فِي مَذْهَبِهِمْ كِتَابًا سَمَّاهُ (الْمُنْجِي مِنَ الضَّلَالِ)^(٢) فِي الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ» فِي عِشْرِينَ مَجْلَدًا ذَكَرَ فِيهِ الْخِلَافَ، وَأَوْسَعَ، وَقَدْ دَلَّ^(٣) عَلَى تَبَحُّرِهِ، مَاتَ سَنَةَ ٥٥٧ هـ^(٤).. إلخ.

فَهُوَ إِذَنْ يَمُنُّ شَاهِدًا تَأْسِيسَ الْحِلَّةِ، وَمِنْ أَوَّلِ وَجَبَةٍ وَقَدَتْ إِلَيْهَا وَقَطَّنَتْهَا، وَأَوَّلُ مَنْ خَدَمَهَا بِعِلْمِهِ وَتَأْلِيفِهِ، وَإِنَّ مُصَنَّفَاتِهِ لِأَوَّلِ النِّوَافِذِ الَّتِي شَعَّ مِنْهَا نُورُ الْعِلْمِ، وَالْمَعْرِفَةِ

(١) أعيان الشيعة: ٩٠ / ٦.

(٢) في المطبوع الذي ذكره السيّد المصنّف (الظلال)، والصواب هو المثبت. يُنظر: لسان الميزان:

٢/ ٢٩٩، الرقم ١٢٤١، أعيان الشيعة: ٩٠ / ٦، معجم المؤلفين: ٤ / ٢٧.

(٣) في أعيان الشيعة: ٩٠ / ٦، (وهو دالٌّ على تبخُّره).

(٤) لسان الميزان: ٢ / ٢٩٩، الرقم ١٢٤١.

القرن السادس الهجري

عَلَى رُبُوعِ الْحِلَّةِ؛ فَلَيْسَ مِنَ الْعَجَبِ الْعَاجِبِ أَنْ نَضَعَ اسْمَهُ الْكَرِيمَ فِي رَأْسِ قَائِمَةِ عُلَمَاءِ الْحِلَّةِ الْأَفْضَلِ الَّذِينَ أَسَدُوا أَجَلَ الْخِدْمَاتِ إِلَيْهَا، وَوَضَعُوا اللَّبَنَةَ الْأُولَى فِي أَسَاسِ مَجْدِهَا، وَخَلَدُوا بِهَا، وَشَادُوا لَهَا بِنَاءَ الْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ؛ فَإِنْ كَانَ هُنَالِكَ جَانِبٌ لِلْحَيْفِ وَالتَّجَنِّي، فَبِئْسَ عَدَمٌ وَضُورٌ رِسَالَةٍ أَمَّا جِدْنَا الْأَوَائِلَ إِلَيْنَا كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ؛ فَقَدْ ضَاعَتْ مِنْهَا فُضُولٌ مُسَرَّقَةٌ يُحَافِظُ عَلَى كُنُوزِهَا الْخَلْفُ، وَلَوْ كَانُوا أَعَمَّقَ فَهْمًا لَقِيمَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ لَمَا ذَهَبَ أَكْثَرُ فُضُولِهَا فِي مَدْرَجَةِ الضِّيَاعِ، وَقَامَ مَقَامُهَا هَذَا التَّأَخُّرُ، وَالْانْحِسَارُ^(١).

٤. الجامعاني^(٢)

لَعَلَّ نَسْبَتَهُ هَذِهِ إِلَى مَحَلَّةِ الْجَامِعَيْنِ الَّتِي كَانَتْ بِاسْمِهَا تُعْرَفُ الْحِلَّةُ مُنْذُ أَوَّلِ تَأْسِيسِهَا؛ لَوْجُودِ جَامِعِ مَقَامِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام، وَجَامِعِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام الْمَجْرُوحِ فِي صِفَيْنِ، وَالْمُسْتَشْهَدِ فِي الْحِلَّةِ^(٣)، وَقَبْرُهُ لَا زَالَ قَائِمًا فِي بَابِ الْمَشْهَدِ، وَقَدْ وَفَّقَ اللَّهُ حَسَانَ مَرْجَانٍ مِنْ أَبْرَزِ وَجْهَاءِ الْحِلَّةِ فِي تَجْدِيدِ مَرْقَدِهِ

(١) لا دليل على حليته، بل هو (حليبي). يُنظر: لسان الميزان: ٢/ ٢٩٩، وموسوعة طبقات الفقهاء: ٨٥ / ٦، الرقم ٢١٣٦، ومعجم المؤلفين: ٤، وتاريخ الإسلام: ٣٥ / ١٥٧، وأعيان الشيعة: ٩٠ / ٦. (أحمد الحلي).

(٢) ترجمته في: معالم العلماء: ٧، تراجم الرجال: ١ / ٥٣٢، رياض العلماء: ٣ / ٣٨٣، الذريعة: ٢٤٣ / ١، الرقم ١٢٨٦، أعيان الشيعة: ٢ / ٤٤٨، موسوعة طبقات الفقهاء: ٦ / ١٨٤.

(٣) يُنظر: مزارات الحِلَّة، السيّد حيدر وتوت، وانظر: مزارات الحِلَّة، سعد الحداد. أعتقد أن الجامعين كانت منطقة أكبر من اليوم بحسب الخرائط التي رأيناها قبل تمصير الحِلَّة، فتكون النسبة - بحسب اعتقادي - إلى مسجد الإمام الصادق عليه السلام المعروف بالمقام، وقد وصفه ابن شهر آشوب في المناقب بالمسجد، ومسجد صاحب الزمان عليه السلام المعروف بمقام الغيبة، وقد وصفه بالمسجد ابن بطوطة في رحلته، وعثرت على مخطوطة من كتاب (التولائيّة) كتب في مدرسة صاحب الزمان عليه السلام المجاورة للمقام، وفيها أن المقام في الجامعين، وهذان المسجدان (الجامعان) لهما الذكر في سالف الزمان، ولا دليل على ما ذكره المصنّف. (أحمد الحلي).

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

الشَّريْف، وَالنَّسْبَةُ إِلَى الْجَامِعَيْنِ (جَامِعَانِي)، وَ(الْجَامِعَانِي)^(١)، صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ هُوَ الشَّيْخُ الْجَلِيلُ جَلَالُ الدِّينِ^(٢)، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ شُعْرَةَ الْحِلِّيَّ الْجَامِعَانِي، قَالَ فِيهِ صَاحِبُ كِتَابِ (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ) مَا يَلِي:

«كَانَ مِنْ أَجَلَّةِ فُقَهَاءِ أَصْحَابِنَا الْمُتَأَخِّرِينَ^(٣)، وَيَرْوِي عَنْ ابْنِ شَهْرَ أَشُوبِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٨٨ هـ، وَقَدْ أَجَازَهُ، وَجَاءَ فِي إِجَازَتِهِ: (اسْتَحَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَجَزْتُ لِلشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْفَقِيهِ جَمَالِ الدِّينِ شَمْسِ الْفُقَهَاءِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ شُعْرَةَ الْحِلِّيَّ الْجَامِعَانِي - وَفَقَّهُ اللَّهَ تَعَالَى لِلْخَيْرَاتِ - بِجَمِيعِ مَا كَتَبْنَا مِنْ كُتُبِ الْمَشَايِخِ  وَبِجَمِيعِ مَسْمُوعَاتِي، وَقَرَأَاتِي، وَمُصَنَّفَاتِي، وَأَشْعَارِي، وَكُلَّمَا يَصُحُّ عِنْدَهُ مِنْ كُتُبِ مَشَايِخِنَا الَّتِي مَا جَرَى ذِكْرُهَا عَلَى شَرْطِ الْإِجَازَةِ. كَتَبَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شَهْرَ أَشُوبِ الْمَازَنْدَرَانِيِّ بِخَطِّهِ فِي مُنْتَصَفِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ٥٨١ هـ)»^(٤)؛ أَي: قَبْلَ وَفَاتِهِ بِسَبْعِ سِنِينَ.

٥. عَبْدُ الْمُطَلِّبِ بَادِشَاهُ^(٥)

فَقِيهٌ نَبِيهٌ، حُسَيْنِي الْمَحْتَدِ، حُوزِي الْأَصْلِ، حِلِّي النَّشْأَةِ وَالْمَوْلِدِ، شَرِيفٌ مِنْ شُرَفَاءِ الْحِلَّةِ، وَالْحِلَّةُ مِنْ أَشْرَفِ الْمُدُنِ، كَانَ مَثَلًا رَائِعًا مِنْ أَمْثَلَةِ الرَّجُولَةِ وَالْبُطُولَةِ، حُلُوُ الشَّمَائِلِ، لَيْزُ الْعَرِيكَ، فَصِيحُ اللِّسَانِ، قَوِيُّ الْحُجَّةِ، مُهَذَّبُ الطَّبْعِ، رَقِيقُ الْأَخْلَاقِ، مَتِينُ الْعَقِيدَةِ، حُلُوُ السَّجَايَا، مَرُّ الْحَفِيزَةِ، رَضِي النَّفْسِ، هَادِي الطَّبْعِ، وَرَجُلٌ هَذِهِ صِفَاتُهُ وَتِلْكَ مَزَايَاهُ

(١) فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ: ٩٦ / ٢: الْجَامِعَيْنِ: هُوَ حِلَّةُ بَنِي مَزِيدِ التِّي بَارِضٌ بِأَبْلِ عَلَى الْفَرَاتِ بَيْنَ بَغْدَادَ وَالْكُوفَةِ.

(٢) فِي رِيَاضِ الْعُلَمَاءِ (٣ / ٣٨٤): (جَمَالُ الدِّينِ).

(٣) لَا أَعْرِفُ كَيْفَ جَعَلَهُ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الْقُرُونِ السَّادِسِ؟. (الْمَوْلُف).

(٤) رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ: ٣ / ٣٨٤.

(٥) تَرْجَمَتُهُ: تَذَكُّرَةُ الْبَحْرَيْنِ: ٣٨٤، مَعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ: ١٢ / ١٤، الْفَوَائِدُ الرُّضَوِيَّةُ ١ / ٢٥٧،

مَعْجَمُ الْمَوْلُفَيْنِ: ٦ / ١٧٥.

القرن السادس الهجري

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلنَّفُوسِ قَرِيبًا مِنَ الْقُلُوبِ، وَكَذَلِكَ كَانَ صَاحِبُ التَّرْجَمَةِ؛ فَقَدْ عَاشَ مَوْضِعَ تَقْدِيرٍ عَارِفٍ فِيهِ، مَكْنِيٍّ مَوْوَنَةِ الْعَيْشِ؛ فَسَاعَدَهُ ذَلِكَ عَلَى التَّأْلِيفِ وَالتَّصْنِيفِ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مُصَنَّفَاتٌ مُفِيدَةٌ، وَتَأْلِيفٌ لَهَا قِيمَتُهَا، وَرَوَعْتُهَا^(١).

لَقَبُهُ (نَاصِرُ الدِّينِ)، وَكُنْيَتُهُ (أَبُو الْكَمَالِ)، وَاسْمُهُ (عَبْدُ الْمُطَّلِبِ)، قَالَ فِيهِ صَاحِبُ كِتَابِ (أَمَلُ الْأَمَلِ): «هُوَ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ السَّائِرَةِ، فَاضِلٌ عَظِيمُ الشَّانِ، يَرَوِي عَنْهُ^(٢) ابْنُ مُعِيَّةٍ»^(٣).

و(بَادِشَاة) كَلِمَةٌ فَارِسِيَّةٌ بِمَعْنَى (السُّلْطَانِ)، وَلَعَلَّ هَذَا اللَّقَبَ لِحَقِّهِ؛ لِكُونِهِ سُلْطَانًا مُجَازًا لِلْعِلْمِ، وَالْأَحْكَامِ كَمَا تَلَقَّبَ الْعَلَامَةُ الْحِلِّيُّ بِ(صَاحِبِ الْجَلَالَةِ)^(٤)، وَهَذِهِ الْأَلْقَابُ الْمَجَازِيَّةُ مُتَعَارَفَةٌ بِدُونِ شُرُوطٍ، وَلَا فَيُودٍ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اسْتِعْمَالُهَا فِيهِ بَعْضُ الْمُسَوِّغَاتِ؟
أَمَّا تَصَانِيفُهُ السَّائِرَةُ؛ فَيَقَالُ: إِنَّهَا كَثِيرَةٌ، وَلَكِنِّي لَمْ أَعْثَرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا.

٦. الْبَنْدَهِيُّ الْحِلِّيُّ [ت ٧٧٨هـ]^(٥)

الْهَيْئَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ كَالْجِسْمِ الْإِنْسَانِيِّ؛ فَقَدْ تَعْتَوَّرَهُ الْأَمْرَاضُ فَتَقَعْدُهُ عَنِ الْعَمَلِ، وَقَدْ

(١) من المعلوم أن ديدن المؤلف أن يستنبط جملة من المدح من كلمات قليلة عن المترجم وردت في الكتب الرجالية. (أحمد الحلي).

(٢) في الأصل (عن)، والصواب هو ما أثبتناه؛ والتصويب من أمل الآمل: ١٦٤ / ٢.

(٣) أمل الآمل: ١٦٤ / ٢.

(٤) لم يذكر في ضمن ألقابه، ولا أعلم من أين جاء به السيّد المصنّف، ربّما أطلق عليه بعد مناظرته مع علماء المذاهب وانتصاره عليهم في المناظرة المعروفة. ولعلّ في مقدّمات كتبه كثيرًا ما يذكر العلامة الحليّ: (صاحب الجلالة)، وهو من ألف له الكتاب، فصار الوهم. (أحمد الحليّ).

(٥) كما ذكر في الذريعة: ٢٥٤ / ٨ «ومن دعائه للمصنّف يظهر وفاته في هذا التاريخ». إن المؤلف جعله حليًّا مستندًا إلى استنساخ كتابه في الدلالة من قبل عالم حليّ مهمته بكتب المنطق ألا وهو الشيخ عبد الرحمن العتائقي، وقد وصف البندهيّ فيه بـ: «المولى الإمام، العالم المحقّق، أفضل =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

نُصِيْبُهُ بِشَوِيهِ، وَقَدْ تَعَطَّلَ مِنْهُ حَاسَةٌ، وَرُبَّمَا يُبَاغِتُهُ الْمَرَضُ فَيُضْعِفُهُ إِلَى حِينٍ؛ ثُمَّ يَتِمَّ أَمْلُ إِلَى الشِّفَاءِ حَتَّى يَعُودَ إِلَى حَالَتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ؛ وَالْحِلَّةُ تُثْمَلُ فِي شَتَّى أَدْوَارِهَا بِمَجْمُوعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْهَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، قَدْ تَعَرَّضَتْ فِي بَعْضِ أَدْوَارِهَا إِلَى انْتِكَاسَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ كَالَّتِي أَصَابَتْهَا فِي أُخْرِيَّاتِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ، وَصَدَرَ الْقَرْنُ الَّذِي يَلِيهِ بَعْدَ نَشَاطِهَا الثَّقَافِيِّ الْبَاهِرِ الَّذِي يَبْتَدِئُ بِالْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ؛ عَصْرٍ صَاحِبِ هَذِهِ التَّرَجَّةِ، وَهُوَ الْعَصْرُ الَّذِي انْطَوَتْ فِيهِ عَطْرُ سُهُ السَّلَاجِقَةِ وَتَحَكُّمُهُمُ بِالْدَوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ؛ فَكَانَتْ فِيهِ دَوْلَةُ الْعَبَّاسِيِّينَ الْحَرِّيَّةِ، وَتَنَفَّسَتْ الصُّعْدَاءُ، وَتَحَطَّمَتْ أَصْنَامُ بَنِي سَلْجُوقٍ أَمَامَ قَسْوَةِ الْعَهْدِ الْعَبَّاسِيِّ الْجَدِيدِ^(١)، وَالتَّحَوُّلُ الْهَائِلُ مِنَ الذَّلِّ وَالْاِسْتِكَانَةِ إِلَى الْعِزِّ فِي خُطُواتٍ بَارِعَةٍ سَرِيعَةٍ تَخَلَّصَتْ فِيهَا الدَّوْلَةُ الْمَغْلُوبَةُ مِنْ نِيرِ الْعُبُودِيَّةِ وَسَطْوَةِ أُمَّةٍ أَسْكَرَهَا الْغُرُورُ وَالتَّرَفُّ؛ فَآتَى بَعْضُ الْمُصْلِحِينَ مِنْ خُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ عَلَى عَالِي بُنْيَانِهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ؛ فَأُصِيبَتْ بِانْتِكَاسَةٍ كَانَتْ مِنْ نَتَائِجِهَا خُرُوجُ السَّلَاجِقَةِ مِنَ الْبِلَادِ فِي أَبْشَعِ صُورَةٍ، وَكَانَتْ فُرْصَةً كَافِيَةً لِبَنِي الْعَبَّاسِ لِتَضْمِيدِ الْجِرَاحِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَتَرْمِيمِ الْكِيَانِ السِّيَاسِيِّ الْمُتَنَهَارِ؛ فَلَا بَدْعَ أَنْ يَكُونَ اسْتِقْرَارُ الْوَضْعِ السِّيَاسِيِّ مُتِمِّعًا لِقَادَةِ الْفِكْرِ، وَذَوِي الرَّأْيِ فُرْصَةً صَالِحَةً لِلْإِنْتِاجِ الْعِلْمِيِّ وَالْأَدَبِيِّ يَتَفَاعَلُ فِي أَنْسَجَامٍ تَامٍّ مَعَ تَقَدُّمِ وَضْعِ الْبَلَدِ السِّيَاسِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ، وَهَذَا بَعَيْنُهُ هُوَ التَّفْسِيرُ الصَّحِيحُ لَوْفَرَةِ الْحَضَبِ الثَّقَافِيِّ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ الْمُشْرِقَةِ مِنَ الزَّمَنِ؛ فَنبَغَ الْكَثِيرُ مِنَ النَّوَابِغِ كَالشَّيْخِ فَخْرِ الدِّينِ عَلِيِّ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ الْبَنْدَهِيِّ^(٢) صَاحِبِ

= المتأخِّرين، فخر المُلَّةِ والدين أبي الحسن علي بن محمد البندهي المعروف بابن البديع». يُنظر: الذريعة: ٨/ ٢٥٤ الرقم ١٠٥٠. (أحمد الحلي).

(١) يُنظر: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، د. حسين أمين، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥. وفيه كلام وافٍ على تلك الحقبة.

(٢) في وفيات الأعيان: ١/ ٥٢٠، وفيه: «البندهي: بفتح الباء وسكون النون وفتح الدال نسبة إلى بنج دية، من أعمال مرو رود، ومعناه بالعربي خمس قري، ويُقال في النسبة إليها أيضًا: الفنجديهي والبنجديهي».

القرن السادس الهجري

هَذِهِ التَّرْجَمَةُ الْمَعْرُوفُ بِالْفَضْلِ وَالْفَضِيلَةِ، وَالَّذِي كَانَ مَثَلًا رَائِعًا فِي الصَّلَاحِ، وَالْوَرَعِ، وَالتَّعَفُّفِ مَعَ مَا يَزِينُهُ مِنْ فِقْهِ؛ فَقَدْ كَانَ فَقِيهًا نَحْوِيًّا وَعَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ الْعِلْمِ، لَهُ رِسَالَةٌ غَزِيرَةُ الْمَادَّةِ فِي الدَّلَالَةِ اسْتَنْسَخَهَا الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَتَائِقِيُّ الْحَلِّيُّ سَنَةَ ٧٧٨ هـ بِخَطِّهِ، وَوَصَفَ الْمُؤَلِّفَ بـ «الإمام العالم، المحقق أَفْضَلُ الْمُتَأَخِّرِينَ»^(١).

وَلَكِنَّ الْبَحْثَ لَمْ يُؤْمَرْ حِجَابُهُ عَنْ نَوَاحِي هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْفَذَّةِ؛ لِتَقِفَ عَلَى جَوَانِبِ حَيَاتِهَا الثَّقَافِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ طَيِّ النَّسْيَانِ، وَلَمْ نَسْتَطِعْ اسْتِجْلَاءَ هَذِهِ الْجَوَانِبِ الْغَامِضَةِ غَيْرَ مَا أَمَكْنَ الْبَحْثُ مِنَ التَّوَصُّلِ إِلَيْهِ، وَهُوَ غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ حَيْثُ تَعَدَّرَتْ مَعْرِفَتُهَا كَامِلَةً بِسَبَبِ تَلَاطُمِ أَمْوَاجِ الاضطراباتِ والفتنِ، والقلاقلِ الَّتِي أَلَمَّتْ بِالْعِرَاقِ؛ فَكَانَتْ السَّبَبُ الرَّئِيسِيُّ فِي ضِيَاعِ مِثْلِ هَذِهِ الْأَثَارِ الْمُهَمَّةِ^(٢)، وَطُمُرِ تِلْكَ الْكُنُوزِ مِنْ تَرَاثِنَا الْعَالِي بِزَوَايَا النَّسْيَانِ وَسَدَّتْ عَنَّا مَجَارِي تِلْكَ الْبَنَائِعِ الْعَذِيبَةِ، وَرَدَمَتْهَا يَدُ الْحَوَادِثِ وَالْخُطُوبِ الَّتِي تَعَاقَبَتْ عَلَى هَذَا الْبَلَدِ الْكَرِيمِ، وَلَكِنَّا رُغِمَ تِلْكَ الْمَآسِي؛ فَإِنَّ فِيهَا بَعْضَ التَّعَلُّةِ، وَالْوُجُودُ النَّاقِصُ خَيْرٌ مِنَ الْعَدَمِ الْمَحْضِ.

(١) وهو كتابه (رسالة في الدلالة)، قال في الذريعة: ٢٥٤ / ٨ «رسالة في الدلالة للمولى الإمام العالم المحقق، أَفْضَلُ الْمُتَأَخِّرِينَ، فخر الملة والدين، أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَنْدِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْبَدِيعِ، رَأَيْتُ نَسْخَةً مِنْهَا فِي الْخَزَانَةِ (الغُرُوبِ)، قَدْ كَتَبَهَا بِخَطِّهِ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَتَائِقِيِّ الْحَلِّيِّ، وَوَصَفَ مُؤَلِّفَهُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْوَصْفِ بَعِينَهُ إِلَى قَوْلِهِ بِابْنِ الْبَدِيعِ، ثُمَّ دَعَا لَهُ بِقَوْلِهِ [تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَأْفَتِهِ بِمُحَمَّدٍ وَعَتَرَتِهِ]، وَقَدْ فَرَّغَ ابْنُ الْعَتَائِقِيِّ مِنْ نَسْخَتِهَا فِي الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَقَالَ: وَفِي هَذَا الْيَوْمِ وَقَعَ مَطَرٌ عَظِيمٌ فِي الْغُرِيِّ، بَلْ فِي الْعِرَاقِ دَخَلَ الْخَنَازِنُ فَأَفْسَدَهَا وَخَرَبَ الدُّورَ الْكَثِيرَةَ، وَمِنْ دُعَائِهِ لِلْمَصْنُفِ يُظْهِرُ وَفَاتِهِ فِي هَذَا التَّارِيخِ، كَمَا يُظْهِرُ حُسْنَ حَالِهِ وَجَلَالَتِهِ مِنَ الدُّعَاءِ وَمِنْ سَائِرِ أَوْصَافِهِ».

(٢) للبندهي حواشي مهمة على (كتاب كاشف الأستار في شرح كشف الأسرار عن غوامض الأفكار) في المنطق لمحمد بن نام أور بن عبد الملك الخوننجي المعروف بالقاضي أَفْضَلُ الدِّينِ الشَّافِعِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٦٤٩ هـ، وَقَدْ شَرَحَهُ عَلِيُّ بْنُ عَمْرِو الْقَزْوِينِيُّ الْكَاتِبِيُّ صَاحِبُ الشَّمْسِيَّةِ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٦٧٥ هـ. يُنْظَرُ: كَشَفُ الظُّنُونِ: ٢ / ١٤٨٦، لَوْلَا الْبَحْرَيْنِ: ٢١٥.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

٧. السَّيِّدُ ابْنُ عَرَفَةَ^(١)

هُوَ السَّيِّدُ فَخْرُ الدِّينِ عَلِيُّ أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ عَرَفَةَ، الْحُسَيْنِيُّ نَسَبًا، وَالْحَلِّيُّ وَطَنًا وَمَوْلَدًا، مِنْ صُدُورِ عُلَمَاءِ الْفَيْحَاءِ، وَفَطَا حِلِّ فَقَهَايْهَا، وَإِذَا تَأَمَّلْنَا النَّهْضَةَ الثَّقَافِيَّةَ فِي عَصْرِ الْمُتَرَجِّمِ لَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْعُمُقِ؛ فَلَا يَعْسُرُ عَلَيْنَا أَنْ نَلْمَحَ آثَارَ الْمُتَرَجِّمِ الْبَنَاءَةِ تُشْرِقُ إِشْرَاقَ الشَّمْسِ فِي إِنْارَةِ سَبِيلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فِي ذَلِكَ الْقَرْنِ الَّذِي يُعَدُّ مِنْ خَيْرَةِ الْقُرُونِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَى الْحِلَّةِ بِخَصَائِصِهِ، وَمُمَيِّزَاتِهِ الَّتِي كُلُّهَا فَخْرٌ، وَمَجْدٌ.

وَرَدَ فِي كِتَابِ (نَشْرُ الْخُرَامِي) فِيهِ مَا يَلِي: «وَابْنُ عَرَفَةَ: عَلَوِيٌّ جَلِيلٌ، وَبُهْلُولٌ سَلِيلٌ بِهَالِيلٍ، لَقَدْ تَمَكَّنَ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ، فَلَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِ فِي أُنْدِيَةِ الْعِلْمِ كَلَامٌ، حَتَّى كَانَ مِنْهُ عَلَى طَرَفِ السَّمَاءِ، وَبَلَغَ مِنَ الْمَعَالِي أَوْجُهَاً، فَكَانَ لِسَانَ الْحِلَّةِ وَوَجْهَهَا، فَهُوَ وَالْمَجْدُ فَرَعَا نَبْعَةً، وَهُوَ وَالْفَضْلُ غُصْنَا دَوْحَةً، فَرِيدٌ زَمَانِهِ، وَقَرِيعٌ دَهْرِهِ، وَنَادِرَةٌ عَصْرِهِ، وَزَهْرَةٌ فَيْحَائِهِ، وَنُظُورَةٌ أَكْفَائِهِ، نَالَ مِنَ الْفِقْهِ أَشْرَفَهَا سَنًا، وَلَمْ يَرْضَ لِنَفْسِهِ مِنَ الْقُطُوفِ مَا دَنَا، وَلَهُ فِي مَيْدَانِ الشَّعْرِ جَوْلَاتٌ، وَأَبْيَاتٌ أَبْيَاتٌ، إِذَا أَسْمَعَكَ قَوَافِيهِ ظَنَنْتَ الدَّرَّ قَدْ تَنَاطَرَ مِنْ فِيهِ، فِي أَلْفَاظٍ حَسَانٍ فَصَاحٍ، وَمَعَانٍ مَلَاحٍ، كَزَجَاجَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ؛ فَهُوَ لِلْعِلْمِ أَجْوَعُ مِنْ ذُوَالَةِ، وَلِلْأَدَبِ أَعْطَشُ مِنْ ثُعَالَةٍ، بَذَّ بِفَضَائِلِهِ الْفَضْلَاءَ، وَسُبْحَانَ مَنْ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ، اسْتَفَادَ مِنْ تَجَارِبِ دَهْرِهِ، فِيمَا ذَاقَهُ مِنْ خَلِّهِ وَخَمْرِهِ، وَحُلُولِهِ وَمُرِّهِ، فَهُوَ زَيْنُ الْمَجَالِسِ وَأَنْبَسُ النَّوَادِي، وَبَهْجَةُ الْحَوَاضِرِ، وَالْبَوَادِي تَلْقَى أَوَّلِيَّاتِ عِلْمِهِ مِنْ...»^(٢).

وَقَدْ وَصَفَهُ بَعْضُ مُتَرَجِّمِيهِ بِأَنَّهُ: «فَاضِلٌ صَالِحٌ، يَرَوِي عَنْهُ ابْنُ مُعَيَّةَ»^(٣)، وَلِعَلِّي ابْنُ

(١) يُنْظَرُ: أَمَلُ الْأَمَلِ: ٢/ ١٩٤، تَذَكُّرَةُ الْمُتَبَحَّرِينَ: ٤٤، أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ٣/ ٤٤، مَعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ: ٢/ ١٨٠.

(٢) كَتَبَ الْمُؤَلِّفُ: «يُؤَسِّفُنَا أَنْ يَعْبَثَ الْعَثُّ بِبَقِيَّةِ التَّرْجُمَةِ».

(٣) يُنْظَرُ: أَمَلُ الْأَمَلِ: ٢/ ١٩، تَذَكُّرَةُ الْمُتَبَحَّرِينَ: ١٣٤، مَعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ: ٥/ ٥٤.

القرن السادس الهجري

عَرَفَهُ هَذَا وَلَدٌ نَجِيبٌ هُوَ الشَّيْخُ الْأَمِينُ زَيْنُ الدِّينِ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَرَفَةَ^(١) مِنْ مَشَايِخِ تَاجِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّيِّدِ جَلَالِ الدِّينِ بْنِ جَعْفَرِ الْقَاسِمِ الدِّيَابِجِيِّ الْمُتَوَفَّى فِي الْحِلَّةِ سَنَةَ ٧٧٦ هـ، وَهَذَا الابْنُ الصَّالِحُ حَدَا حَذُوَ أَبِيهِ، وَسَلَكَ تِلْكَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ، وَرَسَمَ انْتِجَاهًا خَاصًّا مِنَ الْأَنْجَاهَاتِ الْأَدَبِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، وَسَاعَدَ عَلَى تَطَوُّرِ الذَّوْقِ الْأَدَبِيِّ، وَخَدَمَ الثَّقَافَةَ الْعَامَّةَ كَمَا خَدَمَهَا أَبُوهُ قَبْلَهُ؛ فَهُوَ مِثْلُهُ فَضْلًا وَنَدِيدُهُ عِلْمًا، وَلَا جَرَمَ، وَمَنْ يُشَابِهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ.

أَمَّا النَّبِيُّ الْمُؤَسِّفُ حَقًّا فَهُوَ التَّرَاجُمُ الْمَبْتُورَةُ، أَوْ الْمُسَوَّهَةُ؛ وَالَّذِي يَحْزُنُ فِي النَّفْسِ أَكْثَرُ هُوَ ضَيَاعُ تَرَاجُمِ الْكَثِيرِينَ مِنْ حَمَلَةِ مِشْعَلِ الثَّقَافَةِ، وَنَحْنُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ مَجْمُوعَةَ صَخِمَةٍ مِنْ هَذِهِ التَّرَاجِمِ لَا زَالَتْ فِي زَوَايَا الْبُيُوتِ الْحِلِّيَّةِ أَسَاءَ أَهْلِهَا إِلَى الْعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ بِإِهْمَالِهَا وَعَدَمِ نَشْرِهَا لِلاِسْتِفَادَةِ مِنْهَا، وَهَذَا عُقُوقٌ مَا بَعْدَهُ عُقُوقٌ.

٨. مُحَمَّدُ ابْنُ الْكِيَالِ^(٢) (٥١٥-٥٩٧ هـ)^(٣)

فِي مَجْمُوعَةِ الْجَدِّ (نَشْرُ الْخُرَامِيِّ) جَاءَ مَا لَفْظُهُ: «ابْنُ الْكِيَالِ رَجُلٌ لَيْسَ كَالرَّجَالِ،

(١) يُنْظَرُ: الإجازة في البحار: ٨/١٠٦ التي أَكَّدَ الْمُؤَلِّفُ أَنَّه ابْنُ السَّيِّدِ عَلِيٍّ بْنِ عَرَفَةَ الْحُسَيْنِيِّ، وَهُوَ لَيْسَ هُوَ، وَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْخُ الْأَمِينُ زَيْنُ الدِّينِ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ عُرْوَةَ الْحِلِّيِّ، فَضْلًا عَنْ كَوْنِ زَيْنِ الدِّينِ شَيْخًا وَلَيْسَ سَيِّدًا. يُنْظَرُ: أَمَلُ الْأَمَلِ: ٥٣/٢ ذَكَرَهُ بِ(الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ...). هَذَا لَيْسَ وَلَدُهُ، وَإِنَّمَا وَلَدُهُ فَخْرُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَرَفَةَ الْحُسَيْنِيِّ الْمُرْتَجِمُ فِي أَمَلِ الْأَمَلِ: ١٩/٢ الرِّقْمَ ٤٤، وَهُوَ مِنْ مَشَايِخِ ابْنِ مَعِيَّةَ. (أَحْمَدُ الْحِلِّيُّ).

(٢) كَالِ، كَهْ أَلِ، كِيَالِ، بِمَعْنَى الْكَبِيرِ الْحَرِّ الشَّجَاعِ. رَاجِعَ كِتَابُ: الثَّقَاتُ الْعِيُونُ: ٢٣٢-٢٣٣ وَ ٢٨٦-٢٨٨.

(٣) يُنْظَرُ تَرْجُمَتُهُ: الْعَبْرُ: ٣/١٢٠، غَايَةُ النِّهَايَةِ: ٢/٢٥٦ الرِّقْمَ ٣٤٤، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ: ٤/٣٣٣، أَمَلُ الْأَمَلِ: ٢/٣١١ الرِّقْمَ ٩٤٧، رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ: ٥/١٩٦، طَبَقَاتُ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ: ٣/٢٨٦، مَعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ: ١٧/٣١٨ الرِّقْمَ ١١٩٤٦، مَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ: ١٢/٣٠٧، تَاجُ الْعُرُوسِ: ١٥/٦٤٧، مَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ: ١١/٣٠٧، مَوْسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٦/٣٠٩، وَفِي مَعْظَمِ هَذِهِ =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحِلْيَةِ

وَمَفْخَرُهُ خَالِدَةُ مَدَى الْأَجْيَالِ، إِنْ كَانَ الْعِلْمُ كِتَابًا، فَهُوَ الْعُنْوَانُ، وَإِنْ كَانَتْ لِلْأَدَبِ دَوْلَةٌ فَهُوَ السُّلْطَانُ، لَا يُدَانِيهِ فِي عِلْمِهِ مُدَانِي وَشِعْرُهُ كَالْعُقُودِ فِي أَجْيَادِ الْغَوَانِي، يَلْعَبُ شِعْرُهُ كَالرَّاحِ فِي الْأَرْوَاحِ وَالْعَقْلِ، وَيُغْرِبُ مَبْنَاهُ بَرَأْعَتُهُ عَنْ فَضْلِ خَطَابٍ وَوَصْلِ، فَتَشَعَّبَتْ عَيْونُ مَوَارِدِهِ الشَّهِيَّةِ، وَتَنْظَمَتْ صَحَاحُ عُقُودِهِ الْجَوْهَرِيَّةِ، أَمَّا الْعِلْمُ فَهُوَ ابْنُ بَجْدَتِهِ وَالْفَقْهُ فَارِسُ حَلْبَتِهِ، وَالْكَلَامُ أَبُو عُذْرَتِهِ، اقْتَطَفَ مِنْ حَدَائِقِ الْعُلُومِ أَثْمَارَ الْفَوَائِدِ، وَافْتَنَصَ مِنَ الْأَفْكَارِ شَوَارِدَ الْأَوَابِدِ، كَأَنَّهُ الشَّمْسُ وَلَكِنْ لَا يَمَسُّهَا كُسُوفٌ، أَوْ أَفُولٌ، وَالسَّيْفُ الْجَرَّارُ، وَلَكِنْ لَا يَشِينُهُ ثَلَمٌ أَوْ فُلُولٌ، كُلُّ فَضْلٍ إِلَى فَضِيلَتِهِ انْتَهَى، فَهُوَ الْجَوْهَرُ الْقَرْدُ الَّذِي حَيَّرَ النَّهْيَ، بَعْدَادِي الْأَصْلِ، حِلِّي الْمَوْلِدِ، اكْتَحَلَتْ عَيْنُ الْوُجُودِ بِمَوْلِدِهِ الْمَيْمُونِ الْمَسْعُودِ، عَامَ خَمْسَةِ عَشَرَ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى مُهَاجِرِهَا وَآلِهِ أَلْفُ الصَّلَاةِ وَالتَّحِيَّةِ، فِي الْحِلَّةِ السَّيْفِيَّةِ الْمَزِيدِيَّةِ، وَاخْتَارَهُ اللَّهُ إِلَى جَوَارِهِ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ...^(١)، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ كَوْكَبِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الْحَلِّيِّ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الشَّرِيفَةِ وَالتَّأْلِيفِ الْمُنِيفَةِ، كَمُخْتَصَرِ التَّيْبَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ^(٢)، وَكِتَابِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ^(٣)، وَكِتَابِ بَصَائِرِ السَّالِكِينَ فِي أَصُولِ الدِّينِ^(٤)، وَكِتَابِ فَلَانْدُ النُّحُورِ فِي إِثْبَاتِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَكِتَابِ دُرَرِ الْبُحُورِ وَقَلَانْدُ النُّحُورِ فِي الدَّرَايَةِ، وَكِتَابِ بَسَاطِ النَّشَاطِ فِي مَوَاضِعِ الْإِحْتِيَاطِ، وَكِتَابِ اللَّحْنِ الْحَقِيقِيِّ وَاللَّحْنِ الْجَلِيِّ، وَدِيْوَانُ شِعْرِهِ الْكَبِيرِ، تُوفِّيَ فِي الْحِلَّةِ وَفِي ثُرْبَتِهَا دُفِنَ، وَلَانَتْ لِلْحَمَامِ قَنَاتُهُ وَأَيُّ شَدِيدٍ لِلزَّمَانِ لَمْ يَلِنْ؟».

=المصادر ذكر بابن الكال.

(١) يوجد هنا نحو ستة أسطر ألفتها العث. (المؤلف).

(٢) في الذريعة: ٤/ ٣١٠ إنه مختصر لـ (مجمع البيان) للطبرسي.

(٣) يُنظر: الذريعة: ٦٣/ ١٩.

(٤) لم يذكرها الشيخ آغا بزرك في الذريعة. فهو مما يستدرك عليه. (أحمد الحلي).

القرن السادس الهجري

وَأَيْنَا لَمْ نَعَثَرْ عَلَى زِيَادَةٍ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ سِوَى كَوْنِهِ كَانَ الْمُقَرَّرُ فِي حَانُوتٍ بِالْحِلَّةِ
كَمَا وَجَدْتُمَا تَنْعُتُهُ تَارَةً بِابْنِ الْكَلِّلِ، وَأُخْرَى بِابْنِ الْكَالِ، وَلَعَلَّ سُقُوطَ الْيَاءِ مِنْ لَفْظَةِ
(الْكَالِ) مِنْ بَعْضِ سَهْوِ النُّسَاخِ^(١)، وَجَاءَ فِي بَعْضِ التَّرَاجِمِ أَنَّ دِيَوَانَهُ قَدْ رَتَّبَهُ صَاحِبُهُ
عَلَى جَمِيعِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ فِي مَدَحِ بَعْضِ أُمَرَاءِ الْحِلَّةِ، وَنَعَتَتْ التَّرَاجِمُ شَعْرَهُ بِكُلِّ وَصْفٍ
جَمِيلٍ، وَقَالَتْ عَنْهُ إِنَّهُ فِي غَايَةِ الْجُودَةِ، وَقَدْ نَسَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

إِجْعَلْ هُمُومَكَ وَاحِدًا وَتَحَلَّ عَنْ كُلِّ الْهُمُومِ
فَعَسَاكَ أَنْ تَحْظَى بِمَا يُغْنِيكَ عَنْ طَلَبِ الْعُلُومِ
وَالْبَيْتَانِ رُغْمَ سَطْحِيَّةِ الْفِكْرَةِ لَيْسَا لِصَاحِبِ التَّرْجَمَةِ؛ وَإِنَّمَا هُمَا لِسِبْطِ ابْنِ التَّعَاوِيذِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٨٤هـ؛ أَي قَبْلَ ١٣ عَامًا عَلَى وَفَاةِ الْمُتَرْجِمِ لَهُ، وَابْنُ التَّعَاوِيذِيِّ مِنْ
فُحُولِ شُعَرَاءِ الْعِرَاقِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ، وَلَهُ دِيَوَانٌ مَطْبُوعٌ يَتَدَاوُلُهُ النَّاسُ، وَقَدْ
وَصَفَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ بِالْأُسْتَاذِ الْكَامِلِ^(٢).

(١) قال في الذريعة: ٤ / ٢٤٥ «ترجمه ابن العماد في (شذرات الذهب) بعنوان: محمد بن محمد بن
هارون المعروف بابن الكيال البغدادي ثم الحلي»، وترجمه في (أمل الآمل) بعنوان: أبو عبد الله
محمد بن هارون المعروف والده بالكال، والسيّد ابن طاووس ينقل عنه في كتابه (التحصين)
بعنوان: محمد بن محمد بن هارون المعروف بابن الكامل، وفي نسخة: (ابن الكال)، وعدّ في
(الآمل) من تصانيفه كتاب (مختصر التبيان في تفسير القرآن)، وكتاب (متشابه القرآن)، وكتاب
(اللحن الخفي)، و(اللحن الجلي) فهو من المكثرين»، وفي (٤ / ٣١١): «والظاهر أنّه الصحيح،
وأنّ ذكر الكال في كثير من المواضع».

(٢) جاء في وفيات الاعيان: ٤ / ٤٧٣ «ثمّ قال: قال لي ابن التعاويذي: ما قلت من الشعر غير هذين
البيتين»، إلّا أنّ في كتاب النجوم الزاهرة: ٦ / ١٠٥-١٠٦ خلاف ذلك، يقول: «وله ديوان شعر
كبير، الموجود غالبه في المديح، ومن شعره ﷺ في غير المديح، في الزهد:

اجعل همومك واحداً وتحلّ عن كلّ الهموم
فعساك أن تحظى بما يغنيك عن كلّ الهموم

وله: =

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحِلَّةِ

٩. الْفَرَضِيُّ الْحِلِّيُّ [ت ٥٩٠هـ] ^(١)

الْفَرَضِيُّ نَسَبُهُ لِلْعَارِفِ بِعِلْمِ الْفَرَائِضِ؛ وَيُرَادُ بِهِ عِلْمُ الْمَوَارِيثِ مِنْ بَابِ: إِطْلَاقِ
الْجُزْءِ وَإِرَادَةِ الْكُلِّ، وَالْمُتَرَجِّمُ لَهُ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْظَمِ فِي هَذَا الْعِلْمِ وَعِلْمِ الْحِسَابِ،
وَالْهَنْدَسَةِ، وَالْمَسَاحَةِ، وَعِلْمِ النُّجُومِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ، وَعِلْمِ الْفَلَكَ وَالْمِيقَاتِ، وَاطَّلَاعُ
كَامِلٌ عَلَى عِلْمِي الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَمَعْرِفَةٌ عَمِيقَةٌ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَعِلْمِ الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ،
وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فَارِسٌ لَامِعٌ مِنْ فُرْسَانِ الْأَدَبِ اسْمُهُ (مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ
الدَّهَّانِ)، وَكُنْيَتُهُ (أَبُو شُجَاعٍ)، أَوْ (أَبُو شُجَاعِ الدِّينِ)، وَلَقَبُهُ (بِرَّهَانَ الدِّينِ)، بَغْدَادِيُّ
الْأَصْلِ، حِلِّيُّ ^(٢) النَّشْأَةِ وَالسُّكْنَى وَالتَّحْصِيلِ وَالْوَفَاةِ، لَقَدْ تَعَلَّمَ الشُّعْرَ، وَقَرَضَهُ فَأَحْسَنَ
قَرَضَهُ كَانَ عَالِمًا بِفُنُونِهِ، عَرَّافًا بِأَسْرَارِهِ، مُجِيدًا نَظْمَهُ، وَلَوْلَعِهِ بِالْعُلُومِ لَمْ يَكُنْ يَنْسَى فِي
شِعْرِهِ تَضْمِينَهَا، وَلَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَشَارَ بِهِ إِلَى قَاعِدَةِ فِقْهِيَّةٍ، وَهِيَ بَطْلَانُ الصُّومِ يَوْمَ
الْعِيدِ؛ فَقَالَ وَأَحْسَنَ:

نَذَرَ النَّاسُ يَوْمَ بَرِّئِكَ صَوْمًا غَيْرَ أَنِّي عَزِمْتُ وَخَدِي فَطُرَا ^(٣)
عَالِمًا أَنَّ يَوْمَ بَرِّئِكَ عِيدٌ لَا أَرَى صَوْمَهُ وَإِنْ كَانَ نَذَرًا

قَالَ فِي أَثْنَاءِ تَرْجَمَتِهِ صَاحِبُ كِتَابِ (إِنْسَانُ الْعُيُونِ فِي مَشَاهِيرِ سَادِسِ الْقُرُونِ) عَنِ
الصُّورَةِ الْفُوتُوغَرَفِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ بِالْمَكْتَبَةِ الْمُسْتَنْصَرِيَّةِ بِبَغْدَادٍ: «أَبُو شُجَاعٍ مُحَمَّدُ بْنُ

فَكَم لَيْلَةَ قَدَبَتْ أَرَشَفَ رَيْقَهُ وَجَرَتْ عَلَى ذَاكَ الشَّيْبِ الْمَنْضَدِ
وَبَاتَ كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ مَعَانِقِي وَبَتَ وَإِيَاهُ كَحَرْفٍ مَشْدَدٍ»

(١) يُنْظَرُ: بَغِيَّةُ الْوَعَاة: ٧٦، وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ: ٢/ ٢٤ وَفِيهَا: وَفَاتَهُ فِي صَفَرِ ٥٩٠هـ، وَفِي ذَيْلِ
الرُّوَضَتَيْنِ: ٩، وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ: ١٣٩-١٣٩/٦ أَنَّهُ وَصَلَ فِي (تَارِيخِهِ) إِلَى سَنَةِ ٥٩٢هـ وَتَوَقَّيْ
بِهَا، وَالتَّفَقُّعُ عَلَيْهِ هُوَ ٥٩٠هـ. وَلَوْ يُمْكِنُنَا الْإِطْلَاعُ عَلَى تَارِيخِهِ لَأَثْبَتْنَا إِلَى أَيِّ سَنَةٍ وَصَلَ فِي تَأْلِيفِهِ.
(٢) فِي الْمَطْبُوعِ (حَلْبِيِّ)، وَالصُّوَابِ (حَلِّيٍّ)؛ فَهُوَ ذُو نَشْأَةٍ وَتَحْصِيلٍ وَسُكْنَى وَوَفَاةٍ فِي الْحِلَّةِ. انْظُرْ:
الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ: ٢/ ٧٩، ذَكَرَ وَفَاتَهُ فِي الْحِلَّةِ سَنَةَ ٥٩٠هـ.

(٣) وَرَدَ: (يَوْمَ بَرِّكَ)، وَالْأَصَحُّ مَا اخْتَرَنَاهُ، فَبَرُّوكَ لَا بَرِّكَ هُوَ الْمُرَادُ.

القرن السادس الهجري

عَلِيَّ بْنَ شُعَيْبٍ أَبُو شُجَاعٍ بُرْهَانَ الدِّينِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الدَّهَّانِ الْفَرَزِيِّ الْحَاسِبِ الْبَغْدَادِيِّ الْأَدِيبِ^(١)، وَلِدَ بَغْدَادَ وَانْتَقَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ، كَانَتْ لَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى فِي عِلْمِ النُّجُومِ، وَحَلَّ الْأَزْيَاجَ، تُوفِّيَ بِالْحِلَّةِ السَّيْفِيَّةِ.

وَلَمْ يَذْكُرْ نَشَأَتَهُ فِي الْحِلَّةِ وَقَضَاءَهُ الشَّطْرَ الْكَبِيرَ مِنْ عُمُرِهِ فِي مَدَارِسِهَا، وَمُتَدَيَاتِهَا الَّتِي صَقَلَتْ مَوَاهِبَهُ؛ فَكَانَ ذُرَّةً فِي تَارِيخِ الْحِلَّةِ مِنْ دُرَرِ الْقَرْنِ السَّادِسِ الَّذِي كَانَ مِنْ أَتَمِّ الْقُرُونِ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ فِي الدَّوْرِ الْعَبَّاسِيِّ، الَّذِي هَيَّأَ اللَّهُ لَهُ النَّاصِرَ أَحَدَ أَبْطَالِ الْعَبَّاسِيِّينَ فَكَانَ عَصْرُهُ فَاتِحَةً عَهْدٍ جَدِيدٍ بَدَّدَ دِيَاجِي الذُّلِّ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَاسْتَقْبَلَتْ الْخِلَافَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ أَشْعَةً التَّحَرُّرِ، وَاسْتَعَادَتْ أَهْبَتَهَا وَسُلْطَتَهَا؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي أَفَاضَتْ رُوحَ الْحَيَاةِ عَلَى خِلَافَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ لَمْ تَبْخَلْ بِإِفاضةِ تِلْكَ الرُّوحِ عَلَى الشُّعْرِ وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ دَلَائِلِ حَيَاةِ الْأُمَّةِ؛ فَكَانَ صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْفُحُولِ الَّذِينَ قَدَّمُوا أَمْثِلَةً حَيَّةً مِنَ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْخَالِدِ، وَعَسَى أَنْ يَهَيَّيَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْضَ الْغِيَارَى عَلَى تَرَاثِنَا الْإِسْلَامِيِّ؛ فَيَتَصَدَّى إِلَى نَشْرِ دِيْوَانِهِ^(٢) فَيَزِينِ الْمَكْتَبَةَ الْعَرَبِيَّةَ بِأَثَرِ أَدَبِيٍّ ثَمِينٍ، لَقَدْ كَانَتْ وَفَاةُ هَذَا الْجَهْدِ بِالْحِلَّةِ سَنَةَ ٥٩٠ هـ^(٣)، وَسِنِّي وَفَاتِهِ تُقَابِلُهَا (نَمَقَّتْ)، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَعَامَلَهُ بِلُطْفِهِ.

(١) المخطوط تحت الرقم ١٩٥، الصحيفة: ٥١، وفي المطبوع: ٥٥، تحقيق: إحسان الثامري ورفيقه، دار ورد، ٢٠٠٧ م.

(٢) وله: تقويم النظر في مسائل الخلاف. يُنظر: إيضاح المكنون: ١ / ٣١٥، وفي هدية العارفين: ١٠٣ / ٢ «له من الكتب (التاريخ)، و(تفسير المجرد)، و(تقويم النظر في الخلاف)، و(مجدول على وضع تقويم الصحة)، و(الزيج المشهور)، و(غريب الحديث) في ستة عشر مجلداً، و(المائدة والفائدة في النوادر والفرائد)، و(المنير في الفرائض) وغير ذلك».

(٣) نصَّ على وفاته بالحلة: الذهبي في تاريخ الإسلام: ٤١ / ٣٩٢، والقفطي في إنباه الرواة: ١٩٣ / ٣، وابن خلكان في وفيات الأعيان: ٥ / ١٢. (أحمد الحلي).

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

١٠. ابنُ إدريس [٥٣٤-٥٩٨هـ]^(١)

لَمْ أَجِدْ أَحَدًا سَبَقَنِي إِلَى تَأْلِيفِ كِتَابِ خَاصِّ بِفَتْهَاءِ الْحِلَّةِ أَوْ غَيْرِهَا وَكُلُّ مَا نَعَرَفُهُ أَنْ نَجِدَ تَرَاجُمَ الْفُقَهَاءِ بِصُورَةٍ عَرْضِيَّةٍ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ، عَلَى أَنَّ الْفُقَهَاءَ جَدِيدُونَ بِاخْتِلَالِ الْمَكَانِ الْبَارِزِ مِنَ التَّارِيخِ، وَالْعِنَايَةِ بِأَحْوَالِهِمْ فِي كُتُبِ خَاصَّةٍ؛ لِصِلَتِهِ الْفِقْهِيَّةِ بِدِينِنَا وَدُنْيَانَا؛ فَلَمْ يَكُنْ لِلْمُؤَرِّخِ الْمُسْلِمِ مَجَالٌ لِلْعُذْرِ بِإِهْمَالِ هَذِهِ النَّاحِيَةِ وَالتَّقَاعُصِ عَنْ أَفْرَادِ الْبُحُوثِ عَنْهُمْ؛ لِتَسْجِيلِ ثَمَرَاتِ ثُبُوغِهِمْ تَخْلِيدًا لِذِكْرِهِمْ مَكْفَأَةً لِتِلْكَ الْمَوَاهِبِ وَالْجُهُودِ، وَالثَّرْوَةِ الثَّقَافِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ، وَلِحَثِّ النَّشْءِ الصَّالِحِ عَلَى اخْتِذَاءِ مَنَاجِدِهِمُ الْقَوِيمِ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ، وَالْغَرِيبُ أَنْ نَرَى جَمْعَةَ الْمُؤَرِّخِينَ قَدْ أَغْفَلُوا هَذَا الْبَحْثَ الْمُشْتَرَكَ وَعَكَفُوا عَلَى تَرَاجُمِ أَدْبَاءِ الْعُصُورِ، وَكِتَابَةِ الْفُصُولِ الْمُسْهِبَةِ عَنْ حَيَاتِهِمْ وَتَسْجِيلِ أَتَقَهُ أَعْمَالِهِمْ مَعَ أَنَّ الْأَدْبَاءَ يَأْتُونَ بَعْدَ الْعُلَمَاءِ دَرَجَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَرْكَزِ الْمُهْمِّ الَّذِي مَنَحَهُ اللَّهُ لِلْعُلَمَاءِ وَرِثَةَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْهُمْ صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ الشَّيْخُ الْفَقِيهُ النَّبِيهُ فَخْرُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَيْسَى الْحَلِّيِّ الْعَجَلِيِّ نِسْبَةً إِلَى عَجَلِ بْنِ جُلَيْمٍ^(٢)، قَبِيلَةٌ مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ الْفَرَسِ^(٣).

(١) انظر: الكنى والألقاب: ٢١٠ / ١، لؤلؤة البحرين: ٩٧ / ٢٧٦، رجال ابن داود: ٤٢٦ / ٢٦٩، فهرست منتجب الدين: ١٧٣ الرقم ٤٢١، مجمع الآداب للفوطي: ١٢٧ / ٣ برقم ٢٣٣١، سير أعلام النبلاء: ٢١ / ٣٣٢ الرقم ١٧٥، الوافي بالوفيات: ١٨٣ / ٢، لسان الميزان: ٦٥ / ٥، نقد الرجال: ٢٩١، مجالس المؤمنين: ١ / ٥٦٩، جامع الرواة: ٦٥ / ٢، أمل الآمل: ٢٤١ / ٢، رياض العلماء: ٥ / ٣١، روضات الجنات: ٦ / ٢٧٤، تنقيح المقال: ٢ / ٧٧ الرقم ١٠٣٦١، تأسيس الشيعة: ٣٠٥، أعيان الشيعة: ٩ / ١٢٠، طبقات أعلام الشيعة: ٢ / ٢٩٠، الذريعة: ١٢ / ١٥٥، معجم رجال الحديث: ١٥ / ٦٢، قاموس الرجال: ٨ / ٤٥، معجم المؤلفين: ٩ / ٣٢، وانظر أيضًا: دراسة السيد الخرساني في موسوعته القيِّمة (موسوعة ابن إدريس الحلِّي).

(٢) وَهُوَ عَجَلُ بْنُ جُلَيْمٍ بْنِ صَعْبٍ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ. يُنْظَرُ: اللباب: ٢ / ٣٢٥، الانباه على قبائل الرواة: ٨٧، طبقات ابن سعد: ٦ / ٤٠ وطبقات خليفة: ٦٥، ١٣٢، يُنْظَرُ: أسماء القبائل والعشائر وبعض الملوك، القزويني، تحقيق: د. علي الأعرجي، قيد الطبع: ١٦٦.

(٣) فِي هَذَا النَّسَبِ يُنْظَرُ: حياة الحيوان الكبرى: ٢ / ٤٢١، وعمدة القاري: ١ / ٣٠٥، ١٦ / ٣٠٣، =

القرن السادس الهجري

إِنَّ هَذَا الشَّابَّ الْفَقِيهَ الْعَلَامَةَ الْجُهَنَدَ قَدْ شَاهَدَ أَوَّلَ مَوَاقِبِ النَّهْضَةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ يَغْذُّ السَّيْرَ؛ فَكَانَ ﷺ فِي أَوَّلِ الْقَادَةِ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ عَنِ الرَّائِبِ فَهُوَ زَهْرَةٌ شَدِيدَةٌ مِنْ أَزَاهِيرِ الْحِلَّةِ لَمْ يَسَعْ حَتَّى الْمُتَرَمِّتِينَ مِنْ رِجَالِ الْقَانُونِ وَالْمُسْتَغْلِينَ بِالْحُقُولِ الثَّقَافِيَّةِ إِلَّا أَنْ يُخْنَوِرُوا رُؤُوسَهُمْ إِجْلَالًا أَمَامَ عَبْقَرِيَّةِ ابْنِ إِدْرِيسٍ صَاحِبِ السَّرَائِرِ؛ وَلَعَلَّكَ تَحْسَبُ مِنْ طُغْيَانِ الْحَيَالِ لَوْ قُلْنَا: «إِنَّهُ فَلْتَةٌ مِنْ فَلَتَاتِ الدَّهْرِ فَلَمَّا سَمَحَ بِمِثْلِهَا»، أَقُولُ ذَلِكَ دُونَ تَعْصِبٍ لِلْحِلِّيَّةِ الَّتِي تَجْمَعُنَا، وَلَا لِلْعَقِيدَةِ الَّتِي تُوحِدُنَا، وَلَكِنْ لِلْحَقِّ؛ وَلِلْحَقِّ وَحْدَهُ، وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ.

إِنَّ لِهَذَا الرَّجُلِ الْعَظِيمِ الْفَذِّ عَبْقَرِيَّةً طَاعِيَةً سَبَقَتْ زَمَانَهَا بِقُرُونٍ، وَلِمُؤَلَّفَاتِهِ إِكْبَارٌ، وَإِجْلَالٌ وَدَوِيٌّ فِي مَحَافِلِ دِرَاسَةِ الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ؛ فَهُوَ مِنْ أَكْبَارِ مُجْتَهِدِي الشَّيْخَةِ، قَالَ فِيهِ الْعَلَامَةُ النُّورِيُّ فِي مُسْتَدْرَكِهِ: «الْعَالِمُ الْجَلِيلُ الْمَعْرُوفُ، أَذْعَنَ بَعْلُو مَقَامِهِ فِي الْعِلْمِ، وَالْفَهْمِ، وَالتَّحْقِيقِ، وَالْفَقَاهَةِ أَعْظَمُ الْفُقَهَاءِ فِي إِجَارَاتِهِمْ، وَتَرَاجُمِهِمْ؛ فَقَالَ الشَّهِيدُ [مُحَمَّدُ بْنُ مَكِّيٍّ] ^(١) فِي إِجَارَتِهِ لِابْنِ الْخَازَنِ الْخَاطِرِيِّ، [وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ فَخَارٍ] ^(٢) وَابْنِ نَمٍ مُصَنَّفَاتِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ الْمُحَقِّقِ [فَخَرِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسِ الْحَلِيِّ الرَّبْعِيِّ، وَقَالَ الْمُحَقِّقُ الثَّانِي فِي إِجَارَتِهِ لِلْقَاضِي صَفِيِّ الدِّينِ، وَمِنْهَا جَمِيعُ مُصَنَّفَاتِ، وَمَرْوِيَّاتِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ السَّعِيدِ الْمُحَقِّقِ] ^(٣) حَبْرُ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ، فَخَرِ الْمِلَّةِ، وَالْحَقُّ وَالِدَيْنِ، أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسٍ بَرَدَ اللَّهُ مَضْجَعَهُ، وَشَكَرَ سَعْيَهُ» ^(٤).

=الانباء على قبائل الرواة: ٨٦.

(١) في خاتمة المستدرک: ٤٠ / ٣ (فقال الشهيد في إجازته).

(٢) في المطبوع: (بن معد)، وهو غير موجود عند الميرزا النوري: ٤٠ / ٣.

(٣) إلى هنا الزيادة من المستدرک: ٤٠ / ٣، وقد سقطت من المؤلف ﷺ، فعند قراءة أصل كتاب

الفيحاء في هذه العبارة تجد الكلام مبتورا.

(٤) يُنظر: خاتمة المستدرک: ٤٠ / ٣.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ

وَالْحَقُّ أَنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ مَعْرُوفًا بِالْجُرْأَةِ وَالْكِياسَةِ، وَالتَّحْقِيقِ، وَالبَحْثِ الْحَرِّ، وَهُوَ الَّذِي جَرَأَ النَّاسَ عَلَى مَقَامِ جَدِّهِ لِأَمِّهِ شَيْخِ الطَّائِفَةِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الطُّوسِيِّ تَلْمِيزِ الشَّيْخِ الْمُفِيدِ، وَعَلِمِ الْهَدْيِ الْمُرتَضَى وَالْقُمِّيِّ، وَوُلِدَ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٠٨ هـ^(١)، وَسَكَنَ بَغْدَادَ؛ ثُمَّ هَجَرَهَا مُهَاجِرًا إِلَى النَّجَفِ الْأَشْرَفِ اتِّقَاءَ الْفِتْنَةِ الَّتِي حَدَثَتْ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ الْإِسْلَامِيَّتَيْنِ: الشَّيْعَةِ وَالسُّنَّةِ [سنة ٤٤٨ هـ تِلْكَ الْفِتْنَةُ الرَّعْنَاءُ الَّتِي ذَهَبَ صَحِيحَتُهَا النَّفْسُ الْبَرِيئَةُ وَاسْتَحَلَّتِ الْأَعْرَاضُ، وَالِدَمَاءُ الْمُحَرَّمَةُ بِمَا أَدَّى إِلَى احْتِرَاقِ كُرْسِيِّهِ الْمُتَمَازِ الَّذِي لَا يُعْطَى إِلَّا لِوَحِيدٍ عَصْرِهِ يَجْلِسُ عَلَيْهِ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالْكَلامِ، كَمَا التَّهَمَّتِ النَّيْرَانُ مَكْتَبَتَهُ الْفَخْمَةَ وَدَارَهُ فِي بَابِ الْكَرْخِ، وَاسْتَقَرَّ فِي النَّجَفِ أَمِنًا مِنَ الْاِغْتِيَالِ الَّذِي تَكَرَّرَ فِي بَغْدَادَ؛ فَنَشَرَ الْعِلْمَ وَالثَّقَافَةَ، وَانْتَظَمَتْ حَلَقَاتُ التَّدْرِيسِ، وَكَثُرَتْ تَلَامِذُهُ فَصَارَتِ النَّجَفُ مَرْكَزَ هِجْرَةِ لِطُلَّابِ الْعُلُومِ وَرُودِ الثَّقَافَةِ مِنْ أَكْثَرِ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلاِنْتِهَالِ مِنْ مَوَارِدِ عِلْمِهِ الْعَذِيَّةِ حَتَّى تُوفِّيَ فِي الْغُرِيِّ الْأَعْرَ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ ٢٢ مُحَرَّمِ الْحَرَامِ سَنَةِ ٤٦٠ هـ، وَدُفِنَ فِي دَارِهِ، وَقَبْرُهُ لَا يَزَالُ حَتَّى السَّاعَةِ مِنَ الْمَرَاقِدِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي تُزَارُ، وَيَتَبَرَّكُ النَّاسُ بِهَا.

وَبَعْدَ فَجِيعَةِ النَّاسِ بِوَفَاتِهِ، بَدَأَ الْفُتُورُ يَدُبُّ فِي نُفُوسِ طُلَّابِ الْعِلْمِ^(٢) كَمَا يَدُبُّ الْفُتُورُ فِي نُفُوسِ الْجُنُودِ عِنْدَ مَوْتِ الْقَائِدِ الْحَكِيمِ الْمِعْوَارِ؛ فَكَانَ هَذَا الْفُتُورُ سَبَبًا مُهِمًّا لِانْتِقَالِ الْمَرْكَزِ الْعِلْمِيِّ إِلَى الْحِلَّةِ الْفَيْحَاءِ الَّتِي كَانَتْ مَرْكَزًا ثَانَوِيًّا لِلْعِلْمِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّجَفِ الْأَشْرَفِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ، فَكَانَتْ الْمَرْكَزُ الْمُهِمُّ فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ السَّابِعِ الْمُهْجَرِيِّ فِي عَصْرِ الْمُحَقِّقِ الْحِلِّيِّ الَّذِي كَانَ يَخْضُرُ نَدْوَتُهُ الْعِلْمِيَّةُ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ مُجْتَهِدٍ عَدَا الَّذِينَ لَمْ

(١) ولادة الشيخ الطوسي كانت سنة ٣٨٥ هـ، فلاحظ. وقد ذكر ذلك الشهيد الأول عن بعض خطوطه. يُنظر: بحار الأنوار: ١٨/ ١٠٤، وسنة ٤٠٨ هـ هي سنة هجرته إلى العراق. (أحمد الحلي).

(٢) يُنظر حول هذا الموضوع: المعالم الجديدة في الأصول: ٧٢-٧٦، مقدِّمة السرائر: ٢٥/ ١.

القرن السادس الهجري

يَبْلُغُوا دَرَجَةَ الاجْتِهَادِ^(١)، وَمِنْ الْمُجْتَهِدِينَ أَوْلَادُ طَاوُوسٍ، وَبَنُو الْمُطَهَّرِ، وَبَنُو سَعِيدٍ، وَأَبْنَاءُ نَهْ، وَأَلْ عَوْضِ، وَأَلْ السَّيُورِيِّ^(٢)، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ الَّتِي طَبَقَ صِيَتُهُمُ الْآفَاقَ، وَاسْتَمَرَّتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ الْعِلْمِيَّةُ عَلَى شِدَّتِهَا حَتَّى الْقَرْنِ الْعَاشِرِ الْهَجْرِيِّ؛ ثُمَّ فَتَرَتْ الْحَرَكَةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي الْحِلَّةِ فَعَادَتْ ثَانِيَةً إِلَى النَّجَفِ الْأَشْرَفِ فِي عَصْرِ الْمُقَدَّسِ الْأَرْدَبِيلِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٩٣ هـ، وَبَقِيَتْ مَرْكَزَ الثَّقَلِ بِالنِّسْبَةِ لِلْحَرَكَةِ الثَّقَافِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَتَّى الْآنَ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَصِلْ لِلدَّرَجَةِ الْمُتَمَازَةِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ حَصَلَتْ عَلَيْهَا أَيَّامَ أَبِي جَعْفَرِ الطُّوسِيِّ؛ جَدِّ ابْنِ إِدْرِيسٍ لِأُمِّهِ الَّذِي سَعَى جُهِدُهُ لِنَشْرِ رَأْيَةِ الْعِلْمِ الْحَقَّاقَةِ، وَهُوَ مُصَنَّفُ كِتَابِ: (التَّبْيَانُ الْجَامِعُ لِعُلُومِ الْقُرْآنِ)^(٣)، ذَلِكَ الْكِتَابُ الْجَلِيلُ الَّذِي بَلَغَ

(١) ذكر ذلك السيّد حسن الصدر في آخر تكملة أمل الآمل عند ذكر الحِلَّةِ على ما أظن، وقال إنّه كان فيها أربع مائة مجتهد في وقت واحد. (أحمد الحلي).

(٢) سيأتي تبعاً لترجمة لكلِّ علَمٍ من أعلام هذه الأُسُر، وبحسب ما يورده المصنّف.

(٣) في الذريعة: ٣/ ٣٢٨ الرقم ١١٩٧ (التبيان في تفسير القرآن) لشيخ الطائفة - بقولٍ مطلق - الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ الطوسي المولود ٣٨٥ هـ والمهاجر إلى العراق سنة ٤٠٨ هـ والمتوفّى بالنجف سنة ٤٦٠ هـ، وصفه في فهرسته عند ذكر تصانيفه بقوله: وله كتاب تفسير القرآن لم يعمل مثله، ولكنّ النجاشي صرّح باسمه قال: و(كتاب التبيان في تفسير القرآن)، وقال آية الله بحر العلوم في الفوائد الرجالية: ٣/ ٢٢٨ في وصفه: إنّ كتاب (التبيان الجامع لعلوم القرآن) كتاب جليل كبير، عديم النظير في التفاسير، وشيخنا الطبرسيّ إمام التفسير في كتبه إليه يزدلف، ومن بحره يغترف، ومن عجيب الاشتباه ما وقع للحاجّ خليفة في كشف الظنون: ١/ ٣١١ عند ذكره تفسير الطوسي، طبعة إسلامبول، مطبعة العالم سنة ١٣١٠ هـ، قال: «تفسير الطوسي هو أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ فقيه الشيعة، كان ينتمي إلى مذهب الشافعيّ، المتوفّى سنة إحدى وستين وخمسمائة، سمّاه بجمع البيان لعلوم القرآن، واختصر الكشاف وسمّاه (جوامع الجامع)، وابتدأ بتأليفه في سنة اثنين وستين وخمسمائة، قال السبكي: وقد أحرقت كتبه عدّة نوب بمحض من الناس».

أقول: ولا يخفى على المتتبّع اللبيب هذا الخلط، فالمجمع والجامع هما للشيخ الطبرسيّ، لا الطوسيّ، ومن المؤسف أنّ محقّق الكتاب أحمد حبيب قصير العامليّ لم يحقّق ضبط العنوان (التبيان في تفسير القرآن)، أم (التبيان الجامع لعلوم القرآن)، كما وقع الخلط في مجمع البيان=

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

مِنَ الْجَلَالَةِ مَنْزِلَةً عَظِيمَةً، فَمَكَثَ الْعِلْمُ الدِّينِيُّ فِي النَّجَفِ مُتَّحِدًا مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْعِلْمَ لَا يَعْرِفُ سُدُودًا وَلَا حُدُودًا، وَلَكِنَّ الْمُتَرَجِّمَ لَهُ ابْنُ إِدْرِيسَ كَانَ قَدْ تَصَدَّى لِهَذَا الْعَالَمِ الْعَظِيمِ بِالرَّدِّ وَالنَّقْدِ لَا حَسَدًا لِمَقَامِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَبْنَاءِ عَصْرِهِ أَوَّلًا، وَلِأَنَّ الَّذِي يُشْنَعُ عَلَيْهِ هُوَ جَدُّهُ وَيَعُودُ فَخْرُهُ إِلَيْهِ مَا يَدُلُّ أَنَّ السَّبَبَ أَزْفَعُ مِنْ هَذَا الظَّنِّ الْأَثِيمِ؛ وَلَكِنَّهُ لَمَّا رَأَى كَثْرَةَ تَلَامِذَةِ جَدِّهِ^(١) وَتَسَالُمِهِمْ عَلَى قَبُولِ رَأْيِهِ دُونَ مُحَاكَمَةٍ؛ لِشِدَّةِ شُعُورِ هَؤُلَاءِ النَّالِمِذِ بِعَظَمَةِ أَسْتَاذِهِمُ الطُّوسِيِّ، فَخَافَ أَنْ يَظُنَّ ظَانٌّ أَنَّ آرَاءَ الطُّوسِيِّ إِجْمَاعِيَّةٌ، وَهِيَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ، كَمَا حَادَرَ مِنْ سُوءِ مَعْبَةِ الرُّكُودِ الْعِلْمِيِّ، فَكَانَتْ انتِقَادَاتُ ابْنِ إِدْرِيسَ لِحَدِّهِ الطُّوسِيِّ مِنْ أَهَمِّ الْأَسْبَابِ لِمَمُوجَاتِ التِّيَّارَاتِ الْفِكْرِيَّةِ وَدَفْعِ الثَّقَافَةِ إِلَى مَرَحَلَةٍ جَدِيدَةٍ فِي طَرِيقِ التَّطَوُّرِ الْفِكْرِيِّ؛ فَلَوْلَا انتِقَادَاتُ ابْنِ إِدْرِيسَ لِآرَاءِ جَدِّهِ الطُّوسِيِّ لاسْتَمَرَ الرُّكُودُ الْفِكْرِيُّ طَوِيلًا، وَلَوْ اسْتَمَرَ لَانْطَفَأَتْ تِلْكَ الشُّعْلَةُ الْوَهَّاجَةُ؛ وَلَكِنَّ تِلْكَ التَّجَرِّحَاتِ وَالتَّنْذِيدَاتِ الْقَاسِيَةَ وَمُخَالَفَةَ الْمُتَرَجِّمَ لَهُ لِقَدَمَاءِ الْأَصْحَابِ كَانَتْ أَكْبَرَ مُشْجِعٍ لِلْعُلَمَاءِ عَلَى اسْتِمْرَارِ فَتْحِ بَابِ الاجْتِهَادِ، وَالْمُحَاكَمَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَكَانَتْ نَتِيجَةً خُطَّتِهَا الْجَرَبِيَّةُ أَنْ تَعَرَّضَ إِلَى انتِقَادَاتٍ لَادْعَةٍ غَيْرِ مُنْصِفَةٍ مِنْ خُصُومِهِ الَّذِينَ اسْتَبَاحُوا مِنْهُ مَا اسْتَبَاحَهُ هُوَ مِنْ جَدِّهِ، وَأَكْثَرَ خُصُومَهُ وَحُسَادَهُ مِنَ التَّشْنِيعِ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ النَّقْدَ اللَّادِعَ وَالتَّشْنِيعَ لَمْ يَكُنْ لِيَقْتَفِ فِي عَضْدِ ابْنِ إِدْرِيسَ الْجَرِيءِ؛ فَتَغَلَّبَ بِشَجَاعَتِهِ، وَحُكْمَتِهِ، عَلَى تِلْكَ الصُّعُوبَاتِ الْوَقْتِيَّةِ مُسْتَمِرًّا عَلَى نَقْدِ جَدِّهِ الطُّوسِيِّ حَتَّى أَشْبَعَهُ تَوْهِينًا وَتَجَرُّبًا، وَيَكْفِينَا لِمَعْرِفَةِ مَقْدَارِ مَا أَصَابَ عُلَمَاءَ عَصْرِهِ مِنْ دَاءِ الْجُمُودِ مَا نَقَلَهُ السَّيِّدُ رَضِيَ الدِّينُ

= للطبرسي، فهو في علوم القرآن وليس في تفسير القرآن. انظر: طبعة التقريب بين المذاهب، وهي أرقى التحقيقات.

(١) قال الحر العاملي في أمل الآمل: ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤: «يروي عن خاله أبي علي الطوسي بواسطة وغير واسطة، وعن جدّه لأُمّه أبي جعفر الطوسي، وأمّ أمّه بنت المسعود ورام، وكانت فاضلة صالحة».

القرن السادس الهجري

ابن طاووس الحلبي في كتابه (المهجة) ما هذا نصه: «أخبرني جدي الصالح ورّام ابن أبي فراس، أن سديد الدين محمود الحمصي حدّثه أنّه لم يبقَ للإماميّة مُفْتٍ على التحقيق؛ بل كلّهم حاكٍ» إلخ.. وعقب السيّد ابن طاووس على ذلك بقوله: «فقد ظهر الآن أنّ الذي يُفتى به ويُجاب على سبيل ما حفظ»^(١).. إلخ.

وهذه الجملة أوضحت لك بأمّانة ما كان عليه فقهاء ذلك العصر من الجمود والركود، وهو ما يصحّح أن يكون مبرراً لموقف ابن إدريس الصّارم من جدّه وتلامذته، وقد صحّح ابن إدريس بتعريض كرامته العلميّة إلى النقد الجارح في سبيل الاستقلال العلميّ، وتسخير الطّاقات الفكرية الهائلة للبحث في العلم، وهو الميراث الإنسانيّ المتطوّر الذي من ألدّ أعدائه الجمود.

أمّا سهامُ خصومه^(٢) فلم تكن نافذة إلى قلب كرامته وكيانه العلميّ، فعاية ما طعنه به العلامة الحلبيّ أنّه «شابٌ مُترَفٌّ عفا الله عنه»^(٣)، وأكثر المُحقّق الحلبيّ وسديد الدين الحمصيّ من الرّدّ على ابن إدريس حتّى وصفه الحمصيّ أنّه: «مُخلطٌ لا يُعتمدُ على تصنيفه»^(٤)، قولٌ بلا بُرّهانٍ يثبت بعد ذلك التخلّيط المزعوم، ويكفي من وهن هذا

(١) كشف المحجّة لثمرة المهجة: ١٨٥، وفي نصّ المؤلّف الأوّل (مفتي)، والثاني (يُفتى)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) انظر في السرائر: ٤٤٣/٢ مراسلاته للسيّد أبي المكارم ابن زهرة الحلبيّ، و٦٧٨/٢ مراسلة بعض فقهاء الشافعية لابن إدريس.

(٣) نقل ذلك في روضات الجنّات، ونقلته عن مستدركات أعيان الشيعة: ١/١٤٩.

(٤) رجال منتج الدين: ١١٣، يقول السيّد الخوئي رحمته الله، معجم رجال الحديث: ٦٣/١٥ «أمّا ما ذكره الشيخ محمود الحمصيّ من أنّ ابن إدريس «مخلط لا يعتمد على تصنيفه»، فهو صحيح من جهة وباطل من جهة، أمّا أنّه مخلط في الجملة فمما لا شكّ فيه، ويظهر ذلك بوضوح من الروايات التي ذكرها فيما استطرفه من كتاب أبان بن تغلب، فقد ذكر فيها عدّة روايات ممّن لم يدرك الصادق عليه السلام، وكيف يمكن أن يروي أبان المتوفّي في حياة الصادق عليه السلام عمّن هو متأخّر عنه بطبقة أو طبقتين، ومن جملة تخلّيطه أنّه ذكر روايات استطرفها من كتاب السياريّ =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

النَّقْدِ أَخَذَ الْعُلَمَاءُ بِأَرَاءِ ابْنِ إِدْرِيسٍ وَالْإِعْتِمَادَ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ تِلْكَ الطُّعُونُ بِهِ هِيَ أَيْضًا مِنْ بَرَكَهٍ فَتَحَهُ لِبَابِ النَّقْدِ، وَحَمَلَهُ النَّاسُ عَلَى وُلُوجِهَا رَاضِينَ أَوْ كَارِهِينَ وَلَمْ يَكُنْ نَقْدُ الْعُلَمَاءِ قَبْلَهُ مُسْتَسَاعًا فِي عُرْفِ ذَلِكَ الْعَصْرِ؛ وَلَكِنْ جَاءَ ابْنُ إِدْرِيسٍ وَفَتَحَهُ عَلَى مِصْرَاعِيهِ، وَلَمْ يَقِفِ ابْنُ إِدْرِيسٍ بَعْدَ تِلْكَ الْحَمَلَاتِ الَّتِي سَنَّا عَلَيْهِ مُنَاوِئَهُ مَوْقِفَ الْمُتَحَاذِلِ؛ بَلْ هَاجَمَهُمْ بَعْنَفٍ، وَلَقَّبَهُمْ بِالْمُقَلَّدَةِ إِزْرَاءً بِجُمْودِهِمْ وَعَدَمِ حُرِّيَّةِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ عِنْدَهُمْ، وَقَدْ جَاءَ الْمُنْصِفُونَ بَعْدَهُ فَحَاكَمُوا هَذِهِ التَّهَمَ الْمُتَبَادَلَةَ فَحَكَمُوا لِابْنِ إِدْرِيسٍ بِالْفَضْلِ، فَنَقَلَ صَاحِبُ رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ عَنْ كِتَابِ مُنْتَهَى الْمَقَالِ قَوْلَهُ: «مُحَمَّدُ ابْنُ إِدْرِيسٍ الْعَجَلِيُّ الْحِلِّيُّ، كَانَ شَيْخَ الْفُقَهَاءِ بِالْحِلَّةِ، مُتَقِنًا فِي الْعُلُومِ، كَثِيرَ التَّصَانِيفِ»^(١)، وَلَعَلَّ صَاحِبَ مُنْتَهَى الْمَقَالِ نَقَلَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ عَنْ كِتَابِ رِجَالِ ابْنِ دَاوُدَ الْحِلِّيِّ.

وَالآنَ سَنُزِيحُ السَّتَارَ عَنْ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْمُمْتَازَةِ؛ لِنَعْلَمَ الْقَارِئُ مَدَى مَا أَصَابَهَا مِنْ إِجْحَافٍ وَتَحِيْفٍ، فَقَدْ أَتَخَفَ هَذَا الشَّابُّ الْمُتَرَفُّ الْمَكْتَبَةُ الْعَرَبِيَّةَ بِأَثْمَنِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْفَقْهِيَّةِ؛ وَمِنْهَا كِتَابُهُ الْجَلِيلُ (السَّرَائِرُ)^(٢)، وَهُوَ بِمَثَابَةِ مَوْسُوعَةٍ فِقْهِيَّةٍ تَشْهَدُ بِطُولِ بَاعِ مُؤَلَّفِهَا، وَبِاجْتِهَادِهِ، وَفَضْلِهِ، وَنُبُوغِهِ؛ وَلِذَلِكَ أَتَنَّى عَلَيْهِ الْمُتَأَخَّرُونَ وَعَلَى تَصَانِيفِهِ؛ لَتَجَرُّدِهِمْ عَنِ الْغَرَضِ؛ وَلِبُعْدِهِمْ عَنْ عَصْرِ الطُّوسِيِّ وَمُؤَثَّرَاتِهِ الْعَاطِفِيَّةِ الَّتِي مَصْدَرُهَا اسْتِنْكَارُ رَدِّ شَابٍّ عَلَى آرَاءِ جَدِّهِ الْمَعْرُوفِ الْفَضِيلَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَلِمَا لِلطُّوسِيِّ مِنْ كَرَامَةِ الشَّيْخُوخَةِ وَالْجِهَادِ، وَالتَّضَحِّيَةِ، وَقَدْ تَخَطَّاهَا ابْنُ إِدْرِيسٍ حَتَّى رُبَّتِ الْقَرَابَةُ، وَإِذَا تَنَازَعَتْ

= وقال: واسمه أبو عبد الله صاحب موسى والرضا - عليهما من الله آلاف التحية والثناء -؛

وهذا فيه خلط واضح، فإنَّ السَّيَّارِيَّ هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ السَّيَّارِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْهَادِي وَالْعَسْكَرِيِّ، وَلَا يُمْكِنُ رَوَايَتُهُ عَنِ الْكَاسِمِ وَالرَّضَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «لَا يُعْتَمَدُ عَلَى تَصْنِيفِهِ» فَهُوَ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ وَمُحَقِّقِيهِمْ، فَلَا مَانِعَ مِنَ الْإِعْتِمَادِ عَلَى تَصْنِيفِهِ فِي غَيْرِ مَا ثَبَتَ فِيهِ خِلَافُهُ.

(١) منتهى المقال: ٣٤٦/٥.

(٢) يُنْظَرُ: مَقْدَمَةُ الْمُحَقِّقِ السَّيِّدِ مَهْدِيِّ الْخُرْسَانِ لِمَوْسُوعَةِ ابْنِ إِدْرِيسٍ.

القرن السادس الهجري

الشَّيْخُوخَةُ وَالشَّبَابُ؛ فَلِلشَّيْخُوخَةِ الْمَقَامُ الْأَوَّلُ مِنَ الْإِجْلَالِ، وَالْعَطْفِ وَالْاحْتِرَامِ؛ أَمَّا الْآنَ فَقَدْ زَالَتْ تِلْكَ الْمُؤَثَّرَاتُ الْوَفِيَّةُ وَالْعَوَامِلُ الْعَاطِفِيَّةُ؛ فَأَصْبَحَتْ قَضِيَّةُ رَدِّهِ عَلَى آرَاءِ جَدِّهِ مَوْضِعَ نِقَاشٍ عِلْمِيٍّ بَحْتٍ؛ فَكَانَ الْإِنْتِصَارُ لِابْنِ إِدْرِيسٍ نَتِيجَةً حَتْمِيَّةً فَلَا يُمْكِنُ لِمُنْصِفٍ تَجَاهُلُ أَثَارِهِ وَآرَائِهِ الَّتِي احْتَلَّتْ مَكَانَةً مَكِينَةً مِنَ النَّبُوغِ وَاللُّوْذَعِيَّةِ، مَعَ الْاعْتِرَافِ بِالْقُصُورِ عَنْ مَعْرِفَةِ شَخْصِيَّةٍ مَعْرِفَةً تَامَةً مِنْ ثَنَائِهَا مُؤَلَّفَاتِهِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي تَعْجِزُ عَنِ الْوُقُوفِ بِنَا عَلَى عُمُقِ وَسِعَةِ الْفِكْرِ الَّذِي مَنَحَهُ اللَّهُ هَذَا الشَّابَّ الْمُتَرَفِّ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّا لَمْ نَقِفْ عَلَى كَافَّةِ تِلْكَ الْمُؤَلَّفَاتِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي دَفَعَتْ الْفِكْرَ خُطُواتٍ وَاسِعَةً إِلَى الْأَمَامِ، وَإِنَّمَا وَقَفْنَا عَلَى بَعْضِ أَثَرِهَا فِي تَطَوُّرِ الْفِكْرِ، وَلَوْ أُتِيحَ لِلْبَاحِثِينَ مِنْ ذَوِي الْإِخْتِصَاصِ الْوُقُوفُ عَلَى تِلْكَ الْمُؤَلَّفَاتِ لَحَظُوا بِنَتَائِجِ بَاهِرَةٍ وَأَمْثَلَةٍ حَيَّةٍ مِنَ الْعَبَقَرِيَّةِ وَالنَّبُوغِ أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّتَائِجِ الْمَائِلَةِ أَمَامَهُمُ الْآنَ.

أَجَلْ لَقَدْ كَانَ ابْنُ إِدْرِيسٍ مِنْ أَجَلَّةٍ فَقَهَاءٍ عَصْرِهِ وَأَوْسَعِهِمْ فِكْرًا، مُحِيطًا بِنَوَاحٍ^(١) وَاسِعَةِ الثَّقَافَةِ، وَكَفَاهُ فَضْلًا أَنْ يَكُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِ مِثْلَ الشَّرِيفِ نِظَامِ الشَّرَفِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَرِضِيِّ^(٢)، وَعَنِ ابْنِ إِدْرِيسٍ يَرْوِي: ابْنُ نَهْمٍ جَعْفَرٌ، وَمُحَمَّدُ ابْنُ نَهْمٍ، وَالسَّيِّدُ فَخَارُ بْنُ مَعَدٍّ^(٣)، أَمَّا ابْنُ إِدْرِيسٍ فَيَرْوِي عَنْ

(١) في الأصل: (نواحي).

(٢) السَّيِّدُ الشَّرِيفُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَرِضِيِّ الْعُلَوِيِّ، كَانَ مِنْ أَجَلَّةِ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ وَمَشَاهِيرِهِمْ، كَمَا عَنْ رِيَاضِ الْعُلَمَاءِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْمُحَدِّثُ النُّورِيُّ فِي مُسْتَدْرَكِ الْوَسَائِلِ: ٤٧٩/٣ مِنْ مَشَايِخِ الْمُنْتَفَى، وَلَعَلَّهُ اسْتَنَدَ إِلَى مَا وَرَدَ فِي أَوَّلِ إِسْنَادِ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ وَغَيْرِهِ مِنْ كِتَابِ (الْحُجَّةِ عَلَى الذَّاهِبِ إِلَى تَكْفِيرِ أَبِي طَالِبٍ)، تَأَلَّفَ السَّيِّدُ فَخَارُ بْنُ مَعَدٍّ الْمَوْسُوئِيُّ الَّذِي هُوَ مِنْ تَلَامِيذِ ابْنِ إِدْرِيسَ وَالرَّوَايَيْنِ عَنْهُ. يُنْظَرُ: مَوْسُوعَةُ ابْنِ إِدْرِيسَ: ٥٦ الدِّرَاسَةُ.

(٣) وَفِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ: ١٠٧/١٩٣ إِجَازَةُ الشَّيْخِ الشَّهِيدِ الْأَوَّلِ: ٧٩٥ لِلشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ نَجْدَةَ قَالَ: وَعَنْ ابْنِ نَهْمٍ وَالسَّيِّدِ فَخَارِ مَصْنُفَاتِ الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ شَيْخِ الْعُلَمَاءِ، حَبْرِ الْمَذْهَبِ، فَخَرِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ رحمته الله.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

خَالِهِ^(١) الْفَيْلَسُوفُ الْمُحَقِّقُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَهْرُودِي نِسْبَةً إِلَى جَهْرُودٍ مِنْ أَعْمَالٍ قُمْ فِي مَوْضِعٍ يُسَمَّى (وَشَارَهُ) عَلَى وَزْنِ (عِبَارَةٍ) وَ (إِمَارَةٍ)، وَهَذَا الْفَيْلَسُوفُ هُوَ الْمُتَلَقَّبُ بِبَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ^(٢)، وَوُلِدَ بِطُوسٍ سَنَةَ ٥٩٧ هـ، وَتُوفِيَ يَوْمَ الْغَدِيرِ الْمُبَارَكِ سَنَةَ ٦٧٢ هـ، وَدُفِنَ فِي جَوَارِ الْإِمَامَيْنِ الْجَوَادَيْنِ عليهما السلام، وَلَهُ آثَارٌ مُهِمَّةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: كِتَابُ: (تَجْرِيدُ الْكَلَامِ)^(٣) الَّذِي انْتَبَرَى لَشَرْحِهِ عِدَّةٌ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ أَوْهُمْ تَلْمِيزُهُ الْعَلَامَةُ الْحَلِّيُّ^(٤)، كَمَا لِهَذَا الطُّوسِيِّ كِتَابُ (التَّذَكُّرَةُ النَّصِيرِيَّةُ)، وَكِتَابُ: (تَحْرِيرُ أَصُولِ الْمُنْهَدَسَةِ) لِإِفْلَيْدِسَ، وَغَيْرُهَا، وَيَكْفِيهِ فَضْلًا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَمَلَ الرَّصَدَ الْعَظِيمَ فِي مَدِينَةِ مَرَاغَةِ؛ لِضَبْطِ حَرَكَاتِ

(١) كَيْفَ يَرُوي عَنْهُ وَعُمُرُهُ سَنَةً يَوْمَ تُوُفِّيَ الشَّيْخُ ابْنُ إِدْرِيسَ الْحَلِّيُّ سَنَةَ ٥٩٨ هـ، وَيَدُو أَنَّهُ خَطَأً وَقَعَ فِيهِ الْمَصْنُفُ؛ وَهَلْ يَرُوي السَّابِقَ عَنِ الْلاحِقِ ؟؟؟؟!!!، وَالْمَقْصُودُ مِنَ الطُّوسِيِّ الَّذِي يَرُوي عَنْهُ ابْنُ إِدْرِيسَ الْحَلِّيُّ هُوَ أَبُو عَلِيٍّ الطُّوسِيُّ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الْحَرُّ الْعَامِلِيُّ، أَمَلِ الْأَمَلِ: ٢/٢٤٣، ٢٤٤: «يَرُوي عَنْ خَالِهِ أَبِي عَلِيٍّ الطُّوسِيِّ بِوَاسِطَةِ وَغَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَعَنْ جَدِّهِ لِأُمِّ أَبِي جَعْفَرِ الطُّوسِيِّ». لِلْمَزِيدِ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الطُّوسِيِّ (ت بَعْدَ ٥١٥ هـ)، وَهُوَ ابْنُ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ (ت ٤٦٠ هـ) يُنْظَرُ: فَهْرَسْتُ الطُّوسِيِّ: ٢٣، فَهْرَسْتُ مُنْتَجَبِ الدِّينِ: ٤٢، مُعَالِمُ الْعُلَمَاءِ: ٣٧، الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ: ١٢/٢٥١ الرِّقْمَ ٢٢٧، لِسَانُ الْمِيزَانِ: ٢/٢٥٠، أَمَلِ الْأَمَلِ: ٢/٧٦، رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ: ١/٢٣٤، أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ٥/٢٤٤، طَبَقَاتُ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ: ٢/٦٦، مُعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ: ٥/١١٣، مُوسَوْعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٦/٧٨.

(٢) الْعَبْرُ ٣/٣٢٦، الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ: ١/١٧٩ الرِّقْمَ ١١٢، فَوَاتُ الْوَفَايَاتِ: ٣/٢٤٦ الرِّقْمَ ٤١٤، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ: ١٣/٢٨٣، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ: ٧/٢٤٤، نَقْدُ الرِّجَالِ: ٢٤٥، جَامِعُ الرِّوَاةِ: ٢/١٨٨، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ: ٥/٣٣٩، أَمَلِ الْأَمَلِ: ٢/٢٩٩ الرِّقْمَ ٩٠٤، لَوْلُؤَةُ الْبَحْرَيْنِ: ٢٤٥، مُسْتَدْرَكُ الْوَسَائِلِ: ٣/٤٦٤، تَنْقِيحُ الْمَقَالِ: ٣/١٧٩ الرِّقْمَ ١١٣٢٢، الْفَوَائِدُ الرِّضْوِيَّةُ: ٦٠٣، الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ: ٣/٣٥٠، أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ٩/٤١٤، رِيحَانَةُ الْأَدَبِ: ٢/١٧١، تَأْسِيسُ الشَّيْعَةِ: ٣٩٥، طَبَقَاتُ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ: ٢/١٦٨، الذَّرِيعَةُ: ٣/٣٧٦ الرِّقْمَ ١٣٧١، مُعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ ١٧/١٩٤ الرِّقْمَ ١١٦٩١، الْإِعْلَامُ ٧/٣٠.

(٣) كِتَابُ تَجْرِيدِ الْإِعْتِقَادِ، وَقَدْ يَسْمِيهِ بَعْضُهُمْ (تَجْرِيدُ الْكَلَامِ)، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ جَوَادُ الْحُسَيْنِيِّ الْجَلَالِيُّ، مَكْتَبُ الْإِعْلَامِ الْإِسْلَامِيِّ، ط ١، ١٤٠٧ هـ.

(٤) عُنْوَانُهُ (كَشَفُ الْمَرَادِ فِي شَرْحِ تَجْرِيدِ الْإِعْتِقَادِ).

القرن السادس الهجري

الكواكب^(١) ورواية ابن إدريس عن خاله هذا بواسطة ودون واسطة كما يروي عن جده الطوسي، وعن أم أمه بنت الشيخ مسعود ورام وعن عربي بن مسافر العبادي، وابن رطبة السورائي^(٢).

الحملة الظالمة ضد ابن إدريس

ذكرنا آنفاً أن ابن إدريس قد تعرض إلى حملة ظالمة، ويمكننا أن نلخص أسبابها بثلاثة أمور:

الأول: كونه شاباً كان عليه أن يُراعى مقام الطوسي؛ لكونه جده وليشيوخه الصالحة؛ ولخدماته الجليلة التي خدّم بها الإسلام، والثقافة.

وثاني هذه الأسباب: حسد بعض الناقدين لمقام ابن إدريس الممتاز الذي ناله وهو في عُنفوان شبابه.

وثالثها: مخالفته لبعض الآراء الفقهية المألوفة كالخلاف في حجية خبر الواحد مع أنه لم يكن رأياً خاصاً له؛ بل هو من مسائل الخلاف، وعلى رأيه السيد المرتضى علم الهدى^(٣) وابن زهرة، وابن قبة^(٤)، والمسائل الخلافية لا تستوجب الطعن والتشنيع لو لم تجتمع معها بقية الأسباب حتى كوّنتها خطأ؛ فللمجتهد المخطئ حسنة،

(١) قال الدكتور مصطفى جواد في مقدمته لكتاب (مجمع الآداب في معجم الألقاب): ٢٠ «أنشأ نصير الدين الطوسي دار العلم والحكمة والرصد بمراغة من مدن أذربيجان، وهي أول مجمع علمي حقيقي (أكاديمي) في القرون الوسطى بالبلاد الشرقية، فضلاً عن الأقطار الغربية الجاهلة أيامئذ».

(٢) أمل الأمل: ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) له: مسألة في عدم حجية خبر الواحد، يُنظر: الذريعة: ٣٨٩/ ٢٠، ويُنظر: رسائل المرتضى: ٢١/ ١.

(٤) وهي المعروفة بـ (شبهة ابن قبة). يُنظر: وقاية الأذهان: ١٤٣- ١٤٥.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلِّئِ

وَلِلْمُصِيبِ حَسْتَانِ، أَمَّا قَضِيَّةُ حُجِّيَةِ خَيْرِ الْوَاحِدِ وَقَدْحُهَا بِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الظَّنِّ، وَ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾^(١)، وَلَقَوْلِهِ تَعَالَى أَيْضًا: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(٢)؛ فَهَذَا الْاِحْتِجَاجُ بَارِدٌ؛ فَمِنْ جُمْلَةِ أَدِلَّتِنَا الْأَرْبَعَةِ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَهُوَ ظَنِّي الدَّلَالَةِ، وَالْحَدِيثُ وَهُوَ ظَنِّي السَّنَدِ؛ فَلَيْسَ كُلُّ الظَّنِّ عَدِيمَ الْاِعْتِبَارِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ صَرِيحٌ أَنَّ بَعْضَ الظَّنِّ الْآخِرِ لَيْسَ إِثْمًا؛ وَإِنَّمَا مَسْأَلُهُ كَوْنُ الظَّنِّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا فَهُوَ لَا يَتَنَاوَلُ خَبَرَ الثَّقَةِ الْمُعْتَبَرِ حَسَبَ جَرَيَانِ السَّيَرَةِ وَمَحَلِّ تَفْصِيلِ هَذَا الْمَوْضُوعِ الْكُتُبُ الْأُصُولِيَّةُ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهَا مَنْ يُرِيدُ زِيَادَةَ التَّفْصِيلِ^(٣).

آثَارُهُ الْعِلْمِيَّةُ

إِنَّهَا حَقًّا لَأَنَارٌ جَلِيلَةٌ مُنْتَعَةٌ أَهْمُهَا كِتَابُ (السَّرَائِرُ) فِي الْفِقْهِ، وَيَلِيهِ كِتَابُ (التَّعْلِيلَاتُ) وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ اعْتِرَاضَاتٍ وَإِيرَادَاتٍ عَلَى كِتَابِ (التَّبَيَانِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ) لَجَدِّهِ الطُّوسِيِّ، وَهَذَا الْكِتَابُ يَقَعُ فِي نَحْوِ عِشْرِينَ مُجَلَّدًا، قِيلَ فِيهِ: «أَنَّهُ لَمْ يُعْمَلْ مِثْلُهُ»، وَوَصَفَهُ آيَةُ اللَّهِ بِحُرِّ الْعُلُومِ فِي فَوَائِدِهِ الرَّجَالِيَّةِ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ كِتَابَ التَّبَيَانِ الْجَامِعِ لِعُلُومِ الْقُرْآنِ كِتَابٌ جَلِيلٌ كَبِيرٌ عَدِيمُ النَّظِيرِ فِي التَّفَاسِيرِ»^(٤)، وَتَعْلِيلَاتُ ابْنِ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ فِيهَا إِيرَادَاتٌ وَحَوَاشٍ^(٥) مُهِمَّةٌ، كَمَا تَتَضَمَّنُ أَجُوبَةً إِشْكَالَاتٍ وَاعْتِرَاضَاتٍ عَلَى الطُّوسِيِّ^(٦).

(١) يونس: ٣٦.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) للمزيد يُنظر: كتابنا المحقق (رسالة في الجمع بين الحكم الواقعي والظاهري)، للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، دراسة وتحقيق.

(٤) الفوائد الرجالية: ٢٢٨/٣.

(٥) في الأصل: حواشي.

(٦) يُنظر: موسوعة ابن إدريس الحلِّي، ودراسة السيّد الخرسان عليها.

القرن السادس الهجري

ولادته ووفاته

كما يوجد طوسيان، وهما جدّه وخاله؛ فهناك فاضلان يدعى كل منهما بابن إدريس؛ فابن إدريس الآخر هو محمد بن إدريس بن مطر الحلي^(١)، توفي سنة ١٢٤٧ هـ بالطاعون الكاسح، وهو نبيه فاضل؛ ولكنه ليس من رجال العلم والفقه عكس صاحب هذه الترجمة؛ فإنه من أجلة العلماء النابيين، ولد سنة ٥٤٣ هـ، وتوفي سنة ٥٩٨ هـ، كما عليه جملة من المؤرخين؛ ومنهم الكفعمي في كتابه: (وفيات العلماء)^(٢)، والسيد الفاضل الصدر في كتابه: (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام)، إلا أنه وقع له سهو، واشتباه في تاريخ ولادة ابن إدريس فظنه من مواليد سنة ٥٥٨ هـ^(٣)، والحقيقة ما ذكرناه؛ لأن السيد الصدر ذكر أن عمره (٥٥) عامًا، وأن وفاته كانت سنة ٥٩٨ هـ، وعند إجراء عملية طرح سني عمره (٥٥) من سني وفاته البالغة (٥٩٨)؛ فإن الباقي تاريخ ولادته، وهو ٥٤٣ هـ وليس ٥٥٨ هـ، وبصورة أخرى تقول: إن لدينا نقطتين ثابتتين حسب رواية الصدر، وهما عمره البالغ ٥٥ سنة، وتاريخ وفاته المضبوطة في سنة ٥٩٨ عامًا؛ فإذا جمعنا عمره مع تاريخ ولادته لكان الناتج (٦١٣)، وهو مخالف لما أثبتته بكتابه (تأسيس الشيعة) فيجب ملاحظة ذلك ويؤيده ما رواه كتاب: (روضات الجنات) من أنه: «نقل من خط الشهيد، قال: قال الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الإمامي العجلي بلغت الحلم سنة ٥٥٨ هـ»^(٤)، فحذف ١٥ سنة؛ وهي أعوام البلوغ تكون ولادته سنة ٥٤٣ هـ.

(١) انظر: أعيان الشيعة: ١/ ١٧٨، وقد عدّه ممن ألّف في البلاغة من الشيعة، و٩/ ١٢٠.

(٢) عنه ينظر: منتهى المقال: ٢٦٠.

(٣) راجع ص ٣٠٥ من الكتاب المذكور.

(٤) روضات الجنات: ٦/ ٢٧٤ مستدركات أعيان الشيعة: ١/ ١٥٠.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

مَرْقَدُ ابْنِ إِدْرِيسَ

كَانَتْ عَلَى صَرِيحِ ابْنِ إِدْرِيسَ قُبَّةٌ مِنْ آجِرٍ وَجُصٌّ مُتَوَاضِعَةٌ لَمْ تَتَنَاسَبْ وَكِيَانُهُ الْعِلْمِيُّ بُنِيَتْ فِي مَدْرَسَتِهِ الَّتِي تَهْدَمُ سُورُهَا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ آثَارِهِ شَيْءٌ، وَهَذَا الْمَرْقَدُ الْمُقَدَّسُ يَقَعُ عَلَى الْجِهَةِ الْيُسْرَى لِلذَّاهِبِ إِلَى قَرْيَةِ الطُّهْمَازِيَّةِ فِي بَقْعَةٍ مُهْمَلَةٍ تُحِيطُهَا الْأَوْسَاحُ، وَالْقَادُورَاتُ؛ لَوْ قُوعَهَا فِي طَرَفِ بَلَدَةِ الْحِلَّةِ بَعِيدًا عَنْ مُرَاقَبَةِ النَّاسِ وَحَلِّ عَنَائِتِهِمْ؛ وَلِحُسْنِ سَرَائِرِ أَصْحَابِ السَّرَائِرِ وَفَقَّ اللَّهُ بَعْضَ الْغِيَارَى عَلَى الثَّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَجِيدِ، وَعَلَى سُمْعَةِ الْحِلَّةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ؛ فَبَذَلُوا جَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ جُهْدَهُمْ الْمَشْكُورَةَ لِتَسْوِيرِ الْمَدْرَسَةِ؛ وَلِلْإِقَامَةِ جُذْرَانِهَا الَّتِي عَفَا عَلَيْهَا الزَّمَنُ وَصَرَفُوا أَلُوفَ الدَّنَائِرِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الْمُحْسِنُ الْوَجِيهَ التَّاجِرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَاجِّ حَسَّانُ مَرْجَانٍ، وَالتَّاجِرُ النَّبِيهَ الشَّابُّ الْحَاجُّ عَبْدُ الْحَالِقِ الْيَاسِينِ، وَالْحَاجُّ عَبْدُ بَدِيرٍ (تَصْغِيرُ بَدْرٍ)، وَالْحَاجُّ عَبَّاسُ بَيْعِي، عَمَلٌ هَؤُلَاءِ الْأَعْمَادُ الْخَلِيقَ بِالْإِعْجَابِ وَالثَّنَاءِ، وَسَجَّلَهُ هُمْ التَّارِيخُ بِالْإِكْبَارِ وَالْإِجْلَالِ؛ فَجَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرَ جَزَاءِ الْمُحْسِنِينَ.

أَمَّا إِجَارَةُ الْبِنَاءِ فَقَدْ كَانَتْ بِاسْمِ رَئِيسِ الطَّائِفَةِ الْمُجْتَهِدِ الْكَبِيرِ آيَةِ اللَّهِ الْمُحْسِنِ الْحَكِيمِ (سَيِّدِ مُحْسِنِ الْحَكِيمِ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ صَادَفَ هَذَا الْمَشْرُوعُ الْحَيْرِي الْعَظِيمُ الَّذِي لَمْ يُسَبِّقْ لَهُ مِثْلٌ فِي الْحِلَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ وَلَا فِي الْعَصْرِ الَّذِي قَبْلَهُ رِضَا كَافَّةٍ أَهَالِي الْحِلَّةِ وَتَأْيِيدِهِمْ لَهُ تَأْيِيدًا مُطْلَقًا إِلَّا الْمُرْتَدِّينَ عَنِ الْإِسْلَامِ مِنْ طُغْمَةِ الْفَوْضَى أَخْرَاها اللَّهُ فِي دُنْيَاهَا وَأَخْرَاها، وَوَفَّقَ اللَّهُ الْعَامِلِينَ إِلَى الْحَيْرِ، وَقَدْ أَرَحْتُ هَذَا الْمَشْرُوعَ الْجَلِيلَ بَعْدَهُ تَوَارِيخُ مِنْهَا قَوْلِي:

هَذَا ابْنُ إِدْرِيسٍ لَهُ	سَرَائِرُ مُعْطَرَةٍ
لَقَدْ هَدَى اللَّهُ كَرَا	مَالِيَعِيدُوا أَثَرَهُ
شَادُوا لَهُ مَسْجِدَهُ	وُقِبَّ لَهُ مُطَهَّرَهُ

القرن السادس الهجري

أَوَّلُهُمْ حَسَّانُ مَرٍ جَانِ جَلِيلِ الْمَأْتَرَةِ
أَسْرَعَ لِلْخَيْرِ، وَمَنْ يَعْمَلِ الْخَيْرَ يَرَهُ
لِلْخَيْرِ رَاحَ مُسْرِعًا أَرَّخْ: (وَتِلْكَ مَفْخَرُهُ)

سنة ١٣٨١ هـ

وَقُلْتُ فِي تَارِيخِ مَنَارَةِ مَسْجِدِ ابْنِ إِدْرِيسَ:

لِلْحِلَّةِ الْفَيْحَاءِ حُسَيْنِيَّةٌ تَفْخَرُ فِي طَرَاذِهَا الشَّرْقِيِّ
قَدْ شَيْدَتْهَا مَعَسَّرٌ لِلْهُدَى إِنَّ الْهُدَى مِنْ أَنْبَلِ الْخُلُقِ
بِبَابِهَا مَنَارَةٌ قَدْ غَدَتْ مُضَاءً كَالْبَدْرِ فِي الْأَفْقِ
بِمُنْتَهَى الْإِعْظَامِ أَرَّخْتُهَا (عَالِيَّةٌ مَنَارَةُ الْحَقِّ)

١٣٨١ هـ

وَقُلْتُ أَيْضًا:

النَّاسُ أَنْوَاعٌ وَأَفْ— ضَلُّهَا الْكَرَامُ الْمُحْسِنُونَ
أَمْثَالُ حَسَّانِ ابْنِ مَرٍ جَانِ الَّذِي مَلَأَ الْعُيُونَ
شَهُمٌ أَتَى بِمَآثِرِ تَبْقَى عَلَى مَرِّ الْقُرُونِ
وَبَنَى مَقَامًا لِابْنِ إِدْرِيسَ رِيسَ كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ
لِأَجْهَلٍ بِالتَّارِيخِ (فَلَيْتَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ)

١٣٨١ هـ

بِحَيَاتِهِمْ أَرَّخْتُ: (كُلُّ الْمُتَّقِينَ يُحْلَدُونَ)

١٣٨١ هـ

وَقُلْتُ أَيْضًا:

حَسَّانُ بْنُ مَرْجَانٍ بَنَى مِثْدَنَةً وَمَسْجِدًا عَلَى طَرَازِ رَاقِي

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

وَقُبَّةٌ إِلَى ابْنِ إِدْرِيسَ الَّذِي بِالْعِلْمِ كَانَ آيَةُ الْخَلْقِ
اللَّهُ قَدْ وَفَّقَهُ أَرْخُ لَهُ: (هَذَا هُوَ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ الْبَاقِي)

١٣٨١هـ

وَقُلْتُ أَيُّضًا:

قَدْ شَادَ حَسَّانُ حُسَيْنِيَّةً تُؤَيِّدُ الْإِسْلَامَ وَالْحَقَّ
مَا نَظَرَ الدُّنْيَا كَأَهْلِ الْغِنَى بِالنَّظَرَةِ الْخَاطِئَةِ الْحُمَقَى
إِنْ أَنْفَقَ الْمَالَ بِهَا أَرْخُوا (فَبَعْدَهَا آثَارُهُ تَبْقَى)

١٣٨١هـ

وَقُلْتُ أَيُّضًا:

حَسَّانُ مَرْجَانُ بَنَى قُبَّةً إِلَى ابْنِ إِدْرِيسَ فَحَارَ الثَّنَاءَ
وَحَوَّلَهَا شَادَ حُسَيْنِيَّةً تَشْهَدُ فِي رَقِيٍّ فَنِّ الْبِنَاءِ
فِي عَمَلِ الْخَيْرَاتِ أَرْخُتُهُ: (اهْتَمَّ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ)

١٣٨١هـ

وَقُلْتُ أَيُّضًا:

قَبْرُ ابْنِ إِدْرِيسٍ بَنَتْهُ مَعْشَرٌ بِالصَّالِحَاتِ وَالتَّقَى مُفْتَتِنَةً
لِذَاكَ فِي مَسْجِدِهِ قَدْ شِيدَتْ مِئْدَنَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ حَسَنَةٍ
بِمُنْتَهَى الثَّنَاءِ رَاحَ أَرْخُوا (حَسَّانُ مَرْجَانُ أَقَامَ الْمِئْدَنَةَ)

١٣٨١هـ

وَقُلْتُ أَيُّضًا:

حَسَّانُ مَرْجَانُ فَتَى قَدْ سَعَى فِي نَهْجِ أَخْيَارٍ وَأَبْرَارٍ
إِلَى ابْنِ إِدْرِيسٍ بَنَى مَسْجِدًا بِهِمَّةِ الْغَضَنْفَرِ الضَّارِي

القرن السادس الهجري



فَقَدْ قُلْتُ فِي تَارِيخِهِ: (بَادِئًا تَمَّ بِتَوْفِيْقٍ مِّنَ الْبَارِي)

١٣٨١هـ

وَقُلْتُ أَيْضًا:

إِلَى الْحُسَيْنِيَّةِ قَدْ تَبَرَّعْتُ بِمَا وَفَتْ بِمَا بِهِ تَبَرَّعْتُ
بِأَلَالِ قَوْمٍ سُفُلُ أَغْمَارِ
وَجُهَلَاءِ كَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ
إِنَّ الْوَفَاءَ أَهْلُهُ الْأَخْرَارِ
عَمُوا عَنِ الرُّشْدِ فَلَمْ يَنْفَعْ بِهِمْ
وَالْمَالُ قَدْ يَحْمِلُهُ الْحِمَارِ
أَرَّخْتُ (إِنْذَارًا وَلَا أَعْذَارًا)

١٩٦١م

حَتَّى أَنْبَرَى حَسَّانَ مَرْجَانٍ وَمَنْ
يَحْكِيهِ خَلَقًا وَهُمْ وَالْأَبْرَارِ
فَشَيْدُوهَا فَهِيَ خَيْرٌ أَثَرِ
هَلَمْ إِذَا مَا تُذَكِّرُ الْآثَارِ
سَفَّ اللَّئَامِ وَإِلَى أَوْجِ الْعُلَا
أَرَّخْتُهُمْ (حَلَقَتِ الْأَخْيَارِ)

١٣٨١هـ

وَقَدْ أَنْبَرَى صَدِيقُنَا الْأَدِيبُ الْوَفِيُّ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ النَّجَّارُ^(١)، فَقَالَ مُؤَرِّخًا:

فَسَمًا بِمَرْقَدِكَ الْمُقَدَّ
سِ يَا ابْنَ إِدْرِيسَ الْمُمَجَّدِ
لَوْلَا (سَرَائِرُكَ) النَّقِيَّ
هُ لَمْ تَكُنْ تَبْقَى مُحَلَّدِ
بِأَهْلِهِمُ وَالتَّخْرِبِ كَا
نَ ضَرِيحُكَ الزَّاكِي مُهَدَّدِ
حَتَّى أَنْبَرَى حَسَّانَ مَرْجَانِ
الَّذِي لِحِمَاكَ جَدَّدِ
أَرَّخْتُ: (فِي مَجْهُودِهِ
حَسَّانُ حَازِرِ ضَا مُحَمَّدِ)

١٣٨١هـ

(١) توفي سنة ١٤٣٨هـ.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

١١. الشَّيْخُ سَدِيدُ الدِّينِ الْحَمِصِيُّ الرَّازِيُّ^(١) (ت ٦٠٠هـ)^(٢)

الْحَمِصِيُّ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ أَيْمَةِ عِلْمِ الْأُصُولِ، وَفَقِيهٌ مُتَبَحِّرٌ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام؛ بَلَغَتْ الْحَرَكَةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي عَصْرِهِ بِفَضْلِ ابْنِ إِدْرِيسٍ وَمَنْ وَقَفَ بِجَانِبِهِ شَأْوًا بَعِيدًا مِنَ الْقُوَّةِ وَالْإزْدِهَارِ وَفَتَحَتْ آفَاقَهَا بَعِيدَةَ الْمَدَى مِنَ التَّضُوجِ، وَقَدَّمَتْ أَلْوَانًا شَتَّى فِي النِّشَاطِ الْفِكْرِيِّ، وَسَاهَمَ الْمُرْجَمُ لَهُ مُرْعَمًا، أَوْ طَائِعًا فِي فَتْحِ هَذِهِ الْآفَاقِ الْجَدِيدَةِ وَمُشَارَكَتِهِ فِي وَضْعِ الْخُطُوطِ الرَّئِيسِيَّةِ لِتِلْكَ النَّهْضَةِ الثَّقَافِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ تَصْمِيمِ ابْنِ إِدْرِيسٍ فِي ثَوْرَتِهِ الْعَارِمَةِ عَلَى الْجُمُودِ وَالتَّقْلِيدِ؛ حَتَّى أَنَّهُ تَحَدَّى الْقَوْلَ الْمَشْهُورَ بِالْإِعْتِدَادِ بِحُجَّةِ خَيْرِ الْوَاحِدِ؛ حَيْثُ كَانَ يَشْتَرِطُ فِي الْخَبَرِ أَنْ يَكُونَ قَطْعِيَّ الصُّدُورِ، وَلَكِنَّ هَذَا الْخِلَافَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَائِلِينَ بِحُجَّةِ خَيْرِ الْوَاحِدِ لَمْ يَكُنْ عَنْ جَفَاءٍ، وَقَطِيعَةٍ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ رِوَايَةُ (رَوَضَاتُ الْجَنَاتِ) عَنْ بَعْضِ كُتُبِهِ أَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ سَأَلَهُ ذَاتَ يَوْمٍ عَنْ مَعْنَى: رَدِّ الْحَيْسِ وَإِنْفَادِ الْمَوَارِيثِ؛ «قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسٍ: سَأَلَنِي شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ الْحَمِصِيِّ الرَّازِيِّ رحمته الله عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ، وَكَيْفَ الْقَوْلُ فِيهِ؛ فَقُلْتُ لَهُ: الْحَيْسُ مَعْنَاهُ الْمُلْكُ الْمَحْبُوسُ عَلَى بَنِي آدَمَ مِنْ بَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ مُدَّةً

(١) في ترجمته يُنظر: فهرست منتجب الدين: ١٦٤ الرقم ٣٨٩، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٩١-

٦٠٠هـ): ٤٩٣ الرقم ٦٥٢، كشف الظنون: ١٢٦٦/٢، هدية العارفين: ٤٠٨/٢، أمل الآمل:

٣١٦/١، بحار الأنوار: ١٠٥/٢٧٠، لؤلؤة البحرين: ٣٤٨، روضات الجنات: ١٥٨/٧،

مستدرک الوسائل: ٤٦٥-٤٧٧، الفوائد الرضويّة: ٦٦٠، الكنى والألقاب: ١٩٢/٢،

طبقات أعلام الشيعة: ٢/٢٩٥ و ٣/١٧٨، معجم المؤلّفين: ١٢/١٨١.

(٢) هناك خلاف في سنة وفاته، فالذهبيّ ترجم له في حوادث ووفيات سنة (٥٩١ و ٦٠٠هـ) وقال:

ورد العراق في هذه الحدود.

أقول: لكنّ ابن إدريس في كتابه (السرائر) الذي فرغ من تأليفه سنة (٥٨٩هـ) يترحم على

المرّجَم في المواضع التي ينقل فيها عنه، ممّا يدلُّ على أنّ وفاته كانت قبل هذا التاريخ. يُنظر:

ترحم ابن إدريس عليه في السرائر: ٢/١٩٠ و ٢/٤٤٣، كتاب المزارعة.

القرن السادس الهجري

حَيَاةُ الْحَابِسِ دُونَ حَيَاةِ الْمَحْبُوسِ عَلَيْهِ، فَإِذَا مَاتَ الْحَابِسُ؛ فَإِنَّ الْمُلْكَ الْمَحْبُوسَ يَكُونُ مِيرَاثًا لَوَرَثَةِ الْحَابِسِ وَيَنْحَلُّ حَبْسُهُ عَلَى الْمَحْبُوسِ عَلَيْهِ^(١)، إِلَى أَنْ قَالَ: فَأَعْجَبُهُ ذَلِكَ؛ ثُمَّ أَتَنَى الْحِمَاصِيَّ عَلَى ابْنِ إِدْرِيسٍ، مِمَّا يَدُلُّ أَنَّ النَّزَاعَ لَا يَتَعَدَّى النَّزَاعَ الْعِلْمِيَّ كَخُصُومَةِ الْمُحَامِلِينَ فِي الْمُرَافَعَةِ حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ عَادُوا إِلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ صَفَاءٍ، وَإِخَاءٍ.

لَمْ يَكُنْ رَأْيُ ابْنِ إِدْرِيسٍ مُتَفَرِّدًا بِهِ؛ بَلْ هُوَ رَأْيُ جَمَاعَةٍ آخَرِينَ كَالشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى، وَابْنِ زَهْرَةَ، وَابْنِ قَبَةَ وَغَيْرِهِمْ، وَحَتَّى لَوْ انْفَرَدَ بِهَذَا الرَّأْيِ؛ فَقَدْ انْفَرَدَ بَعْضُ فُقَهَائِنَا بِعَدَمِ اعْتِبَارِ اتِّحَادِ الْفَحْلِ^(٢) فِي نَشْرِ الْحُرْمَةِ كَمَا هِيَ مُفَصَّلَةٌ فِي مَوْضُوعِ الرِّضَاعِ، وَفِي غَيْرِهَا أَيْضًا.

أَصْلُ سَدِيدِ الدِّينِ مِنْ مَدِينَةِ حِمَصَ^(٣)، وَهِيَ مِنَ الْمُدُنِ الشَّامِيَّةِ تَقَعُ عَلَى نَهْرِ الْعَاصِي؛ وَلَكِنَّهُ وُلِدَ فِي الْحِلَّةِ وَبِهَا نَشَأَ وَتَرَعَّرَعَ، وَفِي مَدَارِسِهَا دَرَسَ وَعَلَى عُلَمَائِهَا تَخَرَّجَ، وَهِيَ أَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِسْمُهُ أَدِيمُهَا.

تَفَقَّهَ عَلَى فَطَاحِلِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى لَمْ يَمُضِ طَوِيلَ مُدَّةٍ إِلَّا وَهُوَ عَاطِلٌ فِي الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ، وَالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ الْأُخْرَى اللَّسَانِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ؛ فَدَرَسَ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ عِلْمَ الْحِكْمَةِ، وَالْمُنَظِقِ، وَالْعُرُوضِ، وَقَرَضَ الشُّعْرَ؛ فَكَانَ ذُرَّةً لَامِعَةً فِي تَاجِ أَدْبَاءِ الْحِلَّةِ؛ ثُمَّ أَهْلَتْهُ عُلُومُهُ أَنْ يَكُونَ مَرْجِعًا لِلْفُتَيَّا ذَا نُفُوذٍ رُوحِيٍّ، وَمَرْكَزًا زَعَامِيًّا

(١) السرائر: ٢/ ١٩٠.

(٢) اتِّحَادُ الْفَحْلِ: عَدَمُ تَعَدُّدِ الزَّوْجِ، وَلِأَجْلِ انْتِشَارِ الْحُرْمَةِ مِنَ الرِّضَاعِ يَشْتَرِطُ أَنْ يَكُونَ تَمَامُ عِدَدِ الرِّضَاعَاتِ مِنْ مَرْضِعَةٍ تَحْتَ زَوْجٍ وَاحِدٍ، وَلَا يَكْفِي اتِّحَادُ الْمَرْضِعَةِ. يُنْظَرُ: قَوَاعِدُ الْأَحْكَامِ: ٣/ ٢٣، الْمُصْطَلَحَاتِ: ٣٠.

(٣) ثَمَّةٌ خِلَافَ فِي أَصْلِ الشَّيْخِ (حِمَصَ، حَمَصَ، حَمَّصَ) فِي فَلَاحِ السَّائِلِ: ٧٥ نَسَبُهُ إِلَى حِمَصِ الشَّامِيَّةِ، خَاتِمَةُ الْمُسْتَدْرَكِ: ٣/ ٢٢، تَاجُ الْعُرُوسِ: ٤/ ٣٨٣، أَوْ إِلَى حِمَصِ الَّتِي فِي الرِّيِّ، وَإِلَى بَيْعِ الْحَمَصِ، كَمَا فِي خَاتِمَةِ الْمُسْتَدْرَكِ: ٣/ ٢٢، وَنَسَبُهُ إِلَى (حُمُصَ) كَمَا فِي الْقَامُوسِ الْمَحِيطِ: ٢/ ٣٢٩.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتِ

مُمْتَازًا^(١)، وَقَدْ اسْتَقَامَتْ لَهُ أُمُورُ الرَّئَاسَةِ حَتَّى شَهِدَ بِفَضْلِهِ وَفَضِيلَتِهِ مُحَمَّدُ ابْنُ إِدْرِيسَ الْعَجَلِيُّ الَّذِي لَقَّبَهُ بِلَقَبِ: (شَيْخِنَا)، وَتَمَدَّحَ بِرِضَا الْحَمْصِيِّ عَلَى تَفْسِيرِ الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ أَنْفَاءً، وَتَعْبِيرُ ابْنِ إِدْرِيسَ عَنْهُ بِلَفْظِ (شَيْخِنَا) كَلِمَةٌ لَهَا مَعْنَاهَا فِيمَا يَتِمَّتَعُ بِهِ الْحَمْصِيُّ مِنْ مَكَانَةٍ عِلْمِيَّةٍ رَفِيعَةٍ الشَّأْنِ^(٢).

قَالَ فِيهِ صَاحِبُ كِتَابِ (اللُّلُؤَةُ): «كَانَ هَذَا الشَّيْخُ عَلَّامَةً زَمَانِهِ فِي الْأُصُولَيْنِ، وَرِعًا، وَثِقَةً، وَلَهُ تَصَانِيفٌ، مِنْهَا التَّعْلِيقُ الْقَصِيرُ، وَالتَّعْلِيقُ الْكَبِيرُ، وَكِتَابُ الْمُنْقِذِ مِنَ التَّقْلِيدِ، وَالْمُرْشِدُ إِلَى التَّوْحِيدِ»^(٣) إلخ.

وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ مُؤَلِّفِي التَّرَاجِمِ مِنْهُمْ: صَاحِبُ كِتَابِ (أَمَلُ الْأَمَلِ)^(٤) وَصَاحِبُ كِتَابِ (رَوْضَاتُ الْجَنَّاتِ)^(٥) وَصَاحِبُ كِتَابِ (لُؤْلُؤَةُ الْبَحْرَيْنِ)، وَمُؤَلِّفُ (أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ)^(٦) وَغَيْرُهُمْ؛ وَأَطَرُوا تَصَانِيفَهُ غَايَةَ الْإِطْرَاءِ وَامْتَدَحُوا جُهُودَهُ الْعِلْمِيَّةَ، وَإِنْتَاجَاتِهِ الْقِيَمَةَ، وَهِيَ ثُرُوءٌ ثَقَافِيٌّ ضَخِمَةٌ أَجْبَرَتْ حَتَّى حُسَّادِهِ أَنْ يُشِيدُوا بِمَرْكَزِهِ الْاجْتِمَاعِيِّ الْمُتَفَوِّقِ الْمَرْمُوقِ؛ فَالرَّجُلُ كَانَ بِجَدَارَةٍ تَامَةٍ مِنْ مَشَاهِيرِ فُقَهَاءِ الشَّيْعَةِ، وَهُوَ أَسْتَاذُ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ صَاحِبِ التَّفْسِيرِ^(٧)، وَمِنْ أَكَابِرِ الْمُحَدِّثِينَ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ، وَلِصَاحِبِ التَّرْجَمَةِ كُتِبَ قِيَمَةٌ؛ مِنْهَا ثَلَاثَةٌ كُتِبَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ كُلِّهَا فِي مَبْحَثِ الْإِمَامَةِ، مُسَهَّبٌ، وَمَوْجَزٌ، وَبَيِّنٌ بَيِّنٌ، وَلَهُ (التَّعْلِيقُ الْعِرَاقِيُّ الْكَبِيرُ) فِي عِلْمِ الْكَلَامِ

(١) في الأصل (مركز زعامي ممتاز)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) يُنظر: كتاب المزارعة: ٢/ ٤٤٣.

(٣) لؤلؤة البحرين: ٣٤٨.

(٤) أمل الأمل: ١/ ٣١٦.

(٥) روضات الجنات: ٧/ ١٥٨.

(٦) يُنظر: الحديث عنه في الجزء العاشر.

(٧) وقد ذكره في تفسير آية المباهلة وذكره به (معلم الاثني عشرية). يُنظر: تفسير الفخر الرازي:

القرن السادس الهجري

أَلْفَهُ سَنَةً ٥٨١ هـ^(١)، وَكِتَابُ (التَّبَيُّنِ وَالتَّنْفِيحِ فِي التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ)، وَكِتَابُ (بِدَايَةُ الْهَدَايَةِ)، وَكِتَابُ (الْمَصَادِرُ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ)، وَكِتَابُ (نَقْضُ الْمُوجَزِ) لِلنَّجِيبِ أَبِي الْمَكَارِمِ^(٢).

يَرَوِي الشَّهِيدُ الثَّانِي عَنْ تَلَامِيذِهِ عَنْهُ، وَفِيهِ قَالَ الْحُرُّ الْعَامِلِيُّ: «وَمِنْ شِعْرِهِ مَا وَجَدْتُهُ بِحِطِّ الشَّهِيدِ الثَّانِي لِلشَّيْخِ سَدِيدِ الدِّينِ الْحِمَصِيِّ، وَهُوَ يَسْلُكُ فِيهِ طَرِيقَ أَهْلِ الْعِرْفَانِ:

وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَدَارِي مِنْكَ دَانِيَةً فَحَقَّ لِي ذَاكَ إِنْ شَطَّتْ بِي الدَّارُ
أَبْكِي لِذِكْرِكَ سِرًّا ثُمَّ أَعْلَنُهُ فَلِي بُكَاءَانِ، إِعْلَانٌ وَإِسْرَارٌ»^(٣)
انْتَهَى مَا قَالَهُ الْعَامِلِيُّ.

وَقَدْ اسْتَفَادَ مِنَ الْحِمَصِيِّ كَثِيرٌ مِنْ تُلَّابِهِ وَتَلَامِيذِهِ يَأْتِي فِي مُقَدِّمَتِهِمُ الشَّيْخُ الْعَابِدُ الرَّاهِدُ الشَّيْخُ وَرَّامُ ابْنِ أَبِي فِرَاسٍ، وَمُتَجَبِّ الدِّينِ الَّذِي حَضَرَ دَرْسَهُ سَنَةَ ٥٨٣ هـ وَسَمِعَ أَكْثَرَ كُتُبِهِ الَّتِي نَوَّهَ عَنْهَا فِي (فَهْرِسِهِ)^(٤)، وَكَانَ مِنْ تُلَّابِهِ النُّجَبَاءُ اللَّامِعِينَ، وَقَدْ اخْتَارَ اللَّهُ لِقَاءَ سَدِيدِ الدِّينِ فِي سَنَةِ ٦٠٠ هـ بَعْدَ كِفَاحٍ مَرِيرٍ لِأَجْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضِيلَةِ^(٥).

(١) طُبِعَ فِي جَزَائِرٍ، وَنَشَرَتْهُ مَوْسَسَةُ النُّشْرِ الْإِسْلَامِيِّ التَّابِعَةِ لِمَجْلِسِ الدَّرْسَيْنِ بِقَمٍّ فِي سَنَةِ (١٤١٤ هـ).

(٢) يُنْظَرُ: مَوْسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٦/ ٣٢٥ وما بعدها.

(٣) أَمَلُ الْأَمَلِ: ٢/ ٣١٦.

(٤) يُنْظَرُ: فَهْرَسْتُ مُتَجَبِّ الدِّينِ: ١٠٧.

(٥) رَأَيْتُ تَمَلُّكَ حَفِيدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحِمَصِيِّ الرَّازِيَّ بِتَارِيخِ سَنَةِ ٧١٧ هـ عَلَى نَسْخَةٍ مِنْ شَرْحِ الْإِشَارَاتِ، وَهِيَ فِي مَكْتَبَةِ السَّلِيمَانِيَّةِ، وَمَكْتَبَةِ أَحْمَدَ الثَّالِثِ فِي تَرْكِيَا، وَمُصَوِّرَتَهَا عِنْدَ الْأَخِ الشَّيْخِ عَمَّارِ جَمْعَةِ الْفَلَاحِيِّ. (أَحْمَدُ الْحَلِيُّ).

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

١٢. الشَّيْخُ ابْنُ حُمَيْدَةَ النَّحْوِيُّ (٤٨٦-٥٥٠هـ)^(١)

حُمَيْدَةُ^(٢)، عَلَى وَزْنِ فُتَيْيَةٍ بَضَمَ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةَ وَفَتَحَ الْمِيمَ، تَصْغِيرُ حَمِيدٍ: وَهُوَ أَبُو عُبَيْدٍ^(٣) اللَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ الْحَلِيِّ النَّحْوِيُّ، كَانَ مُعَاصِرًا لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَقِيلٍ الْخَفَاجِيِّ، وَمُشَارِكًا لَهُ فِي الْعُلُومِ، وَمُزَاوِلًا لَهُ فِي الْأَدَبِ، وَهُوَ مِنَ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ الَّذِي دَشَّنَ عِمَارَةَ الْحِلَّةِ أَوَّلَ تَأْسِيسِهَا؛ فَكَانَ وَرْدَةً شَدِيدَةً مِنْ بَاقَاتِهَا الْعَطَرَةُ تَنْفُحُ بِأَرْيَحِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، قَالَ الْخَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي كِتَابِهِ: (طَبَقَاتُ النُّحَاةِ): «قَالَ يَاقُوتُ: كَانَتْ لَهُ أَيْ لَابِنِ حُمَيْدَةَ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ، وَقَرَأَ عَلَى ابْنِ الْحَشَّابِ وَلَا زَمَهُ حَتَّى بَرَعَ وَصَنَّفَ كُتُبًا كَثِيرَةً مِنْهَا: شَرَحَ آيَاتِ الْجَمَلِ لِأَبِي بَكْرِ السَّرَّاجِ، وَشَرَحَ اللَّمَعَ لِابْنِ جَنِّي، وَشَرَحَ الْمَقَامَاتِ لِلْحَرِيرِيِّ، وَكَتَبَ فِي الصَّرْفِ، وَالرُّوْضَةَ فِي النَّحْوِ وَالْأَدَوَاتِ، وَالْفَرْقَ بَيْنَ الضَّادِ وَالظَّاءِ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ ٤٨٦هـ، وَمَاتَ سَنَةَ ٥٥٠هـ، أَنَشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ حُمَيْدَةَ الْحَلِيِّ لِنَفْسِهِ:

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ وَالرُّبَى وَأَهْلًا بِأَرْبَابِ الْقِبَابِ وَمَرْحَبًا
وَسَقِيًّا لِرَبَّاتِ الْحِجَالِ وَأَهْلِهَا وَرَعِيًّا لِأَرْبَابِ الْخُدُورِ يَبْثُرًا
أَحْسُنْ لِتَيَّائِكَ الْجَمَالِ وَإِنْ غَدَتْ رَبَائِبُهَا تُبْدِي إِلَيَّ التَّجَنُّبَا
وَأُضْبُو لِرُبْعِ الْعَامِرِيَّةِ كُلَّمَا تَذَكَّرْتُ مِنْ جُرْعَائِهَا لِي مَلْعَبَا

(١) يُنْظَرُ: اللَّبَابُ: ٣/ ٢٦٤ وكشف الظنون: ١٠٥٥، والكتبخانة: ٧/ ١٨٢، الذريعة: ١١/ ٤٨،

١٤/ ٨٣، ولسان الميزان: ٥/ ٣٠٥، الأعلام: ٦/ ٢٧٧، وقد ذكر في الذريعة: ٢٦/ ٢١١

ولادته: ٤٨٩هـ، وفي أعيان الشيعة: ٥/ ٣٣٠ وفاته: ٥٥٥هـ.

(٢) هكذا ضبطه في توضيح المشتبه: ٣/ ٣٢٨ «حميدة: بضم الحاء وفتح الميم وسكون المثناة تحت وفتح الدال المهملة تليها هاء: أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد الحلبي بن حميدة الكاتب الأديب، له شعر ذكره أبو العلاء الفريسي».

(٣) في توضيح المشتبه (٣/ ٣٢٨): (أبو عبد الله) وليس (أبو عبيد الله)، وفي معجم الأدباء

(١٨/ ٢٥٢): (أبو عبيد).

القرن السادس الهجري

فَلَا هَمَّ إِلَّا دُونَ هَمِّي غُدْوَةً إِذَا جَرَّتِ النَّكْبَاءُ أَوْ هَبَّتِ الصَّبَا
وَقَدْ أَوْرَدَ السُّيُوطِيُّ الْبَيْتَ الثَّلَاثَ فِي كِتَابِهِ (بُغْيَةُ الْوُعَاةِ)، هَكَذَا:
أَحْنُ لِيَذِيكَ الْجَمَالَ وَإِنْ غَدَا رَبَائِبُهُ عَنْ رَوْضَتِي مُجَنَّبَا
كَمَا أَرَى مِنَ الْأَصُوبِ أَنْ يَقُولَ:

(وَرَعِيًّا لِرَبَّاتِ الْخُدُورِ)، بَدَلًا عَنْ (أَرْبَابِ الْخُدُورِ)؛ رِعَايَةً لِلتَّائِيثِ.

وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ هَذَا الشُّعْرَ مِنْ أَوَّلِ نَظْمِهِ؛ فَتَعْبِيرُهُ جَيِّدٌ يَنْمُ عَنْ مَعَانٍ^(١) سَطْحِيَّةِ
التَّفْكِيرِ؛ فَاِمْتِزَاجُ لَفْظِهِ الْجَيِّدِ بِمَعَانِيهِ غَيْرِ الْعَمِيقَةِ أَشْبَهُ بِاِمْتِزَاجِ أَشْعَةِ الْفَجْرِ فِي ظُلْمَةٍ
آخِرِ اللَّيْلِ، وَالَّذِي نَسْمَعُهُ أَنَّهُ مِنْ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ؛ وَلِذَلِكَ حَكَمْنَا أَنَّ هَذَا الشُّعْرَ مِنْ أَوَّلِ
قَوْلِهِ الشُّعْرُ؛ وَلَعَلَّ شِعْرَهُ الْجَيِّدَ قَدْ عَبَثَتْ بِهِ يَدُ الدَّهْرِ كَمَا تَعَبَثُ الْعَاصِفَةُ بِثَمَرَةِ النَّخِيلِ،
فَيَتَسَاقَطُ الرِّطْبُ الْجَنِيِّ، وَيَبْقَى الْحَشْفُ.

١٣. شَرَفُ الْكُتَّابِ ابْنُ جَيَّا (ت ٥٧٩هـ)^(٢)

هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ جَيَّا، أَبُو الْفَرَجِ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ، نَشَأَ
وَتَعَلَّمَ فِي الْحِلَّةِ، فَكَانَ نَحْوِيًّا، لُغَوِيًّا، كَاتِبًا، أَدِيبًا، مُحَدِّثًا، فَقِيهًا، ذَهَبَ إِلَى بَغْدَادَ، وَاسْتَفَادَ
مِنْ عُلَمَائِهَا؛ فَقَدْ حَدَّثَنَا عَنْهُ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ فِي (إِرْشَادِ الْأَرِيبِ)، فَقَالَ: «هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ
أَحْمَدَ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ جَيَّا، أَبُو الْفَرَجِ مِنْ أَهْلِ الْحِلَّةِ الْمَزِيدِيَّةِ، يُلقَّبُ شَرَفُ الْكُتَّابِ، كَانَ
نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا فَطِنًا، شَاعِرًا، مُتَرَسِّلًا، وَرَسَائِلُهُ مُدَوَّنَةٌ، قَدِمَ بَغْدَادَ فَقَرَأَ عَلَى أَبِي السَّعَادَاتِ
هَبَةَ اللَّهِ بْنِ الشَّجَرِيِّ النَّحْوِيِّ، وَأَخَذَ عَنْهُ؛ ثُمَّ أَخَذَ بَعْدَهُ عَنْ أَبِي مُحَمَّدَ بْنِ الْحَشَّابِ،

(١) في الأصل: (معاني).

(٢) في ترجمته يُنظر: الوافي بالوفيات: ١٠١ / ٢، والمحَمَّدون من الشعراء لابن القفطي: ١١،

المختصر من تاريخ ابن الديبشي: ١٠، معجم الأدباء: ١٧ / ٢٧٠.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي جَعْفَرٍ عَبْدِ الْوَاحِدِ^(١) بْنِ الثَّقَفِيِّ، وَأَصْلُهُ وَمَوْلَدُهُ مِنْ مَطِيرِ آبَاد - قَرْيَةٍ عَلَى النَّيْلِ بِجَوَارِ الْحِلَّةِ -، وَصَحَبَ ابْنَ هَبِيرَةَ الْوَزِيرَ، وَلَهُ رَسَائِلُ مُدَوَّنَةٌ قَدْ عَمَلَهَا أَجُوبَةً لِرَسَائِلِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْقَاسِمِ ابْنِ الْحَرِيرِيِّ، حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْقَيْلَوِيُّ، قَالَ: أَنَا رَأَيْتُهُ وَمَاتَ فِي سَنَةِ ٥٧٩ هـ، وَقَدْ نَفَعَ عَلَى الثَّمَانِينَ.

أَنْشَدَنِي ابْنُ الدُّبَيْشِيِّ، قَالَ: أَنْشَدَنِي أَبُو الشَّيْءِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُفَرَّجِ الْحِلِّيِّ، قَالَ: أَنْشَدَنِي شَرَفُ الْكِتَابِ أَبُو الْفَرَجِ، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جِيَا لِنَفْسِهِ:

حَتَّامٌ أَجْرِي فِي مَيَادِينِ الْهَوَى	لَا سَابِقُ أَبَدًا وَلَا مَسْبُوقُ
مَا هَزَنِي طَرَبٌ إِلَى أَرْضِ الْحَمَى	إِلَّا تَعَرَّضَ أَجْرَعُ وَعَقِيقُ
شَوْقِي بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ مُفَرَّقُ	نَحْوِي شَتِيتِ الشَّمْلِ مِنْهُ فَرِيقُ
وَمَدَامِعُ كَفَلَتْ بِعَارِضِ مِرْنَةٍ	لَمَعَتْ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ بُرُوقُ
فَكَانَ جَفْنِي بِالْذُّمُوعِ مُوَكَّلُ	وَكَاَنَّ قَلْبِي لِلْجَوَى مَخْلُوقُ
قَدِمَ الزَّمَانُ فَصَارَ شَوْقِي عَادَةً	فَلَيْتُ رُكْنَ دَلَالَةِ الْمَعْشُوقِ
قَدْ كَانَ فِي الْهَجْرَانِ مَا يَزْعُ الْهَوَى	لَوْ يَسْتَفِيقُ مِنَ الْغَرَامِ مَشُوقُ
لَكِنِّي أَبَى لِعَهْدِي أَنْ يُرَى	بَعْدَ الصَّفَاءِ وَوَرْدِهِ مَطْرُوقُ
إِنْ عَادَتِ الْأَيَّامُ لِي بِطَوِيلِ	أَوْ ضَمَّنِي وَالنَّازِحِينَ طَرِيقُ
لَأُنَبِّهَنَّ عَلَى الْغَرَامِ بِزَفَرِي	وَلَتَطْرِبَنَّ بِمَا أَبَتْ النُّوقُ

حَدَّثَنِي أَبُو الْعَلِيِّ الْقَيْلَوِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ شَرَفَ الْكِتَابِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ الْوَزِيرِ عَوْنِ الدِّينِ يَخْبِي بِنَ هَبِيرَةَ فَجَاءَهُ فِرَاشٌ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ وَحَدَّثَهُ بِمَحْضَرِي شَيْئًا كَانَ يُحِبُّ كِتْمَانَهُ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، قَالَ وَاتَّفَقَ خُرُوجُ الْفِرَاشِ وَقَدْ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ النَّاسُ فَاشْتَغَلَ بِهِمْ وَقُمْتُ أَنَا وَخَرَجْتُ فَمَا وَصَلْتُ بَابَ الْعَامَّةِ حَتَّى جَاءَنِي مَنْ رَدَّنِي إِلَى

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: (بَنِ أَحْمَدَ الثَّقَفِيِّ)، وَفِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ: ١٧ / ٢٧٠، غَيْرَ مَذْكُورٍ.

القرن السادس الهجري

حَضَرَتْهُ؛ فَلَمَّا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيَّ مَوْلَانَا الْوَزِيرَ - بَيْتَ الْحِمَاسَةِ - فَقَالَ: نَعَمْ امْضِ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، وَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ، وَلَمْ يَفْهَمْ أَحَدٌ شَيْئًا مِمَّا جَرَى، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ قَوْلَ شَاعِرِ الْحِمَاسَةِ:

وَفَتَيَانُ صِدْقٍ لَسْتُ مُطَّلِعَ بَعْضُهُمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جُمَاعُهُمَا^(١)
انْتَهَى مُقْتَبَسًا مِنْ بَابِلِيَّاتِ الْيَعْقُوبِيِّ الَّذِي اقْتَبَسَهُ بِدَوْرِهِ مِنْ كِتَابِ (إِرْشَادُ الْأَرِيبِ) مِنْ مُعْجَمٍ يَاقُوتٍ، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ تَدُلُّكَ عَلَى شِدَّةِ ذِكَاةٍ صَاحِبِ التَّرْجَمَةِ فِي إِيرَادِ غَرَضِهِ بِطَرِيقَةٍ لَمْ تَدْعُ طَرِيقًا لِحَاضِرِي الْمَجْلِسِ إِلَى مَعْرِفَتِهَا، كَمَا تَدُلُّ عَلَى ذِكَاةِ الْوَزِيرِ فِي فَهْمِهِ غَرَضَ الشَّاعِرِ بِإِشَارَةٍ غَيْرِ وَاضِحَةٍ، وَابْنُ جَنَّا شَاعِرٌ لَامِعٌ مَعْرُوفٌ، قَدْ أَتَقَنَ أَدَوَاتِ الشُّعْرِ مِنْ نَحْوِ وَلُغَةٍ، وَتَارِيخٍ، وَلَهُ بَصِيرَةٌ تَامَّةٌ بِالصَّرْفِ، وَالنَّحْوِ وَالْعُلُومِ الثَّلَاثَةِ، وَاسْتَفَادَ مِنْ أُسْتَاذِهِ أَبِي الْكَرَمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ الشَّهْرِ بِابْنِ الْحَشَّابِ^(٢) - مِنْ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ - الَّذِي أَفْرَطَ الْأَصْفَهَانِيَّ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ فِي (خَرِيدَتِهِ) - الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٥٠٥هـ)^(٣) - بَعْدَ أَنْ لَمَسَ أَسْتَاذُهُ ابْنَ الْحَشَّابِ فِيهِ مِنَ الْجَدَارَةِ وَالْقَابِلِيَّةِ فِي تَقْبُلِ ذَهْنِهِ

(١) معجم الأدباء: ٢٧٢/١٧، والبيت لمسكين الدارمي. يُنظر: ديوان مسكين الدارمي: ٥٢، وفي

عيون الأخبار: ٩٧/١ «أواخي رجالاً لست اطلع بعضهم».

(٢) تُنظر ترجمته في: معجم الأدباء: ٤٧/١٢، الرقم ٢٠، الكامل في التاريخ ٣٧٥/١١، سير أعلام

النبلاء: ٥٢٣/٢٠، الوافي بالوفيات: ١٤/١٧، الرقم ١١، النجوم الزاهرة: ٦٥/٦، بغية الوعاة:

٢٩/٢، الرقم ١٣٥٣، شذرات الذهب: ٤/٢٢٠، رياض العلماء: ٣/١٨٤، روضات الجنات:

١٢٢/٥، الرقم ٤٦٠، هدية العارفين: ١/٥٦٤، أعيان الشيعة: ٨/٤٦، الكنى والألقاب:

٢٧٦/١، الذريعة: ٢٣/٢٣٣، الرقم ٨٧٧٨، طبقات أعلام الشيعة: ٢/١٦١، الأعلام:

٦٧/٤، معجم المؤلفين: ٦/٢٠.

(٣) العماد الأصفهاني وفاته سنة (٥٩٧هـ) وليس (٥٠٥هـ)، أما ابن الحشَّاب فوفاته سنة (٥٦٧هـ).

في ترجمة العماد الأصفهاني يُنظر: معجم الأدباء: ١٩/١١، الرقم ٤، الكامل في التاريخ:

١٧١/١٢، المختصر المحتاج إليه: ٦٩، الرقم ٢٣٧، وفيات الأعيان: ٥/١٤٧، الرقم ٧٠٥، سير

أعلام النبلاء: ٢١/٣٤٥، الرقم ١٨٠، العبر: ٣/١٢٠، الوافي: ١/١٣٢، الرقم ٤٦، طبقات=

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحِلَّةِ

الْوَقَادُ إِلَى دُرُوسِهِ فِي الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ حَتَّى أَصْبَحَ صَاحِبُ التَّرْجَمَةِ عَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ هَذِهِ الْعُلُومِ.

وَنَسَبُهُ إِلَى جَيَا قَدْ يَكُونُ أَصْلُهَا (جَيَان) ^(١) وَهِيَ مِنْ كُبَرَيَاتِ مَدَنِ الْأَنْدَلُسِ كَمَا هِيَ اسْمٌ إِلَى قَرْيَةٍ بِأَعْمَالِ الرِّيِّ تُعْرَفُ فِي (جَيَان) أَيْضًا، وَذَكَرَ يَاقُوتٌ فِي مُعْجَمِهِ أَنَّهَا «قَرْيَةٌ فِي أَرْضِ بَابِلٍ قُرْبَ حِلَّةِ بَنِي مَرْيَدٍ، مِنْهَا كَانَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ جَيَاءَ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ» ^(٢) إلخ. وَهَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

١٤. أَبُو سَعِيدٍ ابْنُ حَمْدَانَ (ت ٥٦١هـ) ^(٣)

كُنْيَتُهُ أَبُو سَعِيدٍ، وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَابِرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ - أَوْ (ابْنِ الْهَيْجَاءِ) - ابْنِ حَمْدَانَ الْحَلِّيِّ، مِنْ مُعَاَصِرِي شَرَفِ الدِّينِ أَبِي الطَّيِّبِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنِ أَبِي الْوَفَاءِ الْهَزْرِيِّ، الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْحَلَاوِيِّ، الشَّاعِرِ الْمَجِيدِ، الْمُتَوَفَّى بِالْمَوْصِلِ سَنَةَ ٦٥٥هـ بَعْدَ أَنْ عَاشَ ٥٣ عَامًا، كَانَ أَبُو سَعِيدٍ ابْنُ حَمْدَانَ مِنْ طَبَقَتِهِ الْمُتَمَتِّزَةِ، وَمِنْ أَفَاضِلِ رِجَالِ الْقَرْنِ السَّادِسِ، وَمِنْ مَشَاهِيرِ نُبَهَائِهِ، رَزَقَهُ اللَّهُ فَهْمًا حَادِدًا وَقَرِيحَةً وَقَادَةً، وَذِهْنًا نِيرًا؛ فَاسْتَوْعَبَ أَبُو سَعِيدٍ شَتَّى أَلْوَانِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، فَجَرَعَ بِالْفِقْهِ فَكَانَ فَقِيهًا بَارِزًا، وَاتَّقَنَ النَّحْوَ فَكَانَ حُجَّةً فِيهِ، وَانْكَبَّ عَلَى اللُّغَةِ دَرَسًا، وَحَفْظًا، وَتَدْرِيسًا، فَكَانَ مِنْ أَثَمَّتِهَا الَّذِينَ يُشَارُ إِلَيْهِمْ بِالْبَنَانِ، لَهُ مُصَنَّفَاتٌ مُهِمَّةٌ، مِنْهَا

= الشافعيّة الكبرى للسبكي: ٦/ ١٧٨ الرقم ٦٨٦، البداية والنهاية: ١٣/ ٣٣، الأعلام: ٧/ ٢٦.

(١) معجم البلدان: ٢/ ١٩٦.

(٢) معجم البلدان: ٤/ ١٨٤، وذكرها المصنّف (جيا)، والحمويّ (جياء)، ولا فرق.

(٣) تُنظر ترجمته في: بغية الوعاة: ٧٧، والوافي بالوفيات: ٤/ ١١٣ وطبقات السبكي: ٤/ ٨٨، وقد

نسب إلى الجاواني نسبةً إلى (جاوان) قبيلة من الأكراد، سكنوا الحِلَّةَ المزيديّة، كما في القاموس

والتاج: ٩/ ١٦٨، ويُنظر: الأعلام: ٦/ ٢٧٨، وفي هدية العارفين: ٢/ ٩٥ (كاوان). وفي الوافي:

٤/ ١١٣ (الحلوي)، وهو تحريف أو نسبه شذوذًا، إنّما هو حلّيّ.

القرن السادس الهجري

شَرَحَ مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ، وَمِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ كِتَابُ (الدَّخِيرَةُ لِأَهْلِ الْبَصِيرَةِ)، وَ(الْبَيَانُ لِشَرْحِ الْكَلِمَاتِ)، وَ(مَسَائِلُ الْامْتِحَانِ) ذَكَرَ فِيهِ الْعَوِيصَ مِنَ الْمَشَاكِلِ النَّحْوِيَّةِ وَعَوَامِضِهَا، وَلَهُ كُتُبٌ أُخْرَى لَا تَقِلُّ شَأْنًا عَمَّا ذَكَرْنَاهُ^(١) مِنْ كُتُبِهِ.

وَقَدْ ارْتَأَى الْإِقَامَةَ فِي بَلَدَةِ (إِزْبَلْ) شِمَالِ الْعِرَاقِ؛ ثُمَّ غَادَرَهَا إِلَى إِيرَانَ، وَتُوِّفِيَ فِي (خَفْتِيَانِ) قُرْبَ (إِزْبَلْ)، وَنُقِلَ جُثْمَانُهُ إِلَى (الْبَوَازِيحِ) وَدُفِنَ هُنَاكَ، وَكَانَ قَدْ سَمِعَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَرْحِيِّ، وَسَمِعَ مِنْهُ أَبُو الْمُظَفَّرِ ابْنُ الطَّاهِرِ الْخَزَاعِيُّ، وَفِي الْبَابِلِيَّاتِ أَيْضًا: «قَالَ أَغْنِي أَبَا الْمُظَفَّرِ، وَحَدَّثَنِي فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِمِائَةٍ أَنَّهُ سَمِعَ تَفْسِيرَ الْكَلْبِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلِيِّ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ الْقَطِيعِيِّ، وَقَالَ الصَّلَاحُ الصَّفَدِيُّ نَقْلًا عَنْ ابْنِ النَّجَّارِ: قَدِمَ بَغْدَادَ صَبِيًّا وَتَفَقَّهَ عَلَى الْغَزَالِيِّ، وَبَرَعَ وَتَمَيَّزَ، وَقَرَأَ الْمَقَامَاتِ عَلَى الْحَرِيرِيِّ وَشَرَحَهَا، وَكَانَ إِمَامًا مُنَظِّرًا، وَلَهُ كِتَابُ (عُيُونُ الشَّعْرِ)، وَ(الْفَرْقُ بَيْنَ الرَّاءِ وَالْغَيْنِ)، مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، مِنْ شَعْرِهِ:

دَعَانِي مِنْ مَلَامِكُمْ دَعَانِي فَدَاعِي الْحُبِّ لِلْبُلُوَى دَعَانِي
أَجَابَ لَهُ الْفَوَادُ وَنَوْمٌ عَيْنِي وَسَارَا فِي الرَّفَاقِ وَوَدَّعَانِي^(٢)
وَلَهُ أَيْضًا:

عَبَادُ اللَّهِ أَقْسَوَامُ كِرَامُ بِهِمُ لِلْخَلْقِ وَالْدُّنْيَا نِظَامُ
أَحْبُوا اللَّهَ رَبَّهُمْوَا فَكُلُّ لَهُ قَلْبٌ كَعَيْبٍ مُسْتَهَامُ
سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ بِكُؤُوسِ أَنْسٍ فَلَذَّ لَهُمْ بِرُؤُوسِهِ الْمَقَامُ

(١) هَدْيَةُ الْعَارِفِينَ: ٢/ ٩٥، وله (المنتظم في سلوك الأدوات، وفصول وعظ ورسائل)، وطُبِعَ لَهُ (نزهة الأنفس وروضة المجلس)، تحقيق: رمضان بهداد، ضمن منشورات ميراث مكتوب، في طهران. (أحمد الحلي).

(٢) ينقلها الصفدي في الوافي: ٤/ ١١٣.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحِلِّيَّةِ

وَأُورِدَ الْخَافَانِيُّ^(١) الْبَيْتَ الثَّانِي مَعْلُوطًا هَكَذَا: (أَحَلَّ اللَّهُ رَبَّهُمَا) إِخ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْتَبِهَ إِلَى كَثْرَةِ الْمُنْبَهَاتِ كَلَفْظَةً (عِبَادُ اللَّهِ) وَ(أَقْوَامٌ) وَ(وَكِرَامٌ) وَ(بِهِمْ) وَ(رَبَّهُمُوا) وَ(فَكُلُّ) وَ(سَقَاهُمْ) وَ(لَهُمْ)؛ فَإِنَّ بَعْضَهَا يَكْفِي لِلتَّنْبِيهِ أَنَّ صِيَغَةَ الْآيَاتِ لِلْجَمْعِ وَلَيْسَتْ لِلْمُفْرَدِ؛ فَلَا يَصَحُّ إِيرَادُ (أَحْبُوا) بِصِيَغَةِ الْمُفْرَدِ؛ فَيَقُولُ: (أَحَبَّ) كَمَا تَوَهَّمُ الْخَافَانِيُّ - سَامَحَهُ اللَّهُ -.

١٥. الْعِبَادِيُّ الْحِلِّيُّ [ت بَعْدَ ٥٨٠ هـ]^(٢)

أَبُو مُحَمَّدٍ عَرَبِيٌّ بْنُ مُسَافِرٍ الْعِبَادِيُّ، الْحِلِّيُّ، ذَكَرَهُ التَّارِيخُ فِي اقْتِضَابٍ؛ فَلَمْ نَعْرِفْ مِنْ أَحْوَالِهِ سِوَى شَذَرَاتٍ قَلِيلَةٍ لَا تُمِيطُ الْحِجَابَ الْكَثِيفَ عَنْ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ الْجَلِيلَةِ؛ فَتَعْرِفُ مَا قَامَ بِهِ مِنْ خِدْمَاتٍ، وَمَا أَنْجَزَهُ مِنْ تَأْلِيفٍ، وَنَطَّلِعُ عَلَى سِيرَتِهِ الْعِطْرَةِ، وَنَقْفُ عَلَى أَسْمَاءِ أَسَاتِيدِهِ، وَتَلَامِيذِهِ، وَمَدَى مُسَاهَمَتِهِ فِي نَشْرِ الْوَعْيِ الثَّقَافِيِّ فِي رُبُوعِ الْحِلَّةِ الْفَيْحَاءِ؛ فَإِنَّ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَنَا حُجُبًا^(٣) مُظْلِمَةً سِوَى نَوَافِدٍ قَلِيلَةٍ تُرْسِلُ النُّورَ الْخَافِتَ؛ فَتُظْهِرُ بَعْضَ مَزَايَا صَاحِبِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ الْجَلِيلَةِ؛ فَإِنَّ جُلَّ مَا عَرَفْنَاهُ عَنْهُ أَشْتَاتٌ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ الْمُجْمَلَةِ، شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ الْمَنَاتِ مِنْ عُلَمَاءِ الْحِلَّةِ وَعَبَاقِرَتِهَا الَّذِينَ أَسَدَلْ عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ سِتَارًا سَمِيكًا مِنَ النَّسْيَانِ.

وَهَذَا لَا شَكَّ مِنْ بَعْضِ جَنَائِبِ الْأَخْفَادِ عَلَى الْأَجْدَادِ الَّذِينَ لَمْ يَحْفَلُوا بِهَذِهِ الثَّرَوَاتِ الطَّائِلَةِ، وَأَهْمَلُوا تِلْكَ الْكُنُوزَ الْعِلْمِيَّةَ وَالْأَدَبِيَّةَ؛ فَبَعَثَ بِهَا أَيْدِي الْغَيْرِ، وَذَهَبَ شَذَرٌ مَذَرٌ،

(١) يُنْظَرُ: شعراء الحِلَّةِ أو البَابِلِيَّاتِ، عليّ الخَافَانِيُّ، الطبعة الثانية.

(٢) تُنْظَرُ ترجمته: فهرست منتجب الدين: ٣٠٣ الرقم ٣٠٤، جامع الرواة: ١/ ٥٣٧، أمل

الآمل: ١٦٩/٢ الرقم ٥٠١، تنقيح المقال: ٢/ ٢٥٠ الرقم ٧٨٥٧، طبقات أعلام الشيعة:

١٧٢/٢، معجم رجال الحديث: ١١/ ١٣٦ الرقم ٧٦٥٥، موسوعة طبقات الفقهاء: ٦/ ١٧٨.

(٣) في المطبوع: (حجب)، والصواب هو المثبت.

القرن السادس الهجري

وَعَايَهُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ سِيرَةِ هَذَا الرَّجُلِ أَنَّهُ مِنْ فَطَاحِلِ عُلَمَاءِ الْحِلَّةِ وَأَنَّهُ فَقِيهٌ جَلِيلٌ، وَرِعٌ صَالِحٌ، قَالَ فِيهِ صَاحِبُ كِتَابِ رِيَاضِ الْعُلَمَاءِ إِنَّهُ: «شَيْخٌ جَلِيلٌ كَبِيرٌ، مَعْرُوفٌ مِنْ أَصْحَابِنَا» يَرْوِي عَنْهُ ابْنُ إِدْرِيسَ الْحَلِّيُّ وَنُظَرَاؤُهُ، وَيَرْوِي هُوَ - أَيْ الْمُتَرَجِّمُ - عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ الطَّبْرِيِّ، عَنِ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ وَلَدِ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ، وَيَرْوِي عَنْهُ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْخَنَاطُ، وَبِتَوْسُطِهِ يَرْوِي عَنْهُ ابْنُ طَاوُوسٍ عَلَى مَا يَظْهَرُ مِنْ كِتَابِ الْيَقِينِ، وَكِتَابِ جَمَالِ الْأُسْبُوعِ؛ وَكِلَيْهِمَا لِابْنِ طَاوُوسٍ^(١).

أَمَّا صَاحِبُ كِتَابِ أَمَلِ الْأَمَلِ؛ فَقَدْ حَدَّثَنَا عَنْهُ بِإِيجَازٍ أَيْضًا قَائِلًا: «الشَّيْخُ عَرَبِيٌّ بَنُ مُسَافِرٍ الْعِبَادِيِّ، فَاضِلٌ جَلِيلٌ، فَقِيهٌ، عَالِمٌ يَرْوِي عَنْ تَلَامِذَةِ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ الطُّوسِيِّ سَنَةَ ٥٧٣ هـ»^(٢).

هَذَا مَا تَصَدَّتْ لِبَيَانِهِ التَّرَاجُمُ وَنَحْوُهُ^(٣)؛ وَإِنَّ مَعْرِفَةَ الرَّجُلِ لَتَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ أَوْضَحَ؛ وَإِلَّا فَهَذَا كَذَكْرِهِمْ مَثَلًا لِلشَّيْخِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَحْدَبِ الْحَلِّيِّ^(٤) بِأَنَّهُ عَالِمٌ مِنْ

(١) رياض العلماء: ٢٣/٦، واليقين: ٢٨٠، وجمال الأسبوع: ٣٤.

(٢) أمل الأمل: ١٦٩/٢.

(٣) في موسوعة طبقات الفقهاء: ١٧٨/٦ «روى عن: عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم علي الطبري، والسيد بهاء الشرف محمد بن الحسن بن أحمد الحسيني، وإلياس بن هشام الحائري، والحسين بن هبة الله بن رطبة السورائي، وكان فقيهاً، جليل القدر، رُحْلة، أخذ عنه جماعة من العلماء والفقهاء، منهم: محمد بن إدريس العجلي الحلي، ومحمد بن أبي البركات بن إبراهيم الصنعائي، وعلي بن ثابت بن عبيدة السورائي، وأبو الحسن علي بن يحيى بن علي الخياط السورائي، ومحمد بن جعفر المشهدي، وآخرون».

(٤) جاء في أعيان الشيعة: ٤٤٨/٢ «الشيخ أبو الفضل بن الحسين الحلي الأجدب من مشايخ السيد فخار بن معد الموسوي مؤلف كتاب (الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب)، قرأ عليه سنة ٥٩٥ كما صرح به في كتاب الحجة». وقد ذكره هنا بـ (الأجدب)، وفي كتاب الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ١١، بـ (الأحدب) ويبدو أنه خطأ طباعي، والصواب: الأجدب. يُنظر: مستدرك الوسائل: ٤٨٢/٣.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتَيْنِ

مَشَايِخُ السَّيِّدِ فَخَارِ بْنِ مَعَدِّ الْمُسَوِّيِّ مُؤَلَّفِ كِتَابِ (الْحُجَّةُ عَلَى الذَّاهِبِ إِلَى تَكْفِيرِ أَبِي طَالِبٍ) ^(١)، قَرَأَ عَلَيْهِ سَنَةَ ٥٩٥ هـ؛ فَهَلْ يُمَكِّنُنَا أَنْ نَعْرِفَ مِثْلَ هَذَا الْجَهْدِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الْمُقْتَضِبَةِ الْمُوجِزَةِ؟ إِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ^(٢).

١٦. الشَّيْخُ نَجِيبُ الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَّا [ت ٦٩٠ هـ] ^(٣)

الشَّيْخُ نَجِيبُ الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ اَهْدَلِيٍّ، مُصَنِّفُ كِتَابِ (الْجَامِعُ)، فَفِيهِ لَهُ فِي حَلَبَاتِ الْفِقْهِ أَشْوَاطٌ بَعِيدَةٌ، وَفَاضِلٌ لَهُ صَفَحَاتٌ نَاصِعَةٌ، وَعَالِمٌ مَحْمُودُ النِّقِيَّةِ، حَسَنُ الطَّوَيَّةِ، وَرَعٌ لَمْ يَغْلُقْ بِهِ شَيْءٌ مِنْ دَرَنِ الدُّنْيَا؛ فَتَارِيخُهُ نَظِيفٌ شَرِيفٌ، وَهُوَ جَدُّ الْمُحَقِّقِ جَعْفَرِ بْنِ الْحَسَنِ الْحَلِيِّ، وَمِنْ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنْ عُلَمَاءِ الْحِلَّةِ قَدْ ذَكَرَهُ الشَّهِيدُ الْأَوَّلُ، وَأَتْنَى عَلَيْهِ فِي إِجَارَتِهِ يَرْوِي عَنْ عَرَبِيٍّ مِنْ مُسَافِرِ الْعِبَادِيِّ، كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ دَاوُدَ فِي طُرُقِهِ ^(٤)،

(١) شمس الدين فخار بن معد الموسوي، صاحب كتاب (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب)، توفي سنة ٦٣٠ هـ. روضات الجنات: ٣٤٩/٥، وقد حققه الدكتور السيد محمد بحر العلوم، وقدم للطبعة الثالثة منه (ط. دار الزهراء، بيروت) الكاتب المصري الكبير الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود.

(٢) وذكر الحر العاملي في أمل الآمل: ١٦٩/٢: «إنَّ الشيخ عربي بن مسافر العبادي روى الصحيفة السجادية الكاملة، عن بهاء الشرف بالسند المذكور في أولها».

(٣) في ترجمته يُنظر: رجال ابن داود: ٣٧١ الرقم ١٦٦٠، نقد الرجال: ٣٧١ الرقم ٩، بغية الوعاة: ٣٣١/٢ الرقم ٢١٠٨، جامع الرواة: ٣٢٤/٣، أمل الآمل: ٣٤٦/٢ الرقم ١٠٧٠، رياض العلماء: ٣٣٤/٥، لؤلؤة البحرين: ٢٥٢ الرقم ٨٨، أعيان الشيعة: ٢٨٨/١٠، الفوائد الرضوية: ٧٠٩، الذريعة: ٦١/٥ الرقم ٢٢٦، طبقات أعلام الشيعة: ٢٠٤/٣، معجم رجال الحديث: ٣٠/٢٠ الرقم ١٣٤٥١، الأعلام: ١٣٥/٨، معجم المؤلفين: ١٨٥/١٣، وكناه الشهيد الأول: أبا أحمد، الأربعون حديثاً: الحديث ٣٣، قيل في مدحه:

ليس في الناس فقيهٌ مثل يحيى بن سعيد
صنَّف الجامع فقهاً قد حوى كلَّ ثريد

(٤) يُنظر: رجال ابن داود: ٣٧١ الرقم ١٦٦٠.

القرن السادس الهجري

وَيَرْوِي عَنْهُ وَلَدُهُ الْفَاضِلُ الْحَسَنُ وَحَفِيدُهُ الْمُحَقِّقُ الْهَارِيُّ ذِكْرُهُ أَنْفًا، وَقَدْ أَعْقَبَ صَاحِبُ
الْتَّرْجَمَةِ وَلَدَهُ الْحَسَنَ؛ فَأَوْرَثَهُ الذِّكْرَ الْحَسَنَ كَمَا وَرِثَ مِنْهُ عِلْمَهُ، وَوَرَعَهُ وَفَضْلَهُ، وَتَقْوَاهُ،
وَقَدْ تَتَلَمَّذَ لِصَاحِبِ التَّرْجَمَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَفَاضِلِ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ، وَيَكْفِي أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ
مِثْلُ وَلَدِهِ وَمُحَمَّدِ الْأَعْرَجِ الْعَلَوِيِّ الْحُسَيْنِيِّ، وَأَمْثَالِهِمَا مِنَ النُّجُومِ الطَّوَالِغِ فِي سَمَاءِ الْعِلْمِ
وَالْفِكْرِ.

فَأَبُو زَكَرِيَّا إِذَنْ؟ مِنَ النُّخْبَةِ الْخَيَّرَةِ الَّذِينَ عَرَسُوا شَجَرَةَ الْمَعْرِفَةِ، وَتَكَفَّلُوا إِرْوَاءَهَا؛
وَلَكِنَّمَا هِيَ جِنَايَةُ الْأَحْفَادِ الَّذِينَ لَمْ يَقْتَضِفُوا مِنْ هَذِهِ الثَّمَارِ الشَّهِيَّةِ وَتَرَكُوا تِلْكَ الشَّجَرَةَ
الْمُبَارَكَةَ مُهْمَلَةً؛ فَعَرَّضُوهَا لِلْأَعَاصِيرِ؛ فَلَمْ تُثْمَلْهَا حَتَّى اقْتَلَعَتْهَا مِنَ الْجُدُورِ^(١).

(١) له مصنفات يبدو أن السيّد المصنّف لم يطلع عليها، فله سوى الجامع للشرائع، المدخل في
الفقه، قضاء الفوائت، آداب السفر، الفحص والبيان عن أسرار القرآن، كشف الالتباس عن
نجاسة الأرجاس، نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه والنظائر. يُنظر: موسوعة طبقات الفقهاء:
٢٩٨/٧. كتاب الجامع طبع بقم سنة (١٤٠٥ هـ)، ونشرته مؤسّسة سيّد الشهداء العلميّة،
وأشرف عليه وقدم له العلامة الفقيه جعفر السبحاني، وطبعته ثانية دار الأضواء ببغروت، ونزهة
الناظر حقّقه السيّد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.



القرن السابع الهجري



القرن السابع الهجري

١٧. الشَّيْخُ الشَّامِيُّ الْحَلِّيُّ^(١)

هُوَ الْعَلَامَةُ الْوَرَعُ الْجَلِيلُ، جَمَالُ الدِّينِ أَبُو شَهَابٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ جَعْفَرٍ، الشَّامِيُّ مُحْتَدًا، وَالْحَلِّيُّ مَوْلِدًا وَمَنْشَأً، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ فُقَهَاءِ الشَّيْعَةِ وَمُتَبَصِّرِيهِمْ، وَذَوِي الْمَكَانَةِ الْعَالِيَةِ، وَالرَّأْيِ الْمَسْمُوعِ، عَشِقَ الْعِلْمَ فَأَفْنَى زَهْرَةَ شَبَابِهِ وَأَطْيَبَ أَيَّامِهِ، وَأَحَبَّ الْأَدَبَ فَلَمْ يَفْتَأْ يُعَارِسُهُ حَتَّى مَلَكَ نَاصِيَتَهُ، وَقَوْلَهُ بِالْفَلَسَفَةِ فَمَلَكَ زِمَامَهَا وَجَالَ أَشْوَاطًا فِي مَضَامِيرِ الْفَقْهِ وَالْأُصُولِ؛ فَكَانَ مِنْ أَبْطَالِهَا، وَقَدْ عَرَفَ أَسْرَارَهُمَا، وَحَلَّ عَوِيصَ مَسَائِلِهِمَا، وَوُفَّقَ لِاتِّشَافِ كُنُوزِهِمَا الثَّمِينَةِ الدِّينِيَّةِ، وَقَدْ وَصَفَهُ - بِحَقٍّ - صَاحِبُ كِتَابِ (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ) بِـ «الشَّيْخِ الْفَقِيهِ، الْعَالِمِ الْعَامِلِ»؛ وَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ الْأَوَائِلَ أَمْثَالُ صَاحِبِ (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ) لَا يُلْقَوْنَ الْكَلَامَ عَلَى عَوَاهِيهِ، وَلَا يُحْكَمُونَ جُزْأً كَمَا يَفْعَلُ مَعَ الْأَسْفِ بَعْضُ فُقَهَاءِ زَمَانِنَا فِي كَيْلِ الْأَلْقَابِ الْجُغَرَفِيَّةِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ، وَلِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ، حَتَّى أَنَّ بَعْضَ عَوَامِّ الْحِلَّةِ، وَهُوَ ذُو تَارِيخٍ مُلَوِّثٍ مُخْزٍ، قَدِرٍ، وَمُرَابٍ مَعْرُوفٍ حَصَلَ عَلَى نُعُوتٍ لَا يُحْلَمُ بِمِثْلِهَا فِي الزَّمَنِ السَّحِيقِ إِلَّا مَنْ آتَاهُ اللَّهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ؛ فَكَانَ لِهَذَا الْإِسْفَافِ رَدُّ فِعْلٍ سَيِّءٍ مَضْحُوبًا بِخِيْبَةٍ أَمَلٍ كَبِيرَةٍ، وَقَدْ أَشْبَعْنَا مِثْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ بَحْثًا فِي جَرِيدَتِنَا (التَّوْحِيدِ)^(٢) بِالْعَدَدِ (٢٢) الصَّادِرِ فِي ١ آبِ ١٩٥٩.

وَمِمَّا يُخْزِي فِي النَّفْسِ أَنَّ بَعْضَ الْفُضَلَاءِ مِنْ عُلَمَاءِ النَّجَفِ قَرَضَ كِتَابَ (الْمِيزَانِ) فَمَنْحَ طَالِبًا لَقَبَ الْعَالِمِ؛ فَعَاتَبَتْهُ فَأَجَابَ أَقْصَدُ: أَنَّهُ عَالِمٌ بِوُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِهَذَا التَّصَرُّفِ

(١) يُنْظَرُ: الذَّرِيعَةُ: ٢٢٥/٤، أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ٥٠٩/٢.

(٢) التَّوْحِيدُ: جَرِيدَةُ أُسْبُوعِيَّةٍ - صَوْتُ السَّلَامِ وَالْديمقراطية فِي الْحِلَّةِ، مط. القضاء

١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨ م، صَاحِبُهَا السَّيِّدُ هَادِي كَمَالُ الدِّينِ، وَبَعْدَ أَعْدَادِ انْتِقَالِهَا إِلَى بَغْدَادِ

وَاحْتَجَبَتْ. يُنْظَرُ: مَعْجَمُ الْمَطْبُوعَاتِ النَجْفِيَّةِ: ١٣١.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتِ

تَشَوَّهَتْ سَمْعُهُ الْعِلْمَ، وَالْعُلَمَاءُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ، صَانَهُمْ وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمًا^(١)
وَلَكِنَّ الشَّامِيَّ السَّامِيَّ الْمَقَامُ الرَّفِيعَ الْقَدْرُ حَصَلَ عَلَى تِلْكَ الْأَلْقَابِ بِجَدَارَةٍ
وَلِيَّاقَةٍ؛ لِأَنَّ زَمَانَهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَدَهَوْرَتْ فِيهِ الْمَقَائِيسُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ الَّتِي قَاسَيْنَا
شُرُورَهَا، وَكَفَاهَا فَضْلًا أَنْ يَتَمَثَّلَ أَمْرُهُ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ مَكِّيٍّ الْعَامِلِيِّ الْجَزِينِيِّ^(٢)، مُؤَلِّفُ
كِتَابِ (اللُّمَعَةِ الدَّمَشَقِيَّةِ)، الشَّهِيرُ بِالشَّهِيدِ الْأَوَّلِ فِي تَأْلِيفِ كِتَابِ (الدُّرُوسِ) الَّذِي أَلَفَهُ
الشَّهِيدُ الْأَوَّلُ سَنَةَ ٧٨٠ هـ، وَيُعَدُّ هَذَا الْكِتَابُ مِنْ أَهَمِّ الْكُتُبِ وَأَجْلَهَا قَدْرًا حَتَّى كَانَ
مُحَوَّرًا لِتَعْلِيقَاتِ الْعُلَمَاءِ وَحَوَاشِيهِمْ؛ كَتَعْلِيقَاتِ الشَّيْخِ عَزِّ الدِّينِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ
مَطَرٍ الْجَزَائِرِيِّ الْأَسَدِيِّ^(٣)، تَلْمِيزِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ فَهْدٍ^(٤) الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٤١ هـ، وَالشَّيْخِ
عَزِّ الدِّينِ هَذَا كَمَا يَقُولُ فِيهِ صَاحِبُ كِتَابِ (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ) إِنَّهُ: «فَاضِلٌ عَالِمٌ كَامِلٌ،
يُرْوَى عَنْ ابْنِ فَهْدٍ، وَيُرْوَى عَنْهُ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ حَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الشَّهِيرِ
(١) والبيت الذي بعده:

ولكن أذلَّوه فهان ودنسوا محيَّاه بالأطباع حتَّى تجهَّما
قال ابن خلكان في وفيات الأعيان: ١/ ٢٧٩ بعد ذكر البيت الأول: «هي أبيات طويلة ومشهورة
فلا حاجة إلى ذكرها»، وهذا الشعر نُقِلَ في كتب متعدِّدة، وهي: أدب الدنيا والدين: ٩٢، معجم
الأدباء: ١٤/ ١٧-١٨.

(٢) كذا، والحال أن هناك نسخة من كتاب (الدروس الشرعية) للشَّهِيدِ الْأَوَّلِ (ت ٧٨٠ هـ) كُتِبَ
بأمر المترجم، وفرغ كاتبها منها في سنة (٨٠٢ هـ)، ثُمَّ مَلَكَ النسخة الشَّيْخُ عَزِّ الدِّينِ الْحَسَنُ بْنُ
الْحُسَيْنِ بْنِ مَطَرٍ الْجَزَائِرِيِّ الْأَسَدِيِّ، وكتب عليها حواشي أثناء مطالعته للنسخة من سنة (٨٢٨ هـ)
إلى سنة (٨٤٩ هـ). ينظر: الذريعة: ٤/ ٢٢٥ الرقم ١١٢٧. فعلى هذا لم يكن من امثال أمر الشَّهِيدِ
الأوَّلِ شيء يُذكر، ويكون المترجم بعد هذا من علماء القرن التاسع لا السابع؛ لأنَّه كان حيًّا سنة
(٨٠٢ هـ)، فلاحظ. (أحمد الحلي).

(٣) يُنظر: مقدِّمة كتاب الدروس الشرعية في فقه الإمامية، تأليف الشَّيْخِ شمس الدين مُحَمَّدِ بْنِ
مَكِّيٍّ الْعَامِلِيِّ (ت ٧٨٦ هـ).

(٤) يُنظر: عوالي اللآلئ: ١/ ٨، طرائف المقال: ١/ ٩٢، أعيان الشيعة: ٥/ ٥٧.

القرن السابع الهجري

بِ(الْقَتَالِ) أَسْتَاذُ ابْنِ أَبِي جُمُهورِ الْأَحْسَائِيّ، الَّذِي اشْتَغَلَ فِي حَقْلِ الثَّقَافَةِ، وَهُوَ حَقْلُ مُتُونِ الْحَوَاشِي، مُحْضَلُ الْحَمَائِلِ شَدِيدُ الرَّائِحَةِ، قَدْ أَيْنَعَتْ فِيهِ أَزْهَارُ زَاهِيَةٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، وَبِرِّيَاحِينَ مِنَ الثَّقَافَةِ وَالْفَهْمِ^(١).

١٨. أَحْمَدُ بْنُ الْخَطَّابِ (٦٠٣-٦٥٦هـ)^(٢)

هُوَ أَبُو شَهَابٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ أَبِي الْوَفَاءِ ابْنِ الْخَطَّابِ ابْنِ الزُّهَيْرِ^(٣)، الْأَدِيبُ شَرَفُ الدِّينِ، أَبُو الطَّيِّبِ ابْنِ الْخَلَاوِيِّ، كَانَ مِنْ مَشَاهِيرِ شُعْرَاءِ عَصْرِهِ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ النَّاهِيْنَ، أَتَقَنَّ الْعُلُومَ اللَّسَانِيَّةَ، وَبَرَعَ فِي الْأَدَبِ وَدَرَسَ طَرَفًا مِنْ عِلْمِ الْفِقْهِ؛ وَلَكِنَّهُ كَبَا جَوَادُهُ فِي هَذَا الْمَضْمَارِ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ صَيِّتُهُ فِي الشُّعْرِ أَبْعَدَ مَدًى حَتَّى لَوْ أَنَّكَ سَجَلْنَا شِعْرَهُ، وَحَفِظْنَا بَنَاتِ أَفْكَارِهِ؛ لَكِنَّا قَدْ سَجَلْنَا الْأَعَاجِيبَ، تَسْرِي فِيهِ عَدْوَى الْمُلَازِمَةِ بَيْنَ الْإِجَادَةِ فِي الشُّعْرِ وَبَيْنَةِ الْحِلَّةِ الَّتِي تَخْلُقُ أَمْثَالَ ابْنِ الْخَطَّابِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ الرَّوْحِيِّ الرَّاقِي قَبْلَ أَنْ تَطْفُو حِقْفَةُ هَذِهِ الْحَضَارَةِ الْمَادِّيَّةِ عَلَى أَمْوَاجِ الْحَيَاةِ الْبَائِسَةِ الْمُنْتَكِسَةِ، وَقَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ عَنْ هَذَا الْأَفْقِ الصَّافِي الصَّاحِي تِلْكَ النُّجُومُ الْمُضِيئَةُ حَيْثُ كَانَتْ لِلْفَضِيلَةِ حُرْمَةً، وَلِلْعِلْمِ عِزًّا، وَلِلشَّرَفِ قَدْرًا، وَلِلْحَيَاءِ مَكَانًا وَلِلثَّقَافَةِ سُبُلًا لَا تَعْرِفُ الْخُدُودَ، وَالسُّدُودَ، وَالْقُبُودَ، فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْعَصْرِ قَدْ وُلِدَ صَاحِبُ التَّرْجَمَةِ فَتَشَأْ عَلَى مَا عَلَيْهِ أَخْدَانُهُ وَأَتْرَابُهُ

(١) يُنْظَرُ: رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ فِي حَدِيثِهِ عَنِ الشَّيْخِ الشَّامِيِّ.

(٢) تَرْجَمْتُهُ فِي: الْعَبْر: ٥/ ٢٢٧، الْوَاقِي بِالْوَفِيَّاتِ: ٨/ ١٠٢-١٠٨، التَّرْجَمَةُ ٣٥٢٤، وَفِيهِ أَنَّهُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ أَبِي الْوَفَاءِ ابْنِ الْخَطَّابِ مُحَمَّدٌ، فَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ: ١/ ١٤٣-١٤٨، التَّرْجَمَةُ ٥٤، وَفِيهِ أَنَّهُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ أَبِي الْوَفَاءِ ابْنِ الْخَطَّابِ ابْنِ الزُّهَيْرِ، عِيُونُ التَّوَارِيخِ: ٢٠/ ١٥٤-١٥٩، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ: ٧/ ٦٠، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ: ٥/ ٢٧٤، سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ: ٢٣/ ٣١٠، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ: ٤٨/ ٢٢٦، الْأَعْلَامُ: ١/ ٢١٩، بَغِيَّةُ الطَّلَبِ: ٣/ ١٠٦٧.

(٣) فِي فَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ: ١/ ١٧٩-١٨٣ (الْهَزِيرُ)، وَهُوَ الصُّوَابُ. وَالْهَزِيرُ: صَوْتُ الرِّيحِ الشَّدِيدَةِ.

فَقَّهَ اللُّغَةَ وَسَرَّ الْعَرَبِيَّةَ: ١٩٨.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلِيقَةِ

مِنْ مَحَبَّةِ الْعِلْمِ وَعِشْقِ الْكَمَالِ، وَالْجَمَالِ الرُّوحِيِّ فِي حَيَاةٍ صَاحِكَةٍ مَرَحَةٍ، وَكَانَتْ إِجَادَتُهُ
لِلشَّعْرِ سَبِيًّا رَئِيسًا فِي وُضُولِهِ عَلَى بَلَاطِ الْخُلَفَاءِ وَدَوَاوِينِ الْأَمْرَاءِ؛ فَمَدَحَهُمْ وَحَظِيَّ
بِجَوَائِزِهِمْ فَعَاشَ سَعِيدًا فِي رَعْدٍ مِنَ الْعَيْشِ حَتَّى آلَ بِهِ الْأَمْرُ أَنْ يَكُونَ مِنْ حَفَدَةِ بَدْرِ
الَّذِينَ لَوْلُوُ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ^(١) مِنْ أَقْرَبِ الْمُتَقَرِّبِينَ إِلَيْهِ مِنْ بَطَانَتِهِ، وَاشْتَغَلَ فِي خِدْمَتِهِ
مُدَّةً كَانَ فِيهَا مَوْضِعُ ثِقَتِهِ، وَهُوَ بَيْنَ فِتْرَةٍ وَأُخْرَى يُسْمِعُهُ مِنْ شِعْرِهِ الْعَذَبِ مَا يُرْنَحُهُ
طَرَبًا، فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ صُورِ الْجَمَالِ فِي إِطَارِ سِحْرِيٍّ مِنْ صُنْعِ خَيَالِ الشَّاعِرِ الْمُوهُوبِ
أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ مَا تَحَلَّى بِهِ ابْنُ الْخَطَّابِ مِنْ ظَرَّافَةٍ، وَرَقَّةٍ طَبَعٍ وَخِصَالٍ حَمِيدَةٍ.

وَقَدْ عَاشَ هَذَا الشَّاعِرُ فِي بُلْهَنِيَّةِ عَيْشٍ، وَمَاتَ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ (٥٣) عَامًا، وَتَرَكَ
مِنْ شِعْرِهِ رَوَائِعَ بَاهِرَةً؛ لَوْلَا تَجَنُّي الدَّهْرِ فِي ضِيَاعِ أَمْثَلَةٍ حَيَّةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ شِعْرِهِ الْمُعْجَبِ
الْمُطْرَبِ، وَمِنْ شِعْرِهِ الْغَزَلِيِّ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ، وَفِي مَطْلَعِهَا جِنَاسٌ لَمْ يَتَكَلَّفْ فِيهِ، وَالشَّعْرُ
مِنْ الطَّوِيلِ:

حَكَاهُ مِنَ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ وَرِيقُهُ	وَمَا الْخَمْرُ إِلَّا وَجَنَاتُهُ وَرِيقُهُ
هَلَالٌ، وَلَكِنَّ أَفَقَ قَلْبِي مَحْلُهُ	غَزَالٌ، وَلَكِنْ سَفَحَ عَيْنِي عَقِيقُهُ
وَأَسْمَرُ يَحْكِي الْأَسْمَرَ اللَّدْنَ قَدُّهُ	غَدَا رَاشِقًا قَلْبَ الْمُحِبِّ رَشِيقُهُ
عَلَى خَدِّهِ جَهْرٌ مِنَ الْحُسْنِ مُضْرَمٌ	يَشُبُّ وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي حَرِيقُهُ
أَقْرُّ لَهُ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ جَلِيلُهُ	وَوَافَقَهُ مِنْ كُلِّ مَعْنَى دَقِيقُهُ
بَدِيعُ التَّنْيِ رَاحَ قَلْبِي أَسِيرُهُ	عَلَى أَنَّ دَمْعِي فِي الْغَرَامِ طَلِيقُهُ ^(٢)

(١) صاحب الموصل: الملك بدر الدين لؤلؤ الأرميني الأتابكي، توفِّي سنة (٦٥٧هـ). يُنظر:
العبر: ٢٤٠/٥، يُنظر: تجنِّي الذهبي عليه في كتاب: سير أعلام النبلاء: ٢٢/٢٤١، وانظر:
كلام محمد حسين الجلالي في فهرس التراث: ١/٦١٨، من أنه نشر تراث أهل البيت (عليهم السلام) في
الموصل.

(٢) يُنظر: هذه الأبيات في بغية الطلب في تاريخ حلب: ٣/١٠٦٧، وقد أوردتها بتمامها.

القرن السابع الهجري

وَلَهُ يَمْدَحُ النَّاصِرَ مِنَ الْكَامِلِ:

أَحْيِي بِمَوْعِدِهِ قَتِيلَ وُغُودِهِ رَشًّا يَشِيبُ وَصَالَهُ بِصُدُودِهِ^(١)
وَكَانَ صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ مِنْ بَيْنِ أَعْضَاءِ الْوَفْدِ الْحَلِيِّ الَّذِي اجْتَمَعَ بِهِ (هُوَ لَا كُو
خَانُ) التَّتَرِيِّ بِصُحْبَةِ بَذْرِ الدِّينِ لُؤْلُؤٍ لِلْمُدَاوَلَةِ بِشَأْنِ أَخْذِ الْأَمَانِ مِنْهُ إِلَى الْحِلَّةِ بِرِئَاسَةِ
سَدِيدِ الدِّينِ وَالِدِ الْعَلَامَةِ - أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ - كَمَا مَرَّ عَلَيْكَ فِي أَوَّلِ هَذَا الْكِتَابِ^(٢)،
وَتَوَفَّى ابْنُ الْخَطَّابِ سَنَةَ ٦٥٦ هـ.

١٩. أَبُو الْفَضَائِلِ (٦٧٣ هـ)^(٣)

أَلْ طَاوُوسٍ أَسْرَةٌ كَرِيمَةٌ مِنْ أَشْرَفِ الْأُسَرِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ نَبَغَ فِيهَا عُلَمَاءٌ فَطَاحِلٌ،
وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ السَّيِّدُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْفَضَائِلِ أَحْمَدُ بْنُ سَعْدِ الدِّينِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ
مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ الدَّائِدِيِّ الطَّائِوُوسِيِّ الْحَسَنِيِّ، وَإِنَّ صَاحِبَ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ شَقِيقَ السَّيِّدِ
رَضِيِّ الدِّينِ الَّذِي سَتَاتِي تَرْجُمَتُهُ، تُوُفِّيَ بَعْدَ أَخِيهِ بِتِسْعِ سِنِينَ فِي الْحِلَّةِ، وَلَهُ أَخْوَانُ آخَرَانِ
هُمَا: شَرَفُ الدِّينِ، وَعَزُّ الدِّينِ، وَحَسَبَ ذَلِكَ قَدْ كَانَ لِوَالِدِهِ مُوسَى أَرْبَعَةُ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ
أَهْلُ عِلْمٍ، وَفَضْلٍ، وَتَقْوَى، وَصَلَاحٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ سِوَى مَنْ كَانَ مِنْ عَقَبِ أَبِي
الْقَاسِمِ جَمَالِ الدِّينِ، فَبَيْنَ هَذَا الْجُهْدِ انْحَصَرَتْ ذُرِّيَّةُ آلِ طَاوُوسٍ؛ فَكَانَ إِنتَاجُهُ التَّنَاسُلُ
شَبِيهًا بِإِنتَاجِهِ الْعِلْمِيِّ، فَقَدْ كَانَ مِنْ أَبْرَزِ فَقَهَاءِ الْإِمَامِيَّةِ حَتَّى وَصَفَهُ تَلْمِيزُهُ الْجَلِيلُ
الْحُسَيْنُ بْنُ دَاوُدِ الرَّجَالِيِّ فِي كِتَابِهِ (الرَّجَالُ) الَّذِي اشْتَهَرَ بِهِ فَقَالَ: «سَيِّدُنَا الطَّاهِرُ، الْإِمَامُ

(١) يُنظر: تاريخ الإسلام: ٢٢٦/٤٨، وفيه: (يشوب).

(٢) يُنظر: المقدمات التي ذكرها المصنّف في أوائل الكتاب.

(٣) ترجمته: الرجال، ابن داود الحلي: ٦، الرقم ١٤٠، روضات الجنّات: ٦٦/٧، الرقم ١٥، الكنى والألقاب: ٣٤٠/١، جامع الرواة: ٧٢/١، أمل الآمل: ٢٩/٢، منتهى المقال: ٣٥٢/١، طرائف المقال: ٢/٦١٤، معجم رجال الحديث: ١٣٨/٣، أعيان الشيعة: ٣/١٩٠، كليات في علم الرجال: ٣٥٩، موسوعة طبقات الفقهاء: ٣١٣/٢.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلْيَةِ

المُعْظَمُ، فَقِيهُ أَهْلِ الْبَيْتِ، جَمَالُ الدِّينِ، أَبُو الْفَضَائِلِ مُصَنِّفٌ، مُجْتَهِدٌ، كَانَ أَرْوَعَ فَضْلَاءِ أَهْلِ زَمَانِهِ، قَرَأَتْ عَلَيْهِ أَكْثَرُ (البُشْرَى) وَ(الْمَلَادُ) وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ تَصَانِيفِهِ، وَأَجَازَ لِي بِجَمِيعِ تَصَانِيفِهِ وَرِوَايَاتِهِ، وَكَانَ شَاعِرًا مُفْلِقًا، بَلِغًا، مُنْشِئًا مُجِيدًا»^(١) إلخ.

وَقَالَ فِيهِ صَاحِبُ كِتَابِ (أَمَلِ الْأَمَلِ) إِنَّهُ: «كَانَ عَالِمًا، فَاضِلًا، صَالِحًا، زَاهِدًا عَابِدًا، وَرِعًا، فَقِيهًا، مُحَدِّثًا، ثِقَةً، شَاعِرًا، جَلِيلَ الْقَدْرِ عَظِيمَ الشَّانِ»^(٢)، وَحَدَّثَنَا عَنْهُ صَاحِبُ كِتَابِ (عُمْدَةُ الطَّالِبِ) بِمَا يَلِيْقُ بِشَأْنِهِ مِنْ صِفَاتِ الْمَدْحِ وَالِإِطْرَاءِ، وَوَصَفَهُ بِ«الْعَالِمِ الزَّاهِدِ، الْمُصَنِّفِ»^(٣)، وَفَضَائِلُ أَبِي الْفَضَائِلِ لَا تُحْصَى؛ فَقَدْ نَالَ مِنْ شَرَفِ النَّسَبِ، وَطَيْبِ الْأَرْوَمَةِ وَالْعِلْمِ، وَالْفِقْهِ وَالشُّعْرِ، وَالرِّجَالِ، وَالْأَدَبِ، وَالزُّهْدِ وَالتَّعَفُّفِ، وَالتَّقَشُّفِ، وَدِقَّةِ الْفَهْمِ، وَسُرْعَةِ الْخَاطِرِ، وَنَبَاهَةِ الْبَالِ، وَحَصَافَةِ الرَّأْيِ وَرَجَاحَةِ الْعَقْلِ، وَشِدَّةِ الْوَرَعِ، وَحُسْنِ الْحِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالتَّوَاضُعِ، وَتُكْرَانِ الذَّاتِ، وَصِدْقِ اللَّهْجَةِ وَنَبَاهَةِ الذِّكْرِ؛ بِمَا يَجْعَلُهُ حَرِيًّا بِأَنْ يَكُونَ مِنْ دُعَاةِ الْإِرْشَادِ، وَقَادَةَ الرَّأْيِ، وَزَعِيمًا يَلِيْقُ لِلزَّعَامَةِ الرَّوْحِيَّةِ وَالزَّمَنِيَّةِ، وَيَكْفِي مِنْ فَضْلِهِ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَنْ اخْتَرَعَ تَنْوِيعَ الْأَخْبَارِ إِلَى أَصُولِهَا الْأَرْبَعَةِ الْمَعْرُوفَةِ: الصَّحِيحِ، الْمَوْثُوقِ، وَالْحَسَنِ، وَالضَّعِيفِ^(٤)، حَيْثُ اسْتَنْبَطَ ذَلِكَ مِنْ نَظَرِهِ السَّدِيدِ فِي أَحْوَالِ رُوَاةِ الْخَبَرِ، وَاخْتِلَافِهِمْ فِي الْعَدَالَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِتْقَانِ بَعْدَ أَنْ كَانَ الْمَدَارُ قَبْلَهُ عَلَى مُجَرَّدِ وُرُودِ الْقَرَائِنِ، أَوْ التَّصْرِيحِ؛ فَمَا يُسَمَّى بِالصَّحِيحِ مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ هُوَ: مَا اتَّصَلَ سَنَدُهُ بِالْمَعْصُومِ بِوَاسِطَةِ نَقْلِ الْعَدْلِ الضَّابِطِ عَنْ نَظِيرِهِ الْعَدْلِ الضَّابِطِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ سِلْسِلَتُهُ هَؤُلَاءِ الْعُدُولِ الضَّابِطِينَ الْمُتَقِينَ إِلَى الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) الرجال، ابن داود الحلي: ٦، ٤٥.

(٢) أمل الأمل: ٢٩/٢.

(٣) في عمدة الطالب: ١٩٠ «وجمال الدين أبو الفضائل أحمد العالم الزاهد المصنف، ورضي الدين أبو القاسم على السيد الزاهد صاحب الكرامات نقيب النقباء بالعراق».

(٤) يُنظر: كليات في علم الرجال: ٣٥٩، مرآة الكتب: ٣٣، أعيان الشيعة: ٣/ ١٨٩.

القرن السابع الهجري

وَالصَّحِيحُ نَوْعَانِ: أَوَّلُهُمَا: مَا ذَكَرْنَاهُ، وَثَانِيَهُمَا: إِطْلَاقُ لَفْظِ الصَّحِيحِ مُضَافًا إِلَى بَعْضِ الرُّوَاةِ بِنَصٍّ وَتَعْيِينٍ عَلَى مَا جَمَعَ السَّنَدُ إِلَيْهِ الشَّرَاطُ خِلَالَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى الْمَعْصُومِ، وَحِينَئِذٍ يُقَالُ لِمِثْلِ هَذَا الْخَبَرِ: صَحِيحُ فُلَانٍ، إِذَا اعْتَرَى السَّنَدُ اخْتِلَالًا مَا كَالِإِرْسَالِ وَنَحْوِهِ، وَأَمَّا الْحَسَنُ فَهُوَ: مَا اتَّصَلَ سَنَدُهُ إِلَى الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِطَرِيقِ الْإِمَامِيِّ الْمَمْدُوحِ دُونَ أَنْ يَتَعَارَضَ مَدْحُهُ بِذَمٍّ.

وَالنَّوْعُ الثَّلَاثُ يُسَمَّى (الْمَوْثُوقُ): وَهُوَ مَا كَانَ سِلْسِلَتُهُ سَنَدِهِ (الْمَوْثُوقُ) مِنْ غَيْرِ الْإِمَامِيَّةِ عِنْدَ الْأَصْحَابِ إِذَا لَمْ يَشْتَمِلْ طَرِيقُ السَّنَدِ عَلَى ضَعْفٍ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى؛ وَيُسَمَّى (الْقَوِيُّ) أَيْضًا.

وَرَابِعُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ: الضَّعِيفُ، وَهُوَ مَا فَقَدَ الْأَوْصَافَ الْمُقَرَّرَةَ لِأَحَدِ الْأَقْسَامِ السَّالِفَةِ الذِّكْرُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ مَا يَرَوِيهِ مَجْهُولُ الْحَالِ، وَتُسَمَّى هَذِهِ الْأَقْسَامُ الْأَرْبَعَةُ (أُصُولُ الْحَدِيثِ)، وَقَدْ زِيدَ عَلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ أَقْسَامًا أُخْرَى فِي زَمَنِ آيَةِ اللَّهِ الْعَلَامَةِ الْمَوْلَى مُحَمَّدٍ بَاقِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ تَقِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١١١٠ هـ الْمَعْرُوفِ بِ: (الْمَجْلِسِيِّ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّكَ اسْتَشْعَرْتَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ عَظَمَةَ صَاحِبِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ وَلَمَسْتَ جَلَالَه قَدْرَهُ، فَحَرِيٌّ بِهِ الْقَوْلُ مَنْ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ «كَانَ مُجْتَهِدًا وَاسِعَ الْعِلْمِ، إِمَامًا فِي الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ، وَالْأَدَبِ وَالرِّجَالِ، وَمِنْ أَرْوَعِ أَهْلِ زَمَانِهِ حَقَّقَ الرِّوَايَةَ وَالرِّجَالَ، تَحْقِيقًا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَهُوَ مِنْ أَسَاتِذَةِ الْعَلَامَةِ الْحَلِيِّ، وَصَهْرِ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ عَلَى ابْنَتِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ وَلِيَ النِّقَابَةَ بِ(سُورَاءٍ)، وَأَوَّلُ مَنْ نَظَرَ فِي الرِّجَالِ، وَتَعَرَّضَ لِكَلِمَاتِ أَصْحَابِهَا مِنْ جُرْحٍ وَتَعْدِيلٍ»^(١)؛ وَلِهَذَا يَذْهَبُ لَفْظُ ابْنِ طَاوُوسٍ فِي كُتُبِ الرِّجَالِ وَمُبَاحِثِ الْفِقْهِ إِلَيْهِ بِالتَّبَادُرِ، يَرَوِي عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَكَابِرِ الْفُقَهَاءِ كَالسَّيِّدِ فَخَارِ الدِّينِ بْنِ مَعَدِّ الْمُوسَوِيِّ، وَنَجِيبِ الدِّينِ ابْنِ نَهْمٍ.

لَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيرَ التَّأْلِيفِ، وَالتَّصْنِيفِ حَتَّى صَنَّفَ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ نَحْوًا مِنْ (٨٢)

(١) روضات الجنّات: ٦٦/١.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

كِتَابًا كُلُّهَا مُفِيدَةٌ، وَمِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الْمُصَنَّفَاتِ الْمُهِمَّةِ كِتَابُ (مَلَاذُ الْعُلَمَاءِ)، وَكِتَابُ (بُشْرَى الْمُحَقِّقِينَ) فِي الْفِقْهِ فِي سِتَّةِ مُجَلَّدَاتٍ، وَمِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ أَيْضًا كِتَابُ (حُلُّ الْإِشْكَالِ فِي مَعْرِفَةِ الرِّجَالِ) فَرَّغَ مِنْهُ سَنَةَ ٦٤٤ هـ، وَحَرَّرَهُ صَاحِبُ الْمَعَالِمِ وَأَسْمَاهُ (التَّخْرِيرُ الطَّائِوُسِيُّ) فِي أَرْبَعَةِ مُجَلَّدَاتٍ، وَكِتَابُ (نَقْضُ عَلَى ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ الْمُعْتَرِجِي)، وَكِتَابُ (عَيْنُ الْعِبْرَةِ فِي غُبْنِ الْعِثْرَةِ)، وَكِتَابُ (شَوَاهِدُ الْقُرْآنِ)، وَكِتَابُ (الْأَزْهَارُ فِي شَرْحِ لَامِيَةِ مَهْيَارِ)، وَكِتَابُ (الْمَقَالَةُ الْعَلَوِيَّةُ فِي نَقْضِ الرِّسَالَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ)، وَغَيْرُهَا، كَمَا أَنَّ لَهُ دِيَوَانَ شِعْرٍ، وَلَهُ رُدُودٌ مُفْجِمَةٌ عَلَى أَبِي عُثْمَانَ الْجَاحِظِ صَاحِبِ (الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ) ^(١) الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٥٥ هـ، وَإِنْ لِأَبِي الْفَضَائِلِ مَا ثَرَّ أُخْرَى لَيْسَ فِي وَسْعِنَا اسْتِقْصَاؤُهَا.

اخْتَارَهُ اللَّهُ إِلَى جِوَارِهِ سَنَةَ ٦٧٣ هـ، وَدُفِنَ فِي الْحِلَّةِ مَسْقِطُ رَأْسِهِ فِي مَحَلَّةٍ تُعْرَفُ بِاسْمِهِ تُسَمَّى بِ: مَحَلَّةِ أَبِي الْفَضَائِلِ، وَقَبْرُهُ فِيهَا مِنَ الْمَزَارَاتِ الْجَلِيلَةِ، لَمْ تَزَلْ لِلنَّاسِ مَوْضِعَ تَقْدِيرٍ وَاحْتِرَامٍ؛ وَلِهَذَا الْمَرْقِدُ الطَّاهِرُ قِيَمٌ وَخَدَمٌ، وَقَدْ جَدَّدَهُ بَعْضُ وَجَهَاءِ الْحِلَّةِ مِنْ آلِ مَرْجَانٍ فِي الْآوَنَةِ الْأَخِيرَةِ، وَهُوَ عَمَلٌ يُذَكِّرُ فَيُشْكِرُ، وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ هِيَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ.

٢٠. ابْنُ رِدَّةِ الْحِلِّيُّ النَّيْلِيُّ [ت ٦٤٤ هـ] ^(٢)

الشَّيْخُ مُهَذَّبُ الدِّينِ، أَبُو شَهَابِ الدِّينِ الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي الْفَرَجِ، ابْنُ رِدَّةِ الْحِلِّيِّ النَّيْلِيِّ، كَانَ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ الْحِلَّةِ وَالنَّيْلِ حَتَّى اسْتَهْوَتْهُ أَنْدِيَّتُهَا الْعِلْمِيَّةُ، وَمَا أَكْثَرَهَا يَوْمَ ذَلِكَ؛ فَاجْتَذَبَتْهُ إِلَيْهَا اجْتِذَا بَ الزَّهْرَةِ لِلنَّحْلِ، وَاحْتَضَنَتْهُ كَالْأُمِّ الرَّؤُومِ، وَأَرْضَعَتْهُ مِنْ ثَدْيِ

(١) يُنْظَرُ: اسْتِقْصَاءُ مُصَنَّفَاتِهِ: موسوعة طبقات الفقهاء: ٣١٣/٢.

(٢) فِي تَرْجُمَتِهِ يُنْظَرُ: رياض العلماء: ٨/٢، وَأَمَلُ الْأَمَلِ: ٩٢، ٢٥٠/٢، وَكَذَلِكَ أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ:

١٧/٥ ١٤/٦، خَاتَمَةُ الْمُسْتَدْرَكِ: ٤١٩/٢، ٤٢٠، مَعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ: ٢٥٦/٦، مَعْجَمُ

الْمُؤَلَّفِينَ: ٦/٤، وَفِي تَعْلِيقَةِ أَمَلِ الْأَمَلِ، لِمِرْزَا عَبْدِ اللَّهِ الْأَفَنْدِيِّ: ١٣٢ «الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرِ الْحُسَيْنِ بْنِ

أَحْمَدَ بْنِ رِدَّةِ سَيْجِيٍّ الشَّيْخِ مُهَذَّبِ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ رِدَّةٍ، وَالْحَقُّ اتِّحَادُهُمَا؛ فَتَأَمَّلْ».

القرن السابع الهجري

عِلْمُهَا وَمَعَارِفُهَا وَأَدَابُهَا، وَحَنَتْ عَلَيْهِ حَنَوَ الْمُرْضِعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ؛ فَتَفَتَحَ ذَهْنُهُ إِلَى تِلْكَ الْمَعَارِفِ كَمَا تَتَفَتَحُ الْأَزَاهِيرُ لِأَنْدَاءِ الرَّبِيعِ، وَوَعَى عَقْلُهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ النَّحْوِ، وَالصَّرَفِ، وَالْمَعَانِي، وَالْبَيَانِ، وَالْبَدِيعِ، وَتَفَهَّمْ عِلْمَ الْمَنْطِقِ تَفَهُّمًا جَيِّدًا، وَدَرَسَ الْفِقْهَ وَالْأُصُولَ، وَعِلْمَ التَّوْحِيدِ، وَالْحَدِيثَ، وَالتَّفْسِيرَ؛ وَاطَّلَعَ عَلَى أَسْرَارِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَدَرَسَهَا بِتَعَمُّقٍ وَإِذَا بِهِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَزَهْرَةٌ عَاطِرَةٌ مِنْ رِيَاضِهَا وَكَوْكَبٌ لَامِعٌ مِنْ كَوَاكِبِهَا الَّتِي أَفَلَتْ، وَمَا يَزَالُ ضِيَاؤُهَا مِلءَ الْأَفْقِ يَخْطِفُ الْأَبْصَارَ.

حَدَّثَنَا سَيِّدُنَا السَّيِّدُ مُحْسِنُ الْأَمِينِ الْعَامِلِيُّ رحمته الله فِي مَوْسُوعَتِهِ (أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ) نَقْلًا عَنْ مَجْمُوعَةِ الْجَبَاعِيِّ (١) أَنَّهُ رحمته الله تُوْفِيَ بِالنَّيْلِ (٢) سَنَةَ ٦٤٤ هـ، وَجُمِلَ إِلَى الْحِلَّةِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ؛ ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَشْهَدِ الْمُقَدَّسِ مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَدُفِنَ فِيهِ.. إلخ.

وَالنَّيْلِيُّ نَسَبُهُ إِلَى (النَّيْلِ) قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْحِلَّةِ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهَا عَلَى نَهْرِ النَّيْلِ الَّذِي حَفَرَهُ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ الثَّقَفِيِّ (جَنَكِيزُ الْعَرَبِ)؛ وَسَمَّاهُ بِهَذَا الْأِسْمِ، وَلَا تَرَالُ آثَارُهُ، وَآثَارُ الْقَرْيَةِ بَاقِيَةٌ إِلَى الْيَوْمِ.

وَقَدْ لُقِّبَ (ابْنُ رَدَّةٍ) بِمُهَذَّبِ الدِّينِ، وَقِيلَ: شَهَابُ الدِّينِ؛ وَقَدْ يَحْذِفُ الْمُتَرَجِّمُونَ لَقَبَهُ وَيَكْتَفُونَ بِاسْمِهِ مُجَرَّدًا عَنِ الْأَلْقَابِ؛ فَيَعْنُونُونُ تَرْجَمَتَهُ بِ(الْحُسَيْنِ بْنِ رَدَّةٍ)، وَقَدْ يَزِيدُ بَعْضُهُمْ كَلِمَةَ (النَّيْلِيُّ) زِيَادَةً فِي التَّعْرِيفِ، وَقَدْ يَكْتَفِي بَعْضُهُمْ مِنَ الْعُنْوَانِ بِ(ابْنِ رَدَّةٍ الْحِلِّيِّ)، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ نَرَى أَنَّ هَذِهِ التَّعَابِيرَ كُلَّهَا تَعُودُ لِصَاحِبِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ دُونَ غَيْرِهِ (٣).

(١) هذه المجموعة من مخطوطات مكتبة مدرسة السيّد البروجرديّ في النجف الأشرف، وهي اليوم في

مكتبة الإمام كاشف الغطاء، رأيتها وحررتها طباعةً بيدي، وهي غير منقوطة. (أحمد الحلي).

(٢) في المطبوع: بالليل، والتصويب من الأعيان: ١٤ / ٦.

(٣) أعيان الشيعة: ١٤ / ٦.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

نَقَلَ السَّيِّدُ مُحْسِنُ الْعَامِلِيُّ عَنْ مَجْمُوعَةِ الْجَبَاعِيِّ الْمَذْكُورَةِ أَنْفًا وَصَفَهُ إِيَّاهُ بِ«الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْإِمَامِ، الْعَلَّامَةِ الْحُسَيْنِ ابْنِ رِدَّةَ الْحَلِّيِّ»^(١) إلخ.

وَفِي كِتَابِ (أَمَلُ الْأَمَلِ): «الشَّيْخُ مُهَذَّبُ الدِّينِ الْحُسَيْنُ بْنُ رِدَّةَ، عَالِمٌ مُحَقِّقٌ جَلِيلٌ، لَهُ مَوْلَفَاتٌ يَرْوِيهَا الْعَلَّامَةُ عَنْ أَبِيهِ عَنْهُ»^(٢)، وَوَرَدَ فِي كِتَابِ (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ) فِي تَرْجَمَتِهِ: «الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْفَاضِلُ مُهَذَّبُ الدِّينِ الْحُسَيْنُ ابْنُ رِدَّةَ»^(٣)؛ وَهَذَا الْمُجْتَهِدُ الْجَهْدُ الْكَبِيرُ كُتِبَ كَبِيرَةٌ كَثِيرَةٌ وَمَوْلَفَاتٌ فِي غَايَةِ الْأَهَمِّيَّةِ، وَأَثَارٌ جَلِيلَةٌ نَافِعَةٌ ذَهَبَ أَكْثَرُهَا فِي مَدْرَجَةِ الضِّيَاعِ، قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ (الرِّيَاضِ)^(٤): «اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الشَّيْخَ مَعَ جَلَالَتِهِ وَوُفُورِ مَوْلَفَاتِهِ وَرَوَاتِهِ لَمْ يَشْتَهَرْ لَهُ كِتَابٌ»؛ ثُمَّ نَقَلَ أَنَّهُ رَأَى عَلَى ظَهْرِ نُسخَةٍ عَتِيقَةٍ مِنْ كِتَابِ (نُزْهَةُ النَّاطِرِ فِي الْجُمُعِ بَيْنَ الْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ) مَقْرُوءَةً عَلَى بَعْضِ الْأَفَاضِلِ أَنَّهَا مِنْ مَوْلَفَاتِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْعَامِلِ مُهَذَّبِ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَتَارِيخُ كِتَابِ النُّسخَةِ سَنَةَ ٦٧٤ هـ^(٥).

٢١. السَّيِّدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَنَّا [ت ٦٧٥ هـ]

هُوَ عِزُّ الدِّينِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَنَّا الْعَلَوِيُّ الْعُبَيْدِيُّ^(٦)، كَانَ رَجُلًا مِّنْ فَضْلَاءِ السَّادَةِ، وَسَادَةِ الْفُضْلَاءِ، بَرَزَ فِي الْعُلُومِ اللَّسَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، وَتَمَكَّنَ مِنْ نَاصِيَةِ

(١) أعيان الشيعة: ١٤/٦.

(٢) أمل الأمَل: ٩٢، ٢٥٠/٢.

(٣) رياض العلماء: ٨/٢.

(٤) في المطبوع (الرياضي)، والكلام لصاحب الرياض، يُنظر: ٨/٢ من كتاب رياض العلماء لعبد الله الأفندي.

(٥) هذا الكتاب (نزهة الناظر) للشيخ يحيى بن سعيد الحلِّي (ت ٥٩٠ هـ) كما مرَّ آنفًا، وحقَّقه السيّد أحمد الحسيني الأشكوري.

(٦) العبيدليّ منسوب إلى عبد الله بن الحسين الأصغر بن الإمام السَّجَّادِ (عليه السلام) المعروف ب: عبيد الله الأعرج. يُنظر: تعليقة أمل الأمَل: ١٨٢.

القرن السابع الهجري

العلوم العقلية، وفك رتاجها، وتصلع بالفقه والأصول والأدب؛ فكان زينة محافل الحلة وبُلبلاً من بلابل رياضها الأريضة الغناء، قال فيه صاحب كتاب (مجمع الآداب) إنه «من السادة الأكابر، أخو جمال الدين بن محمد بن المهنا»^(١) كما نقل مؤلف هذا الكتاب أن صاحب هذه الترجمة كتب في بعض مرسلاته الأخوية، ومطارحاته الأدبية إلى أخيه جمال الدين هذه الأبيات وكلها حب وعاطفة:

أشغلت نفسي عن الدنيا ولذتها فأنت والقلب شيء غير مفترق
وَحَقٌّ مَنْ أوجَدَ الدنيا وزينتها وصوّر العالم الإنسي من علق
لقد هجرت لذيذ النوم بعدكمو أساهر النجم حيراناً من القلق
فإن تطابقت الأجفان عن سنة سهواً رأيته بين الحفن والحدق^(٢)

وهذه الأبيات جياشة بالعواطف المشبوبة، والروح الأخوية النبيلة، والشعور الرقيق، وقد كان صاحب هذه الترجمة معاصراً للسيد أحمد البدوي المغربي الصوفي^(٣) المدفون في مدينة طنطا بمصر، وابن المهنا من العلماء المغمورين المنسين؛ ولكنه برغم ذلك النسيان قد سطعت ومضات من نوره هنا، وهناك وسطع نجمه في سماء العلم، والأدب كما يلمع نور القمر وراء السحاب.

(١) يُنظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب، للفوطي: ٣ / ١٤، ونقله بالمعنى عنه العاملي، أعيان الشيعة: ١٦٦ / ٦.

(٢) في اللمع: ٢٥٠، ٢٥١، نسب البيتين الأخيرين لرويم الشاعر، وفي حلية الأولياء: ٣١٠ / ١٠، نسبهما لسمنون بن حمزة المتوفى سنة (٢٩٠هـ). ترجمته في: الرسالة القشيرية: ٤٠٧، الأعلام: ٣ / ١٤٠، وعن السلمي في طبقات الصوفية: ١٩٥ «وكان يتكلم في المحبة بأحسن كلام، وهو من كبار مشايخ العراق». وذكره العلامة الأميني في الغدير: ٢٨ / ٥، في من صلى خمسمائة ركعة في اليوم، وفي البداية والنهاية: ١١ / ١٣٠ «وله كلام متين في المحبة»، وفي الأعلام: ٣ / ١٤٠ «له مقطوعات في غاية الجودة». ويبدو أن السيد المترجم له قد ضمن البيتين الأخيرين لسمنون مقطوعته.

(٣) المتوفى سنة (٦٧٥هـ). الأعلام: ١ / ١٠٣، وهي السنة نفسها التي توفي فيها السيد العبيدي.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

تُوفِّي - تَعَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ - سَنَةَ ٦٧٥ هـ؛ فَخَسِرَتِ الْحِلَّةُ بِمَوْتِهِ كَنْزًا ثَمِينًا، وَتَوَارَى عَنْ أَفْقِهَا كَوَكَبٌ مُتَالِقٌ مِنْ كَوَاكِبِهَا الْمُسْرِقَةِ.

٢٢. ابْنُ الْبَاقِلَانِيِّ ٥٦٨-٦٣٧ هـ^(١)

حِلِّيٌّ أَصِيلٌ، تَكْفِيكَ فِي أَصَالَةِ حِلِّيَّتِهِ نَسْبَتُهُ إِلَى الْبَاقِلَانِيِّ الَّتِي كَانَتْ الْحِلَّةُ مِنْ أَشْهَرِ الْمُدُنِ الْمَعْرُوفَةِ بِزِرَاعَةِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْبَقُولِ؛ وَكَثْرَةِ إِتْنَاكِهِ، وَالْوَلَعِ بِأَكْلِهِ، وَالتَّفَنُّنِ بِإِعْدَادِهِ لِلْغِذَاءِ، وَحُسْنِ تَحْضِيرِهِ، وَشِدَّةِ الشَّغْفِ بِهِ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ أَحَدَ أَكْبَرِ مُجْتَهِدِي الشَّيْعَةِ الْأَقْدَمِينَ مِنْ أَهْلِ الْحِلَّةِ ضَرَبَ مَثَلًا فِي كِتَابِهِ لِلْمَاءِ الْمُضَافِ بِمَاءِ الْبَاقِلَاءِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْأَمْوَاهِ^(٢).

وَقَدْ حَسِبَهَا بَعْضُ الْحَمَقَى عَارًا لِأَهْلِ الْحِلَّةِ؛ وَهُوَ يَجْهَلُ قِيمَتَهَا الْغِذَائِيَّةَ وَأَنَّهَا كَانَتْ يَوْمًا مَا أَمْنِيَّةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ؛ لِيُخْرِجَ لَهُمْ مِنْ بَقُولِ الْأَرْضِ حَتَّى فَضْلُوهَا عَلَى الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وَظَلَّتِ الْبَاقِلَاءُ مَادَّةً لِلْمَزَاحِ وَالِدُعَابَةِ مُدَّةً طَوِيلَةً مِنَ الزَّمَنِ، وَقَدْ دَاعَبَنِي مَوْظَفٌ كَبِيرٌ قَائِلًا: «هَذِهِ الْبَاقِلَاءُ؛ فَأَيْنَ

(١) في الوافي للصفدي: ١٢ / ١٧٠ «وانتقل آخر عمره إلى مذهب الشافعي وانتهت إليه رئاسة النحو»، وفي أعيان الشيعة: ٣١٣ / ٥ «يمكن أن يستفاد تشيُّعه من قراءته الكلام والحكمة على النصير الطوسي وكونه من أهل الحِلَّةِ المعروفين بالتشيُّع ولا ينافي ذلك قراءته فقه الحنفيَّة وانتقاله إلى مذهب الشافعي، وربَّما يؤيِّد تشيُّعه ما في شرح النهج أنَّ الطبريَّ روى عن عائشة أنَّها كانت تقول: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل رسول الله ﷺ إِلَّا نَسَاؤُهُ)، ثُمَّ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: قُلْتُ حَضَرْتُ عِنْدَ مُحَمَّدَ بْنِ مَعْدِ الْعُلَوِيِّ فِي دَارِهِ بِبَغْدَادٍ وَعِنْدَهُ حَسَنُ بْنُ مُعَالِي الْحِلِّيِّ الْمَعْرُوفُ بِ: ابْنِ الْبَاقِلَوِيِّ، وَهُمَا يَقْرَأْنَ هَذَا الْخَبَرَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ مِنْ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَعْدِ الْحَسَنِ بْنِ مُعَالِي: مَا تَرَاهَا قَصَدْتَ بِهَذَا الْقَوْلِ؟ قَالَ: حَسَدْتُ أَبَاكَ عَلَى مَا كَانَ يَفْتَخِرُ بِهِ مِنْ غَسْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَضَحِكَ مُحَمَّدٌ فَقَالَ: هَبْهَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَزَاحِمَهُ فِي الْغَسْلِ، هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَزَاحِمَهُ فِي غَيْرِهِ مِنْ خَصَائِصِهِ؟».

(٢) وهو العلامة الحِلِّيُّ فِي مَتْنِهِ الْمَطْلَبِ: ١١٦ / ١.

القرن السابع الهجري

خُيَوطُهَا؟ فَأَجَبْتُهُ: لَعَلَّ (الْخُيَاطَاتِ) بِرَأْسِ السَّائِلِ؛ فَحَجَلَ وَلَمْ يَجْسَرْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى
مُكَازَحَتِي، وَكَفَى اللَّهَ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ.

وَلِي مِثْلُ ذَلِكَ فِي مُدَاعَبَةِ صَدِيقٍ، وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ قَوْلِي فِي الشُّعْرِ:

وَلِي صَدِيقٌ قَدْ أَتَانِي مَازِحًا لِكُونِي حَلِيًّا فَكُنْتُ مُنْتَبِهًا
يَقُولُ لِي: خَيْطُكَ مَاذَا لَوْنُهُ يَا مَنْ تَسَامَى فِي رَفِيعِ أَدَبِهِ
قُلْتُ: كَأَيِّ لَوْنٍ خَيْطٌ قَدْ عَدَا يُعْجِبُكَ الْيَوْمَ بِأَنْ تُرْبِطَ بِهِ
وَقَدْ تَفَضَّلَ الْأُسْتَاذُ الْفَاضِلُ الدِّينِيُّ الشَّيْخُ جَلَالُ الْحَنْفِيِّ فَأَهْدَى إِلَيَّ (سَبْحَةً) مِنْ
الْقَوْلِ، وَمَعَهَا فَصِيدَةٌ جَاءَ فِيهَا مَا يَلِي:

(إِلَى فَضِيلَةِ الْعَلَامَةِ السَّيِّدِ هَادِي كَمَالِ الدِّينِ الشَّاعِرِ الْفَحْلِ وَالْفَقِيهِ الْجَلِيلِ)

إِلَى الْفَقِيهِ الْعَلَمِ الْبَحَاثَةِ الْمُصَنِّفِ
الشَّاعِرِ الْقَدْ الْأَرِيبِ اللُّوْذَعِيِّ الصُّحْفِيِّ
ذِي الْقَلَمِ الْخُرِّ الَّذِي أَخَافَ مَنْ لَمْ يَخَفِ
فَرُبَّمَا تَنْطَفِئُ النَّارُ وَمَا أَنْ يَنْطَفِئَ
مَا حَدُّهُ إِلَّا كَحَدِّ الْمَشْرِفِيِّ الْمُرْهَفِ
أُخُوفَةٍ تُخْتَالُ مِنْ رُوعَاتِهَا فِي التُّخَفِ
(سَبْحَةُ قَوْلٍ) رَائِقِ فِي سَمَطِهِ مُؤْتَلَفِ
فَاقَ رَطِيبَ اللُّؤْلُؤِ الْمُودَعِ طَيِّ الصَّدَفِ
تَضْلُحُ لِلْخَيْرِ إِذَا تَكْتَنِفُ السَّرَّ الْخَفِيِّ
أَفِي بِهَا مَا قَدْ لَقِيَ نَامِنَكَ مِنْ تَلَطُّفِ
أَيَّامَ زُرْنَاكَ وَقَدْ زُرْنَا مَنَاطَ الشَّرَفِ
مَعَ الصَّدِيقِ الشُّوبَكِ فِي الشَّاعِرِ الْمُؤَلَّفِ

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

وَلَسْتُ بِالرَّائِي أَمْرًا مِثْلَ (عَلِيٍّ) مِنْ وَفِي
 فِي (حِلَّةِ ابْنِ مَزِيدٍ) يَوْمًا وَلَا فِي النَّجَفِ
 وَمَا أَرَى مِنْ سَلَفٍ بِشَأْوِهِ^(١) أَوْ مِنْ خَلْفٍ
 فَكَمْ لَهُ مِنْ مَوْقِفٍ نَحْسُدُهُ مِنْ مَوْقِفٍ
 دَقَّ عَلَى (مَعْنٍ) فَلَمْ يَنْهَدْلَهُ وَالْأَخْنَفِ
 إِنِّي غَدَوْتُ مِنْهُ فِي غَلَالَةٍ مِنْ دَنْفٍ
 وَبِئْتُ مِنْ هَوَاهُ كَالِ شَارِبِ كَأْسٍ قَرْفٍ؟
 فَهَلْ تَرَكَ قَطُّ قَدْ كُلفْتُ يَوْمًا كَلْفِي؟
 إِنِّي أُعِيدُهُ بِكُلِّ آيَةٍ فِي الْمُضْحَفِ
 وَبِالْحَوَامِيمِ الَّتِي قَدْ عُظِّمَتْ فِي الْأَخْرَفِ
 أَدَامَهُ اللَّهُ بِرَغَمِ الْعَاذِلِ الْمُعَنَّفِ
 لِابْنِ كَمَالِ الدِّينِ وَالشَّيْخِ جَلَالِ الْحَنْفِيِّ
 فَأَجَبْتُهُ بِقَوْلِي:

وَجَدْتُكَ حَقًّا يَا (جَلَالُ) مُهَذَّبًا وَفَضْلَكَ أَمْسَى كَالْكَوَاكِبِ نَيْرًا
 لِذَاكَ إِلَيَّ الْيَوْمَ أَهْدَيْتَ (سَبْحَةً) مِنْ (الْفُولِ) كَانَتْ لِلْمَسْرَةِ مَصْدَرًا
 فَلَا غُرُو أَنْ تَهْدِي إِلَيَّ: فَهَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا كَمَا تَرَى
 وَقَدْ جَرَتْ مُدَاعِبَاتُ كَثِيرَةٍ بَيْنَ الْحَلِيِّينَ الْكَرَامِ وَأَصْدِقَائِهِمْ فِيهَا لَذَّةٌ وَمَتْعَةٌ؛ وَلَكِنَّهَا
 لَيْسَ مِمَّا يَجُوزُ نَشْرُهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ كَهَذَا، وَقَدْ جَرَتْ لِي مُحَادَثَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْبَاقِلَاءِ مَعَ الدُّكْتُورِ
 عَبْدٍ فَظَّمْتُ بِسَبَبِهَا أَرْجُوزَةً فِي جِلْسَةٍ وَاحِدَةٍ تَتَجَاوَزُ (٤٠٠) بَيْتًا؛ وَلَكِنِّي حَذَفْتُ
 مِنْهَا عِنْدَ الطَّبْعِ مَا لَا يَجُوزُ نَشْرُهُ، وَدُونَكَ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةُ الَّتِي طُبِعَتْ بِمَطْبَعَةِ الْجَامِعَةِ

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: (يَشَأْوُهُ)، وَالصَّوَابُ هُوَ الْمَثْبُوتُ؛ لِاسْتِقَامَةِ الْوِزْنِ.

القرن السابع الهجري

بِغَدَادَ بَتَارِيخ ٩/ ٣/ ١٩٤٩، وَقَدْ سَمَّيْتُهَا (مُدَاعِبَاتٌ)، أَوْ (الْقَصِيدَةُ الْهَنْكَارِيَّةُ).

المقدمة

فِي يَوْمِ نَحْسٍ مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَيْنَهَا الْفَلَكَيُّ الطَّهْرَانِيُّ^(١) حَلَلْتُ مَدِينَةَ
بَغْدَادَ؛ فَالْتَقَيْتُ بِصَدِيقٍ لِي كَانَ قَدْ أَكْمَلَ دِرَاسَتَهُ الْعَالِيَةَ فِي مَدَارِسِ أَوْرُبَّا فَرَحَّبَ بِي
أَجْمَلَ تَرْحِيبٍ وَدَعَانِي لِبَيْتِهِ؛ لِتَنَاوُلِ طَعَامِ الْغَدَاءِ فَاعْتَذَرْتُ لَهُ؛ ثُمَّ اعْتَذَرْتُ، وَلَكِنَّهُ أَصَرَ
وَلَمْ يَقْبَلِ الْعُذْرَ، فَاضْطَرَرْتُ نَزُولًا عِنْدَ رَغَبَتِهِ الْمُلِحَّةِ أَنْ أَقْصِدَ دَارَهُ الْعَامِرَةَ فَأَلْفَيْتُهُ
لَدَى الْبَابِ مُنْشَغِلًا بِغَسْلِ سَيَّارَتِهِ فَبَادَرَنِي التَّحِيَّةُ؛ ثُمَّ تَقَدَّمَ مِنِّي فَأَعْلَمَنِي أَنَّهُ قَدْ نَسِيَ
الدَّعْوَةَ؛ ثُمَّ أَخَذَنِي إِلَى دَاخِلِ دَارِهِ الْعَامِرَةِ، وَبَعْدَ أَنْ قَطَعَ أَنْفَاسِي بِمُحَاضَرَةِ طَوِيلَةٍ حَوْلَ
شُبَّاكٍ قَدِيمٍ كَانَ قَدْ وُضِعَ عَلَى جَبْهَةِ الدَّارِ، وَلَمْ يَكَدْ يَسْتَفِرُّ بِي الْمَقَامَ حَتَّى فَاجَأَنِي بِأَكْلَةٍ
مُرْعَبَةٍ مَزَقَتْ مِنِّي الْأَمْعَاءَ، وَتَرَكَتَنِي حَائِرًا لَا أَعْي؛ فَلَمَّا انْصَرَفْتُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ تَجَلَّى لِي
شَيْطَانِي الشُّعْرِيُّ وَأَوْحَى إِلَيَّ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ (الْهَنْكَارِيَّةِ) الَّتِي لَنْ أَتَوَخَّى مِنْ وَرَائِهَا إِلَّا
الظَّرَافَةَ وَالْمُدَاعِبَةَ؛ فَإِلَى الصَّائِفِ الْكَرِيمِ أَهْدِيهَا رَاجِيًا مِنْهُ الْقَبُولَ، وَالْمَعْدَرَةَ:

القصيدة الهنكارية

أَشْكُو وَشَكْوَايَ إِلَى الْإِلَهِ	وَلِيْمَةٌ كَانَتْ مِنَ الدَّوَاهِي
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ بِأَنْ أَنْسَاهَا	وَكَيْفَ يَنْسَى عَاقِلٌ أَسَاهَا
حَيْثُ دَعَانِي بَعْضُ أَصْدِقَائِي	لِدَارِهِ فِي وَجْبَةِ الْغَدَاءِ
أَحَبَبْتُهِ بِدَافِعِ الْأُخُوَّةِ	وَإِنْ دُعِيتُمْ فَاجِئُوا الدَّعْوَةَ
وَفَقًّا إِلَى آدَابِنَا الشَّرْعِيَّةِ	وَأَنْهَا آدَابُ إِنْسَانِيَّةِ

(١) فِي كُلِّ سَنَةٍ قَبْلَ أَيَّامِ النِّيرُوزِ يُصَدَّرُ أَحَدُ الْفَلَكَيِّينَ فِي إِيرَانَ كَرَّاسًا فِيهِ سَعُودُ الْأَيَّامِ وَنَحْوُهَا
وَمَا يَجْرِي فِيهَا مِنْ مَجْرِيَّاتِ الْقَمَرِ وَالسَّنَةِ وَأَدَابِهَا وَالْأَعْمَالِ الَّتِي تَرْدُ فِيهَا، فَلَاحِظْ. (أَحْمَدُ الْحَلِّي).

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْخَلْقَانِ

وَأَنَا حَضَرْتُهُ دَكْتُورُ
أَحْسَنُ مَضْيَافٍ غَدَا شَهِيرَا
رَامَ الْحُسُودَ دَمَهُ وَمَا صَدَقَ
مَنْ أَطْعَمَ الْخَمْسَةَ قُرْصًا وَاحِدَا
وَقَدْ دَعَا مَعِيَ فَتَى الْأَخْلَاقِ
أَعْنِي بِهِ (مُحَمَّدَ الْقَشْطِينِي)
وَعَيْنَ الْمَكَانِ وَالزَّمَانَا
وَقَدْ أَتَيْنَا بِذَاكَ الْمَوْعِدِ
وَعِنْدَمَا شَاهَدْنَا عَنْ كَثَبِ
حَتَّى وَصَلْنَا بَيْتَهُ الْمَعْمُورَا
وَفِي جِدَارِ الْبَابِ قَدْ لَاحَ لِيَا
أَبْدَعَ شَبَاكِ ثَمِينٍ أَثَرِي
وَهُوَ إِلَى الْحَنَاءِ فِي احْتِيَاجِ
قَدْ كَانَ مِنْ عَصْرِ بَنِي الْعَبَّاسِ
بِرَاعَةِ الصَّنْعَةِ فِيهِ سَاحِرُهُ
بَدِيعُ صُنْعٍ لَمْ تَجِدْ أَغْلَاطَهُ
وَهُوَ يُعَدُّ مِنْ نَفِيسِ التُّحَفِ
ثُمَّ دَخَلْنَا الدَّارَ ذَاتَ الْعِظَمَةِ
وَقَدْ جَلَسْنَا الدَّارَ بِاحْتِشَامٍ وَأَدَبِ
وَالدَّارُ كَانَتْ زِينَةً (الصَّلِيخِ)
فِيهَا تَبَادَلْنَا النُّكَاتِ الْجَيِّدَةَ
بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ مَشْهُورُ
يَسْتَقْبِلُ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَا
قَالَ: بِخَيْلٍ، قُلْتُ: كِذْبٌ وَهَقُّ
لَيْسَ بِخَيْلًا بَلْ كَرِيمًا مَاجِدَا
مِنْ خَيْرَةِ الْحُكَّامِ فِي الْعِرَاقِ
مَنْ قَدْ سَمَا فِي خُلُقِهِ الْمَتِينِ
فِي مَوْعِدٍ أَتَقَنَهُ إِتْقَانَا!
لَأَجْلِ الْحَاجِّ لَهُ مُؤَكَّدُ
رَحَبَ فِينَا، لَيْتَ لَمْ يُرَحَّبِ
بِلُطْفِهِ الْكُلُّ غَدَا مَغْمُورَا
شَبِيهُ شَبَاكِ ضَرِيحِ الْأُولِيَا
قَدْ زَيْنَ الْبَابَ بِأَحْلَى مَنْظَرِ
كَذَاكَ لِلشُّمُوعِ وَالسَّرَاجِ
مُعْجِزَةُ الْفَنِّ لِكُلِّ النَّاسِ
وَدَقَّةُ الْفَنِّ تَرَاهَا ظَاهِرَةً
كَأَنَّهُ اسْتُخْرِجَ مِنْ (غُرْنَاطِهِ)
فَهُوَ إِذَنْ بِحَاجَةٍ لِلْمُتَحَفِ
وَالْكُلُّ مِنَّا غَيْضُهُ قَدْ كَظَمَهُ
وَالِاحْتِشَامُ خَيْرُ عَادَاتِ الْعَرَبِ
وَيُوسَفُ فِيهَا شَبِيهُ الشَّيْخِ
لَكِنَّهُ كَالْخُشْبِ الْمُسَنَّدَةِ

القرن السابع الهجري

إِذْ لَمْ تُثِرْهُ نُكْتَةُ لَطِيفَةٍ
 فَلَمْ يَفِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَسَكَتَ
 مِنْ حَيْثُ أَمْسَى بِأَلْهِ مُبْلَبًا
 فَقَدْ دَعَانَا لَا لِأَنْ نَحْيِيَ لَهُ
 وَإِنَّمَا غَلَطْتُنَا الْمَهْوَلَةَ
 لِأَنَّهُ لَمْ يُقْسِمِ الْإِيمَانَا
 وَالذَّنْبُ كُلُّ الذَّنْبِ مِنْ زَوْجَتِهِ
 وَكَانَ فِي إِمْكَانِهَا أَنْ تَزْجُرَهُ
 وَرَبَّهَا أَرَادَ أَنْ يُجَرِّبَهَا
 فَكَانَ هَذَا سَبَبًا مُبَرَّرًا
 وَأَكَلَةُ الْأَدِيبِ لَيْسَتْ تُجْهَلُ
 كَادَ الْأَدِيبُ حِينَ قَاسَى فَقْرَهُ
 لِأَنَّهُ يَعْيشُ وَهُوَ مُعْدَمٌ
 زَاوِيَةٌ يُقَالُ بَطْنُ الْمُؤْمِنِ
 لِذَلِكَ الدَّاعِي الَّذِي دَعَانَا
 وَهُوَ فَتَى يُعْرِفُ بِالْأَمَانَةِ
 لَمْ يُعْطِنَا الْمَطَاعِمَ الشَّهِيَّةَ
 وَهَلْ تَرَى نَالَ امْرُؤٌ مِثْلَهُمَا؟
 فَكَيْسُهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ ضَرَّرَهُ
 وَإِنَّهُ مِنَ الْكِرَامِ (التَّارَهُ)
 مَا بَيْنَنَا قَدْ وَرَعَ الْغِذَاءُ

كَلَّا وَلَا ظَرِيفَةَ ظَرِيفَةٍ
 فَمَا أَحَبَّ الْأَشْتِرَاكَ بِالنُّكْتِ
 حَارَ يَشِيْعُ هَوْلَاءِ الثُّقَلَا
 بَلْ أَكَدَ الدَّعْوَةَ عَنْ جُمَامَلَهُ
 تَصْدِيقُنَا الدَّعْوَةَ فِي سُهْوَلِهِ
 بِأَنَّهُ حَقِيقَةُ دَعَانَا
 إِذْ وَافَقَتْ حَالًا عَلَى دَعْوَتِهِ
 وَكَانَ بِالْإِمْكَانِ أَلْفُ مَعْذِرَةٍ
 فِي بَيْتِهِ مَقْيَاسُ أَكْلِ الْأَدْبَا
 لِدَعْوَتِي وَأَنْ يَجِدَهَا خَطَرًا
 وَإِنَّمَا يُضْرَبُ فِيهَا الْمَثَلُ
 يُمَسِّي مِنَ الْفَصِيلَةِ الْمُجْتَرَّةَ
 فَلَوْ أَتَتْهُ فُرْصَةٌ يَغْتَنِمُ
 فَلَا تَظُنَّ أَنَّهُ يُشْبِعُنِي
 قَدْ كَانَ فِي دَعْوَتِهِ جَبَانَا
 لِذَلِكَ الطَّعَامِ عَنَّا صَانَهُ
 وَجَادَ بِالرَّاحَةِ وَالْحُرِّيَّةِ
 فَإِنْ تَشَأْ خَيْرَ الْحَيَاةِ فَهُمَا
 لَا عَجَبٌ؛ فَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ
 قَدْ ادَّخَرْنَا لَوْقَتِ (الْعَاذَةِ)
 كَالْقَلْبِ إِذْ يُوزَعُ الدِّمَاءُ

فَهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْخَلْقَانِ

مَثَلٌ دَوْرًا هَزَلِيًّا فِي الْكَرَمِ أَعْجَبَ فِي إِخْرَاجِهِ كُلَّ الْأُمَمِ
فَقُلْ لَهُ (بِيشْ أَبْلَشْتُ يَا بُو بِيَشْتُ) وَلَسْتُ تَدْعُو مِثْلَنَا لَوْ تَلْتَفَتَ
لَكِنْ بَدَتْ مِنْهُ لَنَا الْعَجَائِبُ لِأَنَّهُ قَدْ عَادَ وَهُوَ الْغَالِبُ
قَدْ جَاءَنَا وَنَحْنُ نَحْوُ خَمْسَةِ بِقُرْصِ خُبْزٍ لَا نُحِيدُ (عَلَسَهُ)
وَهَذِهِ مُعْجِزَةٌ لَا تُدْفَعُ إِذْ فِي رَغِيفِ خَمْسَةِ قَدْ شَبِعُوا!
ثُمَّ أَتَانَا بِقَلِيلٍ (تَمَنَ) لَمْ يَكْفِ لِلْخَمْسَةِ بَلْ لَمْ يَكْفِنِي
وَبَعْدَ ذَا أَسْمَعَنَا (عِيَاطَهُ) كَيْ يُسْرِعَ الْخَادِمُ (بِالزَّلَاطَهُ)
وَأَيُّ أَيِّ خَادِمٍ جَهُولٍ؟ أَثْقُلُ مِنْ وَاشٍ وَمِنْ عَذُولٍ
ذِي (شَارِبٍ) أَسْوَدَ مِثْلَ الْقَارِ يَزْرِي بِذَيْلِ الْقِرْدِ وَالْحَمَارِ
إِلَى الْبَوَاسِيرِ رِبَاطًا يَصْلُحُ لَوْ أَنَّهُ يَسْخُوبُ بِهِ وَيَسْمَحُ
وَابْتَدَأَ الدُّكْتُورُ فِي مُحَاضَرَةِ بِحُسْنِهَا قَدْ تُعْجِبُ (الدَّكَاتِرَةُ)
وَهُوَ يَقُولُ مُذْ أَتَانَا فِي الْمَرْقِ (كُلْشِي كَتَبْتَهُ بِالْوَرَقِ إِلَّا الزَّلَقِ)
وَهُوَ يَظُنُّ قَوْلَهُ لَنْ نَسْمَعَهُ لِذَلِكَ مَا اخْتَجَ لِأَنْ يُرْقِعَهُ
ثُمَّ انْبَرَى إِلَيَّ وَهُوَ قَائِلُ إِنَّكَ يَا (هَادِي) الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ
وَهَذِهِ الدَّعْوَةُ تَقْدِيرًا لِكَا لِأَنَّنِي مِمَّنْ يَرُونَ فَضْلَكَ
فَانْصِتْ إِذَا شِئْتَ إِلَى نَصِيحَتِي لِأَنَّنِي أَقُولُ عَنْ تَجَرِبَتِي
كُلْ هَهُنَا مَا تَسْتَطِيعُ هَضْمَهُ فَكَثْرَةُ الْأَكْلِ دَوَاعِي الثُّخْمَةِ
كَمْ أَكَلَةٍ مِنْ أَكَلَاتٍ حَرَمَتْ ثُمَّ اسْأَلِ الثُّخْمَةَ كَمْ قَدْ قَتَلَتْ؟
فَلَا تَكُنْ مُسْتَكْثِرًا مِمَّا يُحِبُّ نَصِيحَةَ النَّاسِ عَلَى النَّاسِ نَحِبُ
وَاشْرَبْ مِنَ الْمَاءِ بِدُونِ شُحَّةٍ فَكَثْرَةُ الْمَاءِ تُفِيدُ الصَّحَّةَ
كَالسَّلْسِيلِ أَوْ تَرَاهُ أَحْلَى فَاشْرَبْهُ عَبًّا أَوْ أَرَدْتَ مَهْلًا

القرن السابع الهجري

والماء سهل نافع مُتَزَجٌ
والماء من لَوَازِمِ الحَيَاةِ
وأيُّ ماءٍ لَدَّ طَعْمًا وَصَفًا
كَأَنَّهُ رَاحٌ لَذِيذٌ فِي قَدَحٍ
وَقَدْ تَعَبْنَا لِكَ فِي صُنْعِ مَرَقٍ
وَأَنَّهُ يُعْرَفُ فِي (هِنْكَارِيَا)
وَلَا بِلَادُ (الرُّوسِ) وَ(الْبُلْغَارِ)
مَا كَادَ أَنْ يَفْرَغَ مِنْهُ الطَّاهِي
قَدْ رَاقَ لَوْنًا وَاسْتُطِيبَ ذَوْقًا
فَلَحْمَةً مِنْ كَبْشٍ (إِسْمَاعِيلَا)
أَوْ أَنَّهُ مِنْ كَوَثِرِ الخُلْدِ أَتَى
وَفَضْلُهُ لَمْ يَخْفَ بَيْنَ الْبَشَرِ
وَأَحْسَنَ الْجَمِيعِ عِنْدِي أَكْلًا
وَهُوَ مِنَ الْأَمْرَاقِ كَالْمُلُوكِ
وَأَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَمْرَاقِ
مُذْ جَاءَنِي بِالْعَجَبِ الْعُجَابِ
فَلَا نَتَعَاشِ خِلْتُ أَنِّي (مَسِيو)
تَرَى عَلَيْهِ رَنَّةَ الْمَلَاعِقِ
فِيهَا مِنْ مَرْقَةٍ مُعْتَبَرَةٍ
حَتَّى (الْفَسَنْجُونِ) لَهَا قَدْ خَضَعَا
لَهَا أَحْنُ وَالْحَنِينُ دَابِي

وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ حَيًّا يُخْرَجُ
وَفَضْلُهُ مَا أَحْتَاجُ لِلإِثْبَاتِ
يَقْصُرُ عَنْهُ كُلُّ مَنْ قَدْ وَصَفَا
وَأَيَّنَ مِنْهُ الرَّاحُ فِي نَشْرِ الْفَرَحِ
إِنْ دَخَلَ الزُّرْدُومُ^(١) كَالسَّهْمِ مَرَقٍ
لَمْ تَذَرِهِ (إِفْرَنْسَا) وَلَا (إِيطَالِيَا)
وَلَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَقْطَارِ
حَتَّى تَرَاهُ مُضْغَةً الْأَفْوَاهِ
لِذَا لَهُ كِدْتُ أَذُوبُ شَوْقًا
وَمَاؤُهُ قَدْ كَانَ زَنْجَبِيلَا
أَتَعَبَ فِي أَوْصَافِهِ مَنْ نَعَتَا
إِلَّا عَلَى الْبُومِ ضَعِيفِ الْبَصَرِ
مَكَافِيهِ قَدْ كَانَ مِنَ (الْبَاقِلَا)
وَعَيْرُهُ أَشْبَهُ بِالصُّغْلُوكِ
يَلْدُ بِالْأَبْصَارِ وَالْأَذْوَاقِ
خَرَجْتُ عَنْ دَائِرَةِ الصَّوَابِ
(وَزَكَّةُ فِجَلٍ كُلُّهَا الْعِجَلُ زَعْرِيو)
شَبِيهَةٌ بِزَجَلِ الصَّوَاعِقِ
فِي حُسْنِهَا بَيْنَ الْمَلَا مُشْتَهَرَةٍ
لَنْ يَدَّعِي لِدَنْتَهَا وَلَا ادَّعَى
مِثْلَ حَنِينِ الشَّيْخِ لِلشَّبَابِ

(١) في المطبوع: (الزردوم).

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحِلْيَةِ

فَهْيُ تُشَافِينِي (كَبَسَلِينَ) إِذْ جَمَعْتُ فِيهِ جَمِيعَ (فَيْتَامِينَ)
 بَنَفْعِهَا لَوْ كَانَ يَدْرِي الصَّيْدِي مَا رَكَّبَ الدَّوَا وَلَمْ يُحْلَلِ
 لِأَنَّهُ تَكْفِيهِ عَنْ أَدْوِيَّتِهِ مَعَ أَنَّهُ زَيْنُهُ صَيْدَلِيَّتِهِ
 تَشْفِي الضَّنَا وَإِنْ يَكُنْ عَضَالَا فَإِنْ شَكَوْتَ الدَّاءَ خُذْهَا حَالَا
 (فَلِلْكَلِيرَا) وَهُوَ طَاعُونٌ خَطِرُ أَوْشَكَ فِيهَا بُرْؤُهُ أَنْ يَنْحَصِرُ
 وَإِلَى (الْكُسَاحِ) وَالْجُدَامِ وَالسَّلُّ وَالْقَوْلَنْجِ وَالسَّرَّامِ
 وَأَنَّهُ تَنْفَعُ فِي (الْمَلَارِيَا) كَمَا غَدَتُ تَشْفِي مِنَ (السَّحَايَا)
 وَ(لِلْوَحَامِ) وَفَسَادِ الشَّهْوَةِ نَافِعَةٌ لَوْ مُزِجَتْ بِالْقَهْوَةِ
 وَفِي (البَوَاسِيرِ) غَدَتُ مُجَرَّبَةٌ إِذَا لَهَا أَضِيفَ شَحْمَ أَزْنَبَةٍ^(١)
 وَفِي شِفَا (الصُّدَاعِ) حَارَتِ الثَّقَةُ مِنْهَا إِذَا شَرِبْتَ نِصْفَ مِلْعَقَةٍ
 مَعَ أَنَّهُ أَحْسَنُ كُلِّ مَرْهَمٍ لَوْجَعِ الظَّهْرِ، وَأَمْرَاضِ الْفَمِ وَلِيَحْتَسِ مِنْ عَدَمِ الشَّاهِيَّةِ
 يَشْرُبُهَا قَبْلَ الْعِشَاءِ وَيَعْدَهُ رَأْيِي (أَبْقَرَاطِ) بِهَا قَدْ سَلَفَا
 تَنْفَعُ لِلنَّسْيَانِ وَهُوَ مَرَضٌ عِنْدَ تَغْيِيرِ الدِّمَاغِ يَغْرُضُ بِأَنَّهُ خَيْرُ دَوَاءٍ عُرِفَا
 بِشَكْلِ مَعْجُونٍ لَذِيذِ الطَّعْمِ فَهِيَ دَوَاءٌ نَافِعٌ لِفَهْمِ عِنْدَ تَغْيِيرِ الدِّمَاغِ يَغْرُضُ
 وَفِي (النُّوْفُويَا) تُزِيلُ النَّوْبَةَ إِنْ يَشْرَبِ الْمَصَابُ مِنْهَا شُرْبَهُ لَوْجَعِ الظَّهْرِ، وَأَمْرَاضِ الْفَمِ
 أَوْ أَكَلَ الْمَجْدُومُ مِنْهَا بَرَاءً مِنْ مَرَقَةٍ حَسَنَاءَ (هِنْكَارِيَّةٍ) فَهِيَ كَسَحْرِ فِي شِفَاءِ الْمِعْدَةِ
 وَقَالَ (جَالِينُوسُ) فِيهَا قَوْلُهُ بِأَنَّهُ تَشْفِي جَمِيعَ عِلَّةٍ رَأْيِي (أَبْقَرَاطِ) بِهَا قَدْ سَلَفَا
 وَقَالَ: حَتَّى عِلَّةِ الْعِشْقِ بِهَا تَنْفَعُ لِلنَّسْيَانِ وَهُوَ مَرَضٌ عِنْدَ تَغْيِيرِ الدِّمَاغِ يَغْرُضُ
 وَإِنْ طَلَى الْمَمْسُوحُ فِيهَا جَسَدَهُ إِنْ يَشْرَبِ الْمَصَابُ مِنْهَا شُرْبَهُ فَلَا يَرَاهُ الْمَرءُ إِلَّا حَسَدَهُ

(١) أي: أرنبة الأنف لا الأرنب الحيوان. (أحمد الحلي).

القرن السابع الهجري

أَوْ كَانَتْ الْعَاقِرُ مِنْهَا تَكَرُّعٌ
وَالْخَفَقَانُ، لِامْتِلَاءِ الْمَعِدَّةِ
كَذَا (ابْنُ سِينَا) قَالَ فِي (الْقَانُونِ)
وَوَاجِبُ الْأَرْمَدِ أَنْ يَحْتَقِنَا
وَكَانَ أَفْلَاطُونُ فِيهَا مُغْرَمًا
وَقَالَ (إِقْلِيدُسُ) ذَاتَ مَرَّةٍ
لَكَانَتْ الْإِكْسِيرُ بَلْ وَأَفْضَلًا
أَمَّا (فَثَاغُورُسُ) الطَّبِيبُ الْمُشْتَهَرُ
كَذَا (دِمَقْرَاطِسُ) فِيهَا مُعْجَبٌ
فَهِيَ إِذَنْ أَعْجُوبَةُ الزَّمَانِ
وَالْغَرْبُ فِيهَا اخْتَرَعَ الْعَجَائِبَا
كَالْنَّ وَالسَّلْوَى وَأَحْلَى مَطْعَمًا
وَكَمْ لَهَا فِي النَّاسِ مِنْ فَوَائِدٍ؟
تُزَفُّ بِالْإِنِّاءِ كَالْعَرُوسِ
أُمِسَتْ إِلَى مَدْحِي الْعَظِيمِ صَالِحُهُ
فَيَا لَهَا مِنْ لَذَّةٍ لِأَكْلِ
فَلَوْ أَرَيْقَتْ بِالثَّرَى لَكَانَا
بِمِثْلِهَا إِنْ كُنْتُ يَوْمًا سَامِعًا
أَوْ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهَا (أَوْرَبَا)

لَأَوْلَدَتْ أَكْثَرَ مِمَّا تَطْمَعُ
بِهَا يُشَافِي فِي أَقَلِّ مُدَّةٍ
بِأَنَّهَا تَشْفِي مِنَ الْجُنُونِ
بِمَائِهَا وَعَيْنُهُ أَنْ تُدْهِنَا
وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّهَا تَشْفِي الْعَمَى
بِأَنَّهَا لَوْ مُزِجَتْ بِالْحُمْرَةِ
تَحْيَا بِهَا الْأَمْوَاتُ مِنْ رَمْسِ الْبَلَى
قَدْ قَالَ إِنَّهَا الدَّوَاءُ لِمَا ذُكِرَ
فَهِيَ الدَّوَاءُ السَّاحِرُ الْمُجَرَّبُ
وَحَيْرٌ مَا نَالَتْ يَدُ الْإِنْسَانِ
بِالطَّبِّ حَيْثُ حَوَتْ الْغَرَائِبَا
مَائِدَةٌ قَدْ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ^(١)
فَلَقَّبُوهَا زِينَةَ الْمَوَائِدِ
وَمَهْرَهَا بِشَاشَةِ النُّفُوسِ
إِذْ فَاقَتْ الْمِسْكَ بِطِيبِ الرَّائِحَةِ
قَدْ وَافَتْ النَّاسَ بِسِحْرِ بَابِلِ
وَجْهُ الثَّرَى^(٢) الدُّرُّ أَوْ الْمَرْجَانَا
لِلْمُسْتَحِيلَاتِ اعْتَقَدَهُ رَابِعًا
لِمَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَذِلَّ شَعْبَا

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾

(البقرة: ٥٧). (أحمد الحلبي).

(٢) في المطبوع: (الثر).

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

فَهِيَ الَّتِي غَدَّتِ الْعُقُولَا وَهِيَ الَّتِي أَنْجَبَتِ الْفُحُولَا
وَلَا تَسْلُ عَنْ طَعْمِهَا اللَّذِيذِ فَإِنَّهُ يُنْعِشُ كَالنَّبِيذِ
وَصَفَتْهَا مُذْ أَسْكَرْتَنِي جَيْدَا خَيَالُ سَكْرَانٍ هَذَى وَعَرِيدَا
فَلْيُعْذِرِ الدُّكْتُورُ خِلَهُ الْوَفِي فَلَمْ أَكُنْ أَقْصِدُ غَيْرَ الظَّرْفِ
أَرْجُوزَةً أَتَيْتُ فِيهَا صَاحِبَهُ عَلَى سَبِيلِ الْمَزْحِ وَالْمُدَاعَبَةِ
فَإِنَّنِي إِنْ تَطَلَّبَ الْحَقِيقَةَ أَشْكُرُهُ حَقًّا بِلا (بَلَتِيْقَهُ)
كَمَا إِلَى زَوْجَتِهِ الْمُبَجَّلَةِ أَرْفَعُ عَذْرِي آمِلًا أَنْ تَقْبَلَهُ
فَقَدْ أَرْتَنِي أَغْرَبَ الْغَرَائِبِ مِنْ كَرَمِ الْخُلُقِ وَلَيْنِ الْجَانِبِ
وَفِي الْأَخِيرِ أَرْجُو مِنْهُ الْمَعْدَرَةَ لِأَنَّهُ أَهْلٌ لِهَذِي الْمَفْخَرَةِ

وَلِلْبَاقِلَاءِ يُنْسَبُ الشَّيْخُ النَّقِيُّ حَسَنُ بْنُ مَعَالِي بْنِ مَسْعُودِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَعْرُوفِ
بِ: أَبِي عَلِيٍّ الْحَلِيِّ النَّحْوِيِّ^(١) الَّذِي اشْتَهَرَ بِ: ابْنِ الْبَاقِلَانِيِّ كَمَا أَثْبَتَهُ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ فِي
مُعْجَمِ الْأَدْبَاءِ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ صَاحِبُ كِتَابِ الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ^(٢)، وَقَدْ شَذَّ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ
عَبْدِ الْحَمِيدِ الْمُعْتَزَلِيُّ شَارِحَ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ؛ فَدَعَاهُ بِابْنِ الْبَاقِلَاوِيِّ^(٣)، وَلَعَلَّهُ مِنْ تَصْحِيفِ
النُّسَاخِ.

(١) يُنْظَرُ: فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ: ٤٦ / ٣٢٤ «أَبُو عَلِيٍّ، الْحَلِيِّ، النَّحْوِيُّ، شَيْخُ الْعَرَبِيَّةِ فِي وَقْتِهِ
بِبَغْدَادَ، قَرَأَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ وَنَفَذَ صَحْبَةَ الْمُؤَيَّدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ ابْنَ الْأَمِيرِ عَلِيٍّ ابْنَ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ
إِلَى تَسْتَرْ حِينَ صَيَّرَ مُلْكُهَا، لِيَعْلَمَهُ النَّحْوُ، وَقَدْ نَسَخَ بِخَطِّهِ كِتَابًا نَفِيسَةً، تَوَفَّى فِي جُمَادَى الْأُولَى وَلَهُ
سَبْعُونَ سَنَةً، وَكَانَ ذَاتَ تَفَنٍّ فِي الْعُلُومِ، قَالَهُ ابْنُ الْبَزْزَرِيِّ، وَقَالَ ابْنُ النَّجَّارِ: أَبُو عَلِيٍّ الْبَاقِلَانِيُّ الْحَلِيُّ
اشْتَغَلَ عَلَى يَوْسُفَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الدَّامَغَانِيِّ، وَالْمَجِيزِ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيِّ، وَأَبِي الْبَقَاءِ الْعَكْبَرِيِّ، وَبَرَعَ
فِي عِدَّةِ عُلُومٍ، وَحَازَ قَصَبَ السَّبْقِ، سَمِعَ مِنْ مَسْعُودِ ابْنِ النَّادِرِ، وَابْنِ كَلِيبٍ، وَكَانَ مُتَوَاضِعًا،
صَدُوقًا، خَارِقَ الذِّكَاءِ». وَفِي الْوَافِي لِلصَّفْدِيِّ: ١٢ / ١٧١: «وَتَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتْمِائَةَ».

(٢) الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ: ١٢ / ١٧٠-١٧١.

(٣) يُنْظَرُ: شَرْحُ النَّهْجِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ: ١٣ / ٣٨. وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُ النَّصِّ.

القرن السابع الهجري

وَقَدْ اشتهَرَ بِالْبَاقِلَانِي^(١) رَجُلٌ آخَرٌ مِنْ مَشَاهِيرِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْهَجْرَةِ، وَهُوَ شَابٌّ يَافِعٌ لَمْ يَتَخَطَّ دَوْرَ الْكُھُولَةِ قَدْ وَصَفَهُ مُتَرَجِّمُوهُ بِالْعِلْمِ الْوَفِيرِ، وَالْجُرْأَةِ الَّتِي لَمْ تَقِفْ عِنْدَ حَدٍّ؛ وَالْأَدَبِ الْغَزِيرِ، اُنْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْفِرْقَةِ الْمَالِكِيَّةِ إِحْدَى الْفِرَقِ السُّنِّيَّةِ الْأَرْبَعَةِ قِيلَ إِنَّ هَذَا الشَّابَّ كَانَ مِنْ أَتَمِّ عُلَمَاءِ نَحْلَتِهِ وَأَكْثَرِهِمْ فَهْمًا، أُوْرَدَ صَاحِبُ كِتَابِ (الْكُنَى وَالْأَلْقَابِ)^(٢) قَوْلُهُ عَنْهُ: «الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ الْبَصْرِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، نَاصِرَ طَرِيقَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ كَانَ مَشْهُورًا بِالْمُنَاطَرَةِ، وَسُرْعَةِ الْجَوَابِ؛ يُحْكِي أَنَّهُ نَاطِرٌ شَيْخَنَا الْمُفِيدَ - عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ - فَغَلَبَهُ الشَّيْخُ الْمُفِيدُ؛ فَقَالَ لِلشَّيْخِ الْمُفِيدِ: أَلَمْ يَكُنْ فِي كُلِّ قَدْرِ مَعْرِفَةٍ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ مَا تَمَثَّلْتُ بِأَدَوَاتِ أَبِيكَ. تُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٠٣ هـ بِبَغْدَادٍ»^(٣).

وَلَا تَدَافِعُ بَيْنَ نِسْبَتِهِ لِلْمَالِكِيَّةِ تَارَةً، وَلِلْأَشْعَرِيَّةِ تَارَةً أُخْرَى؛ فَالنِّسْبَةُ الْأُولَى لِلْمَذْهَبِ وَالثَّانِيَةُ لَطَرِيقَةِ الْاِعْتِزَالِ، وَقَدْ ذَكَرْتُ مَجْلَّةَ الثَّقَافَةِ لِحَبَّارِ الْأَعْظَمِيِّ أَنَّ: «ابْنَ الْمُعَلِّمِ حَضَرَ بَعْضَ الْمَجَالِسِ مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ؛ إِذْ أَقْبَلَ هَذَا الشَّابُّ الْأَشْعَرِيُّ، وَكَانَ يَوْمَ ذَاكَ قُلْدُ الْقَضَاءِ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ ابْنُ الْمُعَلِّمِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ جَاءَكُمْ الشَّيْطَانُ، فَسَمِعَ الْقَاضِي الشَّابُّ كَلَامَهُ وَهَمَّهَمَةً جَمَاعَتِهِ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ الْمُعَلِّمِ وَصَحْبِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزَا﴾^(٤)، أَيِ إِنْ كُنْتُ أَنَا الشَّيْطَانُ فَانْتُمْ كُفَّارٌ، وَقَدْ أَرْسَلْتُ عَلَيْكُمْ»^(٥) إِنْخ.

(١) قال عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج (٢٨٧/١٠): «وكذلك القول في متكلمي الأشعرية وأصحاب الحديث كابن الباقلاني وغيره، وكان ابن الباقلاني شديدًا على الشيعة، عظيم العصبيَّة على أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلو ظفر بكلمة من كلام أبي بكر وعمر في هذا الحديث لملاً الكتب والتصانيف بها، وجعلها هجيراء ودأبه».

(٢) يُنظر: الكنى والألقاب: ٦٣/٢.

(٣) نقل هذه الحادثة في مجالس المؤمنين: ١/٤٦٧، منتهى المقال: ٦/١٩١.

(٤) مريم: ٨٣.

(٥) العدد ٢٤ في ١٢ كانون الأوّل سنة ١٩٦٠ من سنتها الخامسة.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

وَفِي هَذَا الْجَوَابِ مَا خِذْ؛ فَإِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَاقِلَانِي اعْتِرَافٌ وَإِفْرَارٌ بِأَنَّهُ شَيْطَانٌ، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى ابْنِ الْمُعَلِّمِ وَجَمَاعَتِهِ؛ فَمُجَرَّدَ دَعْوَى تَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ؛ لِأَنَّ الْإِفْرَارَ حُجَّةً قَاصِرَةً عَلَى الْمُقَرَّرِ وَحْدَهُ، كَمَا أَنَّ رَمِيَةَ الْمُسْلِمِينَ بِالْكَفْرِ بِهَذِهِ الشَّرْعَةِ لِمُجَرَّدِ الْإِنْتِقَامِ لَيْسَ بِمَا يَرْتَضِيهِ الْإِسْلَامُ، وَلَيْسَ مِنْ صِفَاتِ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ عَلَى الْبَاقِلَانِي أَمَّا الْحِلْمُ، وَهُوَ الْأَرْجَحُ، أَوْ الْجَوَابُ بِالْمِثْلِ ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(١)، وَقَدْ قَالَتِ الثَّقَافَةُ الَّتِي يُسَمِّيهَا صَاحِبُهَا الثَّقَافَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ: «وَأَمَّا مُنَاطَرَاتُهُ وَدِفَاعُهُ عَنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَرِسَالَةِ الْمُشْرِعِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -^(٢)؛ فَمِنْهَا الْمُنَاطَرَةُ الْمَشْهُورَةُ فِي مَجْلِسِ مَلِكِ الرُّومِ وَأَخْبَارِهِ مَعَهُ، وَقَدْ جَاءَ فِي التَّمْهِيدِ قَوْلُهُ - أَيُّ قَوْلِ الْبَاقِلَانِي - لَمَّا وَصَلْنَا إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَأُخْبِرَ الْمَلِكُ بِقُدُومِنَا أَرْسَلَ إِلَيْنَا مَنْ يُلْقَانَا، وَقَالَ لَنَا: لَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمَلِكِ بَعْمَائِكُمْ حَتَّى تَنْزَعُوهَا وَتَلْبَسُوا مَنَادِيلَ لَطَافًا^(٣).

فَقَالَ: أَنَا لَا أَفْعَلُ وَلَا أَذْخُلُ إِلَّا بِمَا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ الرِّيِّ وَاللِّبَاسِ؛ فَأُخْبِرَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ السَّبَبَ لِمَاذَا يَمْتَنِعُ؟ فَسَأَلَ الْقَاضِي عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا تُرِيدُونَهُ ذَلٌّ وَصَغَارٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ رَفَعَنَا بِالْإِسْلَامِ، وَأَعَزَّنَا بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى أَنْ قَالَ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ دَخَلْتُ بِغَيْرِ هَيْئَتِي وَرَجَعْتُ إِلَى حُكْمِكَ أَهَنْتُ الْعِلْمَ وَنَفْسِي وَذَهَبَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ جَاهِي، هَذِهِ الصَّلَابَةُ الَّتِي تُثَمِّلُ الرَّفْعَةَ، وَسُمُو الْخُلُقِ...»^(٤).

(١) البقرة: ٢٣٧.

(٢) هنا غلطتان، الأولى قوله: المشرّع، ويعني الرسول ﷺ، والواقع المشرّع هو الله تعالى، ومحمد ﷺ رسول لإبصال التشريع السساوي، والثانية قوله: «صلى الله عليه وسلم»، وقد نهى الرسول عن الصلاة البتراء.

(٣) في الأصل: (لطاف)، والصواب هو المثبت.

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني: مقدّمة المحقّق: ٢٨. وقد قال الأستاذ محمود محمد الخضيريّ والدكتور محمد عبد الهادي أبو ريّدة في مقدّمتهما لكتاب التمهيد: «إنّ هذه المناظرة جرت في =

القرن السابع الهجري

وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْوَضْعِ وَالْإِخْتِرَاعِ شَبِيعَةً بِالْأَسَاطِيرِ؛ فَلَيْسَتْ الْمَنَادِيلُ مِنْ لِبَاسِ الرَّأْسِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَاتِ الْمُلُوكِ تَبْدِيلُ أَزْيَاءِ الْوُفُودِ الْأَجْنَبِيَّةِ الَّتِي تَفْدُ إِلَى بِلَادِهَا لَا سِيَّمَا مِثْلَ هَذَا الْوَفْدِ الْعِلْمِيِّ الْمَفْرُوضِ فِيهِ أَنْ يَكُونَ مُحْتَرَمًا مُكْرَمًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ وَقَدَ بِنَاءً عَلَى سَبْقِ طَلَبٍ مِنَ الْمَلِكِ؛ فَإِذَا كَانَ لِبَاسُ الْمَنَدِيلِ بَدَلَ الْعِمَائِمِ ذُلًّا؛ فَلَا يُمَكِّنُ بِالْعُرْفِ الدُّبُلُومَاسِيَّ أَنْ يَأْمُرَ بِهِ الْمَلِكُ رَجُلًا عَالِمًا اسْتَقْدَمَهُ لِبِلَادِهِ؛ لِمُنَاطَرَةٍ عِلْمِيَّةٍ مُهِمَّةٍ؛ وَإِذَا كَانَ لِبَسُ الْمَنَادِيلِ سِمَةً لِلذَّلِّ فَلَمَّا إِذَا طَلَبَ الْمَلِكُ أَنْ يَسْأَلُوا الْقَاضِي عَنْ سَبَبِ امْتِنَاعِهِ عَنْ لِبْسِ الْمَنَادِيلِ؟.

وَالرَّوَايَةُ غَيْرُ مُحْبُوكَةٍ؛ فَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ بِصِغَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَإِذَا بِالْكَلَامِ يَنْقَلِبُ فَجَاءَهُ إِلَى صِغَةِ الْغَائِبِ، كَقَوْلِهِ: (فَقَالَ: أَنَا لَا أَفْعَلُ).. إلخ، كَمَا أَنَّنَا نَجِدُ فِي هَذِهِ الْأُسْطُورَةِ أَنَّ سَبَبَ امْتِنَاعِهِ عَنْ لِبْسِ الْمَنَادِيلِ هُوَ الْخَوْفُ مِنْ ذَهَابِ جَاهِهِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَالْآخَرَى أَنْ يَخَافَ مِنْ ضِيَاعِ جَاهِهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَقَدْ قِيلَ: «صانع وجهها واحداً يكفك الوجوه كلها»^(١)؛ فَلَيْسَتْ الْوَجَاهَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ مِمَّا يَرْغَبُ بِهِ الْعُلَمَاءُ الْمَفْرُوضُ بِهِمُ الزُّهْدَ وَالتَّوَاضُّعَ.

وَكَقَوْلِهِ: (رَجَعْتُ إِلَى حُكْمِكَ)، فَمَا هُنَاكَ حُكْمٌ؛ وَإِنَّمَا هُمْ نَهَى عَنْ دُخُولِهِمْ بَعَائِمِهِمْ، كَمَا أَنَّ مَا نَقَلْتَهُ هَذِهِ التَّرْجُمَةُ مِنْ أَنَّ أَبَا الْخَوَارِزْمِيَّ قَالَ فِيهِ: بِأَنَّ صَدْرَهُ حَوَى عِلْمَهُ وَعِلْمَ النَّاسِ؛ فَكَلَامٌ بَارِدٌ؛ لِأَنَّ عِلْمَ النَّاسِ إِذَا كَانَ فِي صَدْرِهِ فَهُوَ عِلْمُهُ لَا عِلْمَ

= مجلس الإمبراطور باسيلئوس الثاني الذي حكم من سنة ٣٦٥ إلى سنة ٤١٦ هـ. ثم قالوا: «ومهما يكن أمر سفارة الباقلاقي بين عضد الدولة وبين ملك الروم، فنحن لا نعرف ظروفها التاريخية، وربما كان ملك الروم قد أراد من يبين له أمر الإسلام، أو يجيب عن أسئلة النصارى بشأن ما يعتقدونه المسلمون، ويتبين من تفصيل المناقشات أن مهمة الباقلاقي كانت مدنيّة علميّة، هي أشبه ببعثة تبادل الآراء ومعرفة وجهات النظر الدينيّة، ولا سيما أنّه ليس عندنا في التاريخ ما يدلّ على اتّصال وثيق بين عضد الدولة وبين الروم من شأنه أن يكون داعياً لبعثات سياسيّة أو حربيّة أو أشباه ذلك».

(١) يُنظر: مجموعة ورام: ٤٣٢.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحِلْيَةِ

النَّاسِ وَكُلُّ عَالِمٍ يَحْصُلُ عِلْمُهُ مِنْ عِلْمِ النَّاسِ - وَالْعِلْمُ بِالْمُتَعَلِّمِ - وَلَا نُرِيدُ أَنْ نُطِيلَ
النَّقَاشَ فَلْنَضْرِبْ عَنْهُ صَفْحًا.

قَدْ تُوِّفِيَ ابْنُ الْبَاقِلَانِيِّ هَذَا يَوْمَ السَّبْتِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ٤٠٣ هـ، وَيَجِبُ عَدُّهُ مِنْ
رِجَالِ الْقُرْنِ الْخَامِسِ حَسْبِ التَّزَمُّنِ بِهِ، وَكَانَ مَدْفُنُهُ فِي دَارِهِ بِدَرْبِ (الْمَجُوسِ) مِنْ
مَهْرٍ طَابَتْ^(١)، وَهُوَ غَيْرُ ابْنِ الْبَاقِلَانِيِّ الْحَلِيِّ، وَلَا بِأَبِيهِ؛ وَالْفَرْقُ بَيْنَ عَصْرَيْهِمَا نَحْوُ ٣٧٣
عَامًا، وَأَحَدُهُمَا بَصْرِيٌّ، وَالْآخَرُ حَلِّيٌّ، كَمَا أَنَّ الْبَاقِلَانِيَّ مِنْ إِخْوَانِنَا السُّنَّةِ، وَابْنُ الْبَاقِلَانِيِّ
مِنْ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ، وَمَنْ أَكَابِرِ أَيْمَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ شَيْخٌ لِكَثِيرٍ مِنْ فُقَهَائِنَا الْأَعَاظِمِ،
وَمِنْ الدُّرَرِ اللَّامِعَةِ الثَّمِينَةِ فِي الْقُرْنِ السَّابِعِ^(٢)، قَالَ فِيهِ صَاحِبُ كِتَابِ (رِيَاضُ
الْعُلَمَاءِ) إِنَّهُ: «مِنْ أَجَلَّةِ مَشَايِخِ أَصْحَابِنَا، قَرَأَ عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُ جَعْفَرُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدِ
الْحَلِيِّ»^(٣).

وَقَدْ أَفَادَ يَأْفُوتُ فِي كِتَابِهِ (مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ) أَنَّ ابْنَ الْبَاقِلَانِيَّ كَانَ مِنْ مَوَالِيدِ سَنَةِ
٥٦٨ هـ، وَأَنَّهُ مِنْ أَيْمَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي عَصْرِهِ، سَمِعَ مِنْ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ كُلَيْبٍ، وَغَيْرِهِ، وَقَرَأَ
الْعَرَبِيَّةَ عَلَى أَبِي الْبَقَاءِ الْعُكْبَرِيِّ، وَاللُّغَةَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ الْمَأْمُونِ، وَقَرَأَ الْكَلَامَ وَالْحِكْمَةَ
عَلَى نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ الرِّسَالَةُ فِي هَذِهِ الْفُنُونِ، وَفِي عِلْمِ النَّحْوِ، وَأَخَذَ
فَقْهَ الْحَنْفِيَّةِ عَلَى أَبِي الْمَحَاسِنِ يُوسُفَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الدَّامَغَانِيِّ الْحَنْفِيِّ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ
الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَكَانَ ذَا فَهْمٍ ثَاقِبٍ، وَذَكَاءٍ وَحَرَصٍ عَلَى الْعُلُومِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَحْفُوظِ،
وَكَتَبَ الْكَثِيرَ بِخَطِّهِ، ذُو وَقَارٍ مَعَ التَّوَاضُعِ، وَلَيْنَ الْجَانِبِ لَقِيَّتُهُ بَبْغَادَادَ سَنَةِ ٦٠٣ هـ، وَكَانَ
أَخِرَ الْعَهْدِ بِهِ. انْتَهَى مِلْخَصُ رَوَايَةِ مُعْجَمِ الْأَدْبَاءِ^(٤).

(١) يُنْظَرُ: مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ: ٤/٤، الْبُلْدَانِ، لِابْنِ الْفَقِيهِ الْهَمْدَانِيِّ: ٢٩٤.

(٢) يُنْظَرُ: الْوَافِي بِالْوُفَايَاتِ: ١٢/٢٧٣، بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ، السِّيَوطِيُّ: ١/٤٤٣، ٢/١٧٢.

(٣) يُنْظَرُ: رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ: ١/٣٣٠.

(٤) مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ: ٩/١٩٨.

القرن السابع الهجري

وَتَعَرَّضَ ابْنُ الْفُوطِيِّ إِلَى تَرْجُمَتِهِ فَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ شَيْخٌ وَفِيهِ فِي عِلْمِ الْأَدَبِ وَالنَحْوِ (١).
قَدِمَ بَغْدَادَ، وَاسْتَوَظَنَهَا وَقَرَأَ عِلْمَ الْكَلَامِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَتَبَ بِخَطِّهِ كَثِيرًا،
وَكَانَ شَدِيدَ الْحَرَصِ عَلَى الْمُطَالَعَةِ مَعَ عُلُوِّ سِنِّهِ وَضَعْفِ بَصَرِهِ، وَكَانَ حَنِيفِيًّا؛ فَتَرَكَ
مَذْهَبَهُ وَانْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ قَدْ كَبُرَتْ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ
أَصْدِقَائِهِ بِطَلَاقِهَا؛ فَقَالَ:

وَقَائِلٍ لِي شَابَتْ ذَوَائِبُهَا وَأَصْبَحَتْ وَهِيَ مِثْلُ الْعُودِ فِي النَّحْفِ
لَمْ لَا تَجِدُ جِبَالَ الْوَصْلِ مِنْ نَصَفِ شَمَطَاءَ مِنْ غَيْرِ مَا حُسْنٍ وَلَا تَرْفِ
فَقُلْتُ: هِيَ هَاتِ أَنْ أَسْلُو مَوَدَّتَهَا يَوْمًا وَلَوْ أَشْرَفَتْ نَفْسِي عَلَى التَّلَفِ
وَأَنْ أَخُونُ عَجُوزًا غَيْرَ خَائِنَةٍ مُقِيمَةً لِي عَلَى الْإِقْلَالِ وَالسَّرَفِ
يَكُونُ مِنِّي قَبِيحًا أَنْ أُوْصِلَهَا جَنَى وَأَهْجُرَهَا فِي حَالَةِ الْحَشَفِ (٢)

وَأَبْنُ الْبَاقِلَانِيِّ قَدْ اخْتَلَفَتْ الرِّوَايَاتُ بِهِ؛ فَصَاحِبُ كِتَابِ (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ) (٣) جَازِمٌ
أَنَّهُ شَيْعِي الْمَذْهَبِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَكَابِرِ عُلَمَاءِ الْفِرْقَةِ الْإِثْنِي عَشَرِيَّةِ، وَأَنَّ الْمُحَقِّقَ الْحِلِّيَّ مِنْ
تَلَامِيذِهِ، يَبْنِي نَجْدَ رِوَايَةِ يَاقُوتَ، وَأَبْنِ الْفُوطِيِّ صَرِيحًا أَنَّهُ مِنْ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ، كَمَا
تُشْعِرُنَا رِوَايَتُهُمَا هَذِهِ أَنَّ الْعَقِيدَةَ لَمْ تَأْخُذْ طَرِيقَهَا الْمُسْتَقِيمَ إِلَى الْإِسْتِقْرَارِ فِي ضَمِيرِهِ؛ فَهُوَ
يَنْتَقِلُ مِنْ مَذْهَبٍ إِلَى مَذْهَبٍ، وَتُسْتَنْجَجُ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّ أَنْصَرَفَهُ عَنِ الْمَذْهَبِ الْحَنَفِيِّ
إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ؛ بِسَبَبِ الْجَاهِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْأَغْرَاضِ الْمَادِيَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ نَتِيجَةَ مَقَارَنَةٍ،
وَدِرَاسَةٍ مُسْتَفِيضَةٍ؛ إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا تَمَذَّهَبَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ بِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ
حَتَّى يُقَارَنَ وَيُسْتَنْجَجَ؛ ثُمَّ يَعْتَبَقُ مِنَ الْمَذَاهِبِ مَا شَاءَ، وَانْتَقَالَهُ لِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ لَا بُدَّ
لِمُؤَثَّرَاتٍ أُخْرَى غَيْرِ عَقَائِدِيَّةٍ؛ لِأَنَّ كِلَا الْمَذْهَبَيْنِ يَسْتَقِيمَانِ مِنْ مَنَبْعٍ وَاحِدٍ، وَنَحْنُ إِذَا

(١) معجم الألقاب: ٩/ ١٩٨.

(٢) يُنظر: الوافي بالوفيات: ١٢/ ١٧٠-١٧١.

(٣) يُنظر: رياض العلماء: ١/ ٣٣٠.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

أَمَعْنَا النَّظَرَ فِي هَذَا التَّيْنَانِ فَلَا يُمَكِّنُنَا الْخُرُوجُ مِنْهُ بِتَبَيُّحَةٍ مُنْطَقِيَّةٍ صَحِيحَةٍ إِلَّا أَنْ نَقُولَ
بَتَعَدُّدِ ابْنِ الْبَاقِلَانِيِّ؛ فَأَحَدُهُمَا شَيْعِيٌّ، وَالْآخَرُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَوْ نَسْعَى إِلَى تَكْذِيبِ
الرُّوَايَاتِ الْمُعَارِضَةِ.

تُوفِّيَ يَوْمَ السَّبْتِ ٢٥ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ٦٣٧ هـ عَلَى الْأَصْح، وَعُمُرُهُ يَنَاهِزُ التَّاسِعَةَ
وَالسِّتِينَ^(١).

٢٣. أَبُو يَحْيَى الْحَسَنُ بْنُ نَجِيبِ الدِّينِ

إِنَّ مِنَ الْمُتَعَةِ وَالْجَمَالِ إِزَاحَةً سِتَارِ النَّسْيَانِ عَنِ الشَّخْصِيَّاتِ التَّارِيخِيَّةِ الْمُهِمَّةِ؛
حَتَّى كَأَنَّكَ تَرَاهُمْ، وَتَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ، وَإِنْ حَالَتْ بَيْنَ عَصْرِكَ وَعَصَرِهِمْ سُدُودٌ مِنَ
الرَّزَمِ، وَأَكْثَرُ مُنْعَةٍ إِذَا كَانَ الْحَدِيثُ عَنْ أَفْذَاذٍ وَنَوَائِجَ تَرْبُطُكَ بِهِمْ رَوَابِطُ مِنَ الْمُوَاطَنَةِ
وَالْعَقِيدَةِ وَالْدَمِّ، لَا سِيسًا إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْحَدِيثُ مُجَرَّدًا عَنِ الْأَغْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ السَّيِّئَةِ،
وَمِنْ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْحَدِيثِ الشَّهِيِّ مَا سَتَقَفُ عَلَيْهِ مِنْ تَرْجَمَةِ أَبِي يَحْيَى مَوْضِعَ بَحْثِنَا هَذَا
فَهُوَ أَبُو يَحْيَى الْحَسَنُ بْنُ نَجِيبِ الدِّينِ، أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ [الْحَسَنِ بْنِ] سَعِيدِ اهْدَلِيٍّ،
كَانَ مَفْخَرَةً مِنْ مَفَاخِرِ جِيلِهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالصَّلَاحِ، وَفِي طَلِيعَةِ الْفُقَهَاءِ الْبَارِزِينَ
وَالْفُضَلَاءِ السَّابِقِينَ فِي مَيَادِينِ الثَّقَافَةِ، وَكَفَاهُ سُودْدًا أَنْ يُنْجَبَ وَلَدًا نَابِهًا كَالْمُحَقِّقِ
صَاحِبِ الْمَوَاهِبِ، وَالْكَفَاءَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ، وَالْقَابِلِيَّاتِ الْمُتَمَازَةِ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْخَالِدِ
الَّذِي كَانَ لِأَقْوَالِهِ وَآرَائِهِ دَوِيُّ الصَّاعِقَةِ تُسْمِعُ الصَّمَّ، وَفِيهَا النُّورُ الَّذِي يُخْتَرِقُ الظَّلَامَ،
وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ لِأَبِيهِ (أَبِي يَحْيَى الْحَسَنِ) قَوْلَهُ:

لِيَهْنِكَ أَيْ كُلُّ يَوْمٍ إِلَى الْعُلَا أَقْدَمُ رَجُلًا لَا يَزِلُّ بِهَا النُّعْلُ^(٢)

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ٤٦ / ٣٢٤، الوافي: ١٢ / ١٧١.

(٢) قال ولده المحقق الحلبي: «وقد كنت زمن الحداثة أتعرض لشيء منه ليس بالمرضي فكتبت أبياتاً

إلى والدي رحمه الله اثني فيها على نفسي بجهل الصبوة وهي: =

القرن السابع الهجري

وَسَنَذْكُرُهَا فِي تَرْجَمَةٍ وَلَدَهُ (المُحَقِّقُ الْحَلِّيُّ)، وَالَّتِي أَثَارَتْ صَاحِبَ التَّرْجَمَةِ؛ فَأَجَابَهُ بِمَا يُشَبِّهُ اللَّوْمَ وَالتَّأْنِيبَ، وَالتَّوْجِيهَ السَّدِيدَ، وَالنَّصِيحَةَ الْأَبْوِيَّةَ الرَّشِيدَةَ؛ حَيْثُ أَشَارَ عَلَى وَلَدِهِ الْبَارِّ بِهَجْرَانِ الشَّعْرِ؛ لِيَتَفَرَّغَ لِمَا هُوَ أَهَمُّ مِنْهُ، وَهُوَ الْعِلْمُ حَسَبَ اسْتِثْنَانِنَا وَلَيْسَ مَقْصُودُهُ تَوْهِينِ شَأْنِ الشَّعْرِ؛ فَالشَّعْرُ شَيْءٌ آخَرُ فَوْقَ الصُّورَةِ وَالْمُوسِيقَى هُوَ الْجَمَالُ الْمُجَرَّدُ السَّامِيُّ، هُوَ الرِّسَالَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ بِكَامِلِهَا.

وَلِذَا رَأَيْنَا أَنَّ رَغْبَةَ الْأَبِ الْعَطُوفِ بِجَعْلِ وَلَدِهِ عَالِمًا دِينِيًّا مُرْشِدًا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُ شَاعِرًا يَبِيهٌ بِأَوْدِيَةِ الْحَيَالِ، دُونَ بَخْسٍ لِفَضْلِ الرِّسَالَةِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي تَأْتِي بِالذَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْعِلْمِ، وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الْأَصِيلُ فِي نَظَرِي فِي تَوْجِيهِ وَلَدِهِ نَحْوَ الْعِلْمِ وَأَمْرُهُ بِهَجْرَانِ الشَّعْرِ، وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: لَيْسَ ثَمَّةُ مَانِعَةٍ جَمَعَ بَيْنَ التَّحْصِيلِ الْعِلْمِيِّ وَدِرَاسَةِ الشَّعْرِ وَفَرَضِهِ؛ وَقَدْ يَكُونُ الْجَوَابُ مَا ذَكَرْنَاهُ؛ لِيَتَفَرَّغَ لِلْعِلْمِ وَحْدَهُ دُونَ أَنْ يَشْغَلَهُ الشَّعْرُ، وَلَوْ إِلَى حِينٍ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ وَأَفْضَلُ وَالْأَهَمُّ يَتَقَدَّمُ عَلَى الْمُهْمِّ؛ فَاسْتَجَابَ الْمُحَقِّقُ رحمته الله إِلَى رَغْبَةِ أَبِيهِ صَاحِبِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ فَهَجَرَ الشَّعْرَ، وَلَمْ يَزَاوِلْهُ حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَنْظُمْ بَعْدَ هَذِهِ النَّصِيحَةِ بَيْتًا وَاحِدًا، وَهَذَا كَانَ مُثْلَجًا لِمَصْدَرٍ وَالِدِهِ الَّذِي رَأَى هَذَا الْبِرَّ

ليهنك أني كل يوم إلى العلى
غير بعيد أن تراني مقدما
تطاوعني بكر المعاني وعونها
ويشهد لي بالفضل كل مبرز
أقدم رجلا لا تزل بها النعل
على الناس طرا ليس في الناس لي مثل
وتنقاد لي حتى كأني لها بعل
ولا فاضل إلا ولي فوقه فضل
فكتب رحمته الله فوق هذه الأبيات ما صورته: لئن أحسنت في شعرك، لقد أسأت في حق نفسك، أما علمت أن الشعر صناعة من خلع العقّة ولبس الحرفة، والشاعر ملعون وإن أصاب، ومنقوص وإن أتى بالشئ العجيب، وكأني بك قد أوهمك الشيطان فضيلة الشعر، فجعلت تنفق ما تلفق بين جماعة لم يعرفوا لك فضيلة غيره فسمّوك به، وكان ذلك وصمة عليك آخر الدهر، ألم تسمع: ولست أرضى أن يقال شاعر تبأ لها من عدد الفضائل

ينظر: أعيان الشيعة: ٩٢ / ٤، مقدمة معارج الأصول: ٢٢.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحَلِيقَةِ

وَالطَّاعَةَ، وَاسْتَمَرَ الْوَالِدُ بِإِعْدَادِ الْوَلَدِ الْإِعْدَادَ الصَّالِحَ السَّلِيمَ وَأَهْلَهُ لَأَنْ يَكُونَ مِنْ فَطَّاحِلِ الْعُلَمَاءِ، وَكَانَ لَهُ مَا أَرَادَ، وَوَاصَلَ صَاحِبُ التَّرْجَمَةِ إِصْلَاحَاتِهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ الْقِيَمَةَ لَيْسَ لَوْلَدِهِ (الْمُحَقِّقُ) فَحَسِبُ إِنَّمَا لِلْمُجْتَمَعِ بَرُمَتِهِ فَكَافَحَ الْبِدْعَ وَنَشَرَ رَايَةَ الْإِسْلَامِ، وَرَفَعَ مُسْتَوَى الْعَقِيدَةِ فِي النُّفُوسِ وَجَعَلَ لِلْعِلْمِ هَيْئَتَهُ وَلِلدِّينِ نُفُودَهُ وَفَقَّ الْمُخْطَطُ الْحَكِيمُ الَّذِي رَسَمَهُ التَّمَسُّكُ بِأَهْدَابِ الدِّينِ وَالزُّهْدِ الْحَقِيقِيِّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ وَالتَّخَلُّقِ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الْكَرِيمَةِ، وَإِذَا كَانَ الْعَالَمُ الدِّينِيَّ عَامِلًا يَعْلَمُهُ تَقِيًّا صَالِحًا أَصْبَحَ قُدُوءَ صَالِحَةٍ لِلْعَامَّةِ، وَكَانَ لِأَقْوَالِهِ وَإِرْشَادَاتِهِ مَفْعُولُ السَّحَرِ، أَمَّا إِذَا لَاحَظَ النَّاسُ الرَّجُلَ الدِّينِيَّ يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ، وَيَعْطُ وَلَا يَتَّعِظُ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ أَمْثَلُهُ سَيِّئُهُ وَكَانَ مَسْئُولًا أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يَصْدُرُ مِنْ انْحِرَافِ النَّاسِ عَنْ جَدَاةِ الدِّينِ بِسَبَبِ رَدِّ الْفِعْلِ الَّذِي تُحْدِثُهُ تَصَرُّفَاتُهُ الشَّائِنَةُ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: (ذَنْبُ الْعَالِمِ كَالْعَالِمِ) فَعَلَى رِجَالِ الدِّينِ أَنْ يُحَارِبُوا رَجُلَ الدِّينِ الَّذِي يُشَوِّهُ سُمُعَتَهُمْ بِأَعْمَالِهِ الَّتِي لَمْ يَلْتَزِمْ بِهَا الْجَانِبَ الدِّينِيَّ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ أَهَمِّ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَبِينُهَا تَعَالَى فِي كَوْنِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

٢٤. الْقُرْزُونِيُّ الْحَلِيُّ^(١) [ت ٦٨٣هـ]

قُرْزُونِي^(٢) اسْمٌ ثَانٍ لِبَحْرِ الْحَزَرِ، وَفِي جُنُوبِهِ مَسَافَةٌ تَزِيدُ عَلَى مَائَتَيْ كِيلُو مِثْرٍ مَدِينَةٌ تُسَمَّى بِ: قُرْزُونٍ يَتَنَسَّبُ إِلَيْهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ كَمَا يَتَنَسَّبُ النَّاسُ إِلَى آيَةِ مَدِينَةٍ أُخْرَى كَبَغْدَادَ وَالْحَلَّةَ، وَالنَّجَفِ مَثَلًا، وَفِي قُرْزُونٍ أَخْلَاطٌ مِنْهُمْ الْمُسْلِمُ، وَمِنْهُمْ الْكَافِرُ، وَمِنْ هَذِهِ

(١) يُنْظَرُ تَرْجُمَتُهُ فِي: الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ: ٥٣/٣، كَشَفُ الظُّنُونِ: ١١٢٧/٢، قَامُوسُ الْأَعْلَامِ: ٥/٣٦٥٨، وَفِي طَرَائِفِ الْمَقَالِ: ١٠٧/١ «الْقَاضِي عِمَادُ الدِّينِ زَكَرِيَّا بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُرْزُونِيُّ، صَاحِبُ كِتَابِ عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ، يَرْوِي عَنْهُ السَّيِّدُ غِيَاثُ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ طَاوُوسٍ». وَعَنْ طَرِيقِ إِجَازَتِهِ يُنْظَرُ: طَرَائِفُ الْمَقَالِ: ٦٧٦/٢.

(٢) يُنْظَرُ: الْبُلْدَانُ، لِابْنِ الْفَقِيهِ الْهَمْدَانِيِّ: ٥٥٦، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ: ٣٤٢/٤.

القرن السابع الهجري

المدينة، صاحب هذه الترجمة (عماد الدين زكريا بن محمود) يتصل نسبه بإلـك بن أنس خادم الرسول الأعظم^(١)، والذي لا يجهل أحد موقفه من أمير المؤمنين عليه السلام^(٢)، ولد القزويني في قزوین، ثم هاجر ذووه إلى العراق، وهو صغير لم يبلغ الحلم، واستقر مع أسرته في الحلة الفيحاء، فسأ بحكم البيـة نشأة عربية وتعلم العلم والأدب، وما أكثر هذه الموارد في الحلة حينذاك حتى تميزت كمركز ديني وعلمي، وأدبي ممتاز؛ فارتاض عقله الكبير، وثقف ثقافته إسلامية، وكان استعداده كبيراً لهضم كل ألوان الثقافة، فكشف بنور ذكائه النافذ آفاقاً واسعة من الفكر؛ فجرى ذكره على كل لسان، وفقد حبه إلى كل قلب، فكان كالمخدرات تفتح للخيال أبواب الأحلام الجميلة حتى إذا زال أثر المخدر ذهب تلك الأحلام، وتلاشت كما يتلاشى الدخان في الريح العاصف؛ ولكنه مع كل ذلك احتفظ بمجموعة من المعجيين به ظلوا معه على طول الخط؛ فبالغوا فيه حتى أوصلوه بخيالهم إلى مكانة لم يبلغ إليها شأوه، ولا أريد بذلك الخط من كرامته، وإنما أريد أنه وإن كان يستحق الثناء على مواهبه الكثيرة، ولكن بقدر ما بها من الحقيقة كي لا تتجاوز إلى الخيال فتضيع تلك الحقيقة، فهو عالم كبير، ولكنه ليس نسيج وحده^(٣)، وأديب بارع، ولكنه ليس فريد عصره؛ فالحلة تحتضن في عصره مثله وأفضل منه ما يفوت الإحصاء؛ ومما حبب صاحب الترجمة إلى القلوب نزوعه إلى كره البطالة والعيش على مروات الناس، وفضلات الموتى، حتى سما به طموحه وإباؤه، لا جدوده وأباؤه أن يتولى في الحلة أمر القضاء، والإفتاء سنة ٦٥٠ هـ، وهي سلطة واسعة يوم ذاك كما تولى القضاء والإفتاء في واسط الواقعة بالقرب من قضاء الحي اليوم، وذلك سنة ٦٥٢ هـ، وأضيف إليه التدريس بمدرسة الشرايـ في واسط المذكورة-

(١) ينظر: الكنى والألقاب: ٣/ ٥٣.

(٢) الخصال: ١٩٠.

(٣) نسيج وحده: جاء في النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٩٢): «فقل ذلك لكل من أرادوا المبالغة

في مدحه».

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

وَكَانَ جَيْدَ الْحِطِّ، وَالْحِطُّ، رَحَلَ إِلَى دِمَشْقَ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْحِلَّةِ، وَعِنْدَ عَوْدَتِهِ أُنِيطَ بِهِ أَمْرُ الْقَضَاءِ وَالْإِفْتَاءِ فِي عَصْرِ الْمُسْتَعَصِمِ الْعَبَّاسِيِّ قَبْلَ وَبَعْدَ غَزْوَةِ (هُوَ لَاكُو خَان) الْهَمَجِيَّةِ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ مِنْ بِلَادِ الْعَجَمِ، وَلَكِنَّهُ نَزَعَ بِهِ عِرْقُ الْعُرُوبَةِ مِنْ أَجْدَادِهِ، فَكَانَ لَهُ مَا أَرَادَهُ مِنْ طُمُوحٍ وَإِبَاءٍ، وَوَجَاهَةٍ وَنُفُوذٍ، وَهُوَ صَاحِبُ كِتَابِ (عَجَائِبُ الْمَخْلُوقَاتِ) ^(١)، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ هَذَا الْقُزَوِينِيِّ وَقَزَاوِنَةِ الْحِلَّةِ آيَةٌ أَصْلٍ سِوَى النَّسْبَةِ إِلَى مَدِينَةِ قُزُوَيْنَ الَّتِي هَجَا بَعْضُ وَلَايَتِهَا أَحَدُ الشُّعْرَاءِ، وَالْوَالِي هُوَ الَّذِي كَانَ وَالِيًا مِنْ قَبْلِ نَصِيرِ الدِّينِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ صَاحِبِ الْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ، وَكَانَ الْوَالِي قَدْ بَلَغَ بِهِ الْاسْتِهْزَاءُ، وَالرُّعُونَةُ، وَالطَّيْشُ، وَالتَّعَسُّفُ مَا يَفُوقُ الْوَصْفَ.

وَلِمَدِينَةِ قُزُوَيْنَ تُنسَبُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ؛ كَالْعَلَّامَةِ السَّيِّدِ مَهْدِيِّ الْقُزَوِينِيِّ الْبَصْرِيِّ وَوَلَدِهِ الْعَالِمِ الْفَاضِلِ السَّيِّدِ أَمِيرِ مُحَمَّدٍ، وَالْمَغْفُورِ لَهُ الْقُزَوِينِيِّ الْحَلِّيِّ ^(٢) الَّذِي قَالَ فِيهِ صَاحِبُ كِتَابِ (الْكُنَى وَالْأَلْقَابِ) فِي كِتَابِهِ الْمَوْجِزِ ^(٣) أَنَّ جَدَّهُمُ الْمَرْحُومَ السَّيِّدَ أَحْمَدَ أَوَّلَ مَنْ انْتَقَلَ مِنْ قُزُوَيْنَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَقَطَنَ النَّجَفَ؛ ثُمَّ انْتَقَلَتْ ذُرِّيَّتُهُ مِنَ النَّجَفِ إِلَى الْحِلَّةِ؛ لِنَكْبَةِ أَصَابَتِهِمْ، وَاسْتَوْطَنُوهَا وَهُمْ الْآنَ مِنْ وَجْهَائِهَا.

وَفَاتُهُ

بَعْدَ أَنْ سَجَلَ عِمَادُ الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَّا الْقُزَوِينِيُّ صَحَائِفَ مُحْتَلِفَةَ الْأَلْوَانِ مِنَ الثَّقَافَةِ،

(١) يُنظر: كشف الظنون: ١١٢٧/٢.

(٢) إشارة إلى السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مَهْدِيِّ بْنِ حَسَنِ الْقُزَوِينِيِّ الْحَلِّيِّ (ت ١٣٠٠ هـ)، الْمَلَقَّبُ بِ(الْقُزَوِينِيِّ الْكَبِيرِ)، الْعَالِمِ الْفَاضِلِ، الْكَامِلِ، الْأَدِيبِ، الْمُحَقِّقِ، الْمَدَقِّقِ، الْمُصَنِّفِ. تَرْجَمْتُهُ فِي: مُسْتَدْرَكِ الْوَسَائِلِ (الخاتمة): ١٢٧/٢ برقم ٣، الْفَوَائِدُ الرَّضَوِيَّةُ: ١٧٤، مَعَارِفُ الرَّجَالِ: ١١٠/٣ برقم ٤٧٢، أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ١٠/١٤٦، الذَّرِيعَةُ: ١/٤٨ برقم ٢٤١، و٢/٦ برقم ١٠، و٢٣٨/٢٣ برقم ٨٧٩٦، مُصْنَفُ الْمَقَالِ: ٤٧٥، الْأَعْلَامُ: ٧/١١٤، مَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ: ١٢/٥٦.

(٣) الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ: ٦٣/٢.

القرن السابع الهجري

والنضوج الفكري أدركه أجله المحتوم سنة ٦٨٢هـ^(١) الموافقة لسنة ١٢٨٣م، وحمّله من الحلة إلى بغداد، ودُفن في بعض مقابرها.

٢٥. سديد الدين سالم بن محفوظ^(٢) [المتوفى حوالي ٦٣٠هـ]^(٣)

سديد الدين سالم بن محفوظ بن عزيزة بن وشاح السورايي الحلي من أفاضل النابيين من علماء الحلة، كان مفعرة لعلمائها، وإننا لتقف مندهشين حينما نقرأ سيرته المعطرة، وتاريخه الحافل بجلال الأعمال في تلك الفترة التي كانت من أبرز فترات النضوج الفكري في الحلة، وتاريخها الثقافي؛ فقد خلقت نفسه الرفيعة إلى السماء الصافية فاقبست من صفاتها وإشراق كواكبها، وراحت روحه تستشف من وراء الحجب الكثيفة أسرار الكون وألغاز الوجود، وفلسفة الحياة، ودقائق العلم، والمؤمن ينظر من وراء زجاجة، فلم يكن يخفى على بصيرته ما يخفى على بصره، وإن له من إيمانه قوة خارقة تدفعه دفعا إلى استكناه أسرار الوجود وفلسفة الحياة؛ فيتدوّق حلاوة المعرفة، ولذة العلم؛ مما يجعل الدنيا في عينه أحقر من نواة في فلاة.

ولذلك كان لسديد الدين شأن خاص مهّد لأن يحجز له صفحة ناصعة من سجل

(١) في الكنى والألقاب: ٥٣/٢ (٦٨٣هـ).

(٢) في ترجمته يُنظر: رياض العلماء: ٤١١/٢، خاتمة المستدرک: ٤٦٤/٢، ٣٦٥/٣، بحار الأنوار: ٤٣/١٠٧، الفوائد الرضوية: ١٩٩، أمل الآمل: ١٢٤/٢، روضات الجنّات: ٣٠١، الغدير: ٤٤٣/٥، الذريعة: ٣١٥/٣، أعيان الشيعة: ١٧٨/٧، ١٨٠، أعيان الشيعة: ١٨٠/٧، طبقات أعلام الشيعة: ٧١/٣، معجم رجال الحديث: ٢٢/٨، الرقم ٤٩٥٥، معجم رجال الحديث: ٢٤/٩، وفيات الأعيان: ١٠٩/١ ضمن ترجمة ابن منعة، تاريخ الإسلام، سنة ٦٣١-٦٤٠هـ ٥١ الرقم ٢٥، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ١٤٨/٨، الرقم ١١٤٠، طبقات الشافعية للإسنوي: ١٨٣/١، الرقم ٣٤٣، البداية والنهاية: ١٥٢/١٣، معجم المؤلفين: ١٦٧/٤، معجم طبقات الفقهاء: ٨٣/٧.

(٣) ذكر ذلك الشيخ السبحاني في كتابه: رسائل ومقالات: ٣٣٦.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلْيَةِ

الخلود، فهو من جهة العلم، عالم تحرير له قيمته وكيانه، وهو من ناحية الفلسفة فيلسوف له نظرياته وآراؤه وهو في علم الكلام، متكلم ضليع له مصنّفات كثيرة يروى بها العلامة الحلي عن أبيه عنه، منها كتاب (المنهاج في علم الكلام)، وكتاب (المحصل)، و(التبصرة)^(١)، وهي غير تبصرة العلامة الفقهية، وله كتب جليلة أخرى، والسوراي أحد أساتذة المحقق الحلي في علم الكلام قرأ عليه كتاب (منهاج الأصول)^(٢) السالف الذكر شيئاً من (المحصل) كما تذكره التراجم، والذي يلوح لي أن هناك كتابين للسوراي باسم المنهاج؛ أوهما في علم الأصول، والآخر في علم الكلام، أو أن هناك خلطاً في التراجم؛ فتارة تجعل كتاب (المنهاج في علم الأصول)، وتارة تعتبره في علم الكلام، والفرق بين علم الأصول وعلم الكلام كبير؛ فالأول موضوعه أصول الفقه من مسائل الحرام والحلال ونحوهما، وعلم الكلام ويسمى أيضاً علم التوحيد يبحث في العقيدة الدينية كوجود الباري وعدله، ونحو ذلك، وتذكر كتب التراجم أن العلامة قرأ عليه شيئاً من علوم الأوائل^(٣)، والذي أكاد أجزم به أنه يقصد بالأوائل السلف الصالح، وليس المراد بهم أهل الجاهلية، وإن كانت العبارة توحى بالمعنى الثاني؛ لأن من علوم الجاهلية القيافة، والكهانة، والعرافة، والزجر، فهل درس العلامة هذه العلوم على السوراي؟ ولا شك أن في التعبير ركة ملحوظة، قال الشهيد الثاني في بعض أسانيد (أربعينه) أن «السيد علي بن طائوس يروي عن الشيخ الإمام العلامة رئيس المتكلمين سالم بن محفوظ بن عزيزة الحلي، عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الأكبر، عن عربي بن مسافر العبادي»^(٤)،

(١) يُنظر: الذريعة: ٣/ ٣١٥، تكملة أمل الآمل: ٣٣١.

(٢) يُنظر: تكملة أمل الآمل: ٣٣١، وقد ذكر هذا التخليط السيد حسن الصدر في كتابه تكملة أمل

الآمل: ٣٣١.

(٣) يُنظر: مقدّمة التحقيق لكتاب نهاية المرام في علم الكلام للعلامة الحلي: ١/ ٦٣.

(٤) الأربعون حديثاً، الشهيد الأول: ٣٣.

القرن السابع الهجري

وَذَكَرَ الشَّهِيدُ أَنَّ ابْنَ طَاوُوسٍ قَرَأَ عَلَيْهِ التَّبَصُّرَةَ وَبَعْضَ مِنْهَاجِ الْأُصُولِ كَمَا مَرَّ عَلَيْكَ، وَيَكْفِيهِ مِنْ عُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ ابْنِ طَاوُوسٍ، وَمِثْلَ الْمُحَقِّقِ الْحِلِّيِّ مِنْ عِدَادِ تَلَامِيذِهِ، فَهُوَ بِحَقِّ أَصْبَحَ رَئِيسَ الطَّائِفَةِ بِوَقْتِهِ، وَقَدْ قَالَ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ الْيَعْقُوبِيُّ التَّبْرِيزِيُّ فِي تَرْجَمَةِ هَذَا الْفَدَا إِنَّهُ لَيْسَ بِابْنِ الشَّيْخِ مُحْفُوظِ بْنِ وَشَاحِ الْأَسَدِيِّ، مُعَلِّلاً ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: لِأَنَّ سَالِمًا الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الرُّوضَاتِ ^(١) يَرَوِي عَنْ رَضِيِّ الدِّينِ بْنِ طَاوُوسٍ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُ وَأَتَمَّى عَلَيْهِ كِتَابَ مِنْهَاجِ الْأُصُولِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، وَشَيْئًا مِنْ عُلُومِ الْأَوَائِلِ وَأَخَذَ عَنْهُ أَيْضًا وَالِدُ الْعَلَامَةِ الْحِلِّيِّ، وَهَؤُلَاءِ مِنْ مَشَائِخِ شَمْسِ الدِّينِ مُحْفُوظٍ؛ فَكَيْفَ يَصُحُّ أَنْ يَكُونَ سَالِمٌ وَلَدًا لَهُ مَعَ تَقَدُّمِ عَصْرِهِ بِكَثِيرٍ عَلَى مُحْفُوظٍ وَمَشَايِخِهِ ^(٢)، انْتَهَى.

وَكَانَ الْجَدِيدُ أَنْ يَكُونَ الرَّدُّ مِنْ حَيْثُ سِلْسِلَةِ النَّسَبِ؛ فَذَلِكَ هُوَ مُحْفُوظُ بْنُ وَشَاحِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَأَمَّا سَالِمٌ هَذَا فَهُوَ سَالِمُ بْنُ مُحْفُوظِ بْنِ عَزِيزَةَ بْنِ وَشَاحٍ؛ فَوِشَاحٌ يَكُونُ وَالِدَ مُحْفُوظٍ، وَوِشَاحٌ جَدُّ مُحْفُوظٍ وَالِدُ سَالِمٍ؛ فَبَيْنَ وَشَاحٍ وَوِشَاحٍ ظَهَرٌ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ سَالِمٌ وَلَدًا لِمُحْفُوظٍ؛ لِعَدَمِ اتِّفَاقِ الْأَسْمِ فِي سِلْسِلَةِ الْأَبَاءِ، وَإِنْ كَانَ هُنَالِكَ تَشَابُهُ فِي أَسْمَاءِ بَعْضِهِمْ كَمَا أَنَّ سَالِمًا هَذَا لَيْسَ حِلِّيًّا الْأَصْلِ، وَإِنَّمَا أَصْلُهُ مِنْ سُورَى؛ وَهِيَ سُورَاءُ أَيْضًا الْمَعْرُوفَةُ الْآنَ بِأَطْرَافِ قَضَاءِ الْهَاشِمِيَّةِ مِنْ أَقْصِيَةِ لَوَاءِ الْحِلَّةِ بِاسْمِ: (سُورَة).

وَأَمَّا مُحْفُوظٌ فَإِنَّهُ مِنْ صَمِيمِ أَهْلِ الْحِلَّةِ، وَلَيْسَ مِنْ أَطْرَافِهَا وَمُلْحَقَاتِهَا، وَهَذَانِ الْفَرِيقَانِ جَدِيدَانِ بِالْإِعْتِبَارِ وَالْإِتْبَاهِ؛ أَمَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْيَعْقُوبِيُّ وَالْحَاقَانِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَسْبَابِ عَدَمِ بُنُوَّةِ سَالِمِ بْنِ مُحْفُوظٍ إِلَى مُحْفُوظِ بْنِ وَشَاحٍ؛ لِأَنَّ سَالِمًا الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الرُّوضَاتِ يَرَوِي عَنْهُ رَضِيُّ الدِّينِ ابْنُ طَاوُوسٍ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُ إِلَى آخِرِ قَوْلِ

(١) روضات الجنات: ٤ / ٣٣٧.

(٢) يُنظر تفصيل ذلك في: الغدير: ٥ / ٤٤٣.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

الْيَعْقُوبِيُّ، وَهَؤُلَاءِ مِنْ مَسَائِخِ شَمْسِ الدِّينِ مُحْفُوظٌ؛ فَكَيْفَ يَصُحُّ أَنْ يَكُونَ سَالِمٌ وَلَدًا لَهُ مَعَ تَقَدُّمِ عَصْرِهِ!!... إلخ.

فَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ تَوْهُمَاتِ الْيَعْقُوبِيِّ؛ فَسَالِمٌ وَمُحْفُوظٌ كِلَاهُمَا مِنْ رِجَالِ الْقَرْنِ السَّابِعِ، وَكِلَاهُمَا قَدْ عَاصَرَ الْمُحَقِّقَ الْحَلِّيَّ؛ فَأَمَّا مُحْفُوظٌ فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُحَقِّقِ مَرَاتِلَاتٌ، وَأَمَّا سَالِمٌ فَهُوَ أَسْتَاذُ الْمُحَقِّقِ، فَأَيُّنَ مَا زَعَمَهُ الْيَعْقُوبِيُّ وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُ مِنْ تَقَدُّمِ عَصْرِ سَالِمٍ لِنَجِيبِ الدِّينِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَكْبَرِ، وَغَيْرِهِ فَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ تَلَامِذَةِ نَجِيبِ الدِّينِ، وَأَنْجَبِهِمْ، وَمِنْ شِعْرِهِ الْأَبْيَاتُ الَّتِي أَوَّلُهَا:

إِنْ كُنْتَ تَتَّبِعُ الْهُوَى فَعَلَيْكَ بِالتَّقْلِيدِ دُأْبًا^(١).

٢٦. شَمِيمُ الْحَلِّيِّ (ت ٦٠١ هـ)^(٢)

هُوَ أَبُو الْحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَنَتَرٍ - أَوْ عَنَتَرَةَ^(٣) - بَنِي ثَابِتٍ، الْمُتَلَقَّبُ بِ(مُهَذَّبِ الدِّينِ شَمِيمٍ) عَلَى وَزْنِ زُبَيْرٍ بِصِغَةِ التَّصْغِيرِ، هُوَ فِيمَنْ أَنْجَبَتْهُ الْحِلَّةُ؛ قَالَ فِي تَرْجَمَتِهِ ابْنُ خَلِّكَانَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ وَفَيَاتِهِ إِنَّهُ: «كَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا خَيْرًا بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَأَشْعَارِ

(١) تَمَمَّ الْأَبْيَاتُ:

فمَتَى نَظَرْتَ وَكُنْتَ تَنوِي كَوْنُ مَذهَبِكَ الصَّوَابَا

لَمْ تَحِطْ بِالْمَقْصُودِ مِنْهُ وَلَمْ تَلْجُ لِلْحُسْنِ بَابَا

يُنظر: أعيان الشيعة: ١٨٠/٧، موسوعة طبقات الفقهاء: ٨٣/٧.

(٢) ترجمته في المصادر: معجم الأدباء: ١٣/٥٣، ٦٤، توضيح المشتبه: ٣٨٧/٢، هدية العارفين:

١/٧٠٣، الأعلام: ٤/٢٧٤، وفیات الأعيان: ٣/٣٣٩، الوافي بالوفيات: ٢٠/٢٠٣، شذرات

الذهب: ٥/٤، أعيان الشيعة: ٤/٥١١، ٣٥٢، ٨/١٨٢، مستدركات أعيان الشيعة: ١/١٢٠،

إنباه الرواة: ٢/٢٤٧، بغية الوعاة: ٣٣٣.

(٣) في أعيان الشيعة: ٧/٣٥٢، ٨/١٨٢، ذكر جدّه (عتبة)، يقول: «اسمه عليّ بن الحسن بن

عتبة بن ثابت». وليس عنتره، وقد ذكرها في أكثر من موضع كما مرّ. ويُنظر أيضًا: الذريعة:

٢/٤٥٤. وقد أضاف القفطيّ في إنباه الرواة: ٢/٢٤٧ «الوحشيّ الموصليّ النحويّ».

القرن السابع الهجري

العرب حسن الشعر، وكان اشتغاله ببغداد على أبي محمد بن الحشّاب ومن في طبقتيه من أدباء ذلك الوقت؛ ثم سافر إلى ديار بكر، ومدح الأكابر، وأخذ جوائزهم، واستوطن الموصل؛ وله عدة تصانيف، وجمع من نظميه كتاباً سماه: الحماسة ضاهى به كتاب الحماسة لأبي تمام الطائي، وكان جم الفضائل، إلا أنه كان بذي اللسان كثير الوقوع في الناس مُسْلِطاً على ثلب أعراضهم.

وذكره أبو البركات في المستوفي في تاريخ إربل^(١)، وفتح ذكره بأشياء نسبها إليه من قلة الدين، وترك الصلاة المكتوبة، ومعارضته للقرآن الكريم، واستهزائه بالناس، وذكر مقاطيع من شعره، وفي شعره تعسف، وقال: سئل لم سمي شميماً؟ فقال: أقمت مدة أكل كل يوم شيئاً من الطيب؛ فإذا وضعته عند قضاء الحاجة شمتته فلا أجد رائحة؛ فسميت لذلك شميماً^(٢)، انتهى.

وهذه الرواية لا تخلو من الدس اللئيم، والافتراء المفضوح؛ «شنشنة أعرفها من أخزم»^(٣)، مصهورة في بوتقة الطائفية الحقيرة؛ فقد اعتاد الناس سماع أمثال هذا التحامل المغرض لمجرد المخالفة في العقيدة، وما أكثر التشييعات التي ألصقوها بالناس^(٤)

(١) يُنظر: تاريخ إربل المسمى (نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأمثال): ٢/ ١١١، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠ م.

(٢) وفيات الاعيان: ٣/ ٣٣٩.

(٣) شطر بيت لأبي أخزم الطائي، وهو جدّ حاتم أو جدّ جدّه، مات ابنه أخزم وترك بنين، فوثبوا يوماً على جدّهم فأدموه، فقال:

إنّ بني رمّلوني بالدم من يلق آساد الرجال يكلم

ومن يكن درء به يقوم شنشنة أعرفها من أخزم

يعنى أنّ هؤلاء أشبهوا أباهم في العقوق، والشنشنة: الطبيعة. يُنظر: مجمع الأمثال: ١/ ٣٦١ تحت الرقم ١٩٣٣.

(٤) القياس (ألصقها الناس)، وهي لغة (أكلوني البراغيث)، وهي دارجة محكية يستعملها الناس في حياتهم اليومية.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِرِيِّ فِي الْحَلِيقَةِ

بِخُصُومِهِمْ دُونَ أَنْ يُرَاعُوا حُرْمَةَ الْحَقِّ وَدُونَ أَنْ يَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى صَمَائِرِهِمْ تَجَاوِبًا مَعَ أَحْقَادِهِمْ الْمُتَأَجِّجَةِ؛ فَإِذَا لَمْ يَجِدِ الْمُؤَرِّخُ الْمُتَحَيِّزُ الْمُغْرَضُ مَنْ تَجَاهِلِ شَخْصِيَّةٍ مُنَاوِيَةٍ فَإِنَّهُ يَذْكُرُهَا مُرَعَّمًا، وَلَهُ طَرِيقَانِ إِلَى التَّحَدُّثِ عَنْهَا؛ فَأَمَّا أَنْ يَفْتَضِبَ الْحَدِيثَ اقْتِضَابًا دُونَ أَنْ يُعْطِيَ فِكْرَةً وَاضِحَةً عَنْ صَاحِبِ التَّرْجَمَةِ تَرْفَعُ مِنْ شَأْنِهِ، وَأَمَّا أَنْ يُحَرِّفَ وَيُحَرِّفَ فَلَا يُبْدِي مِنْ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ إِلَّا الْوَجْهَ الْأَسْوَدَ وَقَدْ يَكُونُ أَسْوَدًا بِسَبَبِ سَوَادِ حِقْدِ الْمُؤَرِّخِ، وَسَوَادِ ضَمِيرِهِ، كَمَا فَعَلَ أَبُو الْبَرَكَاتِ، وَكَمَا فَعَلَ ابْنُ خَلِّكَانَ فِي (وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ)؛ وَلَكِنْ هَذَا الرَّجُلُ كَانَ لَهُ بَعْضُ وَرَعٍ وَبَقِيَّةٍ مِنْ حَيَاءٍ؛ فَكَانَ أَقْلَ تَطَرُّفًا مِنْ مُحَارَبَةِ الْحَقِّ؛ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ تِلْكَ الشَّنْشَنَةَ بِصُورَةٍ نِهَائِيَّةٍ فِي تَرْجَمَةِ (شُمَيْمِ الْحَلِيِّ)؛ فَبَعْدَ أَنْ اعْتَرَفَ بِفَضَائِلِهِ الْجَمَّةِ أَلْحَقَ قَوْلَهُ دُونَ فَضْلٍ بِاسْتِنْدَاكِهِ النَّافِهِ؛ فَقَالَ: «وَلَكِنَّهُ بِذِيءِ اللِّسَانِ كَثِيرِ الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ، وَلَا يُثَبَّتُ فِي الْفَضْلِ لِأَحَدٍ شَيْئًا»^(١).

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى كَذِبِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ، وَاخْتِلَافِهَا مَا جَاءَ فِيهَا أَنَّهُ صَنَّفَ كِتَابَ (الْأَيْسُ الْجَلِيسِ فِي التَّجْنِيسِ)^(٢) فِي مَدْحِ صَلَاحِ الدِّينِ؛ فَالرِّوَايَةُ الَّتِي صَرَّحَتْ أَنَّهُ لَمْ يُثَبَّتْ لِأَحَدٍ فَضْلًا هِيَ نَفْسُهَا الَّتِي حَدَّثَنَا أَنَّهُ صَنَعَ كِتَابًا فِي مَدْحِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يَعْتَرِفُ بِفَضْلِ النَّاسِ كَصَلَاحِ الدِّينِ هَذَا، وَكَذَلِكَ اعْتَرَفَهُ بِفَضْلِ الْمُتَنَبِّيِّ وَابْنِ نُبَاتَةَ، وَابْنِ الْحَرِيرِيِّ حَسَبَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ الْمُغْرَضَةِ الْمُتَنَاقِضَةِ، وَلَمَّا كَانَتْ اعْتِرَافَاتُ الْخُصَمِ مَقْبُولَةً فِي حَقِّ خَصْمِهِ دُونَ الطُّعُونِ فِيهِ؛ فَإِنَّا نَسْتَنْتِجُ مِنَ الرِّوَايَةِ فَضْلَ شُمَيْمِ الَّذِي اعْتَرَفَ بِهِ الْمُؤَرِّخُ؛ ثُمَّ نَعْمَلُ تِلْكَ الطُّعُونَ حَتَّى يُقَامَ دَلِيلٌ عَلَى صَحَّتِهَا^(٣).

(١) الكلام أوردته مجتزئاً، في الوفيات: ٣/ ٣٣٩ «كان بذيء اللسان كثير الوقوع في الناس، مسلطاً على ثلب أعراضهم، لا يثبت لأحد في الفضل شيئاً».

(٢) يُنظر: كشف الظنون: ١/ ١٩٧، هدية العارفين: ١/ ٧٠٣، الذريعة: ٢/ ٤٥٤.

(٣) يُنظر: كلام معجم الأدباء: ١٣/ ٥٣، ٦٤.

القرن السابع الهجري

وَعَلَى كُلِّ فَإِنَّ أَبَا الْحَسَنِ شَمِيمًا^(١) النَّحْوِيَّ الْحَلِّيَّ مِنْ فُقَهَاءِ الْحِلَّةِ الْبَارِزِينَ، وَمِنْ مُجِيدِي أَدْبَائِهَا.

يَقْتَرِنُ ذِكْرُهُ بِتَارِيخِ فَجْرِ النَّهْضَةِ الثَّقَافِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ الَّتِي نَفَثَتْ فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ رُوحَ الْحَيَاةِ، وَالتَّجَدُّدِ؛ فَنَبَغَ فِي عِدَّةِ عُلُومٍ، وَلَهُ فِيهَا عِدَّةُ مَوْلَفَاتٍ، وَقَدْ سَاعَدَهُ ذِكَاؤُهُ الْمُفْرِطُ عَلَى تَفْهَمِهَا فَاتَّقَنَهَا، وَنَبَغَ بِنَوْعٍ خَاصٍّ فِي عِلْمِ النَّحْوِ حَتَّى اشْتَهَرَ بِهِ فَلَقَّبَ: النَّحْوِيَّ لِذَلِكَ وَتَبَحَّرَ فِي عِلْمِ الصَّرْفِ وَالْمَعَانِي، وَالْبَيَانِ، وَالْبَدِيعِ، وَحَدَّقَ عِلْمِي الْفِقْهِ وَأَصُولِهِ، وَاعْتَرَفَ مِنْ بَحَارِ عِلْمِ الْعَرُوضِ مَا يَنْقَعُ الْغَلَّةَ، وَأَتَقَنَ عِلْمَ الْمَنْطِقِ وَعِلْمَ الْكَلَامِ، وَهُوَ يُشَبِّهُهُ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ (مَلِكِ النُّحَاةِ)^(٢) فِي اعْتِدَادِهِ الْمُتَطَرِّفِ بِنَفْسِهِ، وَقَدْ كَانَ نَضْوًا أَسْفَارٍ، فَتَجَوَّلَ بَيْنَ الْحِلَّةِ وَبَغْدَادَ وَالشَّامِ، وَالْمَوْصِلِ، وَزَمَّ رِحَالَهُ إِلَى دِيَارِ بَكْرٍ، وَلَهُ فِي كُلِّ هَذِهِ الْمُدُنِ آثَارٌ مِنْ شِعْرِهِ وَأَدْبِهِ؛ ثُمَّ أَثَرَ الْمَوْصِلِ أَنْ تَكُونَ لَهُ مَسْكَنًا؛ فَكَانَتْ لَهُ مَدْفَنًا؛ وَ(النَّحْوِيَّ) مِنْ عُلَمَاءِ الشَّيْعَةِ الْمُعَمَّرِينَ، وَمِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَخَزَهُ خُصُومُهُ تَارَةً بِالْعَقِيدَةِ، وَتَارَةً بِسُوءِ التَّصَرُّفِ وَسُوءِ التَّفَكُّيرِ؛ لِيُقَلِّلُوا مِنْ شَأْنِهِ الْعِلْمِيِّ، وَيُزِيلُوا بِمَقَامِهِ الرَّفِيعِ، وَلَكِنْ تِلْكَ الْوُخَزَاتِ أَلَمَتْ الْقَادِحَ قَبْلَ الْمَقْدُوحِ؛ فَرَعَمُوا أَنَّهُ عَارِضُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَنَّهُ بَذِيءٌ وَأَنَّهُ، وَأَنَّهُ، وَقَدْ ضَمَّ كِتَابُ [ابْنِ] الْمُسْتَوْفِي، أَبِي الْبَرَكَاتِ^(٣) أَلْوَانًا شَتَّى مِنْ هَذِهِ الْمَعَائِبِ الْمُفْتَعَلَةِ.

كَمَا أَنَّ الْحَمَوِيَّ^(٤) أَفْرَطَ فِي خَيَالِهِ بِاخْتِرَاعِ هَذِهِ الْأَكَاذِيبِ؛ فَمِمَّا قَالَهُ فِي شَمِيمٍ إِنَّهُ

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: (شَمِيم).

(٢) وَهُوَ سَبِيوِيهِ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٨٠ هـ).

(٣) الْعِبَارَةُ (كِتَابُ الْمُسْتَوْفِي لِأَبِي الْبَرَكَاتِ)، الْكِتَابُ هُوَ: تَارِيخُ إِرْبِلَ، الْمُسَمَّى (نَبَاهَةُ الْبَلَدِ الْخَامِلِ بِمَنْ وَرَدَهُ مِنَ الْأُمَثَالِ) لِابْنِ الْمُسْتَوْفِي، أَبِي الْبَرَكَاتِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ خَطَأٌ مَطْبَعِيٌّ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: (كِتَابُ ابْنِ الْمُسْتَوْفِي أَبِي الْبَرَكَاتِ).

(٤) مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ: ١٣/٥٣-٦٤.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

زَارَ (آمَدَ) فِي شُهُورِ سَنَةِ ٥٤٤ هـ؛ فَرَأَى إِجْمَاعَ أَهْلِهَا عَلَى وَصْفِ هَذَا الشَّيْخِ فَقَصَّدهُ إِلَى مَسْجِدِ الْخَضِرِ؛ فَوَجَدَهُ طَاعِنًا فِي السَّنِّ فِي حُجْرَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ (جَامِدَانٌ) مَمْلُوءٌ كُتُبًا مِنْ تَصَانِيفِهِ؛ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ بَلَدِهِ فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ مِنْ بَغْدَادَ فَهَشَّ بِهِ؛ ثُمَّ زَعَمَ أَنَّهُ جَاءَهُ لِيَقْتَبِسَ مِنْ عُلُومِهِ؛ فَأَجَابَهُ بِأَنَّهُ عُلُومُهُ كَثِيرَةٌ، وَاسْتَطْلَعَ رَأْيُهُ عَنِ الْعِلْمِ الَّذِي يُحَاوِلُ اقْتِبَاسَهُ، وَأَنَّهُ كُلَّمَا وَجَدَ النَّاسَ يَسْتَحْسِنُونَ كِتَابًا فِي الْأَدَبِ عَارِضَهُ بِكِتَابٍ مِثْلِهِ، ثُمَّ أَنَّ الْحَمَوِيَّ سَأَلَهُ عَمَّنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَلَمْ يُجِبْ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ زَعَمَ الْحَمَوِيُّ أَنَّهُ بَسَطَ لِلشَّيْخِ رَغْبَتَهُ بِالِاسْتِفْسَارِ مِنْهُ عَنْ شَيْءٍ؛ فَتَبَسَّمَ، وَقَالَ: مَا أَرَاكَ تَسْأَلُ إِلَّا عَنْ مُعْضِلَةٍ هَاتِ مَا عِنْدَكَ؟.

قُلْتُ: لَمْ سُمِّيتَ بِشُمَيْمٍ؟ فَسْتَمَنِي؛ ثُمَّ ضَحَكَ، ثُمَّ أَجَابَ ^(١)... إلخ.

وَالذَّكِيُّ الْفَطْنُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ تَلْفِيقُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَسَخَافَتُهَا، وَأَهْدَافُهَا الْمُغْرِضَةُ؛ فَقَدْ أَرْسَلَهَا إِزْسَالُ الْمُسَلِّمَاتِ دُونَ دَلِيلٍ، وَالِدَّعْوَى إِذَا خَلَّتْ مِنَ الدَّلِيلِ فَهِيَ أَشْبَهُ بِالْهَذْيَانِ؛ فَالْحَمَوِيُّ إِذَا لَمْ يَطْلُعْ عَلَى أَحْوَالِ شُمَيْمٍ، وَلَمْ يَكُنْ عَارِفًا بِعِلْمِهِ وَأَدَبِهِ؛ فَكَيْفَ يَقُولُ لَهُ إِنَّهُ جَاءَ لِيَقْتَبِسَ مِنْ عُلُومِهِ، وَإِذَا كَانَ عَارِفًا بِشُدُودِهِ هَذَا، وَانْحِطَاطِ قَوَاهُ الْعَقْلِيَّةِ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ السُّخْرِيَّةَ؛ فَكَيْفَ يَزَعُمُ أَنَّهُ جَاءَهُ لِيَقْتَبِسَ مِنْ عُلُومِهِ؛ فَالْحَمَوِيُّ أَمَّا كَاذِبٌ أَوْ صَادِقٌ؛ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَشَأْنُ الْكَاذِبِينَ مَعْلُومٌ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَكَيْفَ نَعْتَمِدُ عَلَى رِوَايَةِ كَاذِبٍ؟ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا بِأَنَّهُ ذَهَبَ لِاقْتِبَاسِ الْعُلُومِ مِنْ شُمَيْمٍ فَلَا بُدَّ أَنَّهُ دَرَسَ حَالَهُ وَعَرَفَ تَضَلُّعَهُ بِالْعُلُومِ؛ وَلِهَذَا سَافَرَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ، وَهَذَا إِمَّا يَكْذِبُ مَا وَخَزَهُ بِهِ مِنْ هِنَاتٍ أَوْ يَجْعَلُ الْحَمَوِيَّ بِمَنْزِلَةِ مَنْ الْحَمَاقَةُ وَالْجَهْلُ لَا يُحْسَدُ عَلَيْهَا بِحَيْثُ يَتَحَمَّلُ وَعَثَاءَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ، وَيَتْرُكُ عُلَمَاءَ بَغْدَادَ، وَعَدَدَهُمْ وَفِيرٌ؛ لِيَدْرُسَ عِنْدَ رَجُلٍ أَمْحَقَ أَرَعَنَ؛ فَإِذَا أَرَدَتْ أَنْ تُزِيلَ الْحَيْرَةَ وَالشُّكُوكَ

(١) معجم الأدباء: ١٣ / ٥٦.

القرن السابع الهجري

فَأَسْهَلُ الطَّرِيقَ عَلَيْكَ أَنْ تَرْمِيَ مِثْلَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ التَّافِهَةِ فِي سَلَةِ الْمُهِمَلَاتِ.

تُوفِّي شُمَيْمُ الْحَلِّيُّ رحمته الله حَسَبَ رِوَايَةِ ابْنِ خَلَّكَانٍ فِي وَفَايَتِهِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ٦٠١ هـ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْمُعَاوِي بْنِ عِمْرَانَ بِالْمَوْصِلِ ^(١) عَنْ سِنِّ عَالِيَةٍ - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، وَأَسْكَنَهُ بُحْبُوحَةَ جَنَّتِهِ - بَعْدَ أَنْ تَرَكَ مِنْ أَثَارِهِ مَا يَزِيدُ عَنْ أَرْبَعِينَ مَوْلُفًا، مِنْهَا:

(الْمُحْتَسَبُ فِي شَرْحِ الْخُطْبِ)، وَكِتَابُ (مَنَاحِي الْمُنَى فِي إِضْصَاحِ الْكُنَى)،
(الْأَيْسُ فِي التَّجْنِيسِ)، وَكِتَابُ (الْمُخْتَرَعُ فِي شَرْحِ اللَّمَعِ)، وَ(الْخُطْبُ النَّاصِرِيَّةُ)،
وَكِتَابُ (الْحَمَاسَةُ)، وَغَيْرُهَا ^(٢).

(١) وفيات الأعيان: ٣/ ٣٤٠.

(٢) يُنْظَرُ فِي مَصْنُفَاتِهِ رحمته الله: كشف الظنون: ١/ ١٩٧، هدية العارفين: ١/ ٧٠٣، الذريعة: ٢/ ٤٥٤، معجم المؤلفين: ٧/ ٦٧، الوافي بالوفيات: ٢٠/ ٢٠٤، وقد أورد ياقوت أسماء تصانيفه، وهي: كتاب النكت المعجمات في شرح المقامات، وكتاب الرأي المشتار في القريض المختار، وكتاب الحماسة من نظمته، وكتاب مناح المنى في إيضاح الكنى، وكتاب درة التأميل في عيون المجالس والفضول، وكتاب نتائج الإخلاص في الخطب، وكتاب أنس الجليس في التجنيس، وكتاب أنواع الرقاع في الأسجاع، وكتاب التعازي في المرازبي، وكتاب خطب نسق حروف المعجم، وكتاب الأمان في التهاني، وكتاب المفاتيح في الوعظ، وكتاب معاينة العقل في معاناة النقل، وكتاب الإشارات المعرية، وكتاب المرتجلات في المسجلات، وكتاب المخترع في شرح اللمع، وكتاب المحتسب في شرح الخطب، وكتاب المهتصر في شرح المختصر، وكتاب التحميض في التغميض، وكتاب خلق الآدمي، وكتاب رسائل لزوم ما لا يلزم، وكتاب اللزوم، وكتاب لهنة الضيف المصحر في الليل المسحر، وكتاب متنزه القلوب في التصحيف، وكتاب المنايح في المدائح، وكتاب نزهة الراح في صفات الأفراح، وكتاب الخطب المستضيئة، وكتاب حرز النافث من عيث العاث، وكتاب الخطب الناصرية، وكتاب الركوبات، وكتاب شعر الصبي، وكتاب إقام الإحلام في تفسير الأحلام، وكتاب سمط الملك المفضل في مدح الملك الأفضل، وكتاب مناقب الحكم في مثالب الأمم/ مجلدان، وكتاب اللهاسة في شرح الحماسة، وكتاب الفصول الموكية يشتمل على أربعين فصلاً، وكتاب مجتنى ربحانة الهم في استئناف المدح والذم، وكتاب=

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلْيَةِ

٢٧. ابْنُ السَّكُونِيِّ الْحِلِّيُّ (٦٠٦هـ) (١)

تَعَجَّرَ رِيشُهُ الْمُصَوَّرُ عَنْ رَسْمِ صُورَةٍ طَبَّقَ الْأَصْلَ لِشَخْصِيَّةِ (ابْنِ السَّكُونِيِّ)؛ فَتَحِيظُ بَيْتِكَ الْجَوَانِبِ الْمُتَعَدِّدَةِ مِنْ تَارِيخِهِ الَّذِي فِيهِ الْعَظَمَةُ وَالْخُلُودُ، فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ ذَا خُلُقٍ وَدِينٍ، غَزِيرَ الْعِلْمِ كَثِيرَ الْوَرَعِ وَالزُّهْدِ، مَوْفُورَ الْكَرَامَةِ، فَوَّارَ النَّشَاطِ، رَقِيقَ الْحَسِّ، مِقْدَامًا جَرِيئًا، فَصِيحًا بَلِيغًا، سَوَاءً فِي شَعْرِهِ أَوْ نَثْرِهِ، وَهُوَ الْإِمَامِيُّ الْأُصُولِيُّ الثَّقَةُ مِنْ أَيْمَةِ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْفِقْهِ، وَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَوْلَادِ السَّكُونِيِّ الْعَامِلِيِّ الْمَعْرُوفِ.

قَالَ السُّيُوطِيُّ فِي طَبَقَاتِ النُّحَاةِ: «عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّكُونِ الْحِلِّيُّ، أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ يَأْقُوتُ: كَانَ عَارِفًا بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ، حَسَنَ الْفَهْمِ، جَيِّدَ النَّقْلِ حَرِيصًا عَلَى تَصْحِيحِ الْكُتُبِ، لَمْ يَضَعْ قَطُّ فِي طَرْسِهِ إِلَّا مَا وَعَاهُ قَلْبُهُ وَفَهَمَهُ لُبُّهُ، وَكَانَ يُجِيدُ قَوْلَ الشَّعْرِ، وَكَانَ نَصِيرِيًّا، وَلَهُ تَصَانِيفٌ، مَاتَ فِي حُدُودِ ٦٠٦هـ» (٢).

وَقَالَ ابْنُ النَّجَّارِ: «إِنَّهُ قَرَأَ النَّحْوَ عَلَى ابْنِ الْحَشَّابِ، وَاللُّغَةَ عَلَى ابْنِ الْعَصَّارِ، وَتَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ، وَبَرَعَ فِيهِ وَدَرَسَهُ، وَكَانَ مُتَدِينًا مُصَلِّيًا بِاللَّيْلِ سَخِيًّا ذَا مَرْوَةٍ؛ ثُمَّ سَافَرَ إِلَى مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَارَ كَاتِبًا لِأَمِيرِهَا، ثُمَّ قَدِمَ الشَّامَ، وَمَدَحَ السُّلْطَانَ صَلَاحَ الدِّينَ، وَمِنْ شَعْرِهِ:

وَإِنِّي أُرِيدُ الْعَيْشَ مَا رَقَّ وَاصِفًا
وَنَفْسُكُمْ عَنْ بَاعِثِ الْهَمِّ فَأُصْرَفَا

= المناجاة. يُنظر: معجم الأدباء: ١٣/ ٧٠-٧٢.

(١) يُنظر ترجمته في: ذيل تاريخ بغداد: ٦٠-٦٢، معجم الأدباء: ١٥/ ٧٥، الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٨٤، بغية الوعاة: ٢/ ١٦٦، أعيان الشيعة: ٨/ ٣١٣، أمل الآمل ٢/ ٢٠٣، الرقم ٦١٥، رياض العلماء: ٤/ ٢٣٩، هدية العارفين: ٥/ ٧٠٤، الفوائد الرضوية: ٣٢٧، خاتمة المستدرک: ٢/ ٣٨٨، طبقات أعلام الشيعة: ٣/ ١١٥، معجم المؤلفين: ٧/ ٢٢٩.

(٢) بغية الوعاة: ٢/ ١٦٦.

القرن السابع الهجري

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ اَهُمُومَ قَوَاتِلُ

وَأَحْجَى الْوَرَى مَنْ كَانَ لِلنَّفْسِ مُنْصِفًا^(١)

وَلَا أَذْرِي هَلْ وُرُودُ كَلِمَةٍ (نَصِيرِيًّا)^(٢) جَاءَتْ تُحْرِيفًا إِلَى (بَصِيرًا)؛ فَإِنَّهُ إِمَّا تُحْرِيفُ مِنْ قَلَمِ النَّاسِخِ أَوْ تُحْرِيفُ؛ فَالنَّصِيرِيَّةُ فِرْقَةٌ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ، وَيَذُلُّ عَلَى التَّحْرِيفِ إِنَّهَا جَاءَتْ فِي سِيَاقِ أَلْفَاظِ الْمَدْحِ وَتَقَارُهَا وَنَسَبُهُ بِأَنَّهُ كَانَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ مُتَدَيِّنًا، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ التَّحْرِيفُ فَلَا مُنْدُوحَةٌ مِنَ التَّنَاقُضِ، وَقَدْ اسْتَدَلَّ صَاحِبُ الْبَابِلِيَّاتِ بِأَنَّهُ لَيْسَ (نَصِيرِيًّا) بِقَوْلِهِ: «لَوْ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنَ النَّصِيرِيَّةِ مَا ذَكَرَهُ عَلَمَاؤُنَا فِي كُتُبِ الرَّجَالِ وَأَطْرَوْهُ بِالْإِكْبَارِ وَالْإِجْلَالِ»^(٣)، وَهَذَا الْقَوْلُ صَحِيحٌ صَرِيحٌ وَأَزِيدُ عَلَى مَا قَالَهُ إِنَّ الرَّجُلَ نَشَأَ فِي الْحِلَّةِ الَّتِي أُنْشِئَتْ عَلَى التَّشْيِيعِ، وَاسْتَقَى عُلُومَهُ وَمَعَارِفَهُ مِنْ يَنَابِيعِهَا الْعَدِيدَةِ، وَتَخَرَّجَ عَلَى عُلَمَائِهَا، وَلَيْسَ لِلنَّصِيرِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ مَقِيلٌ.

وَالسَّكُونِيُّ نَسَبُهُ إِلَى السَّكُونِ^(٤) اسْمٌ لِقَبِيلَةٍ يَمَنِيَّةٍ، وَقَدْ تَرَجَّمَهُ صَاحِبُ كِتَابِ (الْكُنَى وَالْأَلْقَابِ)؛ فَقَالَ عَنْهُ إِنَّهُ: «أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْحَلِيِّ الْعَالِمُ الْفَاضِلُ، الْعَابِدُ الْوَرَعُ، النَّحْوِيُّ اللَّغْوِيُّ، الشَّاعِرُ الْفَقِيهُ، مِنْ ثِقَاتِ عَلَمَائِنَا الْإِمَامِيَّةِ، ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي الطَّبَقَاتِ وَمَدَحَهُ مَدْحًا بَلِيغًا، وَكَانَ رحمته الله حَسَنَ الْفَهْمِ جَيِّدَ الضَّبْطِ، حَرِيصًا عَلَى تَصْحِيحِ الْكُتُبِ، كَانَ مُعَاصِرًا لَعَمِيدِ الرُّؤَسَاءِ، رَاوِي الصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ عَلَى

(١) ذيل تاريخ بغداد: ٤/ ٦٠-٦١.

(٢) النصيرية، ويقال لهم: الأنصارية والعلوية، وهم من الغلاة أصحاب محمد بن نصير النميري، يقول: الرب هو علي بن محمد العسكري عليه السلام، وهو نبي من قبيله وقال المامقاني: إن المعروف عند الشيعة عوامهم وأكثر خواصهم لاسيما شعرائهم إطلاق النصيري على من قال بربوبيته علي عليه السلام. يُنظر: رجال الكشي: ٥٢٠، مقباس الهداية ملحق تنقيح المقال: ٨٦/٣، المقالات والفرق: ١٠٠، الفرق الإسلامية: ٥٠٣.

(٣) البابليات: ٤/ ٢٥١-٢٥٣.

(٤) وهو بطن من كنده، وهو السكون بن أشرس بن ثور. يُنظر: اللباب: ١/ ١٢٥.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحِلَّةِ

مُنْشِئُهَا آلُفُ السَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ، هُوَ ابْنُ السَّكُونِ تُوُفِّيَ فِي حُدُودِ سَنَةِ ٦٠٦ هـ^(١).

وَهَذَا كُلُّ مَا تَطَرَّقَ إِلَيْهِ صَاحِبُ (الْكُنَى وَالْأَلْقَابِ) مِنْ تَرْجُمَتِهِ؛ وَلَكِنَّا لَا نَعْجُزُ عَنْ رَسْمِ هَذِهِ الصُّورَةِ بِطَرِيقَةِ الِاسْتِتْجَاعِ؛ فَتَعْرِفُ أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا غَزِيرَ الْمَادَّةِ مِنْ كَثَرَةِ كُتُبِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهَا، وَنَعْلَمُ شَجَاعَتَهُ وَذَكَاءَهُ بِتَوْصُلِهِ لِلْكِتَابَةِ عَنْ أَمِيرِ مَكَّةَ، وَهُوَ رَجُلٌ غَرِيبٌ لَا أَهْلَ لَهُ هُنَاكَ، وَلَا عَشِيرَةَ؛ وَأَمَّا حُسْنُ دِيَانَتِهِ فَمِنْ مَنْحَى مُؤَلَّفَاتِهِ وَإِجْمَاعِ النَّاسِ حَتَّى الَّذِي يُجَالِفُونَهُ فِي الْعَقِيدَةِ.

٢٨. ابْنُ بَطْرِيْقٍ (ت ٦٤٢ هـ)^(٢)

الدِّينُ وَالْعَقْلُ، الْأَدَبُ وَالْعِلْمُ، الرَّأْيُ وَالْبَصِيرَةُ، الْأَخْلَاقُ وَالتَّوَاضُّعُ، السَّخَاءُ وَالْوَفَاءُ؛ هَذِهِ وَكَثِيرٌ غَيْرُهَا مِمَّا امْتَنَزَرَ بِهِ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ [عَلِيٌّ بْنُ] ^(٣) يَحْيَى بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَطْرِيْقِ الَّذِي كَانَ الْجَوْهَرَةَ الثَّمِينَةَ فِي تَاجِ الْقُرْنِ السَّابِعِ، وَدُرَّةَ فَرِيدَةٍ مِنْ عَقْدِ عُلَمَاءِ الْحِلَّةِ فِي ذَلِكَ الْقُرْنِ الَّذِي شَابَتْ فِيهِ الدُّوَلُ الْعَبَّاسِيَّةُ وَآلُ

(١) الكنى والألقاب: ١/ ٣١٤.

(٢) تُنْظَرُ تَرْجُمَتُهُ فِي: الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ: ٢٢-٣٠٩ الرِّقْمُ ٢٢٥، فَوَاتُ الْوَفَايَاتِ: ٣/ ١١٢ الرِّقْمُ ٣٦٧، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ: ١٣/ ١٧٥، طَبَقَاتُ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ: ٣/ ١١٨، مُوسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٧/ ١٨٣-١٨٤، وَثَمَّةٌ مِنْ يَكْنَى هَذِهِ التَّكْنِيَةِ، وَلَكِنْ لَيْسَ ابْنُ الْبَطْرِيْقِ الْمَتَوَقَّى ٦٤٢ هـ، وَهُوَ وَالِدُهُ يَحْيَى الْمَتَوَقَّى ٦٠٠ هـ. تُنْظَرُ تَرْجُمَتُهُ: لِسَانُ الْمِيزَانِ: ٦/ ٢٤٧، أَمَلُ الْأَمَلِ: ٢/ ٣٤٥ الرِّقْمُ ١٠٦٧، رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ: ٥/ ٣٥٤، رَوْضَاتُ الْجَنَّاتِ: ٨/ ١٩٦، هَدْيَةُ الْعَارَفِينَ: ٢/ ٥٢٣، إِبْضَاحُ الْمَكْنُونِ: ١/ ٢٩٣، ٤٣١، ٥٥٤-٢١، ١٢١-٢، أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ١٠/ ٢٨٩، تَأْسِيسُ الشَّيْعَةِ: ١٣٠، الذَّرِيعَةُ: ١/ ٨٣، طَبَقَاتُ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ: ٢/ ٣٣٧، مَعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ: ٢٠/ ٤٢ الرِّقْمُ ١٣٤٧٨، الْأَعْلَامُ: ٨/ ١٤١، مَعْجَمُ الْمُؤَلَّفِينَ: ١٣/ ١٩٠، مُوسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٦/ ٣٤٦-٣٤٧.

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ زِيَادَةٌ مِمَّا اقْتَضَاهَا السِّيَاقُ؛ لِأَنَّ التَّرْجُمَةَ خُصِّصَتْ لِلْوَلَدِ لَا لِلْوَالِدِ، وَسِيَّاتِي ذِكْرُ وَالِدِهِ (يَحْيَى) فِي هَذِهِ التَّرْجُمَةِ.

القرن السابع الهجري

أمرها أن تكون أشبه بالكرة تتلاعب بمقدراتها أيدي السلاجقة في الشرق^(١)، والدولة الأيوبية الكردية في مصر والشام^(٢)، وتلهو بها أيدي البربر في المغرب.

القرن الذي اغتنم فيه (الصليبيون) ضعف الأمة العربية وتفككها فغزوها من ناحية المغرب ولطمها المغول على وجهها لطمه دامية من المشرق بقيادة رسول الدمار والهلاك (هولاكو خان)؛ فأخذ آخر أنفاس تلك الدولة الهرمة خائرة القوة ضعيفة الكيان، وسنة الله في خلقه أن لا يعيش إلا القوي الصالح، ولا يبقى إلا النافع المفيد ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٣).

وفي وسط لجج صاحبة من الاضطرابات السياسية أثناء فترة الحكم المغولي قامت دولة القلم على أنقاض دولة السيف، فكانت الحركة العلمية على أشدها والنهضة الأدبية ثواب سيرها، وتسير معها في طريق البقعة جنباً إلى جنب؛ والله خرق العادات؛ فقد ازدهرت الحركة الثقافية ازدهاراً عجباً مذهباً قبل الحكم التتاري وأثنائه، وبعده في ربوع الحلة الفيحاء؛ فأخرجت هذه الفترة من علماء الإمامية وأدبائها ومفكرينها باقات من الزهر والندى الفواح عطرت بأريجها الجو الفكري عده قرون منذ إنباتها في رياض الحلة إلى هذه الساعة، وإلى يوم يُعْثُونَ، أمثال ابن الباقلي، وعفيف الدين بن عقيل التاجر، وإسماعيل بن معية الحسني، وأبي^(٤) الوفاء راجح الأسدي، وعلي بن أسامة العلوي، وأبناء طاووس، والنجيب جعفر بن معية، وجمال الدين بن

(١) لمعلومات وافية حول هذا الموضوع ينظر: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مصدر سابق.

(٢) للمزيد ينظر: الخفاجي، في كتابه: الأزهر في ألف عام: ٥٨/١ فما بعدها، وتاريخ سوريا ولبنان وفلسطين: فيليب حتي: ٢/٢٦٧، مع العلم أنها تأسست سنة ٥٦٤هـ.

(٣) الرعد: ١٧، ومن هذه الآية الكريمة اختلست فلاسفة أوربا نظرية تنازع البقاء وبقاء الأصلح. (المؤلف).

(٤) في الأصل المطبوع (أبو).

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِرِيِّ فِي الْحِلَّةِ

مَنِيحٌ، وَأَبِي^(١) الْفَضْلُ الْبَزَازُ، وَمُهَذَّبُ الدِّينِ الْحَيْمِيُّ، وَأَبِي^(٢) الْقَاسِمِ الْمُحَقِّقُ، وَنَجْمُ الدِّينِ ابْنُ نَمَا، وَابْنُ الدَّرَبِيِّ، وَابْنُ وَشَّاحِ الشَّيْبَانِيِّ، وَالْحَاسِبُ، وَصَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ، وَمَثَاتُ أَمْثَالِهِمْ كَمَا نَبَغَ فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ أَمْثَالُ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ دَاوُدَ، وَالشُّفْهَيْنِيِّ، وَالصَّفِيِّ، وَكَثِيرٌ مِنْ أَصْرَائِهِمْ وَالْمُتَرْجِمُ لَهُ مِنْ أَوْلِيكَ الْأَجَادِ الْكَرَامِ وَالْجَهَابِذَةِ الْعِظَامِ الَّذِينَ يَفْتَخِرُونَ بِهِمْ وَيَبْنُوغُهُمُ الْقَرْنُ السَّابِعُ وَيَعْتَزُّ بِأَثَارِهِمْ وَيَخْصِبُهُمُ الْفِكْرِيُّ.

وَهَذَا الرَّجُلُ النَّبِيُّ لَهُ مَكَانَةٌ رَفِيعَةٌ فِي مُجْتَمَعِهِ نَهَجَ نَهَجَ أَبِيهِ الْجَلِيلِ شَمْسِ الدِّينِ يَحْيَى بْنِ الْحَسَنِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٠٠ هـ^(٣) مُؤَلَّفَ كِتَابِ تَارِيخِ ابْنِ بَطْرِيْقٍ وَكِتَابِ الْعُمْدَةِ، وَالْمَنَاقِبِ، وَتَصَفُّحِ الصَّحِيحَيْنِ فِي تَحْلِيلِ الْمُتَعَتِّينِ، وَالرَّدُّ عَلَى أَهْلِ النَّظَرِ فِي تَصَفُّحِ أَدِلَّةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَنَهْجِ الْعُلُومِ إِلَى نَفْيِ الْمَعْدُومِ؛ الْمَعْرُوفِ بِسُؤَالِ أَهْلِ حَلَبَ، وَخَصَائِصِ الْوَصِيِّ وَغَيْرِهَا^(٤).

وَكَانَ وَلَدَاهُ النَّيْلَانِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، وَالْمُتَرْجِمُ لَهُ مِنْ أَشْهَرِ أَعْلَامِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْكَرِيمَةِ. أَصْلُهَا مِنْ قَبِيلَةِ بَنِي أَسَدٍ وَقَدْ دَاعَى صَيْتُ صَاحِبِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ وَأُسْرَتِهِ حَتَّى ذَكَرَهُ مُصَنِّفُ كِتَابِ (إِنْسَانُ الْعُيُونِ فِي مَشَاهِيرِ سَادِسِ الْقُرُونِ)؛ فَقَالَ: «وَيَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ؛ وَيَعْرِفُ بِالْبَطْرِيْقِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنِ ثَابِتِ الْأَسَدِيِّ مِنْ أَهْلِ الْحِلَّةِ الْمَزِيدِيَّةِ قَرَأَ بِالرَّوَايَاتِ عَلَى أَبِي الْغَنَائِمِ ابْنِ الْحَلَّابَةِ، وَقَرَأَ الْفِقْهَ وَالْكَلَامَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ وَبَرَعَ فِيهِ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْحِمَاصِي الرَّازِي

(١) فِي الْأَصْلِ الْمَطْبُوعِ (أَبُو).

(٢) فِي الْأَصْلِ الْمَطْبُوعِ (أَبُو).

(٣) تُنْظَرُ تَرْجُمَتُهُ: لِسَانُ الْمِيزَانِ: ٦/ ٢٤٧، أَمَلُ الْأَمَلِ: ٢/ ٣٤٥، الرِّقْمُ ١٠٦٧، رِیَاضُ الْعُلَمَاءِ: ٣٥٤/ ٥، رِوَاضَاتُ الْجَنَّاتِ: ٨/ ١٩٦، هُدْيَةُ الْعَارِفِينَ: ٢/ ٥٢٣، إِیْضَاحُ الْمَكْنُونِ: ١/ ٢٩٣، ٤٣١، ٥٥٤-٢١، ١٢١-٢، أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ١٠/ ٢٨٩، الْأَعْلَامُ: ٨/ ١٤١، مَعْجَمُ الْمُؤَلَّفِينَ: ١٣/ ١٩٠، مَوْسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٦/ ٣٤٦-٣٤٧.

(٤) يُنْظَرُ: مَوْسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٦/ ٣٤٦-٣٤٧.

القرن السابع الهجري

أُصُولُ الْفِقْهِ وَالْكَلَامِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ وَأَحْكَامِهَا، وَقَرَأَ النَّحْوَ وَاللُّغَةَ وَسَكَنَ
وَاسِطَ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ، وَكَانَتْ إِلَيْهِ الْفَتَوَى فِي مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ، وَلَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ وَخُطَبٌ،
وَكَانَ يَتَزَهَّدُ وَيَتَنَسَّكُ، وَجَمَعَ مَنَاقِبَ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَرَوَاهَا ^(١) الْخ...
وَمِنْ لَهْجَةٍ مُؤَلَّفِ كِتَابِ (إِنْسَانُ الْعُيُونِ) يَتَضَحُّ أَنَّهُ مِنْ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ،
وَقَدْ عَلِمْتُ مِنْهُ حَالُ يَحْيَى بْنِ الْحَسَنِ وَالِدِ الْمُتَرْجِمِ لَهُ، وَجَلَالَةُ قَدْرِهِ؛ فَلَا عَجَبَ
أَنْ يَرِثَ مِنْهُ ابْنُهُ (عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى) تِلْكَ الْخَصَائِصَ، وَالْمَوَاهِبَ وَالْقَابِلِيَّاتِ، وَلِسَانُ حَالِهِ
يَقُولُ:

نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعَلْ مِثْلَمَا فَعَلُوا
وَفِي كِتَابِ (الْكُنَى وَالْأَلْقَابِ) فِي تَرْجَمَةِ صَاحِبِ الْعُمْدَةِ، قَالَ عَنْهُ إِنَّهُ: «كَانَ
عَالِمًا فَاضِلًا، مُحَدِّثًا، ثِقَةً، صَدُوقًا» إِلَى أَنْ قَالَ عَنْهُ: «يُرْوَى عَنْهُ السَّيِّدُ فَخَارُ بْنُ مَعَدٍّ،
وَيُرْوَى الشَّهِيدُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ الْمَشْهَدِيِّ عَنْهُ؛ وَذَكَرَ أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ جَعْفَرٍ قَرَأَ
كُتُبَهُ عَلَيْهِ» ^(٢)، نَقَلَ ذَلِكَ عَنْ كِتَابِ (أَمَلُ الْأَمَلِ) ^(٣)، وَلِلْمُتَرْجِمِ لَهُ بَاعٌ طَوِيلٌ فِي الْعِلْمِ
وَمَعْرِفَةِ جَيِّدَةِ فِي الْأَدَبِ، وَكَانَ صَدِيقًا لِعَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ شَارِحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام الَّذِي اعْتَنَى بِجَمْعِهِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ الْمُوسَوِيِّ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي
الْحَدِيدِ الْمَذْكُورُ اسْتِطْرَادًا فِي كِتَابِهِ (شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ) ^(٤).

(١) يُنْظَرُ: إِنْسَانُ الْعُيُونِ فِي مَشَاهِيرِ سَادِسِ الْقُرُونِ: ١٤٨ وما بعدها.

(٢) الْكُنَى وَالْأَلْقَابِ: ٢٢٧/١.

(٣) يُنْظَرُ: أَمَلُ الْأَمَلِ: ٣٤٥/٢.

(٤) وَهُوَ فِي ٦٣/١٤ مِنْ شَرْحِ النَّهْجِ، قَوْلُهُ: «قُلْتُ كَانَ صَدِيقَنَا عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْبَطْرِيْقِ عليه السلام، يَقُولُ:
لَوْلَا خَاصَّةُ النَّبَوَّةِ وَسَرَّهَا لَمَا كَانَ مِثْلُ أَبِي طَالِبٍ - وَهُوَ شَيْخٌ قَرِيشٍ وَرَأْسُهَا وَذُو شَرَفِهَا - يَمْدَحُ
ابْنَ أَخِيهِ مُحَمَّدًا، وَهُوَ شَابَقٌ قَدِ رُبِّيَ فِي حَجَرِهِ وَهُوَ يَتِيمُهُ وَمَكْفُولُهُ، وَجَارُ مَجْرَى أَوْلَادِهِ». وَفِي
٦٣/٢٠ «وَسَأَلَنِي صَدِيقُنَا عَلِيُّ بْنُ الْبَطْرِيْقِ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَقَالَ: مَا بَالُهُ عَفَا عَنِ الْخَارِجِيِّ وَقَدْ
طَعَنَ فِيهِ بِالْكَفْرِ، وَأَنْكَرَ عَلَى الْأَشْعَثِ قَوْلَهُ...».

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلِيقَةِ

وَلِصَاحِبِ التَّرْجَمَةِ شَعْرٌ قَدْ تَحَامَلَ فِيهِ عَلَى بَعْضِ الْعَرَبِ، وَمَدَحَ الْأَثْرَاكَ، وَكَانَ
يُودِنَا أَنَّهُ مَا فَعَلَ ذَلِكَ؛ وَلَعَلَّ طُرُوفَهُ الْخَاصَّةُ الْآيَةُ هِيَ الَّتِي اضْطَرَّتْهُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَمَّا
الشَّعْرُ فَهُوَ قَوْلُهُ:

أَلَيْسَ مِنْهُمْ إِذَا عُدُّوا أَبُو لَهَبٍ؟	الْكُفْرُ فِي التَّرْكِ دُونَ الْكُفْرِ فِي الْعَرَبِ
عَدُوَّةُ الْمُصْطَفَى حَمَالَةُ الْحَطَبِ؟	أَلَيْسَ مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ وَيَتَّبِعُهُمُ
لَهُ الْمَدَائِحُ يَا ابْنَ السَّادَةِ النَّجْبِ	فَيَا إِمَامَ الْهُدَى يَا خَيْرَ مَنْ نُظِمَتْ
حَضَرَتْ، وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ يَغِبْ	يَا أَيُّهَا الْقَائِمُ الْمَنْظُورُ أَنْتَ إِذَا
مِنْهُمْ، وَلَا تَرَعَ فِيهِمْ حُرْمَةُ النَّسَبِ	فَاعَزُ الْأَعَارِبِ بِالْأَثْرَاكِ مُتَّعِمًا
اللَّهُ الْمَنِيْعُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَهُوَ نَبِي	فَقَدْ غَزَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ فِي حَرَمِ
وَلَمْ يَقُلْ إِنَّ أُمِّي مِنْهُمْ وَأَبِي	وَمَا رَعَى فِيهِمْ إِلَّا وَلَا نَسَبًا
تَدُّوا بِمَنْعِهِمْ لِلْحَجِّ عَنْ كَثَبٍ ^(١)	إِنْ أَدْعُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا فَقَدْ ارْ

وَهَذَا الشَّعْرُ كَمَا يَظْهَرُ أَنَّهُ شَعْرٌ مَوْثُورٌ نَائِرٌ؛ قَدْ قِيلَ فِي وَاقِعَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَفِي قَوْمٍ مِنَ
الْأَعَارِبِ مُعَيَّنِينَ، وَلَيْسَ يُرِيدُ الشَّاعِرُ انْتِهَاكَ حُرْمَةِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَا سَلَّ سُيُوفِ
التَّرْكِ عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ مُوَهِّمًا ذَلِكَ، وَمُشْعِرًا إِيَّاهُ؛ فَقَدْ بَيَّنَّ الشَّاعِرُ سَبَبَ
ثَوْرَتِهِ هَذِهِ، وَهُوَ ارْتِدَادُهُمْ؛ لِمَنْعِهِمْ حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ مِنْ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ، ذَلِكَ
الْمَنْعُ الَّذِي أَثَارَ حَفِيزَةَ الشَّاعِرِ - كُمُسْلِمٍ - ثَوْرَةً عَارِمَةً دَعَتْهُ إِلَى تَحْرِيطِ (الْمُسْتَنْصِرِ)
الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ عَلَى قِتَالِ تِلْكَ الطُّغْمَةِ الَّتِي عَاثَتْ بِالْأَمْنِ فَسَادًا، وَمَنْعَتِ النَّاسَ مِنْ أَدَاءِ
فَرِيضَةِ الْحَجِّ جَزَاءً عَلَى تَمَرُّدِهَا وَبَغْيِهَا حَمَلَةً تَأْدِيبِيَّةً تَضَعُ حَدًّا لِهَوَسِ هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ
مِنْ أَجْلَافِ عَرَبٍ نَجَدَ الَّذِينَ لَا زَالُوا حَتَّى الْيَوْمِ دَائِبِينَ عَلَى مُحَارَبَةِ الْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ،
وَبُغْضِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَمَحْوِ أَثَارِهِمْ، وَهَدْمِ قُبُورِهِمْ الْمُقَدَّسَةِ كَمَا يَفْعَلُ الْخَوَارِجُ تَمَامًا فِي

(١) ذكر هذه الآيات الأمين في مستدركات أعيان الشيعة: ٢٥٤ / ١.

القرن السابع الهجري

تَبَنَّى الْبِدْعَ بِاسْمِ مُحَارَبَةِ الْبِدْعِ وَالْخُرُوجَ عَنِ الْإِسْلَامِ بِاسْمِ الْإِنْصِوَاءِ تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ؛ وَقَدْ أَطْلَقَ الشَّاعِرُ لَفْظَ (الْعَرَبِ) وَهُوَ يُرِيدُ طَائِفَةً خَاصَّةً مِنْهُمْ، وَهَذَا الْأَسْلُوبُ مِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ ^(١) وَأَسْرَارِ لُغَتِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ بِلَفْظٍ عَامٍّ، وَيَقْصِدُونَ بِهِ مَعْنَى خَاصًّا كَقَوْلِهِمْ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) وَهُمْ يُرِيدُونَ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ، وَقَدْ لَا يَتَجَاوَزُ عَدْدُهُمُ الْعَشْرِينَ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ ^(٢)؛ وَالْمُرَادُ بِهِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَهُوَ مَسْجِدٌ وَاحِدٌ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ^(٣)؛ وَالْمُرَادُ بِهِ شَخْصٌ وَاحِدٌ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

هَزُوا مَعَاطِفَهُمْ وَهَنَ رِمَاحُ وَنَضَوْا لَوَاحِظَكُمُ وَهَنَ صَفَاحُ ^(٤)
وَهُوَ يُرِيدُ مَحْبُوبًا وَاحِدًا تَغَزَلَ بِهِ وَأَحَبَّهُ، وَلَوْ بِصُورَةِ الْحَيَالِ الشُّعْرِيِّ، وَكَذَلِكَ صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ أَطْلَقَ لَفْظَ (الْعَرَبِ)، وَأَرَادَ بَعْضَهُمْ مِنْ أَوْشَابِ النَّاسِ، وَأَوْبَاشِهِمُ الْمُغِيرِينَ عَلَى الْحُجَّاجِ، وَلَكَ أَنْ تَقُولَ عَلَى سَبِيلِ الْإِعْتِرَاضِ مَا شَأْنُ أَعْرَابٍ نَجْدٍ بِأَيِّ جَهْلٍ وَأَيِّ لَهَبٍ، وَحِمَالَةِ الْحَطَبِ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ كَافَّةَ الْعَرَبِ؛ وَهَذَا جَاءَ بِهَوْلٍ لِلتَّذْلِيلِ، وَفِي حَالَةٍ مُفَاصَلَةٍ بَيْنَ أُمَّةِ التُّرْكِ وَأُمَّةِ الْعَرَبِ، وَلَنَا أَنْ نُجِيبَ بِأَنَّ ذَلِكَ مُنْعَوٌّ لِتَنَافِيهِ وَحَقِيقَةٌ الْحَالِ؛ فَالْحَلِيفَةُ الْمُسْتَشَارُ مِنَ الْعَرَبِ وَالشَّاعِرُ نَفْسُهُ مِنَ الْعَرَبِ وَاسْتِنْجَادُ الشَّاعِرِ بِالْحَلِيفَةِ يَنْفِي عَقْلًا أَنْ يَتَمَهَّدَ هَذَا الْاسْتِنْجَادَ بِذِمِّ قَوْمٍ مَنْ يَطْلُبُ مَعُونَتَهُ وَنُصْرَتَهُ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ الْعَرَبِيَّ أَنْ أَعْرَابَ نَجْدٍ وَإِنْ كَانُوا مِنَ الْعَرَبِ وَلَكِنَّهُمْ أَغْرَبُ عَنِ الْإِسْلَامِ

(١) يُنْظَرُ كِتَابُ: الصَّاحِبِيُّ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ مِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ وَكَلَامِهَا، لِابْنِ فَارِسٍ، ذَكَرَ جَمِيعَ سُنَنِ الْعَرَبِ، وَمِنْهَا هَذِهِ السَّنَةُ.

(٢) التَّوْبَةُ: ١٧.

(٣) الْمَائِدَةُ: ٥٥.

(٤) الْبَيْتُ هَذَا مِنْ قَصِيدَةِ لِلْسَيِّدِ جَعْفَرِ الْحَلِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣١٥ هـ.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

الصَّحِيحُ، وَهُمْ وَإِنْ كَانُوا مِنَ الْعَرَبِ فَلَيْسَ لِكُلِّ الْعَرَبِ حُرْمَةُ النَّسَبِ، وَلَا وَرَدَ الشَّاعِرُ
أَدِلَّةً عَلَى هَذَا الْقَوْلِ كَأَبِي هَبٍ وَأَبِي جَهْلٍ، وَحَمَّالَةُ الْحَطَبِ عَلَى وَجْهِ الْبُرْهَانِ؛ وَلِهَذَا قَالَ
الشَّاعِرُ - لَا تَرَعَ فِيهِمْ حُرْمَةُ النَّسَبِ - وَإِلَّا أَيُّ حُرْمَةِ نَسَبٍ بَيْنَ الْمُسْتَنْصِرِ الْعَبَّاسِيِّ
وَأَعْرَابٍ نَجْدٍ؟.

الْحَمْلَةُ الصَّلِيبِيَّةُ^(١)

كَانَ الْعُدَوَانُ الصَّلِيبِيُّ الْغَادِرُ عَلَى الْأَفْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِمَثَابَةِ حَرَكَةِ اسْتِكْشَافٍ
لِقُوَّةِ هَذِهِ الْأَفْطَارِ الْحَرْبِيَّةِ؛ وَقَدْ خَرَجَ الْإِسْلَامُ مِنْ هَذَا الْاِخْتِبَارِ الصَّلِيبِيِّ مَرْفُوعَ
الرَّأْسِ مُكَلَّلًا بِالنَّجَاحِ مَوْفُورَ الْكَرَامَةِ، عَرِيضَ الْجَاهِ، وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ الْمُؤَسَّفَ هُوَ
ذَلِكَ التَّبَايُنُ الْكَبِيرُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَبِمَقْدَارِ مَا يَحْمِلُهُ الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ مِنَ
القُوَّةِ وَالْمَنْعَةِ تَجَدَّدَ ضَعْفُ الْمُسْلِمِينَ وَتَفَكُّكِهِمْ؛ فَضَعْفٌ فِي الْعَقِيدَةِ، وَضَعْفٌ فِي الْخُلُقِ
الاجْتِمَاعِيِّ، وَضَعْفٌ فِي وَحْدَةِ الصَّفِّ، وَضَعْفٌ فِي الْحَيَاةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَضَعْفٌ فِي كُلِّ
خِصْلَةٍ حَمِيدَةٍ مِنْ صِفَاتِهِمْ، وَهُنَا تَكْمُنُ الْمُعْجِزَةُ وَهُنَا تَكُونُ الْأَعْجُوبَةُ؛ فَقَدْ فَارَقَ
الصَّلِيبِيُّونَ الْغَزَاةَ بِلَادَ الْإِسْلَامِ، وَهُمْ فِي شِبْهِ دَوَامَةٍ مِنْ تَبَلُّلِ عَقِيدَتِهِمُ الدِّينِيَّةِ عِنْدَ
اصْطِدَامِهَا بِشَرَفِ مَبَادِي الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَلَمْ تَقِفْ عَقِيدَةُ التَّثَلُّثِ الْوُثْنِيَّةُ أَمَامَ عَقِيدَةِ
التَّوْحِيدِ وَتَعَرَّضَتْ إِلَى امْتِحَانٍ عَنِيفٍ؛ بَلْ إِلَى مَخْنَةِ كَبِيرَةٍ حِينَمَا أَصْبَحَتْ مَوْضِعًا لِلشَّكِّ
فِي صَحَّتِهَا عِنْدَ الْبَعْضِ، وَأَنْمَحَتْ تَمَامًا مِنْ نُفُوسِ الْآخَرِينَ مِنْ عُقْلَاءِ رِجَالِ الْحَمْلَةِ
الصَّلِيبِيَّةِ وَالْمُنْصِفِينَ مِنْهُمْ، وَمَاذَا تَنْتَظِرُ لِلظَّلَامِ إِذَا اصْطَدَمَ بِضِيَاءِ النَّهَارِ؟.

(١) يشير المؤرخون إلى أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس في ١٥ يوليو ١٠٩٩م الموافق ٣
رمضان ٤٩٣هـ، ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم حتى سبحت الخيل إلى صدورهم في الدماء،
وفي أنطاكية قتلوا في الطريق أكثر من مائة ألف مسلم. راجع: حاضر العالم الإسلامي، وراجع
كذلك: جوستاف لوبون في كتابه: حضارة العرب. أقول: كتبت هذا؛ لأنني حين وصلت هذه
الأسطر وعثوري على هذه المعلومة وافق هذه الذكرى، الثالث من رمضان.

القرن السابع الهجري

وَمَا هِيَ حَالُهُ الْقَشَّ أَمَامَ قُوَّةِ الْعَاصِفَةِ؟ وَلَعَلِّي لَا أَعْدُو الْحَقَّ إِذَا قُلْتُ: إِنَّ تِلْكَ الْحَمْلَةَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْمُبَاشِرَةِ إِلَى دَعْوَةِ (لُوثَر) ^(١) الْإِصْلَاحِيَّةِ، وَالْمُشْجَعَةِ لِلْآخِرِينَ عَلَى انْتِقَادِ الْمَسِيحِيَّةِ، وَصَلَاحِيَّتِهَا كَدِينِ سَمَاوِيٍّ سَلِيمٍ، وَبِأَمْثَالِ هَذِهِ الْأَرَاءِ وَالشُّكُوكِ تَطَايَحَتْ شُرَفَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْوَاجِهَاتِ الْأَمَامِيَّةِ مِنْ مَذْهَبِ (الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ) ^(٢)، وَمِنْ هَذِهِ الشُّرَفَاتِ الْمُزَخْرَفَةِ الْمُنَارَةِ الْقَوْلَ بِعِصْمَةِ (البَابَا)، فَقَدْ حَارَبَهَا بَعْضُهُمْ بِشِدَّةٍ؛ فَضَوِّقَتْ مَسَاحَةً هَيْبَةً (البَابَا) وَأَفْقَدَتْهُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ مِنْ سُلْطَانِهِ وَنُفُوذِهِ التَّعَسُفِيِّ الْمُطْلَقِ، وَنَزَعَتْ عَنْهُ هَذِهِ الشُّكُوكُ وَالْآرَاءُ الْجَدِيدَةُ أَثْمَنَ ثَوْبٍ نَسَجَتْهُ لَهُ الْخُرَافَةُ عَلَى مَنَوَالِ السُّلْطَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ رَدْحًا مِنَ الزَّمَنِ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْاِخْتِكَافُ بِالْإِسْلَامِ مُسِيئًا إِلَى الْبَابَوِيَّةِ فَإِنَّهُ قَدْ أَحْسَنَ إِحْسَانًا مُنْقَطِعَ النَّظِيرِ إِلَى الْغَرِيبِينَ حِينَ فَتَحَ عُيُونَهُمْ عَلَى نُورِ الْإِسْلَامِ وَحُرِّيَّتِهِ الَّتِي أَعْطَاهَا لِمُعْتَقِيهِ بَيْنَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْحَرِيَّةُ فِي الْعَرَبِ سَجِينَةً التَّقَالِيدِ الْبَالِيَةِ؛ وَبِذَلِكَ انْطَلَقَتْ عُقُولُ هَؤُلَاءِ مِنْ أَسْرِ الْأَوْهَامِ إِلَى حُرِّيَّةِ التَّفْكِيرِ، وَحُرِّيَّةِ النِّقْدِ، وَحُرِّيَّةِ الضَّمِيرِ؛ فَكَانَتْ هَذِهِ الْحَرِيَّةُ الْخُطْوَةُ

(١) مارتن لوثر (١٠ نوفمبر ١٤٨٣م - ١٨ فبراير ١٥٤٦م): راهب ألماني، وقسيس، وأستاذ اللاهوت، ومُطَلِّق عصر الإصلاح في أوروبا، بعد اعتراضه على صكوك الغفران. نشر في عام ١٥١٧م رسالته الشهيرة المؤلفة من خمس وتسعين نقطة تتعلق أغلبها بلاهوت التحرير وسلطة البابا في الحل من (العقاب الزمني للخطيئة)؛ رفضه التراجع عن نقاطه الخمس والتسعين بناءً على طلب البابا ليون العاشر عام ١٥٢٠م، وطلب الإمبراطورية الرومانية ممثلة بالإمبراطور شارل الخامس، أدَّى به للنفي والحرم الكنسي وإدانته مع كتاباته بوصفها مهرطقة كنسيًا وخارجة عن القوانين المرعية في الإمبراطورية. يُنظر: الفلاح السكسوني مارتن لوثر وبدعة صكوك الغفران، مجلة ديوان العرب، يونيو ٢٠٠٩م، الموسوعة الحرة (مارتن لوثر)، وقد استشهد به السيد محمد باقر الصدر في كتابه اقتصادنا: ١٢٠، والشيخ السبحاني في الإلهيات: ٣٦٨.

(٢) يقول الشيخ السبحاني في الإلهيات: ٣٦٨ «إنَّ تقادم الزمن رسخ موضوع التثليث وعمقه في قلوب النصارى وعقولهم، بحيث لم يستطع أكبر مصلح مسيحي - أعني لوثر - الذي هدَّب العقائد المسيحية من كثير من الأساطير والخرافات، وأسس المذهب البروتستاني، أن يُبعد مذهبه عن هذه الخرافة».

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

الأُولَى بِمَجَالَاتِ الانْطِلَاقِ الْعِلْمِيِّ فِي طَرِيقِ جَدِيدِ سَلِيمٍ مَتِينِ الْمُقَوِّمَاتِ الدَّائِيَّةِ، مِنْ تَجْرِبَةٍ وَدَقَّةٍ، وَمُلاحَظَةٍ دَفَعَتْ بِالمُجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ الرَّاقِدِ إِلَى حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ لَا جُودَ فِيهَا وَلَا أَغْلَالَ وَلَا قُيُودَ، أَوْ عَلَى الْأَقْلِّ كَانَ فِيهَا تَقْلِيصٌ مَلْحُوظٌ لِدَائِرَةِ ذَلِكَ الْجُمُودِ وَقَطَعَ حَلَقَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ سِلْسِلَةٍ تِلْكَ الْقُيُودِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَاثْبَتَ الْإِسْلَامَ كَفَاءَتَهُ وَصَلَاحِيَّتَهُ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ دِينَ اللَّهِ الْخَالِدِ الَّذِي يُسَايِرُ الْعِلْمَ فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاكِحِ الوجودِ، وَفِي كُلِّ دَوْرٍ مِنْ أَدْوَارِ الْحَيَاةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ بِمَا أَوْدَعَ اللَّهُ بِهِ مِنْ عَنَاصِرِ الْخُلُودِ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

فَلِلْإِسْلَامِ فَضَائِلُهُ وَمُمَيِّزَاتُهُ وَشَخْصِيَّتُهُ، فَدَحَارَبَ الرِّقَّ؛ فَقَالَ: (كُونُوا أحرَارًا فِي دُنْيَاكُمْ)^(١).

وَحَارَبَ الْجَهْلَ؛ فَقَالَ: (اطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وَسَاوَى بَيْنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ؛ فَقَالَ: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ).

وَحَارَبَ الْقَذَارَةَ فَقَالَ: (النَّظَافَةُ مِنَ الْإِيمَانِ).

وَحَارَبَ الشُّعُوبِيَّةَ وَالْعُنْصَرِيَّةَ؛ فَقَالَ: (كُلُّكُمْ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ)، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٣).

وَحَارَبَ الْفَوْضَى؛ فَقَالَ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).

(١) هذا الحديث وما بعده من أحاديث خُرِجَتْ فِي صحائف متقدمة؛ لذا لم أقم بتخريجها.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) الحجرات: ١٣.

القرن السابع الهجري



وَحَارَبَ الْكَذِبَ؛ فَقَالَ: ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

وَفَتَحَ طَرِيقَ الْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾.

وَأَمَرَ بِالْتَّقْوَى وَالصَّدْقِ؛ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢).

وَأَمَرَ بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ؛ فَقَالَ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٣).

وَحَثَّ عَلَى الْأُلْفَةِ؛ فَقَالَ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٤).

وَحَثَّ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ عِمَادُ الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٥).

وَأَمَرَ بِالنَّصِيحَةِ؛ فَقَالَ: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾^(٦)، وَ(إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ).

وَأَمَرَ بِشُكْرِ الْمُنْعِمِ؛ فَقَالَ: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٧).

وَأَمَرَ بِالشَّجَاعَةِ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾^(٨).

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) التوبة: ١١٩.

(٣) لقمان: ١٧.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

(٥) آل عمران: ١٠٤.

(٦) الاعراف: ٧٩.

(٧) آل عمران: ١٤٤.

(٨) آل عمران: ١٣٩.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتَيْنِ

وَأَمَرَ بِعَدَمِ الْإِعْتِرَارِ بِالظُّوَاهِرِ؛ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم خُشْبٌ مُمْسَكَةٌ﴾^(١).

وَأَمَرَ بِالْإِعْتِدَادِ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٢).

وَأَمَرَ بِمَضَاءِ الْعَزِيمَةِ وَعَدَمِ التَّرَدُّدِ فَقَالَ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٣).

وَأَزْرَى بِالشُّكِّ وَالْأَوْهَامِ فَقَالَ: ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾^(٤).

وَأَمَرَ بِالتَّجَنُّبِ عَنِ اتِّهَامِ الْبَرِيِّ فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(٥).

وَنَهَانَا عَنْ تَصَدِيقِ الْفَاسِقِينَ فَقَالَ: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٦).

وَأَمَرَ إِمْهَالَ الْمَدِينِ الْمُعْسِرِ فَقَالَ: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾^(٧).

وَنَهَى عَنِ الرِّسْوَةِ وَأَمْثَالِهَا مِنْ أَكْلِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٨).

(١) المنافقون: ٤.

(٢) سورة (ق): ٣٧.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) يونس: ٣٦.

(٥) النساء: ١١٢.

(٦) الحجرات: ٦.

(٧) البقرة: ٢٨٠.

(٨) البقرة: ١٨٨.

القرن السابع الهجري

- وَأَمَرَ بِالْعَدْلِ فِي الْحُكْمِ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(١).
- وَأَمَرَ بِإِيْفَاءِ الْكَيْلِ فَقَالَ: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ* وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ* وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٢).
- وَأَمَرَ بِالْكَرَمِ وَالسَّخَاءِ فَقَالَ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٣).
- وَنَهَى عَنِ التَّدْخُلِ بِمَا لَا يَعْني فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٤)،
﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾^(٥).
- وَحَثَّ عَلَى الْعَمَلِ فَقَالَ: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾^(٦)، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾^(٧).
- وَجَعَلَ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ فَقَالَ: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٨)، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٩).
- وَفِي الْمَسْئُولِيَّةِ، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١٠).

(١) النساء: ٥٨.

(٢) الشعراء: ١٨١-١٨٣.

(٣) الحشر: ٩.

(٤) الإسراء: ٣٦.

(٥) المائدة: ١٠١.

(٦) الأنعام: ١٣٢.

(٧) الملك: ١٥.

(٨) البقرة: ١٩٤.

(٩) الرحمن: ٦٠.

(١٠) الأنعام: ١٦٤.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

وَفِي إِبَاحَةِ الْمَحْظُورِ عِنْدَ الْاضْطِرَارِ قَالَ: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^(١).

وَأَمَرَ فِي الشُّورَى فَقَالَ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢).

وَأَمَرَ فِي الْقُوَّةِ فَقَالَ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(٣).

وَأَمَرَ فِي السَّلَامِ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾^(٤).

وَنَهَى عَنِ إِيدَاءِ الْبَائِسِينَ فَقَالَ: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾^(٥).

وَحَرَّمَ الرَّبَا فَقَالَ: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٦)، قَالَ ﴿يَمْحُقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾^(٧).

وَنَهَى عَنِ الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ فَقَالَ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾^(٨).

وَنَهَى عَنِ رَذِيلَةِ الزَّنا فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٩).

وَأَزْرَى بِالْبُخْلِ وَالْجَرِّصِ فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾^(١٠).

(١) البقرة: ١٧٣.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) الأنفال: ٦٠.

(٤) البقرة: ٢٠٨.

(٥) الضحى: ١٠.

(٦) البقرة: ٢٧٥.

(٧) البقرة: ٢٧٦.

(٨) البقرة: ٢١٩.

(٩) الإسراء: ٣٢.

(١٠) محمد: ٣٨.

القرن السابع الهجري

وَحَرَّمَ نِظَامَ الْجَاهِلِيَّةِ الْفَاسِدِ الْمَتَهَرِّئِ، وَنَادَى بِشِعَارِ الْإِخْوَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)، بِحَيْثُ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى، فَحَارَبَ التَّمْيِيزَ الْعُنْصَرِيَّ قَبْلَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا فِي حِينِ نَرَى أَدْعِيَاءَ الْمَدِينَةِ وَالْحَضَارَةِ الْجَدِيدَةِ يُحَارِبُونَ إِخْوَانَهُمُ الْبَشَرَ لَا لِذَنْبٍ أَقْتَرَفُوهُ وَلَا لِخَطِيئَةٍ اِزْتَكَبُوهَا وَإِنَّمَا لِسَبَبٍ وَاحِدٍ هُوَ أَنَّ لَوْنَ بَشَرَتِهِمْ لَيْسَتْ بَيَضَاءً وَلَيْسَ لَهُمْ فِي اخْتِيَارِ تِلْكَ الْبَشَرَةِ إِزَادَةٌ مُقْتَدِينَ بِأَيِّهِمْ إِبْلِيسُ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ سِيَاسَةَ التَّمْيِيزِ الْعُنْصَرِيَّ بِقَوْلِهِ فِي آدَمَ: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٢)؛ فَشَنَّتْ هَذِهِ الْحُكُومَاتُ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّهَا فِي ذُرْوَةِ التَّمَدُّنِ هُجُومَهَا الْبَاغِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَمَا فَعَلَتْهُ فَرَنْسَا زَعِيمَةُ دَعْوَةِ الْحُرِّيَّةِ الْمَرْغُومَةِ فِي الشُّعُوبِ الْأَفْرِيقِيَّةِ، وَكَمَا تَفَعَّلُهُ بَرِيطَانِيَا الْاِسْتِعْمَارِيَّةُ فِي الزُّنُوجِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ بِبِلَادِهَا، وَكَمَا تَصْنَعُهُ أَمْرِيكا بِالْهُنُودِ الْحُمْرِ مَعَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْبِلَادِ الْأَصْلِيُّونَ حَتَّى أَصْبَحُوا مِنْ قَتْلِهِمْ كَنَازِجَ قَلِيلَةٍ فِي مُتَحَفِ التَّارِيخِ الطَّبِيعِيِّ، وَبِذَلِكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَلْمَسَ الْفُرُوقَ الشَّاسِعَةَ بَيْنَ مَدِينَةِ الْإِسْلَامِ وَمَدِينَةِ هَؤُلَاءِ الزَّعَانِفِ الَّتِي تُبَيِّحُ لِنَفْسِهَا كُلَّ هَذِهِ الْبَوَائِقِ وَاسْتِحْلَالَ الْاِخْتِلَالِ، وَالتَّسَلُّطَ بِالْقُوَّةِ عَلَى الشُّعُوبِ الْآمِنَةِ وَسَرَقاتِ ثَرَواتِهَا وَلِإِفْسَادِ نَاشِئَتِهَا وَآدَابِهَا كَمَا تَعِيشُ الطُّفْلِيَّاتُ عَلَى غِذَاءٍ غَيْرِهَا، فَقُلْ لِلَّذِينَ أَعْمَى اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَأَعَشَى بَرِيقَ الْحَضَارَةِ الْعُنْصَرِيَّةِ عُيُونَهُمْ عَنْ مُشَاهَدَةِ مُجْدِ دِينِهِمْ وَشَرَفِ عَقِيدَتِهِمُ الْإِسْلَامِيَّةِ وَسُمُو مَبَادِئِهَا؛ لِيَنْظُرُوا هَذَا التَّفَاوُتَ الْكَبِيرَ بَيْنَ إِنْسَانِيَّةِ الْإِسْلَامِ، وَوَحْشِيَّةِ التَّمَدُّنِ الْجَدِيدِ الَّذِي يَهْدُدُ بِإِفْنَاءِ الْبَشَرِيَّةِ مُتَبَجِّحًا أَنَّهُ اخْتَرَعَ قُنْبَلَةً ذَرِيَّةَ زَنْتِهَا خَمْسُونَ مِليونَ طَنًا، فَلَا وَقَايَةَ لِلْبَشَرِيَّةِ مِنْ طَاعُونِ الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ وَجَرَاثِمِهَا إِلَّا بِالْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ وَتَعَالِيمِهِ النَّبِيلَةِ؛ وَإِذَا اسْتَعْمَلَ الْإِنْسَانُ عَقْلَهُ وَعَصَى هَوَاهُ؛ فَإِنَّهُ سَيَذْهَبُ إِلَى الْحَقِّ الْإِسْلَامِ، مُبْتَعِدًا عَنْ بَاطِلِ الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ مُعْتَرِفًا بِرُبُوبِيَّةِ مَنْ أَوْجَدَهُ مِنَ الْعَدَمِ، وَجَهَّزَهُ بِهَذِهِ الْمَلَكَةِ الْعَجِيبَةِ الْمُدهِشَةِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) الأعراف: ١٢.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتِ

(العقل)؛ فَهُوَ الْمِصْبَاحُ إِذَا وَضَعْتَهُ أَمَامَكَ اسْتَبْصَرْتَ بِهِ، وَأَزَحْتَ عَنْكَ الظَّلَامَ، وَإِذَا تَرَكْتَهُ خَلْفَكَ لَمْ تَنْتَفِعْ بِهِ، وَسُرْتَ بِالظَّلَامِ الدَّامِسِ حَتَّى كَانَ الثَّوَابُ الْأَخْرُويُّ عَلَى مَقْدَارِ عَقْلِ الْمُطِيعِ؛ فَقَدْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: (إِنَّ الثَّوَابَ عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ)^(١)؛ فَاسْتَعْمِلْ هَذِهِ الْمَوْهَبَةَ الْمُدْهِشَةَ، وَاعْرِزْ عَنْهَا النَّفْسَ الْمُلوَّثَةَ بِمَكْرُوبَاتِ الْمَعْصِيَةِ؛ فَالْعَقْلُ ضَمِينٌ بِإِيقَافِكَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

٣٩. رَضِيَ الدِّينُ ابْنُ طَاوُوسٍ (٥٥٩-٦٦٤هـ)^(٢)

لِأَبِي الْفَضَائِلِ السَّارِّ ذِكْرُهُ بِعَدَدِ (١٩) مِنْ هَذَا الْكِتَابِ أَخْ فَاضِلٌ، وَعَلَامَةٌ بَارِعٌ، وَهُوَ رَضِيَ الدِّينَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وَلِرَضِيِّ الدِّينِ هَذَا وَلَدٌ صَالِحٌ يَحْمِلُ اسْمَهُ وَلَقَبَهُ، وَكُنْيَتُهُ؛ وَلَكِنْ إِذَا أُطْلِقَ (رَضِيَ الدِّينَ) يَنْصَرِفُ إِلَى أَبِيهِ صَاحِبِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ؛ وَلِرَضِيِّ الدِّينِ الْإِبْنِ كِتَابُ (زَوَائِدُ الْفَوَائِدِ) يَنْقُلُ عَنْهُ الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ^(٣) إِلَّا أَنَّهُ يَشْتَهَرُ شُهْرَةً أَبِيهِ الْمُتَرْجِمَ لَهُ؛ فَقَدْ كَانَ رَضِيَ الدِّينَ الْأَبُ مِنْ خَيْرَةِ الْعُلَمَاءِ الْأَعَاظِمِ، يُكْنَى بِ: أَبِي الْقَاسِمِ؛ لَهُ مَنْزِلَةٌ عِلْمِيَّةٌ رَفِيعَةٌ كَمَنْزِلَةِ أَخِيهِ الْعَلَامَةِ أَبِي الْفَضَائِلِ، لَهُ كِتَابُ (الْإِقْبَالُ)^(٤) فِي الْأَدْعِيَةِ وَالْأَذْكَارِ، وَكِتَابُ (بَهْجَةُ الْخَاطِرِ)^(٥)، وَكِتَابُ (فَرْجُ الْمَهْمُومِ فِي تَارِيخِ

(١) الكافي: ١/١١/٨.

(٢) في ترجمته يُنظر: نقد الرجال: ٢٤٤ الرقم ٢٤١، أمل الآمل: ٢/٢٠٥ الرقم ٦٢٢، بهجة الآمال: ٥/٥٣٦، تنقيح المقال: ٢/٣١٠ الرقم ٨٥٢٩، هدية العارفين: ٥/٧١٠، أعيان الشيعة: ٨/٣٥٨، الفوائد الرضوية: ٣٣٠، الذريعة: ١/١٢٧ برقم ٦١٠ و٤٩/٢، طبقات أعلام الشيعة: ٣/١١٦، معجم رجال الحديث: ١٢/١٨٨ الرقم ٨٥٣٢، مستدركات علم رجال الحديث: ٥/٤٨٥ الرقم ١٠٥٥٩، الأعلام: ٥/٢٦، طبقات الفقهاء: ٧/١٨٠.

(٣) يُنظر: البحار: ٣١/١٢٠، والنص «ومستندهم في الأصل ما رواه خلف السيّد النبيل عليّ بن طاووس -رحمة الله عليهما- في كتاب زوائد الفوائد». وانظر: ٥٣/٩٧، ١٢٢، ٥٦/٥٧. وغيرها.

(٤) الذريعة: ٢/٢٦٤.

(٥) في الذريعة: ٨/١٧٩ (فرحة الناظر).

القرن السابع الهجري

النجوم^(١)، وكتاب (سعد السعود)^(٢)، وكتاب (الطرائف)^(٣)، و(مصباح الزائر وجناح المسافر)^(٤) في ثلاثة مجلدات، وكتاب (أمان الأخطار)^(٥) في ٢٣ باباً يحتوي على كتاب (برء الساعة)^(٦) لأبي بكر محمد بن زكريا، وله (مضار السبق في ميدان الصديق)^(٧)، وكتاب (الملهوف)^(٨)، وكتاب (جمال الأسبوع)^(٩)، وكتاب (مهج الدعوات)^(١٠)، وكتاب (الدروع الواقية)^(١١)، وكتاب (البشارات بقضاء الحاجات)^(١٢)، وكتاب (ربيع الأسابيع)^(١٣)، وكتاب (التعريف للمولود الشريف) و(كشف المحجة)^(١٤)، وغيرها من الكتب الكثيرة المتنوعة المواضيع، قال صاحب كتاب (أمل الأمل) بصدد كتابه (البشارة) الذي شاركه باسمه كتاب (البشارة) للسيد مجد الدين محمد ما هذا لفظه: «نقل الشيخ حسن بن سليمان بن خالد الحلي تلميذ الشيخ الشهيد محمد بن مكي في كتابه مختصر البصائر عن كتاب (البشارة) لابن طاووس، وهو غير كتاب (البشارة) لابن

(١) في الذريعة: ١٥٦/١٦ (فرج المهموم في معرفة نهج الحلال والحرام من النجوم)، أو (.. بمعرفة منهج الحلال ونسخة الحرام من علم النجوم)، أو (.. في تاريخ علماء النجوم).

(٢) الذريعة: ١٨٢/١٢.

(٣) الذريعة: ١٥٤/١٥ (الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف).

(٤) الذريعة: ١٠٧/٢١.

(٥) الذريعة: ٣٤٣/٢.

(٦) الذريعة: ٣٤٤/٢.

(٧) الذريعة: ١٣٥/٢١.

(٨) وقد اشتهر باسم (اللهوف). يُنظر: الذريعة: ٢٢٣/٢٢.

(٩) الذريعة: ١٢٩/٥.

(١٠) الذريعة: ٢٨٧/٢٣ (مهج الدعوات ومنهج العناية).

(١١) الذريعة: ١٤٦/٨ (الدروع الواقية من الأخطار فيما يعمل مثله في أيام كل شهر على التكرار).

(١٢) الذريعة: ١١١/٣ (البشارات بقضاء الحاجات على يد الأئمة بعد المات).

(١٣) الذريعة: ١٧٣/٨.

(١٤) الذريعة: ٥٨/١٨ (كشف المحجة لثمرة المهجة).

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

أَخِي أَبِي الْفَضَائِلِ النَّقِيبِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّيِّدِ عَزَّ الدِّينَ عَلِيَّ بْنَ طَاوُوسٍ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَهْدَاهُ إِلَى السُّلْطَانِ (هُوَ لَاكُو خَان)؛ فَسَلِمَتِ الْحِلَّةُ وَكَرْبَلَاءُ وَالنَّجَفُ وَالنَّيْلُ مِنْ شَرِّ حَمَلَةٍ هُوَ لَاكُو عِنْدَ تَوَجُّهِهِ إِلَى بَغْدَادَ سَنَةَ ٦٥٦ هـ، وَرَدَّ إِلَى السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ النَّقَابَةِ بِالْفُرَاتِ^(١) الْخ.

وَقَدْ اشْتَهَرَ السَّيِّدُ رَضِيَّ الدِّينِ، وَالِدُ السَّيِّدِ رَضِيَّ الدِّينِ الثَّانِي - بِلَفْظِ ابْنِ طَاوُوسٍ - أَكْثَرَ مِنْ اشْتِهَارِ أَفْرَادِ أُسْرَتِهِ؛ أَمَّا وَلَادَتُهُ الْمَيْمُونَةُ فَكَانَتْ بِالْحِلَّةِ سَنَةَ ٥٥٩ هـ، وَنَشَأَ مُتَنَفِّلاً بَيْنَ مُحَافِلِهَا تَنْقُلُ الْبُلْبُلُ مِنْ زَهْرَةٍ إِلَى زَهْرَةٍ، وَمِنْ غُصْنٍ إِلَى غُصْنٍ؛ فَهَلْ مِنْ يَنَابِيعَ مَنَاهِلِهَا الْعِلْمِيَّةِ حَتَّى ارْتَوَى أَوْ كَادَ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى بَغْدَادَ وَأَنْفَقَ فِي عَاصِمَةِ الْعِرَاقِ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا مِنْ عُمُرِهِ فِي ظِلِّ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ؛ فَكَانَ فِي بَغْدَادَ مَوْضِعَ حَفَاوَةٍ وَتَبَجِيلٍ؛ ثُمَّ قَفَلَ رَاجِعًا إِلَى الْحِلَّةِ وَمَكَثَ فِيهَا مُدَّةً ثُمَّ رَأَى أَنْ يُجَاوِرَ الْعَتَاتِ الْمُقَدَّسَةَ، النَّجَفَ، وَكَرْبَلَاءَ، فَسَكَنَ فِي هَذِهِ الْمُدُنِ فِتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ؛ ثُمَّ سَافَرَ إِلَى الْكَاطِمِيَّةِ، وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمُدُنِ مُدَّةً مُتَسَاوِيَةً لَا تَتَجَاوَزُ إِقَامَتَهُ فِي كُلِّ مِنْهَا ثَلَاثَ سِنِينَ، وَسَكَنَ بَغْدَادَ فِي ظِلِّ الْحُكْمِ التَّتَرِيِّ فَتَوَلَّى النَّقَابَةَ بَعْدَ أَنْ رَفَضَهَا بِشَمِّ حِينَمَا عَرَضَهَا عَلَيْهِ الْمُسْتَنْصِرُ الْعَبَّاسِيُّ وَبَقِيَ نَقِيبًا أَرْبَعَ سِنِينَ إِلَّا شَهْرًا وَاحِدًا ابْتِدَاءً مِنْ سَنَةِ ٦٦١ هـ، وَبَعْدَ ذَلِكَ اسْتَمَرَّتِ النَّقَابَةُ فِي عَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَمَّا تَوَلَّى النَّقَابَةَ جَلَسَ فِي مَرْتَبَةِ خَضِرَاءَ، وَكَانَ النَّاسُ بَعْدَ كَارِثَةِ الْمَغُولِ قَدْ رَفَعُوا السَّوَادَ وَلَبَسُوا اللَّبَاسَ الْأَخْضَرَ؛ فَقَالَ الشَّاعِرُ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْعُلُوِّيُّ يَهْنُئُهُ، مِنَ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ:

فَهَذَا عَلِيٌّ نَجَلٌ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ شَبِيهُ عَلِيٍّ نَجَلٌ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ
فَذَاكَ بَدَسَتْ لِلْإِمَامَةِ أَخْضَرُ وَهَذَا بَدَسَتْ لِلنَّقَابَةِ أَخْضَرُ^(٢)

لِأَنَّ الْمَأْمُونَ الْعَبَّاسِيَّ لَمَّا عَهَدَ بِوَلَايَةِ الْعَهْدِ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى الرِّضَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) أمل الآمل: ٢٠٥/٢.

(٢) يُنظر: الكنى والألقاب: ٣٢٨/١.

القرن السابع الهجري

أَلْبَسَهُ لِبَاسًا أَخْضَرَ وَأَجْلَسَهُ عَلَى وِسَادَتَيْنِ خَضْرَاوَيْنِ، وَغَيَّرَ السَّوَادَ وَهُوَ شَعَارُ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِلِبَاسِ اللَّوْنِ الْأَخْضَرِ؛ فَلَبَسَهَا النَّاسُ وَلَبَسَهَا النَّقِيبُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِي عَهْدِ هُوَلَاكُو خَانَ^(١)، وَلِلْمَتَرَجِمِ شِعْرٌ رَوَاهُ الْمُتَرَجِّمُونَ مِنْهُ قَوْلُهُ:

خَبَتْ نَارُ الْعُلَا بَعْدَ اشْتِعَالِ وَنَادَى الْحَيُّ حَيَّ عَلَى الزَّوَالِ
عُدْمَنَا الْجُودَ إِلَّا فِي الْأَمَانِ وَإِلَّا فِي الدَّفَاتِرِ وَالْأَمَالِ
فَيَا لَيْتَ الدَّفَاتِرَ كُنَّ قَوْمًا فَأَثَرَى النَّاسَ مِنْ كَرَمِ الْخِصَالِ
وَلَوْ أَنِّي جُعِلْتُ أَمِيرَ جَيْشٍ لَمَّا حَارَبْتُ إِلَّا بِالسُّؤَالِ
لَأَنَّ النَّاسَ يَنْهَزِمُونَ مِنْهُ وَقَدْ ثَبَتُوا لِأَطْرَافِ الْعَوَالِ
الْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَا مِنْ بَابِ تَوَارُدِ الْخَطَرِ، أَوْ كَانَا عَلَى سَبِيلِ التَّضْمِينِ؛
فَإِنَّهَا مِنْ شِعْرِ أَبِي هِلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ مِنْ رِجَالِ الْقُرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ^(٢) كَمَا وَرَدَا فِي
تَرْجَمَتِهِ^(٣).

وَيُحَدِّثُنَا التَّارِيخُ أَنَّ رَضِيَ الدِّينَ هَذَا وَابْنَ أَخِيهِ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ

(١) يُنْظَرُ: الْيَقِينُ، لَابِنْ طَاوُوسٍ: ٦٥، الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ: ١/٣٢٨.

(٢) تَوَفَّى أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ بَعْدَ ٤٠٥ هـ. نَقْلًا عَنْ أَسْتَاذِي الدُّكْتُورِ عَلِيِّ كَاطِمِ الْمَشْرِيقِيِّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: يَوْجَدُ نَصٌّ يَذْكُرُ فِيهِ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ أَنَّهُ رَأَاهُ سَنَةَ ٤٠٥ هـ فِي الْمَوْسَمِ وَسَأَلَهُ وَمَاشَاهُ. (مَدَوْنَتِي الْخَاصَّةُ). وَالْمُصَنِّفُ يَذْهَبُ مَعَ الرَّأْيِ الْقَدِيمِ الَّذِي يَقُولُ إِنَّهُ تَوَفَّى ٣٩٥ هـ، فَيَكُونُ مِنْ رِجَالِ الْقُرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ.

(٣) وَفِي سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ: ١٨/٤٦٣-٤٦٤ «قَالَ أَنْوَشْتُكَيْنِ الرُّضَوَانِي: أَنْشَدَنِي أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيُّ لِنَفْسِهِ:

وَلَوْ أَنِّي جُعِلْتُ أَمِيرَ جَيْشٍ لَمَّا قَاتَلْتُ إِلَّا بِالسُّؤَالِ
لَأَنَّ النَّاسَ يَنْهَزِمُونَ مِنْهُ وَقَدْ ثَبَتُوا لِأَطْرَافِ الْعَوَالِ»
وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ حَسَنُ آلِ يَاسِينَ بَعْدَ نَقْلِهِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ: ثُمَّ ذَكَرَ خَمْسَةَ أَبْيَاتٍ مِنَ الشَّعْرِ، وَلَمْ يَثْبِتْ أَنَّهَا لَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكُرَ لِتَشْكِيكِهِ هَذَا سَبَبًا. يُنْظَرُ: كِتَابُهُ: السَّيِّدُ عَلِيُّ آلِ طَاوُوسٍ: ١٢.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحِلَّةِ

ابْنُ مُوسَى، وَوَالِدُ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ سَدِيدِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ عَلِيٍّ ابْنِ الْمُطَهَّرِ وَالْفَقِيهِ الْجَلِيلِ ابْنِ أَبِي الْغُرِّ أَوْ ابْنِ أَبِي الْعِزِّ وَجَمَاعَةٌ آخَرِينَ شَكَّلُوا وَفَدَا عِلْمِيًّا سِيَاسِيًّا؛ لِمُقَابَلَةِ هَوْلَاكُو قُرْبَ بَغْدَادَ بِرِئَاسَةِ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ سَدِيدِ الدِّينِ، وَكَانَ يَلِيهِ بِالرُّتْبَةِ صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ لَطَلَبُ الْأَمَانِ مِنَ الْمَلِكِ الْمُغُولِيِّ هَوْلَاكُو إِلَى أَهْلِ الْحِلَّةِ وَنَقَلَتِ التَّرَاجُمُ عَنِ الْعَلَامَةِ الْحِلِّيِّ أَنَّهُ قَالَ فِي كِتَابِهِ (كَشَفُ الْيَقِينِ فِي بَابِ مُغَيَّيَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام): «وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ بِعِمَارَةِ بَغْدَادَ، وَمِثْلُكَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَحْوَاهُمْ وَأَخَذَ الْمَغُولُ الْمُلْكَ مِنْهُمْ، رَوَاهُ وَالِدِي وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ سَلَامَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْحِلَّةِ وَالْمَشْهَدِينَ الشَّرِيفِينَ مِنَ الْقَتْلِ، لَمَّا وَصَلَ السُّلْطَانُ هَوْلَاكُو إِلَى بَغْدَادَ قَبْلَ أَنْ يَفْتَحَهَا هَرَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحِلَّةِ إِلَى الْبَطَائِحِ إِلَّا الْقَلِيلَ فَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْقَلِيلِ وَالِدِي وَالسَّيِّدُ مُحَمَّدُ الدِّينِ ابْنُ طَاوُوسٍ وَالْفَقِيهِ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ؛ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى مُكَاتَبَةِ السُّلْطَانِ بِأَتَمِّهِمْ مُطِيعُونَ دَاخِلُونَ تَحْتَ (الْأَيْلِيَّةِ) ^(١)، وَأَنْفَذُوا إِلَيْهِ شَخْصًا أَعْجَمِيًّا، فَأَنْفَذَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِمْ (فَرْمَانًا) مَعَ شَخْصَيْنِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا - نَكْلَةٌ - وَالْآخَرُ - عَلَاءُ الدِّينِ - وَقَالَ لَهُمَا إِنْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ كَمَا وَرَدَتْ بِهِ كُتُبُكُمْ تَحْضُرُونَ إِلَيْنَا - إِلَى أَنْ قَالَ - فَخَافُوا؛ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِمَا يَنْتَهِي بِهِ الْحَالُ إِلَيْهِ، فَقَالَ وَالِدِي إِنْ جِئْتُ لَوْحْدِي كَفَى؟ فَقَالَ نَعَمْ؛ فَأُصْعِدْ مَعَهُمَا فَلَمَّا حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ فَتْحِ بَغْدَادَ وَقَبْلَ قَتْلِ الْخَلِيفَةِ، قَالَ لَهُ: كَيْفَ قَدِمْتُمْ عَلَى مُكَاتَبَتِي وَالْحُضُورِ عِنْدِي قَبْلَ أَنْ تَعْلَمُوا بِمَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ أَمْرِي وَأَمْرُ صَاحِبِكُمْ؟ وَكَيْفَ تَأْمَنُونَ أَنْ يُصَالِحَنِي وَرَحَلَتْ عَنْهُ؟ فَقَالَ وَالِدِي: إِنَّمَا أَقْدَمْنَا عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّا رَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: الزُّورَاءُ، ثُمَّ ذَكَرَ الْعَلَامَةُ الْخُطْبَةَ الَّتِي فِيهَا وَصَفَ الْمَغُولَ وَفَتَحَهُمْ بَغْدَادَ - وَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ - فَلَمَّا وَصَفَ لَنَا ذَلِكَ وَوَجَدْنَا الصِّفَاتَ فِيكُمْ رَجَوْنَاكَ فَقَصَدْنَاكَ، فَطِيبَ قُلُوبُهُمْ، وَكَتَبَ لَهُمْ فَرْمَانًا بِاسْمِ وَالِدِي يَطِيبُ فِيهِ قُلُوبَ أَهْلِ الْحِلَّةِ

(١) عنوان القيادة المغولية، وإيل: قبيلة هولاکو، أو الألية أي القسم، والله العالم. يُنظر: التاريخ المختصر للدول، لابن العبري: ٢٣٥ وانظر هامشها أيضًا.

القرن السابع الهجري

وأعمالها^(١).. إلخ.

وَلَرَبَّمَا تُلَاحِظُ مَا يُشَبِّهُ التَّدَافُعَ فِي رِوَايَةِ الْعَلَامَةِ الْحَلِيِّ؛ فَقَدْ صَرَحَ أَوَّلًا بِأَنَّ وَالِدَهُ قَالَ لِلرَّسُولَيْنِ: «إِنَّ جِئْتُ لِيُوحِدِي كَفَى؟»، وَوَافَقَ الرَّسُولَانِ؛ وَذَهَبَ مَعَهُمَا بِمُفْرَدِهِ؛ وَمَعْنَاهُ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَقَدْ؛ ثُمَّ تَرَى أَنَّ هُوَ لَا كُو يُوجِّهُ خِطَابَهُ إِلَى جَمْعٍ؛ كَقَوْلِهِ: كَيْفَ قَدِمْتُمْ؟!.

فَإِذَا حَمَلْنَا صَمِيرَ الْجَمْعِ عَلَى التَّعْظِيمِ؛ فَوَاقِعُ الْحَالِ يُخَالِفُ ذَلِكَ فَأَيُّ تَعْظِيمٍ لِحَافِيفِ مَرْتَابٍ جَاءَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ، وَحَقْنِ دَمِهِ مِنْ فَاتِحِ جَبَّارٍ عَشُومٍ ظُلُومٍ!!، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ إِجْمَاعُ الْمُؤَرِّخِينَ عَلَى وُجُودِ الْوَفْدِ الْحَلِيِّ، وَلِأَجْلِ التَّخْلُصِ مِمَّا يُشَبِّهُ التَّهَافُتَ؛ نَقُولُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ سَدِيدُ الدِّينِ ذَهَبَ أَوَّلَ الْأَمْرِ بِمُفْرَدِهِ مَعَ الرَّسُولَيْنِ وَبَعْدَ اطمئنانه مِنْ حُسْنِ نِيَّةِ السُّلْطَانِ رَجَعَ إِلَى الْحِلَّةِ؛ لِيَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى رَأْسِ الْوَفْدِ كَمَا يُؤَيِّدُهُ مَا نَقَلَهُ مِنْ خَوْفِ الْمُتَخَلِّفِينَ عِنْدَ طَلَبِ هُوَ لَا كُو حُضُورَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَاتَبُوهُ بِأَتَمِّهِمْ مُطِيعُونَ، وَقَوْلُهُ: «فَأُصْعِدَ مَعَهُمَا»، وَلَمْ يَقُلْ «فَأُصْعِدُوا»؛ وَقَدْ نَقَلَ الْفَخْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ: (الْآدَابُ السُّلْطَانِيَّةُ): «أَنَّهُ لَمَّا فَتَحَ السُّلْطَانُ هُوَ لَا كُو خَانَ الْمَجُوسِيِّ بَغْدَادَ سَنَةَ ٦٥٦ هـ^(٢) أَمَرَ أَنْ يُسْتَفْتَى مِنْ عُلَمَاءِ الْعِرَاقِ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ السُّلْطَانُ الْكَافِرُ الْعَادِلُ، أَمْ السُّلْطَانُ الْمُسْلِمُ الْجَائِرُ؟ وَأَيُّهُمَا أَحَقُّ بِأَمْرِ الْخِلَافَةِ؟ فَجَمَعَ الْعُلَمَاءَ بِالْمُسْتَنْصَرِيَّةِ، وَلَمَّا وَقَفُوا عَلَى الْاِسْتِفْتَاءِ، وَوَضَعَ خَطَّهُ فِيهِ بِتَفْضِيلِ الْكَافِرِ الْعَادِلِ؛ فَوَضَعَتِ الْعُلَمَاءُ فِيهِ خُطُوطَهُمْ بَعْدَهُ بِلَا تَوْقُفٍ^(٣). انْتَهَتْ الرِّوَايَةُ.

(١) يُنظر: خاتمة المستدرک: ٢/ ٤١٧-٤١٨، وموجود هذا الكلام برمته في الكنى والألقاب:

١٩٨/١.

(٢) في الأصل: (٦٥١ هـ)، والصواب ما أثبتناه، فالتاريخ مشهور؛ إذ لا يخفى على لبيب أن بغداد فُتحت سنة ٦٥٦ هـ، وكذا التصويب من المصدر.

(٣) الآداب السلطانية: ١١.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتَيْنِ

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَمْرَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: عَلَى مَا لِلْمُتَرَجِّمِ لَهُ مِنْ مَكَانَةٍ عِلْمِيَّةٍ سَامِيَةٍ وَثِقَةٍ كَبِيرَةٍ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْعِرَاقِ عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ، وَثَانِيَهُمَا: يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ تَعْصِبِ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ إِلَّا لِلْحَقِّ وَحْدَهُ، وَيَجُوزُ لِلْمُعْتَرِضِ أَنْ يَقُولَ إِنَّ فُتْيَا ابْنِ طَاوُوسٍ تَتَعَارَضُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(١)؛ وَالْكَافِرُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ بِكُفْرِهِ؛ فَتَفْضِيلُهُ تَرْجِيحٌ بِلَا مَرَجِّحٍ؟

وَالْجَوَابُ: إِنَّ اخْتِمَالَ التَّوْبَةِ مِنَ الْمُسْلِمِ تَجُوزُ كَمَا يَجُوزُ اخْتِمَالُ تَوْبَةِ الْكَافِرِ أَيْضًا؛ فَهُوَ فِي الْجَانِبَيْنِ مُجَرَّدُ اخْتِمَالٍ وَظَنٍّ، أَمَّا وَجْهُ تَفْضِيلِ الْكَافِرِ؛ فَالَّذِي أَرَاهُ أَنَّ ابْنَ طَاوُوسٍ جَعَلَ نَصَبَ عَيْنِهِ قَاعِدَةَ ارْتِكَابِ أَقْلٍ الْقَبِيحِينَ وَأَهْوَنَ الشَّرِّينَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ كُفْرَ الْكَافِرِ عَلَيْهِ ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾^(٢)، وَأَمَّا عَدْلُهُ فَلِلنَّاسِ، وَأَمَّا الْمُسْلِمُ الظَّالِمُ فَظَلَمَهُ لِنَفْسِهِ وَلِلنَّاسِ وَفِي ظُلْمِ النَّاسِ يَحْتَلُّ النِّظَامُ الاجْتِمَاعِيُّ؛ لِأَنَّ الْعَدْلَ أَسَاسُ الْمُلْكِ؛ فَتَبِيحُ وَاحِدٍ وَهُوَ ظُلْمُ الْكَافِرِ لِنَفْسِهِ أَقْلٌ مِنْ قَبِيحِينَ: (ظُلْمُ النَّفْسِ وَظُلْمُ النَّاسِ) وَشَرٌّ وَاحِدٌ أَهْوَنُ مِنْ شَرِّينَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

.....

حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ^(٣)

وَقَدْ وَجَدْتُ لِلْفَاضِلِ عَبَّاسٍ عَزَاوِيٍّ الْمُحَامِي فِي كِتَابِهِ الْجَلِيلِ (تَارِيخُ الْعِرَاقِ بَيْنَ اخْتِلَالَيْنِ) قَوْلَهُ: «إِنَّهُ لَا مَجَالَ لِهَذِهِ الْفَتَوَى بَعْدَ الْعِلْمِ بِأَنَّ السُّلْطَانَ الْمُسْلِمَ مُهَدَّدٌ بِالْأُمَّةِ وَسَخَطِهَا عَلَيْهِ وَخَلْعِهِ، وَالْمُتْلِزُّمُ أَنْ لَا تُقْبَلَ حُكُومَةُ الْكَافِرِ وَلَا يَتِيهِ؛ وَالْيَوْمَ بِصُورَةِ عَامَّةٍ لَا تَرْضَى الْأُمَّةُ أَنْ تُحْكَمَ إِلَّا بِنَفْسِهَا؛ وَالْإِدَارَةُ وَالْإِرَادَةُ لِلْأُمَّةِ وَتَحْتَارُ رَئِيسُهَا؛ لِيُمَثَّلَ

(١) هود: ١١٣.

(٢) الروم: ٤٤.

(٣) هذا عجز لصدر بيت: (أبا منذر أفنيت فاستبقي بعضنا)، وقائله طرفة. يُنظر: ديوانه من الستة:

١٨٧، والكتاب: ١/١٤٦.

القرن السابع الهجري

رَغَبَتْهَا، وَيَمْضِي طَبَقَ مَا تُرِيدُ وَالتَّهْدِيدَاتُ الإِلَهِيَّةُ كَثِيرَةٌ فِي لُزُومِ اتِّبَاعِ الْمُسْلِمِ دُونَ سِوَاهُ^(١).

أَمَّا نَحْنُ؛ فَنُخَالِفُ حَضْرَةَ الْأُسْتَاذِ فِي رَأْيِهِ هَذَا؛ فَالْفَتْوَى صَحِيحَةٌ وَمَنْطِقِيَّةٌ بِدَلِيلِ إِجْمَاعِ عُلَمَاءِ الْعِرَاقِ عَلَى صَحَّتِهَا، وَوَضْعُ خُطُوطِهِمْ بِالْمُؤَافَقَةِ عَلَيْهَا؛ وَلَوْ كَانَتْ مُخَالِفَةً لِلشَّرْعِ لَمَا حَصَلَ إِجْمَاعُ عُلَمَاءِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَيْهَا وَلَحَصَلَ مُعْتَرِضٌ وَاحِدٌ عَلَى أَقَلِّ تَقْدِيرٍ، أَمَّا تَفْصِيلُ الْمُسْلِمِ كَمَا يَرَاهُ الْأُسْتَاذُ بِزَعْمِ أَنَّهُ مُهَدَّدٌ بِسَخَطِ الْأُمَّةِ عَلَيْهِ وَخَلْعِهِ؛ فَلَوْ كَانَ لِهَذَا التَّهْدِيدِ الْحَيَالِيُّ مِنْ أَثَرٍ لَكَانَ مَانِعًا لِلسُّلْطَانِ عَنْ ظُلْمِهِ.

وَلَمَّا عَلِمْنَا اسْتِمْرَارَ ظُلْمِهِ وَعَدَمَ مَلَا حَظَّتِهِ لِهَذِهِ التَّخَيُّلاتِ عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ التَّهْدِيدَ لَا أَثَرَ لَهُ مَعَ أَنَّ قَوْلَ الْأُسْتَاذِ خَارِجٌ عَنْ دَائِرَةِ الْمَسْأَلَةِ؛ فَإِنَّ مَحْتَوَاهَا وَفَحْوَاهَا إِنَّهُ إِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ سُلْطَنَةِ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ فَهَلِ الْأَصُوبُ اخْتِيَارُ الْكَافِرِ الْعَادِلِ؟ أَمْ الْمُسْلِمِ الْجَائِرِ؟ فَإِنَّهُ لِهَذَا اخْتَارَتِ الْأُمَّةُ الْكَافِرَ الْعَادِلَ كَمَا حَصَلَ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ كَانَ الرَّأْيُ رَأْيِي الْأُمَّةِ وَالْإِجْمَاعُ حُجَّةً.

أَمَّا قَوْلُ الْأُسْتَاذِ بِعَدَمِ وِلَايَةِ الْكَافِرِ؛ فَمُصَادَرَةٌ عَلَى الْمَطْلُوبِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ هُوَ مُحَوَّرُ الْبَحْثِ وَالنِّزَاعِ فَلَا يَكُونُ دَلِيلًا؛ وَأَمَّا قَوْلُ حَضْرَتِهِ: «وَالْيَوْمَ بِصُورَةِ عَامَّةٍ لَا تَرْضَى الْأُمَّةُ أَنْ تُحْكَمَ إِلَّا بِنَفْسِهَا» فَخَارِجٌ عَنْ صَدَدِ الْمَسْأَلَةِ، فَالْمَسْأَلَةُ فِي صَلَاحِيَّةِ الْحُكْمِ لِلْكَافِرِ الْعَادِلِ أَوْ الْمُسْلِمِ الْجَائِرِ؛ فَقَدْ يَكُونُ الْكَافِرُ الْعَادِلُ فِي جُمْلَةِ أُنْبَاءِ الْأُمَّةِ فَلَا يَبْقَى وَجْهٌ لِقَوْلِهِ: «إِنَّ الْأُمَّةَ لَا تَرْضَى الْحُكْمَ إِلَّا بِنَفْسِهَا»، كَمَا لَا نَرَى وَجْهًا لِقَوْلِ الْأُسْتَاذِ الْفَاضِلِ: «وَالْإِدَارَةُ أَوْ الْإِرَادَةُ لِلْأُمَّةِ»، فَذَلِكَ خَارِجٌ عَنْ مَوْضُوعِ النِّزَاعِ أَيْضًا وَلَيْسَ لَهُ صِلَةٌ بِصُلْبِ الْمَسْأَلَةِ؛ فَاخْتِيَارُ الْأُمَّةِ لِلْكَافِرِ الْعَادِلِ لَوْ تَحَقَّقَ فَهُوَ مِنْ إِرَادَةِ الْأُمَّةِ وَإِدَارَتِهَا؛ وَلَكِنَّا نَبْحَثُ فِي جِهَةِ هَذِهِ الْإِرَادَةِ لَا فِي الْإِرَادَةِ نَفْسِهَا، وَأَمَّا رَأْيُهُ بِأَنَّ

(١) تاريخ العراق بين احتلالين: ٢٦٢/١.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

«التَّهْدِيدَاتُ الْإِلَهِيَّةُ كَثِيرَةٌ فِي لُزُومِ اتِّبَاعِ الْمُسْلِمِ»؛ فَهَذَا أَيْضًا مَحَلُّ نِقَاشٍ؛ لِأَنَّ الظَّالِمَ خَارِجٌ عَنِ تَعْرِيفِ الْمُسْلِمِ (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ) ^(١) وَعَلَى هَذَا الضَّوِّ قَامَتْ فِي الدُّنْيَا دَعْوَةٌ صَارِحَةٌ سُمِّيَتْ فِي إِيرَانَ بِاسْمِ (الْمَشْرُوطَةِ) ^(٢)، وَفِي تَرْكِهَا بِاسْمِ (الْحُرِّيَّةِ)، وَفِي رُوسِيَا بِاسْمِ (الْبَلْشَفِكِ) ^(٣).

وَلَكِنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ مَعَهَا اخْتَلَفَتْ أَسْمَاؤُهَا كَانَتْ فِي الظَّاهِرِ حَرَكَةً إِصْلَاحِيَّةً بِوَجْهِ الْاِسْتِبْدَادِ وَالظُّلْمِ؛ وَلِأَجْلِ تَوْفِيرِ الْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ لِجَمِيعِ أَفْرَادِ الشَّعْبِ، وَلِكِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ تُخْفِي غَيْرَ مَا تُظْهِرُ؛ فَقَدْ كَانَتْ الْخُطْوَةُ الْأُولَى نَحْوَ الشُّيُوعِيَّةِ الْهَدَامَةِ وَالرَّعَاعُ تَسْتَمِيلُهُمُ الْأَلْفَاظُ الْبَرَّاقَةُ الْخَادِعَةُ؛ كَالسَّلَامِ الْعَالَمِيِّ، وَالدَّفَاعِ عَنْ حُقُوقِ الْمَرْأَةِ، وَمُسَاعَدَةِ الْعَمَالِ وَالْفَلَاحِينَ وَالدِّيمَقْرَاطِيَّةِ وَالصَّدَاقَةِ، وَصِيَانَةِ الْجُمْهُورِيَّةِ وَمُحَارَبَةِ الْمُؤْتَمَرَاتِ، وَالْمُقَاوَمَةِ الشَّعْبِيَّةِ، وَلَكِنَّ رَأْيَ الشَّعْبِ بِأَمٍّ عَيْنِهِ مَدَى صِدْقِ هَذِهِ الشُّعَارَاتِ وَالنَّدَائَاتِ إِبَّانَ الْمَدِّ الْأَحْمَرِ الَّذِي جَرَفَ الْقِيَمَ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَلَوَّثَ الْكَرَامَةَ الْبَشَرِيَّةَ، وَأَظْهَرَ لِلنَّاسِ مَا تُخْفِي هَذِهِ الْحَرَكَاتُ الْهَدَامَةُ مِنْ سُمِّ زُعَافٍ لِقَتْلِ الْمُجْتَمَعِ وَتُفْكِكِ أَوَاصِرِهِ.

(١) رواه صاحب الوسائل في الباب: ١٥٢ من أبواب أحكام العشرة في حديث عن الكليني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام عن النبي ﷺ هكذا: (...) والمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه...، ورواه بهذا النص السيوطي في الجامع الصغير: ١٨٥ / ٢ إلا أنه بتقديم اللسان على اليد، وكذا مسلم في صحيحه: ٣٦ / ١، والبخاري في صحيحه: ٧ / ١، نعم رواه النسائي في سننه: ٢٦٧ / ٢ هكذا: (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده).

(٢) حصلت في رجب سنة ١٣٢٧ هـ.

(٣) الثورة البلشفية أو ثورة أكتوبر كانت المرحلة الثانية من الثورة الروسية عام ١٩١٧، قادها البلاشفة تحت إمرة فلاديمير لينين ويده اليمنى جوزيف ستالين وكامل الحزب البلشفي والجماهير العمالية بناءً على أفكار كارل ماركس وتطويع فلاديمير لينين؛ لإقامة دولة اشتراكية وإسقاط الحكومة المؤقتة. وتعدُّ الثورة البلشفية أول ثورة شيوعية في القرن العشرين الميلادي. يُنظر: الثورة البلشفية، الموسوعة الحرة، وفي كتاب الخطر اليهودي لمحمد خليفة التونسي: ٦٨، ١١٠، الطبعة الرابعة (ونجد الثورة البلشفية قد مُولت بأموال يهودية).

القرن السابع الهجري

وَيُلَاحِظُ الْقَارِئُ فِي جَوَابِ ابْنِ طَاوُوسٍ لِبَاقَةِ وَعَبْقَرِيَّةٍ؛ فَقَدْ كَانَ الْاسْتِفْتَاءُ يَتَضَمَّنُ نُقْطَتَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: الْاسْتِفْسَارُ عَنْ صِلَاحِيَّةِ الْمُسْلِمِ الْجَائِرِ لِلْحُكْمِ أَوْ الْكَافِرِ الْعَادِلِ، وَثَانِيَهُمَا: الْاسْتِفْسَارُ عَنْ أَيِّهِمَا أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ؟ فَأَجَابَ عَلَى الشَّقِّ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَتَجَاهَلَ الشَّقِّ الثَّانِي مَعَ أَنَّهُ أَهَمُّ؛ لِأَنَّ إِعْطَاءَ^(١) الْخِلَافَةَ إِلَى الْمُسْلِمِ الْعَادِلِ فَضْلاً عَنِ الْكَافِرِ الْعَادِلِ يُخَالِفُ الْعَقِيدَةَ الشَّيْعِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْخِلَافَةَ مَعْنَاهَا الْخِلَافَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُرَادِفَةٌ لِلْإِمَامَةِ؛ فَهِيَ مَنْصِبٌ دِينِيٌّ إِلَهِيٌّ لَيْسَ مِنْ صُنْعِ الْبَشَرِ؛ وَأَمَّا السُّلْطَنَةُ فَرَمْنِيَّةٌ كَالْمَشِيخَةِ وَبَعْضُ الْإِمَارَاتِ فَيَجُوزُ لِلْكَافِرِ الْعَادِلِ أَنْ يَتَوَلَّى هَذِهِ السُّلْطَنَةَ؛ إِذَا لَمْ يَزَاحِمَهُ الْمُسْلِمُ الْعَادِلُ.

وَمِنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ نَسْتَنْتِجُ أَهْلِيَّةَ صَاحِبِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ لِلِاسْتِقْلَالِ بِالْفَتْوَى؛ وَبِهَذَا نَرُدُّ عَلَى عَالِمِ الشُّوعِيِّينَ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنِ الْمَاشِطَةِ فِيمَا نَشَرَهُ بِجَرِيدَةِ الْفَيْحَاءِ لِصَاحِبِهَا عَبْدَ الرَّزَّاقِ الْحَسَنِيِّ سَنَةَ ١٩٢٧ مِنْ أَنَّ الْمُتَرْجِمَ لَهُ، أَحْجَمَ عَنِ الْفُتْيَا تَوَرُّعًا وَلَا أَعْرَفَ مَوْقِعَ هَذَا التَّوَرُّعِ وَهُوَ مُجْتَهِدٌ وَالْفُتْيَا مِنْ مَهَامِّ وَظَائِفِهِ سَلْبًا أَوْ إِيْجَابًا، وَقَدْ أَفْتَى فِي مَسْأَلَةٍ سِيَاسِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ لَهَا خُطُورُهَا، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ وَجْهٌ لِصَحَّةِ الْمَسْأَلَةِ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ يُطَالِهَا فَمَا مَعْنَى التَّوَرُّعِ؟ أَنَّهُ دَمٌ فِي صُورَةِ الْمَدْحِ.

وَفَاتَهُ

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِرُوحِهِ الطَّاهِرَةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ خَامِسَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ٦٦٤ هـ، وَيَجُوزُ لَنَا أَنْ نُورِّخَ وَفَاتَهُ بِقَوْلِنَا:

مُذَمَّاتُ أَثَارِ الْعُلُوِّ مِ ارْخُوهَا: (دَرَسَتْ)
وَقَبْرُهُ مَزَارٌ مُقَدَّسٌ بِمَقَرِّبَةٍ مِنْ بِنَايَةِ سِجْنِ الْحِلَّةِ الْمَرْكَزِيِّ الْحَالِيِّ، وَبِقُرْبِهِ مِنَ الْجِهَةِ
الْخَلْفِيَّةِ مَرْقَدُ ابْنِ أَخِيهِ غِيَاثِ الدِّينِ عَبْدَ الْكَرِيمِ، وَفِي نِهَايَةِ بَسَاتِينِ الْجَامِعَيْنِ قَبْرُ وَلَدِهِ

(١) فِي الْأَصْلِ: (أَعْطَاهُ)، وَالصَّوَابُ: (إِعْطَاهُ).

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِرِيِّ فِي الْحِلْيَةِ

رَضِيَ الدِّينُ عَلِيُّ بْنُ طَاوُوسٍ، وَمَا قِيلَ مِنْ أَنَّ قَبْرَهُ بِالْكَاطِمِيَّةِ أَوْ بِالنَّجَفِ لَيْسَ بِمَحَلٍّ اعْتِمَادٍ؛ بَلْ هُوَ مُجَرَّدُ احْتِمَالٍ^(١).

٣٠. عَبْدُ الْكَرِيمِ غِيَاثُ الدِّينِ ابْنُ طَاوُوسٍ^(٢) (٦٤٨-٦٩٣ هـ)^(٣)

عَلَاقَةُ الْعَالَمِ بِالْمُجْتَمَعِ أَشْبَهُ بِعَلَاقَةِ الْعَقْلِ بِالْجَسَدِ، فَهُوَ عِدَّةُ تَفْكِيرِهِ وَمَرْكَزُ إِحْسَاسِهِ وَتَوْجِيهِهِ، فَكَمَا أَنَّ الْجِسْمَ يَحْتَاجُ إِلَى الْعَقْلِ وَالْأَلَّا سَقَطَتْ قِيَمَتُهُ؛ فَكَذَلِكَ الْأُمَّةُ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْعَالَمِ الْمُصْلِحِ وَالْأَلَّا ذَهَبَتْ تَائِهَةٌ فِي بَيْدَاءِ الْحَيَاةِ وَفَقَدَتْ الصَّلَاحَ وَهُوَ أَفْضَلُ مُقَوِّمَاتِهَا الذَّاتِيَّةِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ صَاحِبَ التَّرْجَمَةِ أَفْضَلُ مِثَالٍ لِلْعَالَمِ الدِّينِيِّ الْمُصْلِحِ الَّذِي أَفْنَى حَيَاتِهِ فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِ وَخِدْمَةِ أُمَّتِهِ؛ فَكَانَ جَزَاؤُهُ مِنْهَا ذَلِكَ الْإِحْتِرَامَ وَالتَّقْدِيرَ، وَمَا يَقْتَضِيهِ الْبَحْثُ فِي اسْتِكْنَاهِ شَخْصِيَّتِهِ الْفَذَّةِ هُوَ تَمْهِيدُنَا بِإِيجَازٍ عَلَى أَسْرَتِهِ الْكَرِيمَةِ، وَهِيَ أَسْرَةُ آلِ طَاوُوسٍ الْعِلْمِيَّةِ الْحِلْيَةِ؛ فَتَقُولُ:

إِنَّ جَدَّ هَذِهِ الْأُسْرَةِ هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ

(١) يُنْظَرُ: مشاهير المدفونين في الصحن العلوي، كاظم عبود الفتلاوي، وفيه إثبات أن قبره بالنجف، وقال السيّد حسن الصدر رحمته الله في خاتمة كتابه (تحية أهل القبور بها هو مأثور) أن القبر الذي يُعرف بالحلّة بقبر السيّد عليّ بن طاووس هو لولده عليّ الذي اشترك معه بالاسم واللقب. (أحمد الحلّي).

(٢) ترجمته في: رجال ابن داود: ٢٢٦ الرقم ٩٤٧، مجمع الآداب في معجم الألقاب: ٤٤٢/٢ الرقم ١٧٧٤، نقد الرجال: ١٩١، جامع الرواة: ١/٤٦٣، أمل الآمل: ١٥٨/٢ الرقم ٤٥٩، رياض العلماء: ٣/١٦٤، هدية العارفين: ١/٦١٢، إيضاح المكنون: ٥٧/٢، تنقيح المقال: ١٥٩/٢ الرقم ٦٦٧٨، الكنى والألقاب: ١/٣٤١، الفوائد الرضويّة: ٢٣٨، سفينة البحار: ١٢٢/٢، أعيان الشيعة: ٨/٤٢، قاموس الرجال: ٥/٣٥٣، الأعلام: ٤/٥١، معجم رجال الحديث: ١٠/٦٢ الرقم ٦٦٠٩، موسوعة الفقهاء: ٧/١٢٤.

(٣) في موسوعة الفقهاء (المقدمة): ٢/٣١٥ «ولد في شعبان سنة ٦٤٨ هـ، وتوفي في شوال سنة ٦٩٣ هـ، وكان عمره خمساً وأربعين سنة وشهرين وأياماً».

القرن السابع الهجري

سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الْحَسَنِ الْمُشْتَى ابْنِ الْحَسَنِ السَّبْطِيِّ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام لَقَّبُوهُ بِالطَّائِوُسِ لِحِمَالٍ رَائِعٍ فِي وَجْهِهِ وَنَقْصٍ فِي رِجْلَيْهِ^(١)؛ فَقِيلَ الطَّائِوُسِيُّ عَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّى أَمْرَ النِّقَابَةِ بِسُورَاءٍ، وَكَانَ مَعْرُوفًا بِشِدَّةِ التَّزْهِدِ وَالتَّقْوَى وَالتَّعَفُّفِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَلَهُ أَبْنَاءٌ وَأَحْفَادٌ أَحْيَا ذِكْرَهُ وَسَارُوا عَلَى طَرِيقَتِهِ الْمُثَلِّ، مِنْهُمْ أَبُو الْفَضَائِلِ أَحْمَدُ الَّذِي مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ عَلَيْكَ، الرِّقْمُ (١٩)، وَمِنْهُمْ رَضِيُّ الدِّينِ، وَرَضِيُّ الدِّينِ وَلَدُهُ، وَصَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجِمَةِ، وَهُوَ ابْنُ أَبِي الْفَضَائِلِ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ؛ فَרَضِيُّ الدِّينِ الْأَوَّلُ عَمُّ عَبْدِ الْكَرِيمِ غِيَاثِ الدِّينِ وَرَضِيُّ الدِّينِ ابْنُ رَضِيِّ الدِّينِ ابْنُ عَمِّ عَبْدِ الْكَرِيمِ، وَرَضِيُّ الدِّينِ الْأَبُّ وَرَضِيُّ الدِّينِ الْإِبْنُ وَلَدُهُ اشْتَرَكَا فِي الْأَسْمِ وَالْكُنْيَةِ، وَاللَّقَبُ، وَكُلُّ مِنْهُمَا يُكْنَى بِ: (أَبِي الْقَاسِمِ) وَيُلَقَّبُ بِ: (رَضِيِّ الدِّينِ)، وَيُسَمَّى بِ: (عَلِيٍّ)، وَكَذَلِكَ رَضِيُّ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ غِيَاثِ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ وَهُوَ مِنْ غَرِيبِ الْإِتْفَاقِ.

حَذَا عَبْدُ الْكَرِيمِ حَدَّثَ أَبِيهِ أَبِي الْفَضَائِلِ عَلَمًا، وَأَدَبًا، وَزُهْدًا، وَوَرَعًا، وَكَانَ كَمَا كَانَ أَبُوهُ مَشْعَلًا يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ فِي مُدْلَهَمَاتِ الْخُطُوبِ فَقَدْ وَهَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى حِسًّا مُرْهَفًا وَذَهْنًا صَافِيًّا وَرُوحًا شَفَافَةً؛ فَهُوَ قَوِيُّ الْهَاجِسِ وَالذَّاكِرَةِ، وَالشَّخْصِيَّةِ وَالْإِيْمَانِ وَالْقَلْبِ، دَقِيقُ الْمُلَاحَظَةِ يَنْطَبِعُ عَلَى لَوْحِ ذَهْنِهِ الصَّافِي كُلِّ مَا يَسْمَعُهُ فَلَا يَنْسَاهُ حَتَّى نَقَلُوا عَنْهُ إِنَّهُ عليه السلام اسْتَظْهَرَ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ حِفْظًا، وَهُوَ فِي الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ وَبِمُدَّةٍ وَجِيزَةٍ، كَمَا أَنَّهُ تَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا بِنَفْسِهِ دُونَ مُعَلِّمٍ فَهُوَ مُعَلِّمٌ نَفْسِهِ^(٢)، قَالَ فِي تَرْجُمَتِهِ صَاحِبُ كِتَابِ (رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) إِنَّهُ: «حَاثِرِيُّ الْمَوْلِدِ، حِلِّي الْمَنْشَأِ، بَغْدَادِي التَّحْصِيلِ، كَاطِمِي الْحَاقِمَةِ»^(٣).

(١) ليس نقصًا، وإنما لدقة رجليه شبهة بالطاووس. (أحمد الحلي).

(٢) روضات الجنات: ٤ / ٣٣٠.

(٣) روضات الجنات: ٤ / ٣٣٠.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِتِيِّ فِي الْحِلَّةِ

وَلَمَّا كَانَتْ الْحِلَّةُ وَطَنَ أَسْرَتِهِ وَمَسْقَطَ رَأْسِ وَالِدِهِ، وَحَلَّ سُكْنَاهُ، وَلَمْ يَهَاجِرْ وَالِدُهُ أَبُو الْفَضَائِلِ إِلَى كَرْبَلَاءِ الْمُقَدَّسَةِ لِاسْتِطَاعَتِهَا؛ فَكَيْفَ تَكُونُ وَلَادَةُ ابْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ فِي كَرْبَلَاءِ؟ إِنَّ هَذَا الرَّيْبَ يَزُولُ بِسُرْعَةٍ وَيَتَلَاشَى إِذَا أُمُكِنَ أَنْ نَقُولَ بِأَنَّ أُمَّهُ ذَهَبَتْ لِرِيَاةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَهِيَ حُبْلَى مُقَرَّبٌ قَوْلُكَتُهُ فِي كَرْبَلَاءِ وَعَادَتْ بِهِ إِلَى الْحِلَّةِ بَعْدَ أَدَاءِ مَرَاثِمِ الزِّيَارَةِ، وَكَذَلِكَ أَجِدُ وَهْنًا فِي تَعْيِيرِ صَاحِبِ رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)؛ فَإِنَّهُ بَعْدَ أَنْ حَكَّمَ عَلَى الْمُتَرَجِّمِ لَهُ بِأَنَّهُ حِلِّيُّ الْمَنْشَأِ وَيَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ تَحْصِيلَهُ الْعِلْمِيَّ كَانَ فِي الْحِلَّةِ؛ فَكَيْفَ يَصُحُّ بَعْدَ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِيهِ «إِنَّهُ كَاطِمِيُّ التَّحْصِيلِ» لَا سِيَّمَا وَصَفَهُ بِالذَّكَاءِ الْمُبَكَّرِ الْقَوَارِ وَالْحَفْظِ الشَّدِيدِ، وَهُوَ فِي بَيْتَةِ عِلْمِيَّةٍ جَلِيلَةٍ، وَفِي بَيْتِ عِلْمِيٍّ عَظِيمٍ؛ فَهَلْ أَهْمَلَهُ أَبُوهُ وَأَسْرَتُهُ وَأَغْفَلُوا هَذِهِ الْقَابِلِيَّةَ فِيهِ، وَتَرْكُوهُ فِي الطَّرْقَاتِ يَلْهُو مَعَ أَبْنَاءِ الشُّوَارِعِ دُونَ تَوْجِيهِهِ؛ فَلَمَّا ذَهَبَ إِلَى الْكَاطِمِيَّةِ تَلَقَّى تَحْصِيلَهُ فِي الْكَاطِمِيَّةِ؛ فَقَالَ «كَاطِمِيُّ التَّحْصِيلِ» وَلَيْسَ فِي تَعْيِيرِهِ كَذِبٌ؛ لِأَنَّ إِكْمَالَ التَّحْصِيلِ مَعْنَاهُ التَّحْصِيلُ أَيْضًا، وَلَكِنَّهُ لِرَفْعِ الْإِيهَامِ وَكَانَ يَجِبُ أَنْ لَا يَعْمَدَ إِلَى تِلْكَ الْجُمْلَةِ الرَّيْكِكَةِ.

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَابَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءُ بُنْبَلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَائِيهِ^(١) قَالَ فِي تَرْجَمَتِهِ صَاحِبُ كِتَابِ (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ) إِنَّهُ: «الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْفَاضِلُ الْعَلَّامَةُ الْفَقِيهُ الْكَامِلُ، الْجَامِعُ الْفَهَامَةُ، صَاحِبُ كِتَابِ (فَرْحَةُ الْغُرَيِّ) وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَوْلُفَاتِ، كَانَ شَاعِرًا، مُنْشِئًا، أَدِيبًا بَلِيغًا، وَقَدْ مَدَحَهُ الشَّهِيدُ الثَّانِي فِي إِجَازَتِهِ لِلشَّيْخِ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ، وَمِنْ جُمْلَةِ مَا قَالَ فِيهِ لِصَاحِبِ الْكَرَامَاتِ وَالْمَقَامَاتِ»^(٢) إلخ.. فَهَذَا النَّابِيُّ الْكَرِيمُ أَخٌ مِنْ أَبِيهِ أَبِي الْفَضَائِلِ كُلُّ مَا فِيهِ مِنْ مَكَارِمَ وَفَضَائِلَ، وَأَخَذَ مِنْ عَمِّهِ رِضِيِّ الدِّينِ مِنْ بُنْبُلٍ وَشَرَفٍ وَصَلَاحٍ وَرِئَاسَةٍ وَجَلَالَةٍ حَتَّى كَانَ فِي كُلِّ ذَلِكَ مَضْرَبَ

(١) البيت من البحر الطويل، وهو ليزيد بن محمد المهلبِي في زهر الآداب: ٥٥، وانظر: التمثيل

والمحاضرة: ٩٣، ونهاية الأرب: ٩٠/٣.

(٢) رياض العلماء: ١٦٤/٣.

القرن السابع الهجري

المثل، فهو نسابة، نحوي، عروضي، أصولي، متكلم، فقيه، شاعر، منشيء^(١)، تتلمذ لعمه رضي الدين علي بن سعد الدين موسى، ولأبيه أبي الفضائل والمحقق الحلي، والسيّد عبد الحميد، وهذا دليل على أنه حلي التحصيل كما تتلمذ على الخواجه نصير الدين الطوسي^(٢)، وهذا يدل على أنه أكمل التحصيل في الكاظمية وعلى المؤرخ أن يقارن ويستنتج، وإلا فالتاريخ أشبه ببحر الظلمات الذي تروي عنه الأساطير.

وقد تتلمذ المترجم لعلماء الشيعة، ومنهم من ذكرناهم كما تتلمذ لعلماء إخواننا أهل السنة مما يدل على وجود الألفة بين الفريقين قبل أن يفسدها المستعمر بدسائسه الحفيرة، وقد كان أستاذًا لجماعة كبيرة من علماء الإمامية ولعلماء أهل السنة كأحمد بن داود، والشيخ عبد الصمد ابن أبي الجيش الحنلي، والشيخ علي بن الحسين الليثي الواسطي، وغيرهم من مشاهير العلماء الحاذقين.

مؤلفاته

للعبد الكريم مؤلفات كثيرة غنية عن البيان؛ منها: كتابه الذي اشتهر به (فرحة الغري)^(٣)؛ وهو كتاب نافع ممتع فيه طائفة من النوادر وبه مسائل ثمينة واحتجاج قوي منطقي سليم في تعيين قبر أمير المؤمنين مفضلًا أو هامًا النواصب، ودس الخوارج الذين يزعمون باطلاً أن مرقداً أمير المؤمنين الحالي في النجف الأشرف؛ إنما هو قبر المغيرة بن شعبه زاعمين أن مرقداً الإمام في الكوفة؛ كأنهم أدرى من أهل بيته بموضع قبره، ولم نجد دافعاً يدفعهم إلى هذا الزعم الواهن سوى شنّ حرهم على الإمام حتى بعد موته، ولكن نرى أن أبا المظفر كان مظفرًا في إقامة تلك الحجج القوية التي أفلج

(١) رجال ابن داود: ١٣٠، الرقم ٩٤٧.

(٢) خاتمة المستدرک: ٢ / ٣٢١.

(٣) طبع بتحقيق السيّد تحسين آل شبيب الموسوي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، وبحقيق الشيخ مهدي نجف في العتبة العلوية المقدسة.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلْيَةِ

بِهَا آراءُ الْخُصُومِ وَمَنْ شَاءَ الْإِطْلَاعَ عَلَى تِلْكَ الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ فَلْيُرَاجِعْ كِتَابَ (فَرْحَةُ الْغُرِّي) ^(١) الَّذِي اعْتَنَى بِتَلْخِيصِهِ الْعُلَمَاءُ الْأَفَاضِلُ، وَمِنْهُمْ مُؤَلَّفُ تَلْخِيصِهِ الَّذِي دَعَاهُ بِ(الدَّلَائِلِ الْبَرْهَانِيَّةِ فِي تَصْحِيحِ الْحَضَرَةِ الْغُرَوِّيَّةِ) ^(٢).

وَلِلْمُتَرَجِّمِ لَهُ كِتَابٌ آخَرُ، مِنْهَا (الشَّمْلُ الْمَنْظُومُ فِي مُصَنَّفِي الْعُلُومِ) ^(٣)، قِيلَ فِيهِ: لَيْسَ لِأَصْحَابِنَا نَظِيرُهُ. وَيَكْفِي فِي فَضْلِ مُؤَلَّفِهِ مَا وَرَدَ فِي إِجَارَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ الْحَمِيدِ لَهُ بِقَوْلِهِ: «قَرَأَ عَلَيَّ السَّيِّدُ الْإِمَامُ، الْعَلَّامَةُ الْبَارِعُ، الْقُدْوَةُ، الْمُحَقِّقُ الْمُدَقِّقُ، الْحَسِبُ النَّسِيبُ، الْفَقِيهُ الْكَامِلُ، النَّفِيبُ الطَّاهِرُ، غِيَاثُ الدِّينِ، جَمَالُ الْمِلَّةِ، مَلِكُ السَّادَةِ، مُفْتِي الْفِرْقِ، عَلَمُ الْهُدَى، ذُو الْحَسَبَيْنِ وَالنَّسَبَيْنِ، أَبُو الْمُظَفَّرِ عَبْدُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْمَوْلَى السَّيِّدِ السَّعِيدِ الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ فَتِيهِ أَهْلُ الْبَيْتِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفَضَائِلِ أَحْمَدَ بْنَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاوُوسِ الْعُلُوِّيِّ الْحَسَنِيِّ - زَادَ اللَّهُ فِي شَرَفِهِ، وَأَحْيَا بِفَضَائِلِهِ ذِكْرَ سَلَفِهِ - هَذَا الْكِتَابَ - أَيِ الْمَجْدِيِّ - مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ قِرَاءَةً مُهَذَّبَةً مُؤَدَّنَةً بِغَزِيرِ فَضَائِلِهِ دَالَّةً عَلَى مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا هُوَ غَنِيٌّ عَنْ دَلَائِلِهِ، وَنَقَبَ عَنْ مُشْكَلَاتِهِ، وَاسْتَشْرَحَ عَنْ فَائِقِ مُحَسَّنَاتِهِ، وَسَائِلَ عَنْ دَقَائِقِ إِشَارَاتِهِ، وَحَقَائِقِ مُعْضَلَاتِهِ، فَأَوْضَحَتْهُ بِمَا نَقَلْتُهُ عَنْ الْفُضَلَاءِ، وَمَا خَطَرَ لِي فِي أَتْنَاءِ ذَلِكَ مِنَ الْقَبُولِ لَهُ، وَالرَّدِّ، وَأَجَزْتُ لَهُ وَلَوْلَا ذَلِكَ السَّيِّدُ

(١) لِلْمُؤَلَّفِ ﷺ مَقْدَمَات، يُنْظَرُ: الْمَقْدَمَةُ الْأُولَى وَالثَّانِيَّةُ: ٣٥-٤٣.

(٢) يُنْظَرُ: رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ: ١/٣٧٩، رَوَضَاتُ الْجَنَّاتِ: ٢/٢٧٥، وَفِي الذَّرِيعَةِ: ٨/٢٤٨، وَهُوَ لِحَمَالِ الدِّينِ أَبِي مَنْصُورِ الْحَسَنِ بْنِ الْمُطَهَّرِ الْحِلِّيِّ (ت ٧٢٦هـ)، وَفِي خَاتَمَةِ الْمُسْتَدْرَكِ: ٢/٣٢١، لَمْ يُعْرِفْ صَاحِبُ الْكِتَابِ (رَأَيْتُهُ بِطَهْرَانٍ وَلَمْ أَعْرِفْ مُؤَلَّفَهُ).

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ، وَهُوَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَتَائِقِيِّ، بِحَسَبِ مَا جَاءَ فِيهِ، عِنْدَ نَقْلِهِ كَرَامَةً وَقَعَتْ أَمَامَ عَيْنِهِ فِي بَابِ الطُّوسِيِّ. وَطُبِعَ الْكِتَابُ بِاسْمِ الْعَلَّامَةِ الْحِلِّيِّ مَعَ كِتَابِ (الْغَارَاتِ) لِلتَّقْفِيِّ بِتَحْقِيقِ الْمَحْدِّثِ الْأَرْمَوِيِّ، وَعَلَى حِدَّةٍ بِتَحْقِيقِ الدُّكْتُورِ ثَامِرِ الْخَفَاجِيِّ، وَكِلَاهُمَا لَمْ يَلْتَفِتَا إِلَى ذَلِكَ، فَلَا حِظَّ. (أَحْمَدُ الْحِلِّيُّ).

(٣) يُنْظَرُ: خَاتَمَةُ الْمُسْتَدْرَكِ: ٢/٣٢١.

القرن السابع الهجري

المُبَارَكُ الْمُعَظَّمُ رَضِيَ الدِّينُ أَبِي الْقَسَمِ عَلَيَّ أَمْتَعَهُ اللَّهُ بِطُولِ حَيَاتِهِ، بِرَوَايَتِهِ عَنِّي عَنْ وَالِدِي تَقِيٍّ بِالسَّنَدِ الْمُتَّصِلِ الْمَذْكُورِ فِي الْإِجَازَةِ الْجَامِعَةِ الَّتِي سَطَرْتُهَا لَهُ فِي كِتَابِ إِجَازَاتِهِ عَنِ الْمُصَنِّفِ رحمته الله، وَأَجَزْتُ لَهُ أَيْضًا رِوَايَةً مَا يَصُحُّ رَوَايَتُهُ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ وَالْمُؤَلَّفَاتِ وَالْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ وَالْمَنْقُولِ وَالْمُتَأَوَّلِ عَلَى اخْتِلَافِ ذَلِكَ وَتَبَائِنِهِ؛ فَلْيَرَوِيَا عَنِّي مُحْتَاطَيْنِ لِي وَلَهُمَا^(١) الْإِنْخ.

فَمَا وَرَدَ فِي هَذِهِ الْإِجَازَةِ يَصُحُّ أَنْ يَكُونَ شَهَادَةً عِلْمِيَّةً مُهِمَّةً مِنَ الْمُجِيزِ الْجَلِيلِ الْعَلَامَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ فَخَارِ الْحَلِيِّ مِنْ أَسَاتِذَةِ السَّيِّدِ الْمُجَازِ؛ فَلَمْ تَكُنِ الْأَوْصَافُ الَّتِي وَرَدَتْ بِهَا عَنْ مُجَامَلَةٍ وَفَتْنَةٍ أَوْ مَا نُعْبِرُ عَنْهُ بِ(النَّفَاقِ الْاجْتِمَاعِيِّ) وَإِنَّمَا هِيَ سَنَدٌ تَارِيخِيٌّ لَهُ قِيمَتُهُ وَأَهْمِيَّتُهُ؛ أُعْطِيَ بَعْدَ تَقْدِيرِ لَظُرُوفٍ وَنَظَرٍ فِي اسْتِحْقَاقِهِ، وَعَنْ ثِقَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ فِي عَصْرِ عِلْمِيٍّ سَلِيمٍ مِنْ هَذِهِ الشَّوَائِبِ الَّتِي طَرَأَتْ عَلَى أَخْلَاقِ أُنْبَاءِ هَذَا الْجَلِيلِ؛ فَأَفْقَدَتْهُمْ الْمَقَائِيسَ الصَّحِيحَةَ، وَجَعَلَتْهُمْ يَتَخَبَّطُونَ فِي دِيَاغِيرٍ مِنَ الْجَهْلِ وَالشُّبُهَاتِ فِي طُرُقٍ مُلْتَوِيَةٍ لَا أَوَّلَ لَهَا وَلَا آخِرَ.

وَقَدْ قَالَ صَاحِبُ الْمُسْتَدْرَكِ إِنَّهُ: «نَادِرَةُ الزَّمَانِ، وَأَعْجُوبَةُ الدَّهْرِ، صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ وَالْكَرَامَاتِ»، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّهِيدُ الثَّانِي فِي إِجَازَتِهِ الْكَبِيرَةِ.

قَالَ تَلْمِيزُهُ الْأَرُشْدُ تَقِيُّ الدِّينِ الْحَسَنُ بْنُ دَاوُدَ فِي رِجَالِهِ: «سَيِّدُنَا الْإِمَامُ الْمُعَظَّمُ، غِيَاثُ الدِّينِ، الْفَقِيهَ، النَّسَابَةُ، النَّحْوِيُّ، الْعَرُوضِيُّ، الزَّاهِدُ الْعَابِدُ، أَبُو الْمُظْفَرِ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ -، انْتَهَتْ رِئَاسَةُ السَّادَاتِ وَذِي النِّوَامِيسِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَوْحَدَ زَمَانِهِ، حَائِزِي الْمَوْلِدِ، حَلِيٍّ الْمَنْشَأِ، بَغْدَادِيٍّ التَّحْصِيلِ، كَاطِمِي الْحَاتِمَةِ^(٢)، وَقَدْ بَيَّنَّا رَأْيَنَا حَوْلَ الْفِقَرَاتِ الْأَخِيرَةِ؛ فَلَا حَاجَةَ لِلتَّعَرُّضِ إِلَيْهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَوُلِدَ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ

(١) تعليقة أمل الآمل: ١٧٦-١٧٧.

(٢) خاتمة المستدرک: ٣٢٠-٣٢١، ويُنظر: رجال ابن داود: ١٣٠.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحِلَّةِ

٦٤٨هـ، وَتُوِّفِي فِي شَهْرِ شَوَّالِ سَنَةِ ٦٩٣هـ، وَعُمُرُهُ ٤٥ سَنَةً وَأَيَّامًا^(١).

يُرَوِّي عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَسَاطِينِ الْعُلَمَاءِ؛ مِنْهُمْ وَالِدُهُ، وَعَمُّهُ رِضِيُّ الدِّينِ عَلِيٌّ،
وَالْمُحَقِّقُ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَمِّ الْمُحَقِّقِ الْمُقْبُورِ فِي مَحَلَّةِ الطَّاقِ مِنَ الْحِلَّةِ، وَيُرَوِّي
أَيْضًا عَنِ الْفَيْلَسُوفِ الْخَوَاجَةِ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ، وَالشَّيْخِ مُفِيدِ الدِّينِ ابْنِ جَهْمٍ،
وَأُسْتَاذِهِ السَّيِّدِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ فَخَّارٍ - الْمَذْكُورِ آنفًا - وَغَيْرِهِمْ.

مُلَاحَظَةٌ

وَرَدَ فِي بَابِلِيَّاتِ الْيَعْقُوبِيِّ قَوْلُهُ: «وَلَفْظُ ابْنِ طَاوُوسٍ وَيُطْلَقُ غَالِبًا عَلَى الْمُتَرَجِّمِ أَبِي
الْقَاسِمِ رِضِيِّ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ»^(٢)؛ ثُمَّ إِنَّهُ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ كَمَا الْجُزْءُ نَفْسِهِ
عِنْدَ تَرْجُمَتِهِ لِأَبِي الْفَضَائِلِ: «وَكُلَّمَا أُطْلِقَ فِي مَبَاحِثِ الْفِقْهِ وَالرِّجَالِ لَفْظُ ابْنِ طَاوُوسٍ؛
فَالْمُرَادُ مِنْهُ صَاحِبُ التَّرْجَمَةِ»^(٣)؛ أَي: وَيَعْنِي السَّيِّدَ أَحْمَدَ أَبَا الْفَضَائِلِ، وَهَذَا تَنَاقُضٌ، كَمَا
أَنِّي لَاحِظْتُ فِي كِتَابِ (الْكُنَى وَالْأَلْقَابِ)^(٤) لِلْعَلَّامَةِ الْقُمِيِّ قَوْلُهُ: «رِضِيُّ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ
مُوسَى مُحَمَّدٍ جَعْفَرٍ...».

وَهُوَ اشْتِبَاهٌ، وَالصَّوَابُ مَا ذَكَرْنَاهُ؛ فَهُوَ رِضِيُّ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ،
وَلَيْسَ رِضِيُّ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ جَعْفَرٍ، كَمَا أَنَّ صَاحِبَ (الْكُنَى وَالْأَلْقَابِ)
كَانَ قَدْ ذَكَرَ أَنَّ «جَمَالَ الدِّينِ بْنِ أَحْمَدَ»^(٥)؛ وَهُوَ سَهْوٌ، وَالصَّوَابُ: أَنَّهُ (جَمَالُ الدِّينِ أَحْمَدُ)؛
فَوُرُودُ لَفْظَةِ (ابْنِ) زَائِدَةٌ.

(١) موسوعة الفقهاء (المقدمة): ٣١٥ / ٢.

(٢) البابليّات: ٦٥ / ١.

(٣) البابليّات: ٦٥ / ١.

(٤) الكنى والألقاب: ٣٣٤ / ١.

(٥) الكنى والألقاب: ٣٣٤ / ١.

القرن السابع الهجري

كَمَا لَا حَظَّنَا اخْتِلَافًا بَيْنَ نَسَبِهِ الشَّرِيفِ وَنَسَبِ عَمِّهِ رَضِيِّ الدِّينِ عَلِيٍّ؛ فَقَدْ وَرَدَ فِي نَسَبِ عَمِّهِ «مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ»، وَوَرَدَ فِي نَسَبِهِ «مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ» وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَ جَعْفَرٍ، كَمَا أَنَّ مُحَمَّدًا وَالِدَ مُوسَى وَأَبَاهُ، وَجَدَّهُ، كُلُّهُمْ تَسَمَّى بِهِ: (مُحَمَّدٌ) كَمَا تَلَحُّظُهُ فِي نَسَبِ عَبْدِ الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَتَكَرَّرْ اسْمُ مُحَمَّدٍ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ فِي نَسَبِ عَمِّهِ رَضِيِّ الدِّينِ؛ فَقَامَ (مُحَمَّدٌ) مَقَامَ (جَعْفَرٍ)، وَهَذَا لَا شَكَّ سَهْوٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّ (جَعْفَرَ) قَدْ ثَبَتَ كَوْنُهُ أَبَا لِمُوسَى، وَالنَّشَابَةُ الْمُتَكَرِّرُ فِي (أَحْمَدَ) وَ(مُحَمَّدَ) كَانَ مَنشَأَ الْاِشْتِيَاءِ؛ فَبَدَّلَ النَّاسُخُ (جَعْفَرَ) بِ(مُحَمَّدَ)، وَلَوْلَاهُ لَمَا وَقَعَ الْاِخْتِلَافُ فِي النَّسَبِ فَمِنْ مُوسَى إِلَى ابْنِ طَاوُوسٍ تَسْعَةُ أَسْمَاءٍ سِوَى أَنَّ جَعْفَرًا^(١) وَقَعَ مَوْقِعَ مُحَمَّدٍ سَهْوًا؛ فَلْيَلَا حَظَّ الْقَارِئِ ذَلِكَ، وَفِي هَذَا الْبَيْتِ الْكَرِيمِ يَقُولُ الشَّاعِرُ، وَقَدْ أَحْسَنَ فِيمَا قَالَ وَفِيهِ تَوْرِيَّةٌ:

سُدُّتُمْ^(٢) النَّاسَ بِالتَّقَى سِوَاكُمْ سَوَدَّتْهُ الْبَيْضَاءُ وَالصَّفْرَاءُ^(٣)

٣١. أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ الْقَاضِي (ت ٦٢١ هـ)^(٤)

وَرَدَ فِي الْأَثَرِ قَاضِيَانِ: قَاضٍ فِي الْجَنَّةِ، وَقَاضٍ فِي النَّارِ^(٥)، وَصَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ مِنَ الْمُؤَسِّفِ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَصَادِيقِ النَّوعِ الثَّانِي؛ فَقَدْ كَانَ مَثَلًا سَيِّئًا لِلْقَضَاةِ، وَالْقَاضِي

(١) في المطبوع: (جعفر)، والصواب هو المثبت.

(٢) في المطبوع: (سدمتوا)، وكأنه جعلها هكذا لالتقاء الساكنين، ولا مسوِّغَ لوضع الألف الفارقة،

والصواب هو المثبت.

(٣) يُنظر: الكنى والألقاب: ١/ ٣٤٢.

(٤) ترجمته في الوافي بالوفيات: ١٣٣/ ٢١، إنسان العيون في مشاهير سادس القرون: ١٣٢

وما بعدها، أخبار القضاة: ١٣/ ٣.

(٥) روي عن النبي ﷺ: (القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنتان في النار، والذي في الجنة رجل عَرَفَ

الحق فاجتهد، فحكم فعدل، ورجل عَرَفَ فحكم فجار فذاك في النار، ورجل قضى بين الناس

على جهل فذاك في النار). يُنظر: الخلاف للطوسي: ٦/ ٢٠٨، سنن أبي داود: ٣/ ٢٩٩ حديث

٣٥٧٣، سنن ابن ماجه: ٢/ ٧٧٦ حديث ٢٣١٥، تلخيص التحرير: ٤/ ١٨٥ حديث ٢٠٨٢،

كنز العمال: ٦/ ٩١ حديث ١٤٩٨٠-١٤٩٨٢، وفي الجميع باختلاف يسير في اللفظ.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ السَّحِيحِ حَاكِمٌ مُطْلَقٌ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ حُقُوقِيَّةٍ بَحْتَةٍ أَمْ شَرْعِيَّةٍ، أَمْ جَزَائِيَّةٍ؛ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ [لَهُ] زَاجِرٌ مِنْ ضَمِيرِ نَزِيهِهِ وَرَادِعٌ مِنْ دِينِ صَحِيحٍ؛ فَهُوَ حِينَئِذٍ نَقِمَةٌ عَلَى الْمُجْتَمَعِ الَّذِي يَعْيشُ فِيهِ، وَخَطَرٌ مَا بَعْدَهُ خَطَرٌ يَهْدُدُ الْهَيْئَةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ، وَالْعَدْلَ أَوَّلَ رَفْعٍ يَجِبُ أَنْ يُنْقَشَ عَلَى مِنْهَاجِ تَمَذُّنِ الْأُمَّةِ وَيُكْتَبَ عَلَى لَوْحَةِ ثِقَافَتِهَا؛ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَتَوَالَى^(١) الْأَرْقَامُ الْأُخْرَى؛ وَقَدْ صَحَّ أَنَّ (الْعَدْلَ أَسَاسَ الْمُلْكِ)، وَهَلْ يَقَامُ بِنَاءٌ بِلَا أَسَاسٍ؟ وَالْقَاضِي الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِ تَرْجَمَتِهِ كَانَ مُسَلِّطًا عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ وَأُمُورِهِمْ، مُسَفًّا فِي عِلَاقَاتِهِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ [بِ]رُغْمِ كَوْنِهِ صَاحِبَ مَنْصِبٍ دِينِي رَفِيعٍ، لَهُ وَقَارُهُ وَحُرْمَتُهُ، وَلَكِنَّ صَاحِبَنَا لَمْ يَحْسَبْ لِهَذِهِ الْأُمُورِ حِسَابًا؛ فَكَانَ كُلُّ هِمِّهِ نَحْوَ اقْتِنَاصِ مَلَاذِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ حَتَّى لَوْ كَانَتْ حَقِيرَةً، شَدِيدَةً الْحَقَارَةَ؛ فَمَثَلَ فِي أَعْمَالِهِ النَّافِثَةَ انْتِصَارَ الْجَسَدِ الْوَضِيعِ عَلَى الرُّوحِ وَالْعَقْلِ وَاسْتِسْلَامِهَا لَهُ دُونَ مُقَاوَمَةٍ؛ فَهُوَ بِهَذَا ذَلِكَ التَّأْخِيرِ الْخُلُقِيُّ إِلَى هَوَاةٍ سَاحِقَةٍ مِنْ إِزْرَاءِ النَّاسِ وَاحْتِقَارِهِمْ لِشَأْنِهِ وَأَصْبَحَ عُرْضَةً لِلنَّقْدِ الْمُرِّ وَالذَّمِّ مَعَ أَنَّهُ لَوْ أَطَاعَ عَقْلُهُ الَّذِي أَسْرَتْهُ الشَّهَوَاتُ لَأَصْبَحَ مِنَ الْحَالِدِينَ؛ نَظَرًا لِعِلْمِهِ الْوَفِيرِ وَتَضَلُّعِهِ بِالْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَثِقَافَتِهِ الْمُتَمَازَةِ وَأَدَبِهِ وَاطِّلَاعِهِ بِالْغَزِيرِ؛ وَلَيْتَ شِعْرِي مَاذَا يَنْفَعُ الْعِلْمَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ عَمَلٌ؟ وَمَاذَا تُجِدِي الثَّقَافَةَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهَا وَجْدَانٌ؟ وَمَا أَصْدَقَ قَوْلَ شَاعِرِنَا^(٢):

إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طِبَاعَ سُوءٍ فَلَا أَدَبٌ يُفِيدُ وَلَا أَدِيبٌ
فَالْقَاضِي عَلَى مَا يَظْهَرُ لَنَا مِنْ تَرْجَمَتِهِ ضَعِيفُ الْإِرَادَةِ وَضَعِيفُ الْجَانِبِ الْاِعْتِقَادِيِّ؛

(١). في المطبوع (تتال)، وهو خطأ مطبعي.

(٢) من خلال التتبع وجدت الشعر لشاعرة وليس شاعراً، في المستطرف: ١/ ٣٤٥ «دخلت البادية فإذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وإلى جانبها جرو ذئب، فقالت: أتدري ما هذا؟ فقلت: لا، قالت: هذا جرو ذئب أخذناه صغيراً وأدخلناه بيتنا ورَيْنَاهُ فَلَمَّا كَبُرَ فَعَلَ بِشَاتِي مَا تَرَى، وَأَنْشَدَتْ =»

القرن السابع الهجري

فَلَيْسَ لِلْعَقِيدَةِ مَعْرُسٌ فِي عَقْلِهِ وَلَا مَنَبْعٌ فِي وَجْدَانِهِ فَهُوَ ضَعِيفُ الشَّخْصِيَّةِ حَتَّى أَنَّهَا تَتَلَاشَى أَمَامَ أَوْهَنِ الْمُغْرِيَّاتِ كَمَا تَتَلَاشَى قِطْعَةٌ مِنَ الْجَلِيدِ أَمَامَ وَهَجِ الشَّمْسِ الْمُخْرِقَةِ، وَلَوْ لَا مَا يَتَحَلَّى بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَأَدَبٍ، وَمَرْكَزٍ فَضَائِيٍّ مَرْمُوقٍ لَمَا بَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ مِنْ ذِكْرِ فِي سِجْلِ التَّارِيخِ، وَلَكِنَّ ثِقَاتَهُ وَمَرْكَزَهُ أَبْقَا عَلَى وُجُودِهِ الذَّاقِي الْهَرِيلِ؛ ذَلِكَ الْوُجُودُ الَّذِي لَمْ يُفَكِّرْ إِلَّا بِالْمَعْدَةِ، وَلَا يَتَعَدَّى تَفْكِيرُهُ الضِّيقَ إِلَى أَبْعَدَ مِنْ دَائِرَةِ جَسَدِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يَصْغِي إِلَى ضَمِيرِهِ مِثْلَمَا يَصْغِي بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى رَيْنِ الدَّنَانِيرِ.

وَرَدَ فِي كِتَابِ (إِنْسَانِ الْعُيُونِ فِي مَشَاهِيرِ سَادِسِ الْقُرُونِ) حَدِيثٌ عَنِ الْقَاضِي مَا يَلِي: «عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلْمَانَ، أَبُو الْحَسَنِ الْحَلِّيُّ، مِنَ الْحِلَّةِ السَّيْفِيَّةِ تَوَلَّى بِهَا الْقَضَاءَ مُدَّةً لَمَّا عُزِلَ الْقَاسِمُ بْنُ يَحْيَى الشَّهْرَزُورِيُّ»^(١) عَنْ قَضَا الْقَضَاءِ بِبَغْدَادَ قَدِمَ هَذَا إِلَى بَغْدَادَ، وَسَعَى فِي الْمَنْصَبِ وَبَدَلَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً فَقُبِلَ مِنْهُ^(٢)، وَتَوَلَّى الْمَنْصَبَ فِي ٢٤ صَفَرِ سَنَةِ ٥٥٨ هـ، وَكَانَ حَنْفِيَّ الْمَذْهَبِ، وَكَانَ حَبِيبَ الْعَقِيدَةِ، يَرْتَشِي عَلَى الْأَحْكَامِ، وَيَرْتَكِبُ الْعِظَامَ؛ فَعُقِدَ لَهُ مَجْلِسٌ بِدَارِ ابْنِ مَهْدِيٍّ وَحَضَرَهُ الْفُقَهَاءُ وَالْأَعْيَانُ وَالْوَلَاةُ وَظَهَرَ فَسْقُهُ

بقرت شوبيته وفجعت قومي وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها فمن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب
وقد يكون وصف المصنّف للقائل بالشاعر من باب التغليب، ويبدو في النصّ تصحيف (قومي)، والصواب: (فجعت قلبي).

(١) في المطبوع: (المشهور زوري)، وهو تصحيف وتحريف مزدوج، والقاسم بن يحيى الشهرزوري كان قاضياً وتولّى القضاء في الموصل وبغداد، وقد توفّي بالموصل في سلخ جمادى لآخر سنة ثمان وستمائة. يُنظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٨/ ١١٠، تاريخ الإسلام: ٢٤٨/ ٤٢، وفي ٣١١/ ٤٣ من تاريخ الإسلام: «وكان شديد الورع والتقشف، فيه وسوسة لا يمسّ القلم للكتابة إلا ويغسل يده، وكان لطيف الخلوة، دمث الأخلاق».

(٢) وهنا مواطن الداء، فإذا كان الرؤساء ببغداد يوظّفون الناس بالرشوة، فكيف لا يفسد هؤلاء المرؤوسون؟ (المؤلف).

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحِلَّةِ

وَرَفَعَ طَيْلِسَانُهُ، وَعُزِلَ يَوْمَ الْحَمِيسِ رَابِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ٦٠٠ هـ، وَقُبِضَ عَلَيْهِ وَحُمِلَ إِلَى الْحِلَّةِ، وَاعْتُقِلَ بِهَا مُدَّةً، وَأُطْلِقَ وَتُوفِيَ سَنَةَ ٦٢١ هـ^(١). انْتَهَتْ رِوَايَةُ مُؤَلَّفِ كِتَابِ إِنْسَانِ الْعُيُونِ.

وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السَّنَةِ؛ فَمُدَّةُ تَوَلَّيْهِ لِمَنْصِبِ الْقَضَاءِ فِي الْحِلَّةِ سَتَانِ فَقَطْ؛ فَلَوْ امْتَدَّتْ إِلَى أَمَدٍ بَعِيدٍ؛ فَمَاذَا كَانَ يَقْتَرِفُهُ مِنْ جَرَائِمٍ وَأَثَامٍ؟.

إِنَّ مَنْصِبَ الْقَضَاءِ حَسَّاسٌ لِلْغَايَةِ وَمُهِّمٌ جِدًّا؛ فَإِذَا كَانَ الْقَاضِي كَصَاحِبِ التَّرْجَمَةِ فَاسِقًا مُرْتَشِيًا فَمَاذَا يَنْتَظَرُ مِنْهُ الْمُجْتَمَعُ سِوَى الضَّرَرِ الْفَاحِحِ؟ سِوَى التَّفْسِخِ وَالْإِنْحِطَاطِ؟ فَصَلَاحُ الْقَاضِي هُوَ اللَّبَنَةُ الْأُولَى فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ السَّلِيمِ؛ لِأَنَّهُ يَحْكُمُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ وَالنَّسَبِ وَالرُّشْدِ وَالْحَجَرِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الْمُهِّمَةِ؛ وَلِذَلِكَ تَسَاهَلُ رِجَالُ الْعَهْدِ الْمُبَادِي فِي تَعْيِينِ قُضَاةٍ أَشْبَهَ بِالْأُمِّيِّينَ لَمْ يَمْتَازُوا لَا بِمَعْرِفَةِ مَبَادِي الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ وَالزُّهْدِ وَالرُّوحَانِيَّةِ الَّذِي يَصْرُخُ إِلَى اللَّهِ مُسْتَجِيرًا مِنْ ظُلْمِ نَسَبِهِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، وَأَمَلْنَا بِحِكْمَةِ أَوْلِيَاءِ الْأَمْرِ فِي الْعَهْدِ الْجُمْهُورِيِّ أَنْ يُعِيدُوا النَّظَرَ فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ؛ لِيَرْفَعُوا مِنْ قِيَمَةِ الْقَضَاءِ وَهَيْئَتِهِ؛ فَيَطْرُدُوا مَنْ كَانَ عَلَى شَاكِلَةِ صَاحِبِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ؛ أَوْ كَانَ عَامِيًّا لَيْسَتْ لَهُ أَهْلِيَّةُ الْقَضَاءِ، وَاللَّهُ يُوَفِّقُ الْمُصْلِحِينَ.

٣٢. ابْنُ الْعَلَقَمِيِّ (٥٨٩-٦٥٧ هـ)

هَذَا رَجُلٌ عَبْرِيٌّ مِنْ عَبَاقِرَةِ الْحِلَّةِ لَيْسَ بِإِمْكَانِ أَحَدٍ جَعْدُ هَذِهِ الصَّنْفَةِ فِيهِ حَتَّى مَنْ أَكَلَ الْغَيْطُ قَلْبَهُ أَكْلًا.

هَذَا رَجُلٌ عَظِيمٌ لَيْسَ مَنْ يُنْكَرُ عَلَيْهِ عَظَمَتُهُ حَتَّى أَكْثَرَ خُصُومِهِ عَدَاوَةً وَأَقْلَاهُمْ حَيَاءً.

(١) إنسان العيون: ١٣٢ وما بعدها.

القرن السابع الهجري

هَذَا رَجُلٌ أَجْمَعَ الاعْتِرَافَ بِشَخْصِيَّتِهِ الصِّدِّيقِ وَالْمُحَادِدِ، وَالْعَدُوَّ الْعَنِيدُ.
هَذَا رَجُلٌ شَرِيفٌ لَا أَحَدٌ يَمَارِي فِي شَرَفِهِ، أَوْ يُجَادِلُ فِيهِ إِلَّا مَنْ كَانَ صَفِيقًا لَا يَعْرِفُ
لِلْحَقِّ حُرْمَةً.

بَلْ إِنَّهُ لَيْسَ رَجُلًا إِلَّا فِي شَكْلِهِ وَنُطْقِهِ إِنَّمَا هُوَ كَوَكَبٌ مُضِيءٌ أَشْرَقَ حِينًا، ثُمَّ أَفَلَ،
وَلَكِنَّمَا أَبْقَى نُورُهُ مِنْ بَعْدِهِ نَاصِعًا يُبَدِّدُ غَيَاطَ الظَّلَامِ. هَذَا هُوَ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ.

كَانَ مِنَ الْوُزَرَاءِ الْمُحَنِّكِينَ وَالرُّؤَسَاءِ الْأَمَانِلِ جَمَعَ اللَّهُ بِهِ الْكِفَايَةَ وَالِدَّرَايَةَ، وَالْعِلْمَ
وَالْأَدَبَ، وَالْفِقْهَ وَالشُّعْرَ، وَالسِّيَاسَةَ وَالْكِيَاسَةَ، وَالتَّدْبِيرَ وَالتَّوْبِينَ الْحَكِيمَ، لَهُ بَاعٌ طَوِيلٌ
فِي الْمَعَارِفِ، وَنَظَرٌ بَعِيدٌ فِي الْأُمُورِ، وَلَهُ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ مِنَ الْفَضْلِ وَالْفَضِيلَةِ وَالصَّلَاحِ،
قَرَأَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالْعَرَبِيَّةَ عَلَى التَّقِيِّ حَسَنِ بْنِ مَعَالِي بْنِ مَسْعُودِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَعْرُوفِ
بِ: ابْنِ الْبَاقِلَانِيِّ حِينًا، وَبِأَبِي عَلِيٍّ النَّحْوِيِّ حِينًا آخَرَ، وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيْكَ تَرْجُمَتُهُ، الرَّقْمُ
(٢٢)، كَمَا قَرَأَ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ بِالْحَلَّةِ عَلَى عَمِيدِ الرُّؤَسَاءِ وَأَيُّوبَ، وَتَفَقَّهَ عَلَى صَدِيقِهِ السَّيِّدِ
رَضِيِّ الدِّينِ ابْنِ طَاوُوسٍ، قَالَ ابْنُ الْفُوطِيِّ فِي غُضُونِ عَمَنْ مَاتَ مِنَ الْأَعْيَانِ بَعْدَ مَجْزَرَةِ
التَّنَرِ الرَّهْبِيَّةِ عِنْدَ كِتَابَةِ حَوَادِثِهِ الْجَامِعَةِ: «ذَكَرَ مَنْ تُوُفِّيَ مِنَ الْأَعْيَانِ بَعْدَ الْوَزِيرِ مُؤَيَّدِ الدِّينِ
مُحَمَّدِ بْنِ الْعَلْقَمِيِّ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ بِبَغْدَادَ وَعُمُرُهُ ثَلَاثُ وَسِتُونَ سَنَةً، كَانَ فَاضِلًا عَالِمًا
أَدِيبًا يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ، وَيُسَدِّي إِلَيْهِمُ الْمَعْرُوفَ وَتُوُفِّيَ عَلِمَ الدِّينِ أَحْمَدُ أَخُوهُ بَعْدَهُ»^(١).

وَقَدْ نَشَرَ سَيَادَةُ الْبَحَّاثَةِ^(٢) الدُّكْتُورُ مُصْطَفَى جَوَادُ بِمَجَلَّةِ الرِّسَالَةِ الْمِصْرِيَّةِ لِحَسَنِ

(١) نقلًا عن: أعيان الشيعة: ٨٣/٩، والوافي بالوفيات: ١/١٨٥، ١٨٦، الطبعة الأولى. وقد ترجمه
ابن شاکر الکتبی بمثل ما ترجمه به الصفدي، بلا زيادة ولا نقص، وذلك يدل على أنه نقلها من
الوافي بالوفيات.

(٢) هذا الاستعمال (البحثة) رفضه المرحوم الدكتور مصطفى جواد، في حادثة مشهورة إذ
المذبة التي قدمته في برنامج الشهير (قل ولا تقل) قالت: «العلامة الباحثة...»، قال لها: قولي:
«الباحث» ولا تقولي: «بحثة»، فالبحثة من صفات الدجاجة =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

الرِّيَّاتِ^(١) بَحْثًا قِيمًا عَنِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ يَدُلُّ عَلَى مَا لِلدَّكْتُورِ الْجَلِيلِ مِنْ قَابِلِيَّةٍ نَادِرَةٍ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالتَّمَحِيصِ وَيَشْفُ عَنْ رُوحِهِ السَّامِيَةِ نَقْطَافٌ مِنْهُ مَا يَلِي:

«فِي سَنَةِ ٦٥٥ هـ رَحَلَ السُّلْطَانُ هُوَلَاكُو خَان، مِنْ هَمْدَانَ نَحْوِ الْعِرَاقِ، فَلَمَّا اتَّصَلَ ذَلِكَ بِالْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ شَاوَرَهُ وَزِيرُهُ مُؤَيَّدُ الدِّينِ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ فِيمَا يَنْبَغِي فَعَلَهُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِبَدْلِ الْأَمْوَالِ وَحَمْلِهَا إِلَيْهِ مَعَ التُّخَفِ الْكَثِيرَةِ وَالْأَشْيَاءِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَعْلَاقِ النَّفِيسَةِ، فَلَمَّا شَرَعَ فِي ذَلِكَ ثَنَاهُ (الدُّوَيْدَارُ الصَّغِيرُ)^(٢) وَغَيْرُهُ وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ غَرَضَ الْوَزِيرِ تَدْبِيرُ حَالِهِ مَعَ السُّلْطَانِ هُوَلَاكُو؛ فَوَافَقَهُمْ وَاقْتَصَرَ عَلَى إِنْفَازِ شَيْءٍ يَسِيرٍ مَعَ شَرَفِ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْجُوزِيِّ؛ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَطْلُبُ أَمَّا الدُّوَيْدَارُ وَأَمَّا سُلَيْمَانُ شَاهُ الْأَيَوَانِي، وَأَمَّا فُلُكُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الدُّوَيْدَارِ الْكَبِيرِ عَلَاءُ الدِّينِ الطَّبْرَسِيِّ فَلَمْ يَفْعَلْ، وَأَرْسَلَ شَرَفُ الدِّينِ ابْنُ الْجُوزِيِّ^(٣) أَيْضًا يَعْتَذِرُ عَنْ ذَلِكَ فَسَارَ السُّلْطَانُ حِينَئِذٍ نَحْوَ بَغْدَادَ - إِلَى أَنْ قَالَ: وَمَنْ الْحَقُّ أَنَّ ابْنَ الْعَلْقَمِيِّ لَمْ يُجِنْ وَلَمْ يَهْنُ فِي خِدْمَةِ الْمُسْتَعْصِمِ؛ فَلَمَّا فُتِحَتْ بَغْدَادُ وَرَأَى زَوَالَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَوَرَازَاتِهَا مِنَ الْمُحَقَّقَاتِ سَعَى فِي تَنْجِيَةِ نَفْسِهِ مِنَ الْمَوْتِ وَدَارِهِ مِنَ التَّحْرِيقِ، وَدَارِ كُتُبِهِ الْمُحْتَوِيَةِ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ مُجَلَّدٍ مِنَ النَّهْبِ فَاسْتَشْفَعَ بِنَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ إِلَى هُوَلَاكُو وَأَوْصَلَ إِلَيْهِ كِتَابًا فِيهِ مَلْحَمَةٌ مِنَ الْمَلَاحِمِ الشَّيْعِيَّةِ تُثَبِّتُ صِلَاحَ أَعْمَالِهِ وَوَجَاهَةً فَتَحِهِ لِبَغْدَادَ، قَالَ قُطْبُ

=أقول: وهذه معيارية مبالغ فيها منه ﷺ.

(١) الصفحة ٣٧٧ من العدد (٣٥) من سنتها الثانية في ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٥٢ هـ.

(٢) جاء في تاريخ الإسلام: ٢٣ / ٣٧١ «الدويدار الملك مقدم جيش العراق مجاهد الدين أيلك الدويدار الصغير، أحد الأبطال المذكورين والشجعان الموصوفين الذي كان يقول: لو مكنتني أمير المؤمنين المستعصم لقهرت التتار ولشغلت هولاكو بنفسه، وكان مغرى بالكيماء، له بيت كبير في داره فيها عدّة من الصنّاع والفضلاء لعمل الكيماء».

(٣) تاريخ مختصر الدول لابن العبري: ٢٦٩ و ٢٧٠، وراجع (سقوط بغداد)، تأليف بي تي رستيدو:

القرن السابع الهجري

الدين الحنفي: إن مجد الدين ابن طاووس، وسديد الدين يوسف بن المظهر الحلي أرسلًا كتابًا إلى هولاكو على يد ابن العلقمي يروونه عن علي ابن أبي طالب (ع)، فلما وصل إلى هولاكو أمر أن يترجم له، فلما قرأه أمر لهم بسهم الأمان، وسلموا بذلك من القتل والنهب - إلى أن قال عن ابن العلقمي - ولقائل أن يقول: إن الخيانة أنالته الوزارة الإقليميّة، فنقول له: قد قيل هذا وزعم أن هولاكو قتله خيائته، وقال له: إنا لا نأمنك وقد خنت خليفتك - ولقد كان هولاكو حذرًا من الخونة مسارعًا إلى سفك الدماء، فهو إن لم يكن حرّياً أن يقتله - على ظنّ خيائته فإنه يطرحه ويعتزّله فلا يوليه من ملكه شيئاً، إن مؤرّحاً يبتدع قتل هولاكو لابن العلقمي لسهل عليه أن يحونه ويفجره ويسند إليه ما يشاء، ولكن الحق غير ذلك»^(١).

ومضى الدكتور مصطفى جواد يقيم البرهان على صحّة رأيه فذكر تولية هولاكو لتاج الدين علي بن الدرامي، وبعده ابنه مجد الدين حسين، وأنه أقر قاضي القضاة نظام الدين عبد المنعم على رتبته وذكر استيزاره لفخر الدين الدامغاني وجعله نجم الدين أحمد بن عمران ملكاً على الأعمال الشرقية وأشركه مع ابن العلقمي، وابن الدامغاني في الحكم؛ فهل كل هؤلاء خونة غدرة؟^(٢) انتهى قول الدكتور الفاضل.

ولقائل أن يقول في مناقشته: لماذا لا يجوز أن يكون كل هؤلاء خونة غدرة؟ فهل من قائل بعصمتهم؟ ونحن نعرف جيّدًا أن المستعمرين يسندون الوظائف المهمّة في البلاد التي يحتلونها إلى الخونة من أبنائها والعدرة من أراذلها؛ حيث لا ضمير رادع، ولا شرف مانع، ولا دين وازع، ومن ذا الذي يعاون المستعمرين على تركيز أقدامهم في البلاد المغلوبة على أمرها سوى السفلة من الناس، وقد رأينا رأي العين في الحلة

(١) ثم ذكر نصّ الكتاب الذي مرّ ذكره سابقاً.

(٢) مجلّة الرسالة: ٣٧٧ وما بعدها.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحِلَّةِ

وَبَغْدَادَ، وَالْدِّيَوَانِيَّةَ، وَغَيْرَهَا مِنْ بُلْدَانِ الْعِرَاقِ كَيْفَ كَانَ الدُّخْلَاءُ وَأَرْذَالُ النَّاسِ يَخْصُلُونَ بِلَا مَشَقَّةٍ عَلَى السُّلْطَةِ وَالرَّئَاسَةِ، وَاعْتِمَادُ الْإِنْجِلِيزِ وَالْعُثْمَانِيِّينَ قَبْلَهُمْ حَتَّى عَرَّضُوا الْعِرَاقَ إِلَى خَسَائِرٍ فَادِحَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ وَمَادِيَّةٍ؛ فَأُسْنِدَتْ إِلَيْهِمْ الْوُظَائِفُ الْمُهِمَّةُ، وَإِذَا هُمْ بِطَرَفَةٍ عَيْنٍ قَدْ ارْتَفَعُوا مِنَ الْحُضِيِّضِ الْأَوْهَدِ إِلَى ذُرُورَةِ الشَّرَفِ، الْمُزَيَّفِ الْحَقِيرِ، وَلَكِنَّ الْجَوَابَ هُوَ أَنْ نَقُولَ إِنَّ ابْنَ الْعَلْقَمِيِّ لَيْسَ مِنْ هَذَا النَّوعِ، فَهُوَ فَقِيهٌ، عَالِمٌ، وَوَزِيرٌ سَابِقٌ لَهُ كَيَانٌ مُتَمَازٍ فِي الدَّوْلَةِ وَمَقَامٌ رَفِيعٌ فِي الْمُجْتَمَعِ وَلَهُ مِنْ كَرَمِ بَيْتِهِ وَشَرَفِ نَفْسِهِ وَحُسْنِ سُمْعَتِهِ مَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْخِيَانَةِ؛ فَيَعْرِضُ مَكَانَتَهُ الْعَالِيَةَ وَعِزَّهُ الْوَفِيرَ إِلَى سُوءِ الْأُحْدُوثِ وَلَعْنَةِ التَّارِيخِ، وَقَدْ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ مُؤَرِّخِي الشَّيْعَةِ إِلَى نَفْيِ التَّهْمَةِ وَشَارَكَهُمْ رَأْيُهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ مُؤَرِّخِي إِخْوَانِهِمْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحِيَادِيُونَ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا كَانَ فِي التَّهْمَةِ شَكٌّ؛ فَالْجَدِيرُ تَفْسِيرُهُ بِصَالِحِ الْمَتَّهِمِ فِي مُحْكَمَةِ التَّارِيخِ الْعَادِلَةِ^(١).

وَهَذَا تَأْجُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي مُحَمَّدُ بْنُ الصَّلَايَا^(٢) [الْحُسَيْنِي] (٣) قَدْ وَصَفَهُ ابْنُ الْفُوطِيِّ بِالكَرَمِ وَالْفَضْلِ وَالتَّدْبِيرِ الشَّدِيدِ كَانَ أَيْضًا مُتَّهِمًا بِهَذِهِ الْخِيَانَةِ، وَلَا يَجْتَمِعُ التَّدْبِيرُ وَالْخِيَانَةُ حَتَّى يَجْتَمِعَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

إِنَّ الْوَزِيرَ مُؤَيَّدَ الدِّينِ ابْنَ الْعَلْقَمِيِّ أَسَدِيٌّ مِنْ عَشِيرَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مُؤَسِّسِ الْحِلَّةِ وَأَصْلُهُ مِنَ النَّبْلِ الْقَرْيَةِ الْمُجَاوِرَةِ إِلَى الْحِلَّةِ، وَكَانَتْ مَسْقُطَ رَأْسِهِ سَنَةَ ٥٥٩ هـ، وَلَمَّا نَشَأَ ذَهَبَ إِلَى بَغْدَادَ عَاصِمَةَ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَسَكَنَ الْكَرْخَ؛ لِأَنَّ أَغْلَبِيَّةَ سُكَّانِهِ مِنَ الشَّيْعَةِ مِنْ أَهْلِ طَائِفَتِهِ، وَقَدْ شَهِدَ بِنَفْسِهِ مَا فَعَلَتْهُ الطَّائِفَةُ الْبَغِيضَةُ بِأَبْنَاءِ نَحْلَتِهِ وَمَا قَاسَوْهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْهَمَجِيَّةِ الَّتِي يَتَبَرَّأُ مِنْهَا الْإِسْلَامُ وَالْإِنْسَانِيَّةُ وَتَتَضَاعَلُ أَمَامَ

(١) هناك كتاب للشيخ المرحوم عبد الجبار الساعدي في الدفاع عنه.

(٢) يُنظر: سير أعلام النبلاء: ٥٠٦/٢١.

(٣) من أعيان الشيعة: ٣٨٢/٨.

القرن السابع الهجري

فَظَاعَتَهَا^(١) هَمَجِيَّةُ الْمَعُولِ، وَمِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ وَبِهِذِهِ الدَّوَافِعِ الْحَقِيرَةِ اُنْدَفَعَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ إِلَى مَا زَعَمُوهُ مِنْ خِيَانَةِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ رَجُلًا بِالْغَيْبِ دُونَ بُرْهَانٍ زَاعِمِينَ أَنَّ هَذِهِ الْخِيَانَةَ نَتِيجَةُ لِأَخِذِ الثَّأْرِ مِنْ أَعْدَاءِ طَائِفَتِهِ الَّذِينَ اسْتَحَلُّوا الْمَنَاكِيرَ وَأَنْوَاعَ الْمُحَرَّمَاتِ فِي أَهْلِ الْكَرْخِ، وَهَذَا الرَّأْيُ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ؛ فَمَآذَا يُؤْمِنُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ مِنْ عَدْرِ هُوَ لَا كُوَ وَنَقْضِهِ لِلاتِّفَاقِيَّةِ فَتَنَالَ الشَّيْعَةَ مَا تَنَالَهُ أَهْلُ السَّنَةِ مِنَ الْقَتْلِ وَالتَّنْكِيلِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَحْكَمُوا هَذَا الْوَضْعَ وَدَرَسُوهُ لَقَالُوا إِنَّ ابْنَ الْعَلْقَمِيِّ اسْتَوْفَى ثَأْرَهُ بَعْدَ دُخُولِ التَّتَرِ بَغْدَادَ وَإِسْنَادِ تِلْكَ الرُّتْبَةِ الْعَالِيَةِ إِلَيْهِ لَكَانَتْ تِلْكَ الْأَكْذُوبَةُ مَقْبُولَةً نَوْعًا مَا، وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ لَا يَنْسَى عَدُوَّهُ، وَيَتَقَوَّلُ عَلَيْهِ الْأَقَاوِيلَ؛ وَقَدْ قُلْتُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ:

وَأَغْلَبُ وَصْفِ النَّاسِ لِلنَّاسِ بَاطِلٌ فَمَا كُلُّ وَصْفٍ بِالْقَبُولِ خَلِيقٌ
فِيخْتَلِقُ الدَّمَّ الشَّنِيعَ مُبَاغِضٌ وَيَخْتَرَعُ الْمَدْحَ الْعَظِيمَ صَدِيقٌ
وَلَوْ نَظَرَ الْمُنْصِفُونَ إِلَى حَقِيقَةِ الْحَالِ لَمَّا وَجَدُوا سَبِيلًا إِلَى اتِّهَامِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ
وَلَا تَهْمُوا الدُّوידَارَ الصَّغِيرَ وَجَمَاعَتَهُ؛ لِأَنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يَأْخُذْ بِمَشُورَةِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ؛ لِيَتَحَمَّلَ
ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ نَتَائِجَهَا وَسُوءُ لِيَايَتِهَا؛ وَإِنَّمَا ثَنَاهُ الدُّوידَارُ وَغَيْرُهُ؛ فَهَؤُلَاءِ أَقْرَبُ إِلَى التُّهْمَةِ؛
لِأَنَّ مُصِيبَةَ بَغْدَادَ كَانَتْ نَتِيجَةَ رَأْيِهِمُ السَّخِيفِ الَّذِي ثَنَوَاهُ رَأْيِ الْخَلِيفَةِ فَوَافَقَهُمْ وَجَانَفَ
رَأْيَ وَزِيرِهِ فَكَيْفَ يُوجِّهُونَ الْمَسْئُولِيَّةَ إِلَيْهِ وَلَمْ يَعْمَلْ أَحَدٌ بِرَأْيِهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٢)، وَالْحَقُّ الَّذِي لَا غُبَارَ عَلَيْهِ أَنَّ امْتِنَاعَ الْخَلِيفَةِ مِنْ تَنْفِيزِ
طَلَبِ هُوَ لَا كُو فِي مُوَاجَهَةِ الدُّوידَارِ أَوْ سُلَيْمَانَ، أَوْ فُلْكَ الدِّينِ كَانَ السَّبَبَ الْمُبَاشِّرَ لَغَضَبِهِ
وَتَوَجُّهِهِ إِلَى احْتِلَالِ بَغْدَادَ، وَهُنَاكَ شَبَّهُ تَنَاقُضٌ؛ فَقَدْ مَرَّ عَلَيْكَ أَنَّ كِتَابَ الْمَلَا حِمٍ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي فِي خُطْبَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِ: (الزُّورَاءِ) رَفَعَهُ سَدِيدُ الدِّينِ إِلَى هُوَ لَا كُو خَانَ

(١) في المطبوع: (فضاعتها)، والصواب هو المثبت. يُنظر: العين: ٨٩/٢ (فضع).

(٢) الأنعام: ١٦٤.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحِلَّةِ

كَمَا فِي تَرْجَمَةِ رَضِيِّ الدِّينِ ابْنِ طَاوُوسٍ^(١) حِينَ سَأَلَهُ هُوَ لَا كُوَ عَمَّا جَرَأَهُمْ عَلَى إِقْدَامِهِمْ عَلَى مُوَاجَهَتِهِ فَأَجَابَهُ: «بِأَنَّا رَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ...» إِلَى آخِرِ مَا جَاءَ فِي الْخُطْبَةِ، وَهَهُنَا تَجِدُ أَنَّ ابْنَ الْعَلْقَمِيِّ قَدْ اسْتَشْفَعَ بِنَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ كِتَابًا فِي مَلْحَمَةٍ مِنْ مَلَاحِمِ الشَّيْعَةِ يُشِيرُ إِلَى خُطْبَةِ الزُّورَاءِ وَلِلْجَمْعِ مَا بَيْنَهُمَا قَالَ الدُّكْتُورُ الْفَاضِلُ إِنَّ مَجْدَ الدِّينِ وَسَدِيدَ الدِّينِ أَرْسَلَا الْكِتَابَ الْمَذْكُورَ إِلَى هُوَ لَا كُو؛ فَأَزَالَ سِيَادَتَهُ مَا يَرَاهُ الْقَارِئُ مِنْ تَنَاقُضِ الْمُؤَرِّحِينَ حَيْثُ بَعْضُهُمْ يَنْسِبُ إِيْصَالَ الْكِتَابِ إِلَى سَدِيدِ الدِّينِ وَبَعْضُهُمْ يَنْسِبُهُ إِلَى ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ وَأَنَّهُ أَرْسَلَهُ بِوَاسِطَةِ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ الَّذِي لَهُ السَّهْمُ الْأَوْفَرُ فِي إِنْقَاذِ الْحِلَّةِ مِنْ نَكْبَةِ التَّتَرِ.

تُوفِّي ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ رحمته الله سَنَةَ ٦٥٧ هـ؛ فَأَفْجَعَ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ وَالرَّئَاسَةَ وَالْكِياسَةَ بِمَوْتِهِ بَعْدَ مَا يَقَارِبُ السَّنَتَيْنِ مِنْ غَزْوِ التَّتَرِ.

٣٣. مُهَذَّبُ الدِّينِ الْخَيْمِيِّ (٥٤٩-٦٤٢ هـ)^(٢)

إِنَّ كَثِيرًا مِنْ فَطَاحِلِ الْعُلَمَاءِ وَجَهَابِذَةِ الْفُقَهَاءِ يَشْتَهَرُونَ بِنَظْمِ الشُّعْرِ؛ فَيَعْرِفُهُمُ النَّاسُ بِهِ حَتَّى تَطْغَى النَّاحِيَةُ الشُّعْرِيَّةُ عَلَى نَاحِيَّتِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ؛ فَيَغْلُبُ الظَّنُّ عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُهُمْ جَيِّدًا أَنَّهُمْ شُعْرَاءُ فَحَسَبُ، وَمِنْ هَذِهِ النَّمَاذِجِ الشَّرِيفِ الرِّضِيِّ، وَصَفِيِّ الدِّينِ الْحَلِيِّ، وَالشَّاتَانِيِّ، وَالسَّيِّدِ مُحَمَّدُ سَعِيدِ الْحُبُوبِيِّ، وَالسَّيِّدُ جَعْفَرُ الْحَلِيِّ أَلْ كَمَالِ الدِّينِ، وَأَصْرَابُهُمْ، وَالْكَلُّ مِنْ هَؤُلَاءِ عَالِمٌ دِينِيٌّ وَفَقِيهٌ جَلِيلٌ؛ وَلَكِنْ شُهْرَتُهُ الشُّعْرِيَّةُ غَطَّتْ عَلَى

(١) مرّ في مقدّمات المؤلّف رحمته الله في أوّل الكتاب، وفي ترجمة السيّد ابن طاووس.

(٢) ترجمته في كشف الظنون: ٦٢٣، معجم المؤلّفين: ٣١ / ١٣، فوات الوفيات: ٤٠١ / ٢، طبقات

النحاة واللّغويين، ابن قاضي شهبة: ٢٠٤، بغية الوعاة: ١٦٢ / ١، هديّة العارفين: ١٢١ / ٢ -

١٢٢، مجمع الآداب: ١١ / ٥، شعراء الحلة والبابليّات: ٢٨٧ / ١، الأعلام: ٢٨٢ / ٦، الصلوات

الثقافيّة بين الحلة ومدن الشرق الإسلامي: ١٥٦.

القرن السابع الهجري

شُهرته العِلْمِيَّة فلا يَعْرِف حَقِيقَتَهُ إِلَّا مَنْ تَجَاوَزَتْ اخْتِبَارَاتِهِ نِطاقَ النَّظَرَةِ السَّطَحِيَّةِ كَمَا أَنَّ عَدَدًا غَفِيرًا مِنَ الشُّعْرَاءِ اشْتَهَرُوا بِالْعِلْمِ فَلَا يَكَادُ يَعْرِفُهُمْ بِالشُّعْرِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْ هَذِهِ النَّماجِجِ الشَّرِيفِ الْمُرتَضَى عِلْمُ الهُدَى، وَالْعَلَامَةِ الحَلِيِّ، وَأَمْثَالُهُمْ.

وَمِنْ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ أَبُو طَالِبٍ مُهَذَّبُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ الْقَامِغَارِ^(١) الحَلِيِّ، الْمَزِيدِيُّ الشَّهِيرُ بِ: (الْحَيْمِيِّ)؛ نَقَلَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّهُ: «كَانَ نَحْوِيًّا فَاضِلًا، كَامِلَ الْمَعْرِفَةِ، وَالْأَدَبِ، حَسَنَ الطَّرِيقَةِ، مُتَدِينًا مُتَوَاضِعًا، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ».

ذَكَرَ ابْنُ النَّجَّارِ أَنَّهُ قَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى فُرْسَانَ الحَلِيِّ، وَابْنَ الْحَشَّابِ، وَابْنَ الْقَصَّارِ، وَابْنَ الْأَنْبَارِيِّ، وَابْنَ الدَّبَّاعِ، وَابْنَ عُبَيْدِ الْبَنْدَنِجِيِّ، وَابْنَ أَيُّوبَ، وَابْنَ حُمَيْدَةَ وَأَبِي الْحَسَنِ ابْنَ الزَّاهِدِ بَيْغَدَادَ، وَعَلَى الْكِنْدِيِّ بِدِمَشْقَ... إلخ.

وَنَقَلَ السُّيُوطِيُّ فِي (بُغْيَةِ الْوُعَاةِ) تَحْتَ عُنْوَانٍ: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ الْقَامِغَارِ الحَلِيِّ، مُهَذَّبُ الدِّينِ أَبُو طَالِبٍ ابْنُ الْحَيْمِيِّ: «قَالَ الْأَذْفُوقِيُّ، فِي الْبَدْرِ السَّافِرِ: كَانَ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ أَدِيبًا شَاعِرًا، دَخَلَ بَغْدَادَ، وَسَمِعَ بِهَا مِنَ الزَّاعُفُونِيِّ، وَتَأَدَّبَ عَلَى الْقَصَّارِ، وَابْنِ الْأَنْبَارِيِّ، وَأَخَذَ عَنِ الْكِنْدِيِّ بِدِمَشْقَ»^(٢).

آثاره

لِأَبِي طَالِبٍ الْحَيْمِيِّ آثارٌ مِنْهَا: كِتَابُهُ (أَمْثَالُ الْقُرَّانِ)، وَكِتَابُ (قَدْ)^(٣)، وَ(الرَّدُّ عَلَى

(١) فِي الْمَطْبُوعِ (الْقَامِغَار) بِالرَّاءِ، وَفِي سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ: ٢٣/ ١١٤ (الْقَامِغَار) بِالزَّايِ الْمَعْجَمَةِ.

(٢) بُغْيَةُ الْوُعَاةِ: ١/ ١٦٣-١٦٤، وَلَهُ رَأْيٌ لَطِيفٌ أوردَهُ الْأَلُوسِيُّ فِي رُوحِ الْمَعَانِي: ١٢/ ٢٠٩ «وَلَمْ يَلْغِ أَشَدَّهُ» أَيُّ بَلَغَ زَمَانُ انْتِهَاءِ اشْتِدَادِ جِسْمِهِ وَقُوَّتِهِ، وَهُوَ سَنُ الْوُقُوفِ عَنِ النَّمُو الْمَعْتَدِّ بِهِ، أَعْنِي مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ، وَسُئِلَ الْقَاضِي النُّحَوِيُّ مُهَذَّبُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بِنِ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ الْحَيْمِيِّ عَنْهُ، فَقَالَ: هُوَ خَمْسُ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَتَمَامَهُ أَرْبَعُونَ».

(٣) لَمْ يَذْكُرْهُ كُلُّ مَنْ تَرَجَّمْ لَهُ، وَكَذَا كِتَابُ الْأَسَامِيَاتِ.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْخَلْتِ

الْوَزِيرِ الْمَغْرِبِيِّ)، وَ(الْمَقْصُورَةُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْعِمْرِيِّ)، وَكِتَابُ (اسْتِوَاءِ الْحُكْمِ وَالْقَاضِي)،
وَكِتَابُ (لُزُومِ الْخَمْسِ)^(١)، وَ(اسْطِزْلَابُ الشَّعْرِ)، وَكِتَابُ (الْأَرْبَعِينَ)، وَ(الْأَسَامِيَاتُ)،
وَدِيَوَانُ شِعْرِهِ الَّذِي مِنْهُ قَوْلُهُ:

أَصْنَامُ هَذَا الْجِيلِ طُرًّا أَكَلَكُمُ يَعُوقُ؟ أَمَا فِيكُمْ يَعُوثُ وَلَا وَدُّ
لَقَدْ طَالَ تِرْدَادِي إِلَيْكُمْ، فَلَمْ أَجِدْ سِوَى رَبِّ شَأْنٍ فِي الْغِنَى شَأْنُهُ الرَّدُّ^(٢)
وَلَهُ يَصِفُ سِبْحَةً سَوْدَاءَ فِي مَعْرِضِ التَّغْزُلِ:

وَسِبْحَةُ مُسَوَّدَةٍ، لَوْهَا يَخْكِي سَوَادَ الْقَلْبِ وَالنَّاطِرِ
كَأَنَّنِي وَقَتَ اشْتِغَالِي بِهَا أَعُدُّ أَيَّامَكَ يَا هَاجِرِي
وَفِي (وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ) لِابْنِ خُلِكَانَ عِنْدَ تَعَرُّضِهِ إِلَى تَرْجَمَةِ الْقَاضِي الْأَسْعَدِ أَبِي
الْمَكَارِمِ بْنِ الْخَطِيرِ الْمَعْرُوفِ بِ: ابْنِ تَمَاتِي، قَالَ: «وَلِلْمُهَذَّبِ بْنِ الْحَيْمِيِّ فِي الْأَسْعَدِ بْنِ
تَمَاتِي الْمَذْكُورِ يَهْجُوهُ»^(٣) وَغَيْرُهُ بِحَدَائِثِهِ إِسْلَامِيَّةٍ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ مِنْ عَارٍ:

وَحَدِيثُ الْإِسْلَامِ وَاهِي الْحَدِيثِ بِاسْمِ الشَّعْرِ عَنْ ضَمِيرِ حَبِيثِ
لَوْ رَأَى بَعْضُ شِعْرِهِ سِيبِيَّ زَادَهُ فِي عِلَامَةِ التَّأْنِيثِ
وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا أَشْبَهُ بِالْمَدْحِ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا اسْتَشْنَيْنَا شِعْرَ الْحِمَاسَةِ وَالْفَخْرِ؛ فَلَا يَلِيقُ
بِهَذَا الْبَابِ لِيْنُ اللَّفْظِ، وَرَقِيقُ الْكَلَامِ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَلَهُ فِي الرِّثَاءِ قَوْلُهُ:

أَبْكِي وَحَقَّ لِنَاطِرِي عَرْفُهُ إِنَّ الْحَدِيثَ تَوَعَّرَتْ طُرْفُهُ
سَفَتِ الرِّيَّاحُ عَلَى مَعَالِمِهِ فَعَفَتْ وَأَصْبَحَ مُظْلِمًا أُفْقُهُ
وَعَدَتْ مُعْطَلَةً مُحَابِرُهُ بَعْدَ النَّبِيِّهِ، وَفَرَّقَتْ فِرْقُهُ

(١) فِي هَدِيَةِ الْعَارِفِينَ: ١٢٢/٢ «لُزُومُ الْخَمْسِ».

(٢) يُنْظَرُ: الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ: ٤/ ١٣٠، وَفِي فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ: ٢/ ١٩٣ (الْأَبْنَاءُ) بَدَلًا مِنْ (أَصْنَامِ).

(٣) وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ: ١/ ٢١١.

القرن السابع الهجري

وَنَسَوَارِوَايَتَهُ وَهَلْ غُضِنُ يُذَوِّي فَيَلْبَثَ بَعْدَهُ وَرَقَهُ؟
وَهَذِهِ الْأَيَّاتُ فِي رِثَاءِ الْحَافِظِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْمُفَضَّلِ الْمُقَدِّسِيِّ، وَلَكِنَّ الْيَعْقُوبِيَّ
أَوْرَدَهَا مَغْلُوطَةً فِي بَابِلِيَّتِهِ^(١)؛ فَأَوْرَدَ الْقَافِيَةَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي (طُرْقُهُ) وَهُوَ
فَضْلًا عَنْ قُبْحِ الْإِيطَاءِ^(٢) لَا يَنْسَجِمُ وَقَوَاعِدُ النَّحْوِ (فَأَصْبَحَ) وَ(مُظْلِمًا) يَعُودَانِ لِلْمُفْرَدِ
وَ(طُرْقُهُ) جَمْعٌ فَكَيْفَ يُوصَفُ الْجَمْعُ بِالْمُفْرَدِ؟.

وَكَانَتْ وَلَادَةُ الْخِيَمِيِّ بِالْحِلَّةِ فِي ٨ شَوَّالِ سَنَةِ ٥٤٩ هـ، وَتَوُفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ الْمُعْزِيَّةَ^(٣)
فِي ٢٠ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ٦٤٢ هـ وَدُفِنَ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ مِنْ بَعْضِ جِبَالِ مِصْرَ بِالْقُرْبِ مِنْ
يُوسُفَ قَرَأُوشِ الْمُكْنَى بِ: أَبِي سَعِيدٍ، وَالْمُلَقَّبُ بِبِهَاءِ الدِّينِ حِينًا وَبِقَرَأُوشِ حِينًا
آخَرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ، وَكَانَ خَادِمًا لِلسُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ أَوْ لِعَمِّ السُّلْطَانِ نَابَ عَنْهُ
بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فَاشْتَهَرَ بِشُدُوزِ الْأَحْكَامِ الْكَيْفِيَّةِ، تُوُفِّيَ فِي مُسْتَهَلِّ رَجَبِ سَنَةِ ٥٩٧ هـ
قَبْلَ وَفَاةِ الْخِيَمِيِّ بِ(٤٥) سَنَةً، وَدُفِنَ بِجَنْبِهِ فِي سَفْحِ الْمُقَطَّمِ تَحْدُ تَرْجَمَتَهُ مُفَصَّلَةً فِي وَفَيَاتِ
الْأَعْيَانِ^(٤)، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ قَرَأُوشَ لَهُ أَسْمَاءً لَا لَقَبًا، وَقَدْ رَوَى لِي السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ حَسَنَ الشَّرْعِ
بَيَّتَيْنِ قِيلَا فِي يُوسُفَ قَرَأُوشِ الْأَمْرِ الَّذِي يَقْوِي الظَّنَّ أَنَّ اسْمَهُ (يُوسُفَ) وَلَكِنَّ التَّحْقِيقَ
لَا يُعْضِدُهُ، وَالظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا:

(١) البَابِلِيَّاتُ: ٥٧/١.

(٢) الإِيطَاءُ: مِنْ عِيُوبِ الْقَافِيَةِ، قَالَ الْخَلِيلُ فِي الْعَيْنِ: ٤٦٨/٧ «الإِيطَاءُ فِي الشَّعْرِ: اتَّفَاقُ قَافِيَتَيْنِ عَلَى
كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، أَخَذَ مِنَ الْمَوَاطَاةِ، وَهِيَ الْمَوَافَقَةُ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، يُقَالُ: أَوَطَأَ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتَيْنِ، أَيِ:
جَاءَ مِثْلًا بِقَافِيَةٍ عَلَى رَاكِبٍ، وَالْأُخْرَى عَلَى رَاكِبٍ وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى وَفِي اللَّفْظِ فَرْقٌ، فَإِنْ اتَّفَقَ
الْمَعْنَى وَلَمْ يَتَّفَقِ اللَّفْظُ فَلَيْسَ بِإِيطَاءٍ، وَإِذَا اخْتَلَفَ الْمَعْنَى وَاتَّفَقَ اللَّفْظُ فَلَيْسَ بِإِيطَاءٍ أَيْضًا».

(٣) نَسَبُهُ إِلَى الْمُعْزِ لَدَيْنَ اللَّهِ، أَبِي تَمِيمٍ مَعَدِّ بْنِ الْمَنْصُورِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ الْقَائِمِ، الْعَبِيدِيُّ الْمَهْدَوِيُّ الْمَغْرِبِيُّ
الَّذِي بَنَتِ الْقَاهِرَةَ الْمُعْزِيَّةَ لَهُ، كَانَ صَاحِبَ الْمَغْرِبِ، وَكَانَ وَلِيَّ عَهْدِ أَبِيهِ. تَوُفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ
٣٦٥ هـ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْقَاهِرَةُ فَيُقَالُ: الْقَاهِرَةُ الْمُعْزِيَّةُ. يُنْظَرُ: سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ: ١٥٩/١٥.

(٤) ٤٦٩/١.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ

كُلُّ الْحَنَّا وَالْمَخَازِي لِيُوسُفَ قَرْفُوشٍ
تَرَاهُ كَالنَّاسِ شَكْلًا وَفِي طِبَاعِ الْوُحُوشِ
وَلَا أَذْرِي لَعَلَّ الْبَيْتَيْنِ مِنْ نَظْمِهِ.

٣٤. مُحْفُوظُ بْنُ وَشَاحٍ (٦٩٠هـ) (١)

الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ مُحْفُوظُ بْنُ وَشَاحٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَرَمَلِيُّ الْحِلِّيُّ الْأَسَدِيُّ، مِنْ عِبَاقِرَةِ الْأَدْبَاءِ، وَأَكَابِرِ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ، وَمِنْ مُتَقَدِّمِي تِلَامِذَةِ الْمُحَقِّقِ الْحِلِّيِّ، لَهُ تَرَوْهُ عِلْمِيَّةً كَبِيرَةً وَكُنُوزَ أَدَبِيَّةٍ غَالِيَّةٍ، وَتَأْمَلَاتٍ عَمِيقَةٍ فِي الْحَيَاةِ وَآرَاءَ صَابِغَةٍ فِي الْعُلُومِ، وَبَاعٌ طَوِيلٌ فِي الْأَدَبِ وَتَفْكِيرٌ ذَاتِي مُسْتَقِلٍّ فِي الْفَلَسَفَةِ، وَنَظَرٌ عَمِيقٌ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ؛ فَهُوَ مِنْ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، وَالْعُلَمَاءِ رُوحِ الْأُمَّةِ، وَرَكِيزَةِ كَيَانِهَا وَالتَّفَاضُلِ بَيْنَهُمْ عَلَى قَدَرِ تَفَاوُثِهِمْ بِالْمَلَكَاتِ الْفَاضِلَةِ، وَمَا يُسَدُّونَهُ لِلْأُمَّةِ مِنْ خِدْمَاتٍ، وَبِهَذَا الْمَقْيَاسِ وَصَعْنَا صَاحِبَ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ فِي رَأْسِ قَائِمَةِ الْعُلَمَاءِ اللَّامِعِينَ، أَطْرَاهُ الْفَاضِلُ صَاحِبُ كِتَابِ (الْغَدِيرِ)؛ فَقَالَ فِي عَرْضِ تَرْجُمَتِهِ: «قُطِبُ مِنْ أَقْطَابِ الْفَقَاهَةِ وَطُودُ رَأْسٍ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، كَانَ مُتَكَيِّئًا عَلَى أَرِيكَةِ الرَّعَامَةِ الدِّينِيَّةِ، وَمَرْجِعًا فِي الْفَتَوَى، وَمُتَتَّجِعًا لِحُلِّ الْمُسْكِلاتِ، وَكَهْفًا تَأْوِي إِلَيْهِ الْعَفَاتُ، وَالْحُكْمُ الْفَاضِلُ لِلدَّعَاوَى، وَمِنْ مَشَايِخِ الْإِجَارَةِ الرَّائِينَ عَنِ الشَّيْخِ نَجْمِ الدِّينِ الْمُحَقِّقِ، وَكَمَالِ الدِّينِ عَلِيِّ ابْنِ الشَّيْخِ شَرَفِ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمَّادٍ اللَّيْثِيِّ الْوَاسِطِيِّ، وَيَرْوِي عَنْهُ شَارِحُ الْقَصَائِدِ السَّبْعِ الْعَلَوِيَّاتِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ بِشَرَحِهِ الْمَوْسُومِ (عُرُؤُ الدَّلَائِلِ) قَالَ فِي أَوَّلِ الشَّرْحِ: (كُنْتُ قَرَأْتُ هَذِهِ الْقَصَائِدَ عَلَى شَيْخِي الْإِمَامِ الْعَلَمِ الْفَقِيهِ الْمُحَقِّقِ شَمْسِ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ، مُحْفُوظُ بْنُ وَشَاحٍ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ،

(١) في موسوعة طبقات الفقهاء: ١٩٨/٧، لم يجزم في سنة وفاته وإنما قال (ت ٦٩٠ تقريباً)، ونظر

ترجمته في أمل الآمل: ٢/٢٢٩ الرقم ٦٨٨، أعيان الشيعة: ٩/٥٧، طبقات أعلام الشيعة:

٣/١٤٦، الغدير: ٥/٤٨٣، خاتمة المستدرک: ٢/٣٤٨.

القرن السابع الهجري

وَذَلِكَ بِدَارِهِ فِي الْحِلَّةِ فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٦٨٠ هـ وَرَوَاهُ لِي عَنْ نَاطِقِهَا، وَرَاقِمِ عِلْمِهَا»^(١)
إِلخ..

وَنَقَلْنَا عَمَّنْ نَقَلَ عَنِ الْخُصُونِ لِعَلِيٍّ كَاشِفِ الْغِطَاءِ وَالِدِ مُحَمَّدٍ حُسَيْنٍ، قَالَ: إِنَّهُ هُوَ
«الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مَحْفُوظُ بْنُ وَشَاحٍ، كَانَ مِنْ أَعْيَانِ عُلَمَاءِ الْحِلَّةِ وَأَدْبَائِهَا، مُشَارِكًا فِي
الْعُلُومِ، بَصِيرًا فِي النَّحْوِ، وَاللُّغَةِ وَالشَّعْرِ، وَكَانَ يُكَاتِبُ الْمُحَقِّقَ الْحَلِّيَّ، وَيُرَاجِعُهُ، وَكَانَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَسَنِ بْنِ دَاوُدَ مَوَدَّةٌ أَكِيدَةٌ، وَلَمَّا مَاتَ رَأَاهُ بِقَصِيدَةٍ»^(٢).

وَلَمَكَاتِهِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُتَمَتِّزَةِ انْبَرَى إِلَى حَلْبَةِ رِثَائِهِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ
صَدِيقُهُ الْحَسَنُ بْنُ دَاوُدَ، وَمُهَذَّبُ الدِّينِ الشَّيْبَانِيُّ، وَصَفِيُّ الدِّينِ^(٣)، [و] مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ
ابْنِ أَبِي الرُّضَا الْعُلَوِيِّ الْبَغْدَادِيِّ، وَلِهَذَا الْأَخِيرُ قَصِيدَةً بَاطِيَةً مِنَ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ جَاءَ فِيهَا:

مُصَابٌ أَصَابَ الْقَلْبَ مِنْهُ وَجِيبٌ وَصَابَتْ لِحْفِنِ الْعَيْنِ فِيهِ غُرُوبٌ
يَعِزُّ عَلَيْنَا فَقَدْ مَوَّلَى لِفَقْدِهِ غَدَتْ زَهْرَةُ الْإِيَّامِ وَهِيَ شُحُوبٌ^(٤)
وَقَدْ أَعْقَبَ الْمُتَرَجِّمُ لَهُ وَلَدًا صَالِحًا وَفَقِيهًا فَاضِلًا هُوَ الْفَقِيهُ الْجَلِيلُ تَاجُ الدِّينِ
مُحَمَّدُ بْنُ مَحْفُوظِ بْنِ وَشَاحٍ^(٥) مِنْ أَوَاسِطِ الْمَاءَةِ الثَّامِنَةِ، وَكَانَ قَاضِيًا لِلْحِلَّةِ بِطَرِيقِ
الْإِنَابَةِ وَالْوَكَاةِ عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ عَزِّ الدِّينِ الزَّنْجَانِيِّ، وَمُحَمَّدٌ هَذَا حَدَا حَدُو أَبِيهِ عِلْمًا،

(١) الغدير: ٤٣٨/٥-٤٣٩.

(٢) الحصون المنيعية: ٣٠٣/٢.

(٣) أحسبه المراد صفي الدين السنسي، وسقطت الواو بعد كلمة الدين.

(٤) أمل الآمل: ٢/٢٥٤، خاتمة المستدرک: ٢/٣٥٠، الغدير: ٥/٤٤١.

(٥) ترجمته في: أمل الآمل: ٢/٢٩٧، مجمع الآداب في معجم الألقاب: ٤/٢١٦ الرقم ٣٦٩٧

(ضمن ترجمة ابن العجيل الفقيه)، الحوادث الجامعة: ٤٤٩، بحار الأنوار: ٩/١٠٦، رياض

العلماء: ٥/١٥٦، روضات الجنات: ٦/١٠٦ (ضمن ترجمة والده) الرقم ٥٦٧، أعيان الشيعة:

١٠/٤٧، طبقات أعلام الشيعة: ٣/١٩٨، الغدير للأميني: ٥/٤٤٢ (ضمن ترجمة محفوط ابن

وشاح)، معجم رجال الحديث: ١٧/١٨٦ الرقم ١١٦٧١.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

وَأَدَبًا، وَصَلَاحًا، وَعِفَّةَ نَفْسٍ، وَجَلَالَهَ قَدْرٍ، وَحِدَّةَ ذَهْنٍ، وَحُسْنَ أَخْلَاقٍ، وَحَتَّى فِي
الرِّثَاءِ فَقَدْ رَأَى أَبَاهُ الشَّاعِرُ صَفِيَّ الدِّينِ السَّنْبُوسِيَّ، وَمِمَّا قَالَهُ صَفِيُّ الدِّينِ فِي رِثَائِهِ ^(١) مِنْ
الْبَحْرِ الْمَدِيدِ:

لَوْ أَفَادْتَنَا الْعَزَائِمُ حَالًا لَمْ نَجِدْ حُسْنَ الْعَزَاءِ مُحَالًا
كَيْفَ يُوَلِّي الْعَزْمُ صَبْرًا جَمِيلًا حِينَ وَارَى التُّرْبَ ذَاكَ الْجَمَالَ
مَا ظَنَّنَا أَنَّ رِيحَ الْمَنَايَا تَنْسِفُ الطُّودَ وَتُرْدِي الْجَبَالَ
وَمِنْهَا:

قَدْ مَرَرْنَا فِي مَعَانِيهِ رُكْبًا وَغَوَادِي الدَّمْعِ تَجْرِي انْهَالًا ^(٢)
وَالْقَصِيدَةُ مُثَبَّتَةٌ بِدِيَوَانِهِ، وَعَجَزُ الْبَيْتِ الْأَخِيرِ أَغَارَ عَلَيْهِ حَيْدَرُ الْحَلِيِّ، وَطَالَ مَا أَغَارَ
حَيْدَرٌ عَلَى دِيَوَانِ الشَّرِيفِ الرِّضِيِّ، وَمَهْيَارٍ كَمَا يَعْرِفُهُ جَمِيعُ الْمُشْتَغَلِينَ بِالْحَقْلِ الْأَدَبِيِّ
الْمُعَاصِرِ؛ فَقَدْ قَالَ الْيَعْقُوبِيُّ فِي بَابِلِيَّاتِهِ: «وَمِنْ ثَمَّةٍ تَجِدُهُ قَدْ أَلَمَ بِكَثِيرٍ مِنْ مَعَانِي الشَّرِيفِ،
وَمَهْيَارٍ، وَأَوْدَعَهَا فِي فَصَائِدِهِ» ^(٣) إِنْخ.. فَقَوْلُ الصَّفِيِّ: «وَغَوَادِي الدَّمْعِ تَجْرِي انْهَالًا»
حَرَفَهُ [السَّيِّدُ] حَيْدَرٌ؛ فَقَالَ: «وَغَوَادِي الدَّمْعِ تَنْهَلُ انْهَالًا» وَمِنْ مَا أَخَذَ [السَّيِّدُ] حَيْدَرٌ
مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

كَانَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا كَفِيلًا فَكَأَنَّ الْخَلْقَ كَانُوا عِيَالًا
وَمَوْعِدُ هَذَا الْبَحْثِ كِتَابُنَا (مَا أَخَذَ الشُّعْرَاءُ) الْحَطَّيُّ، وَلِنَعُدَّ إِلَى صُلْبِ الْمَوْضُوعِ
فَنَذْكُرْ لَكَ مَا رَوَاهُ الْفَاضِلُ صَاحِبُ كِتَابِ [تَكْمِلَةِ] أَمَلِ الْأَمَلِ: «وَجَرَتْ بَيْنَ الشَّيْخِ
مُحْفُوظٍ وَبَيْنَ الْمُحَقِّقِ نَجْمِ الدِّينِ مَكَاتِبَاتٌ وَمُرَاسِلَاتٌ مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ذَكَرَ جُمْلَةً مِنْهَا

(١) رثاء الابن لا الوالد.

(٢) ديوان صفي الدين الحلبي: ٣٦٩.

(٣) البابليات: ١٦٢/٢.

القرن السابع الهجري

صاحب المعالم في إجازته الكبيرة، وقال عند ذكره: كان هذا الشيخ من أعيان علماء عصره^(١)، وهو الذي كتب إلى المحقق في بعض تلك المراسلات:

أَغِيبُ عَنْكَ وَأَشْوَاقِي تُجَاذِبُنِي إِلَى لِقَائِكَ جَذَبَ الْمُغْرَمُ الْعَانِي
سَتَذْكُرُ- إِنْ شَاءَ اللَّهُ-عِنْدَ تَرْجَمَةِ الْمُحَقِّقِ؛ فَهَذَا الْوَالِدُ الصَّالِحُ أَنْجَبَ هَذَا
الابْنَ الصَّالِحَ؛ وَالْوَلَدُ عَلَى سِرِّ أَبِيهِ، وَقَدْ افْتَطَفَتِ الْمَنِيَّةُ هَذِهِ الزَّهْرَةَ الْفَوَّاحَةَ مِنْ
رِيَاضِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ سَنَةَ ٦٩٠ هـ، وَكَمَا أَفَادَنَا ذَلِكَ بَعْضُ مُتَرْجِمِيهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً
وَاسِعَةً.

وَتَوَجَّدَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ فِي جَبَلٍ عَامِلٍ، مِنْهَا الْعَامِلُ الْفَاضِلُ الشَّيْخُ حُسَيْنُ بْنُ الشَّيْخِ آلِ
مَحْفُوظِ الْعَامِلِيِّ الْكَاطِمِيِّ، وَهُوَ مِنْ بَيْتِ شَرَفٍ عَرِيقٍ مِنْ بَيُّوتَاتِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ.

٣٥. الْهَرَقْلِيُّ الْحِلِّيُّ^(٢) [كَانَ حَيًّا ٧٠٧ هـ]^(٣)

إِنِّي حِينَ أَكْتُبُ فِي تَرَاجُمِ شَخْصِيَّةٍ حَلِيَّةٍ أَتَنَاسَى عَاطِفَتِي الْإِقْلِيمِيَّةَ، وَكُلَّ مَالِهَا مِنْ
مُشَخَّصَاتٍ؛ لِيَكُونَ الْبَحْثُ مُحَرَّرًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِلِ الَّتِي تُفْسِدُ الْبَحْثَ التَّارِيخِيَّ وَتَجْعَلُ
الْمُؤَرِّخَ يَسْبُحُ فِي فُلْكَ الْحَيَالِ بَعِيدًا عَنِ الْوَاقِعِ وَمُزَيِّفًا لِلْحَقِيقَةِ فَتَكُونُ تِلْكَ الدَّرَاسَاتُ
عَقِيمَةً لَا فَايِدَةَ فِيهَا؛ لِأَنَّهَا بِنْتُ الْحَيَالِ وَالْإِخْتِرَاعِ؛ فَانْتَهَجْتُ طَرِيقَةَ الصَّدَقِ فِي الْبَحْثِ
حَسَبًا يُوصِلُنِي إِلَيْهِ اسْتِتَاجِي وَمَعْرِفَتِي وَقَنَاعَتِي الشَّخْصِيَّةَ أَثْنَاءَ مَنْهَجِ الْبَحْثِ، وَمِنْ
الْعَسِيرِ جَدًّا عَلَى الْبَاحِثِ سُلُوكُ مِثْلِ هَذِهِ الْمَنَاجِحِ الَّتِي قَدْ تَعَرَّضْتُ [فِي] أَثْنَائِهَا أَشْوَائِ
النَّقْدِ وَالطَّعْنِ؛ فَالْحَقُّ مُرٌّ، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ يَقُولَهُ الْمُؤَرِّخُ؛ فَإِذَا قَالَهُ أَغْضَبَ طَائِفَةً مِنَ

(١) تكملة أمل الآمل: ٣٢٩.

(٢) ترجمته في: الكنى والألقاب: ٣/ ٢٩١، مستدركات علم رجال الحديث: ١/ ٦٣٣، أمل الآمل:

٢٤٥ / الرقم ٧٢١، رياض العلماء: ٥/ ٣٤، طبقات أعلام الشيعة: ٣/ ١٧٩.

(٣) يُنظر: موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ١٨٦.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ

النَّاسِ مِمَّنْ يُخْصُهُمُ الْأَمْرُ، وَيَا حَبْدًا لَوْ وَقَفَ الْأَمْرُ عِنْدَ هَذَا لَحَدَّ فَبَاسِطَاعَةِ الْمُؤَرِّخِ الْجَرِيِّ أَنْ يَتَخَطَّى كُلَّ هَذِهِ الْعَرَاقِلِ، وَلَكِنْ هُنَاكَ (تَقْرِيرُ الْحَبِيرِ) يُجَاسِبُكَ عَلَى الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ حِسَابًا عَسِيرًا؛ فَلَا يُبِيحُ لَكَ قَوْلَ الْحَقِّ إِذَا كَانَ قَوْلُ الْحَقِّ يُسِيءُ إِلَى سُمْعَةٍ أَحَدٍ، وَيَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تُرِيَ النَّاسَ الْوَجْهَ الْأَبْيَضَ مِنْ تَارِيخِهِمْ؛ لِمَاذَا لَمْ يَفْتَنِعِ الْعُلَمَاءُ بِالْوَجْهِ الْمُنِيرِ مِنَ الْقَمَرِ فَذَهَبُوا لِاتِّشَافِ وَجْهِ الْقَمَرِ الْمُظْلِمِ؟ وَفِي نَظَرِي أَنَّ الْمُجَامَلَاتِ شَيْءٌ، وَالْحَقَائِقُ التَّارِيخِيَّةُ شَيْءٌ آخَرُ؛ فَإِذَا حَذَفْنَا السِّيَّاتِ مِنَ التَّارِيخِ، وَاقْتَصَرْنَا عَلَى الْحَسَنَاتِ؛ فَقَدْ حَكَمْنَا بِالْإِعْدَامِ عَلَى نِصْفِ التَّارِيخِ عَلَى أَقَلِّ تَقْدِيرٍ.

أَسُوْقُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ كَعُذْرٍ لِمَنْ يَرَانِي أَغْفَلْتُ بَعْضَ الْجَوَانِبِ مِنَ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي أَتَرَجَّمُ لَهَا كَمَا هُوَ عُذْرِي أَيْضًا فِي التَّبَسُّطِ أحيانًا فِي الثَّنَاءِ عَلَى بَعْضِ شَخْصِيَّاتِ هَذِهِ التَّرَاجِمِ كَمَا فَعَلْتُ فِي تَرْجَمَةِ الْعَالِمِ الْهَرَقَلِيِّ، فَهُوَ الْعَالِمُ الْفَقِيهُ النَّبِيُّ الْوَجِيهُ وَالْفَاضِلُ الْجَلِيلُ، أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْهَرَقَلِيِّ الْحَلِّيِّ^(١) مِنْ تَلَامِيذَةِ الْعَلَامَةِ - أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ - قَدْ تَلَمَّذَ عَلَى ذَلِكَ الْجُهْدِ وَاسْتَقَى مِنْ ذَلِكَ الْمَنْهَلِ الْعَذْبِ فَكَانَ مِنْ خَيْرَةِ قَادَةِ النُّهْضَةِ الْفِكْرِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ الَّتِي تَرَكَّزَتْ فِي تِلْكَ الْعُصُورِ الْمُشْرِقَةِ، وَمِنْ أَفْضَلِ أَنْصَارِ الْعَلَامَةِ وَمُرِيدِيهِ وَأَكْثَرِهِمْ تَأْيِيدًا لَهُ فَازَرَهُ عَلَى أَدَاءِ رِسَالَتِهِ الثَّقَافِيَّةِ؛ فَكَانَ مِنْ عِدَادِ الْبَارِزِينَ مِنْ مُؤَسِّسِيهَا وَمِنْ أَكْثَرِهِمْ فَعَالِيَّةً وَنَشَاطًا، وَأَمَّا أَبُوهُ فِإِسْمَاعِيلُ يُعْرَفُ بِ: (صَاحِبِ الثُّوْتَةِ)؛ حَيْثُ خَرَجَتْ (الثُّوْتَةُ) وَهِيَ نَوْعٌ خَبِيثٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْجِلْدِيَّةِ عَلَى فَخِذِهِ الْأَيْسَرِ، وَكَانَ فِي زَمَنِ رَضِيِّ الدِّينِ بْنِ طَاوُوسِ الْحَلِّيِّ؛ فَأَحْصَرَ لَهُ السَّيِّدُ الْمَذْكُورُ أَطِبَاءَ الْحِلَّةِ وَبَغْدَادَ؛ لِمُعَالَجَتِهِ وَلَكِنَّهُمْ عَجَزُوا وَلَمْ يَتِمَكَّنُوا؛ لِأَنَّ تِلْكَ الثُّوْتَةَ كَانَتْ فَوْقَ الْأَكْحَلِ وَعِلَاجُهَا غَيْرُ مَأْمُولِ النِّجَاحِ، فَقَدْ يُفْضِي إِلَى الْمَوْتِ الْمُحَقَّقِ؛ فَلَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ حِيلَةٍ لِلْهَرَقَلِيِّ بَعْدَ يَأْسِهِ مِنَ الْأَطِبَّاءِ سِوَى الْإِنْقِطَاعِ إِلَى أَيْمَةِ أَهْلِ

(١) في موسوعة طبقات الفقهاء: ٨ / ١٨٦ «محمد بن إسماعيل بن الحسين بن الحسن بن علي

الهرقلي».

القرن السابع الهجري

الْبَيْتُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَشْفِعًا بِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي شِفَاءِ مَرَضِهِ الْخَطَرِ؛ فَرَارَ سَامِرَاءَ وَلَا ذَبَّ بِأَمَّتَيْهَا الْأَطْهَارِ، وَنَزَلَ إِلَى السَّرْدَابِ الْمُقَدَّسِ، وَاسْتَعَاثَ بِالْحُجَّةِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَغْتَسِلَ بِدَجْلَةٍ؛ فَاغْتَسَلَ وَرَجَعَ حِينَذَاكَ صَادَفَهُ الْحِطُّ السَّعِيدُ بِشَرْفِهِ بِلِقَاءِ الْحُجَّةِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَسَّ (التَّوْتَةَ) بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ؛ فَشَفِي بِالْحَالِ وَلَمْ يَبْقَ لِلتَّوْتَةِ مِنْ أَثَرٍ فَدَاخَلَهُ الشَّكُّ فَأَخَذَ يَتَحَسَّسُ مَوْضِعَهَا فَلَمْ يَجِدْ لَهَا أَثَرًا فَاطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ إِلَى نَجَاتِهِ وَشِفَائِهِ بِبَرَكَةِ صَاحِبِ الزَّمَانِ^(١).

وَالْهَرَقْلِيُّ نَسَبُهُ إِلَى هِرَقْلٍ^(٢) قَرِيَّةٌ كَانَتْ مِنْ مَشَاهِيرِ الْقُرَى الْقَرِيبَةِ مِنَ الْحِلَّةِ^(٣).

٣٦. أَبُو الْفَتْحِ^(٤) (٦٠٦ هـ - ...) ^(٥)

إِنَّ الْخُصُومَةَ بَيْنَ الْجَهْلِ وَالْعِلْمِ قَدِيمَةٌ، وَعَنِيفَةٌ وَالنَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ سَاحَةٌ تِلْكَ

(١) نقل هذه الحادثة القمِّي في الكنى والألقاب: ٢٩١ / ٣.

(٢) يُنْظَرُ: مَرَاوِدُ الْأَطْلَاعِ: مَادَّةُ (هَرَقْل).

(٣) قرأ على المحقق جعفر بن الحسن الحلي كتابه (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام)، فكتب له إجازة في ١٨ ذي الحجة (يوم غدير خم) سنة (٦٧١ هـ)، وقرأ على العلامة الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلي الجزء الأول من كتابه (قواعد الأحكام)، و(مختلف الشيعة في أحكام الشريعة)، و(النهاية في مجرد الفقه والفتاوى) لأبي جعفر الطوسي أجاز له العلامة الحلي في ربيع الأول سنة (٧٠٧ هـ). يُنْظَرُ: موسوعة طبقات الفقهاء: ١٨٦ / ٨ - ١٨٧.

(٤) ترجمته في: الثقات العيون في سادس القرون: ٢٥٣، خاتمة المستدرک: ٢٨ / ٣، مستدرکات علم رجال الحديث: ٣٠٦ / ٧، الوافي بالوفيات: ١٨١ / ١، وقد وصفه السيّد فخار بن معد في كتابه الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ٥٠، ٨٣ «الشريف أبو الفتح...»، ويروي كتاب (يوم وليلة) للطرابلسي كما يذكر ذلك الطهراني في الذريعة: ٣٠٦ / ٢٥.

(٥) ذكر السيّد المؤلّف سنة الولادة وحسب، كما ذكر ذلك عن الصفدي في الوافي: ١٨١ / ١، ويبدو أنّ هذه السنة ليست صحيحة، ففي سنة ٥٧٣ هـ روى محمد بن الحسن العلوي كتاب (معدن الجواهر) للقاضي الكراچكي بالحلة، عن ابن الجعفرية. موسوعة طبقات الفقهاء: ٢٥٥ / ٦، وقد ذكره السيّد فخار الموسوي المتوفى ٦٣٠ هـ ب(دام عزّه). يُنْظَرُ: خاتمة المستدرک: ٢٨ / ٣، وفي كتابه الحجة على الذهاب: ٥٠، يقول: «أخبرني الشريف أبو الفتح محمد بن محمد ابن الجعفرية=

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحِلْيَةِ

الْحَرْبِ الضَّرُوسِ، وَكَانَ النَّصْرُ وَلَا يَزَالُ مُدْبِدْبًا مَائِعًا غَيْرَ حَاسِمٍ؛ فَتَارَةً يَكُونُ فِي جَانِبِ الْعِلْمِ؛ فَتَزْدَهْرُ مَمْلَكَةُ الْفَضِيلَةِ، وَتَارَةً يَكُونُ النَّصْرُ لِلْجَهْلِ؛ فَتَكُونُ لِمَمْلَكَةِ الرِّذِيلَةِ الصَّوْلَةُ وَالْكِيَانُ؛ فَتَنْدَجِرُ الْأَخْلَاقُ وَتَضْيَعُ الْمَقَائِيسُ وَالْقِيَمُ فَيُمَسَخُ الْإِنْسَانُ حَتَّى يَكُونَ وَحْشًا فِي صُورَةِ الْآدَمِيِّينَ.

أَمَّا فِي عَصْرِ أَبِي الْفَتْحِ فَقَدْ كَانَ النَّصْرُ وَالْفَتْحُ لِلْعِلْمِ وَكَيْفَ لَا يَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَأَبُو الْفَتْحِ هُوَ مِنْ قُودِ تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ وَأَبْطَالُ تِلْكَ الْحَرْبِ الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْذُ ظَهَرَ الْإِنْسَانُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَكَانَ الْجَهْلُ هُوَ صَاحِبَ السُّلْطَانِ مِنْ نَفْسِ الْإِنْسَانِ وَطَرَأَ الْعِلْمُ عَلَيْهِ وَزَاحَمَهُ عَلَى سُلْطَانِهِ وَخَاصَمَهُ؛ لِيُخْرِجَهُ مِنْدَجِرًا مِنْ سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ، وَلَمْ نَجِدْ مُغْتَصِبًا مِثْلَهُ أَجْدَرُ بِالْحَقِّ، وَأُخْرَى بِالنِّسَاءِ.

إِنَّ لِلشَّرِيفِ أَبِي الْفَتْحِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّهِيرِ بِ: ابْنِ الْجَعْفَرِيَّةِ أَثَرًا بَارِزًا مَلْحُوظًا فِي مُكَافَحَةِ الْجَهْلِ وَانْتِصَارِ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ التَّرَاجُحِ الطَّوِيلِ، وَهُوَ بَطْلٌ مُغَوَّارٌ مِنْ أَبْطَالِ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، وَفَارِسٌ مُقْدَامٌ مِنْ فُرْسَانِ الثَّقَافَةِ قَضَى هُوَ وَأَخْدَانُهُ عَلَى الْجَهْلِ وَطَعْنُوهُ بِالصِّمِيمِ؛ بِمَا نَشَرُوهُ مِنْ عِلْمٍ، وَقَامُوا فِيهِ مِنْ تَدْرِيسٍ، وَمَا دَعَوْا إِلَيْهِ مِنْ إِصْلَاحَاتٍ، وَمَا هَيَّأُوهُ مِنْ أَسْبَابِ النُّهُوضِ وَاسْتِمْرَارِهِ؛ فَقَدْ كَانَ ﷺ مِنْ أَسَاتِذَةِ أَبِي الْفَضْلِ الْحُسَيْنِ الْأَخْذَبِ الْحِلِّيِّ^(١) اشتهر بالعلم، والورع، والزهد، وكان شاعرًا مجيدًا، ومن أجدر أعماله بالتنويه بدعوته الصادقة إلى تأليف الأمة وتوحيد الكلمة والعمل الصادق

= العلوي الحسيني الحائري، سنة ٥٧١هـ. فكيف تكون سنة الولادة ٦٠٦هـ كما تبني ذلك المصنف والذي يروي عن الصفدي في الوافي؟؟؟!، ويبدو أن سنة الوفاة هي ٦٠٦هـ لا الولادة والله العالم.

(١) جاء في مستدرك الوسائل: ٣/ ٤٨٢ النص الآتي: «الشيخ أبو الفضل ابن الحسين الحليّ الأخذب ﷺ، قرأ عليه سنة ٥٩٥هـ كما صرح به في (كتاب الحجّة)، ولم أعثر في كتب التراجم والرجال على ذكر لهذه الشخصية».

القرن السابع الهجري

بِالرَّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْخَالِدَةِ؛ لِتَتَكَوَّنَ فِي الْأُمَّةِ عَنَاصِرُ الْعِظَمَةِ وَأَسْبَابُ الْخُلُودِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ تَفْرِيقَ الشَّمْلِ خَطَرٌ دَاهِمٌ يُهْدِدُ كَيَانَ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَثَارِ وَبِهَذِهِ الْعَقْلِيَّةِ السَّلِيمَةِ أَصْبَحَ مُدْرِّسًا نَاجِحًا لِلْعَامَّةِ، وَالْخَاصَّةِ عَلَى السَّوَاءِ، وَكَانَتْ الْمَدَارِسُ الْعِلْمِيَّةُ أَشْبَهُ بِالثَّكَنَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَكَانَ صِنْدِيدًا مِنْ صِنَادِيدِهَا وَقَائِدًا مِنْ أَقْدَرِ قُودَائِهَا؛ فَأَخْضَعَ الْعِلْمَ لِلنَّقْدِ السَّلِيمِ النَّزِيهِ كَمَا فَعَلَ ابْنُ إِدْرِيسَ قَبْلَهُ فَظَرَّ مَا يَعْتَوِّرُ الْعِلْمَ مِنْ تَصْحِيحٍ، أَوْ تَجْرِيجٍ، وَالْعِلْمُ ابْنُ الْبَحْثِ، وَالْبَحْثُ ابْنُ الْجُرْأَةِ؛ فَكَانَ مَذْهَبُهُ فِي طَرِيقَةِ الْبَحْثِ الْعَامِلِ الْجَوْهَرِيِّ الْأَوَّلِ فِي بُعْدِ صَبِيئِهِ وَتَحْلِيدِهِ، وَهُوَ عَلَوِيٌّ شَرِيفٌ مِنْ ذُرِّيَةِ الْإِمَامِ بَطَلِ الْإِبَاءِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام ذَكَرَهُ الصَّفَدِيُّ فِي الْوَافِي قَائِلًا: «مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ غَانِمٍ، وَيَتَّصِلُ بِزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام الْحَلِيِّ يُعَرِّفُ بِ: ابْنِ الْجَعْفَرِيَّةِ؛ مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٦٠٦ هـ، أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ أَثِيرُ الدِّينِ أَبُو حَيَّانٍ مِنْ لَفْظِهِ، قَالَ: أَنْشَدَنَا الْمَذْكُورُ لِنَفْسِهِ بِالْحِلَّةِ، سَابِعَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَسُتْمَائَةَ:

أَتَرَى يَبُلُّ غَلِيلَهُ الْمُشْتَاقُ	مِنْكُمْ وَيَسْكُنُ قَلْبَهُ الْخَفَاقُ
وَتَعُودُ أَيَّامُ الْوِصَالِ كَمَا بَدَتْ	وَيُرَى لِأَيَّامِ الْفِرَاقِ فِرَاقُ
يَا حَاجِبًا عَنْ مُقَلَّتِي سِنَّةَ الْكَرَى	فَدُمُوعُهَا بِجَنَابِهِ إِطْلَاقُ
لَا تَنْكُرَنَّ تَمَلُّقِي لِعَوَازِلِي	فَأَخُو الْغَرَامِ لِسَانُهُ مَذَاقُ» ^(١)

انْتَهَتْ مَقَالَةُ الصَّفَدِيِّ، وَهِيَ لَا تَكْشِفُ الْغَطَاءَ عَنْ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ، وَلَا تُعْطِي الْإِلْهَامَ الْكَافِيَ عَنْهَا وَأَغْلَبُ التَّرَاجُمِ تَأْتِي بَيْنَ إِطْنَابٍ مُلِّ فِيهِ خُرُوجٌ كَثِيرٌ عَنِ الْمَوْضُوعِ أَوْ إِنْجَازٍ مُجَلٍّ لَا يَبْقَى بِالْحَاجَةِ.

(١) الوافي بالوفيات: ١ / ١٨١.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

٣٧. الرَّافِضِيُّ الْفَقِيهُ (ت ٦٧٩هـ) (١)

شَيْخٌ فَاضِلٌ مِنْ شُبُوخِ الْحِلَّةِ وَفَقِيهٌ نَبِيهٌ مِنْ فُقَهَائِهَا وَتَكَلَّمَ نَابِغٌ مِنْ مُتَكَلِّمِيهَا وَمُحَدِّثٌ وَاسِعُ الْإِطْلَاعِ، ضَرَبَ فِي كُلِّ عِلْمٍ بِسَهْمٍ، وَلَهُ فِي كُلِّ قَدَرٍ مَعْرِفَةٌ، عَاشَ فِي كَنْفِ الثَّقَافَةِ إِبَّانَ صَوْلَتِهَا، وَارْتَشَفَ مِنْ أَفَاوِيقِ الْعِلْمِ وَتَغَدَّى بِلَبَّانِ الْأَدَبِ، لَهُ نَظَرٌ بِالْأَدَبِ حَدِيدٌ، يَكَادُ يَخْتَرِقُ الْحَدِيدَ.

كَانَ مَعْرُوفًا بِ: الرَّافِضِيِّ، وَهُوَ لَقَبٌ مَكْذُوبٌ لَا أَصْلَ لَهُ، وَلَا تُوجَدُ طَائِفَةٌ تُعْتَرَفُ بِهِ، وَتَنْتَسِبُ إِلَيْهِ فَهُوَ عَنَقَاءُ الْمَذَاهِبِ، وَغَوْلُ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَسْمَعُ بِهِ، وَمَا لَهُ مِنْ وُجُودٍ. سَأَلْتُ مَرَّةً صَدِيقِي الْفَقِيهَ الْجَلِيلَ السَّيِّدَ جَلَالَ الدِّينِ الْحَنْفِيَّ عَنْ تَحْدِيدِ مَذْلُولِ هَذَا اللَّفْظِ؛ فَقَالَ الرَّافِضَةُ عِنْدَنَا هُمْ مَنْ رَفَضُوا إِمَامَةَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَام)؛ فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ فَالْشَّيْعَةُ رَفَضَتْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَقْرُونَ بِإِمَامَةِ زَيْدٍ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ رَفَضَتْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْتَرِفُونَ بِإِمَامَةِ زَيْدٍ؛ فَلَمَّا إِذَا اخْتَصَّتْ بِهَذَا الْأَسْمِ الشَّيْعَةُ وَحْدَهَا؟.

كَانَتْ هَذِهِ الشَّتَائِمُ الْمُتَبَادِلَةُ بَيْنَ الشَّيْعَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ تَبِيجَةً لِلْجَهْلِ وَلِلدَّسِ الْأَجْنَبِيِّ الَّذِي يَسْتَفِيدُ مِنْ تَقْرِيقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِشَاعَةِ النَّزَاعِ بَيْنَهُمْ؛ فَصَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجِمَةِ نَبَزَهُ أَعْدَاؤُهُ بِهَذَا اللَّقَبِ بَعْدَ أَنْ عَجَزُوا عَنْ وُجُودِ نَقْصٍ يُشِينُهُ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ الَّتِي كَانَتْ الْأَحْقَادُ الْمَذْهَبِيَّةُ مُتَأَجِّجَةً لِلْهَيْبِ، وَالتِّي نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى انْطِفَائِهَا فِي هَذَا الْعَصْرِ؛ فَقَدْ حَمَدَتْ حَتَّى بَرَدَتْ.

وَالرَّافِضِيُّ هَذَا هُوَ الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُلَقَّبُ أَيْضًا بِشَيْخِ الشَّيْعَةِ كَانَ مِنْ أَجَلِ فُقَهَاءِ الْإِمَامِيَّةِ، وَرَكْنَا رَكِينًا مِنْ أَرْكَانِهَا، تُوُفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٦٧٩هـ فَكَانَتْ وَفَاتُهُ خَسَارَةً لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، أَمَّا تَارِيخُ وَلَاذَتِهِ فَلَمْ نَعَثُرْ عَلَيْهِ [بِدَرْغَمِ الْبَحْثِ الْمُتَوَاصِلِ،

(١) جاء في كتاب العبر للذهبي: ٣٢٥/٥ «سكن جزين إلى أن مات بها في نصف شعبان وله نيف وتسعون سنة، وكان قد وقع في الهرم سنة ثمانين وست مئة». وفي حوادث سنة ٦٧٩هـ ذكر عبد الله اليافعي المكي في كتابه مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ١٤٣/٤ «وفيهما توفّي أبو القاسم بن الحسين الحلبي الرافضي، الفقيه المتكلم، شيخ الشيعة وعالمهم».

القرن السابع الهجري

وَلَمْ يُوجَدْ فِي مَجْمُوعَةِ الْجَدِّثِ^(١) (نُشْرُ الْخُرَامِي) سِوَى عُنْوَانِهِ هَكَذَا (فَقِيهِ الشَّيْخَةِ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الرَّافِضِيُّ الْحَلِّيُّ)، وَلَا أَذْرِي هَلْ هُوَ الْمَقْصُودُ أَمْ شَخْصٌ آخَرٌ يُلَقَّبُ بِ: (الرَّافِضِيِّ، وَفَقِيهِ الشَّيْخَةِ)؛ وَلَكِنَّا نَرْجِّحُ أَنَّهُ هُوَ الْمَعْنَى مِنْ وَصْفِهِ بِالْفَقْهِ وَالتَّشْيِيعِ، وَمِنْ كُنْيَتِهِ بِ: أَبِي الْقَاسِمِ، وَهِيَ كُنْيَةٌ لِمَنْ تَسَمَّى بِ: مُحَمَّدٍ فَعَرِفَ أَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّدٌ، وَيُؤَسِّفُنَا أَنَّ بَاقِيَ التَّرْجُمَةِ مَفْقُودَةٌ مِنَ الْمَجْمُوعَةِ، وَفِي الصَّفْحَةِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ عُنْوَانِهِ هَذَا وَجَدْتُ هَذَا الْعُنْوَانَ: «الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْغُرَوِيِّ الْحَلِّيِّ كَانَ شَيْخًا صَالِحًا وَفَقِيهًا فَاضِلًا أَجَارَهُ الْفَقِيهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَحْسَائِيِّ سَنَةَ ٨٩٨ هـ، وَلَهُ تَصَانِيفٌ جَلِيلَةٌ مِنْهَا...»^(٢)، وَلَكِنَّا لَمْ نَعَثَرْ عَلَى بَقِيَّةِ التَّرْجُمَةِ.

٣٨. ابْنُ الْعُودِ^(٣) [وُلِدَ ٥٨١، ٥٨٣ - ت ٦٧٧، ٦٧٩ هـ]^(٤)

نَجِيبُ الدِّينِ، أَبُو الْقَاسِمِ^(٥) بْنُ حُسَيْنِ بْنِ الْعُودِ الْحَلِّيِّ الْأَسَدِيِّ مِنْ أَوَاخِرِ الْمَائَةِ

(١) (قُدَّسَ سِرُّهُ)، (قُدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) أَوْ (قُدَّسَ اللَّهُ نَفْسَهُ)، وَمَعْنَاهُ بِحَسَبِ الْعُنْوَانِ الْأَوَّلِ: إِنَّ لَهُ سِرًّا مَعَ اللَّهِ فِي خُلُواتِهِ الرُّوحَانِيَّةِ، أَوْ لَهُ مَعْرِفَةٌ مَعِيْنَةٌ فِي أَسْرَارِ الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ، وَعَلَى الْعُنْوَانِ الثَّانِي: يَعْنِي نَزَّ اللَّهُ نَفْسَهُ. بِحَسَبِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ يَكُونُ الْكَلَامُ إِخْبَارًا، وَبِحَسَبِ الثَّانِي يَكُونُ إِنْشَاءً.

(٢) مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذِهِ التَّرْجُمَةَ الَّتِي جَاءَتْ بَعْدَ الرَّافِضِيِّ هِيَ لَعَلَّمْ آخَرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَعْرُوفٍ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْغُرَوِيِّ الْحَلِّيِّ، وَلَيْسَ لَهُ عِلَاقَةٌ بِالْمُتَرْجِمِ؛ إِذْ إِنَّ الْغُرَوِيَّ مِنَ عُلَمَاءِ الْقُرْنِ الْعَاشِرِ عَلَى الْيَقِينِ. (أَحْمَدُ الْحَلِّيُّ).

(٣) تَرْجُمَتُهُ فِي: مَجْمَعِ الْأَدَابِ فِي مَعْجَمِ الْأَلْقَابِ: ١ / ١١٩ الرِّقْمُ ٨٢، الْعَبْرُ: ٣ / ٣٤١، مِرَاةُ الْجَنَانِ: ٤ / ١٩١، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ: ١٣ / ٣٠٤، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ: ٧ / ٣٤٧، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ: ٥ / ٣٦٥، طَبَقَاتُ أَعْلَامِ الشَّيْخَةِ: ٣ / ١٣٥، إِعْلَامُ الْبُلَاءِ بِتَارِيخِ حَلَبِ الشَّهْبَاءِ: ٤ / ٤٧٩ الرِّقْمُ ٢٦٠، أَعْيَانُ الشَّيْخَةِ: ٢ / ٢٨٠، مَوْسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٧ / ٦٤، تَوْضِيحُ الْمَشْتَبِهَةِ: ٣ / ٤١٧، ٦ / ٣٩٠، وَلَقَّبَهُ ابْنُ الْفَوَاطِي بِعَزِّ الدِّينِ، وَيُظْهَرُ أَنَّهُ اشْتَبَهَ بِوَلَدِهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الَّذِي تَرْجَمَ لَهُ، فَفِي مَجْمَعِ الْأَلْقَابِ: ١ / ٣٢٤ الرِّقْمُ ٤٦٦ «عَزَّ الدِّينُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعُودِ الْحَلِّيِّ الْفَقِيهِ».

(٤) يُنْظَرُ: مَوْسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٧ / ٦٣.

(٥) وَأَبُو الْقَاسِمِ كُنْيَتُهُ لَا اسْمُهُ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ: ١٣ / ٣٣٥، وَيَبْدُو أَنَّهُ نَقَلَ =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

السَّابِعَةِ وَافَاهُ أَجْلُهُ الْمَحْتَوْمُ فِي (جَزِين)^(١)، وَكَانَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ نَاهَزَ التَّسْعِينَ خَرِيفًا، وَكَانَ مِنْ فُقَهَاءِ الْإِسْلَامِ، مَوْلَدُهُ فِي الْحِلَّةِ وَبِهَا تَأَدَّبَ وَنَشَأَ نَشَأً عَرَبِيَّةً إِسْلَامِيَّةً صَالِحَةً، وَوَلَّى وَجْهَهُ سَطْرَ الثَّقَافَةِ فَأَتَقَنَ كَثِيرًا مِنَ الْعُلُومِ اللَّسَانِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ حَتَّى أُتِيحَ لَهُ أَنْ يَكُونَ الْمَحْوَرُ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ الْبُحُوثُ الْعِلْمِيَّةُ، وَسَاهَمَ فِي حَرَكَاتِ الْإِصْلَاحِ الْاجْتِمَاعِيِّ؛ فَعَظُمَ مَقَامُهُ، وَعَلَا قَدْرُهُ، وَكَوَّنَ لَهُ شَخْصِيَّةً مُتَمَيِّزَةً جَذَابَةً قَدْ سَاعَدَتْهُ عَلَى تَكْوِينِهَا عَوَامِلُ الْبَيْئَةِ وَالِاسْتِعْدَادُ الْفِطْرِيُّ الَّذِي تَفَاعَلَ حَتَّى كَوَّنَ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةَ؛ وَلِذَلِكَ يَصُحُّ أَنْ نَقُولَ إِنَّ ابْنَ الْعُودِ يَكَادُ يَكُونُ نَسِيجَ وَحْدِهِ قُلٌّ أَنْ نَرَى لَهُ مِنْ نَظِيرٍ.

وهناك شخصية أدبية أخرى تُدعى بـ: ابنُ العودِ أو بابنُ العودِيّ، وهو أبو المعالي سالم بن علي بن سلمان بن علي التغلبي النيلي المولود سنة ٤٧٨ هـ بقرية النيل من رساتيق الحلة، اشتهر بالشعر ومدحه عماد الدين الأصفهاني^(٢)، وكان ممن عاصره واختبره بنفسه^(٣).

= ما ذكره الصفدي في الوافي: ٩٠ / ٢٤.

(١) في توضيح المشتبه: ٣ / ٤١٧، ٦ / ٣٩٠ «جزين: بجيم وزاي مشددة مكسورتين ثم مثناة تحت ساكنة ثم نون مكسورة نسبة إلى جزين بلد من ساحل دمشق أهله مشهورون بالرفض، ومنها أبو القاسم بن الحسين النجيب بن العود الحلي الجزيني أحد علماء الرافضة، هلك بجزين سنة تسع وسبعين وستمائة».

(٢) يُنظر: كلامه في الغدير: ٤ / ٣٨٠ «شاب شبت له نار الذكاء، وشاب لنظمه صرف الصهباء بصافي الماء، ودر من فيه شؤبوب الفصاحة، يسقي من ينشده شعره راح الراحة».

(٣) توفي سنة ٥٥٨ هـ، وله غديرية في أمير المؤمنين (عليه السلام). يُنظر: الغدير: ٤ / ٣٧٢، وقد أوردها ابن شهر آشوب في المناقب: ١ / ٢١٧، وفي أعيان الشيعة: ٢ / ٢٧٧ يذكر شخصاً ثالثاً بهذه التسمية «وذكرنا هناك أنَّ ابن العودِيَّ اسمه بهاء الدين محمد بن علي بن الحسن العودِيَّ العاملي الجزيني، وهو غير ابن العودِيَّ هذا؛ لأنَّ ذاك تلميذ الشهيد الثاني، وهذا مقدَّم على ابن شهر آشوب أو معاصر له». وله ترجمة نشرتها مجلة الغري النجفية الغراء في العدد ٢٢ و ٢٣ من السنة السابعة، بقلم الدكتور مصطفى جواد، وقد قام الدكتور عبدالإله العرداوي بجمع شعر أبي المعالي هذا وتحقيقه.

القرن السابع الهجري

وَلَكِنَّ صَاحِبَ التَّرْجَمَةِ، نَجِيبُ الدِّينِ، أَبُو الْقَاسِمِ، لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا كَابْنِ الْعَوْدِيِّ
التَّغْلِبِيِّ فَحَسَبَ؛ بَلْ شَارَكَهُ بِالْأَسْمِ وَبِالشَّعْرِ وَزَادَهُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَفْضَلِ
وَالْفُقَهَاءِ الْأَجَلَةِ خَدَمَ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ خِدْمَةً مَشْكُورَةً، وَنَشَرَ لَوَاءَ عَنَاصِرِ التَّحْرِيرِ
الْعِلْمِيِّ، وَسَانَدَ سُلْطَانَهَا، وَلَمَّا مَاتَ أَحْدَثَ مَوْتُهُ مَوْجَةً طَاقِيَةً مِنَ الْحُزْنِ وَالْأَسَفِ
فَانْتَبَرَى إِلَى رِثَائِهِ الْكَثِيرُونَ مِنْ بَيْنَهُمُ الشَّاعِرُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُسَامِ بْنِ أَبِي الْغَيْثِ ^(١) بِقَصِيدَةٍ
جَاءَ فِيهَا:

عَرَّجْ (بِحِزْنٍ) يَا مُسْتَبْعِدَ النَّجَفِ
فَفَضَّلْ مَنْ حَلَّهَا يَا صَاحُ غَيْرِ خَفِي
نُورٌ ^(٢) ثَوَى فِي ثَرَاهَا فَاسْتَنَارَ بِهِ
وَأَصْبَحَ التُّرْبُ مِنْهَا مَعْدِنَ الشَّرَفِ
فَلَا تَلُومَنَّ إِنْ خِفْتُمْ عَلَى كَيْدِي
صَبْرًا وَلَوْ أَنَّهَا ذَابَتْ مِنَ اللَّهْفِ
لِمِثْلِ يَوْمِكِ كَانَ الدَّمْعُ مُدْخَرًا
بِاللَّهِ يَا مُقْلَتِي سُحِّي وَلَا تَقْفِي ^(٣)
وَقَدْ عَارَضَهَا جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُبَارَكٍ ^(٤) فَقَالَ:
أَرَى تَجَاوَزَ حَدَّ الْكُفْرِ وَالسَّرَفِ
مَنْ قَالَ ^(٥): مَقْبَرَةُ ابْنِ الْعَوْدِ بِالنَّجَفِ

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ فِي: أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ١١٢/٢، كَشَفُ الظُّنُونِ: ١٢٨٧/٢.

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ (نُورِي)، وَالتَّصَوُّبِ مِنَ الْأَعْيَانِ: ١٢٣/٢.

(٣) نَقَلَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ الذَّهَبِيُّ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ: ٣٣٧/٥٠، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ: ٩٠/٢٤، وَأَوْرَدَهَا

بِتِمَامِهَا الْعَامِلِيُّ فِي الْأَعْيَانِ: ١٢٣/٢.

(٤) تَرْجَمَتُهُ فِي الْأَعْيَانِ: ٩٨/١٠ وَمَا بَعْدَهَا.

(٥) فِي الْأَعْيَانِ: ١٢٣/٢ (مَنْ قَاسَ)، وَفِي: ٩٨/١٠ (مَنْ قَاسَ ابْنَ الْعَوْدِ بِالنَّجَفِ).

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

وَمَا لَهَذِهِ الْمُعَارَضَةُ السَّخِيفَةُ مِنْ بَاعِثٍ، وَلَكِنَّ الشَّاعِرَ بَلَغَ بِهِ الْحَقْدُ مَبْلَغًا بَعِيدًا
أَدَّى بِهِ أَنْ يَرْمِيَ زَمِيلَهُ الشَّاعِرَ بِالْكَفْرِ لِمُجَرَّدِ تَوْهُمِهِ (أَنَّ ابْنَ الْعُودِ مَدْفُونٌ بِالنَّجَفِ)،
وَمِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ لَا يَسْتَلْزِمُ هَذِهِ الْحَمَاقَةَ، وَلَا يَسْتَدْعِي أَنْ يَرْمِيَ الشَّاعِرَ بِالْكَفْرِ مَعَ أَنَّ
الشَّاعِرَ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ؛ وَإِنَّمَا صَرَّحَ بِمَا لَا يَقْبَلُ الشَّكَّ أَنَّ ابْنَ الْعُودِ مَدْفُونٌ فِي (جَزِينِ)
فَانْظُرْ وَتَدَبَّرْ مَطْلَعَ الْقَصِيدَةِ؛ فَالضَّمِيرُ فِي (حَلَّهَا) يَعُودُ إِلَى (جَزِينِ) لَا إِلَى (النَّجَفِ) ^(١)،
و(جَزِينِ) اسْمٌ لِإِقْلِيمٍ فِي لُبْنَانَ كَانَ يَحْكُمُهُ الْأَمِيرُ خَلِيلُ الشَّهَابِيِّ ^(٢) أَثْنَاءَ الْحُكْمِ الْعُثْمَانِيِّ
سَنَةَ ١٨٢٨ م.

٣٩. نَجْمُ الدِّينِ، ابْنُ الدَّرْبِيِّ ^(٣) (...-...-...) ^(٤)

وَهَذَا اسْمٌ آخَرُ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَيَّاتِ مِنْ فَتَهَاءِ الْحَلَةِ الْمَغْمُورَةِ الْمَنْسِيَةِ؛ وَهُوَ ابْنُ
الدَّرْبِيِّ الَّذِي بَخِلَتْ التَّرَاجُمُ فِي إِعْطَاءِ صُورَةٍ كَافِيَةٍ عَنْ شَخْصِيَّتِهِ سِوَى شَذَرَاتٍ قَلِيلَةٍ
لَا تَكْفِي لِمَعْرِفَتِهَا وَالْإِحَاطَةَ بِجَوَانِبِهَا؛ فَبَقِيَتْ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةُ يَكْتَنِفُهَا نَوْعٌ مِنَ الْغُمُوضِ
وَالِإِبْهَامِ؛ وَلَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ الدَّرْبِيِّ مِنْ طُلَّائِعِ الْكَشْفِ الْعِلْمِيِّ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ ^(٥)،

(١) الظاهر أن ولع الشاعر بابن العود وحبّه له جعله يرى أنّه حيّاً لم يموت، فقال: كفر من قال إنّ ابن العود مدفون بالنجف لا غير، وربّما منه يُشَمُّ أنّه دُفِنَ في النجف، فلاحظ. (أحمد الحليّ).

(٢) يُنظر: أعيان الشيعة: ٣٢/٦.

(٣) ترجمته في: أمل الآمل: ٢/٦٥ الرقم ١٧٧، رياض العلماء: ١/٢٥٩-١٨٣، أعيان الشيعة: ٥/١٩٢-١٩٣، طبقات أعلام الشيعة: ٣/٣٨، الفوائد الرضويّة: ١/١٠٩، رجال ابن داود: ٢٧، تعليقة أمل الآمل: ١٤٤، معجم رجال الحديث: ٥/٣٠٩، تراجم الرجال: ١/١٤٤، موسوعة طبقات الفقهاء: ٦٨/٧.

(٤) لم أهد إلى سنة وفاته.

(٥) ما لم يذكره المصنّف في ترجمته هو أنّه قد أخذ عن جماعة من كبار الفقهاء، منهم: عربيّ بن مسافر العباديّ الحليّ (ت بعد ٥٨٠هـ)، ورشيد الدين محمّد بن عليّ بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، وناصر الدين راشد بن إبراهيم البحراقيّ (ت ٦٠٥هـ)، وروى عن: أبي عبد الله أحمد بن شهر يار =

القرن السابع الهجري

وَأَنَّهُ سَاهَمَ فِي الْحَرَكَاتِ الْإِصْلَاحِيَّةِ وَالْثَّقَافِيَّةِ؛ وَلَكِنَّا لَا نَعْرِفُ نَوْعَ هَذِهِ الْمُسَاهَمَةِ وَمَا مَدَاهَا؟ فَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ الْفُوطِيِّ فِي كِتَابِهِ (الْحَوَادِثُ الْجَامِعَةُ) اسْتِطْرَافًا فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٦٨١ هـ، وَلَكِنَّهُ مَعَ الْأَسْفِ لَمْ يُعْطِنَا مَا يُمَكِّنُ الِاعْتِدَادَ بِهِ مِنْ أَحْوَالٍ وَتَارِيخِ حَيَاتِهِ الَّتِي تَكَادُ تَكُونُ مُبْهَمَةً؛ فَكُلُّ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُقَدِّمَهُ لِقُرَائِهِ قَاصِرًا أَوْ مُقْصِرًا هُوَ تِلْكَ الْإِشَارَاتُ الَّتِي تُشَبِّهُ الْأَلْغَازَ كِإِشَارَتِهِ إِلَى أَنَّ عَبْدَ الْغَنِيِّ ابْنَ الدَّرْنُوسِ قَرَبَهُ الْمُسْتَعْصِمُ الْعَبَّاسِيُّ وَحَظِيَّ بَلَقَبِ (نَجْمِ الدِّينِ)^(١)، وَمِنْ أَعْظَمِ السَّيِّئَاتِ الَّتِي نَقَمَ النَّاسُ بِهَا عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمَذْكُورِ هُوَ تَسْلِيْطُهُ لِهَذَا الْأَحْمَقِ عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ، وَإِدْخَالِهِ فِي الْمَمْلَكَةِ، وَاتَّفَقَ بَعْدَ سُقُوطِ بَغْدَادَ بِأَيْدِي التَّتَرِ أَنَّ أَحَدَ أَعْيَانِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ (الْإِلْخَانِيَّةِ)؛ وَهُوَ نَجْمُ الدِّينِ الْأَصْغَرُ سَارَ فِي النَّاسِ سِيرَةَ سَلَفِهِ وَسَمِيَهُ سَيِّمًا هُوَ نَائِبُ عَلَاءِ الدِّينِ الْجُوَيْنِيِّ صَاحِبِ الدِّيَّانِ، ثُمَّ مَضَى ابْنُ الْفُوطِيِّ فِي اسْتِطْرَافِهِ فِي تَهْجِينِهِ، وَالتَّحَامُلِ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ: «وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْحِلَّةِ يُعْرِفُ بِابْنِ الدَّرْبِيِّ بَيْنَهُمْ حَدِيثُ نَجْمِ الدِّينِ ابْنِ الدَّرْنُوسِ وَحُكْمُهُ فِي زَمَنِ الْخَلِيفَةِ، وَأَنَّ نَجْمَ الدِّينِ الْأَصْغَرَ قَدْ اسْتَوَلَى عَلَى أُمُورِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ كَمَا اسْتَوَلَى هُوَ فَأَنْشَدَ ابْنُ الدَّرْبِيِّ أَبْيَاتًا لِنَفْسِهِ:

نَجْمَانِ كُلٌّ مِنْهُمَا فِي بَلَدَةٍ لَا نَاصِحَ فِيهَا وَلَا مَأْمُونُ

=الخازن، وأبي عامر سالم بن مارويه، وأبي محمد عبد الله بن جعفر بن محمد الدوريسني (ت بعد ٦٠٠ هـ)، ومحمد ابن عبد الله الشيباني البحراني، وغيرهم، وكان من أكابر الفقهاء والعلماء أخذ عنه: المحقق أبو القاسم جعفر بن الحسن الحلبي، والسيد رضي الدين علي بن موسى ابن طاووس الحلبي. موسوعة طبقات الفقهاء: ٦٨/٧-٦٩.

(١) هناك من أطلق عليه (تاج الدين)، وهي الكثرة الكثيرة. يُنظر: الدروع الواقية: ٧٨، خاتمة المستدرک: ٢/٤٦٤، ٣/٣٦٥، موسوعة طبقات الفقهاء: ٦٨/٧، وفي طرائف المقال للسيد علي البروجردي: ٢/٦٧٧ ذكره بلفظ (السيد): «ومن ذلك خبر الأمير حسام الدولة المقلد بن رافع، بالإسناد عن العلامة في إجازته لبني زهرة، عن السيد رضي الدين بن طاووس الحسيني، عن السيد تاج الدين الحسن بن الدربي».

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

وَكِلَاهُمَا سَاسَ الْعِرَاقَ فَذَاكَ قَدْ كَانَ الْحَرَابُ بِهِ وَذَا سَيَكُونُ
إِنْ كَانَ تَأْثِيرُ الْكَوَاكِبِ هَكَذَا هَذَا جُنُونٌ وَالْجُنُونُ فُنُونٌ
فَأَمَرَ الصَّاحِبُ بِتَحْصِيلِ الْجَمَاعَةِ، فَاخْتَفَوْا أَيَّامًا وَأَمْسَكَ عَنْهُمْ^(١) الْإِخ.

وَفِي مَجْمُوعَةِ (نَسْرُ الْحَرَامِي) بَعْدَ إِيرَادِهِ لِهَذِهِ الْأَيَّاتِ، قَالَ: «أَيَّاتٌ قَدْ فَالَهَا، فَتَحَمَّلَ
أَثْقَالَهَا، وَلَا عَجَبَ مِنْ هَذَا النَّظَامِ، فَقَدْ جَبِلَتْ عَلَى الْحَسَدِ اللَّيَّامُ، فَهُوَ فَقِيهٌ لَمْ تَمْنَعُهُ الْفَقَاهَةُ،
وَنَبِيهٌ لَمْ تَمْنَعُهُ النَّبَاهَةُ، وَالنَّبَاهَةُ؛ إِذْ لَا تَفِيدُ فَخِيرٌ مِنَ النَّبِيهِ الْبَلِيدِ»، وَلَمْ يُوجِدْ مِنْ هَذِهِ الصَّفْحَةِ
سِوَى طَرَفَيْهَا فَمِنْ الْأَعْلَى سَطْرٌ وَاحِدٌ، وَهَذَا نَصُّهُ: «الشَّيْخُ الْفَضْلُ، وَالْبَدْرُ الْكَامِلُ نَجْمُ
الدِّينِ الْمَوْلُودُ فِي حُدُودِ»، وَفِي طَرَفِهَا الْأَسْفَلِ الْأَيَّاتُ الْمَذْكُورَةُ وَتَعْقِيبُهُ عَلَيْهَا؛ ثُمَّ أَسْطُرٌ
مَبْتُورَةٌ يَتْلُوهَا قَوْلُهُ: «الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَلِّيُّ، الشَّهِيرُ بِ: الرَّافِضِيِّ إِلَى أَنْ قَالَ:
تُوِّفِّي طَابَ ثَرَاهُ وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ سَنَةَ ٦٧٩ هـ»، وَهُوَ تَارِيخٌ وَفَاءٌ الرَّافِضِيِّ الْمَذْكُورَةِ
فِي التَّرْجِمَةِ رَقْمَ (٣٧) فَوَصَفَهُ فِي الْفَقَاهَةِ وَالنَّبَاهَةِ، وَنَظَّمَهُ لِلشَّعْرِ دَلِيلٌ عَلَى اشْتِرَاكِهِ فِي
فُنُونِ الْعُلُومِ وَنَشْرِهَا وَالْعَمَلِ عَلَى تَقْدِيمِ التَّفْكِيرِ الْإِسْلَامِيِّ فِي مَجَالَاتِ انْطِلَاقِهِ، وَإِنْ كُنَّا
لَا نَعْرِفُ بِالضَّبْطِ نَوْعِيَّةَ ذَلِكَ الْعَمَلِ الَّذِي نَقُولُهُ عَلَى سَبِيلِ التَّخْمِينِ وَالِاسْتِئْثَاجِ الْمَبْنِيِّ
عَلَى الظَّنِّ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَتَصَادَقُ وَعِلْمُنَا بِكَوْنِهِ كَانَ مِنْ رِجَالِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ عَلَى سَبِيلِ
الْإِجْمَالِ^(٢).

(١) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة: ٣٧.

(٢) في كشف الحجب والأستار لإعجاز حسين: ٣٧ نسب لابن الدريّ ثلاثة مصنفات: (أرجوزة
في تاريخ القاهرة، وأرجوزة في تاريخ الملوك والخلفاء، أرجوزة في نظم ألفية الشهيد)، وقد ردَّ
المحسن الطهراني على هذه النسبة: «أقول: ذكر في كشف الحجب هاتين الأرجوزتين ونسبهما إلى
الشيخ حسن بن دريّ الذي ترجمه في أمل الأمل قبل الشيخ حسن بن راشد بلا فصل، والظاهر
أنّه أخذهما عن أمل الأمل وإن لم ينسبه إليه، وكان اسم الحسن بن راشد ساقطاً عن نسخته فنسبه
إلى ابن الدريّ غافلاً عن أنّه لم يعهد له تأليف نظماً أو نثراً، وأمّا الحسن بن راشد الذي نظم ألفية
الشهيد وسماه بالجمانة البهية فكان من تلاميذ الفاضل المقداد، وقد قرظ منظومته الجمانة البهية=

القرن السابع الهجري

٤٠. الشَّيْخُ وَرَّامٌ^(١) (ت ٦٠٥ هـ)

الشَّيْخُ وَرَّامُ ابْنُ أَبِي الْفَوَارِسِ مَعْدُودٌ مِنَ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ أَمْثَالِ عَلِيِّ بْنِ شَعْرَةَ الَّذِي مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ عَلَيْكَ الرَّقْمُ (٤)، وَأَمْثَالِ سَالِمِ بْنِ مَحْفُوظِ الْمُتَرْجِمِ الرَّقْمُ (٢٥)، وَأَمْثَالِ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ وَالِدِ الْمُحَقِّقِ الْحَلِيِّ.

وَالشَّيْخُ وَرَّامٌ، أَمِيرٌ تَجَلَّبَبَ ثُوبَ الرَّئَاسَةِ، وَفَقِيهٌ رَفَلَ بِبُرْدِ الْكِيَّاسَةِ؛ فَهُوَ أَمِيرُ الْفُقَهَاءِ، وَفَقِيهُ الْعُلَمَاءِ، الْعَالِمُ الْمُحَدِّثُ، الزَّاهِدُ التَّقِيُّ، أَبُو الْحُسَيْنِ وَرَّامُ ابْنِ أَبِي الْفَوَارِسِ عَيْسَى بْنُ أَبِي النَّجْمِ بْنِ مُحَمَّدَانَ بْنِ خَوْلَانَ الْحَارِثِيِّ، يَتَّصِلُ نَسَبُهُ الْكَرِيمُ الْمَشْرِقُ بِبَطَلِ الْإِسْلَامِ مَالِكِ الْأَشْتَرِ بْنِ الْحَارِثِ النَّخَعِيِّ صَاحِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام الَّذِي يَرَوِي عَنْهُ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ فِيهِ: (كَانَ لِي كَمَا كُنْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ^(٢))، وَمَا أَعْظَمَهَا شَهَادَةً، وَأَجْلَهَا كَلِمَةً.

وَالنَّخْعُ قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ قَبَائِلِ مَذْحِجٍ^(٣) الَّتِي يَرَأْسُهَا الشَّهِيدُ حَامِي الذَّمَارِ

= شيخه المقداد تقریظاً لطيفاً وهو الذي أرخ وفاة شيخه المقداد بسنة ٨٢٧ هـ، ويوجد بعض نسخ الجمانه مكتوباً عليها أنها للشيخ حسن بن محمد بن راشد البحراني، فلا يبعد أن يكون الحسن بن راشد نسبة إلى الجد وكان أصله بحرانياً وانتقل إلى الحلة، وعلى كل فهو مؤخر عن الشيخ تاج الدين الحسن بن راشد العلامة الفقيه الأديب المعاصر لفخر المحققين ابن العلامة الحلي الذي له مدائح للمعصومين عليه السلام، منها مديحه لأمر المؤمنين عليه السلام. الذريعة: ١/ ٤٦٥.

(١) ترجمته في: فهرست منتجب الدين: ١٩٥ الرقم ٥٢٢، الكامل في التاريخ ١٢/ ٢٨٢، لسان الميزان: ٦/ ٢١٨ الرقم ٧٦٣، جامع الرواة: ٢/ ٢٩٩، أمل الآمل: ٢/ ٣٣٨ الرقم ١٠٤٠، تنقيح المقال: ٣/ ٢٧٨ الرقم ١٢٦٤١، خاتمة المستدرک: ٣/ ٤٧٧، طبقات أعلام الشيعة: ٣/ ١٩٧، الأعلام: ٢/ ١١٣، معجم رجال الحديث: ١٩/ ١٩٠ الرقم ١٣١٣٥، قاموس الرجال: ٩/ ٢٤٤.

(٢) صدر الحديث: (رحم الله مالكا، لقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ). ينظر: الوسائل: ٣٠/ ٤٥٣.

(٣) لمن يروم المزيد عن هذه القبيلة العربية الأصلية ينظر ما كتبه الشيخ علي الكوراني العاملي عنها=

= (قبيلة النخع)، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

(٢) ناقش العجلوني في كشف الخفاء: ٤٠٩/١ هذا الحديث فليُنظر فيه، وفي مستدرک نهج البلاغة

للشيخ هادي كاشف الغطاء: ١٨٥ «وقال عليه السلام: (الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة =

القرن السابع الهجري

جَدِيدًا حَتَّى طَالَتْ قَائِمَةُ أَمْلَاكِهِ دُونَ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ مِنْهَا؛ فَمِثْلُ هَذَا الْوَاعِظِ الْحَقِيرِ تَكُونُ لِمَوَاعِظِهِ نَتَائِجٌ عَكْسِيَّةٌ وَيَنْطَبِقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(١)، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَتَعَلَّمِ الْفِقْهَ وَالْوَعْظَ إِلَّا لِلتَّقَدُّمِ عَلَى الْأَقْرَانِ وَالتَّسَلُّطِ عَلَى أُمُورِ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ؛ وَمَتَى كَانَ طَلَبُ ذَلِكَ لِغَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ كَانَ أَدَاةَ تَحْرِيبٍ، وَهَدْمٍ؛ وَلَكِنَّ شَيْخَنَا وَرَّامَ طَلَبَ الْعِلْمَ لَوَجْهِ اللَّهِ، وَلَيْسَ لِلرَّئَاسَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ تَحْصِيلُ حَاصِلٍ؛ فَقَدْ بَيَّنَّا لَكَ أَنَّهُ أَمِيرٌ، وَلَكِنَّهُ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْإِزْشَادِ وَالتَّوْجِيهِ، وَكَانَتْ مَوَاعِظُهُ وَإِزْشَادُهُ تَتَغَلَّغُ إِلَى أَعْمَاقِ النُّفُوسِ، وَلِشُيُوعِ الثَّقَافَةِ فِي عَصْرِهِ لَمْ تَكُنِ الْحَرَكَةُ الثَّقَافِيَّةُ مُقْتَصِرَةً فِي الْحِلَّةِ عَلَى الرِّجَالِ وَحَدَهُمْ؛ وَإِنَّمَا شَمَلَتِ النِّسَاءَ أَيْضًا فَكَانَتْ النِّهْضَةُ النِّسَوِيَّةُ أَشْبَهَ بِنَهْضَةِ الرِّجَالِ وَتُسَاوِيهَا جَنبًا إِلَى جَنْبٍ حَتَّى احْتَفَظَ تَارِيخُ الْحِلَّةِ بِأَسْمَاءِ فُضْلَيَاتِ النِّسَاءِ، وَمِنْهُنَّ بَلَغَتْ دَرَجَةَ الاجْتِهَادِ كَزَوْجَةِ صَاحِبِ التَّرْجَمَةِ، بِنْتُ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ، فَقَدْ كَانَتْ عَالِمَةً مُجْتَهِدَةً مُجَازَةً هِيَ وَأُخْتُهَا، وَلَكِنْ لِلْعَادَاتِ الْقَبْلِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُسْتَسَاغِ الْمَأْلُوفِ أَنْ يَتَصَدَّى الْمُتَرْجِمُونَ لِتَرْجَمَةِ النِّسَاءِ إِلَّا نَادِرًا أَوْ بِإِجْازٍ حَتَّى أَنَّ الْكَثِيرِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ شَدِيدُو الْغَضَبِ إِذَا ذَكَرَتْ اسْمُ أُمِّهِ أَوْ إِحْدَى مُحَارِمِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْحَقَاقَةِ، وَمِنْ بَقَايَا مِيرَاثِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ دُسْتُورُنَا قِصَصٌ وَأَخْبَارٌ عَنِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَلَى السَّوَاءِ؛ وَبِسَبَبِ تِلْكَ الْعَادَةِ الَّتِي بَاعَثَهَا الْأَنَفَةُ وَالْكَبْرِيَاءُ ضَاعَ جَانِبٌ كَبِيرٌ وَمُهُمٌّ مِنْ تَارِيخِ الْحِلَّةِ، وَكَأَنَّ الْمُتَرْجِمِينَ وَأَصْحَابَ السِّيَرِ يَجْهَلُونَ أَنَّ الْإِسْلَامَ أَوْجَبَ طَلَبَ الْعِلْمِ عَلَى النِّسَاءِ، وَالرِّجَالِ؛ فَوَرَدَ: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ)^(٢)، وَلَكِنَّ الْعَادَاتِ

(=الكلاب)». وانظر: كنز العمال: ٧١٩/٣، الدر المنثور: ٣٠١/٣.

(١) البقرة: ٤٤.

(٢) في الكافي: ٣٠/١، باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه، الحديث ١، وليس فيه

(مُسْلِمَةٌ). ومستدرک الوسائل: ٣/١٧٤.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلَّةِ

قَاهِرَاتٌ، وَتَغْيِيرُ الْعَادَةِ يَحْتَاجُ إِلَى رِيَاضَةٍ عَقْلِيَّةٍ كَبِيرَةٍ.

لَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ وَرَّامٌ مُتَخَصِّصًا فِي الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ مِنْ فِقْهِ وَأُصُولٍ، وَتَفْسِيرٍ، وَحَدِيثٍ، وَعِلْمِ الْكَلَامِ، وَعِلْمِ الرِّجَالِ وَغَيْرِهَا فَحَسَبُ؛ بَلْ كَانَتْ لَهُ جَوَلَاتٌ وَصَوَلَاتٌ مُوَفَّقَةٌ فِي مَيَادِينِ الثَّقَافَةِ الْعَامَّةِ عَلَى اخْتِلَافِ فُرُوعِهَا وَتَبَايُنِ فُنُونِهَا، وَرَجَعَ بِغَنَائِمٍ كَثِيرَةٍ وَثَمِينَةٍ؛ فَأَتَقَنَ الْمُقَدِّمَاتِ، وَالْعُلُومَ الْآلِيَّةَ مِنْ نَحْوِ وَصَرَفٍ، وَمَعَانٍ، وَبَيَانٍ، وَبَدِيعٍ وَلُغَةٍ؛ ثُمَّ دَرَسَ الْعُلُومَ الْعَقْلِيَّةَ وَالدِّينِيَّةَ كَعِلْمِ الْمُنْطَقِ وَالْحِكْمَةِ، وَعِلْمِ الْكَلَامِ، وَالْفِقْهِ وَالْأُصُولِ؛ ثُمَّ مَارَسَ فَنَّ الْوَعْظِ؛ فَجَنَحَ أَيْضًا فِيهِ نَجَاحًا بَاهِرًا يَسْتَدْعِي الْإِعْجَابَ وَالْإِكْبَارَ حَتَّى كَانَ مَعْدُودًا مِنْ أَشْهَرِ الْوُعَاظِ، مَدَحَهُ كُلُّ مَنْ عَرَفَهُ حَتَّى قَالَ فِيهِ مُتَتَجِبُ الدِّينِ: «شَاهَدْتُهُ بِالْحِلَّةِ فَوَافَقَ الْخُبْرُ الْخَبَرَ»^(١)، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَصُحُّ أَنْ تَكُونَ مِنْ بَابِ لَيْتَ عَيْنِيهِ سَوَاءً^(٢)، لَوْلَا الْقَرَأْنُ الْأُخْرَى كَتَوَثِيقِهِ وَرَوَايَتِهِ عَنْهُ وَالْإِعْتِدَادُ بِأَقْوَالِهِ.

تَتَلَمَّذَ الشَّيْخُ وَرَّامٌ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ سَدِيدِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ الْحَمْصِيِّ الرَّازِيِّ الَّذِي مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ بِرَقْمٍ (١١)، وَالْمُصَاحِرِ لِابْنِ إِدْرِيسَ، وَبِرُوي عَنِ الْحَمْصِيِّ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ جُهُودُ هَذِهِ النُّخْبَةِ الْمُتَمَنِّزَةِ فَمَثَلَتْ تِلْكَ الْأَدْوَارَ الْمُشْرِفَةَ عَلَى مَسَرِّحِ تَارِيخِ الْحِلَّةِ الْفَيْحَاءِ فَكَانَتْ مَنَاطَ فَخْرِ الْحِلَّةِ وَمَصْدَرِ عِزِّهَا؛ فَكُونُوا جِيلًا صَالِحًا وَاعِيًا، وَأَعْقِبُهُ جِيلٌ مِثْلُهُ فِي الْوَعْيِ وَالصَّلَاحِ مَدْفُوعًا بِقُوَّةِ الْاسْتِمْرَارِ مِنْ جِهَةٍ،

(١) فهرست منتجب الدين: ١٩٥.

(٢) وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر والخير، ويسمى في البديع بالتوجيه، ومثلا له بقول الشاعر:

خَاطَ لِي عَمْرُو قَبَاءَ لَيْتَ عَيْنِيهِ سَوَاءَ

فلم يُعرف أن ذلك مدح أم هجاء، فإن المراد الجدِّي والمراد الاستعمالي متعدّد، وينسب إلى بشار بن برد، وقصته أنه أعطى لخيّاط أعور اسمه عمرو ثوبًا ليخيطه، فقال الأعور له: لأخيظنه بحيث لا تعلم أقباء أو غيرها، فقال بشار: لأقولن شعرا لا تدري أهجاء أم غيرها. خزنة

الأدب، الحموي: ١٤٤.

القرن السابع الهجري

وَلِتَوْفُرَ مُصْلِحِينَ بَذَلُوا جُهْدَهُمُ الْمَشْكُورَ عَلَى إِبْقَاءِ تِلْكَ الْقُوَّةِ وَتَرْكِزِهَا وَمُحَافَظَتِهَا مِنْ الْأَصْطِدَامِ بِالتَّقْيِضِ حَتَّى أَخَذَتِ الْحَرَكَةُ الْإِصْلَاحِيَّةُ تَضَعُفٌ شَيْئًا فَشَيْئًا؛ لِقَلَّةِ الْمُخْلِصِينَ مِنْ زُعَمَاءِ الْحَرَكَةِ الدِّينِيَّةِ حَتَّى لَمْ تَعُدْ لِلدِّينِ وَالْعِلْمِ تِلْكَ الْهَيْبَةُ وَالصَّوْلَةُ وَفَقَدَ الْعُلَمَاءُ مَكَانَتَهُمْ مُتَخَاذِلِينَ، وَانْتَشَرَتِ الْفِكْرَةُ الْإِلْحَادِيَّةُ، وَدَبَّتْ فِي جِسْمِ الْأُمَّةِ سُمُومُ الْأَرَاءِ الْاسْتِعْمَارِيَّةِ، وَعَمِلَتْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ عَلَى تَعْضِيدِ الْإِلْحَادِ بِشَتَّى الْوَسَائِلِ الْجَهَنَّمِيَّةِ الْخَبِيثَةِ وَسَاعَدَتْ ذَلِكَ أَنْجَرَافَاتُ بَعْضِ رِجَالِ الدِّينِ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ، وَزَادَ فِي الطِّينِ بَلَّةُ جَهَالَةِ الْعَوَامِ الْمُتَشَبِّهِينَ بِالْعُلَمَاءِ مَنْ تَسَمَّوْا بِالْعُلَمَاءِ الْأَحْرَارِ، وَهُمْ الْجَهْلَةُ الْعَبِيدُ فَاخْتَلَطَ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ، وَأَصْحَابُنَا فِي فِتْنَةِ عَمِيَاءَ حَتَّى قَذَفَ حُبْجُ الْإِسْلَامِ قُبُلَتَهُمُ الْمُدْمَرَةَ فَقَضَتْ عَلَى بَاطِلِ الْإِلْحَادِ وَالْفَوْضَى، وَمَا تِلْكَ الْفَتْوَى إِلَّا فَتَاوِيهِمْ بِتَحْرِيمِ الشُّيُوعِيَّةِ، وَكَانَتْ قُبْلَةً (المُحْسِنِ الْحَكِيمِ) ^(١) أَشَدَّهَا مَفْعُولًا: (الشُّيُوعِيَّةُ كُفْرٌ وَإِلْحَادٌ أَوْ تَرْوِيجٌ لِلْكَفْرِ وَالْإِلْحَادِ) ^(٢)؛ فَانْتَعَشَتِ الْحَرَكَةُ الدِّينِيَّةُ مِنْ جَدِيدٍ، وَوَصَلَتْ أَسْعَى إِصْلَاحَاتِ (الْحَكِيمِ) إِلَى كُلِّ مَكَانٍ، وَنَالَتِ الْحِلَّةَ مِنْهَا نَصِيبُهَا، وَهِيَ فِي الْحِلَّةِ الْحَرَكَةُ الدِّينِيَّةُ فِي دَوْرِ التَّهْيُؤِ وَالتَّخْضِيرِ، وَتَمَنَّى صَادِقِينَ أَنْ تَنْفَجَرَ هَذِهِ الطَّاقَةُ الْمَكْبُوتَةُ لِتَأْخُذَ مَكَانَهَا مِنَ الْحَيَاةِ، وَلِتَحْتَلَّ الْحِلَّةَ مَكَانَتَهَا اللَّائِقَةُ وَعَسَى أَنْ يُعِيدَ التَّارِيخُ نَفْسَهُ.

(١) زعيم الطائفة الحقة، وافاه القدر في المستشفى الجمهوري ببغداد يوم الجمعة ٢٧ محرم سنة ١٣٨٠ هـ.

(٢) نصُّ الفتوى: (بسم الله الرحمن الرحيم: لا يجوز الانتماء للحزب الشيوعي، فإنَّ ذلك كفر وإلحاد، أو ترويج للكفر والإلحاد أعاذكم الله وجميع المسلمين من ذلك، وزادكم إيماناً وتسليماً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته). محسن الطباطبائي الحكيم ١٧ شعبان ١٣٧٩ هـ، الموافق لتاريخ ١٥/٢/١٩٥٩ م، ويُنظر: كتاب: الشيوعية كفر وإلحاد، الشيخ كاظم الحلفي، مطبعة القضاء، إلى طلب العلم، الكوراني: ١٤٤.

مِنْ أَثَارِهِ

لِلشَّيْخِ وَرَّامٍ مُصَنَّفَاتٌ جَلِيلَةٌ، مِنْهَا كِتَابُ (تَنْبِيهِ الْخَاطِرِ وَنَزْهَةِ النَّاظِرِ)^(١)، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي اشْتَهَرَ بِهِ، فِي مُجَلَّدَيْنِ، وَمَوْضُوعُهُ الْعِلْمُ الْأَخْلَاقِيُّ تَكَرَّرَ طَبْعُهُ وَقَدْ غَلَطَ عَبْدُ الْكَرِيمِ الْمَاشِطَةُ فِي كُتُبِهِ (مُخْتَصَرُ تَارِيخِ الْحِلَّةِ) الَّذِي نَحَلَهُ يُوسُفُ كَرْكُوشُ أَحَدُ مُعَلِّمِي الْمَدَارِسِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ؛ فَقَدْ ظَنَّ هَذَا الْكِتَابَ أَنَّهُ غَيْرُ مَجْمُوعَةٍ وَرَّامٍ؛ وَالْحَقُّ أَنَّهُمَا اسْمَانِ لِكِتَابٍ وَاحِدٍ^(٢).

وَقَدْ خَسِرَتِ الْحِلَّةُ الشَّيْخَ وَرَّامَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٦٠٥ هـ^(٣)، فَكَانَ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الْحِلَّةِ الْعَصِيَّةِ.

٤١. الرَّئِيسُ أَبُو الْبَقَاءِ، ابْنُ نَاهٍ^(٤) (ت ٦٨٠ هـ)^(٥)

لَقَدْ مَرَّ عَلَيْكَ قَرِيبًا أَنَّ أَسْرَةَ آلِ نَاهٍ مِنَ الْأُسْرِ الْعِلْمِيَّةِ الشَّهِيرَةِ فِي الْحِلَّةِ، لَهَا مَكَاتَتْهَا الْعَالِيَّةُ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ، مَكَنَتِ الْفِكْرَ الْعَرَبِيَّ مِنَ الظُّهُورِ وَالِاسْتِمْرَارِ بِمَا قَدَّمَتْهُ لَهُ مِنْ خِدْمَاتِهَا الْجَلِيلَةِ الْمُتَوَاصِلَةِ فِي حَقْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالتَّقْوَى؛ فَكَانَ أَثَرُهَا فِي مَجْتَمَعِنَا

(١) فِي الْمَطْبُوعِ (النَوَاطِرُ)، وَهُوَ خَطَأً، وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتْنَاهُ. يُنْظَرُ: كَشَفُ الْحَجَبِ وَالْأَسْتَارِ: ١٤٢، وَهَدِيَّةُ الْعَارِفِينَ: ٢/٤٧٩-٥٠٠، وَفِي الذَّرِيعَةِ: ٢٤/١٣٠ (تَنْبِيهِ الْخَاطِرِ وَنَزْهَةِ النَّاظِرِ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ وَالْمَوَاعِظِ وَالزَّوَاجِرِ).

(٢) وَقَدْ طُبِعَ بِطَهْرَانِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَلْفَ، وَطُبِعَ بَعْدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. الذَّرِيعَةُ: ٢٤/١٣٠. (٣) فِي لِسَانِ الْمِيزَانِ: ٦/٢١٨، ذَكَرَ وَفَاتِهِ ٦٥٠ هـ، وَهُوَ لَيْسَ صَحِيحًا، وَفِي هَدِيَّةِ الْعَارِفِينَ: ٢/٥٠٠ جَعَلَهَا سَنَةَ ٦٠٠ هـ، وَالصَّوَابُ مَا هُوَ مُثَبَّتٌ.

(٤) وَاسْمُ نَاهٍ يُلْفِظُ مِثْلُ النَّونِ وَخَفَّفَ الْمِيمُ بَعْدَهَا الْأَلْفَ. ذَكَرَهُ الْعَامِلِيُّ: ٢/١٧٤، وَيُنْظَرُ: أَسْرَةُ آلِ نَاهٍ الْحِلِّيَّةُ: ٥٥.

(٥) تَرْجَمَتْهُ فِي: أَمَلِ الْأَمَلِ: ٢/٣٤٣ الرِّقْمُ ١٠٦٢، رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ: ٥/٣١٦، طَبَقَاتُ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ: ٢/٣٣٤، مُسْتَدْرَكَاتُ عِلْمِ رِجَالِ الْحَدِيثِ: ٨/١٤٣ الرِّقْمُ ١٥٨٧٢، أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ٤/١٥٧.

القرن السابع الهجري

العربي الإسلامي مَلُوسًا، وَقَدْ سَاعَدَتْ عَلَى تَرْكِيزِ الْقُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ وَالتَّنْظِيمِيَّةِ مَا نَشَرَتْهُ مِنْ كُتُبٍ نَفِيسَةٍ، وَمَا خَاصَّتْهُ مِنْ جَوَلَاتٍ تَقَافِيَّةٍ الْأَمْرِ الَّذِي بَوَّأَهَا مَرْكَزَهَا الدِّينِيَّ الْمُمْتَّازَ وَأَعْطَاهَا الرِّعَامَةَ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ عَنْ كِفَاءَةٍ وَاسْتِحْقَاقٍ؛ حَتَّى تَخْرَجَ عَلَى هَذِهِ الْأُسْرَةِ النَّبِيلَةِ عَدَدٌ هَائِلٌ مِنْ أَكَابِرِ عُلَمَاءِ ذَلِكَ الْعَصْرِ وَأَدْبَائِهِ، وَبَقِيَتْ مُؤَلَّفَاتُهُمْ تُغْذِي الْفِكْرَ الْعَرَبِيَّ وَالْإِسْلَامِيَّ حَتَّى السَّاعَةِ، وَمِنْ أَصُولِ هَذِهِ الدَّوْحَةِ الْمُبَارَكَةِ الْمُثْمَرَةِ الرَّئِيسُ الْعَفِيفُ الشَّرِيفُ، أَبُو الْبَقَاءِ هَبَةُ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَمَا بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمْدُونَ الْحَلِّيُّ الرَّبْعِيُّ، الشَّهِيرُ بِ(ابْنِ نَمَا) ^(١) إِبْلَاقًا، فَقَدْ كَانَ مِنْ فُضَلَاءِ عَصْرِهِ، وَالنُّخْبَةِ الْخَيْرَةِ

(١) ثَمَّةٌ خَلَطَ هُنَا بَيْنَ مَنْ تَسَمَّى بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ، فَهَنَّاكَ: هَبَةُ اللَّهِ بْنُ نَمَا بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمْدُونَ الرَّبْعِيُّ، أَبُو الْبَقَاءِ الْحَلِّيُّ، رَوَى عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ إِيَّاسَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هِشَامِ الْحَائِثِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ طَحَّالِ الْمَقْدَادِيِّ، وَنَجْمَ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ ابْنِ أَحْمَدَ الْعُلُوِّيَّ الْحُسَيْنِيَّ، رَوَى عَنْهُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الْمُشْهَدِيِّ صَاحِبِ (الْمَزَارِ) وَوَلَدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي الْبَقَاءِ، لَمْ نَظْفَرْ بِوَفَاتِهِ، وَقَدْ سَمِعَ مِنْهُ ابْنُ الْمُشْهَدِيِّ سَنَةَ (٥٧٣ هـ)، وَقَدْ حَمَّنَ الشَّيْخُ السَّبْحَانِيَّ وَفَاتَهُ حَوَالِي ٥٧٥ هـ.

وهناك: جعفر ابن الفقيه الكبير محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الرباعي، نجم الدين أبو القاسم الحلِّي، المعروف كأبيه بابن نما، أخذ نجم الدين عن والده (ت ٦٤٥ هـ) وغيره، فقيهاً، مؤرخاً، فصيحاً، أخذ عنه: العلامة الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلِّي، وكمال الدين علي ابن الحسين بن حماد اللَّيْثِي الْوَاسِطِي، وعبد الرَّزَّاق بن أحمد المعروف بـ: ابن الْفُوطِي (المتوفى ٣٢٧ هـ)، وروى عنه جمال الدين محمد بن الحسن بن محمد بن المهدي بالإجازة العامة سنة (٦٧٠ هـ)، وصنَّفَ من الكتب: منهج الشيعة في فضائل وصي خاتم الشريعة، أخذ الثَّار في أحوال المختار، ومثير الأحزان ومنير سبل الأشجان، توفي ٦٨٠ هـ. ومن خلال سني الوفاة لاحظ الخلط الذي وقع فيه المؤلف فما يقصده الوالد، وقد ذكر سنة وفاة الحفيد، فتأمل، وقد وقع به صاحب الأعيان: أعيان الشيعة: ٢٠٣/٩.

وهناك: والد جعفر، وهو محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما بن علي الرباعي، نجيب الدين أبو إبراهيم الحلِّي، يُعرف بـ: ابن نما وبمحمد بن نما ولد نجيب الدين بعد سنة خمس وستين وخمسة بيسير، وأخذ عن الفقيهِين: محمد بن إدريس العجلي الحلِّي (المتوفى ٥٩٨ هـ)، ومحمد بن محمد بن علي بن ظفر الحمداي، وروى عن: والده جعفر بن أبي البقاء، ومحمد بن المشهدي (المتوفى =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحِلَّةِ

الْمُخْتَارَةُ مِنْ جِيلِهِ وَأَشْهَرُهُمْ عِلْمًا، وَأَتَقَنَهُمْ لِلْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ، يَرْوِي عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ إِدْرِيسَ الَّذِي مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ بِرَقَمٍ (١٠) وَهُوَ مِنْ مَشَايِخِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْمَعْرُوفِ بـ: ابْنِ الْمَشْهَدِيِّ صَاحِبِ الْمَزَارِ.

وَمِنْ أَعْلَامِ أُسْرَةِ آلِ نَمَا الشَّيْخِ جَلَّالُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ نَمَا مِنْ أَجَلِ الْفُقَهَاءِ، وَصَفَهُ صَاحِبُ كِتَابِ (أَمَلُ الْأَمَلِ) يَقُولُ: «الشَّيْخُ جَلَّالُ الدِّينِ الْحَسَنُ بْنُ نَمَا الْحِلِّيُّ كَانَ فَاضِلًا عَالِمًا جَلِيلَ الْقَدْرِ مِنْ مَشَايِخِ الشَّيْخِ الشَّهِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ مَكِّي الْعَامِلِيِّ»^(١) الْمُسْتَشْهَدُ سَنَةَ ٧٨٦هـ؛ فَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ جَلَّالُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ الشَّيْخِ نِظَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ ابْنِ الشَّيْخِ نَجِيبِ الدِّينِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ أَوْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ ابْنِ أَبِي الْبَقَاءِ هَبَّةَ اللَّهِ بْنِ نَمَا بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمْدُونَ الرَّبْعِيِّ الْحِلِّيِّ، فَقِيهًا جَلِيلًا يَرْوِي الشَّهِيدُ عَنْهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْهَدَلِيِّ، وَيَرْوِي هُوَ عَنْ آبَائِهِ الْأَرْبَعَةِ بِالْتَّرْتِيبِ، وَقَدْ نَعَتَهُ الشَّهِيدُ الثَّانِي بِ(الْفَقِيهِ الصَّالِحِ)^(٢)، وَيَا لَهُ مِنْ نَعْتٍ عَظِيمٍ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَفْئَانِ الْمُثْمَرَةِ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ

=بعد ٥٩٤ هـ)، وصفه تلميذه محمد بن أحمد بن صالح القُسَيْنِيّ بالشَّيْخِ الْفَقِيهِ السَّعِيدِ، وَقَالَ: هُوَ شَيْخُ الطَّائِفَةِ وَرَأْسُهَا غَيْرِ مَدَافِعٍ، أَخَذَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ: وَلَدَاهُ نَجْمُ الدِّينِ جَعْفَرُ، وَنِظَامُ الدِّينِ أَحْمَدُ، وَالْفَقِيهِ الْمُحَقِّقُ جَعْفَرُ بْنُ الْحَسَنِ الْحِلِّيِّ، وَالسَّيِّدَانِ رَضِيَ الدِّينِ عَلِيٌّ وَأَبُو الْفَضَائِلِ أَحْمَدُ ابْنَا مُوسَى ابْنِ طَاوُوسٍ، وَالْفَقِيهِ يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدِ الْحِلِّيِّ، وَالْفَقِيهِ سَدِيدُ الدِّينِ يَوْسُفُ ابْنِ الْمُطَهَّرِ وَالِدُ الْعَلَامَةِ الْحِلِّيِّ، وَمُحَمَّدُ الْقُسَيْنِيّ، وَلَهُ مِنْهُ إِجَازَاتٌ آخَرَاهَا سَنَةَ (٦٣٧هـ)، وَالسَّيِّدُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بـ: ابْنِ الْأَبْزَرِ الْحَسِينِيّ، وَصَنَّفَ كِتَبًا، وَقَامَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَسِتْمِائَةٍ بِتَعْمِيرِ بُيُوتِ الدَّرْسِ فِي مَدْرَسَةِ صَاحِبِ الزَّمَانِ ﷺ فِي الْحِلَّةِ، وَأَسْكَنَهَا جَمَاعَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَتَوَفَّى بِالْحِلَّةِ فِي رَابِعِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتْمِائَةٍ عَنْ عُمُرٍ نَاهَزَ الثَّمَانِينَ، وَحُلَّ إِلَى مَشْهَدِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ الشَّهِيدِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَرْبَلَاءَ فَدُفِنَ فِيهِ، رِثَاةُ النَّاسِ، وَرِثَاةُ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ. موسوعة الفقهاء: ٢١٣/٧.

وفي كلام السَّيِّدِ الْمُصَنِّفِ تَوْهُمٌ كَبِيرٌ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ، لَا يَخْفَى عَلَى الْمُتَتَبِّعِ بَيَانُهُ، وَفِي مُقَدِّمَةِ تَحْقِيقِ ذَوْبِ النُّضَارِ: ٣٥-٣٧ جَرَدَ ثَنَائِيَّةٌ مِمَّنْ تَسَمَّوْا بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ.

(١) أَمَلُ الْأَمَلِ: ٢/ ٨٠ بِالرَّقَمِ (٢٢١).

(٢) فِي رِسَالَتِ الشَّهِيدِ الثَّانِي: ٢/ ١١٣١ «وَبِالْإِسْنَادِ إِلَى شَيْخِنَا الشَّهِيدِ، عَنْ شَيْخِهِ الْجَلِيلِ الْفَقِيهِ=

القرن السابع الهجري

التي تُؤتي أكلها كل حين، نجم الدين جعفر بن نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله حفيد أبي البقاء، وهو شيخ عالم، فقيه كامل أديب، متوقد الذهن، ذو نضوج مبكر كان من أكبر فضلاء عصره الزاخر بالعلماء^(١)، وله أخ فاضل هو الشيخ نظام الدين أحمد بن نجيب الدين المذكور.

حكى العلامة أعلى الله مقامه حكاية يدل مغزاها على ما لنجم الدين أخيه من منزلة وقدر ورفعة، قال: «كان بالحلّة أمير فخرج يوماً إلى الصحراء فوجد على قبة مشهد الشمس طيراً فأرسل عليه صقراً يضطاد فأنهزم الطير فتبعه حتى وقع في دار الفقيه ابن نما والصقر يتبعه حتى وقع عليه فانسحب رجلاه وجناحاه، وعطل فجاء بعض أتباع الأمير فوجد الصقر على تلك الحال فأخذ؛ فأخبر مولاه بذلك فاستعظم هذا الحال، وعرف علو منزلة المشهد فشرع في عمارته»^(٢) إلخ.

نقل هذه الحكاية صاحب كتاب (الفوائد الرضوية)^(٣)، ولا نريد أن نعلق عليها بشيء؛ فهي من الأمور الممكنة والممكن بحد ذاته جائز الحصول، وإذا كانت الرواية قد صدرت عن العلامة الحلي^(٤)؛ فلا إشكال في صحتها، وإذا نسب إليه فيمكن مناقشتها؛ فقبّة مشهد الشمس ليست في صحراء، والرواية تقول: إن الأمير خرج إلى الصحراء، توجيهاً: بأنه خرج إلى الصحراء، وفي أثناء مسيره رأى الطير على قبة مشهد

=الصالح جلال الدين الحسن بن أحمد ابن الشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن الشيخ أبي عبد الله الحسين بن محمد بن طحال المقدادي عن أبي علي، عن والده الشيخ أبي جعفر الطوسي.

(١) توفي ٦٤٥ هـ، كما مر.

(٢) وقد ورد ذكر الرواية في كتابه: الكنى والألقاب: ٢ / ١٩٠، ويُنظر مصدره: كشف اليقين: ٤٨٥. مع تغيير بسيط في الألفاظ.

(٣) الكلام الذي نقله موجود في الكنى والألقاب، كما مر، وإنما ذكر الفوائد الرضوية لشهرته.

(٤) يُنظر: الرواية في كشف اليقين: ٤٨٥.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

الشَّمْسِ، كَمَا يُمَكِّنُ مُنَاقَشَةَ قَضِيَّةِ الصَّغَرِ وَالطَّيْرِ فَإِنَّهُ لَمَّا انْهَرَمَ الطَّيْرُ مِنْ ذَا الَّذِي تَبِعَهُ وَبَآئِيَةً وَاسِطَةً؟ حَتَّى تَيَقَّنَ أَنَّه وَقَعَ فِي دَارِ الْفَقِيهِ ابْنِ نَمَا، وَيُمْكِنُ تَوْجِيهَ ذَلِكَ بِأَنَّ تَوْجِهَ الطَّيْرِ وَالصَّغَرِ فِي إِثْرِهِ إِلَى الْحِلَّةِ فَلَمَّا وَقَعَ فِي دَارِ الْفَقِيهِ بْنِ نَمَا شَاعَتِ الْقَضِيَّةُ فَسَمِعَ بَعْضُ أَتْبَاعِ الْأَمِيرِ بِقَضِيَّةِ الصَّغَرِ وَالطَّيْرِ فِي دَارِ الْفَقِيهِ، وَكَانَ يَسْتَقْصِي أَثَرَهُ؛ فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ بِأَنَّ طَيْرًا وَصَقْرًا وَرَاءَهُ وَقَعَ فِي دَارِ الْفَقِيهِ ابْنِ نَمَا ذَهَبَ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ، وَلَمَّا شَاهَدَ الصَّغَرُ عَرَفَهُ؛ فَأَخْبَرَ الْأَمِيرَ بِالْقِصَّةِ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْفَضِيلَةُ مُسْتَبْعَدَةً عَنْ مِثْلِ هَذَا الزَّاهِدِ الْعَابِدِ فَلَهُ فَضَائِلُ وَكَرَامَاتُ تَبَرُّهُ؛ وَقَدْ خَدَمَ الدِّينَ بِكُتُبِهِ الَّتِي مِنْهَا (مُثِيرُ الْأَحْزَانِ)، الْمَعْرُوفُ لَا سِيَّمَا عِنْدَ الْخُطَبَاءِ الذَّاكِرِينَ بِ(مَقْتُلِ ابْنِ نَمَا)، وَكَذَلِكَ كِتَابُهُ (شَرْحُ الثَّارِ فِي أَحْوَالِ الْمُخْتَارِ)، وَكِتَابُ (مَنْهَجُ الشَّيْعَةِ فِي أَحْكَامِ فَضَائِلِ وَصِيِّ خَاتَمِ الشَّرِيعَةِ)^(١).

وإنَّ هَذَا الْعَالَمَ الْعَظِيمَ مِنْ مَشَايِخِ الْعَلَامَةِ الْحِلِّيِّ - طَابَ ثَرَاهُ - كَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٦٨٠ هـ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيبِ، وَلَهُ مَرْقَدٌ شَرِيفٌ قُرْبَ مَدْرَسَةِ الْوُثْبَةِ فِي الْحِلَّةِ فِي الشَّارِعِ الْمَعْرُوفِ بِ(عَقْدِ الطَّوِيلِ) عَلَى مَسَافَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ مَرْقَدِ أَبِي الْفَضَائِلِ، وَقَدْ أُعِيدَ تَجْدِيدُ قَبْتِهِ قَبْلَ ثَوْرَةِ ١٤ تَمَّوُز.

يُرْوَى عَنِ الشَّيْخِ كَمَالِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمَّادٍ الَّذِي يَقَعُ مَرْقَدُهُ خَلْفَ سِجْنِ الْحِلَّةِ الْمُرْكَزِيِّ الْحَالِي فِي مَحَلَّةِ الْجَامِعَيْنِ، وَكَانَ صَاحِبُ التَّرْجَمَةِ مَعَ عِلْمِهِ الْغَزِيرِ شَاعِرًا، وَلَكِنَّ شِعْرَهُ لَيْسَ مِنْ شِعْرِ الْفُقَهَاءِ فَقَدْ كَانَ جَيِّدًا وَمَقْبُولًا، وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الْحِمَاسَةِ مِنْ

(١) هذه الكتب ذكرها في هدية العارفين: ٢٥٤ / ١: ل«نجم الدين جعفر بن نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما بن علي الحلي» من علماء الشيعة الإمامية توفّي في حدود سنة ٦٨٥ هـ خمس وثمانين وستائة، له: أخذ الثار في أحوال المختار مثير الأحزان في المقتل، منهج الشيعة في فضائل وصي خاتم الشريعة، ذوب النصار في شرح الثار». لكي لا يكون خلط بين الجد والحفيد. وقد ذكر الطهراني في الذريعة سنة وفاته ٦٤٥ هـ، وقد تحدّثنا عن ذلك في الهوامش الماضية فليرجع إليه.

القرن السابع الهجري

البحر الطويل:

أَنَا ابْنُ نَمَاءٍ، أَمَّا نَطَقْتُ فَمَنْطِقِي فَصِيحٌ إِذَا مَا مُصِغُ الْقَوْمِ أَعْجَبَا
وَأِنْ قَبِضْتُ كَفْتُ أَمْرِي عَنْ فَضِيلَةٍ بَسَطْتُ لَهُ كَفًّا طَوِيلًا وَمَعْصَمَا
بَنَى وَالِدِي مَهْجًا إِلَى ذَلِكَ الْعُلَا وَأَفْعَالُهُ كَانَتْ إِلَى الْمَجْدِ سُلْمَا
كُبْنِيَانِ جَدِّي جَعْفَرٍ خَيْرٍ مَاجِدٍ وَقَدْ كَانَ بِالْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ مُغْرَمَا
وَجَدُّ أَبِي الْحَبْرِ الْفَقِيهِ أَبِي الْبَقَا فَمَا زَالَ فِي نَقْلِ الْعُلُومِ مُقَدَّمَا
يَوَدُّ أَنْاسُ هَدْمَ مَا شَيْدَ الْعُلَا وَهَيْهَاتَ لِلْمَعْرُوفِ أَنْ يَتَهَدَّمَا
يُرُومُ حَسُودِي نَيْلَ شَاوِي سَفَاهَةٍ وَهَلْ يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ يَرْفَى إِلَى السَّمَا؟^(١)
وَيُحْتَمَلُ فِي (أَبِي) الْإِضَافَةُ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ فَيَكُونُ الْمُرَادُ فِي قَوْلِهِ (جَدُّ أَبِي) هُوَ أَبُو
الْبَقَاءِ؛ فَهُوَ جَدُّ أَبِيهِ كَمَا يُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ فِي (أَبِي) إِضَافَةً إِلَى أَبِي الْبَقَاءِ فَيَكُونُ الْمُرَادُ
عَلِيَّ بْنُ حَمْدُونَ، وَهُوَ جَدُّ أَبِي الْحَبْرِ الْفَقِيهِ أَبِي الْبَقَاءِ، وَالْمَعْنَى كَمَا يَقُولُونَ بِقَلْبِ الشَّاعِرِ،
وَمِنْ شِعْرِهِ يَمْدَحُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا عليه السلام مِنَ الْخَفِيفِ:

جَادَ بِالْقُرْصِ وَالطَّوَى مِلْءُ جَنِينٍ
— وَعَافَ الطَّعَامَ وَهُوَ سَغُوبٌ
فَأَعَادَ الْقُرْصَ الْمُنِيرَ عَلَيْهِ الْ—
قُرْصَ^(٢)، وَالْمُقْرِضُ الْكِرَامَ كُتُوبُ^(٣)

(١) أورد هذه الأبيات بتمامها العاملي في الاعيان: ١٥٧/٤.

(٢) في الصراط المستقيم للعاملي البيضاوي: ٢٠٣/١ (الفرض).

(٣) البابليات: ١/٧٦، نقلاً عن: (الكواكب السماوية) للشيخ محمد السماوي، وقال: ولا أدري هل هما لابن نما صاحب الترجمة، يعني جعفر بن محمد بن جعفر، أم لأبيه؟ وعلى كل فقد سبقه إلى هذا المعنى ابن أبي الحديد، حيث قال في إحدى علويّاته:

إمام هدى بالقرص أثر فاقضى له القرص رد القرص أبيض أزهر

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَطَوِيلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْخَلْتَيْنِ

وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضًا مِنَ الْكَامِلِ:

إِنْ كُنْتُ فِي آلِ الرَّسُولِ مُشَكَّكًا فَأَقْرَأْ هَذَاكَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ
فَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَى عُلُوِّ مَحَلِّهِمْ وَعَظِيمُ فَضْلِهِمْ وَعَظُمُ الشَّانِ
وَهُمُ الْوَدَائِعُ لِلرَّسُولِ مُحَمَّدٍ بِوَصِيَّةٍ نَزَلَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ^(١)
وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَنْحَطُّ عَنْ سَائِرِ شَعْرِهِ؛ وَلَعَلَّهَا مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ أَوْ أَنَّهُ ارْتَجَلَهَا دُونَ
إِعَادَةِ الْفِكْرِ فِيهَا، وَإِلَّا فَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ فِي أَصْحَابِ شَهِيدِ الْإِبَاءِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
مِنَ الطَّوِيلِ:

إِذَا اعْتَقَلُوا سُمْرَ الرِّمَاحِ وَيَمَّمُوا أُسُودَ الشَّرَى فَرَّتْ مِنَ الْخَوْفِ وَالذُّعْرِ
كُمَاهُ رَحَى الْحَرْبِ الْعِوَانِ، فَإِنْ سَطَوْا فَأَقْرَأْنَهُمْ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ فِي خُسْرِ
وَأِنْ أَثْبَتُوا فِي مَزَلِقِ الْحَرْبِ أَرْجُلًا فَمَوْعِدُهُمْ مِنْهُ إِلَى مُلْتَقَى الْحُشْرِ
فُلُوبُهُمْ فَوْقَ الدُّرُوعِ، وَهَمَّهُمْ ذَهَابُ النُّفُوسِ السَّائِلَاتِ عَلَى الْبَرِّ^(٢)
ثُمَّ هَلْ تَسْتَقِيمُ تِلْكَ الْآيَاتُ مَعَ قَوْلِهِ:
وَقَفْتُ عَلَى دَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَأَلْفَيْتُهَا قَدْ أَقْفَرَتْ عَرَصَاتُهَا
وَأُمْسَتْ خَلَاءً مِنْ تِلَاوَةِ قَارِيٍّ وَعُطِّلَ فِيهَا صَوْمُهَا وَصَلَاتُهَا
وَأَقْوَتْ مِنَ السَّادَاتِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَلَمْ يَجْتَمِعْ بَعْدَ الْحُسَيْنِ شَتَاتُهَا
فَعَيْنِي لِقَتْلِ السَّبْطِ عَبْرِي، وَلَوْعَتِي عَلَى فَقْدِهِمْ مَا تَنْقِضِي زَفَرَاتُهَا^(٣)
وَلِصَاحِبِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ حَفِيدٌ فَاضِلٌ هُوَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرِ الْمُعَاصِرِ

(١) في مثير الأحزان: ٥

«إِنْ كُنْتُ فِي آلِ الرَّسُولِ مُشَكَّكًا فَأَقْرَأْ هَذِهِ النِّصَّ بِالْقُرْآنِ
فَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَى عُلُوِّ مَحَلِّهِمْ وَعَظِيمُ عِلْمِهِمْ وَعَظُمُ الشَّانِ»

(٢) البابليّات: ٧٥/١، وفي أعيان الشيعة: ١٥٧/٤.

(٣) أوردها ابن نما في مثير الأحزان: ٩٣، وفيها: =

القرن السابع الهجري

للشهيد، ومن هذه الدوحة الكريمة الشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله والد نجم الدين جعفر، قال فيه صاحب كتاب (لؤلؤة البحرين) أنه «كَانَ رَئِيسَ الطَّائِفَةِ فِي زَمَانِهِ»^(١).. إلخ. وقال فيه صاحب كتاب (أمل الأمل) إنه: «فَقِيهٌ مِنْ أَجَلِّ أَشْيَاخِ الْمُحَقِّقِ»^(٢).. إلخ. تُوِفِّي فِي النَّجَفِ الْأَشْرَفِ سَنَةَ ٦٤٥ هـ، وَبِمَكَانِنَا تَارِيخُهُ فَنَقُولُ:

إِظْلَمَتِ الدُّنْيَا لِفَقْدَانِهِ وَالْخُلْدُ فِيهِ أَرْخُوا: مُشْرِقُهُ
وَمِنْ مَفَاخِرِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ النَّبِيلَةِ، وَكُلُّهَا مَفَاخِرُهُ هُوَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ ابْنِ نَمَا وَصَفَهُ
صَاحِبُ كِتَابِ (رَوَضَاتُ الْجَنَّاتِ) بِمَا هُوَ جَدِيرٌ بِهِ فَقَالَ: «وَفِي كِتَابِ رِيَاضِ الْعُلَمَاءِ
تَرْجَمَهُ لِلشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ نَمَا، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ مَشَايِخِ أَصْحَابِنَا مِنْ آلِ نَمَا الْحِلِّيِّ، وَأَنَّهُ
يُرْوَى عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمْزَةَ الْأَقْسَاسِيِّ الشَّاعِرِ^(٣)، وَيُرْوَى عَنْهُ السَّيِّدُ
الْأَجَلُّ الشَّرِيفُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَرِيضِيِّ الْعَلَوِيِّ الْحُسَيْنِيِّ»^(٤).. إلخ، وَقَالُوا
إِنَّهُ مِنْ طَبَقَةِ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ الطُّوسِيِّ عِلْمًا، وَفَضْلًا، وَوَرَعًا وَزُهْدًا.
تُوِفِّي الْمُرْتَجَمَ لَهُ أَبُو الْبَقَاءِ سَنَةَ ٦٨٠ هـ.

٤٣. يُوسُفُ بْنُ عَلْوَانَ الْفَقِيهِ^(٥) [كَانَ حَيًّا ٦٢٨ هـ]

هُوَ الشَّيْخُ [يُوسُفُ] بْنُ عَلْوَانَ الْفَقِيهِ الْحِلِّيِّ، مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمَعْمُورِينَ الَّذِينَ قَدْ

وكانت ملاذاً للعلوم وجنة
من الخطب يغشى المعتمقين صلاتها
بعد البيت الثاني.

(١) لؤلؤة البحرين: ٢٧٣.

(٢) أمل الأمل: ٥٤ / ٢.

(٣) يُنظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٤٤٥ / ٢.

(٤) يُنظر: رياض العلماء: ٢٠٣ / ٥، وروضات الجنات: ١٦٣ / ٧، وعنهما: الأمين في أعيان الشيعة: ١٨٨ / ٥.

(٥) رياض العلماء: ٣٩٣ / ٥، طبقات أعلام الشيعة: ٢٠٨ / ٣، موسوعة طبقات الفقهاء: ٣١٣ / ٧.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفِكْرِيِّ فِي الْحِلَّةِ

ظَلَمَتْهُمْ التَّرَاجُمُ؛ فَلَمْ تُعْطِ عَنْهُمْ الْفِكْرَةَ الْكَافِيَةَ مَا يَتَسَقُّ وَمَكَانَتُهُمْ الْعِلْمِيَّةُ، وَأَتَعَابَهُمُ الْكِبِيرَةُ، وَمَنْزِلَتُهُمُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ؛ بَلْ نَجِدُ هَذِهِ التَّرَاجِمَ تَمَرُّ عَلَيْهِمْ مَرَّ الْكَرَامِ أَوْ كَلَمْعِ الْبَرَقِ بَيْنَ الْغَمَامِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمَظْلُومِينَ الْمَغْمُورِينَ صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ الَّذِي عُنوانُهُ يَدُلُّ عَلَى عَظَمَتِهِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ؛ فَقَدْ بَحَثْتُ التَّرَاجِمَ سِيرَتَهُ بِإِنْجَازٍ لَا يَفِي بِالْقَصْدِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْبَاحِثِينَ صَاحِبُ كِتَابِ (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ)؛ فَقَدْ أُوْرِدَ مِنْ تَرْجَمَةِ الشَّيْخِ يُوسُفَ مَا يُشْبِهُ قَبْسَةَ الْعَجَلَانِ، حَتَّى لَمْ نَجِدْ تَرْجَمَتَهُ تَجَاوَزَتْ بِضْعَةَ أَسْطُرٍ فَهَلْ فِي هَذِهِ الْأَسْطُرِ الْقَلِيلَةِ مَا يَكْفِي لِإِعْطَاءِ فِكْرَةٍ وَاضِحَةٍ تَرْفَعُ الْإِبْهَامَ وَالْإِيْهَامَ؟ وَلَيْتَ شِعْرِي مَا مَقْدَارُ مَا نَسْتَفِيدُهُ مِنْ قَوْلِهِ فِيهِ إِنَّهُ: «عَالِمٌ مُتَكَلِّمٌ جَلِيلٌ، كَانَ مِنْ أَكْبَارِ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ، يَرْوِي عَنِ الشَّيْخِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى الْحَنَاطِ^(١)، عَنْ ابْنِ إِدْرِيسَ، وَتَتَلَمَّذَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ زَنْجِيٍّ وَأَجَازَهُ، وَتَارِيخُ إِجَازَتِهِ سَنَةَ ٦١٨ هـ، لَهُ فَتَاوَى فِي أُصُولِ الدِّينِ^(٢)»^(٣).

فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ مَنْزِلَةُ صَاحِبِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ، وَهَذِهِ مَكَانَتُهُ الْعِلْمِيَّةُ، «عَالِمٌ مُتَكَلِّمٌ جَلِيلٌ، كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْعُلَمَاءِ»؛ فَلَمَّا إِذَا أَهْمَلَ التَّبَسُّطَ فِي سِيرَتِهِ الْمُوْرُخُونَ؟ إِنَّهَا جِنَايَةٌ أَدْبِيَّةٌ لَا مُبَرَّرَ لَهَا وَلَا مُسَوِّغَ، كَانَ الْوَاجِبُ الدِّينِيُّ وَالتَّارِيخِيُّ، وَالْأَدْبِيُّ أَنْ تَقْيِضَ فِي الْبَحْثِ فِي هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْكَرِيمَةِ، وَلَمْ تَبْخُلْ بِالْإِسْهَابِ فِيهَا لِيَحْصَلَ الْإِلْتِمَامُ بِنَوَاحِي سِيرَتِهَا وَالْإِطْلَاعُ عَلَى أَلْوَانِ ثَقَافَتِهَا، وَالْإِسْتِفَادَةُ مِنْ نَتَاجِهَا الْعِلْمِيِّ وَالْأَدْبِيِّ بِإِعْطَاءِ نَمَازِجٍ مُفِيدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْأَلْوَانِ الثَّقَافِيَّةِ؛ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهَا النَّاسُ لَاسِيَا فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي نَرَى فِيهِ هُبُوطَ دَرَجَةِ الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ إِلَى الصَّفْرِ؛ فَلَا نُدْرِي مَا هِيَ بِوَاعِثُ ذَلِكَ الْإِنْجَازِ بِالْوَقْتِ الَّذِي نَرَى فِيهِ هَذِهِ التَّرَاجِمَ تُسْرِفُ بِالْقَوْلِ وَتَصِفُ بِدَقَّةٍ حَوَادِثَ تَافِهَةٍ وَتَسْجِلُ

(١) في معجم رجال الحديث: ٤٢٩ / ١٢ «الحنَّاط (الحَيَّاط)».

(٢) نقلتُ في مقدِّمة كتاب (مختصر المراسم العلويَّة: ٧٩) فتواه في مقدار المعرفة الواجبة من معرفة الله تعالى والرسول والإمام، مع فتوى جملة من علماء الحِلَّة، فلتراجع. (أحمد الحلي).

(٣) رياض العلماء: ٢٠٣ / ٥.

القرن السابع الهجري

فُضُولُ الْقَوْلِ وَتَفَالَةِ الْأُمُورِ وَتَعَتْنِي بِتَرَاجُمِ سَقَطِ النَّاسِ وَمَضَاحِيكِهِمْ، ثُمَّ أَنَّهَا تُهْمَلُ تَفْصِيلَ تَرْجَمَةِ أَمْثَالِ (ابْنِ عَلْوَانَ) الْفَقِيهِ الْكَبِيرِ حَتَّى إِذَا تَفَضَّلْتَ بِتَرْجَمَةِ أَحَدٍ هَؤُلَاءِ الْأَفَاضِلِ فِي سَطْرَيْنِ أَوْ بَضْعَةِ اسْطُرٍّ، بَمَا لَا يَفِيدُ شَيْئًا بَلْ يَزِيدُ فِي النَّفْسِ حَسْرَةً، وَفِي الْقَلْبِ لَوْعَةً وَأَلَمًا، وَلَمْ أَجِدْ فِي مَجْمُوعَةِ الْجَدِّ الْمُجْتَهِدِ السَّيِّدِ فَاضِلٍ تَدْنُو (نَشْرُ الْخَزَامِيِّ) سِوَى سَطْرَيْنِ، وَقَدْ ضَاعَتْ بَاقِي تَرْجَمَتِهِ، وَالْمَوْجُودُ مِنْهَا هُوَ «شَيْخُنَا أَبُو مُحَمَّدٍ شَمْسُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ عَلِيٍّ الْفَقِيهِ كَانَ مِنْ مَشَايِخِ الْفُقَهَاءِ فِي الْحِلَّةِ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ الْأَجَلَّةِ، يَمُنُّ عَاصِرَ أَبَا الْقَاسِمِ جَعْفَرَ بْنِ الْحَسَنِ الشَّهِيرِ بِالْمُحَقِّقِ الْحِلِّيِّ»^(١).

وَأِنَّا لَنَلَا حِظَّ أَنْ اسْمَ أَبِيهِ جَاءَ فِي كِتَابِ (نَشْرُ الْخَزَامِيِّ) (عَلِيٍّ)، وَفِي كِتَابِ (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ) (عُلْوَانَ) وَلَا نَدْرِي هَلْ هُوَ الْمَقْصُودُ أَمْ الْمَقْصُودُ شَخْصٌ آخَرٌ إِلَّا أَنَّنَا نُرَجِّحُ أَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ لِوَحْدَةِ الْأَوْصَافِ إِلَّا فِي (عَلِيٍّ)، وَ (عُلْوَانَ)، وَهَذَا جَائِزٌ فِي عَرَفِ الْعَامَّةِ؛ فَإِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَ (عَلِيٍّ) إِلَى (عُلْوَانَ)، وَ (حَسَنَ) إِلَى (حُسُونِي) أَوْ (حُسَيْنَ)، وَهَلُمَّ جَرًّا.

٤٣. سَيِّدُ الدِّينِ، ابْنُ الْمُطَهَّرِ^(٢) [كَانَ حَيًّا حُدُودَ ٦٦٥ هـ]^(٣)

لِأُسْرَةِ آلِ الْمُطَهَّرِ الْحِلِّيِّ فِي تَارِيخِ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ وَالثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ صَفَحَاتُ نَاصِعَةٍ، وَمَا ثَرَّ جَلِيلَةٌ خَالِدَةٌ خُلُودَ الشَّمْسِ، مُشْرِقَةٌ شُرُوقَ الْكَوَاكِبِ، يَمْلَأُ نُورَهَا الْوُضِيءَ النُّجُودَ وَالْبِطَاحَ، تَقِفُ أَمَامَ هَذِهِ الْعَبَقَرِيَّةِ فَتَنْصُمْتُ صَمْتُ إِكْبَارٍ وَإِجْلَالٍ، فَإِنَّ

(١) يوسف بن علوان هو غير المترجم، أو الكلام هنا فيه تمحل، وقد ترجم لابن علوان الشيخ الطهراني في طبقات أعلام الشيعة: ٢٠٨/٤. (أحمد الحلي).

(٢) ترجمته في: رجال ابن داود: ١١٩ الرقم ٤٦١ (ضمن ترجمة الحسن بن يوسف بن المطهر)، أمل الأمل: ٢/٣٥٠ الرقم ١٠٨١، رياض العلماء: ٣٩٥/٥، تنقيح المقال: ٣/٣٣٦ الرقم ٣٣٣١، طبقات أعلام الشيعة: ٢٠٩/٣، مستدركات أعيان الشيعة: ٢٥٥/١، معجم رجال الحديث: ١٧٣/٢٠ الرقم ١٣٧٩٩.

(٣) عن موسوعة طبقات الفقهاء: ٣١٤/٧.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِرِيِّ فِي الْحِلَّةِ

لهذه الأسرة النبيلة من العلم والشعر، والفضل والنبل، والدين والورع، والصالح والإصلاح، والشرف والسؤدد، وما أهلها لأن تصبح مركزاً للحرية الدينية ورمزاً لثقافة الحلة، وتقدمها الفكري، فخدمت الحركة الثقافية، وأدت إلى الدين خدمتها المشكورة؛ حيث كانت الحلة حينذاك من أهم معاقِل العروبة والإسلام^(١)، وجامعة كبرى للحضارة الإسلامية رغم عنت المتعنتين ولأجل أن يكون بحثنا واضحاً يجب أن نلقي نظرة فاحصة على ثانياً تاريخها القديم، ونرضى ما جادت به هذه الربوع من علماء وأدباء، ثم علينا أن نقوم بعملية المقارنة بين ما أنتجته الحلة من مجموعة ضخمة من قادة الفكر وأعلام العلم والثقافة، وبين ما قدمته المحدث الأخرى من هذا الصنف الممتاز من الناس، وحيث ستكون نتيجة المقايسة الحكم العادل بتفضيل الحلة أو اعتبارها من أهم مراكز الثقافة الإسلامية في ذلك العصر على أقل تقدير، ولا بد أن تكون مدينة الحلة مدينة لعلمائها وأدبائها في حسن سمعتها ورفع مستواها الثقافي فإليهم يرجع الفضل في ذلك التوثيق الفكري والنضوج الثقافي حتى ازدادت شوكة العلم قوة، ونالت الثقافة مركزها السامي الخطير ومثلها الأعلى المنشود، وفي طليعة هؤلاء العلماء الذين سافروا قافلة النضوج الفكري إلى الأمام هم العلماء الميامين من أسرة (آل المطهر) التي جمعت الفخر من أطرافه، وضخمت قاموس علماء الحلة وأدبائها، وكفأها سؤددًا أن يكون العلامة الحلي ووالده وولده من بعض غصونها النضرة المورقة، ومن أزهارها العبقية، وأقمارها المشرقة.

أما سيد الدين يوسف بن الشيخ شريف الدين علي بن المطهر والد العلامة

(١) قال في شذرات الذهب: ٢٥٥ / ٥ في حوادث سنة (٥٥٢هـ): «فيها شرعت التتار في فتح البلاد الإسلامية والخليفة غافل في خلوته وهواه»، وقال ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٧٦ / ١٢ وهو يتحدث عن وصول التتر إلى أذربيجان: «يسر الله للمسلمين والإسلام من يحفظهم ويحوطهم، فلقد دفعوا من العدو إلى عظيم، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه».

القرن السابع الهجري

الحلي الذي ينظر حتى ألد أعدائه إليه نظرة الإعجاب والإجلال؛ فقد كان سديد الدين، سديد الرأي والفكر، كان الجرس الذي ببه مشاعر الحلة ووجهها إلى الخير والخلود، كان المنار الذي اهتدت به إلى المجد والفخر، كان القدوة الحسنة الذي افتدت به في نهضتها الإسلامية، كان رحمه الله علما في العلم والزهد والصلاح والإصلاح، له جولات موفقة في مضامير الثقافة، ومساع حميدة لأدب القوة وقوة الأدب، وتثقيف جيل سليم مزود بمقومات الحياة، أخذ مكانته تحت الشمس، وليس ذلك بكثير على سديد الدين الرجل الفقيه المتبصر الذي فتح كنوز العلوم واستولى على أئمن ما فيها من ذخائر ونفائس من تفسير وفقه، ولغة وبلاغة، وأدب وشعر، وحديث وكلام، وأصول العلم وعلم الأصول، فقد كان رحمه الله مطلقا على أكثر العلوم العقلية والنقلية، محدثا، متكلمًا، ذكي الفؤاد، دمث الأخلاق، قد تبوأ بمزايه الجليلة النادرة عرش العظمة والخلود، له نظرات صائبة تخرق حجب الغيب كما تخرق الأشعة الكونية صفائح الرصاص، قد ضرب على الأوتار الحساسة في قلوب الأمة فاجتذبتها إلى النشاط الفكري والطموح العاتي، والعمل المثمر الجبار؛ فكان للحلة ذلك التاريخ المجيد، وكانت للحلة تلك النهضة العلمية المباركة، وأما اليوم فمع كل الأسف:

أُمسَتْ خلاء وأُمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد^(١)

أساتذته وتلاميذه

تتلمذ رحمه الله لأكابر علماء الطبقة الثانية من أعلام علماء الحلة وغيرهم، فمن أساتذته البارزين في العلم والرواية: سالم بن محفوظ بن عزيز بن وشاح، والسيد فخار بن معد، وأبو إبراهيم نجيب الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما.

(١) البيت للنابغة، يُنظر: ديوان النابغة الذبياني، المكتبة الثقافية: ٣٠، وأخنى عليها: غيرها

وأفسدها. اللسان: ٢٤٥/١٤.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

وَتَلَمَّذَ عَلَى سَدِيدِ الدِّينِ جَمَاعَةً مِنْ فَطَاحِلِ الْعُلَمَاءِ أَمْثَالِ وَلَدِيهِ، الْعَلَّامَةِ وَرَاضِيِ الدِّينِ وَغَيْرِهِمَا، وَلِكُلِّ آثَارٍ ثَقَافِيَّةٍ عَسَى أَنْ يَوْفَّقَ اللَّهُ تَعَالَى نَاشِئَتَنَا وَذَوِي الْيَسَارِ وَالثَّرْوَةِ مِنْ أَهْلِ الْحِلَّةِ إِلَى بَعْثِ مَطْمُورِ آثَارِهِمْ الْغَالِيَةِ إِلَى أَبْنَاءِ هَذَا الْجِيلِ الْمُتَحَفِّزِ إِلَى التَّفَوُّقِ وَالنُّهُوضِ حِينَ تَتَسَرَّرُ لَهُ الْأَسْبَابُ إِلَى تَقْدِيمِ نَتَائِجِ تِلْكَ الدِّرَاسَاتِ الْقِيَمَةِ الَّتِي تَرْفَعُ الرَّأْسَ، وَتُعِيدُ لَنَا شَيْئًا مِنْ زَعَامَةِ الْحِلَّةِ الثَّقَافِيَّةِ الَّتِي طُوتْ صَفْحَاتُهَا يَدُ الْأَيَّامِ^(١).

٤٤. ابْنُ سَعِيدِ الْحِلِّيِّ^(٢) (٦٠١-٦٨٩هـ)

أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدِ الْهَظْلِيِّ، ابْنُ عَمِّ نَجْمِ الدِّينِ جَعْفَرٍ، الْمُحَقِّقِ الْحِلِّيِّ صَاحِبِ كِتَابِ (الشَّرَائِعِ)، وَسِبْطِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسِ صَاحِبِ كِتَابِ (السَّرَائِرِ)، وَهُوَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمُتَبَحَّرِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، وَالزُّهَادِ الصَّالِحِينَ، وَالْأُدْبَاءِ اللَّامِعِينَ، مُتَقِنٌ لِلْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَاللُّغَةِ وَالْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ وَالْجَدَلِ وَالْمُنَظَرَةِ، وَالصَّرْفِ وَالنَّحْوِ، وَالْحِسَابِ، وَالرِّيَاضِيَّاتِ؛ وَصَفَهُ ابْنُ دَاوُدَ بِقَوْلِهِ: «شَيْخُنَا الْإِمَامُ

(١) وَقَدْ قَرَأَ الشَّيْخَ رحمته الله عَلَى مَعْمَرِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ نَافِعِ الْوَرَّاقِ كِتَابَ (تَهْذِيبِ الْأَحْكَامِ) لِأَبِي جَعْفَرِ الطُّوسِيِّ، وَقَرَأَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ نَافِعِ الْوَرَّاقِ كِتَابَ (الْكَامِلِ فِي الْفِقْهِ) لِلْقَاضِي ابْنِ الْبَرَّاجِ الطَّرَابُلُسِيِّ، وَأَخَذَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَشَايِخِ، وَرَوَى عَنْهُمْ، مِنْهُمْ: السَّيِّدُ فَخَارُ بْنُ مَعْدِ الطُّوسِيِّ (ت ٦٣٠هـ)، وَالسَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى ابْنِ طَاوُوسَ (ت ٦٦٤هـ)، وَسَالِمُ بْنُ مَحْفُوظَ بْنِ وَشَّاحٍ، وَيَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَجِ السُّورَاوِيِّ، وَالسَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ أَحْمَدَ الْعَرِيشِيِّ، وَالْخَوَاجَةُ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ ثَابِتَ بْنِ عَصِيدَةَ السُّورَاوِيِّ، وَالسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ الْبَغْدَادِيِّ، وَمَهْدَبُ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ رَدَّةِ النَّيْلِيِّ (ت ٦٤٤هـ). مَعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ: ٢٠-١٧٣ الرِّقْمُ ١٣٧٩٩، مَوْسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٧/ ٣١٤.

(٢) لَقَدْ مَضَتْ تَرْجُمَتُهُ بِالرِّقْمِ (١٦)، وَلَا مَسْوُوعٌ لِإِعَادَتِهِ هُنَا، وَيَبْدُو أَنَّهُ اشْتَبَاهُ فِي الْأَسْمَاءِ. انْظُرْ: مَوْسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٧/ ٢٩٦، وَانْظُرْ: تَحْقِيقُ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الْحُسَيْنِيِّ لِكِتَابِهِ (نَزْهَةُ النَّاظِرِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ)، الْمَقْدَمَةُ.

القرن السابع الهجري

العلامة، الورع القدوة، جامع فنون العلم الأدبية، والفقهية، والأصولية، أزوع فضلاء زماننا وأزهدهم^(١) إلخ.

وإن هذه الشهادة القيمة من مثل ابن داود لها مدلولها الدقيق عند من يعرف ابن داود، وتحفظه على إرسال كلامه على عواهنه، وبهذه الشهادة يمكنك أن تستشف من ورائها جلالة المترجم له، ورفعة شأنه، ويكفي دليلاً على صحته هذه الشهادة والأوصاف المطردة فيها أن أبا زكريا قد صنف كتابه القيم (الجامع للشرائع)، وكتاب (نزهة الناظر)، وهما كتابان جليلان فيهما تحقيق دقيق، وعلم غزير، وإحاطة واسعة، وعمق دراسة، وبعد نظر عجيب، كما أن لمصنفيهما مصنفات أخرى لا تقل عنهما أهمية في علم التأليف والتصنيف، ولا عيب في هذه الذخائر الثقافية الغالية سوى رميها بزوايا البيوت، وسلال المهملات، لم تصل يد غيور على هذا التراث المجيد إلى نشرها؛ ليستفيد هذا الجيل من تلك الثروة الفكرية الطائلة؛ تلك الثروة التي يصلح فيها قول جدنا السيد حمد السيد محمد حسن كمال الدين:

عزيز علينا كُتُبنا بعدنا تباع بفلس أو بزواية تُرمى
والمترجم له ذو شغف بالتأليف والتصنيف، يروي عنه العلامة الحلي، وابن طاووس، والسيد عبد الكريم^(٢).

(١) رجال ابن داود: ٣٧١ بالرقم: ١٦٦٠. وقال الذهبي: «لغوي أديب، حافظ للأحاديث، بصير باللغة والأدب». عن السيوطي في بغية الوعاة: ٢/ ٣٣١.

(٢) يقصد به: عبد الكريم بن أحمد ابن طاووس، وابن طاووس الذي ذكره قبله: النقيب محمد بن علي بن موسى ابن طاووس، وبالجملة فمن روى عنه: الحسن بن يوسف ابن المطهر المعروف ب: العلامة الحلي، وولده محمد بن يحيى، والسيد الحسن بن علي بن محمد الحسيني المعروف بابن الأبر، والحسين بن أردشير بن محمد الطبري، وعلي بن الحسين بن حماد الليثي الواسطي، وعبد الكريم بن أحمد ابن طاووس، والسيد مجد الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الأعرج الحسيني، والحسن بن أحمد بن محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما، وغيرهم، وقرأ عليه عمر بن =

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ

وَلَادَتُهُ

وُلِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ ٦٠١ هـ، وَيَصُحُّ أَنْ نَقُولَ فِي تَارِيخِ وَلَادَتِهِ (أَثَقُ)، أَمَّا وَفَاتُهُ فَفِي لَيْلَةِ عَرَفَةَ مِنْ سَنَةِ ٦٨٩ هـ، وَيَصُحُّ تَارِيخُهَا فِي (خَطَفَ) وَعُمُرُهُ (٨٨) عَامًا، وَقَبْرُهُ فِي الْحِلَّةِ عَلَيْهِ قُبَّةٌ مَجْصَصَةٌ؛ وَلَا عَجَبَ؛ فَالنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ!.

=الحسن بن خاقان كتاب (المبسوط) للشيخ الطوسي، وله منه إجازة في سنة (٦٧٤ هـ)، وقرأ عليه محمد بن أحمد بن صالح القسيني كتابه (الجامع للشرائع) وسمع بقراءته عليه جماعة، منهم: النقيب محمد بن علي بن موسى ابن طاووس، ويوسف بن حاتم العاملي، والوزير أبو القاسم علي بن الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي. يُنظر: رجال ابن داود: ٣٧١، نقد الرجال: ٣٧١، جامع الرواة: ٣/٣٢٤، أمل الآمل: ٢/٣٤٦، الرقم ١٠٧٠، رياض العلماء: ٥/٣٣٤، أعيان الشيعة: ١٠/٢٨٨، الفوائد الرضوية: ٧٠٩، الذريعة: ٥/٦١، الرقم ٢٢٦، طبقات أعلام الشيعة: ٣/٢٠٤، معجم رجال الحديث: ٢٠/٣٠، الرقم ١٣٤٥١.



القرن الثامن الهجري



القرن الثامن الهجري

٤٥. أحمد بن يحيى المزيدي

المزديديّ قريّة من قرى قضاء الهاشميّة، ورسّاتيقها، تابعة إلى لواء الحلة، تنسب إلى هذه القرية جمهرة من أهل العلم والمعرفة، وشخصيات أدبيّة بارزة، وقد خرج من هذا المنبت الحبيب كثير من رواد المعرفة وأهل الفكر والثقافة، ومن وسط هذا الجو الهادي الصافي والبيئة الصالحة، ومن ضفاف نهر الفرات الجميل نبغ الشيخ جمال الدين أحمد بن يحيى الشهير بالمزديدي الحليّ وولده الشيخ رضي الدين علي بن أحمد المتوفى سنة ٧٥٧هـ^(١)، والذي هو أحد مشايخ الشهيد، ومن تلامذة العلامة أعلى الله مقامه.

قال المرحوم صاحب كتاب (أعيان الشيعة) إن المترجم له: «وصف في الإجازات بالشيخ السعيد جمال الدين أحمد، وليس هو من مشايخ الإجازة، ولكن ولده رضي الدين أبا الحسن علياً^(٢) من مشايخ الشهيد ويذكر في الإجازات، ويذكر والده هذا بتبعية، ولا نعلم من أحواله غير ذلك»^(٣).

أمّا ولده الشيخ رضي الدين سالف الذكر فقد كان فقيهاً بارعاً، وعالماً جليلاً، قطع في العلوم مدى غير قصير، ولم يقتصر على لون معين من الدراسة العلميّة؛ فشارك في كثير من ألوان العلم كالنحو، والصرف، والبلاغة، واللغة، والمنطق، والفقه، والأصول، والكلام، والحديث، والتفسير، وغيرها؛ قال فيه مُصنّف كتاب (رياض العلماء) أنّه:

(١) ترجمته في: أمل الآمل: ١٧٦/٢ برقم ٥٣٠، رياض العلماء: ٣/٣٦٩، روضات الجنّات:

٤/٣٤٥ الرقم ٤٠٩، بحار الأنوار: ١٠٤، ١٩١، ١٩٦، ١٩٩-١٨٩، الكنى والألقاب:

٣/١٨٣، الفوائد الرضويّة: ٢٧٣، طبقات أعلام الشيعة: ٣/١٣٤، معجم رجال الحديث:

١١/٢٥٦ الرقم ٧٩١٢، موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/١٣٣.

(٢) في الأعيان: ٣/٢٠٣ (علي)، والصواب ما أثبتناه.

(٣) أعيان الشيعة: ٣/٢٠٣.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

«كَانَ مِنْ أَجَلَّةِ فُتْهَاءِ الْأَصْحَابِ، مُعَاَصِرًا لِلشَّيْخِ فَخْرِ الْمُحَقِّقِينَ وَلِدِ الْعَلَامَةِ، وَكَانَ أَسْتَاذَ شَيْخِنَا الشَّهِيدِ رحمته الله، وَيُرْوَى عَنْ ابْنِ دَاوُدَ، وَوَصَفَهُ فِي بَعْضِ الْإِجَازَاتِ بِمَلِكِ الْأَدَبَاءِ وَالْعُلَمَاءِ»^(١).

أَمَّا صَاحِبُ كِتَابِ (أَمَلُ الْأَمَلِ)؛ فَقَدْ قَالَ فِيهِ أَنَّهُ: «فَاضِلٌ مِنْ تَلَامِذَةِ الْعَلَامَةِ، وَهُوَ ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْمَعْرُوفِ بِ: الْمَزِيدِيِّ»^(٢).

تُوفِيَ رحمته الله عِنْدَ الْعُرُوبِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَدُفِنَ بِالنَّجَفِ الْأَشْرَفِ، وَهُوَ الْمُلقَّبُ بِ: مَلِكِ الْأَدَبَاءِ^(٣)، وَهَذَا اللَّقْبُ الْمُهِمُّ كَانَ لِقَبَا لِعَلَمَيْنِ فَاضِلَيْنِ مِنْ فُتْهَاءِ الْحِلَّةِ؛ أَوَّلَهُمَا: رَضِيَ الدِّينُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ هَذَا، وَثَانِيَهُمَا: شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْهَاشِمِيُّ الْحَارِثِيُّ الْحِلِّيُّ^(٤)؛ فَقَدْ كَانَ أَيْضًا فَقِيهًا أَدِيبًا بَارِعًا.

أَعْقَبَ وَلَدًا نَجِيًّا كَانَ مِنْ فَطَاحِلِ عُلَمَاءِ الْحِلَّةِ وَجَهَابِذَةِ فُتْهَائِهَا، وَهُوَ جَلَالُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ، أَحَدُ تَلَامِذَةِ الْمُحَقِّقِ الْحِلِّيِّ، وَمِنْ أَسَاتِذَةِ الشَّهِيدِ، وَيُرْوَى الشَّهِيدُ عَنْهُ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءً عَاطِرًا فِي إِجَازَتِهِ لِأَبِي^(٥) نَجْدَةَ فِي تَعْدَادِ طُرُقِهِ إِلَى الْمُحَقِّقِ وَكُتِبَ فَقَالَ: «وَأَرْوِيهَا غَالِبًا عَنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْبَلِيغِ الْخَطِيبِ الْمُقْنِعِ جَلَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّيْخِ السَّعِيدِ مَلِكِ الْأَدَبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْخُطَبَاءِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْكُوفِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْحَارِثِيِّ»^(٦) إِنْخ.

وَأِنَّمَا نُسِبَ إِلَى الْكُوفَةِ؛ لِأَنَّهُ سَكَنَهَا.

(١) رياض العلماء: ٣/ ٣٦٩.

(٢) أمل الأمل: ٢/ ١٧٦ برقم ٥٣٠، ويُنظر: البحار: ١٠٧/ ١٨٩، إجازة الشهيد لابن الخازن،

رسائل الشهيد: ٢/ ١١١٨.

(٣) هذا اللَّقْبُ لَوْلَدِ الْمُرْجَمِ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى (ت ٧٥٧هـ)، فَالسَّيِّدُ قَدْ اسْتَرْسَلَ فِي الْحَدِيثِ، وَلَكِي لَا يَضْطَرُّبُ الْكَلَامَ الَّذِي يُؤَمِّلُهُ الْبَاحِثُونَ.

(٤) يُنظر: المستدرک: ٣/ ٤٤٧، رياض المسائل: ٢/ ٨٨، البحار: ١٠٤/ ١٩٦.

(٥) كَذَا، وَالصَّوَابُ (ابن نجدة)، وَهُوَ الْمُحَقَّقُ فِي تَسْمِيَّتِهِ.

(٦) رسائل الشهيد: ٢/ ١١٢٤.

القرن الثامن الهجري

٤٦. أحمدُ ابنُ الحَدَّادِ^(١) [كَانَ حَيًّا حُدُودَ سَنَةِ ٥٤٥هـ]

الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَدَّادِ الْحَلِّيُّ مِنْ تَلَامِذَةِ الْعَلَامَةِ الْحَلِّيِّ، عَاشَ فِي وَسْطِ تَيَّارٍ عَنيفٍ مِنَ الْحَرَكَةِ الثَّقَافِيَّةِ فِي عَصْرِ كَانَ مِنْ أَزْهَى الْعُصُورِ، وَأَزْهَرَهَا حَتَّى كَانَ الْجَوُّ الاجْتِمَاعِيُّ وَالثَّقَافِيُّ صَاحِيًّا مِنْ غُيُومِ هَذَا التَّدَهُّورِ وَالانْحِطَاطِ، حِينَ كَانَتْ النِّهَاضَةُ الثَّقَافِيَّةُ مُشِيدَةً عَلَى أَسَاسٍ وَطِيدٍ مِنَ الْبَحْثِ وَالتَّبَعِ وَالِاسْتِئْثَاجِ، وَخُضِبَ الْإِحْسَاسُ فِي عَصْرِ عِلْمِيٍّ مُدْهَشٍ عَجِيبٍ حَافِلٍ بِكُلِّ الْعَنَاصِرِ الصَّالِحَةِ لِلرُّقْيِ وَالتَّقَدُّمِ، حِينَ كَانَ الدِّينُ يُسَيِّطِرُ عَلَى مَنَاحِي الْحَيَاةِ، حِينَ كَانَتْ الْأَخْلَاقُ هِيَ الْمِقْيَاسَ الْعَامَّ لِلرَّفْعَةِ أَوْ لِلْحِطَّةِ، لِلْعِزَّةِ أَوْ لِلذُّلَّةِ، حِينَ كَانَتْ هَذِهِ الثُّخْبَةُ مِنَ النَّاسِ مَرَكُزَ دَائِرَةِ تِلْكَ النِّهَاضَةِ وَالتَّقِيظِ، كَانَ الْمُتَرْجِمُ لَهُ، مِنْ مُوقِدِي مَصَابِيحِ الْعِلْمِ وَنَافِخِي رُوحِ الْحَيَاةِ الثَّقَافِيَّةِ فِي جِسْمِ الْأُمَّةِ، كَانَ زَهْرَةً شَدِيدَةً عَطَّرَتْ الْجَوَّ الاجْتِمَاعِيَّ بِأَرِيحِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ؛ فَارْتَوَتْ الْأُمَّةُ مِنْ حَمْرِ الْمَجْدِ وَرَحِيقِ الْعِظَمَةِ وَسَارَتْ مُسْرِعَةً فِي طَرِيقِ الْخُلُودِ الَّذِي لَا يَسْلُكُهُ إِلَّا مَنْ وَعَى ذَاتَهُ وَأَحْسَسَ بِكَرَامَتِهِ وَشَعَرَ بِأَنَّ لَهُ وَجُودًا فِي الْحَيَاةِ، فَأَبْنَى الْحَدَّادُ جَمَعَ بَيْنَ فَضِيلَتَيْ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ؛ فَهُوَ عَالِمٌ ثَقِيٌّ فِي مَضَامِيرِ الْعِلْمِ، وَهُوَ شَاعِرٌ لَامِعٌ فِي مِيدَانِ الْأَدَبِ، وَكَاتِبٌ بَلِيغٌ، عَشَقَ الثَّقَافَةَ وَتَطَلَّبَهَا، وَنَالَ مِنْهَا كُلَّ مُنَاهَا، وَقَدْ نَقَلَ الْبَحَّاثَةُ الْمُدَقِّقُ صَدِيقُنَا الشَّيْخُ مُحْسِنُ الطَّهْرَانِيُّ الْمَعْرُوفُ بِ: (أَغَا بُزْرُك) أَنَّ لِابْنِ الْحَدَّادِ تَقْرِيطًا شِعْرِيًّا عَلَى مُنَاسَخَاتِ^(٢)

(١) أعيان الشيعة: ٩٣/٣، أمل الآمل ٢٤/٢، الرقم ٦١، بحار الأنوار ١٠٤/١، ٢٠١، الفائدة ٢٢،

رياض العلماء: ٦٠/١، ٣٢٢، طبقات أعلام الشيعة: ١١/٣، القرن الثامن.

(٢) مناسخات الميراث أو رسالة في مناسخات الإرث للسيد عميد الدين عبد المطلب بن مجد الدين أبي

الفوارس محمد بن أبي الحسن علي بن الأعرج الحلبي (٦٨١ - ٧٥٤هـ)، مؤلف (الفرائض العميدية)

ألفها ببغداد سنة ٧٢١هـ تكملة للمناسخات التي أوردتها الخواجة نصير الدين الطوسي في رسالته

(الفرائض النصيرية)، وفي آخره شرح معنى المناسخات، وهو أن يموت إنسان له تركة ووراث

ثم مات أحد الورثة قبل قسمة التركة، فإمّا أن يختلف الوراث والاستحقاق كلاهما أو أحدهما أو

لا يختلفان أبداً. وعليه تقريظ خاله وأستاذه العلامة الحلبي، أكثر فيه الشناء والمدح عليه وعلى مكتوبه

بها يدل على غاية جلالته وعلو مرتبته ولفظ التقريظ: «أحسنتم أيها الولد العزيز، العضد الحبيب =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلْيَةِ

السَّيِّدُ عَمِيدُ الدِّينِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ الْأَعْرَجِيُّ الْحِلِّيُّ، ابْنُ أُخْتِ الْعَلَّامَةِ أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ، وَفِي كِتَابِ (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ) نَحْوُ ذَلِكَ^(١)، وَأَوَّلُ التَّفْرِيطِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الْبَحْرِ الْبَسِيطِ «أَنْوَارُ زُهْرٍ بَدَا فِي رَوْضِ بُسْتَانٍ» تَارِيخُهُ ٧٢١ هـ، وَيَكْنَى ابْنُ الْحَدَّادِ بِ: أَبِي الْعَبَّاسِ، وَهُوَ مِنْ رِوَاةِ الْعُلَوِّيَّاتِ السَّبْعِ عَنْ نَازِمِهَا عَبْدِ الْحَمِيدِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ^(٢)، وَابْنُ الْحَدَّادِ هَذَا هُوَ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهِ الشَّافِعِيِّ الْمِصْرِيِّ^(٣).

=النَّسِيبُ، الْمُعْظَمُ، الْفَقِيهِ، الْمَدْقُّقُ، عَمِيدُ الدِّينِ - جُعِلَتْ فِدَاكَ - فِيمَا أُوْدَعَتْهُ فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ الدَّالَّةُ عَلَى التَّمَيُّزِ عَلَى الْأَقْرَانِ، وَالتَّفَوُّقِ عَلَى أَكْثَرِ أَشْخَاصِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ، فَلَقَدْ أَتَيْتُ فِيهَا بِالْمَعَانِي اللَّطِيفَةِ وَالْمَسَائِلِ الشَّرِيفَةِ - أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَأَفْضَلَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ - وَلَا اسْتَبْعَادَ فِي ذَلِكَ مِنْكَ وَأَنْتَ مِنْ مِثْلِ شَجَرَةِ النَّبَوَّةِ - وَفَقَكَ اللَّهُ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَدَفَعَ عَنْكَ كُلَّ ضَيْرٍ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ -، وَكُتِبَ حَسَنُ بْنُ مَطْهَرٍ حَامِداً مُصَلِّياً مُسْتَغْفِراً^(٤)، وَمَدَحَهَا الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ الْحَدَّادِ تَلْمِيزاً لِلْعَلَّامَةِ الْحِلِّيِّ بِقَصِيدَةٍ فَاحِرَةٍ. الذَّرِيعَةُ: ٢٠ / ٣٨٥، ١٦ / ١٤٩، ١٦ / ١٥٠، ٢٢ / ٢٥٢ - ٢٥٣.

(١) رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ: ١ / ٦٠، ٣٢٢. ذَكَرْتُ الْمَصَادِرَ أَنَّهُ كَانَ فَقِيْهًا، مُقَرَّئًا، أَدِيبًا، شَاعِرًا، تَلَمَّذَ عَلَى الْعَلَّامَةِ الْحَسَنِ بْنِ يُوْسُفَ ابْنِ الْمَطْهَرِ الْحِلِّيِّ (ت ٧٢٦ هـ) وَقَرَأَ الْقُرْآنَ بِرِوَايَةِ عَاصِمٍ وَالْكَسَائِيِّ عَلَى السَّيِّدِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْمَحَاسَنِ يُوْسُفَ بْنِ نَاصِرٍ بْنِ حَمَّادِ الْحُسَيْنِيِّ الْغُرَوِيِّ، وَرَوَى عَنْهُ (الشَّاطِئِيَّةُ) فِي الْقِرَاءَاتِ، رَوَى عَنْهُ الْفَقِيْهُ السَّيِّدُ تَاجُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ ابْنُ مُعِيَّةِ الْحُسَيْنِيِّ (ت ٧٧٦ هـ) وَاسْتَجَازَهُ الشَّهِيدُ الْأَوَّلُ (٧٣٤ - ٧٨٦ هـ) قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ. قَالَ الطَّهْرَانِيُّ: وَمِنْ الْأَثَارِ الْبَاقِيَةِ لَهُ نَسْخَةٌ مِنْ (الْقَوَاعِدِ) لِلْعَلَّامَةِ الْحِلِّيِّ، فَرَّغَ مِنْ كِتَابَتِهَا سَنَةَ (٧٢٧ هـ)، وَالنَّسْخَةُ مَوْجُودَةٌ فِي (الرَّضَوِيَّةِ) وَعَلَيْهَا خَطُوطٌ عَدَّةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَإِجَازَاتُهُمْ. طَبَقَاتُ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ: ١١ / ٣، مَوْسُوعَةُ الْفُقَهَاءِ: ٨ / ٥١ - ٥٢.

(٢) فِي أَعْيَانِ الشَّيْعَةِ: ٢ / ٤٩٢ «الشَّيْخُ الْإِمَامُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَدَّادِ الْحِلِّيُّ يَرْوِي الشَّيْخَ السَّبْعَ عَنْ نَازِمِهَا عَزَّ الدِّينُ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ أَبِي الْحَدِيدِ الْمَدَائِنِيِّ، رَأَيْنَا مِنْهَا نَسْخَةً فِي مَكْتَبَةِ الشَّيْخِ ضِيَاءِ الدِّينِ النَّوْرِيِّ فِي طَهْرَانَ، وَفِي آخِرِهَا فَرَّغَ مِنْ كِتَابَتِهَا لِنَفْسِهِ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَسَنِ الْجَبَاعِيِّ فِي أُخْرِيَّاتِ شَعْبَانَ الْمُبَارَكِ سَنَةِ ٨٦٨، قُرِبَتْ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ غَرَّةَ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ سَنَةِ ٨٦٨، وَعَلَى ظَهْرِ النَّسْخَةِ بِخَطِّ الْمَذْكُورِ يَرْوِيهَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ مَكِّيٍّ، عَنْ شَيْخِهِ فَخْرِ الدِّينِ، عَنْ وَالِدِهِ جَمَالِ الدِّينِ، عَنْ جَدِّهِ سَدِيدِ الدِّينِ يُوْسُفَ، عَنْ النَّازِمِ عَزَّ الدِّينُ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ أَبِي الْحَدِيدِ الْمَدَائِنِيِّ».

(٣) وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمِصْرِيِّ شَمْسُ الدِّينِ الشَّافِعِيِّ الْمَعْرُوفُ بِ: الْيَامِيِّ (ت ٨٨٥ هـ) =

القرن الثامن الهجري

٤٧. الْمُحَقِّقُ الْحَلِّيُّ^(١) (٦٠٢-٦٧٦هـ)^(٢)

هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ نَجْمُ الدِّينِ جَعْفَرُ ابْنُ أَبِي يَحْيَى الْحَسَنِ بْنِ نَجِيبِ الدِّينِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدِ الْهَدَلِيِّ الْمَعْرُوفِ بِ: (الْمُحَقِّقِ) عِنْدَ الْإِطْلَاقِ صَاحِبِ كِتَابِ (الشَّرَائِعِ) مِنْ أَجَلٍّ وَأَعْظَمِ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ، وَمِنْ أَكْبَرِ وَالْمَعَ فَقَهَاءِ الشِّيْعَةِ، ذَاعَتْ إِنتِاجَاتُهُ الْعِلْمِيَّةُ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا يَنْبَشِقُ نُورُ الشَّمْسِ فِي الْآفَاقِ بَعْدَ الْغُرُوبِ فَتَعَكِّسُ الْكَوَاكِبُ ذَلِكَ الشُّعَاعَ الْبَاهِرَ؛ لِتَنْيرَ بِهِ الظُّلَامَ الدَّامِسَ، كُتِبَ قِيَمَةٌ وَمَوْلَفَاتٌ جَلِيلَةٌ كَانَتْهَا مَكْتُوبَةٌ بِنَارٍ وَنُورٍ، النَّارُ الَّتِي تَحْرِقُ هَشِيمَ الْبَاطِلِ فَتَذْرُوهُ رِيَّاحُ النَّقْدِ هَبَاءً مَنُثُورًا، وَالنُّورُ الَّذِي يَهْدِي الضَّمَائِرَ الْحَايِرَةَ وَالْعُقُولَ النَّائِثَةَ إِلَى سُبُلِ الْحَقِّ وَالرَّشَادِ.

وَقَدْ أَقَامَتْ مَوْلَفَاتُهُ صَرْحًا ضَخْمًا مِنَ الْعِلْمِ عَلَى أُسُسٍ مَيَّيْنَةٍ مِنَ الْقُوَّةِ الذَّهْنِيَّةِ؛ فَهِيَ أَكْثَرُ الْكُتُبِ مُسَايِرَةً لِلسُّمُوِّ الْفِكْرِيِّ وَالِاسْتِنْبَاطِ الصَّحِيحِ وَالِإِحَاطَةِ الْوَاسِعَةِ بِالْعُلُومِ وَالْفُنُونِ، وَقَدْ عَمِلَ الْمُحَقِّقُ - وَالْإِنْسَانُ مُضْطَّرٌّ عَلَى الْعَمَلِ بِغَيْرِزَتِهِ - عَلَى رَفْعِ الْمُسْتَوَى الْعِلْمِيِّ وَالْأَدَبِيِّ جُهْدَ اسْتَطَاعَتِهِ سَوَاءً بِكُتُبِهِ النَّفِيسَةِ أَوْ بِخُطْبِهِ الْبَلِيعَةِ أَوْ بِتَدْرِيسَاتِهِ النَّاجِحَةِ، وَمُنَاقَشَاتِهِ التَّرْبُويَّةِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي تَفْتَحُ مَغَالِقَ الْإِفْهَامِ، وَبِمِثْلِ تِلْكَ الْجُهُودِ الْجَبَّارَةِ كَانَتِ الْحِلَّةُ فِي عَهْدِهِ أَشْبَهَ بِالْمُرْجِ الْأَخْضَرِ النَّضْرِ، فِيهِ فَاكِهَةٌ وَزُهُورٌ، وَنَمِيرٌ عَذْبٌ، يَرُوي الْعَقْلَ وَالْعَاطِفَةَ وَالضَّمِيرَ، وَأَقَامَتْ تِلْكَ الْجُهُودُ الْجَبَّارَةُ فِي الْحِلَّةِ

=تصانيفه (حاشية على شرح البخاري)، و(فتح المنعم) مختصر في الفقه. هديّة العارفين: ٢١٠/٢.

(١) هذا خلل في الترتيب؛ فالمحقق الحلّي رحمه الله من رجال القرن السابع، وقد وضعه المصنّف رحمه الله في القرن الثامن.

(٢) ترجمته في: رجال ابن داود: ٨٣ الرقم ٣٠٠، نقد الرجال: ٦٩، جامع الرواة: ١/١٥١، أمل الآمل: ٤٨/٢ الرقم ١٢٧، وسائل الشيعة: ١٥٢/٢٠ الرقم ٢٢٤، روضات الجنّات: ١٨٢/٢ الرقم ١٨٠، تنقيح المقال: ١/٢١٤ الرقم ١٧٧١، أعيان الشيعة: ٤/٨٩، معجم رجال الحديث: ٦١/٤ الرقم ٢١٤٤، قاموس الرجال: ٢/٣٧٨، موسوعة طبقات الفقهاء: ٧/٥٥.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحَلْتَيْنِ

سَوَقًا ثَقَافِيَّةً رَاجِحَةً^(١) لِلْمَعَارِفِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ^(٢)، وَكَانَ لِكُلِّ طَرَاذٍ وَلَوْنٍ مِنَ الْوَانِ النَّهْضَةِ الْفِكْرِيَّةِ أَعْلَامٌ سَاهَمُوا مُسَاهِمَةً مَشْكُورَةً فِي تَرْكِيزِهَا وَتَوْسِيعِ مَسَاحَتِهَا، وَفِي مُقَدِّمَةِ هَؤُلَاءِ الْعَامِلِينَ صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ؛ فَقَدْ كَانَ عَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ الْفَقْهِ وَالْأُصُولِ وَكَثْرًا ثَمِينًا مِنْ كُنُوزِ الْمَعْرِفَةِ وَبَحْرًا بَعِيدَ الْغُورِ لِلثَّقَافَةِ وَالْعِلْمِ، ثِقَّةً جَلِيلًا، وَاسِعَ الْفِكْرِ، سَلِيمَ الطَّبْعِ، وَالرَّأْيِ وَالْعَقِيدَةِ، كَثِيرَ التَّحْقِيقِ وَالتَّدْقِيقِ حَتَّى لَقِبُوهُ بـ: (الْمُحَقِّقِ)، وَهُوَ لَقَبٌ عَظِيمٌ لَمْ يَنْلَهُ اعْتِبَاطًا، وَلَا جُزَافًا، وَقَدْ وَصَفَهُ الْفَاضِلُ صَاحِبُ كِتَابِ (الْكُنَى وَالْأَلْقَابِ) بـ «الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْأَعْظَمِ، شَيْخِ الْفُقَهَاءِ وَوَاحِدِ هَذِهِ الْفِرْقَةِ، وَأَيُّ وَاحِدٍ؟ أَبُو الْقَاسِمِ نَجْمُ الدِّينِ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْحِلِّيِّ، فَاضِلٌ عَالِمٌ، ثِقَّةٌ جَلِيلٌ، مُحَقِّقٌ مُدَقِّقٌ، فَصِيحٌ بَلِيغٌ، شَاعِرٌ أَدِيبٌ مُنَشِئٌ، جَمَعَ الْفَضَائِلَ وَالْمَحَاسِنَ، أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ، لَا نَظِيرَ لَهُ فِي زَمَانِهِ، لَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ، وَإِنْشَاءٌ حَسَنٌ»^(٣).

قَالَ تَلْمِيزُهُ ابْنُ دَاوُدَ الرَّجَالِيُّ يَصِفُهُ: «كَانَ أَلْسَنَ أَهْلِ زَمَانِهِ وَأَقْوَمِهِمْ بِالْحُجَّةِ، وَأَسْرَعِهِمْ اسْتِحْضَارًا، قَرَأْتُ عَلَيْهِ وَرَبَّانِي صَغِيرًا، وَكَانَ لَهُ عَلَى إِحْسَانٍ عَظِيمٍ وَالتِّفَاتِ، وَأَجَازَ لِي جَمِيعَ مَا صَنَعَهُ وَقَرَأَهُ، وَكُلُّ مَا تَصَحُّحُ رَوَايَتُهُ»^(٤).

وَقَالَ فِيهِ صَاحِبُ كِتَابِ (أَمَلُ الْأَمَلِ) إِنَّهُ: «الشَّيْخُ الْأَجَلُّ الْمُحَقِّقُ، حَالُهُ فِي الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالثَّقَةِ وَالْجَلَالَةِ وَالتَّحْقِيقِ وَالتَّدْقِيقِ وَالْفَصَاحَةِ وَالشَّعْرِ وَالْأَدَبِ وَالْإِنْشَاءِ وَجَمِيعِ الْعُلُومِ وَالْفَضَائِلِ وَالْمَحَاسِنِ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ، وَكَانَ عَظِيمَ الشَّانِ، جَلِيلَ الْقَدْرِ، رَفِيعَ الْمَنْزِلَةِ، لَا نَظِيرَ لَهُ فِي زَمَانِهِ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ، وَإِنْشَاءٌ حَسَنٌ بَلِيغٌ، وَكَانَ مَرْجِعَ أَهْلِ عَصْرِهِ فِي الْفَقْهِ وَغَيْرِهِ»^(٥).

(١) لم يذكره السيّد المصنّف على المطابقة، والصواب ما أثبتناه.

(٢) الحديث بالنسبة لعصر المترجم له (المؤلف).

(٣) الكنى والألقاب: ١٥٤/٣.

(٤) رجال ابن داود: ٨٣-٨٤.

(٥) أمل الأمّل: ٤٨/٢-٤٩.

القرن الثامن الهجري

وذكره الفاضل السيد محسن الأمين العاملي في مؤسوعيه (أعيان الشيعة) فقال: «كفاه جلاله قدرَ اشتهاره بالمحقق؛ فلم يشتهر من علماء الإمامية على كثرتهم في عصره بهذا اللقب، وما أخذه إلا بجدارة واستحقاق وقد رزق في مؤلفاته حظاً عظيماً؛ فكتابه المعروف بـ: (شرائع الإسلام) هو عنوان دروس المدرسين في الفقه الاستدلالي يُكتب شرحاً عليه كمسالك الإفهام ومدارك الأحكام، وجواهر الكلام، وهداية الأنام، ومصباح الفقيه، وغيرها، وصنف بعضهم شرحاً لتردّداته^(١) خاصة، وعليه من التعليقات والخواشي عددٌ كثير، ونسخه المخطوطة النفيسة كثيرة لا تحصى، وطبع عدة طبعات في إيران، ولا هميته فلا يخلو بيت طالب علم منه، طبع في لندن [عاصمة بلاد الإنكليز] هو ومختصره، النافع وعليه شروح كثيرة»^(٢) إلخ.

ومن جملة هذه الشروح كتاب (الضياء اللامع) من مصنفات جدنا المجتهد السيد علي السيد حمد كمال الدين، الملقب بالشرع^(٣)، في سبعة عشر مجلداً لا تزال مخطوطة.

ولنا تعقيبات على ما أورده الفاضل السيد محسن الأمين العاملي الذي مرّ عليك قريباً؛ فإنه ظنّ أنّ كتاب الشرائع من كتب الفقه الاستدلالية، وهو سهو فليس الشرائع من الكتب الفقهية الاستدلالية؛ وإنما هو مجرد كتاب فقهية، وأما وصفه هذا فيلحق بكتاب (اللمعة الدمشقية) مثلاً، وقوله «يكتب شرحاً عليه» أظنّ اللائق أن يقول

(١) شرح تردّدات النافع في مختصر الشرائع للشيخ علي بن إبراهيم ابن سليمان القطيفي البحراني. الذريعة: ١٣/ ١٤٥.

(٢) أعيان الشيعة: ٩٠/ ٤.

(٣) علي بن حمد بن محمد حسن بن عيسى كمال الدين الحسيني الحلبي (١٢٥٥-١٣٢٢هـ): فقيه إمامي، ولد في الحلة، وتعلّم بها وهبط النجف، فتخرّج من حوزتها العلمية، له كتاب (الضياء اللامع في شرح الشرائع) في الفقه للمحقق الحلبي في (١٧) مجلداً، يدلّ - كما يقول الطهراني - على تجرّبه وغزارة علمه. يُنظر: نقباء البشر: ٤/ ١٤٢٤ الرقم ١٩٣٧، موسوعة الفقهاء: ١٤/ ٩٧١/ ٢ق.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلَتَيْنِ

«شَرَحًا لَهُ» أَوْ «تَعْلِيْقًا عَلَيْهِ» كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: «كَفَاهُ جَلَالَةً قَدَّرَ اشْتِهَارَهُ بِالْمُحَقِّقِ» لَيْسَ الْاِشْتِهَارُ بِاللِّقَبِ الْعَظِيمِ مِنْ أَدَلَّةِ الْعَظَمَةِ؛ فَنَحْنُ نَعْرِفُ مَثَلًا شَيْخَ الْعِرَاقَيْنِ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْخًا لِأَحَدٍ، وَنَعْرِفُ فَارِسِيًّا يَلْقَبُ بِ: شَمْسِ الْفُقَهَاءِ، وَهُوَ عَامِّي حَمَلٌ، وَقَدْ تَلَقَّبَ بِالْعَلَامَةِ فِي عَصْرِنَا مَنْ يَجِبُ عَدُّهُ مِنَ الْعَوَامِّ، وَلَكِنَّ الْعَامِلِيَّ احْتَرَسَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «وَمَا أَخَذَهُ إِلَّا بِجَدَارَةٍ وَاسْتِحْقَاقٍ»، وَقَدْ ذَكَرَهُ خَيْرُ الدِّينِ الزَّرْكَلِيُّ فِي كِتَابِهِ (الْأَعْلَامُ)، فَقَالَ: إِنَّهُ «فَقِيهٌ إِمَامِيٌّ مُتَقَدِّمٌ مِنْ أَهْلِ الْحَلَّةِ فِي الْعِرَاقِ، كَانَ مَرْجِعَ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ فِي عَصْرِهِ، لَهُ عِلْمٌ بِالْأَدَبِ، وَشِعْرٌ جَيِّدٌ»^(١) إلخ.

نَظَرَةٌ فِي مُؤَلَّفَاتِهِ

أَشْهَرُ كُتُبِهِ كِتَابُ (الشَّرَائِعِ) يَقَعُ فِي مَجْلَدَيْنِ صَخْمَيْنِ، وَمَوْضُوعُهُ فِقْهِيٌّ بَحَثٌ غَيْرُ اسْتِدْلَالِيٍّ، وَلَهْجَتُهُ عَرَبِيَّةٌ وَأُسْلُوبُهُ سَلِيمٌ مَتِينٌ يَبْتَدِئُ بِكِتَابِ الطَّهَّارَةِ وَيُنْتَهِي بِكِتَابِ الدِّيَّانَةِ، تَتَخَلَّلُهُ الْمَوَاضِيعُ الْفَقْهِيَّةُ الْآخَرَى كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْعُقُودِ كَالتَّجَارَةِ وَالرَّهْنِ، وَالضَّمَانِ وَالْمُضَارَبَةِ، كَمَا يَبْحَثُ فِي الْإِنْفَاعَاتِ كَالخُلْعِ وَالظَّهَارِ وَاللِّعَانِ، وَتَغْيِيرِ الْكِتَابِ لَطِيفٌ لَمْ تُشْنِهُ اللَّوْنَةُ الْأَعْجَمِيَّةُ، وَالشَّرَائِعُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُقَرَّرَةِ فِي الْمَنَاهِجِ الدِّرَاسِيَّةِ الدِّيْنِيَّةِ لَا سِيَّمَا فِي النَّجَفِ الْأَشْرَفِ وَفَقَّحِي اللَّهِ لِدِرَاسَتِهِ فِي مَدْرَسَةِ الْمَرْحُومِ الشَّرِيبَانِيِّ^(٢) أَثْنَاءَ إِقَامَتِي فِي النَّجَفِ لِلتَّحْصِيلِ

(١) الأعلام: ١/ ١٧٤.

(٢) الشَّرِيبَانِيُّ (١٢٤٨-١٣٢٢هـ=١٨٣٢-١٩٠٤م) مُحَمَّدُ بْنُ فَضْلِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّرِيبَانِيِّ: فقيه إمامي سكن تبريز، وانتقل إلى النجف سنة ١٢٧٣، له أخبار مع معاصره جعفر بن أحمد الحلي الشاعر. وفيه يقول الحلي مداعباً:

لِلشَّرِيبَانِيِّ أَصْحَابٌ وَتَلْمِذَةٌ تَجْمَعُوا فَرَقًا مِنْ هَهْنَا وَهَهْنَا
مَا فِيهِمْ مِنْ لَهُ فِي الْعِلْمِ مَعْرِفَةٌ يَكْفِيكَ أَفْضَلَ كُلِّ الْحَاضِرِينَ أَنَا!
وَلَهُ كُتُبٌ، مِنْهَا (الْمُتَاجِرُ) فَقْهٌ، وَكِتَابٌ فِي (أَصُولِ الْفَقْهِ) كَبِيرٌ، وَحَوَاشٍ، وَمَدْرَسَتُهُ فِي مَحَلَّةِ الْبَرَاقِ
عَامِرَةٌ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا. الأعلام: ٣٣١/ ٦.

القرن الثامن الهجري

العلمي سنة ١٣٥١ هـ، فاستفدت منه كثيرًا.

وللمحقق كتب أخرى مهمة ككتابه (النافع)^(١)؛ وهو اسم على مسمى، أو كتاب (المعتبر في شرح المختصر)^(٢)، وكتاب (المسائل العزيمية)^(٣)، وكتاب (المسائل المصرية)^(٤)، وكتاب (المسلك في أصول الدين)^(٥)، وكتاب (الكهنة)^(٦) في علم المنطق، و(شرح النهاية)^(٧)، وكتاب (معراج الوصول إلى الأصول)^(٨)، وكتاب (تلخيص الفهرست)^(٩) الذي ألفه الشيخ الطوسي لصاحب الترجمة، ومن مصنفاته كتاب (تيسر القبلة)^(١٠) ألفه جوابًا على اعتراض الشيخ الطوسي حين اعترض على المحقق أثناء إلقاء درسه على طلابه في الحلة، والمراد بالطوسي الفيلسوف المحقق محمد بن محمد بن الحسن الطوسي المولود سنة ٥٩٧ هـ بمدينة طوس، والمتوفى سنة ٦٧٢ هـ، وهو الذي اعترض على المحقق الحلي في مسألة استحباب تيسر المصلي؛ فقد نقل جمع من مؤلفي التراجم أن الطوسي المذكور حضر بعض محاضرات المحقق واستمع إلى تدرسه، وكان موضوع بحثه: استحباب التيسر للمصلي في العراق؛ فاعترض عليه الطوسي بأنه

(١) الذريعة: ٥٧ / ١٤.

(٢) الذريعة: ٢٠٩ / ٢١.

(٣) الذريعة: ٣٥٧ / ٢٠.

(٤) أعيان الشيعة: ٩٢ / ٤.

(٥) أعيان الشيعة: ٩٢ / ٤.

(٦) في أعيان الشيعة: ٩٢ / ٤ «الكهنة أو اللهنة في المنطق... الظاهر أنها الكهانة بالفتح بمعنى الصناعة لما يوجد من المؤلفات بهذا الاسم كثيرًا في الكتب القديمة».

(٧) أعيان الشيعة: ٩٢ / ٤.

(٨) أعيان الشيعة: ٩٢ / ٤.

(٩) الذريعة: ٤٢٥ / ٤.

(١٠) يُنظر: كتاب الرسائل التسع، للمحقق الحلي، وهي الرسالة الثامنة، حققها رضا الأستاذي،

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِرِيِّ فِي الْحِلَّةِ

إِنْ كَانَ التِّيَاسِرُ عَنْهَا فَهُوَ حَرَامٌ، وَإِنْ كَانَ إِلَيْهَا فَهُوَ وَاجِبٌ، وَهُوَ اعْتِرَاضٌ مُخْرِجٌ فَأَجَابَ الْمُحَقِّقُ بِدُونِ اكْتِرَاثٍ، وَعَلَى الْبِدَاهَةِ (مِنْهَا وَإِلَيْهَا)، ثُمَّ صَنَّفَ رِسَالَةً فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ دَعَاها بِكِتَابِ تِيَّاسِرِ الْمُصَلِّي عَنِ الْقِبْلَةِ.

وَالْحَقُّ لَا شَكَّ مَعَ الْمُحَقِّقِ الْحَلِيِّ؛ أَمَّا أَوَّلًا فَلَيْسَ بَيْنَ الْمُسْتَحَبِّ وَالْوَاجِبِ مَانِعَةٌ جَمْعٌ؛ فَكُلُّ وَاجِبٍ مُسْتَحَبٌّ، كَمَا أَنَّ كُلَّ حَرَامٍ مَكْرُوهٌ، وَأَمَّا ثَانِيًا فَلِلرَّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ عَنْهُمْ عليهم السلام أَنَّ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ تَحْصِيلَ جِهَةِ الْكَعْبَةِ بِصُورَةٍ مَضْبُوطَةٍ تَمَامًا مِنَ الْأُمُورِ الْخَارِجَةِ عَنْ دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ، فَانْحِرَافُ الْمُصَلِّي بِالْعِرَاقِ عَنْهَا وَلَوْ بِمَقْدَارِ شَعْرَةٍ يُنْتَجِ مِنْهُ انْحِرَافٌ كَبِيرٌ عَنِ الْكَعْبَةِ رُبَّمَا يَبْلُغُ عِدَّةَ أَمْيَالٍ، وَلَكِنْ حُصُولُ جِهَةِ الْكَعْبَةِ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ أَمْرٌ يَقِينٌ؛ فَالْجُنُوحُ إِلَى التِّيَّاسِرِ أَقْرَبُ احْتِمَالًا إِلَى تَحْصِيلِ جِهَةِ الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ، وَلِإِنْتِفَاءِ الْيَقِينِ تَعَيَّنَ الْعَمَلُ بِالظَّنِّ؛ فَكُلَّمَا كَانَ الظَّنُّ أَقْرَبَ فِي تَحْرِي الْقِبْلَةِ كَانَ أَقْوَى وَأَوْلَى، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْكَعْبَةَ قِبْلَةٌ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ قِبْلَةٌ مَنْ فِي الْحَرَمِ، وَالْحَرَمُ قِبْلَةٌ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَلَمَّا كَانَ الْحَرَمُ الشَّرِيفُ عَنْ يَسَارِ الْكَعْبَةِ أَكْثَرُ مِمَّا عَنْ يَمِينِهَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِلتِّيَّاسِرِ الْقَلِيلِ؛ لِكَوْنِهِ أَقْرَبَ إِلَى الظَّنِّ فَهُوَ مِنْ قِبَلِ الْاِحْتِيَاطِ لِتَحْصِيلِ الظَّنِّ بِصَحَّةِ الْاسْتِقْبَالِ، وَالِاِحْتِيَاطِ مِنَ الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ فِي جَوَابِ الْمُحَقِّقِ الْحَلِيِّ.

شِعْرُهُ وَأَدَبُهُ^(١)

حَدَّثَ بِمَا شِئْتَ عَنْ نُفُوذِ الشَّعْرِ فِي الرَّأْيِ الْعَامِّ الْعَرَبِيِّ وَلَا حَرَجَ، نُفُوذًا سِيَاسِيًّا بَلَغَ الدَّرَجَةَ الْقُصْوَى حَتَّى تَنَاقَلَ أَدَقُّ شُؤُونِ الدَّوْلَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَأَخْطَرُهَا، وَنُفُوذًا اجْتِمَاعِيًّا تَرَاهُ وَاضِحًا فِي كَافَةِ الْاِنْقِلَابَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ رَأْيِ الْعَيْنِ، وَنُفُوذًا قَضَائِيًّا حَتَّى أَعْفَى بَعْضِ الشُّعْرَاءِ الْمَاجِنِينَ مِنْ إِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ وَالتَّمَسُّسِ الْحَلِيفَةِ بِنَفْسِهِ وَجِهَةِ الْحِيلَةِ لِخُلَاصِهِمْ،

(١) يقول الحرّ العامليّ في أمل الآمل: ٤٩ / ٢ «وله شعر جيّد وإنشاء حسن بليغ».

القرن الثامن الهجري

وَلَا نَنْسَى قَبُولَ الْقَاضِي شَهَادَةِ أَبِي دُلَامَةِ الشَّاعِرِ^(١)، وَأَنْفُ الْقَاضِي رَاغِمٌ.
وُنُقُودًا إِدَارِيًّا حَتَّى كَانَ تَوَلَّى الشَّاعِرَ لِبَعْضِ مَنَاصِبِ الْحُكُومَةِ الرَّفِيعَةِ مُقَدَّرًا بِقَدَرِ
إِجَادَتِهِ لِلشُّعْرِ كَمَا تَوَلَّى صَرِيحُ الْغَوَانِي^(٢) عَلَى جُرْجَانَ بِسَبَبِ تَفُوقِهِ فِي شِعْرِهِ.
وُنُقُودًا عَسْكَرِيًّا حَتَّى كَانَ فَتَحَ عَمُورِيَّةَ بِسَبَبِ قَصِيدَةِ أَبِي تَمَامِ الْبَائِيَّةِ^(٣).

وَفِي عَصْرِ الْمُحَقِّقِ الزَّاهِرِ كَانَتْ صَوْلَةُ الشُّعْرِ عَلَى أَشَدِّهَا، وَكَانَ دُولَابُ الثَّقَافَةِ
سَرِيعَ الْحَرَكَةِ وَالِدَّوْرَانِ، وَضَوْءُ الْعِلْمِ يَبْهَرُ الْأَبْصَارَ، فَفِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ مَدِينَةِ الْحِلَّةِ
مَدْرَسَةٌ عِلْمِيَّةٌ، أَوْ نَدْوَةٌ أَدَبِيَّةٌ، بَلْ كَانَتْ حَتَّى حَوَانِيتِ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ بَلْ وَحَتَّى الْحَمَامَاتِ
لَا تَخْلُو مِنْ رُوحِ الْأَدَبِ، فَفِي هَذِهِ الْمَدَارِسِ وَالنَّدَوَاتِ تَجْمَعُ طُلَّابُ الْعِلْمِ وَعُشَّاقُ
الْأَدَبِ كَمَا تَجْتَمِعُ أَسْرَابُ الْحَمَامِ فِي مَلَاقِطِ الْحَبِّ، فَهِيَ أَشْبَهُ بِالْبُوتَقَةِ تَنْصَهَرُ بِهَا الْعُقُولُ

(١) في تاريخ بغداد: ٤٩٠ / ٨ «زند- بالنون- بن الجون، أبو دلامة الشاعر، مولى بني أسد: وقيل
إن اسمه زيد بالباء المنقوطة بواحدة، والأول أثبت. قال الأصمعي: كان أبو دلامة عبداً وقد
رأيناه مولداً حبشياً صالح الفصاحة قلت: وكان أبو دلامة في صحابة أبي العباس السفاح، وأبي
جعفر المنصور وأبي عبد الله المهدي، ويُقال: إنّه بقي إلى أول خلافة الرشيد، وقيل لم يبلغها، وله
معهم أخبار كثيرة، وكان مطبوعاً، كثير النواذر في الشعر، وكان صاحب بديهة، يداخل الشعراء
ويزاحمهم في جميع فنونهم، وينفرد في وصف الشراب، والرياض وغير ذلك، بما لا يجرون معه
فيه». وقصة شهادته مع القاضي يرويها الخطيب البغدادي: ٤٩١-٤٩٢.

(٢) هو مسلم بن الوليد، سمّاه هارون العباسي بـ: (صريح الغواني) (ت ٢٠٨ هـ) تُنظر أخباره في:
تاريخ بغداد للخطيب: ٩٧-٩٨، سير أعلام النبلاء: ٣٦٥ / ٨، وفي ولايته جرجان يُنظر:
الوافي، للصفدي: ١٦٠-١٦٣.

(٣) وهي:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونها جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماع لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أقول: لم يكن فتح عمورية بسبب القصيدة، وإنما ألقى أبو تمام القصيدة بعد فتح عمورية،
وإصرار المنجمين على عدم الفتح. يُنظر: ديوانه: ٤٥ / ١.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفِكْرِيِّ فِي الْحِلَّةِ

الْجَامِدَةُ، وَالْمَدَارِكُ الْبَلِيدَةُ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْعُقُولِ الْمَتِينَةِ وَالْمَدَارِكِ السَّلِيمَةِ؟ وَنَظْرَةُ خَاطِفَةٍ إِلَى الْمَاضِي الزَّاهِرِ تُرِينَا مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْحِلَّةُ مِنَ النُّصُوجِ الْفِكْرِيِّ الْجَبَّارِ، فِي عَصْرِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ، وَعَصْرِ الْمَعْرِفَةِ وَالْأَدَبِ، وَقَدْ كَانَتْ لِلدِّينِ نَهْضَةٌ تَنَاسَبُ طَرْدِيًّا وَتِلْكَ النَّهْضَةُ الْفِكْرِيَّةُ كَتَيْبَةٌ حَتْمِيَّةٌ لِصَلَةِ الْعَقِيدَةِ بِالتَّفْكِيرِ، فَلَيْنَ كَانَ فِي تَارِيخِ كُلِّ أُمَّةٍ عِبَاقِرَةٌ خَالِدُونَ؛ فَالْمُحَقِّقُ الْحَيُّ وَأَصْرَابُهُ مِنْ عِبَاقِرَةِ التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ الْخَالِدِينَ، وَدِرَاسَةُ تَارِيخِ الْمُحَقِّقِ ذَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى عَظَمَةِ هَذِهِ الْعَبَقَرِيَّةِ فَهَذَا الرَّجُلُ الْعَظِيمُ لَمْ تَشْغَلْهُ مَسَائِلُ الْعِلْمِ الْعَوِصَةِ وَبُحُوثُ الْحِكْمَةِ الْغَامِضَةِ عَنْ مَسَائِلِ الْأَدَبِ وَقَرْضِ الشُّعْرِ؛ فَأَصْبَحَ وَكَأَنَّهُ مَجْمُوعَةٌ وَاسِعَةٌ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ، لَهُ مَلَكَتُهُ فِي الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ أَهْلَتُهُ لِأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الْكُتَّابِ الْمُجِيدِينَ وَكَانَ لَهُ سَبْقٌ فِي نَظْمِ الشُّعْرِ وَلَكِنَّهُ أَهْمَلَ الشُّعْرَ عَنْ عَمَدٍ وَقَصِيدٍ؛ لِيَتَفَرَّغَ إِلَى الْعِلْمِ وَمَذْطَالَ جَفَاؤِهِ لِلشُّعْرِ مَاتَتْ مَلَكَتُهُ الشُّعْرِيَّةُ وَقَدِيمًا قِيلَ: «فِي الْإِنْسَانِ بَيْتٌ مِنْ عِلْمٍ وَبَيْتٌ مِنْ شِعْرِ إِنْ حَفَرَهُمَا هُمِلَتَا، وَإِنْ تَرَكَهُمَا عُمِيَتَا»^(١)، وَمَا أَصْدَقَ قَوْلَهُ فِي تَرْجَمَةِ حَالِهِ حِينَ قَالَ:

هَجَرْتُ صَوْغَ قَوَائِي الشُّعْرِ فِي زَمَنِ
هَيْهَاتَ يَرْضَى وَقَدْ أَغْضَبْتُهُ زَمَنًا
وَعُدْتُ أَوْقِظَ أَفْكَارِي وَقَدْ هَجَعْتُ
عُنْفًا وَأَزْعَجْتُ عَزَمِي بَعْدَمَا سَكَنَّا
إِنَّ الْخَوَاطِرَ كَالْآبَارِ إِنْ نُزِحَتْ
طَابَتْ، وَإِنْ يَبَقَ فِيهَا مَآؤُهَا أَجِنَا
فَاصْفَحْ شُكْرْتُ^(٢) أَيَادِيكَ الَّتِي سَلَفَتْ
مَا كُنْتُ أَظْهَرُ عَيْنِي بَعْدَمَا كَمَنَّا^(٣)

(١) لم أهتمد إلى هذه المقولة.

(٢) في خاتمة المستدرک: ٤٦٩/٢ «فأصبح شكورًا أياديك».

(٣) يُنظر هذه الأبيات في: أمل الآمل: ٥١-٥٠/٢.

القرن الثامن الهجري

فَقَدْ اعتَبَرَ الشُّعْرَ عَيْبًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى شَرَفِ الْعِلْمِ، وَأَنَّهُ لَا يَتِمَكَّنُ مِنْ إِظْهَارِهِ بَعْدَ أَنْ اخْتَفَى، وَهَذَا التَّعْبِيرُ دَقِيقٌ عَنْ مَدَى كُرْهِهِ لِلشُّعْرِ، وَلَكِنَّ مُؤَلَّفَ كُتَيْبٍ مُحْتَصِرٌ تَارِيخِ الْحِلَّةِ قَدْ زَعَمَ أَنَّ الْمُحَقِّقَ مَا مَاتَتْ مِنْهُ عَاطِفَتُهُ الشُّعْرِيَّةُ بَعْدَ هُجْرَانِهِ الشُّعْرِ؛ بَلْ تُجِيدُ أحيانًا بِالشُّعْرِ الرَّائِعِ^(١).. الخ، فَكَانَ مُؤَلَّفُ هَذَا الْكُتَيْبِ أَعْلَمَ بِحَالِ الْمُحَقِّقِ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَكْثَرَ أَطْلَاعًا مِنْهُ عَلَى شُؤْرِهِ الْخَاصَّةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الذِّكَاةِ وَعَظِيمِ الْفِطْنَةِ وَسَلَامَةِ الْأَعْصَابِ، وَلَا أَذْرِي لِمَاذَا لَا يُرِيدُ تَصْدِيقَ الْمُحَقِّقِ؛ وَلِمَاذَا يُجَاوِلُ إِظْهَارَهُ بِمَظْهَرِ الْكَاذِبِ مِنْ طَرِيقِ ضَمْنِيٍّ بَعِيدٍ؛ فَهَلْ لِهَذِهِ الْمُحَاوَلَةِ صَلَةٌ بِالْعَقِيدَةِ الشُّيُوعِيَّةِ الَّتِي تَبْنَاهَا مُؤَلَّفُ هَذَا الْكُتَيْبِ، فَإِنَّ الْمُحَقِّقَ الْحَيَّ هُوَ الَّذِي يُحَدِّثُنَا بِصَرَاحَةٍ أَنَّهُ وَقَفَ جَوَادُ فِكْرِهِ حَتَّى كَانَهُ لَمْ يَفْرَغْ لِلشُّعْرِ بَابًا وَلَمْ يَرْفَعْ لَهُ حِجَابًا وَلَيْتَ مُؤَلَّفَ ذَلِكَ الْمُخْتَصِرِ جَاءَنَا بِدَلِيلٍ وَاحِدٍ عَلَى الْأَقْلِ يُعْضِدُ تِلْكَ الدَّعْوَى الَّتِي لَا أَسَاسَ لَهَا مِنَ الصَّحَّةِ، وَلَا ظِلَّ لَهَا مِنَ الْحَقِيقَةِ، وَلَا مَكَانَ لَهَا مِنَ الْقَبُولِ فِي الْعَقْلِ السَّلِيمِ وَإِنَّمَا أَرْسَلَهَا إِرْسَالِ الْمُسَلِّمَاتِ دُونَ تَمْحِصٍ؛ وَالْمَاشِطَةُ دَيْدَنُهُ عَرُضَ آرَائِهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهَا مُسْتَنْدٌ يُؤَيِّدُهَا، وَقَدْ لَاحَظْتُ مَا يَكْتَبُهُ وَيُنْشُرُهُ؛ فَإِذَا هُوَ لَمْ يَتَجَاوَزْ حُدُودَ النَّقْلِ وَجَمَعَ آرَاءَ الْغَيْرِ مِنْ هُنَا وَهَنَاكَ يَحْشُرُهَا حَشْرًا عَارِيَّةً عَنِ الْبُرْهَانِ وَخَالِيَّةً مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِهِ الْخَاصِّ بِالتَّفْنِيدِ أَوِ التَّائِيدِ.

أَمَّا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُحَقِّقَ قَدْ نَظَمَهَا بَعْدَ هُجْرَانِهِ الشُّعْرِ بِمَدَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَلَعَلَّهُ قَالَهَا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ الَّذِي هَجَرَ فِيهِ نَظْمَ الشُّعْرِ كَتَغْزِيَةٍ لِنَفْسِهِ، أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ، لِأَنَّ مِنَ الْبَعِيدِ الَّذِي يَكَادُ يَكُونُ مُسْتَحِيلًا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُحَقِّقِ الْمَرْجِعِ الدِّينِيِّ الْكَبِيرِ الْكَذِبُ؛ فَقَدْ صَرَّحَ أَنَّهُ هَجَرَ الشُّعْرَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا كَمَا أَنَّ مِنَ الْمُسْتَبْعَدِ أَيْضًا مِنْ أَخْلَاقِ الْمُحَقِّقِ وَوَرَعِهِ وَصَلَاحِهِ أَنْ يَعِقَّ أَبَاهُ الَّذِي أَمَرَهُ بِتَرْكِ الشُّعْرِ فَيَبْقَى مُصِرًّا عَلَى مُعَانَدَتِهِ فِي نَظْمِ الشُّعْرِ، ثُمَّ لَا يَكْتَفِي

(١) يُنْظَرُ: مُخْتَصَرُ تَارِيخِ الْحِلَّةِ: ١١٠.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلِيقَةِ

فِي عُقُوبِهِ هَذَا حَتَّى يَفْتَخِرَ بِهِ وَيُخَلِّدَهُ شِعْرًا، وَقَدْ وَصَفَهُ الْمُغْفُورُ لَهُ عَبْدُ الْكَرِيمِ الْهَاشِطَةُ
مَوْلُفُ ذَلِكَ الْمُخْتَصِرِ نَفْسَهُ بِالنَّبْلِ وَالْعِلْمِ وَالْفَقْهِ، فَهَلْ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَاتُهُ يَصُحُّ أَنْ
يُنْسَبَ إِلَى هَذَا الْعُقُوقِ؟!!!

وَمِنْ شِعْرِ الْمُحَقِّقِ قَبْلَ أَنْ يَنْهَاهُ أَبُوهُ عَنْ نَظْمِ الشُّعْرِ:

يَا رَاقِدًا وَالْمَنَايَا غَيْرُ رَاقِدَةٍ وَغَافِلًا وَسِهَامَ الْمَوْتِ تَرْمِيهِ
فِيمَ اغْتِرَارُكَ؟ وَالْأَيَّامُ مُرْصِدَةٌ وَالذَّهْرُ قَدْ مَلَأَ الْأَسْمَاعَ دَاعِيهِ
أَمَّا أَرْتُكَ اللَّيَالِي قُبْحَ دَخَلَتِهَا وَغَدَرَهَا بِالذِّي كَانَتْ تُصَافِيهِ
رَفَقًا بِنَفْسِكَ يَا مَغْرُورُ أَنَّ هَا يَوْمًا تَشِيبُ النَّوَاصِي مِنْ دَوَاهِيهِ^(١)
وَلَهُ أَبْيَاتٌ كَجَوَابٍ عَلَى أَبْيَاتِ صَدِيقِهِ ابْنِ وَشَاحٍ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا الْمُحَقِّقُ:

أَغِيبُ عَنْكَ وَأَشْوَاقِي تُجَاذِبُنِي إِلَى لِقَائِكَ جَذَبَ الْمُغْرَمِ الْعَانِي
إِلَى لِقَاءِ حَبِيبٍ مِثْلَ بَدْرِ دُجَى وَقَدْ رَمَاهُ بِإِعْرَاضٍ وَهَجْرَانٍ
وَمِنْهَا:

قَلْبِي وَشَخْصُكَ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ عِنْدَ انْتِبَاهِي وَبَعْدَ النَّوْمِ يَغْشَانِي
حَلَلْتُ فِيهِ مَحَلَّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي فَأَنْتَ ذِكْرِي فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
لَوْلَا الْمَخَافَةُ مِنْ كُرْهِهِ وَمِنْ مَلَلٍ لَطَالَ نَحْوُكَ تَرْدَادِي وَإِتْيَانِي
يَا جَعْفَرُ بْنُ سَعِيدٍ يَا إِمَامَ الْهُدَى يَا وَاحِدَ الدَّهْرِ يَأْمَنْ مَا لَهُ ثَانِي
إِنِّي بِحُبِّكَ مُغْرَى غَيْرُ مُكْتَرِثٍ بِمَنْ يَلُومُ وَفِي حُبِّكَ يَلْحَانِي
فَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْفَضْلِ كُلِّهِمْ لَمْ يَخْتَلِفْ أَبَدًا فِي فَضْلِكَ اثْنَانِ
فِي قَلْبِكَ الْعِلْمُ مَخْزُونٌ بِأَجْمَعِهِ تَهْدِي بِهِ مِنْ ضَلَالٍ كُلِّ حَيْرَانٍ
وَفُوكَ فِيهِ لِسَانٌ حَشُوهُ حِكْمٌ تَرُوي بِهِ مِنْ زَلَالٍ كُلِّ ظَمْآنٍ

(١) خاتمة المستدرک: ٢/ ٤٧٠، ونقلها الطباطبائي في رياض المسائل: ٢/ ٥٨.

القرن الثامن الهجري

وَفَحْرَكَ الشَّامِخُ السَّامِي وَزَنْتَ بِهِ
وَحُسْنَ أَخْلَاقِكَ اللَّاتِي فَضَّلْتَ بِهَا
فَانْبَرَى الْمُحَقِّقُ إِلَى جَوَابِهِ قَائِلًا:

لَقَدْ وَاثَتْ قَصَائِدُكَ الْغَوَالِي
فَضَضْتَ خِتَامَهُنَّ فَخِلْتُ أَنِي
وَجَالَ الطَّرْفُ مِنْهَا فِي رِيَاضٍ
فَكَمْ أَبْصَرْتَ مِنْ لَفْظٍ بَدِيعٍ
وَكَمْ شَاهَدْتَ مِنْ عِلْمٍ خَفِيٍّ
شَرِبْتَ بِهَا كُؤُوسًا مِنْ مَعَانٍ
وَلَكِنِّي حَمَلْتُ بِهَا حُقُوفًا
فَلَا تَعَجَّلْ عَلَيَّ وَسِرْ رُويْدًا
وَجَمِّلْ مَا أَطِيقُ بِهِ نُهوضًا
تَهْزُ مَعَاطِفَ اللَّفْظِ الرَّشِيقِ
فَضَضْتُ بِهِنَّ عَنْ مِسْكِ فَتِيقِ
كُسَيْنَ بِنَاصِرِ الزَّهْرِ الْأَنِيقِ
يَدُلُّ بِهِ عَلَى الْمَعْنَى الدَّقِيقِ
يُقَرِّبُ مَطْلَبَ الْفَضْلِ السَّحِيقِ
غُنِيتَ بِشَرِّهِنَّ عَنِ الرَّحِيقِ
أَخَافُ لِثَقَلِهِنَّ مِنَ الْعُقُوفِ
فَلَسْتُ أَطِيقُ كُفْرَانَ الْحُقُوفِ
فَإِنَّ الرَّفْقَ أَنْسَبُ بِالصَّدِيقِ^(١)

وقد عالج المحقق نظم الشعر في زمن شبته وأجاد قرضه حتى إذا ما نهأ أبوه
ونأه عنه ترك الشعر حتى حمدت جدوة قريحته فاستمع إليه يحدثننا عن نفسه فيقول:
«إن الشعر من أفضل مشاعر الأدب، وأجل مفاخر العرب، به تستباح المكارم،
وتستغطف الطباع الغواشم، وتشهد الأذهان وتستل الأضغان، ويستصلح الرأي
الفاسد، وتستثار الهمم الجوامد، لكنه عسر المطلب، خطر المركب، لافتقاره إلى أمور
غريزية، وأخرى كسبية، وهي شديدة الامتناع، بعيدة الاجتماع، فالمعتذر عن التعرض
له معذور، والمعتز بالقصور عنه مشكور، وقد كنت زمن الحداثة أتعرض لشيء منه
ليس بالمرضي، فكتبت أبياتاً إلى والدي ﷺ أثني فيها على نفسي بجهل الصبوة، وهي:

(١) ينظر: الغدير: ٥ / ٤٤١، وفيه: (وحمّل) بدلاً من (جمّل).

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِهَا

لِيَهْنِكَ أَنِّي كُلُّ يَوْمٍ إِلَى الْعُلَى أَقْدَمُ رَجُلًا لَا تَزِلُّ بِهَا النُّعْلُ
وَعَزِيرٌ بَعِيدٌ أَنْ تَرَانِي مُقَدَّمًا عَلَى النَّاسِ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ
تُطَاوِعُنِي بِكُرِّ الْقَوَافِي وَعَوْنُهَا وَتَنْقَادُ لِي حَتَّى كَأَنِّي لَهَا بَعْلُ
وَيَشْهَدُ لِي بِالْفَضْلِ كُلُّ مَبْرَزٍ وَلَا فَاضِلَ إِلَّا وَلِي فَوْقَهُ فَضْلٌ^(١)

فَكَتَبَ ﷺ فَوْقَ هَذِهِ الْآيَاتِ مَا صَوَّرَتْهُ: إِنَّ أَحْسَنَتَ فِي شِعْرِكَ فَقَدْ أَسَاتَ فِي حَقِّ نَفْسِكَ، أَمَا عَلِمْتَ؟ أَنَّ الشَّعْرَ صِنَاعَةٌ مَنْ خَلَعَ الْعِفَّةَ، وَلَيْسَ الْحِرْفَةُ، وَالشَّاعِرُ مَلْعُونٌ إِنْ أَصَابَ، وَمَنْقُوصٌ وَإِنْ أَتَى بِالشَّيْءِ الْعُجَابِ، وَكَأَنِّي بِكَ قَدْ أَلْهَمَكَ الشَّيْطَانُ فَضِيلَةَ الشَّعْرِ، فَجَعَلْتَ تُنْفِقُ مَا تَلْفَقُ بِهِ جَمَاعَةً لَمْ يَعْرِفُوا لَكَ فَضِيلَةً غَيْرَهُ، فَسُئِلَ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ وَصْمَةً عَلَيْكَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ أَلَمْ تَسْمَعْ؟

وَلَسْتُ أَزْضِي أَنْ يُقَالَ شَاعِرٌ تَبَّاهَا مِنْ عَدَدِ الْفَضَائِلِ
فَوَقَفَ خَاطِرِي عِنْدَ ذَلِكَ كَأَنِّي لَمْ أَفْرَغْ لَهُ بَابًا، وَلَمْ أَزِفْ لَهُ حِجَابًا، وَأَكَّدَ ذَلِكَ عِنْدِي مَا رَوَيْتُهُ بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَبِهِ رَجُلٌ قَدْ طَافَ بِهِ جَمَاعَةٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: عَلَامَةٌ؛ فَقَالَ: مَا الْعَلَامَةُ؟ قَالُوا: عَالِمٌ بِوَقَائِعِ الْعَرَبِ وَأَنْسَابِهَا وَأَشْعَارِهَا؛ فَقَالَ ﷺ ذَلِكَ عِلْمٌ لَا يُضُرُّ مَنْ جَهَلَهُ، وَلَا يَنْفَعُ مَنْ عِلِمَهُ»^(٢)، إِلَى أَنْ قَالَ: وَلَمَّا كَانَ إِضْرَابِي عَنْ نَظْمِهِ وَإِعْرَاضِي حَتَّى عَنْ ذِكْرِ اسْمِهِ لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا هُوَ حَقِيقٌ أَنْ يُرْفَضَ وَلَا يُعْرَضَ، وَيُضْمَرُ وَلَا يَظْهَرُ، لَكِنْ مَا ذَلِكَ أَوْرَدَ مَا أَدْخُلُ بِهِ فِي حَيِّزِ الْإِمْتِثَالِ، وَإِنْ كَانَ سِتْرُهُ أَنْسَبَ بِالْحَالِ فَمِنْهُ:

فَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي وَأَنِّي لِأُجْزِي بِالْقَلِيلِ عَنِ الْكَثِيرِ

(١) يُنظر: أعيان الشيعة: ٩٢/٤، مقدّمة معارج الأصول: ٢٢، ولقد ذكرها المصنّف في ترجمة أبي

يحيى الحسن بن نجيب الدين.

(٢) الكافي: ١/٢٤/١، جامع أحاديث الشيعة: ٩٤/١.

القرن الثامن الهجري

وَلَا أُعْطِيَ الْمَطَامِعَ لِي قِيَادًا وَلَوْ خُودِعْتُ بِأَمَالِ الْخَطِيرِ
وَأُغْمِضُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ حَتَّى أُخَالُ بِأَنْ يُنَاجِيَنِي ضَمِيرِي
وَأُحْتَمِلُ الْأَذَى فِي كُلِّ حَالٍ عَلَى مَضْضٍ، وَأَعْفُو عَنْ كَثِيرِ
وَمَنْ كَانَ إِلَهُهُ لَهُ حَسِيبًا أَرَاهُ النُّجَحَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ^(١)
وَمِنْهُ قَوْلِي:

يَا رَاقِدًا وَالْمَنَايَا غَيْرُ رَاقِدَةٍ^(٢) وَغَافِلًا وَسَهَامُ الدَّهْرِ تَرْمِيهِ
وَحَسَبَ تَحْصِيلِ الْغَرَضِ بِهَذَا الْقَدْرِ فَنَحْنُ نَقْتَصِرُ عَلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ طَرَفَاتِ
الرَّزْلِ، وَوَرَطَاتِ الْحَلَلِ، إِلَى آخِرِ رِسَالَتِهِ هَذِهِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا إِلَى وَالِدِهِ وَأَنْتَ تَرَى أَنَّهُ
يُصْرِّحُ بِوُضُوحِ بَرَكَةِ الشُّعْرِ وَهَجَرِهِ إِلَى دَرَجَةٍ صَارَ فِيهَا يَتَحَاشَى ذِكْرَ اسْمِهِ فَكَيْفَ
يَنْظُمُهُ؟.

وَكُلُّ مَا ذَكَرَهُ مِنَ الشُّعْرِ فِي زَمَنِ حَدَائِثِهِ وَعُنُقُوانِ شَبَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَلَقَّى مِنْ أَبِيهِ أَمْرًا
جَازِمًا بِتَرْكِ الشُّعْرِ؛ فَهَجَرَ الشُّعْرَ طَاعَةً لِأَمْرِ أَبِيهِ، وَلِمَا بَيَّنَّه مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ فِي تَبْرِيرِ
أَمْرِ وَالِدِهِ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ يَجِيءَ مُعْرَضٌ فَيَتَّهِمُ هَذَا الْعَالِمَ الْبَارَّ التَّقِيَّ
بِالْعُقُوقِ وَهُوَ أَحَدُ الْكِبَائِرِ، وَيَنْسِبُ إِلَيْهِ مُحَالَفَةَ الْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ رُوَاتِهِ؛ فَلَيْسَ
يَصُحُّ مَا يَقُولُ الْمَاشِطَةُ مِنْ اسْتِمْرَارِ الْمُحَقِّقِ عَلَى نَظْمِ الشُّعْرِ بَعْدَ نَهْيِ وَالِدِهِ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ
دَخِيلَةَ نَفْسِهِ عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ الْعَصْرَيْنِ وَالْاِخْتِلَافُ بَيْنَ الْعَقْلِيَّتَيْنِ وَالْعَقِيدَتَيْنِ؛ فَمَازَا
يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ الْمَاشِطَةُ؟ إِنَّا نَعْرِفُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَخِزَ الْمُحَقِّقَ الْحَلِيَّ كَمَا وَخَزَ الْعَلَّامَةُ الْحَلِيَّ
مِنْ قَبْلِهِ؛ لَكِنِّي يَصْدُقُ فِي حَضَرَتِهِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّيِّ مِنْ لَامِيَةِ الشَّهِيرَةِ^(٣)، وَلَكِنَّ الْمَاشِطَةَ

(١) رياض المسائل: ٦٢/٢، خاتمة المستدرک: ٤٦٩/٢، أعيان الشيعة: ٩٣/٤.

(٢) لقد سبق إيراد الأبيات فلا ضرورة للتكرار (المؤلف).

(٣) قصيد المؤلف القصيدة التي مطلعها: (لك يا منازل في القلوب منازل).

ومنها: =

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

لَمْ يَجْزُأْ عَلَى هَذَا الطَّعْنِ فَتَوَارَى خَلْفَ يَوْسُفَ كَرْكُوشَ تَلْمِيزِهِ فِي الثَّقَافَةِ وَشَبِيبِهِ تَقْوَى، وَرَبَّهَا عَفَّةً وَنَزَاهَةً، فَهَذَا الْمُخْتَصَرُ لِلْمَاشِطَةِ وَلَيْسَ لِيَوْسُفَ كَرْكُوشَ سِوَى الْأَسْمِ.

وَلَنَا رَأْيٌ فِي الشُّعْرِ يُخَالِفُ رَأْيَ الْمُحَقِّقِ وَأَبِيهِ إِلَّا أَنْ نَقُولَ إِنَّهُمَا يَقْصِدَانِ بِالشُّعْرِ الْمَذْمُومِ هُوَ مَا كَانَ وَسِيلَةً لِلتَّكْسِبِ وَالْأَلَّةَ لِلْإِسْتِجْدَاءِ فَيَدْخُلُ ضِمْنَ مَا اسْتَقْبَحَهُ الشَّارِعُ الشَّرِيفُ مِنَ الْكَسْبِ غَيْرِ الْمَشْرُوعِ وَجَعَلَ الْحَيَاةَ الْعِلْمِيَّةَ عَلَى الْهَامِشِ؛ فَالشَّاعِرُ الْمُتَّكِسِبُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ يَأْخُذُ الْجَوَائِزَ إِمَّا حَيَاءً وَالْمَأْخُودُ حَيَاءً كَالْمَأْخُودِ جَبْرًا، وَأَمَّا خَوْفًا فَهُوَ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَحْتًا فَشَبِيهًا بِالسُّحْتِ وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ نَرَى الشَّاعِرَ يَكْذِبُ وَيُنَافِقُ وَيُدَاهِنُ وَيَذُمُّ وَيَعْبُدُ أَصْنَامَ الذَّهَبِ؛ لَيْسَتْ دَرَّ عَظْفَهَا، وَلَوْلَا هَذِهِ الْهِنَاتُ فَمَا فِي الشُّعْرِ مِنْ غَضَاضَةٍ؛ وَلَا جَلِّ أَنْ تَرْفَعَ مَا قَدْ يَحْسِبُهُ الْبَعْضُ مِنَ الْمُتَنَاقِضَاتِ حَيْثُ لَا يَجْتَمِعُ ذَمُّ النَّبِيِّ ﷺ لِلشُّعْرِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْمُحَقِّقُ وَمَذَحَ النَّبِيُّ لِلشُّعْرِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: (إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً) ^(١) وَإِعْطَاؤُهُ الْجَائِزَةَ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ فَلَا بُدَّ أَنْ نَجْعَلَ الشُّعْرَ نَمَطَيْنِ، فَنَمَطٌ مَحْمُودٌ، وَهُوَ مَا يَتَضَمَّنُ الْحِكْمَةَ وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ، وَمَذَحَ الْأَوْلِيَاءَ وَذَمَّ الْكُفَّارَ وَالدَّعْوَةَ إِلَى نُصْرَةِ الْحَقِّ، وَبَعْضُهُ مَذْمُومٌ وَهُوَ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّا كَانَ بَعْضُ الشُّعْرِ حِكْمَةً حَسَبَ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّ (الْحِكْمَةَ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ) ^(٢)

جمع الزمان فلا لذيذ خالص مَّا يَشُوبُ وَلَا سُرُورَ كَامِلٌ
فإِذَا أَتَيْتَكَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي فَاضِلٌ
يُنْظَرُ: دِيوَانُ الْمُتَنَبِّئِ.

أَقُولُ: وَهَذَا الْبَيْتُ الْأَخِيرُ الَّذِي وَقَعَ لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيِّ مَعَ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى الْمَوْسَوِيِّ مَا وَقَعَ بِسَبَبِهِ. يُنْظَرُ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ: ٣/ ٣٤١.

(١) هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ بَيْنَ النَّاسِ، وَالتَّصْوِيبُ: (إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمًا وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا).

الْوَسَائِلُ: الْجُزْءُ ٣ أَبْوَابُ أَحْكَامِ الْمَسَاجِدِ، بَابُ ١٤، حَدِيثُ ١٢.

(٢) نَهْجُ الْفَصَاحَةِ: كَلِمَةُ ١٤١٢.

القرن الثامن الهجري

فَيَنْتُجُ مِنْ هَذَا الشَّكْلِ المنطقي^(١) أَنَّ بَعْضَ الشَّعْرِ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَكَيْفَ يَصُحُّ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ لَا يَنْفَعُ مَنْ تَعَلَّمَهُ، إِلَّا عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ فَتأمل.

وَلَكِنَّا نَرَى وَالِدَ الْمُحَقِّقِ مَنَعَ وَلَدَهُ مِنْ تَعَلُّمِ الشَّعْرِ بِكُلِّيَّتِهِ وَمُرَادُهُ أَنْ يُوجِّهَ فَلَدَهُ كِبِدَهُ تَوْجِيهًا عَمَلِيًّا؛ فَالشَّعْرُ أَمْرٌ ثَانَوِيٌّ لَا يَبْلُغُ جَلَالَهَ الْعِلْمِ، وَلَا شَرْفَهُ كَمَا قَالَ الشاعرُ:

الشَّعْرُ يَرْضَى أَنْ أَكُونَ عَالِمًا وَالْعِلْمُ يَأْبَى أَنْ أَكُونَ شَاعِرًا
وَإِذَا تَعَارَضَ الْمُهِمُّ وَالْأَهْمُ؛ فَالْعَقْلُ يَحْكُمُ بِتَقْدِيمِ الْأَهْمِ بِالْبَدَاهَةِ.

تَلَامِيذُهُ [وَأَسَاتِذَتُهُ]

لِلْمُحَقِّقِ الْحِلِّيِّ تَلَامِيذٌ فُحُولٌ اسْتَقَامُوا عَلَى مَنْهَلِ عِلْمِهِ الْعَذْبِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ السَّيِّدُ عَبْدُ الْكَرِيمِ ابْنُ طَاوُوسٍ صَاحِبُ كِتَابِ (فَرْحَةُ الْغُرَيِّ) وَابْنُ أُخْتِ الْمُحَقِّقِ عَلِيِّ^(٢) بْنُ سَدِيدِ الدِّينِ يُوسُفُ صَاحِبُ كِتَابِ (الْعُدَّةُ الْقَوِيَّةُ)^(٣)، وَالْفَاضِلُ الْأَبِي وَشَرَفُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْوَزِيرِ مُؤَيَّدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلْقَمِيِّ وَزِيرِ الْمُسْتَعَصِمِ الْعَبَّاسِيِّ، وَالشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ حَفُوظٍ [بْنُ] وَشَاحٍ، وَجَمَالُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ حَاتِمِ الشَّامِيِّ صَاحِبُ كِتَابِ (الدَّرُّ النَّظِيمُ فِي مَنَاقِبِ الْأَئِمَّةِ اللَّهَامِيَّةِ)^(٤)، وَغَيْرُهُمْ.

(١) أي: إنَّ من الشعر لحكمة، والحكمة ضالة المؤمن. ينتج: إنَّ بعض الشعر ضالة المؤمن.
(٢) في الأصل (الحسن)، وهو من سبق القلم، ف(الحسن) هو العلامة الحلي، والعدد القويَّة لأخيه (علي). (أحمد الحلي).

(٣) العدد القويَّة لدفع المخاوف اليوميَّة للشيخ رضي الدين علي بن سديد الدين يوسف بن علي ابن المطهر الحلي، توفي في حياة أبيه وكانت ولادته في شوال ٦٣٥هـ، كتاب لطيف في أعمال السنة والأدعية الواردة في كل يوم منها ومواليذ الأئمة، والكتاب مطبوع في مكتبة المرعشي. يُنظر: الذريعة: ٢٣٢/١٥.

(٤) يُنظر: خاتمة المستدرک: ١/٣٧٨، الذريعة: ٨/٨٦.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

وَأَمَّا أَسَاتِدَتُهُ فَأَشْهَرُهُمُ الْفَقِيهَ الْأَجَلُ ابْنُ نَمَا الْحِلِّيُّ، وَالسَّيِّدُ فَخَارُ الدِّينِ بْنُ مَعَدٍ الْمُوسَوِيِّ، وَوَالِدُهُ الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا^(١).

وَفَاتُهُ

انْتَقَلَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ ١٣ ربيع الآخر من سنة ٦٧٦ هـ متأثراً بِرُضُوضِهِ عَلَى إِثْرِ سُقُوطِهِ مِنْ دَرَجِ دَارِهِ فَكَانَتْ وَفَاتُهُ خَسَارَةً عِلْمِيَّةً فَادِحَةً، وَقَدْ وَقَعَ الْخِلَافُ فِي الشَّهْرِ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْحَادِثَةُ الْمُؤْسِفَةُ؛ فَمَنْ قَالَ إِنَّهُ تُوفِّيَ فِي ٢٣ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَمَنْ قَائِلٌ فِي ١٣ ربيع الآخر وَلَمْ يَقَعْ خِلَافٌ فِي الْعَالَمِ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْكَارِثَةُ، وَهَنَّاكَ خِلَافٌ فِي مَوْضِعِ قَبْرِهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ مَدْفُونٌ بِالنَّجَفِ الْأَشْرَفِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ صَاحِبُ كِتَابِ (رَوْضَاتُ الْجَنَّاتِ)^(٢)، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ مَدْفُونٌ فِي مَحَلَّةِ الْجَبَّارِيِّينَ مِنَ الْحِلَّةِ، وَإِنِّي أُرَجِّحُ هَذِهِ الرَّوَايَةَ فَلَا زَالَ قَبْرُهُ فِي الْمَحَلَّةِ الْمَذْكُورَةِ مَائِلًا لِلْعَيَّانِ، وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَزُورَ الْحَلِيُّونَ قَبْرًا لِلْمُحَقِّقِ لَا وَجُودَ لَهُ، وَهُوَ الْآنَ قَائِمٌ، وَعَلَيْهِ قُبَّةٌ مُجَصَّصَةٌ يَتَبَرَّكُ بِهِ النَّاسُ خَلْفًا عَنْ سَلَفٍ وَجِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، وَأَمَّا مَا احْتَمَلَهُ الْفَاضِلُ السَّيِّدُ مُحْسِنُ الْأَمِينِ الْعَامِلِيُّ^(٣) مِنْ إِمْكَانِ دَفْنِهِ بِالْحِلَّةِ؛ ثُمَّ نَقَلَهُ إِلَى النَّجَفِ لِغَرَضٍ جَمَعَهُ بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ الْمُتَعَارِضَتَيْنِ؛ فَإِنَّهُ احْتِمَالٌ لَا يَقُومُ عَلَى أُسَاسٍ مِنَ التَّحْقِيقِ؛ فَإِنَّ مَسْأَلَةَ جَوَازِ نَقْلِ الْمَوْتَى بَعْدَ دَفْنِهِمْ لَا زَالَتْ مَوْضِعَ خِلَافٍ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ، وَأَنَّ الْمُحَقِّقَ مِنَ الْقَائِلِينَ بِعَدَمِ جَوَازِ نَبَشِ الْقَبْرِ لِنَقْلِ الْمَيِّتِ مِنْهُ بَعْدَ دَفْنِهِ كَمَا ذَكَرَهُ هُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ (الشَّرَائِعُ)^(٤)، فَكَيْفَ يَخَالِفُ وَصِيَّهُ وَذَوُوهُ رَأْيُهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ

(١) منهم من ترجم له المصنّف، ومنهم من ستأني ترجمته. يُنظر: موسوعة طبقات الفقهاء: ٥٥ / ٧ - ٥٦.

(٢) ١٤٦ / ١.

(٣) أعيان الشيعة: ٨٩ / ٤ وما بعدها.

(٤) في شرائع الاسلام: ٣٦ / ١ «لا يجوز نبش القبر، ولا نقل الموتى بعد دفنهم، ولا شق الثوب =

القرن الثامن الهجري



الخلافة؟ ولو صح دفنه بالنجف لكان له الآن قبرٌ ومزارٌ معروفٌ قايّن هو؟.

فليس من كان كالمحقق ورثته العلمية ممن يجوز أن يهمل قبره ويجهله الناس حتى يعنى ويضيع أثره، وهذا تلميذ ابن أخيه العلامة قد اعتنت به الشيعة واحتفلت بقبره، ولا يزال قبر العلامة بالنجف مزاراً يتبرك الناس به؛ ولهذا نجزم بدفنه في مسقط رأسه الحلة وبالمحلة المذكورة في شارع يعرف باسمه؛ فيقال: - شارع المحقق - أراد حسين السعد من متصرفي العهد المباد هدمه فانبرت وجماعة من المؤمنين إلى رده بالعنف، ولا نريد أن نذكر سيرة هذا الرجل فهي معروفة للجميع وسيسأله التاريخ على أعماله حساباً عسيراً.

ولنرجع الآن إلى حديثنا عن وفاة المحقق؛ فقد نكبت الحلة بموته وعصفت بالناس عاصفة من الحزن والكآبة وتسابق الشعراء إلى تأبينه وراثته، ومنهم صديقه الوفي الشيخ محفوظ بن وشاح المتوفى سنة ٦٩٠ هـ فقد رثاه بقصيدة جاء فيها:

أقلقني الدهر وفرط الأسى
وراد في قلبي لهيب الضرام
لفقد بحر العلم والمرضى
في القول والفعل وفصل الخصام
أعني أبا القاسم شمس العلى
الماجد المقدام ليث الزحام
أزمة الدين بتدبيره
منظومة أحسن بذاك النظام
قد أوضح الدين بتصنيفه
من بعد ما كان شديد الظلام

= على غير الأب والأخ.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْخَلْتَيْنِ

بَعْدَكَ أَضْحَى النَّاسُ فِي حَيْرَةٍ
عَالَمُهُمْ مَشْتَبَةٌ بِالْعَوَامِ
لَوْلَا الَّذِي بُيِّنَ فِي كِتَابِهِ
لَأَشْرَفَ الدِّينُ عَلَى الْأَصْطِلَامِ^(١)

وَمِنْهَا:

قَدْ قُلْتُ لِلْقَبْرِ الَّذِي ضَمَّهُ كَيْفَ حَوَيْتَ الْبَحْرَ وَالْبَحْرُ طَامٌ؟
عَلَيْكَ مِنِّي مَا حَادَا سَائِقُ أَوْ غَرَدَ الْقُمْرِيُّ أَلْفَا سَلَامٌ
وَفِي كِتَابِ (نَجْبَةُ الْمَقَالِ) بَيَّتَانِ تَضَمَّنَا تَارِيخَ مَوْلِدِهِ وَبَيَانَ سِنِيِّ وَفَاتِهِ، وَهُمَا مِنْ
بَحْرِ الرَّجَزِ وَإِلَيْكُمَا:

ثُمَّ أَبُو الْقَاسِمِ نَجْمُ الدِّينِ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ نَجِيبِ الدِّينِ
هُوَ الْمُحَقِّقُ الْجَلِيلُ الْمُعْتَمَدُ مَوْلِدُهُ - تَبْرُ - وَعُمُرُهُ (نَكَدُ)^(٢)
وَالْبَيَّتَانِ مِيتَانِ، وَهُمَا مَجْرَدُ نَظْمٍ مَرْصُوفٍ فُجْمَلَةٌ: (ابْنُ الْحَسَنِ) يَجِبُ تَسْكِينُهَا
لِاسْتِقَامَةِ الْوَزْنِ، وَلَكِنَّهَا تَخَالِفُ اسْتِقَامَةَ الْعَرَبِيَّةِ، وَإِذَا كَسَرْنَا آخِرَ النَّوْنِ اسْتَقَامَتِ الْجُمْلَةُ
عَرَبِيَّةً، وَاخْتَلَّ الشِّعْرُ وَلَيْسَ هُنَاكَ ضَرُورَةُ شِعْرِيَّةٍ تُسَوِّغُ لَهُ هَذَا الْاسْتِعْمَالَ الْخَاطِئَ،
كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: (مَوْلِدُهُ تَبْرُ) يُسَاوِي بِحِسَابِ الْجُمْلِ (٦٠٢) فَإِذَا أُضِيفَتْ حُرُوفُهُ تَكُونُ
وَفَاتُهُ أَيْ سَنَةِ (٦٧٦) وَلَكِنَّ لَفْظَةً: (نَكَدُ) كُلُّهَا قُبْحٌ وَنَكَدٌ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ: (جَمَالٌ)
مَثَلًا عَوَضًا عَنْهَا كَمَا أَنَّ: (مَوْلِدُهُ تَبْرُ) لَيْسَتْ جَيِّدَةً، وَلَكِنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ أُخْتِهَا عَلَى كُلِّ
حَالٍ.

(١) أخطأ يعقوبي حين حرَّفها إلى (الاصطدام)، وإنَّما هو الاصطلام، بمعنى القطع والاستئصال،

ولا معنى للاصطدام (المؤلف)، ويُنظر: البابليَّات.

(٢) انظر: الصحيفة: ٦٥.

القرن الثامن الهجري

[٤٨]. آية الله العلامة الحلي (٦٤٨-٧٢٦هـ)^(١)

آية الله العظمى، وحجته الكبرى أبو منصور، الحسن بن سديد الدين يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الأسدي.

هو ذلك الكوكب الوقاد الدائر في الفلك الثقافي، أرسل أشعته العلمية إلى كل الجهات، وإلى كل العصور.

العلامة الحلي رسام بارع، وما تصانيفه سوى لوحات فنية رائعة زانها الانسجام، وتناسق الألوان.

هو قبس مشع من العلم والحكمة أنارت أضواؤه دُرُوب الحياة، وطُرق العلم والعرفان.

هو بحر خضم من المعرفة يقذف على شواطئه دُرر العلم الثمين بلا ثمن فتزدان بها القلوب لا النحور، والأذهان لا التيجان.

حجة من أعظم حجج الإسلام، دمث الأخلاق، كريم المنبت، محبوب السجايا، لطيف العشرة، كامل الأوصاف.

(١) في ترجمته ينظر: رجال ابن داود: ١١٩ الرقم ٤٦١، رجال العلامة الحلي: ٤٥ الرقم ٥٢، الوافي بالوفيات: ١٣/ ٨٥ الرقم ٧٩، مرآة الجنان: ٤/ ٢٧٦، لسان الميزان: ١٧/ ٢ الرقم ١٢٩٥، الدرر الكامنة: ٢/ ٧١ الرقم ١٦١٨، النجوم الزاهرة: ٩/ ٢٦٧، نقد الرجال: ٩٩ الرقم ١٧٥، مجالس المؤمنين: ١/ ٥٧٠، كشف الظنون: ١/ ٣٤٦، جامع الرواة: ١/ ٢٣٠، أمل الآمل: ٢/ ٨١ الرقم ٢٢٤، رياض العلماء: ١/ ٣٥٨، لؤلؤة البحرين: ٢١٠ الرقم ٨٢، منتهى المقال: ٢/ ٤٧٥ الرقم ٨٣١، روضات الجنات: ٢/ ٢٦٩ الرقم ١٩٨، إيضاح المكنون: ٢/ ١٤٢، هدية العارفين: ١/ ٢٨٤، تنقيح المقال: ١/ ٣١٤ الرقم ٢٧٩٤، أعيان الشيعة: ٥/ ٣٩٦، الكنى والألقاب: ٢/ ٤٧٧، هدية الأحاب: ٢٠١، الفوائد الرضوية: ١٢٦، طبقات أعلام الشيعة: ٣/ ٥٢، الذريعة: ١/ ١٧٥ الرقم ٨٩٧، مصفى المقال: ١٣١، الأعلام: ٢/ ٢٢٧، معجم رجال الحديث: ٥/ ١٥٧ الرقم ٣٢٠٤، معجم المؤلفين: ٣/ ٣٠٣، موسوعة الفقهاء: ٨/ ٧٧-٨٢.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفِكْرِي فِي الْحِلَّةِ

حَارِسٌ أَمِينٌ لِلثَّقَافَةِ، وَالدِّينِ تَفَانِي فِي حِمَايَتِهَا بِكُلِّ دَقَّةٍ وَكَفَافَةٍ، وَإِخْلَاصٍ، وَأَوْصَلَهَا بِكُلِّ أَمَانَةٍ إِلَى هَذَا الْجِيلِ، وَسَيُوصِلُهَا إِلَى الْأَجْيَالِ الْمُقْبِلَةِ.

قِيَمٌ كَفُوءٌ، عَلَى ثَرَاتِنَا الْإِسْلَامِيِّ لَمْ يُفَرِّطْ فِيهِ بِقَلِيلٍ وَلَا بِكَثِيرٍ؛ وَلَوْ لَا تَصَانِيفُهُ لَصَاعَ جَانِبٌ كَبِيرٌ مِنْ ذَلِكَ الْمِيرَاثِ، فَخَلَّدَ اسْمَ الْحِلَّةِ بِمَآثِرِهِ الْجَلِيلَةِ وَأَعْمَالِهِ الْعَظِيمَةِ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَطَاعَ أَنْ يُمِيطَ اللَّثَامَ عَنْ وَجْهِ الشَّيْعَةِ النَّاصِعِ، وَيُمَزِّقَ تِلْكَ الْحُجُبَ الْكَثِيفَةَ الَّتِي تَمَّ صَنْعُهَا بِمَعَامِلِ الْجَهْلِ وَالْعَصْبِيَّةِ وَالتَّقْلِيدِ الْأَعْمَى حَتَّى لَمْ تُعَدِّ تِلْكَ الْحُجُبُ الْمَهْلَهْلَةُ عَلَى سِتْرِ الْحَقِّدِ اللَّئِيمِ أَوْ إِخْفَاءِ نُورِ الْحَقِّ الْوَضَّاحِ.

بَطْلٌ مِغْوَارٌ، كَأَنْجَحَ قَائِدٍ كَسَبَ الْمَعْرَكَةَ فِي الصَّرَاعِ الطَّائِفِيِّ فَاسْتَسْلَمَتْ لَهُ عِلْمَاءُ إِيْرَانِ، وَرَفَعَ عِلْمَ الشَّيْعَةِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ يُرْفَرُ إِلَى الْآنِ^(١).

إِنَّ التَّارِيخَ الْإِسْلَامِيَّ لِيَفْتَخِرُ بِهَذَا الْجُهْدِ الْفَذِّ الَّذِي احْتَفَظَ بِمُسْتَوًى رَفِيعٍ جَدًّا مِنْ التَّفَكِيرِ الرَّصِينِ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ الْغَزِيرِ فَهُوَ الَّذِي بَدَرَ بُدُورَ الْإِصْلَاحِ فِي تَرْبَةِ الْفِكْرِ الْخَصْبَةِ وَسَقَاها مِنْ فَيْضِ آرَائِهِ السَّيِّدِيَّةِ، وَتَعَهَّدَ نَبْتَهَا بِالرَّعَايَةِ وَالْعِنَايَةِ، فَشَاهَدَ بِنَفْسِهِ تَطَوُّرَ نَمُوِّ تِلْكَ الْبُدُورِ، مِنْ دَوْرِ الْبَذَرَةِ إِلَى دَوْرِ التَّكَامُلِ وَالنُّضُوجِ، وَجَنَى الثَّمَرَ فَفَازَ مِنْ بَابِ الْمُكَافَأَةِ عَلَى جُھُودِهِ الْجَبَّارَةِ بِلَقَبِ (الْعَلَامَةِ) وَ(صَاحِبِ الْجَلَالَةِ)^(٢)؛ وَهُمَا لِقَبَانِ عَظِيمَانِ يَلِيقَانِ بِهَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْجَدَّابَةِ، فَإِذَا قِيلَ (الْعَلَامَةُ) عَلَى الْإِطْلَاقِ لَمْ تَجِدْ مَنْ يُنَازِعُهُ فِي هَذَا اللَّقَبِ الصَّخْمِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَا غَرَابَةٌ فَهُوَ ﷺ أَعْجُوبَةٌ مِنْ أَعَاجِبِ الدَّهْرِ، وَمُعْجَزَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِ الزَّمَانِ، عَقْلِيَّةٌ نَاصِجَةٌ جَبَّارَةٌ، وَذَكَاءٌ مُتَوَقِّدٌ مُسْتَنِيرٌ، وَشَجَاعَةٌ نَادِرَةٌ، وَجُرْأَةٌ عَجَبِيَّةٌ، وَاطِّلَاعٌ مَدْهَشٌ غَرِيبٌ، وَثِقَافَةٌ عَامَّةٌ مَرْكَزَةٌ شَامِلَةٌ، وَأَخْلَاقٌ عَالِيَةٌ رَفِيعَةٌ، وَمُنَبَّتٌ عَرَبِيٌّ كَرِيمٌ، وَبَيْئَةٌ خَصْبَةٌ صَالِحَةٌ، وَحُيْطٌ إِسْلَامِيٌّ

(١) يُنْظَرُ: خاتمة المستدرک: ٢/ ٣٥٧، ٤٠٣.

(٢) لم أَعثر على مصدر يذكر هذا اللقب.

القرن الثامن الهجري

شيعي سليم، هزم بمفرده علماء فارس وجهابدتهم وفيهم أمثال صاحب كتاب (مرآة العين)؛ فكانت هزيمتهم في ميدان الجدل العلمي سبباً رئيساً لانتشار التشيع في إيران، وهذه من بعض مفاخره، وعلى هذا فقس ما سواها^(١).

إن العلامة الحلي، هو ذلك الصوت المذوي المجلجل الذي انطلق فدهش الناس، وسمعه حتى الصم فأكبروه طوعاً أو كرهاً حتى أصبحت راية الإسلام الصحيح بيمينه عالية خفاقة تُرفرف حتى على البلاط الإيراني والعرش المغولي^(٢) فتفتيات بأفياثها الوارفة الملايين ممن رفعوا عن أعينهم عصاة العصبية من شتى الأجناس، وفي مختلف العصور.

إن تاريخ العلامة، على الإجمال صفحات مشرقة وصيئة نقية، من صفحات الفخر العربي والإسلامي في خزانة الخلود، جادت به العناية المبدعة؛ لتجديد ما اندرس من الإسلام فخليق به قولي الآن:

هو حقاً علامة الدهر، فيه زيد قدر الإسلام رفعة شان
فإذا ما ادعى العلى صدقته من رفيع العلى شهود عيان
والدعاوى إن لم يقيموا عليها بينات، نوع من الهديان
إن من يدعي بما ليس فيه كذبت شواهد الامتحان
إنه علامة؛ ولكن ليس من طراز (علامات) زماننا المزيفة تلك العلامات التي

(١) يُنظر: تفاصيل هذه الحادثة في: روضات الجنات: ٢/ ٢٧٩.

(٢) وهو محمد بن أرغون بن أبغا بن هلاكو بن توني بن جنكزخان المغولي، السلطان غياث الدين المعروف ب: خدابنده، ومعناه بالعربية عبد الله، ملك العراق وخراسان وأذربيجان، ولد سنة نيف وسبعين وستائة، كان على مذهب العامة فتشيع، وكان يحب العمارة، أنشأ مدينة جديدة بأذربيجان سماها السلطانية، توفي سنة ٧١٦ هـ. يُنظر: الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني:

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتَيْنِ

لا تَمْلِكُ مِنَ الْعِلْمِ شَرْوَى نَقِيرٍ، ثُمَّ يَدْعُونَ إِفْكَاً وَزُوراً (أَنَّ فِي رُؤُوسِهِمُ الصَّغِيرَةَ الْحَقِيرَةَ عِلْمُ ابْنِ سِينَا وَالْغَزَالِيِّ، وَإِبْلِيسَ، وَفِي قُلُوبِهِمُ الْمَرِيضَةَ، رِفْقَ الْمَسِيحِ، وَفِي صُدُورِهِمُ الضَّيْقَةَ الْحَاقِدَةَ عَزِيمَةَ أَحَدٍ)^(١)، بِالْوَقْتِ الَّذِي نَرَى هَذَا الْعَلَامَةَ الْمَرْعُومَ يَجْهَلُ مَا يَعْرِفُهُ حَتَّى الْعَوَامِ مِنَ الْعَقِيدَةِ، وَمِنْ هُنَا يَتَّضِحُ الْفَرْقُ الْكَبِيرُ الشَّاسِعُ بَيْنَ الْعَلَامَةِ الْحَلِّيِّ وَهَذَا النَّوعِ مِنَ الْعَلَامَاتِ الَّتِي تَصْنَعُهَا مَعَامِلُ النَّجَفِ الْأَشْرَفِ بِضَاعَةً مَرْجَاةً لَنْ يَكُونَ ثَمْنُهَا سِوَى الْأَسْفِ الشَّدِيدِ، وَأَيْنَ هُوَ نَظِيرُ الْعَلَامَةِ؟ وَهَذِهِ مَوْلَفَاتُ الْعَلَامَةِ وَمَصْنَفَاتِهِ الْكَثِيرَةُ تَعَكِّسُ لَكَ سُمُومَ نَفْسِهِ وَصَحَّةَ تَفْكِيرِهِ، وَتَعْطِيكَ انْطِبَاعاً عَنْ مَدَى ثِقَافَتِهِ الضَّخْمَةِ الْوَاسِعَةِ، وَعَنْ أَخْلَاقِهِ وَأَسْلُوبِ بَحْثِهِ وَمُنَاطَرَاتِهِ؛ فَأَنْتَ حِينَ تَقْرَأُ تِلْكَ الدَّخَائِرَ الْغَالِيَةَ تَنْدَهَشُ لِدَقَّةِ الْمُلَاحَظَةِ وَرَفْعَةِ الْأَسْلُوبِ وَسِحْرِ الْبَيَانِ وَعُمُقِ الْفِكْرِ وَحُسْنِ الْعَرْضِ وَلُطْفِ الْإِشَارَةِ وَسَلَامَةِ الْحُجَّةِ وَقُوَّةِ الْبُرْهَانِ وَلَا غَرَابَةَ فَلِلْعَلَامَةِ اِطْلَاعٌ وَاسِعٌ عَلَى آرَاءِ فُقَهَاءِ الْإِسْلَامِ وَالنَّظَرِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُتَبَايِنَةِ لِمُخْتَلَفِ الْعَقَائِدِ وَالْاِتِّجَاهَاتِ، فَيَسْتَوْعِبُ ذَهْنُهُ النَّيِّرُ الْمَسْأَلَةَ وَأَدْلَتَهَا؛ ثُمَّ يَقِفُ مِنْهَا مَوْقِفَ التَّعْضِيدِ أَوْ التَّنْفِيدِ حَسَبَ مَا يَتَوَفَّرُ لَهُ مِنَ الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ، وَلَهُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ جَوْلَاتٌ نَاجِحَةٌ وَصَوَلَاتٌ، وَلَمْ تَكُنْ مَعْرِفَتُهُ بِعِلْمِ الْكَلَامِ وَالْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَقَلَّ شَأْنًا، وَأَضْيَقَ مَسَاحَةً مِنْ اِطْلَاعِهِ عَلَى عِلْمِ الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ أَوْ الْحَدِيثِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْعُلُومِ الْأُخْرَى وَإِنْ كَانَ بَرُوزُهُ وَاسْتِهَارُهُ فِي عِلْمِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِهَارِهِ فِي سِوَاهُمَا، وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي تَوَهُُّمِ جَمَاعَةٍ مِنْ غَيْرِ الْمُحَقِّقِينَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُ فِي عِلْمِ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ أَرْسَخَ قَدَمًا مِنْ غَيْرِهِمَا كَعِلْمِ الْكَلَامِ وَالْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالطَّبِيعَةِ، ثُمَّ أَحَالُونَا عَلَى كُتُبِهِ كَشَاهِدٍ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَى الزَّائِفَةِ، وَقَدْ رَاجَعْنَا كُتُبَهُ فَأَلْفَيْنَا عَلَى نَقِيضِ مَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ، فَشَرَحُ التَّجْرِيدِ^(٢) وَحَدُّهُ يَكْفِي فِي رَدِّ تِلْكَ

(١) إِنَّمَا وَضَعَ السَّيِّدُ الْمُصَنِّفُ هَذَا الْكَلَامَ بَيْنَ هَالَيْنِ () لِتَأْكِيدِ أَهْمِيَّتِهِ، وَلَيْسَ نَقْلًا عَنْ

مصدر.

(٢) كَشَفَ الْمُرَادِي فِي شَرْحِ تَجْرِيدِ الْاِعْتِقَادِ، لِلشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي مَنْصُورِ الْحَسَنِ بْنِ سَدِيدِ الدِّينِ =

القرن الثامن الهجري

الدَّعْوَى اللَّيْمَةَ الْمُغْرِضَةَ وَتَفْنِيدَهَا، وَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ يُشَبِّهُ الْمُتَنَاقِضَ فَهُوَ صَرِيحٌ بِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَعَاظِمِ الْفُقَهَاءِ وَالْحَقَّاطِ وَعُلَمَاءِ الْكَلَامِ، وَهَذَا لَا يَصُحُّ مَعَ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْحِكْمَةِ دُونَ مَقَامِهِ فِي عِلْمِ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ؛ فَقَدْ جَمَعَ الْمَدْحَ وَالذَّمَّ فَاعْتَبَرَهُ مِنْ أَعَاظِمِ عُلَمَاءِ عِلْمِ الْكَلَامِ كَمَا اعْتَبَرَهُ مِنْ أَعَاظِمِ الْفُقَهَاءِ فَسَاوَى بَيْنَهُمَا فِي إِدْرَاكِهِ الْعِلْمِيِّ؛ ثُمَّ زَعَمَ هَذَا الْقَائِلُ إِنَّهُ فِيهِمَا أَقْلٌ شَأْوًا كَأَنَّهُ بَدْرَجَةِ الْعَلَامَةِ أَوْ أَعْلَى مِنْهُ فَنَظَرِي فِي أَوْرَاقِ امْتِحَانِهِ وَأَعْطَاهُ الدَّرَجَةَ الِامْتِحَانِيَّةَ، وَلَا نَعْلَمُ هَلْ أَنَّ الْعَلَامَةَ رَسَبَ فِي هَذَيْنِ الدَّرَسَيْنِ؟ أَمْ كَانَ مُكْمَلًا؟ أَمْ نَجَحَ نَجَاحًا بَسِيطًا؟ إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ يَجِبُ أَنْ يَتَدَبَّرَهَا قَائِلُهَا، وَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ حَدَّهُ، وَوَقَفَ عِنْدَهُ، وَلَا يَجْعَلُ مِنْ نَفْسِهِ حَكَمًا بَيْنَ عُلُومِ الْعَلَامَةِ، وَهُوَ لَمْ يَسْتَوْعِبْ تِلْكَ الْعُلُومَ، وَلَمْ يَبْلُغْ تِلْكَ الدَّرَجَةَ؛ فَكُلُّ مَا ادَّعَاهُ شَيْخُ الشُّوعَيْنِ^(١) الْمُخْتَرَمُ لَمْ يَعِضْهُ دَلِيلٌ؛ بَلْ أَرْسَلَ الْقَوْلَ إِزْسَالَ الْمُسَلِّمَاتِ، وَهَدَفَهُ الْحَطُّ مِنْ كَرَامَةِ الْعَلَامَةِ الْحَلِّيِّ كَمَا فَعَلَ مَعَ الْمُحَقِّقِ الْحَلِّيِّ فِي قِصَّةِ الشَّعْرِ؛ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْلَحْ وَلَمْ يَبْلُغْ قَصْدَهُ؛ فَمُؤَلَّفَاتُ الْعَلَامَةِ وَأَثَارُهُ، كُلُّهَا دُرٌّ نَفِيسَةٌ مِنْ بَحْرِ خَضَمٍ تَشْهَدُ بِعَظَمَتِهِ وَإِنْ كَرِهَ الْمَغْرِضُونَ الَّذِينَ حَاوَلُوا أَنْ يَتَفَلَسَفُوا فَرَعِمُوا مَا أَرَادُوا مِنَ الزَّعْمِ الْبَاطِلِ، وَهُمْ صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ، فَصِنْفٌ يَدْفَعُهُمُ الْجَهْلُ الْمُطْبِقُ إِلَى هَذِهِ الْعِمَايَةِ، وَصِنْفٌ يَقُودُهُمُ الْحَقْدُ إِلَى مَتَاهَةِ الْأَرَاءِ، وَمَا جُهِدَ الْحِيلَةُ مَعَ الْحَقْدِ؟ وَمَا هُوَ أَثَرُ الْبُرْهَانِ مَعَ الْجَهْلِ؟.

وَقَدْ قَالَ الْعَالِمُ الْفَاضِلُ السَّيِّدُ مُحْسِنُ الْأَمِينِ الْعَامِلِيُّ فِي كِتَابِهِ (أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ): «أَمَّا فِي الْحِكْمَةِ فَقَدْ كَانَ بَارِزًا^(٢) فَنَاقَشَ الْحُكَمَاءَ فِي زَمَانِهِ، وَغَيْرَ زَمَانِهِ، وَأُورِدَ عَلَيْهِمُ

=يوسف ابن المطهر الحلي المتوفى ٧٢٦هـ، وهو شرح بالقول، وقال في (كشف الحجب) أوله: «الحمد لله الظاهر سلطانه العظيم شأنه الواضح برهانه...»، وهو أول شروحه، الذي اعترف الشيخ شمس الدين الأصفهاني في شرحه المعروف بـ: القديم، بأن العلامة أول من شرحه، ولولا شرحه لما شرح هذا المتن. يُنظر: الذريعة: ١٨ / ٦٠، كشف الحجب: ٤٦٩.

(١) يُراجع ما كتبه الماشطة في مختصر تاريخ الحلة.

(٢) هذه العبارة وما قبلها ليست في أعيان الشيعة، وفيه «وبرع في الحكمة العقلية حتى أنه باحث=

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحِلَّةِ

إِشْكَالَاتٍ، وَنَاقَشَ النَّصِيرَ الطُّوسِيَّ وَالرَّئِيسَ ابْنَ سِينَا وَخَطَّاهُ، وَأَلَفَ فِي عِلْمِ أَصُولِ الدِّينِ وَفَنِّ الْمُنَاطَرَةِ، وَالْجَدَلِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ، وَمِنْ الطَّبِيعِيَّاتِ، وَالْإِلَهِيَّاتِ، وَالْحِكْمَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْمَنْطِقِ، كَمَا أَلَفَ فِي الرَّدِّ عَلَى الْخُصُومِ وَالْإِجْتِاجِ^(١) إلخ.

وَهَذَا يَكْنِي صَفْعَةً لِلْمُتَرَمِّتِينَ الْجَهْلَةَ، وَيَكْنِي فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ اعْتِرَافَ الْفَيْلَسُوفِ الْإِسْلَامِيِّ الْكَبِيرِ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ الَّذِي وَصَفَ الْعَلَامَةَ وَهُوَ لَمْ يَتَخَطَّ دَوْرَ الشَّبَابِ، بِالْمَهَارَةِ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالتَّحْقِيقِ، وَفِي عِلْمِ الْحِكْمَةِ فَهَلْ لِقَوْلِ الْمُغْرَضِينَ مِنْ قِيَمَةٍ بَعْدَ شَهَادَةِ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ وَالْعَامِلِيِّ وَأَمْثَلِهِمَا مِنْ أَسَاطِينِ الْعُلَمَاءِ^(٢)؟

وَقَدْ أَلَفَ فِي عِلْمِ الْحِكْمَةِ وَحَدَّثَهَا سَبْعَةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا؛ مِنْهَا: شَرْحُ الشِّفَاءِ لِابْنِ سِينَا، وَشَرْحُ إِشَارَاتِهِ وَغَيْرِهِمَا، وَإِذَا نَظَرْنَا فِي نَتَاجِ عَالَمِ الشُّيُوعِيِّينَ لَمْ نَجِدْهُ سِوَى جَمْعِ آرَاءٍ مَنْ تَقَدَّمَ، ثُمَّ يَعْمَدُ إِلَى نَشْرِهَا دُونَ تَحْقِيقِ وَتَمْحِصِ وَلَيْسَ لَهُ رَأْيٌ بَيْنَهَا؛ أَمَّا كِتَابُهُ فِي الْأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ فَلَيْسَ لَهُ وَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنَ الرِّسَالِ الْعَمَلِيَّةِ وَلَمْ يُبَدِّلْ إِلَّا كَلِمَةً وَاحِدَةً فَجَعَلَ بَدَلَ كَلِمَةِ (الْمَسْأَلَةِ) (الْمَادَّةَ) وَحَتَّى بَعْضُهَا أَخَذَهُ بِعَيْنِ الْفَاطِظِ كَمَا سَنُوضِّحُهُ فِي كِتَابِنَا (الْحِلَّةُ بَيْنَ الْحَاضِرِ وَالْمَاضِي) وَلَا أَدْرِي كَيْفَ سَهَا فِي كِتَابِهِ مَا هُوَ مَنْشُورٌ فِي [مَجَلَّةِ] التَّوْحِيدِ؛ فَقَالَ: «مِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ الْأَصُولِيِّينَ خَرَجُوا عَلَى صَاحِبِ التَّرْجَمَةِ - الْعَلَامَةِ - مَا يُعِينُ الْإِخْبَارِيِّينَ فِي ادِّعَائِهِمْ عَلَيْهِ الْأَسْتِعْجَالَ فِي التَّصَانِيفِ، وَأَمَّا تَصَانِيفُهُ كُلُّهَا جُمِعَتْ مِنْ كُتُبٍ مَنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّيْعَةِ مِنْ دُونَ تَحْقِيقِ»^(٣).

=الحكماء السابقين في مؤلفاته وأورد عليهم.

(١) أعيان الشيعة: ٣٩٦/٥.

(٢) يُنظر: أعيان الشيعة: ٣٩٦/٥ «وجاء المترجم له في ركاب النصير من الحلة إلى بغداد فسأله في الطريق عن اثنتي عشرة مسألة من مشكلات العلوم إحداها انتفاض حدود الدلالات بعضها ببعض».

(٣) العدد الرابع، الصحيفة ٦، الصادر في ٣٠ نيسان ١٩٤٦.

القرن الثامن الهجري

فَهَذَا الْكَلَامُ هُوَ الَّذِي وَرَدَ مِنْ دُونِ تَحْقِيقٍ؛ فَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا مِنَ الْعُقَلَاءِ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ سِوَى أَهْلِ الْعَقَائِدِ الْمَعْرُوفَةِ، وَلَوْ كَانَ هُنَاكَ قَائِلٌ لِأَسْرَعَ هَذَا الرَّجُلُ الْمَرِيضُ إِلَى ذِكْرِ اسْمِهِ، وَالْكِتَابُ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ الْقَوْلُ تَعْضِيدًا لِهَذِهِ الدَّعْوَى الرَّائِفَةِ.

رَأْيُ صَاحِبِ الرِّيَاضِ

لَقَدْ اِنْدَهَشَ الْمُتَرْجِمُونَ بِسِيرَةِ الْعَلَامَةِ الْمُعْطَرَّةِ، وَمَا حَوَاهُ مِنْ غَزَارَةِ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالسَّجَايَا الْفَاضِلَةِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ صَاحِبُ كِتَابِ (رِیَاضُ الْعُلَمَاءِ)؛ فَقَدْ قَالَ أَثْنَاءَ تَرْجُمَتِهِ أَنَّ الْعَلَامَةَ هُوَ: «الإمام الهمام، العالمُ العامِلُ، الفاضلُ الكاملُ، الشاعرُ الماهرُ، علامَةُ العلماءِ، وفَهَامَةُ الفضلاءِ، أَسْتَاذُ الدُّنْيَا، الْمَعْرُوفُ فِيهَا بَيْنَ الْأَصْحَابِ بِالْعَلَامَةِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَالْمَوْصُوفُ بِغَايَةِ الْعِلْمِ، وَنَهَايَةِ الْفَهْمِ وَالْكَمَالِ فِي الْإِفَاقِ، وَكَانَ ابْنُ أُخْتِ الْمُحَقِّقِ، وَكَانَ ﷺ آيَةُ اللَّهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، وَلَهُ حُقُوقٌ عَظِيمَةٌ عَلَى زُمْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ، وَالطَّائِفَةِ الْحَقَّةِ الشَّيْعَةِ الْاِثْنِي عَشَرِيَّةِ، لِسَانًا وَبَيَانًا وَتَأْلِيفًا، وَقَدْ كَانَ ﷺ جَامِعًا لِأَنْوَاعِ الْعُلُومِ مُصَنِّفًا فِي أَقْسَامِهَا، حَكِيمًا، مُتَكَلِّمًا، فَقِيهًا، مُحَدِّثًا، أَصُولِيًّا، أَدِيبًا، شَاعِرًا، مَاهِرًا، وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَشْعَارِهِ بِبَلَدَةِ (أَرْدَبِيلِ) (١) وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى جَوْدَةِ طَبْعِهِ فِي أَنْوَاعِ النَّظْمِ أَيْضًا، وَكَانَ وَافِرَ التَّصْنِيفِ كَثِيرَ التَّأْلِيفِ، أَخَذَ وَاسْتَفَادَ عَنْ جَمِّ غَفِيرٍ مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ، مِنْ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَأَفَادَ وَأَجَادَ عَلَى جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنْ فَضْلَاءِ دَهْرِهِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ أَيْضًا، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ إِجَازَاتِ عُلَمَاءِ الطَّرِيقَيْنِ، قَدْ قَرَأَ فِي مَبْدَأِ حَالِهِ عَلَى وَالِدِهِ سَدِيدِ الدِّينِ يُوسُفَ؛ ثُمَّ عَلَى خَالِهِ الْمُحَقِّقِ الْحِلِّيِّ صَاحِبِ الشَّرَائِعِ، وَعَلَى الْمُحَقِّقِ الطُّوسِيِّ فِي الْعَقَلِيَّاتِ وَالرِّيَاضَةِ وَنَحْوِهَا، وَعَلَى كِمَالِ الدِّينِ مِثْمَ بْنِ عَلِيٍّ الْبَحْرَانِيِّ، وَعَلَى السَّيِّدِ جَمَالِ الدِّينِ أَحْمَدَ ابْنِ طَاوُوسٍ، وَعَلَى جَمَاعَةٍ آخَرِينَ أَيْضًا، مَاتَ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً - إِلَى أَنْ قَالَ - وَمِنَ الْغَرَائِبِ مَا نُقِلَ أَنَّهُ كَانَ فِي عَصْرِ الْعَلَامَةِ أَوْ غَيْرِهِ (٤٤٠) مُجْتَهِدًا فِي

(١) فِي الْمَطْبُوعِ (أَرِبِيلَ)، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ. رَاجِعْ نَصَّ الرِّیَاضِ. وَمِنْ ثَمَّ أَيْنَ هُوَ مِنْ أَرِبِيلَ؟؟!!.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْخِلَافَةِ

عَصْرٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ كَانَ الْعَلَّامَةُ هُوَ الْبَاعِثُ الْقَوِيُّ لِتَشْيِيعِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ أُولَجَائِيُو خَانَ بْنِ أَبَا قَاخَانَ بْنِ تُونِي خَانَ بْنِ جَنْكِيَزْ خَانَ؛ وَقَدْ غَيَّرَهُ السُّلْطَانُ الْمَذْكُورُ بِسَبَبِ الْعَلَّامَةِ، السَّكَّةِ وَالْخُطْبَةِ وَذَلِكَ سَنَةَ ٧٠٨ هـ، وَبَعْدَ أَنْ مَضَى مِنْ سُلْطَنِيَّتِهِ خَمْسُ سِنِينَ؛ فَأَدْخَلَ أَسَامِي الْأَئِمَّةِ عليه السلام فِي الْخُطْبَةِ وَالسَّكَّةِ، وَهُوَ فَرِيدُ عَصْرِهِ وَنَابِغَةُ الدَّهْرِ، لَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فِي الْعُلُومِ الْمُخْتَلَفَةِ مَا لَمْ يَشْتَهَرْ عَنْ غَيْرِهِ سِوَا فِي الْأُصُولِ الْإِلَهِيَّةِ فَإِنَّهُ قَدْ نَالَ فِيهَا الْغَايَةَ وَتَجَاوَزَ النِّهَايَةَ^(١)، وَلَهُ فِي الْفِقْهِ وَالتَّدْرِيسِ كُلِّ كِتَابٍ نَفْسٍ أَكْبَرُهَا التَّذْكِرَةُ، وَأَصْغَرُهَا التَّبَصُّرَةُ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ كَالْتَلْخِصِ، وَالْإِرْشَادِ، وَالتَّحْرِيرِ، وَالْقَوَاعِدِ، وَمُنْتَهَى الْمَطْلَبِ، وَمُخْتَلَفِ الشَّيْعَةِ، وَلَهُ فِي مَعْرِفَةِ الرِّجَالِ كِتَابَانِ، وَلَهُ فِي الْحَدِيثِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَسَائِرِ الْعُلُومِ كُتُبٌ - إِلَى أَنْ قَالَ -: وَكَانَتْ وَفَاةُ الْعَلَّامَةِ وَوَفَاةُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ خُذَابْنَدَهَ الْمَلَقَّبِ أُولَجَائِيُو فِي سَنَةِ وَاحِدَةٍ، فَالسُّلْطَانُ مَاتَ فِي رَمَضَانَ نَهَارِ الْحَمِيسِ بِبَلَدَةِ سُلْطَانِيَّةِ سَنَةَ ٧١٦ هـ، وَتُوِّفِيَ الْعَلَّامَةُ سَنَةَ ٧٢٦ هـ^(٢) انْتَهَى.

وَأَرَى سَهْوًا فَاحِشًا فِي قَوْلِهِ بِأَنَّ الْعَلَّامَةَ وَخُذَابْنَدَهَ مَاتَا فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ بَعْدَ أَنْ قَالَ إِنَّ الْأَوَّلَ مَاتَ سَنَةَ ٧٢٦ هـ، وَالثَّانِي مَاتَ سَنَةَ (٧١٦ هـ) فَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا عَشْرُ سِنِينَ؛ فَلَا بَدَّ مِنْ خَطَأٍ فِي التَّارِيخِ؛ فَإِنَّ وَفَاةَ السُّلْطَانِ كَانَتْ سَنَةَ ٧٢٦ هـ، وَلَيْسَ فِي سَنَةِ ٧١٦ هـ، وَلَعَلَّهُ مِنْ غَلَطِ الطَّبَعِ لَا الطَّبَعِ^(٣)، وَقَدْ أَوْرَدَ صَاحِبُ النُّخْبَةِ^(٤) بَيِّنَاتٍ فِي تَارِيخِ وَلَا دَيْتِهِ الْمُبَارَكَةِ مَعَ بَيَانِ مِقْدَارِ عُمرِهِ الْمَيِّمُونِ، وَهُمَا:

(١) أَظُنُّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: (العلوم الإلهية)، كما لا أرى من معنى لقوله: (تجاوز النهاية)، إلا بالتأويلات البعيدة، فمعنى النهاية عدم وجود شيء. (المؤلف).

أقول: لا مانع من قول صاحب الرياض؛ فهذا أمر مشتهر بين أهل العلم: فلان بلغ النهاية أو المنتهى في كذا علمًا، وكذا مسألة وكذا تحقيقًا.

(٢) رياض العلماء: ١/ ٣٥٨ وما بعدها.

(٣) يقصد أنه غلط طباعي.

(٤) نخبة المقال، للسيد حسين البروجردي، نقلها عنه: القمّي في الكنى والألقاب: ٢/ ٤٨٠.

القرن الثامن الهجري

وآية الله أبو يوسف الحسن سبط مطهر فريدة الزمن
علامة العصر جليل قدره ولد - رحمه - و (عز) عمره
وفيها سهو في بيان عمره، وهو نقصانه سنة واحدة حيث إنه بلغ ٧٨ سنة من العمر،
وهو حاصل طرح تاريخ سني ولادته ٦٤٨ من سني وفاته ٧٢٦، ويمكن تدارك هذا
السهو بأن نقول - عزاً - بالألف نصباً على التمييز^(١).

بعض آثاره

لقد ذكر المؤرخون من مؤلفات العلامة عدداً ضخماً هائلاً، ومن هذه المؤلفات
العظيمة النفيسة كتاب (منهاج الصلاح)^(٢).

ومن أجزاء هذا الكتاب، الباب الحادي عشر^(٣)، وموضوعه علم الكلام، وقد
شرح هذا الكتاب جمهرة كبيرة من العلماء كآبي الفتح الشريف المتوفى سنة ٩٧٦ هـ^(٤)،

(١) عدد حروف لفظ (رحمة) = ٦٤٨ مولد العلامة.

عدد حروف لفظ (عز) = ٧٧، إشارة إلى سنه، والظاهر أنه اشتباه، لأنه توفي سنة ٧٢٦ هـ، وعليه
فسنّه ٧٨ سنة.

(٢) أمل الآمل: ٨٥ / ٢، أعيان الشيعة: ٤٠٦ / ٥، الذريعة: ١٦٤ / ٢٣.

(٣) أمل الآمل: ٨٥ / ٢، روضات الجنّات: ٢٧٤ / ٢، الذريعة: ٥ / ٣ و ٢٧ / ٦ و ١١٧ / ١٣ و
١٦٤ / ٢٣، أعيان الشيعة: ٤٠٥ / ٥.

(٤) أبو الفتح بن محمد (المعروف بـ: الميرزا مخدوم) بن عبد الباقي الشيرازي ثم الأردبيلي، من أسباط
السيد الشريف الجرجاني، كان أبوه مخدوماً من علماء الشافعية، ناصبياً، وتلمذ هو على عصام الدين
إبراهيم الأسفراييني بسمرقند، ثم سكن أردبيل، وكان فقيهاً، متكلفاً، محدثاً، أصولياً، مفسراً، ذا
منزلة عند السلطان طهماسب الصفوي، معظماً عنده، ألف كتباً أكثرها حواشي، منها: شرح آيات
الأحكام بالفارسية سماء: التفسير الشاهي (مطبوع)، مفتاح الباب في شرح الباب الحادي عشر
للعلامة الحلّي في أصول الدين، وعليه حواشي منه، شرح آخر على الباب الحادي عشر بالفارسية،
حاشية على الحاشية الجلالية على الحاشية الشريفة على شرح الرسالة القطبية، رسالة في تحقيق
معنى الأقوال الشارحة في المنطق، فرغ منها في مشهد الرضا ع سنة (٩٥٤ هـ)، حاشية على =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

والشَّيْخُ خُصِرٌ^(١)، والغَرَاوِيُّ^(٢)، والقُطَيْبِيُّ^(٣)، والكَاشَانِيُّ^(٤)، والأَحْسَائِيُّ^(٥)، والسُّيُورِيُّ
الحَلِيُّ^(٦)، وَسَمَاءُ: (النَّافِعُ)، كَمَا شَرَحَهُ الْمُجْتَهِدُ السَّيِّدُ فَاضِلُ الْحَلِيِّ تَقْدُّمًا جَعَلَ الشَّرْحَ
خَاتِمَةً لِكِتَابِهِ الْخَطِّيِّ (نَشْرُ الْحَزَامِيِّ)^(٧).

وَمِنْ مَوْلاَفَاتِ الْعَلَّامَةِ كِتَابُ (مُخْتَلَفُ الشَّيْعَةِ فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ) أَنْجَزَهُ فِي سَنَةِ
(٦٩٩هـ)^(٨).

وَلَهُ كِتَابُ (بَسْطُ الْإِشَارَاتِ)، وَهُوَ شَرْحٌ مُهِمٌّ لِكِتَابِ (الْإِشَارَاتُ وَالتَّبَيُّهَاتُ)

= حاشية العلامة الدواني على تهذيب المنطق، رسالة في أصول الفقه، حاشية على الحاشية الكبرى
للسيد الشريف في المنطق، توفي بأردبيل سنة ست وسبعين وتسعمائة. يُنظر: رياض العلماء:
٥/ ٤٨٦، ٤٩٢، روضات الجنات: ١/ ١٨٠، الفوائد الرضوية: ٦٢٢، أعيان الشيعة: ٢/ ٣٩٤،
الذريعة: ٤/ ٢٧٧ الرقم ١٢٧٨ و ٢١/ ٣١٤ الرقم ٥٢٤٢، طبقات أعلام الشيعة: ٤/ ١٧٦.
(١) خضر الجبلودي، وهو جامع الدرر في شرح الباب الحادي عشر في الكلام، الذريعة: ٥/ ٥١.
(٢) وهو الزاد المدخر في شرح الباب الحادي عشر، للشيخ محمد رضا بن قاسم الغراوي النجفي،
ألفه في ١٣٤٩هـ. يُنظر: الذريعة: ٧/ ١٢. تُنظر ترجمة: الغراوي في كتابنا (العرى العاصمة في
تفضيل الزهراء فاطمة عليها السلام) للشيخ الغراوي رحمته الله.

(٣) إرشاد البشر في شرح الباب الحادي عشر، للشيخ سليمان بن الشيخ أحمد بن الحسين آل عبد
الجبار القطيبي المتوفى سنة ١٢٦٦هـ، يوجد في كتب العلامة الشيخ علي الجشي القطيبي بكر بلاء.
الذريعة: ١/ ٥١٢.

(٤) شرح الباب الحادي عشر، للمولى شاه طاهر بن رضي الدين الإسماعيلي الحسيني الكاشاني،
تلميذ شيخ الشيخ شمس الدين محمد الحفري المعاصر للمحقق الكركي. الذريعة: ١٣/ ١٢١-
١٢٢.

(٥) معين الفكر في شرح الباب الحادي عشر، للشيخ شمس الدين محمد بن زين الدين علي بن
حسام الدين إبراهيم بن الحسين بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي، صاحب (عوالي اللئالي).
الذريعة: ٢١/ ٢٨٦.

(٦) الذريعة: ٥/ ٢٨.

(٧) الذريعة: ٢٤/ ١٥٨.

(٨) الذريعة: ٢٠/ ٢١٨-٢١٩، وهديّة العارفين: ١/ ٢٨٥.

القرن الثامن الهجري

لِابْنِ سِينَا، نَاقَشَهُ فِيهِ مُنَاقَشَةً عَنيفَةً، وَخَالَفَهُ فِي بَعْضِ آرَائِهِ فِي الْمَنْطِقِ وَالْحِكْمَةِ^(١).
وَلَهُ كِتَابُ (الدَّرُّ وَالْمَرْجَانُ)، فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحَاحِ وَالْحَسَنِ، فِي نَحْوِ عَشْرَةِ
أَجْزَاءٍ^(٢).

وَكِتَابُ (إِرْسَادُ الْأَذْهَانِ)، وَهُوَ كِتَابٌ نَافِعٌ نَقَلَ إِلَى الْفَارَسِيَّةِ الشَّيْخُ مَهْدِيُّ بْنُ الشَّيْخِ
مُحَمَّدٍ عَلِيِّ الْأَصْفَهَانِيِّ^(٣).

وَكِتَابُ (خُلَاصَةُ الْأَقْوَالِ فِي مَعْرِفَةِ الرَّجَالِ)^(٤)، وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ كَمَا ذَكَرَ فِي مَقْدَمِهِ
تَصَدَّى إِلَى طَبْعَتِهِ طَبْعَةً ثَانِيَةً الْأَخُ الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ صَادِقٌ بَحْرُ الْعُلُومِ - حَفْظَهُ
اللَّهُ - مُؤَلَّفُ كِتَابِ (دَلِيلُ الْقَضَاءِ الشَّرْعِيِّ) وَكَانَ طَبْعُهُ سَنَةَ ١٣٨١ هـ فِي الْمَطْبَعَةِ الْحِيدَرِيَّةِ
بِالنَّجَفِ الْأَشْرَفِ؛ وَلِفَضِيلَتِهِ مَقْدَمَةٌ رَائِعَةٌ لِهَذَا الْكِتَابِ اشْتَغَلَتْ نَحْوَ أَرْبَعِينَ صَفْحَةً
مِنَ الْقَطْعِ الْمَتَوَسِّطِ، فَكَشَفَتْ عَنْ نَوَاحٍ^(٥) لَامِعَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ الْفَذَّةِ، وَقَدْ
أَطْرَى جُهُودُهُ هَذِهِ سَهَاحَةَ آيَةِ اللَّهِ الشَّيْخِ جَوَادِ الْبَلَاغِيِّ^(٦) - بَلَّغَهُ اللَّهُ مَرَامَهُ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ
مَقَامَهُ -؛ حَيْثُ قَالَ فِي تَقْرِيطِ الْكِتَابِ «بِسْمِهِ تَعَالَى شَأْنُهُ، تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْحِيحًا عَلَى
نُسْخَةِ الْعَلَامَةِ الْمُحَقِّقِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ صَادِقِ آلِ بَحْرِ الْعُلُومِ».. إلخ.

(١) سَمَّاهُ فِي هَدِيَةِ الْعَارِفِينَ: ١/ ٢٨٥ (المحاكمات بين شراح الإشارات)، وذكر له «إيضاح التليس في كلام الرئيس».

(٢) الخلاصة: ٤٦، بحار الأنوار: ١٠٧/ ٥٣، رياض العلماء: ١/ ٣٧٣، الأعيان: ٥/ ٤٠٦، الذريعة: ٨/ ٨٧.

(٣) أعيان الشيعة: ٥/ ٤٠٥، أمل الآمل: ٢/ ٨٤، بحار الأنوار: ١٠٧/ ٥٢، تأسيس الشيعة: ٣٩٩، الخلاصة: ٤٦، الذريعة: ١/ ٥١٠ و ١٣/ ٧٣، رياض العلماء: ١/ ٣٧٤.

(٤) يُنْظَرُ: أمل الآمل: ٢/ ٨٥، بحار الأنوار: ١٠٧/ ١٤٨، روضات الجنات: ٢/ ٢٧٤، أعيان الشيعة: ٥/ ٤٠٦، تأسيس الشيعة: ٣٩٧، الذريعة: ٦/ ٨٢، و ٧/ ٢١٤ و ٢٤/ ٣٩٢.

(٥) فِي الْمَطْبُوعِ: (نَوَاحِي)، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ.

(٦) يُنْظَرُ: تَحْقِيقُنَا لِقَصِيدَتِهِ فِي الْحُجَّةِ الْمُنْتَظَرِ ﷺ، الْمَنْشُورَةُ فِي مَجَلَّةِ تَرَاثِ النَّجَفِ، الْعَدَدُ الْأَوَّلُ، فِيهَا كَلَامٌ وَافٍ عَنْ حَيَاتِهِ.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

وللعلامة الحليّ كتُب أُخرى نَفِيسَةٌ ككِتَابِ (نَهَايَةُ الْأَحْكَامِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ)، وكِتَابِ (بَسْطُ الْكِفَايَةِ فِي عِلْمِ النَّحْوِ)، وكِتَابِ (شَرْحُ التَّجْرِيدِ) فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْحِكْمَةِ، وكِتَابِ (التَّخْرِيرِ)، وكِتَابِ (القَوَاعِدِ)، وكِتَابِ (التَّذَكُّرَةُ الْجَامِعَةُ) لِأَقْوَالِ فَهَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وكِتَابِ (الْمُخْتَلَفِ) الْجَامِعِ لِأَقْوَالِ فَهَاءِ الشَّيْعَةِ وَأَقْوَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وكِتَابِ (النَّهْجِ الْوَضَّاحِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحَاحِ)، وكِتَابِ (تَسْلِيكِ الْإِفْهَامِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ)^(١).

وَكِتَابُ (مِنْهَاجُ الْكَرَامَةِ)^(٢) الَّذِي رَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي كِتَابِهِ الرَّيْكَ التَّافِيهِ الْمَوْسُومُ بِـ (مِنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ)، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْهَاجُ الْكَذِبِ وَالتَّحَامُلِ الْمَكْذُوبِ، وَقَدْ رَدَّ عَلَى كِتَابِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، مِنْهُمْ سَمَاحَةُ الْعَالِمِ الْمُجَاهِدِ الْمَرْحُومِ السَّيِّدِ مَهْدِيِّ الْقُرُونِيِّ الْبَصْرِيِّ^(٣) الْمُعَاصِرِ، فِي مَجْلَدَيْنِ طُبِعَا بِالْمَطْبَعَةِ الْعُلُويَّةِ فِي النَّجَفِ الْأَشْرَفِ فَتَدَفَّقَتْ فِيهَا هَذِهِ الْمَفْتَرِيَّاتُ، وَقَدْ وَفَّقَنِي اللَّهُ إِلَى الرَّدِّ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ بِكِتَابِي (مَا وَرَاءَ السُّتَارِ) أَوْ (الصَّوَاعِقُ الصَّوَاقِعُ) الْمَخْطُوطِ^(٤)؛ فَضَحْتُ تِلْكَ الْأَكَاذِيبَ وَالْمُفْتَرِيَّاتِ الَّتِي شَجَّعَهُ عَلَيْهَا ضَيْقُ دَائِرَةِ النُّشْرِ فِي عَصْرِهِمْ وَعَدَمُ سُهُولَةِ الْمَوَاصِلَاتِ كَمَا شَجَّعَ الْكَذِبُ مِنَ الرَّحَّالِينَ عَلَى خِيَالِهِمُ الْمَحْمُومِ فِي وَصْفِ جَزِيرَةِ وَاقٍ وَاقٍ^(٥)، وَالشَّجَرَةَ الَّتِي تُحْمَلُ الْحَسَنَاتُ مِنَ الْكَوَاعِبِ الْأَثْرَابِ؛ فَإِذَا انْطَلَتْ أَكَاذِيبُ هَؤُلَاءِ عَلَى أَبْنَاءِ هَذَا الْعَصْرِ عَصَرَ الطَّبَاعَةِ، وَتَوَفَّرَ وَسَائِطُ النُّقْلِ وَسُرْعَتُهَا وَمَنْ أَرَادَ الْاطَّلَاعَ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ مَا كَتَبَهُ هَذَا الرَّجُلُ وَبَيْنَ رَدِّ السَّيِّدِ مَهْدِيِّ الْقُرُونِيِّ الْبَصْرِيِّ

(١) فِي هَذِهِ الْمَوْلُفَاتِ يُنْظَرُ: إِضْبَاحُ الْاِشْتِبَاهِ: ٥٣-٦٤، وَانْظُرْ: هَوَامِشُ الْمُحَقِّقِ.

(٢) الْخِلَاصَةُ: ٤٨، الرِّيَاضُ: ١/٣٧٥، الذَّرِيعَةُ: ٢/٢٨٣ وَ ٣/٧٩ وَ ٢٣/١٦٢.

(٣) أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ٦/٤٤٥، وَمَدِينَةُ النَّجَفِ لِلتَّيْمِيَّةِ: ٢٦٣.

(٤) وَفِي الذَّرِيعَةِ: ١٠/٣٩ «ذَكَرَى أُولَى الْأَبَابِ أَوْ مَا وَرَاءَ السُّتَارِ لِلْسَّيِّدِ هَادِي بْنِ السَّيِّدِ أَحْمَدِ الْحُسَيْنِيِّ آلِ كِمَالِ الدِّينِ الْحَلِّيِّ الْمُعَاصِرِ، رَأَيْتُ عَنْهُ الْجُزْأَيْنِ مِنْهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يَتْلُوهُ الْجُزْءُ الثَّالِثُ فِي الْإِمَامَةِ وَرَدَّ الْعَامَّةَ».

(٥) يُنْظَرُ: الْبُلْدَانُ لِلْهَمْدَانِيِّ: ٦٣.

القرن الثامن الهجري

عَلَيْهِ فَلْيُطَالِعِ الْكِتَابَيْنِ؛ فَقَدْ أَنْصَفَ الْقَارَّةَ مِنْ رَامَاهَا^(١)، وَمِمَّا يَحْزُرُ فِي النُّفُوسِ أَنْ يَأْتِيَ
أَمْثَالُ هَذَا الرَّجُلِ فَيَمْتَحَ نَعْرَةً بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مُخَالِفًا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿واعتصموا بحبلِ اللهِ
جميعاً ولا تفرقوا﴾^(٢) فَيَقْطَعَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَمَا أَحْوَجَ الْأُمَّةَ إِلَى الْأُلْفَةِ وَرِصِّ
الصُّفُوفِ، وَبُنْدِ الْخِلَافَاتِ لَوْلَا سُمُومُ هَؤُلَاءِ الْمُخْرِينِ الْمُؤْتَوِرِينَ؛ إِذْ يُمَكِّنُ النَّظْرُ فِي
هَذِهِ الْخِلَافَاتِ إِذَا اقْتَضَاهَا الْبَحْثُ الْعِلْمِيُّ بِالْحُسْنَى وَالتَّجَرُّدِ التَّامِّ عَنِ الْعَاطِفَةِ، وَعَرْضِ
الْوَاقِعِ كَمَا هُوَ دُونَ اللَّجُوءِ إِلَى الْكَذِبِ وَالْإِفْتِرَاءِ وَالِدَّسِّ اللَّيِّمِ كَمَا فَعَلَ الْمُتَعَصِّبُونَ مِنْ
الْحَمْلَةِ الْفَاشِلَةِ، وَهَذَا أَنَا وَاضِعُ بَيْنَ يَدَيْكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْمُنْصِفُ بَعْضَ الشَّوَاهِدِ؛ لِتَقِفَ
بِنَفْسِكَ عَلَى مَبْلَغِ عِنَادِ هَذَا الرَّجُلِ وَتَجَافِيهِ عَنِ الْوَاقِعِ:

[١.] فَاقْرَأْ مِنْ كِتَابِهِ (مِنْهَاجُ السَّنَةِ)^(٣) فَسَرَاهُ حِينَ أَعْجَزَهُ تَكْذِيبُ الرَّوَايَةِ وَالرَّأْيِ
فِي مَدْحِ أَهْلِ الْبَيْتِ، قَالَ كَمَا فِي هَذِهِ الصَّفْحَةِ: «قَدْ يَكُونُ صَاحِبُهَا كَذَّابًا فِي الْبَاطِنِ لَيْسَ
مَشْهُورًا فِي الْكَذِبِ» فَهَلْ فِي قَوْلِهِ: «قَدْ يَكُونُ» دَلِيلٌ عِلْمِيٌّ، وَلِمَاذَا لَا يَقُولُ «قَدْ يَكُونُ
صَادِقًا»، وَالْأَصْلُ الْحَمْلُ عَلَى الصَّحَّةِ، وَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: «كَذَّابًا فِي الْبَاطِنِ» وَالْكَذِبُ
لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْكَلَامِ وَالْأَخْبَارِ؛ فَإِذَا طَابَقَ الْحَبْرُ الْوَاقِعَ فَهُوَ الصَّدْقُ وَإِلَّا فَهُوَ الْكَذِبُ
فَلَيْسَ الْكَذِبُ مِنَ الصِّفَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ كَالْكُفْرِ وَالْحَقْدِ وَالْحُبِّ وَالْإِيمَانِ؛ فَيُمْكِنُنَا أَنْ نَقُولَ
فُلَانٌ مُؤْمِنٌ بِالْبَاطِنِ كَافِرٌ فِي الظَّاهِرِ كَمُؤْمِنٍ آلِ فِرْعَوْنَ.

(١) الْقَارَّةُ: قَوْمُ رِمَاةٍ مِنَ الْعَرَبِ، وَفِي هَذَا الْمَثَلِ: قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَّةَ مِنْ رَامَاهَا، وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ رَجُلَيْنِ
التَّقِيَا، أَحَدَهُمَا قَارِيٌّ وَالْآخَرُ أَسَدِيٌّ، فَقَالَ الْقَارِيُّ: إِنَّ شَيْئًا صَارَعْتُكَ، وَإِنْ شَيْئًا سَابَقْتُكَ،
وَإِنْ شَيْئًا رَامَيْتُكَ، فَقَالَ: اخْتَرْتُ الْمِرَامَاةَ، فَقَالَ الْقَارِيُّ: قَدْ أَنْصَفْتَنِي، وَأَنْشُدْ:

قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَّةَ مِنْ رَامَاهَا إِنَّا إِذَا مَا فِئَةٌ نَلَقَاهَا
نَرْدُ أَوْلَاهَا عَلَى أَحْرَاهَا

ثُمَّ انْتَزَعَ سَهْمًا فَشَكَ فَوَادَهُ. مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ: ٣١ / ٢، أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ: ٧٧ / ١، وَفِي هَذَا الْمَثَلِ
وَجْهٌ آخَرٌ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ: ٥١٠ / ٣.

(٢) آلِ عِمْرَانَ: ١٠٣.

(٣) فِي مِنْهَاجِ السَّنَةِ: ١٥ / ٤.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

٢. نَرَاهُ كُلَّمَا عَجَزَ عَنْ تَفْنِيدِ قَوْلِ الْعَلَامَةِ الْحَلِيِّ لَمْ يَقَابِلْهُ إِلَّا بِالرَّدِّ التَّافِهِ كَقَوْلِهِ: «فَإِنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي ذَكَرَهَا أَكْثَرُهَا كَذِبٌ أَوْ ضَعِيفٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ»^(١).

فَإِذَا سَلَّمْنَا أَنَّ أَكْثَرَهَا كَذِبٌ أَوْ ضَعِيفٌ؛ فَالْمَفْهُومُ الْعَكْسِيُّ أَنَّ أَقْلَهَا صَحِيحٌ لَا رَيْبَ فِيهِ وَفِيهِ الْكِفَايَةُ فِي صَحَّةِ الْاِخْتِجَاجِ، وَهَذِهِ (الْكَلِيشَةُ): «كَذِبٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ» تَجِدُهَا فِي عَرْضِ الْكِتَابِ وَطَوْلِهِ، حِرْفَةُ الْعَاجِزِ^(٢).

٣. وَتَلَا حِظُّ ضَعْفٍ اسْتِدْلَالُهُ كَقَوْلِهِ: «ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِ، أَوْ يَقُولُ: فِي النُّقْلِ الثَّابِتِ، أَوْ مِنَ الْمَعْلُومِ»، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ مِنَ التَّعَابِيرِ التَّافِهَةِ الَّتِي لَا يَعْتَرِفُ بِهَا خَصْمُهُ، وَإِلَّا لَمَّا نَازَعَهُ؛ فَهَلْ يَتَقَبَّلُ مِنَّا إِذَا رَوَيْنَا لَهُ عَكْسَ ذَلِكَ مِنْ مَصَادِرِنَا^(٣)؟.

٤. يَقُولُ عِنْدَ عَجْزِهِ عَنْ رَدِّ الْحُجَّةِ الْمُفْحِمَةِ: «نَحْنُ نَعْلَمُ بِالْاِضْطِرَارِ أَوْ بِالضَّرُورَةِ: أَنَّ الْأَمْرَ كَذَا وَكَذَا» فَهَلْ يَتَقَبَّلُ مِنَّا إِذَا قُلْنَا لَهُ فِي إِثْبَاتِ دَعْوَانَا مِثْلَ هَذِهِ الْبَرَاهِينِ؟ فَلَيْسَ هَذَا دَلِيلًا عِلْمِيًّا فَلِلْخَصْمِ أَنْ يَقُولَ نَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَوْ بِالْاِضْطِرَارِ عَكْسَ ذَلِكَ^(٤).

٥. جَاءَ كِتَابُهُ مَشْحُونًا بِالْمُتَنَاقِضَاتِ كَقَوْلِهِ: «وَمَنْ عَرَفَ حَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلِمَ أَنَّهُ يُفْضَلُ أبا بَكْرٍ وَعُمَرُ عَلَى عَلِيٍّ»^(٥)، وَيَقُولُ مَا فُحِّوْهُ: «إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَمِيلُ إِلَى عَلِيٍّ حَتَّى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَائِشَةَ سُوءُ تَفَاهُمٍ بِسَبَبِ ذَلِكَ»^(٦)، وَكَتَنَاقُضِهِ فِي قَوْلِهِ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أَتُونِي

(١) منهاج السنة: ٢/٣.

(٢) يُنظر: منهاج السنة، انظر الجزء: ٣/٢، ٦، ٧، ١٠، ١٤، ١٦، ١٢١، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٧، ٢٦٩.

(٣) يُنظر: منهاج السنة: ٣/٩ و ٩ و ١٤ و ٥٨ و ١٢٢ و ١٢٥ و ١٣٤ و ١٣٥ و ٤/٤ و ١٧ و ٢١ و ٦٣ و ١٠٥.

(٤) يُنظر: ٣/٢٧٢ و ٢١١ و ٢٦٣ و ١٠٨ و ٢٠٥ و ٢٦٣ و ٤/٢٤.

(٥) منهاج السنة: ٣/٢١٣.

(٦) منهاج السنة: ٤/٢٩٢.

القرن الثامن الهجري

بِدَوَاةٍ وَقِرطَاسٍ.. الخ) ^(١) بَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ «قَالَ لِعَائِشَةَ: ادْعِي لِي أَبَاكَ وَأَخَاكَ حَتَّى أَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي، إِلَى أَنْ قَالَ، يَا أَبَى اللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»، فَهَذَا الْقَوْلُ مُتَنَاقِضٌ فَإِذَا الْمُؤْمِنُونَ يَأْبُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ فَمَا الْحَاجَةُ إِلَى ذَلِكَ الْكِتَابِ، وَلِهَذَا خَالَفَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ وَلَمْ يُبَايِعْ مُدَّةَ حَيَاةٍ فَاطِمَةَ كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(٢)، فَهَلْ عَلِيٌّ لَيْسَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَلِ الزُّبَيْرُ وَجَمَاعَتُهُ لَيْسُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ تَضَامَنُوا مَعَ عَلِيٍّ عَلَى عَدَمِ الْبَيْعَةِ وَمَعَ ذَلِكَ فَهَذَا الْقَوْلُ لَا يَجْتَمِعُ عَلَى فَرْضِ صَحَّتِهِ مَعَ قَوْلِهِ: «فَإِنْ كَانَ قَدْ نَصَّ عَلَى خِلَافَتِهِ فَقَدْ أَغْنَى عَنِ الْكِتَابِ، وَإِنْ كَانَ الَّذِينَ سَمِعُوا مِنْهُ لَا يُطِيعُونَ الْكِتَابَ فَأَيُّ فَائِدَةٍ هُمْ فِي الْكِتَابِ لَوْ كَانَ كَمَا زَعَمُوا؟» ^(٣).

ثُمَّ تَرَى هَذَا الْحَدِيثَ يُكَذِّبُ آخِرَهُ أَوَّلُهُ فَفِيهِ أَنَّ الْكِتَابَ إِذَا تَمَّتْ كِتَابَتُهُ لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَهَذَا الْقَوْلُ لَا يَجْتَمِعُ مَعَ قَوْلِهِ فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَهُمْ فِي الْكِتَابِ؟ فَهَلْ يُرِيدُ فَائِدَةً أَكْبَرَ مِنْ عَدَمِ اخْتِلَافِ النَّاسِ؟ كَمَا أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ مَعَ قَوْلِهِ يَا أَبَى اللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ؛ فَلَا حَاجَةَ إِذْنٍ بِالْكِتَابِ؛ فَلِهَذَا قَالَ لِعَائِشَةَ ادْعِي لِي أَبَاكَ وَأَخَاكَ إِلَى آخِرِهِ؟.

وَكِتَنَاقُضِهِ «الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يُبْغِضُ عَلِيًّا» ^(٤)، وَكَقَوْلِهِ: «كُلُّ الْأُمَّةِ مُعْتَرِفِينَ بِفَضْلِ عَلِيٍّ وَسَابِقَتِهِ» ^(٥)؛ فَسَأَلِ الْمُنْصَفِينَ هَلْ يَجْتَمِعُ هَذَا مَعَ قَوْلِهِ: «فَإِنْ

(١) منهاج السنة: ٣/ ٢١٢.

(٢) صحيح البخاري، (ط دار الفكر): ٥/ ٨٢، وَيُنْظَرُ أَيْضًا: صحيح مسلم: ٥/ ١٥٤، وشرح أصول الكافي: ٧/ ٢١٨، والصوارم المهرقة: ٧١، ومناقب أهل البيت للشيرازي: ٤١٣، وشرح مسلم للنووي: ١- ٧٧/ ٢، وفتح الباري: ٧/ ٣٧٨، وعمدة القاري: ١٧/ ٢٥٨، وصحيح ابن حبان: ١٤/ ٥٧٣، ونصب الراية للزيلعي: ٢/ ٣٦٠، والبداية والنهاية: ٥/ ٣٠٧، والسير النبوية لابن كثير: ٤/ ٥٦٨، والإكمال في أسياء الرجال: ١٦٨.

(٣) منهاج السنة: ٣/ ٢١٣.

(٤) منهاج السنة: ٣/ ٢١٤.

(٥) منهاج السنة: ٣/ ٢١٧.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ كَانُوا يُبْغِضُونَهُ وَيَسُبُّونَهُ وَيَقَاتِلُونَهُ^(١)، وَهَلْ يَجْتَمِعُ مَعَ قَوْلِهِ: «أَكْثَرُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ قَعَدُوا عَلَى نُصْرَةِ عَلِيٍّ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ بَعْضَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ قَاتَلُوهُ»^(٢)، وَمِنْ هَذِهِ التَّنَاقُضَاتِ مَا أوردَهُ مِنْ اعْتِرَافِهِ بِصَحَّةِ الرَّوَايَةِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي» إلخ، وَعَلَّلَهَا بِوُجُوهِ وَلَكِنَّهُ بَعْدَ تَسْعَةِ أَسْطُرٍ غَلَبَهُ طَبْعُهُ فَعَادَ إِلَى تَكْذِيبِ الرَّوَايَةِ فَقَالَ: «وَالْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ عَنْ عَلِيٍّ كَذِبٌ ظَاهِرٌ لَا تَجُوزُ نِسْبَةُ مِثْلِهِ إِلَى عَلِيٍّ»^(٣)، وَكَتَنَاقُضِهِ: «إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَمِيلُ إِلَى عَلِيٍّ وَلَا يَتَّهَمُ عَلَيْهِ»^(٤) فَلَا يَجْتَمِعُ هَذَا مَعَ قَوْلِهِ مَا فَحَوَاهُ «مِنَ الْمَعْلُومِ الْمُتَوَاتِرِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يُوَالِي غَيْرَ شِيعَةِ عَلِيٍّ حَتَّى الْخَوَارِجُ كَانَ يُجَالِسُهُمْ وَيُفْتِيهِمْ حَتَّى بَنِي أُمَيَّةَ»^(٥).

وَمِنَ التَّنَاقُضِ مَا أوردَهُ: اعْتِرَافُهُ بِإِسْلَامِ مَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةَ، وَأَنَّ عَدَمَ قَتْلِ الْخَلِيفَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ كَانَ بِسَبَبِ اجْتِهَادِهِ، وَإِذَا بِهِ يَتَنَاقُضُ فَيَرْوِي بِنَفْسِ الصَّفْحَةِ اخْتِلَافَ فُقَهَائِهِ فِي عِدَّةِ الْوَفَاةِ هَلْ تَجِبُ لِلْكَافِرِ وَالذِّمِّيِّ؟، فَاعْتَبَرَهُ كَافِرًا بَعْدَ حُكْمِهِ بِإِسْلَامِهِ فَإِذَا كَانَ كَافِرًا فَكَيْفَ أَرَادَ الْخَلِيفَةُ الثَّانِي رَجْمَ خَالِدٍ وَكَيْفَ اعْتَدَرَ عَنْهُ الْخَلِيفَةُ الْأَوَّلُ بِأَنَّهُ تَأَوَّلَ فَأَخْطَأَ^(٦)؟.

٦. تَجَاهُلُهُ أَوْ جَهْلُهُ لِلْحَقَائِقِ النَّاصِعَةِ حَتَّى يَتَجَرَّأَ عَلَى مُخَالَفَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِوَقَاحَةٍ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي مَعْرِضِ مَدْحِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾^(٧)، فَجَعَلَ إِيفَاءَ النَّذْرِ كَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْفَضْلِ،

(١) منهاج السنّة: ٢٨/٤.

(٢) منهاج السنّة: ١٦/٤.

(٣) منهاج السنّة: ١٢٧/٣.

(٤) منهاج السنّة: ٢٩٢/٤.

(٥) منهاج السنّة: ٧١/٤.

(٦) يُنْظَرُ: منهاج السنّة: ١٣٠/٣.

(٧) الإنسان: ٧.

القرن الثامن الهجري

ولكن ابن تيمية يقول كما في: «الوجه الخامس: إن في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر، وقال لا يأتي بخير»^(١)... إلخ.

فهل نصدق القرآن الكريم؟ في إيراد الوفاء بالنذر مورد الثناء أم نصدق هذا المعارض للقرآن؟ نترك الجواب للمُنصف، شريف الوجدان حيّ الضمير.

ولا شك أن مخالفة القرآن بدعة وصاحبها مُبدع، ولكن الحمقى يقولون إنه محارب للبدع؛ فإذا كان النذر محرماً أو مكروهاً فهل الوفاء بالمحرم أو المكروه يستوجب تنزيل سورة من القرآن الكريم في مدح من وفى بهذا النذر تُتلى إلى يوم القيامة؟ ثم انظر قوله بعين الإنصاف في تفنيده دعوى العلامة الحلي من وجود النص على إمامة عليّ عليه السلام، فقال ابن تيمية: «الثالث: أن يقال علماء الشيعة المتقدمون ليس فيهم من نقل هذا النص، ولا ذكره في كتاب - إلى أن قال - فعلم أن هذا من اختلاق المتأخرين، وإنما اختلقه لما مات الحسن بن عليّ العسكري»^(٢) عليه السلام، وهذا يتناقض تماماً وما قاله «قد علم أهل العلم أن أول ما ظهرت الشيعة الإمامية المدعية للنص في أواخر أيام الخلفاء الراشدين»^(٣)... إلخ.

فهذا أنموذج من ورعه واجتهاده في طلب الحق وعلمه وكياسه ومحاربه للبدع يستحق أن يكون بسببها (شيخ الإسلام بجدارة)، وفي كتابه طائفة كبيرة من المغالطات؛ ولهذا السبب قد استنكف العلامة الحلي من الرد على كتابه هذا فما قيمة هذا الكتاب إذا قيس بكتب العلامة الحلي التي منها ما ذكرناها سابقاً.

ومنها: (تهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول)^(٤) ألفه بالتبأس من الشيخ تقي

(١) منهاج السنة: ٤/ ٤٩.

(٢) منهاج السنة: ٤/ ٢٠٩.

(٣) منهاج السنة: ٤/ ٢١٠.

(٤) الذريعة: ٤/ ٥١١.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيِّ، وَعَلَيْهِ شُرُوحٌ: مِنْهَا شَرْحُ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ الدِّينِ عَبَّادِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بِإِفْتِرَاحٍ مِنْ مُحَمَّدِ الْأَكْبَرِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يُونُسَ الطَّبْرِيِّ الْحَلِيِّ مِنْ تَلَامِذَةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ الدِّينِ الْمَذْكُورِ، وَمِنْ لَامِعِي رِجَالِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهَجْرِيِّ^(١).

وَكِتَابُ (الْأَسْرَارُ الْحَقِيقَةُ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ)^(٢)، هُوَ مِنْ جُمْلَةِ كُتُبِ الْعَلَامَةِ النَّفِيسَةِ. وَكِتَابُ (تَهْذِيبُ النَّفْسِ فِي مَعْرِفَةِ الْمَذَاهِبِ الْخَمْسِ)^(٣)، وَكِتَابُ (اسْتِقْصَاءُ النَّظَرِ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ)^(٤)، وَهُوَ كِتَابٌ صَغِيرٌ الْحَجْمِ كَبِيرُ الْفَائِدَةِ اسْتَهْلَهُ بَعْدَ الْمَسْأَلَةِ بِقَوْلِهِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيمِ الْغَفَّارِ، الْقَدِيمِ الْقَهَّارِ» أَلْفَهُ بِالتَّمَّاسِ شَدِيدٍ مِنَ السُّلْطَانِ (الْجَائِتُو خُداْبَنَدَه)، وَفِي هَذَا الْكِتَابِ اسْتَعْرَضَ أَدْلَةَ الْفَرِيقَيْنِ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَفَنَّدَ أَدْلَةَ مُخَالَفِيهِ أَحْسَنَ تَفْنِيدٍ بِأَسْلُوبٍ هَادِيٍّ مُحْتَشِمٍ، وَأُورِدَ فِيهِ أَدْلَتُهُ عَلَى صَحَّةِ مَذْهَبِ الْعَدْلِيَّةِ فَجَاءَ فِي الدَّلِيلِ الثَّلَاثِ مِنْهَا قَوْلُهُ: «إِنَّهُ لَوْ كَانَتْ الْأَفْعَالُ صَادِرَةً عَنِ اللَّهِ قَبِحَ مِنْهُ أَنْ يَأْمُرَنَا وَيَنْهَانَا وَيَكْلِفُنَا، كَمَا أَنَّهُ يَقْبُحُ مَنْ أَحَدَنَا أَمْرَ الزَّمَنِ^(٥) بِالطَّيْرَانِ إِلَى السَّمَاءِ لِأَنَّا عَاجِزُونَ عَنِ الْأَفْعَالِ لَا سِتِحَالَةَ صُدُورِهَا عَنَّا كَمَا أَنَّ الزَّمْنَ عَاجِزٌ عَنِ ذَلِكَ، فَكَمَا أَنَّهُ يَقْبُحُ مَنْ أَمَرَ الْوَاقِعَ مِنْ شَاهِقٍ بِالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ كَذَا يَقْبُحُ أَمْرُ الْمَكْلَفِ بِالطَّاعَةِ وَاجْتِنَابِ الْمَعْصِيَةِ؛ لِعَجْزِهِ عَنْهَا وَوُقُوعِهَا لغيرِهِ؛ لَكِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَ وَنَهَى وَأَنْذَرَ وَحَذَّرَ وَوَعَدَ وَتَوَعَّدَ، وَكَيْفَ يَحْسُنُ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ

(١) الذريعة: ٤٣/٥ - ٤٤، أعيان الشيعة: ٤٠٤/٥.

(٢) الخلاصة: ٤٧، روضات الجنات: ٢/٢٧٢، أعيان الشيعة: ٤٠٥/٥، الذريعة: ٤٥/٢، أعلام الزركلي: ٢/٢٢٨.

(٣) الإجازة: ١٥٦، بحار الأنوار: ٥٣/١٠٧، أعيان الشيعة: ٤٠٤/٥، الذريعة: ٥١٥/٤.

(٤) الخلاصة: ٤٨، رياض العلماء: ١/٣٧٥، أمل الآمل: ٢/٨٥، بحار الأنوار: ١٠٧/٥٦، أعيان الشيعة: ٤٠٥/٥، الذريعة: ٣١-٣٢ و٢٨٩/١٣.

(٥) الزمن بكسر الميم: المقعد العاجز.

القرن الثامن الهجري

مِنْهُمَا مِثَّةٌ جُلْدَةٍ^(١)، ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(٢)، وَهُوَ الَّذِي فَعَلَ الزَّانَا وَالسَّرِقَةَ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا... إلخ انتهى.

وَلِي عَلَى هَذَا الْبُرْهَانِ مِلَّا حَظَةً: قَوْلُهُ فَأَقُولُ: لَا أَرَى ارْتِبَاطًا بَيْنَ قَوْلِهِ «يَقْبُحُ أَحَدُنَا أَمْرَ الزَّيْنِ» إِلْخَ، وَبَيْنَ تَعْلِيلِهِ بِكَوْنِنَا عَاجِزِينَ عَنِ الْأَفْعَالِ؛ لِأَنَّ الْعَاجِزَ فِي هَذَا الْمِثَالِ هُوَ الْمَأْمُورُ لَا الْأَمْرُ أَوَّلًا، وَثَانِيًا فَإِنَّ هَذَا الْبُرْهَانَ خَارِجٌ عَنْ مَوْضُوعِ الْمَسْأَلَةِ فَإِنَّهَا تَتَلَخَّصُ فِي بَيَانِ قُبْحِ تَوْجِيهِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ إِلَى غَيْرِ فَاعِلِهِ سِوَاءِ كَانَ الْفِعْلُ مُمْكِنُ الْوُقُوعِ أَوْ مَمْتَنِعُهُ، وَأَمَّا الْبُرْهَانُ الثَّانِي فَيَتَعَلَّقُ بِقُبْحِ تَوْجِيهِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي غَيْرِ الْمُمُمْكِنِ كَأَمْرِنَا لِلْمُقْعَدِ أَنْ يَطِيرَ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَمْرِنَا لِلْوَاقِعِ مِنْ شَاهِقٍ بِالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَلَا شَكَّ بِوُجُودِ فَرْقٍ كَبِيرٍ بَيْنَ سَلْبِ نِسْبَةِ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ كُلِّيًّا مِنَ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ، وَهُوَ مَوْضُوعُ الْمَسْأَلَةِ وَبَيْنَ تَكْلِيفِهِ بِمَا لَا يُطَاقُ فَقَطْ وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ صَدْدِهَا، فَطِيرَانُ الزَّيْنِ وَحَرَكَةُ وَسُكُونُ الْوَاقِعِ مِنْ شَاهِقٍ أَفْعَالٌ مُنْسُوبَةٌ لِلزَّيْنِ وَلِلْوَاقِعِ مِنْ شَاهِقٍ، وَمَفْرُوضُ الْمَسْأَلَةِ عَدَمُ نِسْبَةِ فِعْلٍ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مُطْلَقًا مَمْتَنِعًا كَانَ أَوْ مُمَكَّنًا، وَكُلُّ مَا يَصْدُرُ مِنْ فِعْلٍ فَمِنْ اللَّهِ وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَالثَّلَاثَانِ يَلِيقَانِ بِقُبْحِ الْأَمْرِ بِمَا لَا يُطَاقُ فَكَانَ الْأَجْدَرُ أَنْ يُعْلَلَ قُبْحُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ بِالْعَبَثِ الَّذِي لَا يَجُوزُ صُدُورُهُ مِنَ الْحَكِيمِ الْقَادِرِ لَا بِالْعَاجِزِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَفْعَالِ مُمْكِنُ الْوُقُوعِ وَالْخِلَافُ لَا فِي إِمْكَانِهَا وَامْتِنَاعِهَا وَإِنَّمَا هَلْ هِيَ مِنَ الْإِنْسَانِ؟ أَوْ مِنَ الْخَالِقِ تَعَالَى؟ وَأَمَّا بِقِيَّةُ اسْتِدْلَالِهِ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَقُوِيَّتُهُ مَتَيْنٌ؛ حَيْثُ لَا يَحْسُنُ أَنْ يَقُولَ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِثَّةً جُلْدَةٍ﴾ وَهُوَ الَّذِي فَعَلَ الزَّانَا تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَيَكْفِي فِي تَفْنِيدِ هَذَا الزَّعْمِ قَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَاجْلِدُوا﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿فَاقْطَعُوا﴾ فَقَدْ طَلَبَ مِنَّا أَنْ نَقُومَ بِعَمَلَيْتَيِ الْجَلْدِ وَالْقَطْعِ وَلَمْ يَكُنْ هُوَ الَّذِي جَلَدَ أَوْ قَطَعَ؛ أَمَّا تَرَى كَيْفَ الْأَمْرُ مُوجَّهٌ إِلَيْنَا لِنَتَمَثَّلَ أَمْرُهُ بِالْإِثْنَانِ فِي مَاهِيَةِ الْمَأْمُورِ بِهِ

(١) النور: ٢.

(٢) المائدة: ٣٨.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتِ

مِنَ الْقَطْعِ وَالْجُلْدِ وَلَوْ كَانَ الْفِعْلُ مِنْهُ لَقَطَعَ وَجَلَدَ وَلَا صَبَحَ الْأَمْرُ عَبَثًا؛ لِعَدَمِ إِرَادَتِهِ مِنَّا الْقِيَامَ بِتَنْفِيذِهِ.

وَأَمَّا الْبُرْهَانُ السَّادِسُ فَقَدْ قَالَ فِيهِ: «إِنَّهُ يُلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ الْكَافِرُ مُطِيعًا لِلَّهِ تَعَالَى بِكُفْرِهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ فَعَلَ مَا هُوَ مُرَادُ اللَّهِ وَهُوَ الْكُفْرُ، وَلَمْ يَفْعَلْ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَهُوَ الْإِيمَانُ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَهُمْ غَيْرُ مُرَادِ اللَّهِ مِنَ الْكَافِرِ؛ بَلْ هُوَ بِمَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَيُّ عَاقِلٍ يَرْضَى لِنَفْسِهِ اعْتِقَادَ أَنَّ الْكُفْرَ طَاعَةٌ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ مَعْصِيَةٌ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ». انْتَهَى قَوْلُ الْعَلَّامَةِ - أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ -.

وَلَنَا عَلَى هَذَا الْبُرْهَانِ مَلَا حِظَةٌ، فَنَقُولُ، بِأَنَّهُ لَا يُلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْكَافِرُ مُطِيعًا لِلَّهِ بِكُفْرِهِ إلخ...؛ لِأَنَّ هَذَا الْلُزُومَ إِنَّمَا أُوْرِدَهُ بِنَاءً عَلَى عَدَمِ صُدُورِ الْأَفْعَالِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَنُسَبَتْهَا إِلَى اللَّهِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مَسْلُوبُ الْإِرَادَةِ وَالْاخْتِيَارِ، وَهُوَ صُلْبُ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي أُوْرِدَ الْعَلَّامَةُ بِرَأْسِهَا لِتَنْفِيذِهَا؛ فَحِينَئِذٍ نَقُولُ لَا يُلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْكَافِرُ مُطِيعًا لِلَّهِ بِكُفْرِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْكُفْرَ أَيْضًا لَمْ يَكُنْ بِإِرَادَةِ الْكَافِرِ وَاخْتِيَارِهِ؛ فَإِنَّ الْكُفْرَ فِعْلٌ، وَمَوْضُوعُ الْمَسْأَلَةِ عَدَمُ نِسْبَةِ الْفِعْلِ لِلْإِنْسَانِ؛ فَالْكُفْرُ لَيْسَ مِنَ الْكَافِرِ فَكَيْفَ جَعَلَهُ مِنْ عَمَلِ الْإِنْسَانِ؛ ثُمَّ افْتَرَضَهُ طَاعَةً مُعْلَلًا ذَلِكَ بِكَوْنِهِ قَدْ فَعَلَ مَا هُوَ مُرَادُ اللَّهِ أَلَيْسَ هَذَا الْكُفْرُ لَيْسَ بِإِرَادَةِ الْكَافِرِ، وَالْمَفْرُوضُ أَنَّ اللَّهَ أَجْبَرَهُ عَلَيْهِ وَالَّذِي أَرْجَحُّهُ أَنْ نَقُولَ إِنَّهُ يُلْزَمُ مِنْ قَوْلِهِمْ بِالْجَبْرِ وَنِسْبَةِ الْأَفْعَالِ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ غَيْرُ مُطِيعٍ لِلَّهِ؛ لِأَنَّهُ مُجْبُورٌ وَيَنْتَفِي مُسَمًّى الطَّاعَةِ مَعَ الْجَبْرِ وَسَلْبِ الْاخْتِيَارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي بَطُونَ أَوْ كَرِهًا﴾؛ فَجَعَلَ الطَّاعَةَ قِسْمًا مُغَايِرًا إِلَى الْكُفْرِ وَالْجَبْرِ وَقَدْ أُوْرِدَ الْعَلَّامَةُ الْحَلِّيُّ بَقِيَّةَ حُجَجِهِ الْقَوِيَّةَ لِتَرْيِيفِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْقَائِلُونَ بِالْجَبْرِ، وَمَنْ أَرَادَ الْاطَّلَاعَ عَلَيْهِ فَلْيُطَالِعْ هَذَا الْكِتَابَ الْمُفِيدَ.

وَلِلْعَلَّامَةِ كُتُبٌ أُخْرَى كَ(شَرْحِ مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَاجِبِ) ^(١) الَّذِي قَالَ فِيهِ ابْنُ حَجَرٍ إِنَّهُ

(١) وهو غاية الوصول وإيضاح السبل في شرح مختصر منتهى السؤول والأمل في علمي الأصول =

القرن الثامن الهجري

«في غاية الحسن»^(١) وكفى بشهادة الأعداء على صحة الادعاء.

وله (كتاب الألفين) الذي يُقال إنه قال فيه: «لولا كتاب الألفين وزيارته الحسين لقصمت ظهري الفتيا»^(٢)، واسمه الكامل (كتاب الألفين الفارق بين الصدق والمين)^(٣)، ألفه بالتأس ولده فخر المحققين، يُحتوي على (١٤٥) صفحة من القطع الكبير مطبوع بالمطبعة الحجازية سنة ١٢٩٦ هـ، وجعله جزأين أولهما ألف دليل عقلي على إمامة أمير المؤمنين، وثانيهما ألف دليل نقلي في الموضوع ذاته، وهو من الكتب الجليلة ولا يقوم بتأليف مثل هذه الكتب حتى إحدى الجمعيات الكبيرة، ولكن:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد).

وصح في العلامة قول الفاضل السيد محسن العاملي: «هو العلامة على الإطلاق، الذي طار ذكر صيته في الآفاق، ولم يتفق لأحد من علماء الإمامية أن لقب بالعلامة على الإطلاق غيره، أما في هذا الزمان فقد ابتدأ لقب العلامة حتى أن بعض المعاصرين ألف كتاباً وطبعه ولقب بالعلامة من هو من العوام في الحقيقة»^(٤).

فلت السيد محسن يطالع على ابتدأ لقب العلامة في هذا الوقت حتى أن أحد السفلة من عوام الناس يطبع كتبه العامة، ويلقب نفسه بالعلامة والفيلسوف وبعمدة الأخيار،

=والجدل. يُنظر: الخلاصة: ٤٦، بحار الأنوار: ١٠٧/١٤٨، رياض العلماء: ١/٣٦٨، أعيان الشيعة: ٥/٤٠٤، الذريعة: ١٦/١٣، الوافي بالوفيات: ١٣/٨٥، الدرر الكامنة: ٢/٧١، كشف الظنون: ٢/١٨٥٣.

(١) النص في الدرر الكامنة لابن حجر: ٧١/٢: «وشرحه على مختصر ابن الحاجب في غاية الحسن في حل ألفاظه وتقريب معانيه».

(٢) في منتهى المطلب: ٣/٦١ «لقصمت الفتوى ظهر أيبك نصفين». ويُنظر: أعيان الشيعة: ٥/٤٠٠.

(٣) يُنظر: خلاصة الأقوال: ٤٨، رياض العلماء: ٢/٣٧٦، أعيان الشيعة: ٥/٤٠٥، الذريعة: ٢/٢٩٨.

(٤) أعيان الشيعة: ٥/٣٩٦.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

وَيَكْتَبُ مَقْدَمَهَا بِتَوَقُّعِ (النَّاشِرِ)، وَهُوَ النَّاشِرُ إِلَى هَذِهِ الْحَزْنِ عِبَلَاتٍ دُونَ سِوَاهُ؛ ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ الْكُتُبَ تَوَارَدَتْ عَلَيْهِ مِنْ جِهَاتٍ شَتَّى يَطْلُبُونَ كِتَابَهُ بَيْنَمَا هُوَ يَهْدِيهِ بِلَا تَمَنٍّ فَلَا يَقْبَلُهُ مِنْهُ أَحَدٌ وَلَوْ بِالْمَجَّانِ؛ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَقَدْ ذَكَرَ السَّيِّدُ مُحْسِنٌ فِي كِتَابِهِ (أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ) بِأَنَّهُ لَمَّا سُئِلَ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِي عَمَّا شَاهَدَهُ أَثْنَاءَ زيارَتِهِ الْحِلَّةَ فَقَالَ: «رَأَيْتُ خَرِيَّتًا مَاهِرًا وَعَالِمًا إِنْ جَاهَدَ فَاقَ» عَنَى بِالْخَرِيَّتِ الْمُحَقِّقَ، وَبِالْعَالِمِ الْمُرْتَجِمَ^(١).

وَهَذَا التَّفْسِيرُ مُحْضٌ تَحْكُمُ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْوَصْفَيْنِ يَلِيقَانِ بِكُلِّ مِنْهُمَا فَلَا يَعْلَمُ السَّامِعُ بِاخْتِصَاصِ أَحَدِهِمَا بِبَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ الَّذِي لَمْ يَعْينَهُ كَمَا أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةٌ «وَعَالِمًا إِذَا جَاهَدَ فَاقَ» مَعْطُوفَةً عَلَى الْجُمْلَةِ الْأُولَى «رَأَيْتُ خَرِيَّتًا مَاهِرًا» فَيَكُونُ الْوَصْفَانِ عَائِدِينَ عَلَى شَخْصٍ وَاحِدٍ؛ فَهُوَ الْخَرِيَّتُ الْمَاهِرُ وَهُوَ الْعَالِمُ الَّذِي إِذَا جَاهَدَ فَاقَ، فَلَيْسَ لَنَا سَنَدٌ تَارِيخِيٌّ عَلَى التَّعْيِينِ، وَلَكِنَّ الْمَشْهُورَ هُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْأَعْيَانِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي كِتَابِ (مَخْتَصَرُ تَارِيخِ الْحِلَّةِ) لِعَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَاشِطَةِ، وَالَّذِي انْتَحَلَهُ يَوْسُفُ كَرْكُوشَ فِي تَرْجُمَةِ الْعَلَامَةِ قَوْلُهُ: «وَكَانَ الْعَلَامَةُ مَعَ غَرَارَةِ عِلْمِهِ وَتَضَلُّعِهِ فِي الْعُلُومِ لَمْ تَكُنْ لَهُ طَبِيعَةٌ شَعْرِيَّةٌ، وَلَمْ يَكُنِ الشَّعْرُ مِنْ مَبُولِهِ»^(٢)... إلخ.

مَعَ غَضِّ النَّظَرِ عَنْ سَمَاجَةِ هَذَا التَّعْيِيرِ؛ فَاَلْمَوْلُفُ يَبْذُلُ قِصَارَى جُهْدِهِ فِي دَسِّ السُّمِّ بِالْعَسَلِ وَلَكِنْ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ أَنَّ هَذَا السُّمَّ لَمْ يَقْتُلْ إِلَّا مَنْ دَسَّهُ فَقَدْ نَشَرَ الْمَاشِطَةُ بِصَحِيفَتِنَا (التَّوْحِيدُ) بَعْضَ هَذِهِ السُّمُومِ^(٣) فَزَعَمَ أَنَّ الْعَلَامَةَ لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ مُجِيدًا إِجَادَتُهُ فِي عِلْمِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ، وَزَعَمَ هُنَا أَنَّهُ فَاقِدٌ لِلْمِثْلِ الشَّعْرِيِّ، وَهَذَا مُحَالِفٌ لِلْوَاقِعِ، وَلَا نَذْرِي لِمَاذَا يُصْرُّ بِعِنَادٍ عَلَى نِسْبَةِ الشَّعْرِ

(١) أعيان الشيعة: ٣٩٦/٥.

(٢) مختصر تاريخ الحلة: ١١٠.

(٣) ولا أدري لِمَ نشرها في مجلته إن علم أن فيها سموماً تُنفث من الماشطة!!!.

القرن الثامن الهجري

إِلَى الْمُحَقِّقِ الَّذِي يُصَرِّحُ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ مَيِّتُ الْفَرِيحَةِ وَيُصِرُّ هُنَا عَلَى عَدَمِ وُجُودِ الْمَلَكَةِ الشَّعْرِيَّةِ إِلَى الْعَلَامَةِ؛ وَأَظُنُّ السَّبَبَ لَا يَخْفَى فَقَدْ حَاوَلَ الْمُسْتَحِيلَ لِإِثْبَاتِ نَظْمِ الشَّعْرِ إِلَى الْمُحَقِّقِ لَا حُبًّا بَرَفَعَ سَمْعَتِهِ، وَلَكِنْ لِيُظْهِرَهُ بِمَظْهَرِ الْعَاقِ لِأَمْرِ وَالِدِهِ، وَقَدْ أَصَرَ هُنَا عَلَى عَدَمِ وُجُودِ الْمَلَكَةِ الشَّعْرِيَّةِ لَدَى الْعَلَامَةِ؛ لِيُظْهِرَهُ بِمَظْهَرِ النَّاقِصِ الْجَامِدِ الَّذِي لَمْ تَكُنْ لَهُ مَلَكَةٌ شَعْرِيَّةٌ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْبَيْتَةِ وَالْعَوَامِلِ، وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَلَامَةَ شَاعِرٌ كَمَا وَصَفَهُ بِذَلِكَ مُتَرْجِمُهُ عَدَا الْمَاشِطَةِ الَّذِي لَمْ يَسْتَبْدِ إِلَى مَصْدَرٍ تَارِيخِيٍّ، وَيُوَيِّدُ وَجْهَةً نَظَرِنَا مَا وَرَدَ فِي الْأَعْيَانِ وَالذَّرِيعَةِ وَأَمَلِ الْأَمَلِ وَالتَّكْمِلَةِ وَرِيَاضِ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرِهَا حَتَّى وَصَفَهُ صَاحِبُ الرِّيَاضِ (بِالشَّاعِرِ الْمَاهِرِ) ^(١)، وَكَرَّرَ هَذَا الْوَصْفَ فَقَالَ عَنْهُ بِأَنَّهُ كَانَ «فَقِيهًا مُحَدِّثًا أَصُولِيًّا أَدِيبًا شَاعِرًا مَاهِرًا»، ثُمَّ نَقَلَ أَنَّهُ رَأَى بَعْضَ أَشْعَارِهِ بِبَلَدَةِ (أَرْدَبِيل) وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى جَوْدَةِ طَبْعِهِ فِي أَنْوَاعِ النَّظْمِ، وَكَذَلِكَ صَاحِبُ كِتَابِ (أَمَلِ الْأَمَلِ) ^(٢) فَقَدْ وَصَفَهُ بِذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ عِنْدَ تَعَارُضِ الشَّهَادَاتِ تُعْتَبَرُ شَهَادَةُ الْإِثْبَاتِ دُونَ شَهَادَةِ النَّفْيِ فَأَقْصَى مَا عِنْدَ النَّافِي أَنَّهُ مَا رَأَى، وَأَمَّا الْمُثْبِتُ فَقَدْ عَلِمَ وَرَأَى، وَهَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ^(٣).

فَكَيْفَ إِذَا كَانَ النَّافِي مُعْرِضًا غَيْرَ ثِقَةٍ فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ تَكُونَ مُحْفَرَاتُ الشَّعْرِ مَتَوَفَّرَةً لَدَى الْعَلَامَةِ فِي تِلْكَ الْبَيْتَةِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنَ الْكَوَازِ وَالْعَجَّانِ وَالْعَطَّارِ شُعْرَاءَ؛ ثُمَّ لَا تَكُونُ لَدَيْهِ مَلَكَةٌ شَعْرِيَّةٌ؟ وَإِذَا حَصَلَ السَّبَبُ حَصَلَ الْمُسَبَّبُ دُونَ شَكٍّ.

وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنْ يَعْمَدَ مُؤَلِّفُ هَذَا الْكُتَيْبِ إِلَى رِوَايَةِ هَزِيلَةٍ مُتَهَافَتَةٍ فَيَأْخُذَهَا بِنَظَرٍ الْإِعْتِبَارِ ثُمَّ يَقِفُ عَيْنُهُ وَعَقْلُهُ عَنْ مِثَالِ الْمَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تُخَالِفُهَا فَلَيْسَ سِوَى كِتَابِ (رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) يَزْعُمُ هَذَا الزَّعَمَ الْبَاطِلَ فَتَابِعُهُ الشَّيْخُ عَلَى غَيْرِ هُدًى؛ فَرِوَايَةُ

(١) رياض العلماء: ١/ ٣٥٨.

(٢) أمل الأمل: ٢/ ٨١ الرقم ٢٢٤.

(٣) الزمر: ٩.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلِيقَةِ

رَوَّضَاتِ الْجَنَاتِ سَقِيمَةٌ؛ فَإِنَّهَا نَفَتْ أَنْ تَكُونَ لِلْعَلَّامَةِ سَلِيقَةً شَعْرِيَّةً ثُمَّ تَنَاقَضَتْ فَأَعْتَرَفَتْ صَرَاحَةً بِالْعُثُورِ عَلَى مَجْمُوعَةٍ فِيهَا مِنَ الْأَشْعَارِ الْأَبْكَارِ الْمُنْشُوبَةِ إِلَى الْعَلَّامَةِ، وَهَذَا نَصُّ الرِّوَايَةِ: «وَكَانَ لِعَدَمِ وَجُودِ طَبَعِ النَّظْمِ فِيهِ لَمْ يَقُلِ الشَّعْرُ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ بِصَابِرٍ عَنْهُ، وَبِالْأَقْلِ فِي الْحَقَائِيَّاتِ، نَعَمْ اتَّفَقَ لِي الْعُثُورُ فِي هَذِهِ الْأَوَاخِرِ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنْ ذَخَائِرِ أَهْلِ الْإِعْتِبَارِ وَلَطَائِفِ آثَارِ فُضْلَاءِ الْأَدْوَارِ؛ فِيهَا نِسْبَةُ هَذِهِ الْأَشْعَارِ الْأَبْكَارِ إِلَيْهِ»^(١).

فَهَلْ يَجْمَعُ قَوْلُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ - لِعَدَمِ وَجُودِ طَبَعِ النَّظْمِ فِيهِ وَقَوْلُهُ - اتَّفَقَ لِي الْعُثُورُ عَلَى مَجْمُوعَةٍ، إِنْخِ، وَلَا أَذْرِي لِمَاذَا آمَنَ مُؤَلِّفُ كُتُبِ الْمُخْتَصَرِ بِبَعْضِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَكَفَرَ بِبَعْضِهَا؟

(مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ رُبَّتُهُ فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ)
وَمِنْ شِعْرِ الْعَلَّامَةِ الَّذِي اعْتَرَفَ بِهِ حَتَّى مُنْكَرِي شَاعِرِيَّتِهِ قَوْلُهُ:
لَيْسَ^(٢) فِي كُلِّ سَاعَةٍ أَنَا مُحْتَا جُ، وَلَا أَنْتَ قَادِرٌ أَنْ تُثِيلَا
فَاغْتَنِمَ عِزِّي^(٣) وَيُسْرَكَ فَاحْرِزْ فُرْصَةً تَسْتَرْقُ فِيهَا الْحَلِيلَا
وَنَقَلَ صَاحِبُ الْمُخْتَصَرِ عَنْ تَذَكُّرَةِ الشَّيْخِ نُورِ الدِّينِ أَنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ كَانَ مَعَاصِرًا
لِلْعَلَّامَةِ وَمُنْكَرًا عَلَيْهِ بِالْحَقَاءِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْعَلَّامَةُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ كُلَّ مَا عَلِمَ الْوَرَى طُرًّا لَصِرْتُ صَدِيقَ كُلِّ الْعَالَمِ
لَكِنْ جَهِلْتُ فَقُلْتُ: إِنَّ جَمِيعَ مَنْ يَهْوَى خِلَافَ هَوَاكَ لَيْسَ بَعَالِمٍ^(٤)

(١) روضات الجنات: ٢/ ٢٨٥ الرقم ١٩٨.

(٢) في بعض النسخ: (لست). هامش المحقق (٤) ١/ ١٤٤. من مقدمة المحقق لكتاب قواعد الأحكام.

(٣) في بعض النسخ: (عسرتي). هامش المحقق (٥) ١/ ١٤٤. من مقدمة المحقق لكتاب قواعد الأحكام.

(٤) الدرر الكامنة: ٢/ ٧١ و٧٢، ونقلها ابن عراق المصري في تذكروته كما عن مجالس المؤمنين: ١/ ٥٧٣ و٥٧٤.

القرن الثامن الهجري

فَكُتِبَ إِلَيْهِ فِي جَوَابِهِ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَوْصِلِيِّ
أَبْيَاتًا وَأَرْسَلَهَا إِلَيْهِ مِنْهَا:

يَا مَنْ يَمُوهُ فِي السُّؤَالِ مُسْفِطًا إِنَّ الَّذِي أَلَزَمْتَ لَيْسَ بِلَازِمٍ
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ يَعْلَمُ كُلَّ مَا عَلِمُوا وَقَدْ عَادَاهُ كُلُّ الْعَالَمِ^(١)
انْتَهَتْ رَوَايَةُ الْمَاشِطَةِ^(٢).

وَأَقُولُ إِنَّ فِي أَبْيَاتِ الْمَوْصِلِيِّ غَبَاوَةً، وَجَهْلًا؛ فَقَدْ اعْتَبَرَ بَيْتِي الْعَلَامَةُ سُؤَالًا؛ ثُمَّ
زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ السُّؤَالَ سَفْسَطَةٌ وَشَعْرُ الْمَوْصِلِيِّ أَجْدَرُ أَنْ يُوصَفَ بِالسَّفْسَطَةِ لِأَسِمَا الْبَيْتِ
الثَّانِي؛ حَيْثُ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْلَمُ كُلَّ مَا عَلِمَ الْوَرَى «وَقَدْ عَادَاهُ كُلُّ الْعَالَمِ»؛
فَالْقَضِيَّةُ غَيْرُ مُسَلِّمَةٍ فَهَلْ عَادَاهُ فَرِيقٌ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ؟ أَمْ عَادَتْهُ قُرَيْشٌ قَبْلَ
الْبُعْثَةِ؟ أَمْ هَلْ عَادَتْهُ الصَّحَابَةُ الْأَخْيَارُ؟ هَلْ عَادَاهُ الْأَطْفَالُ؟ كُلُّ هَؤُلَاءِ مِنْ مَصَادِيقِ
النَّاسِ، وَلَمْ يُعَادِهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

أَمَّا زَعْمُهُ أَنَّ الرَّسُولَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا عَلِمَ الْوَرَى فَافْتِرَاءٌ أَيْضًا فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ ﷺ لَوْ
كُنْتُ مُطَّلِعًا عَلَى الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ!!، وَوَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْمَجِيدِ بِشَأْنِ
الْمُنَافِقِينَ إِنَّكَ: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾^(٣) فَإِنْ كَانَتْ مُوَاخَذَةً عَلَى بَيْتِي الْعَلَامَةِ فَعَدَمُ الْمُلَازِمَةِ
يَبَيِّنُ قَوْلَهُ: «لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ كُلَّ مَا عَلِمَ الْوَرَى» وَيَبَيِّنُ قَوْلَهُ الْمُتَفَرِّعُ عَلَيْهِ: «لَصُرْتُ صَدِيقَ
كُلِّ الْعَالَمِ»؛ فَالْعِلْمُ شَيْءٌ وَالصَّدَاقَةُ شَيْءٌ آخَرُ، فَإِبْلِيسُ أَعْلَمُ النَّاسِ، وَهُوَ مَوْضِعُ لَعْنَتِهِمْ،
وَقَدْ يَصْحُ قَوْلُهُ بِالتَّأْوِيلَاتِ الْبَعِيدَةِ، بِأَنَّ الَّذِي يُحْصِلُ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الدَّرَجَةِ الْكَبِيرَةِ
مِنَ الْعِلْمِ يَدْخُلُ تَحْتَ صَدَاقَتِهِ أَحْبَابُهُ وَخُصُومُهُ؛ أَمَّا الْأَحْبَابُ فَتَحْصِيلُ حَاصِلٍ، وَأَمَّا
الْخُصُومُ فَمِنْ بَابِ الْمَالَاتِ وَالْمُصَانَعَةِ، أَوْ نَقُولُ إِنَّهُ مِنْ بَابِ التَّعْلِيقِ عَلَى الْمُحَالِ؛ لِأَنَّ

(١) نقله في المجالس: ٥٧٣/١ و٥٧٤ عن تذكرة ابن عراق، وفيه: (جُلُّ العالم).

(٢) يُنظر: مختصر تاريخ الحلة: ١١٠ وما بعدها.

(٣) التوبة: ١٠١.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتَيْنِ

صَدَاقَةُ كُلِّ الْعَالَمِ مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى تَحْصِيلِهِ عُلُومَ النَّاسِ كُلَّهَا، وَلَمَّا كَانَ الثَّانِي مُحَالًا فَلَمْتَعَلَّقْ عَلَيْهِ مِثْلُهُ فِي الْبُطْلَانِ وَالِاسْتِحَالَةِ.

وَيُخْتَصُّ الْعَلَامَةُ الْحَيُّ بِقَابِلِيَّةٍ كَبِيرَةٍ فِي اسْتِحْضَارِ الْأَجْوِبَةِ الْمُفْجِمَةِ الْمُسْكِتَةِ، مِنْهَا مَا نَقَلَهُ صَاحِبُ كِتَابِ (لَوْلُؤَةُ الْبَحْرَيْنِ) «أَنَّ السَّيِّدَ رَشِيدَ الْمُوصِلِيِّ وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ عُلَمَاءِ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السَّنَةِ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ حَضَرُوا لِمَنَاظَرَةِ الْعَلَامَةِ فِي الْبَلَاطِ الْإِيرَانِيِّ، وَأَنَّهُ اعْتَرَضَ عَلَى الْعَلَامَةِ حِينَ ابْتَدَأَ خُطْبَتَهُ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ الْمُوصِلِيُّ بَعْدَ جَوَازِ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَجَابَهُ الْعَلَامَةُ أَنَّ الدَّلِيلَ عَلَى الْجَوَازِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ * وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١﴾.

فَقَالَ السَّيِّدُ الْمُوصِلِيُّ: وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَصَابَتْ عَلِيًّا وَأَوْلَادَهُ لَيْسَتْ وَجَبُوا بِهَا الصَّلَاةُ؟؟ فَذَكَرَ الْعَلَامَةُ مَصَائِبَهُمُ الْمَشْهُورَةَ؛ ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ قَائِلًا: وَأَيُّهُ مُصِيبَةٌ أَعْظَمُ مِنْ كَوْنِكَ وَأَنْتَ مِنْ أُنْبَاءِهِمْ تُفَضَّلُ عَلَيْهِمْ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ التَّفْضِيلَ، فَضَحَكَ الْحَاضِرُونَ وَخَجَلَ الْمَوْصِلِيُّ ﴿٢﴾.

وَالْأَعْجَبُ مِنْ بِلَادَةِ السَّيِّدِ الْمُوصِلِيِّ فَإِنَّهُ شَافِعِي الْمَذْهَبِ، وَإِنْ رَأَيْتَ مَذْهَبَ مُحَمَّدٍ ابْنِ إِدْرِيسٍ يَرَى بَطْلَانَ صَلَاةِ الْمُصِلِيِّ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ الْقَائِلُ:

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
كَفَاكُمُ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْكُمْ مَنْ لَا يُصَلِّي عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ ﴿٣﴾
رَوَاهُمَا كَثِيرُونَ مِنْ عُلَمَاءِ إِخْوَانِنَا أَهْلِ السَّنَةِ، وَيَكْفِي أَنْ يَكُونَ رَوَاتُهَا إِمَامَهُمُ الْعَالِمُ

(١) البقرة: ١٥٦-١٥٧.

(٢) لَوْلُؤَةُ الْبَحْرَيْنِ: ٢٢٤-٢٢٦، وَيُنْظَرُ: مَجَالِسُ الْمُؤْمِنِينَ: ٢/ ٥٧١ و ٥٧٢.

(٣) يُنْظَرُ: دِيْوَانُ الشَّافِعِيِّ: ١٣٢.

القرن الثامن الهجري

الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي في كتابه (اللمعة البهية في الأدلة الإجمالية) المطبوع في مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر تحت إشراف الأستاذين السيد شاكر البدرى، والشيخ عمر بن عبد الرحمن ابن بكر المارديني من علماء الأزهر في سنة ١٣٥٩ هـ؛ فإنه قال: «وأشرف الأمة المحمدية أهل البيت النبوي مع ما لهم من فضل الصحبة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١)، وهذه الآية تعم الرجال والنساء، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢)، وبهذه الآية دلالة على افتراض محبة أهل البيت النبوي، وإلى ذلك أشار الإمام الشافعي رحمه الله في قوله: .. «^(٣)»، ثم ذكر البيتين المذكورين.

أما جواب العلامة عليه الرحمة؛ ففيه نظر، فلا تجوز الصلاة على كل من أصابته مصيبه؛ فيجب ملاحظة أسباب النزول، فالآية نزلت في واقعة خاصة؛ لأن العلامة لا يقول بالصلاة على كل أحد أصابته مصيبه، وقال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؛ فالأجدر أن يجاب بما بيناه.

وقد تخرج على العلامة نحو خمسمائة من المجتهدين الأفاضل سوى من لم يبلغ درجة الاجتهاد.

وفاته

انتقل إلى جوار ربه نهار السبت في الحادي عشر من محرم الحرام سنة ٧٢٦ هـ، في الحلة ودفن في النجف الأشرف، وقبره الشريف مزار معروف بجانب قاعدة المنارة الذهبية على يمين الداخل إلى الروضة الحيدرية المقدسة في الإيوان الذهبي المقابل إلى

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) اللمعة البهية في الأدلة الإجمالية: ١٤.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

السُّوقِ الْكَبِيرِ، وَقَدْ عَاشَ - رحمه الله، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَثْوَاهُ - (٥٨) ^(١) سَنَةً أَنْفَقَهَا فِي خِدْمَةِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَمُحَارَبَةِ الْبِدْعِ، وَلَا صَحَّةَ لِمَا زَعَمَهُ الْحَقَاقِيُّ مِنْ أَنَّهُ تُوِّفِيَ سَنَةَ ٧٢٨ هـ حَسْبَمَا نَشَرَهُ عَلَى غِلَافِ كِتَابِ (اسْتِقْصَاءِ النَّظَرِ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ) الْمَطْبُوعِ سَنَةَ ١٣٥٤ هـ بِمَطْبَعَةِ الرَّاعِي فِي النَّجَفِ الْأَشْرَفِ ^(٢).

٤٩. الْحَسَنُ بْنُ دَاوُدَ الرَّجَالِيِّ ^(٣) (٦٤٧ - ٧٤٠ هـ) ^(٤)

هُوَ تَقِيُّ الدِّينِ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ دَاوُدَ الْحَلِيِّ، النَّيَّيِّ، الْمُعَاصِرُ لِلْعَلَامَةِ

(١)

وآية الله أبو يوسف الحسن سبط مطهر فريدة الزمن
علامة العصر جليل قدره وُلِدَ - رحمه - و(عزَّ) عمره
أقول: عدد حروف لفظ (رحمة) = ٦٤٨ مولد العلامة. عدد حروف لفظ (عزَّ) = ٧٧ إشارة إلى
سنِّه، والظاهر أَنَّهُ اشْتَبَاهُ، لِأَنَّهُ تُوِّفِيَ سَنَةَ ٧٢٦ هـ، وَعَلَيْهِ فَسَنُهُ ٧٨ سَنَةً، بَعْدَ أَنْ نَطَرَ ح ٧٢٦ مِنْ
٦٤٨، وَبَعْدَ جَعْلِ (عزَّ) (عزًّا) فِي الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ.

(٢) يُنْظَرُ: مَعْجَمُ الْمَطْبُوعَاتِ النَّجْفِيَّةِ: ٩٨، وَقَدْ قَدَّمَ لَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ جَوَادُ الْجَزَائِرِيُّ حَجْمَ الْكُفِّ
١٠٠ صَحِيفَةً.

(٣) تَرْجَمْتُهُ فِي: رِجَالِ ابْنِ دَاوُدَ: ١١١ الرِّقْمَ ٤٣٤، نَقْدُ الرِّجَالِ: ٩٣ الرِّقْمَ ١٠٢، جَامِعُ الرِّوَاةِ:
١/ ٢١٠، أَمَلُ الْأَمَلِ: ٢/ ٧١ الرِّقْمَ ١٩٦، رِیَاضُ الْعُلَمَاءِ: ١/ ٢٥٤، رَوَاضَاتُ الْجَنَّاتِ:
٢/ ٢٨٧ الرِّقْمَ ١٩٩، بَهْجَةُ الْأَمَالِ: ٣/ ١٦٢، تَنْقِيحُ الْمَقَالِ: ١/ ٢٩٣ الرِّقْمَ ٢٦٤٩، أَعْيَانُ
الشَّيْعَةِ: ٥/ ١٨٩، طَبَقَاتُ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ: ٣/ ٤٣، مَصْفَى الْمَقَالِ: ١٢٦، الذَّرِيعَةُ: ١٠/ ٨٤
الرِّقْمَ ١٥٥، الْغَدِيرُ لِلْأَمِينِيِّ: ٦/ ٣، جَامِعُ الرِّجَالِ: ١/ ٥٢٤، الْأَعْلَامُ: ٢/ ٢٠٤، مَعْجَمُ رِجَالِ
الْحَدِيثِ: ٥/ ٣١ الرِّقْمَ ٢٩٥٦، قَامُوسُ الرِّجَالِ: ٣/ ٢٠٥، مَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ: ٣/ ٢٥٣.

(٤) نُقِلَ عَنْ مَوْسُوعَةِ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٨/ ٧١ «وَذَكَرَ أَنَّ صَاحِبَ رِیَاضِ الْعُلَمَاءِ رَأَى نَسْخَةً مِنْ
(الْفَصِيحِ) بِخَطِّ ابْنِ دَاوُدَ، كَتَبَهَا فِي رَمَضَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةً»، فَتَكُونُ سَنَةُ وَفَاتِهِ
بَعْدَ ٧٤١ هـ، إِلَّا أَنِّي رَاجَعْتُ كِتَابَ الرِّیَاضِ: ١/ ٢٥٨ وَوَجَدْتُ الْعِبَارَةَ الْآتِيَةَ: «وَرَأَيْتُ بِخَطِّهِ
الشَّرِيفِ فِي آخِرِ كِتَابِ الْفَصِيحِ الْمَنْظُومِ...»، وَفِي ٤/ ١٢٣ مِنْهُ الْآتِي: «رَأَيْتُ فِي مَشْهَدِ الرِّضَا...
كَتَبَهُ مَمْلُوكُهُ حَقًّا حَسَنُ بْنُ دَاوُدَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ فِي ثَالِثِ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِمِائَةٍ =

القرن الثامن الهجري

الحليّ وشريكه في الدرس عند أستاذيهما المحقق، كان من حسنات الدهر، علماً وذكاءً، ودربةً واسعةً، ودرايةً شاملةً، ورُجولةً كاملةً، وشهامةً وغيرهً، وأصاله رأيي، وأنفه وإبائه، وشرفاً وسمواً، وغيرها من مميزات الرجولة، وصفات الكمال، تفنن في العلوم الشرعية؛ فحذق الفقه والأصول والكلام والتفسير والحديث والرجال والعلوم اللسانية؛ فأتقن النحو والصرف والمعاني والبيان والبدیع والعروض وتبحر بالعلوم العقلية فدرّس المنطق والحكمة وزاول العلوم الرياضية؛ فقرأ الحساب والهندسة فهو العالم المشارِك في كثير من العلوم طویل الباع فيها فلو استنطقنا التاريخ عما سجّله من مآثر خالدة لأدهشنا بكثرة تلك الآثار الجليلة ولابن داود معرفة بأسرار الشعر ومن شعره الذي رثى به الشيخ محفوظ بن وشاح قوله في البحر المُتقارب:

لَكَ اللهُ أَيُّ بِنَاءٍ تَدَاعَى	وَقَدْ كَانَ فَوْقَ النُّجُومِ ارْتِفَاعَا
وَأَيُّ عِلَاءٍ دَعَتْهُ الْخُطُوبُ	فَلَبَّى وَلَوْلَا الرَّدَى مَا أَطَاعَا
وَأَيُّ ضِيَاءٍ ثَوَى فِي الثَّرَى	وَقَدْ كَانَ يُخْفِي النُّجُومَ التِّمَاعَا
لَقَدْ كَانَ شَمْسَ الْهُدَى كَاسِمِهِ	فَأَرْخَى الْخُسُوفُ عَلَيْهِ الْقِنَاعَا
فَوَا أَسْفَا أَيْنَ ذَاكَ اللِّسَانُ	إِذَا رَامَ مَعْنَى أَجَابَ اتِّبَاعَا
وَتِلْكَ الْبُحُوثُ الَّتِي مَا تَمَلُّ	إِذَا مَلَّ صَاحِبُ بَحْثٍ سَمَاعَا
فَمَنْ ذَا يُجِيبُ سُؤَالَ الْوُفُودِ	إِذَا عَرَضُوا أَوْ تَعَاطَوْا نِزَاعَا
وَمَنْ لِلْيَتَامَى وَلَابْنِ السَّبِيلِ	إِذَا قَصَدُوهُ عُرَاءَ حِيَاةَا
وَمَنْ لِلْوَفَاءِ وَحَفِظِ الْإِخَاءِ	وَرَعَى الْعُهُودِ إِذَا الْغَدْرُ شَاعَا
سَقَى اللهُ مَضْجَعَهُ رَحْمَةً	تُرَوَّى ثَرَاهُ وَتَأْبَى انْقِطَاعَا ^(١)

= حامداً مصلحاً مستغفراً». إذا نقل السبحاني في موسوعته ليس صحيحاً، ثم هو ذكر في صدر

الحياة «كان حياً سنة ٧٠٧هـ»، وفي النهاية ذكر ٧٤١هـ. والله العالم. فيكون حياً سنة ٧٠٧هـ.

ينظر: مدرسة الحلة وتراجم علمائها، للسيد حيدر وتوت: ٣٢٣، الهامش رقم (٢).

(١) هذه الأبيات موجودة في: أمل الآمل: ٧٣/٢، الفوائد الرجالية: ٢٣٥-٢٣٦، أعيان=

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْخَلْتَيْنِ

وَمِنْ شَعْرِهِ يَوْمَ عِيدِ الْغَدِيرِ مِنَ الْبَحْرِ الْكَامِلِ:
 أَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى كَلَامِ مُحَمَّدٍ يَوْمَ الْغَدِيرِ وَقَدْ أُقِيمَ الْمَحْمَلُ
 مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَهَذَا حَيْدَرُ مَوْلَاهُ لَا يَرْتَابُ فِيهِ مُحْصَلُ
 نَصِّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ نَصًّا ظَاهِرًا بِخِلَافَةِ غَرَاءَ لَا تَأَوَّلُ^(١)
 وَشَعْرُهُ كَثِيرٌ وَفَيْرٌ سِيمًا مَا كَانَ مِنْهُ عَلَى نَوْعِ الْأَرَاخِيزِ تَرَاهُ مَتَفَرِّقًا فِي شَتَّى الْكُتُبِ
 وَبُطُونِ الطَّوَامِيرِ وَالْمَجَامِيعِ؛ وَلِسَهُولَةِ الشَّعْرِ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ نَظْمِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ عَلَى
 بَحْرِ الرَّجَزِ الَّذِي يَلْقُبُونَهُ بِ(مَطَيَّةِ الشُّعْرَاءِ)؛ فَمَنْ تَأَلَّفَهُ كِتَابُ (الرَّائِضِ فِي الْفَرَائِضِ)^(٢)
 مَنْظُومَةٌ عَلَى الرَّجَزِ، وَ(الدَّرُّ الثَّمِينُ فِي أَصُولِ الدِّينِ)^(٣)، وَ(اللُّمْعَةُ فِي الْفَقْهِ)^(٤)، وَهِيَ غَيْرُ
 (اللُّمْعَةِ الدَّمَشَقِيَّةِ)؛ فَتِلْكَ بَرَزْخُ بَيْنَ الْفَقْهِ وَالْأُصُولِ مِنْ تَأْلِيفِ الشَّهِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ مَكِّيٍّ
 الْعَامِلِي، وَابْنِ دَاوُدَ كِتَابُ (الْحَرِيدَةُ الْعَذْرَاءُ فِي الْعَقِيدَةِ الْغَرَاءِ)^(٥)، وَكِتَابُ (عَقْدُ الْجَوَاهِرِ
 فِي الْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ)^(٦) مَطْبُوعٌ، وَلَهُ كِتَابُ (اللُّوْلُؤَةُ)^(٧) وَهُوَ غَيْرُ (لُؤْلُؤَةِ الْبَحْرَيْنِ)،
 وَلِلْمُتَرْجِمِ لَهُ كِتَابُ (عَدَّةُ النَّاسِكِ فِي قَضَاءِ الْمَنَاسِكِ)^(٨)، وَكِتَابُ (الْجَوْهَرَةُ فِي نَظْمِ
 التَّبَصُّرَةِ)^(٩)، وَمَنْظُومَةٌ فِي مَوْضُوعِ (الْإِمَامَةِ)^(١٠)، وَكُلُّهَا دُرَرٌ مَنْظُومَةٌ.

= الشَّيْعَةُ: ١٩٢ / ٥.

(١) يُنْظَرُ: الْغَدِيرُ لِلْأَمِينِيِّ: ٣ / ٦.

(٢) أَمَلُ الْأَمَلِ: ٧٢ / ٢، رِجَالُ ابْنِ دَاوُدَ: ٧٥، الْفَوَائِدُ الرَّجَالِيَّةُ: ٢ / ٢٢٤، مَعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ:

٣٥ / ٦.

(٣) أَمَلُ الْأَمَلِ: ٧٢ / ٢.

(٤) فِي أَمَلِ الْأَمَلِ: ٧٢ / ٢ (فِي فَقْهِ الصَّلَاةِ)، وَانْظُرْ: الْفَوَائِدُ الرَّجَالِيَّةُ: ٢ / ٢٢٤.

(٥) أَمَلُ الْأَمَلِ: ٧٣ / ٢، الْفَوَائِدُ الرَّجَالِيَّةُ: ٢ / ٢٣٥-٢٣٦، الْغَدِيرُ لِلْأَمِينِيِّ: ٣ / ٦.

(٦) أَمَلُ الْأَمَلِ: ٧٣ / ٢، الْغَدِيرُ لِلْأَمِينِيِّ: ٣ / ٦.

(٧) أَمَلُ الْأَمَلِ: ٧٣ / ٢.

(٨) أَمَلُ الْأَمَلِ: ٧٣ / ٢، مَعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ: ٣٥ / ٦.

(٩) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ.

(١٠) أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ١٩١ / ٥.

القرن الثامن الهجري

وأما كتبه النثرية فكثيرة؛ منها (كتاب البغية) في القضايا، وكتاب (تحصيل المنافع)^(١)، وكتاب (التحفة السعدية)^(٢)، وكتاب (خلاف المذاهب الخمسة)^(٣) نحا فيه منحى كتاب (تهذيب النفس في معرفة المذاهب الخمس) للعلامة الحلي، وابن داود كتاب أيضاً (مقتصر المختصر)، وكتاب (الكافي)، وكتاب (النكت)، وكتاب (تكملة المعتبر)، وكتاب (حل الإشكال) في علم المنطق، وكتاب (الإكليل في علم العروض)، وكتاب (قرة عين الحليل في شرح النظم الجليل)، والأصل لابن الحاجب في علم العروض، وكتاب (مختصر الإيضاح) في علم النحو، وكتاب (حروف المعجم)، وكتاب (مختصر أسرار العريية)^(٤)، وغيرها من الكتب النفيسة التي تتجاوز الثلاثين، ولكنه لم يشتهر بها؛ وإنما اشتهر بكتابه (الرجال)؛ فنسب إليه فقيل الحسن بن داود الرجالي، وقد أبدع وأجاد في كتابه هذا فجاء فريداً وحيداً في بابيه، لطيفاً في أسلوبه، قال صاحب كتاب (أمل الأمل) «وسلوكة في كتاب - الرجال - أنه رتبته على الحرف الأول؛ فالأول في الأسماء، وأسماء الآباء والأجداد»^(٥).. إلخ.

مولده

ولد هذا العالم الجليل البحّاث المّدقّق في اليوم الخامس من جمادى الآخرة سنة ٦٤٧ هـ يوافقها قولي:

لَمَّا أَتَى أَفُقَ الْعُلَا أَرَّخْتُ: مَشْرِقُ بِهِ

(١) أعيان الشيعة: ١٩١/٥.

(٢) أمل الآمل: ٧٣/٢، أعيان الشيعة: ١٩١/٥.

(٣) أعيان الشيعة: ١٩١/٥.

(٤) للمزيد عن مصنفاته، يُنظر: أمل الآمل: ٧٢/٢، رجال ابن داود: ٧٥، الفوائد الرجالية:

٢٢٤/٢، معجم رجال الحديث: ٣٥/٦.

(٥) أمل الآمل: ٧٢/٢ وما بعدها.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلْيَةِ

وَأَمَّا وَفَاتُهُ فَقَدْ وَقَعَ فِيهَا اخْتِلَافٌ؛ فَقِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ سَنَةَ نَيْفٍ وَ ٧٤٠ هـ وَوَرَدَ فِي بَابِلِيَّاتِ الْيَعْقُوبِيِّ: «إِنَّ فِي التَّارِيخِ الْمَذْكُورِ نَظْرًا؛ فَإِنَّهُ إِنْ صَحَّ يَكُونُ عُمُرُهُ نَحْوَ الْمِائَةِ فَيَكُونُ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ، وَلَوْ كَانَ لَذَكَرُوهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، انْتَهَى»^(١).

وَهَذَا (النَّظَرُ) فِيهِ نَظَرٌ؛ إِذْ لَا مَجَالَ لِهَذَا الْاِعْتِرَاضِ فَمَا هُنَالِكَ سِجَلَاتٌ رَسْمِيَّةٌ بِأَسْمَاءِ الْمُعَمَّرِينَ وَلَا قَوَائِمٌ أَهْلِيَّةٌ تُحْصِي هَذِهِ الْأَسْمَاءَ حَتَّى إِذَا رَجَعْنَا إِلَيْهَا وَلَمْ نَجِدْ فِيهَا اسْمَ الشَّخْصِ الْمُقْصُودِ حَكْمًا بَعْدَ كَوْنِهِ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ؛ بَلْ حَتَّى لَوْ كَانَتْ أَمْثَالُ هَذِهِ الْقَوَائِمِ وَالسِّجَلَاتِ فَمِنَ الْجَائِزِ وَفَوْقَ السَّهْوِ بَعْدَ دَرَجِ الشَّخْصِ فِيهَا وَكَمْ مِنَ النَّاسِ مِنْ أُلُوفِ الْمُعَمَّرِينَ لَمْ يَذْكُرْهُمْ ذَاكِرٌ وَلَمْ أَعْلَمْ مِنْ أَئِينَ اسْتَسْتَجَّ الْأَدِيبُ الْيَعْقُوبِيُّ هَذِهِ الْمُلَازِمَةَ فَبَنَى حُكْمَهُ عَلَيْهَا كَمَا لَا أَعْرِفُ لِمَنْ يَعُودُ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ (لَذَكَرُوهُ) وَمِنَ الْجَائِزِ الْمَقْبُولِ أَنْ يَكُونَ تَارِيخُ وَفَاتِهِ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ بِالرَّغْمِ مِنْ اسْتِعْجَادِ صَاحِبِ الْبَابِلِيَّاتِ؛ لِأَنَّ مِنْ تَلَامِيذِهِ الشَّيْخَ زَيْنَ الدِّينِ الْمَطَارِآبَادِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٦٢ هـ؛ فَإِذَا طَرَحْنَا مِنْهَا سِنِيَّ وَفَاةَ ابْنِ دَاوُدَ، وَهِيَ ٧٤٠ فَيَكُونُ عُمُرُ الْمَطَارِآبَادِيِّ فِي سِنِّ ٢٢ عَامًا، وَهُوَ السَّنُ اللَّائِقُ بِأَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنْ تَلَامِيذِهِ ابْنِ دَاوُدَ، وَفِي كِتَابِ رِيَاضِ الْعُلَمَاءِ جَاءَ فِيهِ: «أَنَّهُ الْفَقِيهُ الْجَلِيلُ رَئِيسُ أَهْلِ الْأَدَبِ» - إِلَى أَنْ قَالَ - «الْعَالِمُ الْفَاضِلُ الرَّجَالِيُّ النَّبِيلُ الْمَعْرُوفُ بـ: ابْنِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْاِخْتِصَارِ، وَحَالُ هَذَا الشَّيْخِ فِي الْجَلَالَةِ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ، وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُسْطَرَ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ شَرِيكَ الدَّرْسِ مَعَ السَّيِّدِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ جَمَالِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ طَاوُوسٍ الْحِلِّيِّ وَغَيْرِهِ، وَلَهُ سِبْطٌ فَاضِلٌ هُوَ الشَّيْخُ أَبُو طَالِبٍ بْنُ رَجَبٍ»^(٢).. إلخ.

وَهَذَا غَايَةُ مَا تيسَّرَ لَنَا مِنْ تَرْجُمَتِهِ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ.

(١) الْبَابِلِيَّاتِ: ١٠٥ / ١.

(٢) رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ: ٢٥٤ / ١ وما بعدها.

القرن الثامن الهجري

٥٠. الحسن بن سليمان^(١) [كَانَ حَيًّا عَامَ ٨٠٢ هـ]^(٢)

لَقَدْ أَكْثَرْتُ مِنَ الْبَحْثِ وَالتَّبَعِ الْمُسْتَمِرِّ وَقَلَبْتُ عَشْرَاتِ الْكُتُبِ وَالْمَوْلَفَاتِ،
وَأَنْفَقْتُ السَّاعَاتِ الطَّوِيلَةَ الْغَالِيَةَ فِي التَّفْتِيشِ، وَالتَّنْقِيبِ؛ فَوَقَفْتُ عَلَى عِدَّةِ شَخْصِيَّاتٍ
عِلْمِيَّةٍ وَأَدَبِيَّةٍ كَانَ يَغْمُرُهَا النِّسْيَانُ، وَالْحَسَنُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الشَّخْصِيَّاتِ
الْمَغْمُورَةِ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدِ الْحَلِيِّ^(٣) مِنْ أَفَاضِلِ تَلَامِذَةِ الشَّهِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ
مَكِّيٍّ^(٤)، مَوْلَفِ كِتَابِ (إِبْثَابُ الرَّجْعَةِ)^(٥)، وَكِتَابِ (مُخْتَصَرُ بَصَائِرِ الدَّرَجَاتِ)،
وَبَصَائِرِ الدَّرَجَاتِ هَذَا مِنْ جُمْلَةِ مَوْلَفَاتِ شَيْخِ الطَّائِفَةِ أَبِي الْقَاسِمِ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي
خَلْفٍ الْأَشْعَرِيِّ الْقُمِيِّ، وَالْحَسَنُ بْنُ سُلَيْمَانَ - الْمُرْتَجِمُ لَهُ - اخْتَصَرَهُ وَوَسَمَهُ بِ(مُخْتَصَرِ

(١) يُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ فِي: أَمَلُ الْأَمَلِ: ١٤٥/٢، رِیاضُ الْعُلَمَاءِ: ١٩٣/١، رَوْضَاتُ الْجَنَّاتِ: ٢٩٣/٢
الرَّقْمُ ٢٠٢، خَاتِمَةُ الْمُسْتَدْرَكِ: ٣١٧/٢، تَعْلِيقَةُ أَمَلِ الْأَمَلِ: ١١٥، الذَّرِيعَةُ: ١٨٢/٢٠، طَبَقَاتُ
أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ: الْقَرْنُ الْتَّاسِعُ، مَوْسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٣٤٢/٢، مَسْتَدْرَكَاتُ عِلْمِ رِجَالِ
الْحَدِيثِ: ٣٩٨/٢، أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ١٠٦/٥.

(٢) هَذَا مَا خَمَّنَهُ الشَّيْخُ السَّبْحَانِي فِي كِتَابِهِ (مَوْسُوعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ): ٣٤١/٢.

(٣) قَالَ فِي الْأَعْيَانِ: ١٠٦/٥ «نَسَبْتُهُ بِالْعَامِلِيِّ وَجَدْتُهَا فِي مَسْوَدَةِ الْكِتَابِ وَلَا أَعْلَمُ الْآنَ مِنْ أَيْنَ
أَخَذْتُهَا، وَلَعَلَّ أَصْلَهُ كَانَ عَامِلِيًّا ثُمَّ تَوَطَّنَ الْحِلَّةَ وَلَمْ يُوصَفْ بِالْعَامِلِيِّ فِي أَمَلِ الْأَمَلِ وَلَا فِي رِیاضِ
الْعُلَمَاءِ».

(٤) إِجَازَتُهُ لَهُ سَنَةَ (٧٥٧ هـ). يُنْظَرُ: الذَّرِيعَةُ: ١٨٢/٢٠.

(٥) إِبْثَابُ الرَّجْعَةِ لِلشَّيْخِ حَسَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدِ الْحَلِيِّ الْمَجَازِ مِنَ الشَّيْخِ الشَّهِيدِ مَعَ جَمْعِ آخَرِينَ
فِي ١٢ شَعْبَانَ سَنَةِ ٧٥٧ هـ، وَهُوَ صَاحِبُ مُخْتَصَرِ الْبَصَائِرِ كَمَا ذَكَرَ اسْمُهُ فِي أَوَاسِطِهِ كَانَتْ النُّسخَةُ
عِنْدَ صَاحِبِ الرِّیاضِ وَیُنْقَلُ عَنْهَا الْعَلَّامَةُ الْمَجْلِسِيُّ فِي الْبَحَارِ، قَالَ فِي أَوَّلِهِ: «إِنِّي قَدْ رَوَيْتُ فِي
مَعْنَى الرَّجْعَةِ أَحَادِيثَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقٍ سَعَدَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَنَا مُتَبَهِّتٌ فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى
مَا رَوَاهُ سَعَدٌ فِي كِتَابِ مُخْتَصَرِ الْبَصَائِرِ لِخ»، وَمَرَادُهُ أَنَّ الْمَذْكُورَ هُنَا أَحَادِيثَ الرَّجْعَةِ مِنْ غَيْرِ
طَرِيقٍ سَعَدَ فَمَنْ أَرَادَ الْأَحَادِيثَ مِنْ طَرِيقِ سَعَدٍ فَلْيَرْجِعْ إِلَى كِتَابِي الَّذِي هُوَ مُخْتَصَرُ كِتَابِ بَصَائِرِ
الدَّرَجَاتِ لِسَعَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، لَكِنَّ صَاحِبَ الرِّیاضِ اسْتَظْهَرَ مِنْ كَلَامِهِ هَذَا أَنَّ مُخْتَصَرِ الْبَصَائِرِ
لِسَعَدَ فَرَأَجَعُ. الذَّرِيعَةُ: ٩٢-٩١/١.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفِكْرِيِّ فِي الْحِلَّةِ

البَصَائِرِ)، أَوْ (مُنْتَخَبُ الْبَصَائِرِ) لَا أَعْرِفُ أُيُّهُمَا الصَّحِيحُ^(١)، وَهُوَ مِنَ الْكُتُبِ^(٢) الَّتِي وَصَفُوهَا بِالنَّفِيسَةِ وَالْجَلِيلَةِ لَمْ أَطْلُعْ عَلَيْهِ اخْتَصَرَهُ دُونَ أَنْ يُحِلَّ بِإِدَاءَةِ الْكِتَابِ؛ وَإِنَّمَا اكْتَفَى بِحَذْفِ الْفُضُولِ مِنْهُ وَالْمُتَكَرِّرِ.

وَالْحَسَنُ بْنُ سُلَيْمَانَ مِنْ أَفَاضِلِ رِجَالِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهَجْرِيِّ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَحْوَالِهِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، وَقَدْ أَعْجَزَنِي الْإِطْلَاعُ عَلَى تَارِيخٍ وَلَا دَيْتِهِ وَوَقَاتِهِ بِالضَّبْطِ كَمَا جِهَلْتُ أَكْثَرَ أَثَارِهِ؛ حَيْثُ مَرَّتْ بِالْحِلَّةِ أَدْوَارٌ جَدِيدَةٌ بِالْإِعْتِبَارِ زَحَرَتْ بِالْعُلَمَاءِ وَالْأُدَبَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَرِجَالِ السِّيَاسَةِ، وَقَادَةَ الْفِكْرِ وَقَادَةَ الْجَيْشِ؛ وَلَكِنَّ الْحَوَادِثَ وَالنَّكَبَاتِ الَّتِي تَعَرَّضَتْ لَهَا الْحِلَّةُ مَحَتْ كَثِيرًا مِنْ تِلْكَ الصَّفَحَاتِ النَّاصِعَةِ مِنْ تَارِيخِ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ فَلَمْ يَتَبَيَّرْ لَنَا الْإِطْلَاعُ الْكَافِي عَلَى تِلْكَ الثَّرْوَةِ الْفِكْرِيَّةِ الْهَائِلَةِ، وَلَمْ يَكُنْ بِوُسْعِنَا سِوَى الْوُقُوفِ عَلَى الْأَقْلَ مِنْ قَلِيلٍ مِنْ تَارِيخِ الْحِلَّةِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ النَّيِّرَةِ مِنَ الزَّمَنِ فَوَصَلَتْ لَنَا مَعْلُومَاتٌ مَبْتُورَةٌ كَمَا تَصِلُ قَطْرَةُ الْمَاءِ إِلَى قَلْبِ الضَّمَانِ؛ فَلَا تَبُلُّ الْغَلَّةَ وَلَا تَشْفِي الْعَلَّةَ، وَلَكِنْ وَجُودُهَا أَفْضَلُ مِنْ عَدَمِهَا، وَلَوْ لَا تِلْكَ النَّكَبَاتُ الْمُؤَسِّفَةُ لَكَانَتِ الْحِلَّةُ أَعْظَمَ مَدِينَةٍ تَفْخَرُ بِكَثْرَةِ عُلَمَائِهَا حَتَّى تَخْرُجَ عَلَى الْعَلَامَةِ وَحْدَهُ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسَائَةِ مَجْتَهِدٍ سِوَى مَنْ قَصَرَ عَنْ دَرَجَةِ الْاجْتِهَادِ وَسِوَى تِلَامِذَةِ الْعُلَمَاءِ الْآخَرِينَ؛ فَلَيْسَ مِنَ الْمُبَالِغَةِ مَنْ قَالَ إِنَّ فِي عَصْرِ الْعَلَامَةِ (٤٤٠) مُجْتَهِدًا فَإِنِّي إِذَا قُلْتُ إِنَّ الْمَجْتَهِدِينَ قَدْ يَبْلُغُونَ عِدَّةَ آلَافٍ فِي عَصْرِ الْعَلَامَةِ فَلَمْ أَكُنْ مُسْرِفًا بِالْمُبَالِغَةِ؛ لِذَلِكَ لَمْ تَسْتَطِعْ أَيْةُ مَدِينَةٍ فِي الْعَالَمِ أَنْ تُخْرِجَ فِي عَصْرِ وَاحِدٍ، وَفِي عِلْمٍ وَاحِدٍ هَذَا الْعَدَدَ الْغَفِيرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ حَتَّى أَكْبَرَ مُدُنِ الْغَرْبِ وَحَتَّى فِي عَصْرِ الذَّرَّةِ

(١) طُبِعَ بِعَنْوَانِ: مُنْتَخَبُ بَصَائِرِ الدَّرَجَاتِ فِي الْمَطْبَعَةِ الْحَيْدَرِيَّةِ، سَنَةِ ١٣٧٠ هـ.

أَقُولُ: وَعِنْدَ مَرَاجِعَتِي لِلنَّسْخَةِ الْخَطِيَّةِ الْمُنْسُوخَةِ سَنَةِ ١٠٧٩ هـ، بِيَدِ النَّاسِخِ مُحَمَّدٍ قَاسِمِ بْنِ شِجَاعِ الدِّينِ النَّجْفِيِّ، وَعَلَيْهَا مَرَاجَعَةُ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ صَادِقِ بْنِ الْحَسَنِ بَحْرِ الْعُلُومِ فِي ١٣٦٢ هـ، لَمْ يَذْكُرْ سِوَى هَذِهِ التَّسْمِيَةِ (مُخْتَصَرُ بَصَائِرِ الدَّرَجَاتِ).

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ (الْكِتَابِ)، وَالصَّوَابُ هُوَ الْمَثْبُوتُ.

القرن الثامن الهجري

والكَهْرَبَاءِ، وَعَسَى أَنْ تَقِظَ أُنْبَاءُ تِلْكَ الْبَهَائِلِ^(١) مِنْ هَذَا النَّوْمِ الطَّوِيلِ؛ لِيَعِيدُوا مَجْدَ آبَائِهِمُ الْغَطَارِيفَ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ قَابِلِيَّةٍ وَرَائِيَّةٍ لَا يَنْقُصُهَا سِوَى الْعَزْمِ وَالتَّوَجُّهِ وَالتَّوَجُّهِ، وَلَكِنْ مَنْ هُوَ الْمُوجَّهُ وَمَتَى؟، إِنَّ هَذَا الْجَوَابَ تَرْكُهُ إِلَى الزَّمَنِ؛ فَهُوَ الَّذِي بَوَّعَهُ هَذَا الْجَوَابُ.

٥١. ابنُ مُظَاهِرٍ الْحِلِّيُّ^(٢) [بعد ٧٤١هـ]

قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ تُطَابِقُ أَسْمَاؤُهُمْ أَفْعَالُهُمْ، وَصَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ مِنْ أَوْلِيَّكَ النَّاسِ الْقَلَائِلِ، فَهُوَ حَسَنُ الْأَفْعَالِ، حَسَنُ السَّمْعَةِ حَسَنُ الْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ، حَسَنُ السَّجَايَا وَالْأَخْلَاقِ، يَصُحُّ فِيهِ قَوْلُ الْعَلَامَةِ السَّيِّدِ كَمَالِ الدِّينِ الشَّهِيرِ بِالْحِلِّيِّ:

لَفِظُ اسْمِهِ حَسَنٌ يُجَيِّبُ الْفُؤَادَ كَأَنَّا اتَّخَذُوهُ مِنْ مَعَانِيهِ^(٣)
وَابْنُ مُظَاهِرٍ هُوَ الشَّيْخُ الْجَلِيلُ النَّبِيلُ الْفَقِيهُ التَّقِيُّ الْوَرَعُ الصَّالِحُ الزَّاهِدُ الْعَالِمُ الْعَامِلُ، عَزَّ الدِّينَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُظَاهِرٍ الْحِلِّيِّ، وَالِدُ الشَّيْخِ الْعَالِمِ الثَّقَةِ زَيْنِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُظَاهِرٍ، الْمُجَازُ مِنْ فَخْرِ الْمُحَقِّقِينَ سَنَةِ ٧٤١هـ^(٤)، وَوَصَفَهُ بِإِجَارَتِهِ بـ«الشَّيْخِ الْإِمَامِ، الْفَقِيهِ الْعَالِمِ السَّعِيدِ عَزَّ الدِّينَ بْنِ مُظَاهِرٍ»؛ وَحَذَفَ (أَحْمَدَ)

(١) في المطبوع (الهاليل)، وهو خطأ مطبعي. وهو جمع بهلول، وهو السيِّد الجامع لكل خير والحييِّ الكريم. تاج العروس: ١٤ / ٧٣.

(٢) ترجمته في: رياض العلماء: ١ / ١٥٧، طبقات أعلام الشيعة: ٣ / ٣٦، وقد ترجم له في موسوعة طبقات الفقهاء تحت عنوان (الفقهاء الذين لم نظفر لهم بتراجم وافية): ٨ / ٢٥٨، ويُنظر عن كتابه (المسائل المظاهريَّة) كتاب الذريعة: ٢٠ / ٣٦٧.

(٣) ديوان السيِّد جعفر الحليِّ.

(٤) يُنظر: الذريعة: ٢٠ / ٣٦٧-٣٦٨ وفيه أيضًا: «وقد كتب فخر المحقِّقين لابن مظاهر المذكور إجازة في حاشية هذه المسائل بل في مواضع منها متعدِّدة ويظهر منها أنَّها تصنيف التلميذ وأنَّه كتبها حين قراءته القواعد على أستاذه وتاريخ إجازته له على القواعد ذي الحجة ٧٤١هـ مقتصرًا على الفروع المشكلة والفروع التي سألها عن أستاذه الفخر وأجاب عنها شفاهًا أو مكتوبةً».

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِرِيِّ فِي الْحِلَّةِ

إِيجَازًا نَسَبَهُ إِلَى الْجَدِّ كَمَا يُقَالُ فِي الرَّسُولِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَدْنَانَ، وَابْنُ فَهْدٍ، وَكَمَا يُقَالُ لِلسَّيِّدِ الْعَلَوِيِّ فِي عَصَرِنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ، وَكَمَا يُقَالُ رَضِيَ الدِّينُ ابْنُ طَاوُوسٍ، وَطَاوُوسٌ جَدُّهُ عَلَى سَبِيلِ النَّسَبَةِ إِلَى الْجَدِّ بِقَصْدِ الْإِخْتِصَارِ.

وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ عَلَى إِيجَازِهَا كَافِيَةٌ وَافِيَةٌ فِي إِعْطَاءِ فِكْرَةٍ وَاضِحَةٍ عَنْ شَخْصِيَّةِ الْمُتَرْجِمِ لَهُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَبَيَانِ مَا لَهَذَا الرَّجُلِ الْجَلِيلِ مِنْ مَكَانَةٍ سَامِيَةٍ وَلَكِنَّهُ مَعَ الْأَسْفِ كَأَمْثَالِهِ مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِ الْحِلَّةِ أَخْنَى عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ بِكُلِّكِلِهِ، وَلَفَّهْمُ بِسَجْفِهِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ آثَارِهِمْ سِوَى جُمْلٍ مُقْتَضِبَةٍ؛ وَلَوْ لَا هَذِهِ التَّثَفُّ الْقَلِيلَةُ لَنَسَجَ عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ خُيُوطَ النَّسْيَانِ، وَطَوَى صَفْحَةً ذَكَرَهُمْ فِي سِجِلِّ الْأَضْمِحَالِ.

٥٢. النَّقِيبُ غِيَاثُ الدِّينِ النَّيْلِيُّ^(١)

هُوَ الْعَالِمُ النَّحْوِيُّ وَالْفَقِيهُ الشَّاعِرُ غِيَاثُ الدِّينِ عَبْدُ الْكَرِيمِ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ مُحَمَّدٍ، النَّسَابَةُ جَلَالِ الدِّينِ عَبْدُ الْحَمِيدِ (الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٦٦ هـ) نَقِيبُ الْمَشْهَدِ الْعَلَوِيِّ وَالْكُوفَةِ الْعَرَاءِ، يَنْتَهِي شَرِيفُ نَسَبِهِ إِلَى أَبِي عَاتِقَةَ الزَّاهِدِ الْعَابِدِ الْحُسَيْنِ الْمُثَلِّبِ بِذِي الدَّمْعَةِ ابْنِ زَيْدِ الشَّهِيدِ الْمُضْلُوبِ فِي كُنَاسَةِ الْكُوفَةِ ابْنِ الْإِمَامِ السَّجَّادِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.

وَقَدْ كَانَ النَّقِيبُ غِيَاثُ الدِّينِ مِنَ الْمُعَاصِرِينَ لِلشَّاعِرِ الْحَلِيِّ صَفِيِّ الدِّينِ ابْنِ أَبِي السَّرَايَا الطَّائِي، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَ النَّقِيبَ الْمَذْكُورَ بِدِيَوَانِهِ، وَجَعَلَ عَبْدُ الْحَمِيدِ أَبَاهُ وَهُوَ جَدُّهُ مِنْ بَابِ الْإِخْتِصَارِ، وَقَدْ تَطَرَّقْنَا لِحَوَازِ هَذَا الْإِسْتِعْمَالِ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ مُظَاهِرِ الْحَلِيِّ، وَأَمَّا أَبُوهُ الصُّلْبِيُّ فَهُوَ مُحَمَّدٌ وَمُرْتَبَةُ الصَّفِيِّ الْحَلِيِّ لَهُ مُثَبَّتَةٌ بِدِيَوَانِهِ الْمَطْبُوعِ^(٢)، وَقَدْ

(١) يُنْظَرُ: فِي تَرْجُمَتِهِ: عَمْدَةُ الطَّالِبِ: ١٩١، الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ: ٢/٤٩٦، إِضْطِحَاحُ الْمَكْنُونِ: ١/١٣٨،

أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ٨/٢٦٦، وَيُنْظَرُ: مُقَدِّمَةُ كِتَابِ الْأَنْوَارِ الْمُضِيئَةِ لَوْلَهُ.

(٢) يُنْظَرُ: دِيَوَانُ الصَّفِيِّ الْحَلِيِّ، وَقَصِيدَتُهُ فِي رِثَاءِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مَوْجُودَةٌ فِي دِيَوَانِهِ الْمَطْبُوعِ.

القرن الثامن الهجري

ذَكَرَ فِي تَمْهِيدِ الرَّثَاءِ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعَرَبِ خَرَجَتْ عَلَى غِيَاثِ الدِّينِ الْمَذْكُورِ وَهُوَ بِسَطُّ سُورَاءٍ وَسَلَبَتْهُ مَا عِنْدَهُ حَتَّى وَصَلَتْ أَيْدِيهَا إِلَى سَلَبِ سِرِّوَالِهِ فَامْتَنَعَ وَمَانَعَهَا فَضْرَبَهُ أَحَدُهُمْ فَقَتَلَهُ، وَالصَّفِيُّ نَظَّمَ قَصِيدَتَهُ هَذِهِ تَحْرِيبًا لِلنَّقِيبِ الطَّاهِرِ شَمْسِ الدِّينِ الْآوِي عَلَى أَخْذِ ثَارِهِ، وَفِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ تَوْرِيَّةٌ وَجِنَاسٌ:

هُوَ الدَّهْرُ مُعَرَّى بِالكَرِيمِ وَسَلَبِهِ فَإِنْ كَانَ فِي شَكِّ بِذَاكَ فَسَلِّ بِهِ
أَبْعَدَ غِيَاثِ الدِّينِ يَطْمَعُ صَرْفَهُ بِصَرْفِ خِطَابِ النَّاسِ عَنْ ذَمِّ خَطْبِهِ
وَتَخَطُّوا إِلَى عَبْدِ الْكَرِيمِ خُطُوبُهُ وَيَطْلُبُ مِنَّا الْيَوْمَ غُفْرَانَ ذَنْبِهِ؟^(١)
سَنَذْكُرُهَا عِنْدَ تَرْجَمَةِ الصَّفِيِّ، وَالْمُتَرْجِمُ لَهُ، لَهُ كُتُبٌ وَأَثَارٌ أَجُودُهَا كِتَابُ (الْأَنْوَارِ الْمُضِيئَةِ فِي الْحِكْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ)^(٢) وَهُوَ كِتَابٌ نَفِيسٌ فِي عِدَّةِ مَجَلَّدَاتٍ، وَلِلنَّقِيبِ تَلَامِيذٌ مُحْصِلُونَ مِنْهُمْ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْحَلِّيِّ، وَأَمَّا تَحْصِيلُ غِيَاثِ الدِّينِ الْعِلْمِيِّ؛ فَأَكْثَرُهُ كَانَ عَلَى يَدِ أُسْتَاذِهِ ابْنِ فَهْدٍ، وَفَخِرَ الْمُحَقِّقِينَ ابْنِ الْعَلَّامَةِ، وَكِلَاهُمَا مِنْ عُلَمَاءِ الْحِلَّةِ الَّذِينَ ضَرَبُوا بِسَهْمٍ وَافِرٍ فِي شَتَى الْعُلُومِ، وَلَا بُدَّ لِمَنْ يَعْتَنِي بِالدِّرَاسَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ يَقِفَ عَلَى عِبْقَرِيَّةِ هَؤُلَاءِ الْفُحُولِ بِكُلِّ إِجْلَالٍ وَاحْتِرَامٍ.

(١) يُنْظَرُ: الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ: ٢/ ٤٩٧، وَقَدْ نَقَلَهَا الْقَمِّيُّ عَنْ شُهَدَاءِ الْفَضِيلَةِ كَمَا ذَكَرَ هُوَ.
(٢) هَذَا الْكِتَابُ لَيْسَ لِلْسَيِّدِ غِيَاثِ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ، وَإِنَّمَا لِابْنِهِ، فَ«إِنَّ مُؤَلَّفَهُ كَانَ أَسْتَاذَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنَ فَهْدٍ الَّذِي تَوَفَّى سَنَةَ ٨٤١ هـ وَهُوَ السَّيِّدُ بَهَاءُ الدِّينِ عَلِيِّ ابْنِ غِيَاثِ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحُسَيْنِيِّ النَّبَلِيِّ النَّجْفِيِّ صَاحِبِ كِتَابِ الرِّجَالِ الَّذِي تَمَّمَهُ السَّيِّدُ جَمَالُ الدِّينِ فِي حَيَاةِ مُؤَلَّفِهِ وَذَكَرَ تَرْجُمَةَ الْمُؤَلَّفِ وَتَصَانِيفَهُ وَذَكَرَ تَرْجُمَةَ تَلْمِيزِ الْمُؤَلَّفِ وَهُوَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ فَهْدٍ وَذَكَرَ لَهُ عِدَّةُ الدَّاعِي الْمُؤَلَّفِ سَنَةَ ٨٠١ هـ». الذَّرِيعَةُ: ٢/ ٤٤٣، ١٦/ ٧٧، وَانْظُرْ: خَاتِمَةُ مُسْتَدْرَكِ الْوَسَائِلِ: ٢/ ٢٩٦-٢٩٧، وَ٣/ ١٨٢، وَكَشَفُ الْحَجَبِ وَالْأَسْتَار: ٦٩.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِرِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

٥٣. النَّقِيبُ رَشِيدُ الدِّينِ الْأَوِيِّ^(١) [حَيًّا سَنَهُ ٧٠٥ هـ]^(٢)

أَرْجِيحُهُ الشَّاعِرِ، وَرَصَانَةُ تَفْكِيرِ الْعَالَمِ، وَمَدَارِكُ الْفَيْلَسُوفِ، وَخُنُكَةُ الْقَائِدِ، وَتَجَارِبُ الْحَكِيمِ، وَوَرَعُ الْعَابِدِ، وَنَفَحَاتُ عَالَمِ الْقُدْسِ، وَإِشْرَاقَةُ الْعَقْلِ الْمُنَاضِلِ لِلتَّصَوُّرَاتِ الْوَهْمِيَّةِ، وَإِفَاضَاتُ الْمَلَائِكَةِ، وَوَقَارُ الْمُلُوكِ، كُلُّ ذَلِكَ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مِّمَزَاتِ النَّقِيبِ رَشِيدِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الرَّشِيدِيِّ الْأَوِيِّ الَّذِي ظَفَرَ بِالنَّقَابَةِ وَنَاهِيكَ بِالنَّقَابَةِ يَوْمَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا جُزْأً، وَلَمْ تُعْطَ لَهُ كَمَا تُعْطَى الْوِظَائِنُ الْمُهِمَّةُ فِي عَصْرِنَا؛ لِمَحْسُوبِيَّةٍ أَوْ مَنْسُوبِيَّةٍ؛ وَلَا عَتِبَارَاتٍ سَخِيفَةٍ؛ بَلْ حَازَهَا عَنْ جَدَارَةٍ تَامَّةٍ وَاسْتَحْقَاقٍ كَانَتْ لَهُ مَعَ صَفِيِّ الدِّينِ الْحَلِيِّ السَّنْسَبِيِّ، الطَّائِي، الشَّاعِرِ الشَّهِيرِ مُودَّةً وَثِيقَةً وَأَلْفَةً وَصُحْبَةً - وَشَبِهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ - فَكَانَا صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْنِ تَجْمَعُهُمَا رَوَابِطُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، وَوَحْدَةُ الْعَقِيدَةِ وَتَقَارُبُ الرُّوحِ وَالْفِكْرِ، وَوَحْدَةُ الْوَطَنِ وَالْبَلَدِ، وَهُوَ الَّذِي طَلَبَ مِنَ الصَّفِيِّ الْحَلِيِّ مُعَارَضَةَ قَصِيدَةِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ الْبَائِيَّةِ الَّتِي يَفْتَخِرُ بِهَا عَلَى الْعَلَوِيِّينَ افْتِخَارَ الْجَنَادِلِ عَلَى الدَّرْرِ وَالظَّلَامِ عَلَى النُّورِ وَالْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ، الْقَصِيدَةُ الْحَمَقَاءُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

وَنَحْنُ وَرَثْنَا ثِيَابَ النَّبِيِّ فَكَمْ تَجْذِبُونَ بِأَهْدَابِهَا؟
لَكُمْ رَحِمٌ يَا بَنِي بَنْتِهِ وَلَكِنَّ بَنِي الْعَمِّ أَوْلَى بِهَا
قَتَلْنَا أُمِّيَّةً فِي دَارِهَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِأَسْلَابِهَا^(٣)
فَأَجَابَهُ الصَّفِيُّ بِبَائِيَّتِهِ عَلَى الْبَدِيهَةِ بِقَصِيدَةٍ جَاءَ فِيهَا:

أَلَا قُلْ لِشَرِّ عَبِيدِ الْإِلَهِ وَطَاغِي قُرَيْشٍ وَكَذَّابِهَا
وَبَاغِي الْعِبَادِ وَبَاغِي الْعِنَادِ وَهَاجِي الْكَرَامِ وَمُغْتَابِهَا

(١) ترجمته في: رياض العلماء: ٢٠٤ / ٤ طبقات أعلام الشيعة: ١٤٧ / ٣، موسوعة طبقات الفقهاء: ٢٦٤ / ٨.

(٢) عن موسوعة طبقات الفقهاء: ٢٦٤ / ٧٨ «الفقهاء الذين لم نجد لهم ترجمة وافية» بالرقم ٤٢.

(٣) ديوان ابن المعتز: ٢٩.

القرن الثامن الهجري

أَأَنْتِ تُفَاخِرُ آلَ النَّبِيِّ
بِكُمْ بِأَهْلِ الْمُصْطَفَى؟ أَمْ بِهِمْ؟
أَعَنْكُمْ نُبَيَّ الرَّجْسِ؟ أَمْ عَنْهُمْ؟
أَمَّا الرَّجْسُ وَالْحَمْرُ مِنْ دَابِّكُمْ؟
وَقُلْتُمْ وَرِثْنَا ثِيَابَ النَّبِيِّ
وَعِنْدَكَ لَا تُورِثُ الْأَنْبِيَاءُ
فَكَذَّبْتَ نَفْسَكَ فِي الْحَالَتَيْنِ
أَجِدُكَ يَرْضَى بِمَا قُلْتَهُ
وَكَانَ بِصِفِّينَ مِنْ حِزْبِهِمْ
وَقَدْ شَمَرَ الْمَوْتُ عَنْ سَاقِهِ
فَأَقْبَلَ يَدْعُو إِلَى حَيْدَرٍ
وَأَثَرَ أَنْ تَرْتَضِيَهُ الْأَنْامُ
لِيُعْطِيَ الْخِلَافَةَ أَهْلًا لَهَا
وَصَلَّى مَعَ النَّاسِ طُولَ الْحَيَاةِ
فَهَلَّا تَقْمَصُهَا جَدُّكُمْ
لِذَا جَعَلَ الْأَمْرَ شُورَى لَهُمْ
أَخَامُسُهُمْ كَانَ؟ أَمْ سَادِسًا؟
وَقَوْلُكَ: أَنْتُمْ بَنُو بِنْتِهِ
بَنُو الْبِنْتِ أَيْضًا بَنُو عَمِّهِ
فَدَعَى فِي الْخِلَافَةِ فَضْلَ الْخِلَافِ
وَمَا أَنْتِ وَالْفَحْصُ عَنْ شَأْنِهَا

وَتَجَحُّدُهَا فَضْلَ أَحْسَابِهَا
فَرَدَّ الْعِبَادَ بِأَوْصَابِهَا
لَطْهَرَ النُّفُوسِ وَالْبَابِهَا
وَفَرَطُ الْعِبَادِ مِنْ دَابِّهَا؟
فَكَمْ تَجْذِبُونَ بِأَهْدَابِهَا
فَكَيْفَ حَظَّيْتُمْ بِأَثْوَابِهَا
وَلَمْ تَعْلَمْ الشَّهَدَ مَنْ صَابِهَا
وَمَا كَانَ يَوْمًا بِمُرْتَابِهَا
لِحَرْبِ الطُّغَاةِ وَأَحْزَابِهَا
وَكَشَرَتِ الْحَرْبُ عَنْ نَابِهَا
بِأَرْغَابِهَا وَبِأَرْهَابِهَا
مِنْ الْحَكَمَيْنِ لِأَسْبَابِهَا
فَلَمْ يَرْتَضَوْهُ لِإِيحَابِهَا
وَحَيْدَرٌ فِي صَدْرِ مُحْرَابِهَا
إِذَا كَانَ إِذْ أَحْرَى بِهَا
فَهَلْ كَانَ مِنْ بَعْضِ أَرْبَابِهَا
وَقَدْ جُلِيتْ بَيْنَ خُطَّابِهَا
وَلَكِنَّ بَنِي الْعَمِّ أَوْلَى بِهَا
وَذَلِكَ أَذْنَى لِأَنْسَابِهَا
فَلَيْسَتْ ذُلُولًا لِرُكَّابِهَا
وَمَا قَمَّصُوكَ بِأَثْوَابِهَا

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِهَا

وَمَا سَاوَرَتْكَ سِوَى سَاعَةٍ فَمَا كُنْتَ أَهْلًا لِأَسْبَابِهَا
وَكَيْفَ يُخْصُوكَ يَوْمَ مَا بِهَا وَلَمْ تَتَأَدَّبْ بِآدَابِهَا
وَقُلْتَ: بِأَنَّكُمْ الْقَاتِلُونَ أُسُودَ أُمِّيَّةٍ فِي غَابِهَا
كَذِبْتَ وَأَسْرَفْتَ فِيمَا ادَّعَيْتَ وَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَنْ عَابِهَا
فَكَمْ حَاوَلْتَهَا سُرَاةً لَكُمْ فَرَدَّتْ عَلَى نَكْصِ أَعْقَابِهَا
وَلَوْ لَا سَيْفُ (أَبِي مُسْلِمٍ) لَعَزَّتْ عَلَى جُهِدِ طُلَّابِهَا
وَذَلِكَ عَبْدٌ لَهُمْ لَا لَكُمْ رَعَى فِيكُمْ قُرْبَ أَنْسَابِهَا
وَكُنْتُمْ أُسَارَى بِبَطْنِ الْحُبُوسِ وَقَدْ شَفَّكُمْ لَثْمُ أَعْقَابِهَا
فَأَخْرَجَكُمْ وَحَبَاكُمُ بِهَا وَقَمَّصَكُمْ فَضَلَ جِلْبَابِهَا
فَجَازَيْتُمُوهُ بِشَرِّ الْجَزَاءِ لَطَغَوَى النُّفُوسِ وَإِعْجَابِهَا
فَدَعِ ذَكَرَ قَوْمٍ رَضُوا بِالْكَفَافِ وَجَاءُوا الْخِلَافَةَ مِنْ بَابِهَا
هُمْ الزَّاهِدُونَ هُمْ الْعَابِدُونَ هُمُ السَّاجِدُونَ بِمُحَرَّابِهَا
هُمْ الصَّائِمُونَ هُمْ الْقَائِمُونَ هُمُ الْعَالِمُونَ بِآدَابِهَا
هُمْ قُطْبُ مِلَّةِ دِينِ الْإِلَهِ وَدَوَّرَ الرَّحَى حَوْلَ أَقْطَابِهَا
عَلَيْكَ بَلَهُوكَ بِالْغَانِيَاتِ وَخَلَّ الْمَعَالِي لِأَضْحَابِهَا
وَوَصَفِ الْعَذَارِ وَذَاتِ الْخِمَارِ وَنَعَتِ الْعُقَارِ بِأَلْقَابِهَا
وَشِعْرِكَ فِي مَدْحِ تَرْكِ الصَّلَاةِ وَسَعَى السُّقَاةِ بِأَكْوَابِهَا
فَذَلِكَ شَأْنُكَ لَا شَأْنُهُمْ وَجَزَى الْجِيَادِ بِأَحْسَابِهَا^(١)

وهذه القصيدة الرصينة الجليلة تدل على قابلية الصفي الحلبي الشعرية الشخصية التي أعجبت الباحثين في الدراسات الإسلامية، فقصيدته هذه إلى العلم أقرب منها إلى

(١) يُنظر: ديوان الصفي الحلبي، وراجع: الغدير: ٦/ ٥٣، الوافي بالوفيات: ١٧/ ٢٤٤، فوات

الوفيات للكتبي: ١/ ٥٩٥، أعيان الشيعة: ٨/ ٢٣.

القرن الثامن الهجري

الشَّعْرَ وَكَمْ فِي الشَّعْرِ مِنْ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ وَنَظَرٍ؛ لِأَنَّهَا جَاءَتْ فِي سَبِيلِ الْإِزْجَالِ؛ فَقَوْلُهُ: «وَكَيْفَ يُحْصَوُكُ يَوْمًا بِهَا» جَاءَ مُلْحُونًا، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ بِثُبُوتِ النَّوْنِ (يُحْصَوُكَ)؛ لِعَدَمِ وُجُودِ النَّاصِبِ وَالْجَازِمِ؛ وَلَعَلَّ التَّخْرِيفَ مِنَ النَّسَاجِ وَهُوَ أَقْرَبُ الْإِحْتِمَالَاتِ لَتَضَلُّعِ الصَّفِيِّ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ؛ وَلَعَلَّ أَصْلَ الْبَيْتِ هَكَذَا «وَكَيْفَ تُحْصَصُ يَوْمًا بِهَا»، كَمَا أَنَّ مُحَمَّدَ عَلِيَّ الْيَعْقُوبِيَّ أَثْبَتَ هَذَا الْبَيْتَ هَكَذَا «فَقَتَلْتُمْ أُمِّيَّةً فِي دَارِهَا..»^(١)، وَهُوَ خَطَأٌ فَاحِشٌ لَا يَنْفَى عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ لاختلال المعنى، وَكَيْفَ يَقُولُ قَتَلْتُمْ أَنْتُمْ وَنَحْنُ أَوْلَى بِالْأَسْلَابِ؛ فَالْأَسْلَابُ لِلْقَاتِلِ كَمَا يُدْرِكُهُ أَقْلُ النَّاسِ.

وَقَوْلُ الصَّفِيِّ فِي تَفْنِيدِ مَزَاعِمِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ «وَعِنْدَكَ لَا تَوَرَّثَ الْأَنْبِيَاءُ» لِحَوَابِ مُسْكِتٍ مُفْجِحٍ؛ فَإِنَّ مَسْأَلَةَ تَوْرِيثِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ جُمْلَةِ الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ بَيْنَ الشَّيْعَةِ وَإِخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ بِتَوْرِيثِ الْأَنْبِيَاءِ لِرَوَايَةِ رَوَاهَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مُنْفَرِدًا: (نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِّثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةً)^(٢)؛ وَالشَّيْعَةُ تَرَى صَحَّةَ تَوْرِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، وَتُسْتَدِلُّ بِأَدِلَّةٍ جَلِيلَةٍ مِنْهَا عُمُومُ آيَةِ الْمِيرَاثِ، وَبِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى زَيْدِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَسْجِدَهُ إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا اخْتَرْتُكَ)^(٣) إِلَّا لِنَفْسِي فَأَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِي وَأَنْتَ أَخِي وَوَارِثِي وَأَنْتَ مَعِيَ فِي قُصْرِي فِي الْجَنَّةِ)^(٤).

(١) انظر: ١/ ١١٠ من بابليّاته.

(٢) الموطأ: ٢/ ٩٩٣/ ٢٧، صحيح مسلم: ٣/ ١٣٧٩/ ٥١، سنن أبي داود: ٣/ ١٣٩/ ٢٩٦٣. في خلاف في ألفاظه يسير. وانظر: رد الشيخ المفيد في المسائل الصاغانيّة: ٩٩، والشريف المرتضى في الرسائل: ٣/ ١٤٦ وما بعدها.

(٣) في رواية: (أخترتك). ينظر: منهاج الكرامة: ١٤٥، وكشف اليقين للعلامة الحليّ: ٢٠٠.

(٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ١/ ٥٢٥ برقم ٨٧١ و٢/ ٦٣٨ برقم ١٠٨٥، وينظر:

مستدرك الحاكم: ٣/ ١٤، والمناقب للخوارزمي: ١٥٠-١٥٢، وتذكرة الخواص: ٢٨.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحِلَّةِ

أُورِدَهُ الْعَلَامَةُ الْحِلِّيُّ فِي كِتَابِهِ: (الْمَنْهَاجُ) ^(١)؛ فَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي كِتَابِهِ (الْمَنْهَاجُ) ^(٢) بِوُجُوهِ ضَعِيفَةٍ قَالَ فِي الْوَجْهِ الرَّابِعِ مِنْهَا: «إِنَّ قَوْلَهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ (أَنْتَ أَخِي وَوَارِثِي) ^(٣)، بَاطِلٌ عَلَى قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ أَرَادَ مِيرَاثَ الْمَالِ بَطُلَ قَوْلُهُمْ إِنَّ فَاطِمَةَ وَرِثَتْهُ، وَكَيْفَ يَرِثُ ابْنُ الْعَمِّ مَعَ وُجُودِ الْعَمِّ؟ وَهُوَ الْعَبَّاسُ - إِلَى أَنْ قَالَ - وَإِنْ أَرَادَ إِرْثَ الْعِلْمِ وَالْوِلَايَةِ بَطُلَ احْتِجَاجُهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ ^(٤)..» إلخ.

وَهَذِهِ مُعَالِطَةٌ وَسَفْسَاطَةٌ؛ فَقَوْلُهُ: (أَخِي وَوَارِثِي) يُرَادُ بِهِ إِرْثُ الْعِلْمِ وَالْوِلَايَةِ هُنَا، وَأَمَّا قَوْلُهُ بَطُلَ قَوْلُهُمْ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾، فَلَا يَبْطُلُ هَذَا الْقَوْلُ لِعَدَمِ وُجُودِ الْمُلَازِمَةِ فَنَحْنُ لَا نَقُولُ إِنَّ كُلَّ لَفْظَةٍ الْإِرْثِ يُرَادُ بِهَا الْعِلْمُ وَالْوِلَايَةُ؛ لِيَصَحَّ اسْتِدْلَالُهُ؛ فَالْإِرْثُ فِي ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ الخ.. كَانَ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ وَاسْتَعْمَلَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَجَازًا، وَلَيْسَ مِنْ نَصِّ يَمْنَعُ اسْتِعْمَالَ اللَّفْظِ مَرَّةً حَقِيقَةً وَأُخْرَى مَجَازًا، وَلَوْ قُلْنَا إِنَّ الْمُرَادَ بِالْإِرْثِ إِرْثُ الْمَالِ فَعِنْدَنَا أَنَّ الْبِنْتَ تَحْجُبُ الْعَمَّ وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمِيرَاثُ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِزَوْجَاتِ الرَّسُولِ ﷺ وَلِعَلِّمِ النَّبِيِّ أَنْ ابْنَتَهُ تَمُوتُ قَبْلَ زَوْجِهَا فَمَا تَنَالُهُ مِنْ مِيرَاثٍ يَرْجِعُ إِلَى زَوْجِهَا مِيرَاثًا فَيَصُحُّ أَنَّهُ وَارِثُهُ وَهُوَ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ وَلَوْ فَرَضْنَا جَدَلًا صَحَّةَ الْحَدِيثِ (نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ، مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَةً)؛ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنْ مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَةً لَا تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْإِرْثِ وَيَبْقَى صَدَقَةً كَمَا كَانَ فَهُوَ

(١) يُنْظَرُ: مَنْهَاجُ الْكِرَامَةِ: ١٤٥.

(٢) مَنْهَاجُ السُّنَّةِ: ٧٦/٤.

(٣) تَمَّتْ الْحَدِيثُ: (يَا عَلِيُّ، أَنْتَ أَخِي وَوَارِثِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِي وَأُمَّتِي، فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي، مُحِبُّكَ مُحِبِّي، وَمُبْغِضُكَ مِبْغِضِي، يَا عَلِيُّ، أَنَا وَأَنْتَ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَا عَلِيُّ، أَنَا وَأَنْتَ وَالْأُمَّةُ مِنْ وَلَدِكَ سَادَةٌ فِي الدُّنْيَا، وَمُلُوكٌ فِي الْآخِرَةِ، مَنْ عَرَفْنَا فَقَدْ عَرَفَ اللَّهُ، وَمَنْ أَنْكَرْنَا فَقَدْ أَنْكَرَ اللَّهُ ﷻ). الْأَمَالِيُّ لِلصَّدُوقِ: ٧٥٥، يَنْابِيعُ الْمَوْدَّةِ: ١/ ٣٧٠، وَيُنْظَرُ: فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ لِابْنِ حَنْبَلٍ:

١٠٨٥/٦٣٩/٢.

(٤) النَّمْلُ: ١٦.

القرن الثامن الهجري

خَاصٌّ بِالْمُتْرُوكِ عَلَى سَبِيلِ الصَّدَقَةِ، وَمَا سِوَاهُ يَوْرَثُ فَتَكُونُ (مَا) مَفْعُولًا إِلَى (نُورَثُ) وَلِذَلِكَ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ   السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ أَنْ يُدْفَنَ فِي غُرْفَتِهَا فَمَا مَعْنَى الاسْتِئْذَانِ؟ إِذَا كَانَ مَا تَرَكَهُ النَّبِيُّ صَدَقَةً وَأَمْرُهُ بِيَدِهِ بِصِفَتِهِ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ! وَمَا مَعْنَى قَوْلِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ (الْبَيْتُ بَيْتِي) ^(١) فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْوَجْهُ الصَّحِيحُ هُوَ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ، وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّنِئُ الْحَلِّيُّ فِي رَدِّهِ عَلَى ابْنِ الْمُعْتَزِّ؛ حَيْثُ قَالَ:

وَعِنْدَكَ لَا تُورَثُ الْأَنْبِيَاءُ فَكَيْفَ حَظِّيتُمْ بِأَنْوَابِهَا؟
وَكَانَ صَدِيقُهُ الْأَوِيُّ- صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ- عَالِمًا مِثْلَهُ فِقْهًا، فَاضِلًا، وَرِعًا صَالِحًا، أَدِيبًا؛ وَقَدْ أَجَارَهُ الْعَلَامَةُ الْحَلِّيُّ، وَكَانَ تَارِيخُ هَذِهِ الْإِجَارَةِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَصَمِّ ^(٢) مِنْ شُهُورِ سَنَةِ ٧٠٥ هـ، أَيَّ قَبْلَ وَفَاةِ الْعَلَامَةِ- أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ- بـ (٢١) عَامًا، وَهُوَ مِنْ تَلَامِذَةِ الْعَلَامَةِ، وَقَدْ وَصَفَهُ بِإِجَارَتِهِ هَذِهِ بِأَوْصَافٍ جَلِيلَةٍ كَقَوْلِهِ «الشَّيْخُ الْأَجَلُّ الْأَوْحَدُ، الْفَقِيهُ الْكَبِيرُ، الْعَالِمُ الْفَاضِلُ، الزَّاهِدُ الْوَرَعُ، الْعَلَامَةُ، أَفْضَلُ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَلِسَانُ الْمُتَقَدِّمِينَ، الْمُحَقِّقُ الْمُدَقِّقُ، مَفْخَرَةُ الْأَفَاضِلِ، خَوَاجَةُ رَشِيدِ الْمِلَّةِ وَالْحَقُّ وَالدِّينُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ رَشِيدِ الْأَوِيِّ» ^(٣).. الخ.

وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ نُسْتَسِفُّ مِنْ وَرَائِهَا قِيَمَةُ الْأَوِيِّ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ، وَهُوَ لَا شَكَّ مِنْ أَفْضَلِ فَضْلَاءِ عَصْرِهِ، مُعَاصِرٌ لِلشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ الشَّهَابِ مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ الْحَلِّيِّ أَحَدُ أَيْمَّةِ الْفِقْهِ، وَكَوْكَبٌ مُنِيرٌ مِنْ كَوَاكِبِ الْعِلْمِ، كَمَا

(١) انظر مقدّمات السيّد المصنّف أوّل الكتاب، وذكره لهذا الحديث، وحديث مسألة دفن عمر بن الخطّاب في الغرفة.

(٢) المشهور على ألسنة العوام (الأصب)، ووردت في المعجمات (الأصم) وصفًا لشهر رجب، وسمّي أصم؛ لعدم سماع قعقة السلاح فيه، ولا صوت مستغيث بـ (يا لفلان) و (يا صاحبه).
لسان العرب: ٤١١/٧ (صم).

أقول: وعلة التسمية بـ (الأصب)؛ لأنّ الخيرات تُصبُّ فيه صبًّا. والله العالم.

(٣) طبقات أعلام الشيعة: ١٤٧/٣.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

عَاَصَرَ الْآوِيُّ فَخَرَ الْمُحَقِّقِينَ وَشَارَكَهُ فِي فَضِيلَةِ الْعِلْمِ؛ وَلَكِنَّا مَعَ الْأَسْفِ لَمْ نَقِفْ عَلَى مَصَادِرَ مُوسَّعَةٍ؛ لِتَحِيْطِ بِنَوَاحِي هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْفَذَّةِ إِحَاطَةَ السُّورِ بِالْمَعْصَمِ، وَكُلُّ مَا هُنَاكَ عِبَارَاتٌ وَجِيزَةٌ غَيْرُ مُتَرَابِطَةٍ أَشْبَهُ بِرُؤُوسِ أَقْلَامٍ، وَنُتِفَ مِنْ أَحْوَالِهِ بَقِيَتْ تُصَارِعُ حَوَادِثَ الدَّهْرِ، وَمَعَ هَذَا الشَّحِّ الشَّدِيدِ مِنْ جَانِبِ نَرَى التَّرَاجِمَ تَجُودُ بِسَخَاءٍ؛ بَلْ بِتَبْذِيرٍ وَإِسْرَافٍ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ بِحَيْثُ تُعْنَى بِتَوَافِهِ الْأُمُورِ، وَتُلْتَقِطُهَا عَلَى عِلَّاتِهَا.

٥٤. الشُّفْهَيْنِيُّ^(١) الْحَلِّيُّ^(٢) [المَقْتُولُ سَنَةَ ٧٨٦هـ]^(٣)

مِنْ الْأَهْمِيَّةِ بِمَكَانٍ دِرَاسَةِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ الْقَدِيمِ، وَالْحَدِيثِ دِرَاسَةً فَاحِصَةً مُسْتَفِيضَةً، وَمُقَارَنَةً حَالَتِهِ أَمْسَ بِحَالَتِهِ الْيَوْمَ، وَالْعُكُوفُ عَلَى دِرَاسَةِ أَسْبَابِ هَذَا التَّبَايُنِ وَمِنْ ثَمَّ الْعَمَلُ الْمُجْدِي الْمُتَوَاصِلُ لِإِزَالَةِ تِلْكَ الْأَسْبَابِ لِلرُّجُوعِ بِالْإِسْلَامِ إِلَى سِيرَتِهِ الْأُولَى، وَتَنْقِيَةِ جَوْهَرِهِ مِمَّا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ صَدَأٍ وَالْإِهَابَةِ بِرِجَالِ الْفِكْرِ الْمُصْلِحِينَ إِلَى تَوْحِيدِ الْكَلِمَةِ، وَمُعَاجَلَةِ أَمْرَاضِهِ الْبَاطِنِيَّةِ قَبْلَ كُلِّ إِصْلَاحٍ خَارِجِيٍّ لِلْمَحَافَظَةِ عَلَى الثَّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ فِي وَسْطِ هَذِهِ الْعَوَاصِفِ الْقَوَاصِفِ، وَإِلَّا فَإِنَّ أَقْلَ تَهَاوُنٍ قَدْ يُعْرِضُ الْإِسْلَامَ وَأَقْدَاسَهُ إِلَى الْخَطَرِ الْمُحَقَّقِ الْمَاحِقِ.

(١) والمرجح أنه منسوب إلى (شيفيا) أو (شافيا)، وهي قرية على سبعة فراسخ من واسط، والنسبة إليها (الشيفياني) أو (الشافياتي)، وإنها حُرِّفَتْ مِنَ الرِّوَاةِ، والنسبة إليها شافيني وشفهيني، وما شاكل ذلك. يُنظر: معجم البلدان: ٣/ ٣٨٥.

(٢) ترجمته في أعيان الشيعة: ٨/ ١٩١ وما بعدها، ١٠/ ٦٢، الغدير: ٦/ ٣٥٦، الذريعة: ١٤/ ١٣، ١٤/ ٢٦٤، ١٧/ ١٢٦، مجالس المؤمنين: ٢/ ٥٧١-٥٧٢، تعليقة أمل الأمل: ٧٩، رياض العلماء: ٣/ ٤٢٧، أمل الأمل: ٢/ ١٩٠، روضات الجنات: ٧/ ١٥، الحقائق الراهنة: ١٣٧-١٣٨، تكملة أمل الأمل: ٣٦٩.

(٣) ذكر ذلك العلامة المحقق جعفر مرتضى العاملي في كتابه مأساة الزهراء: ٢/ ٢١، وفي كتاب (علي في الكتاب والسنة) للحاج حسين الشاكري: ٤/ ٢٤١ ذكر سنة وفاته ٧٢٥هـ.

القرن الثامن الهجري

ومن هذه الدراسات المُلدِّة المُفيدة دراسة رجال الفكر من سلفنا الصالح؛ لاستعراض انتاجاتهم العقلية، وأخذ الصالح منها والاهتداء بهديهم لإنقاذ هذا التراث الغالي من أفاعيل تيار الإلحاد الجارف والدعوة المادية الهدامة، ومن جملة هذه الدراسات [كتابنا] كتاب (فقهائ الفيحاء) الذي عني بتراجم فحول العلماء أمثال أبي الحسن علاء الدين الشيخ علي الشافعي^(١) الحلبي من ألمع رجالات القرن الثامن الهجري، كان شديد الحساسية، دقيق الملاحظة، مُرهف الحس، خصب الشاعرية، عالماً حكيماً، مدققاً فاضلاً، فقيهاً صالحاً، شاعراً مجيداً، وعند البحث في هذه الشخصية ومميزاتها ينفتح لنا موضوعان:

[موضوع] علمي: ويشمل ما لصاحب هذه الترجمة من مكانة مرموقة في علم الفقه والأصول والحكمة والمنطق، وما شاكلها من علوم ذلك العصر. وموضوع أدبي^(٢): ويتناول ملكة الشافعي الأدبية النادرة وقدرته العجيبة على قرض الشعر، وملكة راسخة في النظم، وهذان الموضوعان يدلان بمجموعهما على

(١) جاء في أعيان الشيعة: ١٠/ ٦٢-٦٣ «أقول: الرجل حلبي لا عاملي، والعجب من صاحب الروضات كيف توهم أنه عاملي، وأما هذا الشرح فلم نجد من نسبه إلى الشهيد غيره ولم يذكر سنده، فيوشك أنه اشتبه فيه كما اشتبه في الشافعي».

(٢) جاء في الذريعة: ١٧/ ٨٥ «القوائد السبع في مرثي الحسين مبتدئ فيها بمناقب أمير المؤمنين للشيخ علي بن الشافعي الحلبي، قال في (الرياض) رأيتها في أربيل، بخط الشيخ محمد بن علي بن الجبعي العاملي، تلميذ ابن فهد، في مجموعة بخطه، ولعل الشافعية نسبة إلى الإمام، ولعل الناظم من المعاصرين للشيخ أحمد بن فهد المتوفى ٨٤١ هـ.

أقول: الجبعي هذا هو جد الحسين بن عبد الصمد، وقد توفي سنة ٨٨٦ هـ، ومن آثاره الشريفة اليوم مجموعتان بخطه، كانتا عند شيخنا النوري، واليوم عند سبطه آقا ضياء، وفي (الأمل) ترجم الشيخ علي الشافعي الحلبي، وله مدائح كثيرة في أمير المؤمنين وسائر الأئمة، ومر في السين (السبع العلويات) نسخة منها بخط إبراهيم، تاريخ كتابتها ١٢ رجب ١٠٧٨، رأيتها ضمن مجموعة عند الأردوبادي».

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

عَظَمَةُ هَذَا الرَّجُلِ الْجَلِيلِ، قَالَ بَعْضُ مُؤَرِّخِيهِ فِيهِ: «الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ الشُّفْهِينَةِ الْحِلِّيُّ فَاظِلُّ عَالِمٌ شَاعِرٌ؛ وَلَعَلَّهُ مُعَاصِرٌ^(١) لِابْنِ فَهْدٍ، وَرَأَى الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبْعَ قَصَائِدٍ مُجْمُوعَةٍ مِنْ شِعْرِهِ»^(٢) إلخ.

وَعَبَّرَ عَنْهُ صَاحِبُ كِتَابِ (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ) بِ: «الشَّيْخِ ابْنِ الشُّفْهِينَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعُقَلَاءِ، مُعَاصِرٍ لِلشَّهِيدِ وَمِنَ الشُّعْرَاءِ؛ وَأَصْلُهُ مِنْ جَبَلِ عَامِلٍ»^(٣).

وَفِي كِتَابِ تَرْزِينِ الْأَسْوَاقِ مُعْنَوْنٌ بِ(الشَّاهِينِيِّ)^(٤)، وَفِي كَشْكُولِ الشَّيْخِ يُوسُفَ الْبَحْرَانِيِّ دَعَاهُ بِ(الشُّفْهِينِيِّ)^(٥)، وَذَكَرَ ذَلِكَ غَيْرُهُ كَمَا ذَكَرَهُ آخَرُونَ بِاسْمِ (عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الشُّفْهِينِيِّ)^(٦)؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْاِخْتِلَافَ مِنْ خَبْطِ النَّسَاحِ وَعَدَمِ ضَبْطِهِمْ كَمَا يُجُوزُ أَنْ تَكُونَ صَحِيحَةً كُلُّهَا؛ وَلَعَلَّ مِنَ الرَّاجِحِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ كِتَابِ (تَرْزِينِ الْأَسْوَاقِ)، فَقَفِيَ الْحِلَّةَ الْيَوْمَ بَيْتٌ مَعْرُوفٌ؛ بَيْتٌ حَاجَ شَاهِينَ؛ وَلَعَلَّهُ هُوَ فَحَرَّفَ فَلَمْ يَوْجَدْ بَيْتٌ مِنَ الْحِلَّةِ يُقَارِبُهُ مِنَ الْاِشْتِقَاقِ وَلَعَلَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ صَاحِبِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ فَبَيْتٌ حَاجَ شَاهِينَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ الْقَدِيمَةِ فِي الْحِلَّةِ.

وَأَرَى فِي تَعْبِيرِ صَاحِبِ كِتَابِ (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ) بِ: «أَنَّهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعُقَلَاءِ» بَعْضَ الْغَضَاضَةِ، وَالسَّجَاجَةِ فِي التَّعْبِيرِ؛ فَكَلِمَةُ (العُقَلَاءِ) جَاءَتْ نَشَازًا بَعْدَ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَلَوْ قَالَ: (مِنَ الْعُلَمَاءِ رَاسِخِي الْعُقُولِ) لَصَحَّ التَّعْبِيرُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ الْعُلَمَاءِ كَذَلِكَ لِلتَّفَاوُتِ فِي دَرَجَاتِ الْعَقْلِ.

(١) فِي الْمَطْبُوعِ (مُعَاصِرًا)، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ، لَكُنِ الْفِظُ خَبْرًا ل(لَعَلَّ).

(٢) الذَّرِيعَةُ: ٨٥ / ١٧.

(٣) تَعْلِيقَةُ أَمَلِ الْأَمَلِ: ٧٩، وَيُنْظَرُ: رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ: ٤٢٧ / ٣.

(٤) تَرْزِينِ الْأَسْوَاقِ فِي أَخْبَارِ الْعَشَّاقِ، دَاوُدُ الْأَنْطَاكِيُّ (ت ١٠٠٨ هـ)، دَارُ مَكْتَبَةِ الْهَلَالِ، بَيْرُوت، ط ١٩٨٦، ٢ م.

(٥) يُنْظَرُ: شُعْرَاءُ الْحِلَّةِ: ٧٩-١٢٦.

(٦) يُنْظَرُ: الْأَعْيَانُ: ٨ / ١٩٢.

القرن الثامن الهجري

والشّفهنيّ ممّن طغّت سمعته الشّعريّة فأخفت سمعته العلميّة أو كادت مع أنّه
من زعماء الحركة العلميّة؛ وقد جلى في الشّعريّ حتّى كان من عباقرته، وقصيدته الكافية^(١)
شاهدة بطول باعیه، وتفنّنه، ومطلّعها:

يَا عَيْنُ مَا سَفَحْتَ غُرُوبُ دِمَاكِ إِلَّا بِمَا أَهْمَتْ حُبَّ دِمَاكِ
وَلِطُولِ الْفِكَ بِالطُّولِ أَرَاكِ أَفْمَارًا تَمَّ^(٢) فِي غُصُونِ إِرَاكِ^(٣)
ومنها:

لِكَ نَاطِرٍ فِي كُلِّ حُسْنٍ نَاطِرٍ مُنَاكِ تَسْوِيفًا بُلُوغَ مُنَاكِ
كَمْ نَظْرَةً أَسْلَفَتْ نَحْوَ سَوَالِفِ سَأَمْتُ أَسَاكِ بِهَا عِلَاجَ أَسَاكِ
ويقول مستطرّدًا في غزله:

شَمْسُ تَبَوَّاتِ الْقُلُوبِ مَنَازِلَا مَأْنُوسَةً عَوَضًا عَنِ الْأَفْلَاكِ
سَكَنْتَ بِهَا فَسَكُونُهَا مَتَحَرِّكُ وَجُسُومُهَا ضَعْفُ بَغِيرِ حِرَاكِ
ومنها:

مَاذَا يَضْرُكُ يَا ضَبِيَّةَ بَابِلِ لَوْ أَنَّ حُسْنَكَ مِثْلُهُ حُسْنَاكِ
أَنْكَرْتَ قَتْلَ مُتَيْمٍ شَهِدَتْ لَهُ خَدَاكِ مَا صَنَعْتَ بِهِ عَيْنَاكِ
وَحَضَبَتْ مِنْ دَمِهِ بِنَانِكِ عُنُوةً وَكَفَاكِ مَا فَتَكَتْ بِهِ كَفَاكِ
ومنها:

حَبَبُوكَ عَنْ نَظْرِي فَيَا اللَّهَ مَا أَذْنَاكِ مِنْ قَلْبِي، وَمَا أَقْصَاكِ
وَيَأْتِي مِنْ تَخْلُصِهِ بِقَوْلِهِ:

(١) وهي مطبوعة منفردة. يُنظر: الذريعة: ١٧/١٢٦.

(٢) في الغدير: ٦/٣٧٨ (بزغن).

(٣) أوردها الأميني في الغدير: ٦/٣٧٨، البابليّات: ١/٩٣.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْخَلْقَانِ

وَشَكَرْتَ مِثَّتَهُ عَلَيْكَ وَحُسْنُ مَا أَوْلَاكَ مِنْ نِعَمَائِهِ مَوْلَاكَ
وَيَسْتَرْسِلُ الشَّاعِرُ فِي أُسْلُوبِهِ الْجَمِيلِ؛ فَيَأْتِي مِنَ الْمَدْحِ مَا يُشْبِهُ فَلَانِدَ الدَّرِّ.
وَلَهُ قَصِيدَةٌ أُخْرَى لَا مِثْلَ قَدِ احْتَوَتْ عَلَى صُنُوفٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ وَالصَّنَاعَةِ اللَّفْظِيَّةِ،
وَبِرْغَمِ مَا فِيهَا مِنْ صِنَاعَةٍ بَدِيعِيَّةٍ جَاءَتْ خَالِيَةً مِنَ التَّكْلِيفِ؛ وَقَدْ اسْتَهْلَاهَا بِقَوْلِهِ:

نَمَّ الْعَذَارُ بِعَارِضِيهِ وَسَلَسَلَا وَتَضَمَّنْتَ تِلْكَ الْمَرَاشِفُ سَلَسَلَا^(١)
قَمَرٌ أَبَاحَ دَمِي الْحَرَامَ مُحَلَّلَا إِذْ مَرَّ يَخْطُرُ فِي قِبَاهِ مُحَلَّلَا
رَشَاءُ تَرْدَى بِالْجَمَالِ فَلَمْ يَدَغْ لِأَخِ الصَّبَابَةِ فِي هَوَاهُ تُجْمَلَا
كَتَبَ الْجَمَالَ عَلَى صَحِيفَةِ خَدِّهِ بِرِيعٍ مَعْنَاهُ الْبَهِيحِ وَمَثَلَا
فَبَدَا بَنُوْنِي حَاجِبِيهِ مُعَرِّفَا^(٢) مِنْ فَوْقِ صَادِي مُقْلَتِيهِ وَأَقْفَلَا
وَمِنْهَا قَوْلُهُ:

حُلُوُ الشَّمَائِلِ لَا يَزِيدُ عَلَى الرِّضَا إِلَّا عَلَيَّ فَسَاوَةً وَتَدَلُّلَا
وَمِنْهَا هَذَا الْحِوَارُ الرَّوَائِي الْجَمِيلُ:
أَبْكِي فَيَسْمُ ضَاحِكًا وَيَقُولُ لِي لَا غَرَوَ إِنَّ شَاهَدْتَ وَجْهِي مُقْبِلَا
أَنَا رَوْضَةٌ وَالرَّوْضُ يَسْمُ نَوْرُهُ بِشْرًا إِذَا دَمَعُ السَّحَابِ تَهَمَّلَا^(٣)
وَمِنْهَا:

لَا شَيْءَ أَجْمَلَ مِنْ عَفَافِ زَانِهِ وَرَعٌ وَمَنْ لَبَسَ الْعَفَافَ تَجَمَّلَا
إِلَى أَنْ يَأْتِيَ إِلَى التَّخْلُصِ فَيَقُولُ:

(١) أوردتها الأميني في الغدير بتامها: ٣٨٣/٦.

(٢) في الغدير: ٣٨٣/٦ (معرفًا).

(٣) في الغدير: ٣٨٤/٦ (تهللاً).

القرن الثامن الهجري



لي فيه مزدَجَرٌ بما أخلصته
في المصطفى وأخيه من عقد الولا
فهما لعمرك علّة الأشياء في ال
عِلل الحقيقة إن عرفت الأمثلا
الزاهدان العابدان الراكعان
الساجدان الشاهدان على الملا
ثم يمضي في مدح أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؛ فيقول:

إن يحسدوك على علاك فإنما متسافل الدرجات يحسد من علا
والقصيدة على طولها وتكرارها لا يمل أحد سماعها، وكفى هذه القصيدة أن
تشغل العلماء؛ فضلاً عن الأدباء بالعناية بها حتى أن الشهيد عليه السلام ^(١) على جلالة قدره
ورسوخ قدمه في العلم عمداً إلى شرحها، وهي قصيدة طويلة رائعة كسائر شعره.

أمّا قوله: «يا نور قدس من الله البدئ بدا» إلخ؛ فليس كما توهمه بعضهم بأنه يشير
فيها إلى فضيلة (البداء) الذي هو - لغة - ظهور رأي لم يكن، واستصواب شيء علم بعد أن
لم يعلم، وهذا جائز في حق الناس ومستحيل على الله تعالى؛ لاستلزامه الجهل والله منزّه
عنه، وقد اشتبه البلخي في تفسيره ^(٢)، ومن حدا حدوه في نسبة هذا القول إلى الشيعة،
اللهم إلا إذا كان المراد منه معارضة اليهود في زعمهم أن الله فرغ من الأمر، وأنه
لا يبدو منه شيء ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ^(٣).

والصحيح من البداء كما حققه العلماء، البداء - منه بإحداث ما لم يكن وإظهار

(١) يُنظر: الدروس الشرعية، المقدمة: ١/ ١٣٨.

(٢) يُنظر: رأي البلخي في التبيان للطوسي: ٣/ ٥٨٠.

(٣) المائدة: ٦٤.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

مَا خُفِيَ فِي التَّكْوِينَاتِ، وَكَذَا نَسَخِهِ لِبَعْضِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ حَسَبَ الْحِكْمَةِ فِي مَحْوِ شَيْءٍ وَإِثْبَاتِ شَيْءٍ آخَرَ، وَأَنَّهُ: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١)، وَلَيْسَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾^(٢)؛ فَهَذَا نَحْوُ أَمْرِهِ بِالصَّوْمِ وَإِسْقَاطِ الْإِثْيَانِ بِالْمَأْمُورِيَّةِ؛ لَعُذْرِ يَمْنَعُ الْمَكْلَفِ^(٣) مِنَ الْإِثْيَانِ بِالْمَأْمُورِيَّةِ^(٤).

قَالَ الْيَعْقُوبِيُّ التَّبْرِيزِيُّ - حَفَظَهُ اللَّهُ - فِي بَابِلِيَّاتِهِ تَحْتَ عُنْوَانٍ (حَنِينُهُ إِلَى وَطَنِهِ): «وَيُؤَكِّدُ مَا رَجَحْنَاهُ مِنْ عَدَمِ كَوْنِهِ حَلِيًّا بِالْأَصْلِ حَنِينُهُ إِلَى بَلَدٍ كَانَ قَدْ نَشَأَ فِيهِ وَاسْتَوْطَنَهُ قَبْلَ الْحَلَّةِ فَتَرَاهُ دَائِمًا يَتَذَمَّرُ مِنْ غُرْبَتِهِ فِي قَصَائِدِهِ الَّتِي قَالَهَا فِي الْحَلَّةِ وَيَبْكِي لِئَايِ أَحْبَابِهِ، وَيَنْدُبُ فِيهَا عَصْرَ شَبَابِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

أَبْكِي اشْتِيَاقًا كُلَّمَا ذَكَرُوا وَأَخُو الْغَرَامِ يُهَيِّجُهُ الذِّكْرُ
وَرَجَوْتُهُمْ فِي مُنْتَهَى أَجَلِي خَلَفًا فَأَخْلَفَ ظَنِّي الدَّهْرُ
وَأَنَا الْغَرِيبُ الدَّارُ فِي وَطَنِي وَعَلَى اغْتِرَابِي يَنْقُضِي الْعُمْرُ»^(٥)

انْتَهَى مَوْضِعُ الْحَاجَةِ مِنْ كَلَامِ الْيَعْقُوبِيِّ؛ وَلَكِنَّهُ لَمْ يُصِبْ كَيْدَ الْوَاقِعِ، وَقَدْ اشْتَبَهَ اشْتِبَاهًا كَبِيرًا فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ صَرَّحَ بِأَنَّهُ غَرِيبُ الدَّارِ فِي وَطَنِهِ فَلَمَّا إِذَا اعْتَبَرَ الْيَعْقُوبِيُّ لَفْظَةَ - الْغُرْبَةِ - وَلَمْ يَعْتَبِرْ - الْوَطْنَ - وَقَوْلُ الشَّاعِرِ لَا يَخْتَلِفُ عَنْ قَوْلِ الْخَطَّابِيِّ^(٦) الْقَائِلِ:

وَمَا غُرْبَةُ الْإِنْسَانِ فِي شِقَّةِ النَّوَى وَلَكِنَّهَا وَاللَّهِ فِي عَدَمِ الشَّكْلِ

(١) الرعد: ٣٩.

(٢) يوسف: ٢١.

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ (الْمَتَكَلَّف).

(٤) يُنْظَرُ: الْبَدَاءُ، لِلسَّيِّدِ عَبْدِ الْأَعْلَى السَّبْزَوَارِيِّ، فِيهِ كَلَامٌ وَافٍ وَبِتَفْصِيلٍ أَوْفَى عَنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ.

(٥) الْبَابِلِيَّاتُ: ٩٣/١.

(٦) تَوَفَّى الْخَطَّابِيُّ ب: (بَسْت) فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ. تُنْظَرُ تَرْجُمَتُهُ فِي: سِيرِ

أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ٢٧/١٧.

القرن الثامن الهجري

وإني غريب بينَ (بست) وأهلها وإن كان في أسرتي وبها أهلي^(١)
وقد قال الشاعر «أنا غريب الدار في وطني»، ولم يقل إني غريب الدار عن وطني؛
ليستدل (عن) معنى تجاوز حدود وطنه، ولكنه عبّر بـ (في) (الطرفية وحتى لو افترضنا
تصرّيح الشاعر بغريبته لجواز أنه نظم الشعر في بعض أسفاره، وتشوق إلى بلده الحلة،
والغريب عدم التفاته إلى هذا المعنى من قول الشاعر نفسه:

إذا غبتُم عن ربّع حلّة بابل فلا سحبت للّسحب فيه ذيول
وما النّفع فيها وهي غير أوّاهل ومعهدها بمن عهدت محيل
تنكر منها عرفتُها فأهيلها غريب، وفيها الأجنبي أهيل
وقد فصلت هذا في كتابي (مناقشات ومداعبات) الخطّي على أن العقوبي قد أحسن
كتابته عن الشفهيّ في كتابه (الباليات) لإحياء ذكر هذا الجهد^(٢)، وإن كانت بحوثه تحتاج
إلى رويّة؛ ففيها مواضع كثيرة خالفت الصواب، ولم ينصف الكثير ممن ترجم لهم، وقليل
من الناس من ينصف النوابع، ويعرف لهم منزلتهم، ولم أر جناية أظع^(٣)، ولا أقسى
من إهمال هؤلاء النوابع أو ترجمتهم ترجمة مغلوطة ومشوهة؛ فإنها مقياس ثقافة الأمة،
وقد ترمى الحلة ببعض هذا العقوق؛ فإنها مع الأسف قد تجت على نوابغنا؛ فلم تحتفظ
بقسم كبير من التراث الماضي كما لم تشجع النابهين وأهل الرأي في هذا العصر؛ لتدفعهم
إلى إتمام رسالتهم الثقافية بنوع التشجيع والتقدير، اللهم سوى ثلّة من ذوي الإحساس
الرفيق دفعها حرصها على سمعة بلدها وحبها لخدمة الثقافة إلى تشجيع الطبقة المثقفة،
ولكن وجود هذه الفئة يكاد يكون بحكم المدوم؛ وبسبب قلة التشجيع أصابت الحلة

(١) في يتيمة الدهر ومعجم الأدباء: ١٠ / ٢٧٠ (وما غمة). والبيتان في يتيمة الدهر: ٤ / ٣٣٥،
ومعجم الأدباء: ٤ / ٢٥٤ و ١٠ / ٢٧٠، وفيات الأعيان: ٢ / ٢١٤، ٢١٥، طبقات الأسنوي:
١ / ٤٦٨، شذرات الذهب: ٣ / ١٢٨، خزنة الأدب: ١ / ٢٨٢.

(٢) الباليات: ١ / ٩٣.

(٣) في المطبوع (أفضع)، وكذا (أرى) قبلها جازم (لم)، والصواب ما اثبتناه.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحِلَّةِ

اِنْتِكَاسَةُ ثِقَافِيَّةٍ آخَرَتَهَا أَشْوَاطًا عَلَى مُسْتَوَاهَا الثَّقَافِي الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِيهِ، فَضَاعَتْ بِسَبَبِ هَذِهِ الْاِنْتِكَاسَةِ الْمُؤَسِّفَةِ جَوَانِبُ مُهِمَّةٍ مِنْ تَارِيخِ الْحِلَّةِ الْمَجِيدِ^(١).

٥٥. عَمِيدُ الدِّينِ الْأَعْرَجِيُّ^(٢) ٦٨١-٧٥٤هـ

السَّادَةُ الْأَعْرَجِيَّةُ مِنَ الْأَسْرِ الْحِلِّيَّةِ الشَّرِيفَةِ يَتَوَصَّلُونَ بِجَدِّهِمُ الْأَعْلَى (عَبْدُ اللَّهِ)^(٣) الْمُلقَّبُ بِالْأَعْرَجِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَصْغَرِ.

وَالْحُسَيْنُ هَذَا هُوَ وَأَخُوهُ زَيْدُ الشَّهِيدِ الَّذِي يَتَّصِلُ بِهِ نَسَبُنَا، كِلَاهُمَا نَسْلُ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ابْنِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ شَهِيدِ الْمَبْدَأِ وَالْإِبَاءِ^(٤)، وَلَمَّا كَانَ رُجُوعُ اِنْتِسَابِ الْأَعْرَجِيِّ إِلَى جَدِّهِمُ الْأَعْلَى (عَبِيدُ اللَّهِ الْأَعْرَجِ)، وَهُوَ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ كَانَ مِنَ الْبَدِيئِ كَثْرَةُ أَبْنَائِهِ، وَوَفَرَةُ أَغْصَانِ شَجَرَتِهِ حَتَّى أَصْبَحَتْ هَذِهِ الْأُسْرَةُ مِنْ أَضْحَمِّ الْأَسْرِ عَدَدًا، كَثِيرَةُ الْفُنُونِ، طَيِّبَةُ الثَّمَرِ، كَرِيمَةُ الْمَغْرَسِ، وَشِجَّةُ الْعُرُوقِ، مُتَدَّةٌ أَغْصَانُهَا الْوَافِرَةُ الْوَافِقَةُ الظَّلَالِ إِلَى أَنْحَاءِ الدُّنْيَا، وَكُلُّ هَذِهِ الْفُرُوعِ تَلْتَقِي بِجَدِّهَا الْأَعْلَى (عَبْدُ اللَّهِ) الْمَعْدُودِ مِنَ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ بَعْدَ الْإِمَامِ عَلِيِّهِ السَّلَامِ، وَالْمُعَاصِرِ لِلْسَفَاحِ الْعَبَّاسِيِّ^(٥).

(١) ولمركز تراث الحلة الدور الكبير في إحياء تراث أهل البيت (عليه السلام)، وعلماء هذه المدرسة الموقرة، سدّد الله خطاهم، وأخذ بأيديهم.

(٢) يُنظر: ترجمته: روضات الجنّات: ٤/ ٢٦١ الرقم ٣٩٤، الذريعة: ١٣/ ١١٥، الذريعة: ١٨/ ١٦٢، الحقائق الراهنة: ١٢٧ ١٢٨، لؤلؤة البحرين: ١٨٨، أعيان الشيعة: ١٣/ ٧، ١٠٠/ ٨، فهرس التراث: ١/ ٧٢٦، مجمع الآداب في معجم الألقاب: ٢/ ٢٢٨ الرقم ١٣٨٠، عمدة الطالب: ٣٣٣، أمل الأمل: ٢/ ١٦٤ الرقم ٤٨٤، تنقيح المقال: ٢/ ٢٢٧ الرقم ٧٤٨٤، طبقات أعلام الشيعة: ٣/ ١٢٧، معجم رجال الحديث: ١١/ ١٢ الرقم ٧٢٧٧.

(٣) هو (عبيد الله) على التصغير. يُنظر: عمدة الطالب: ٣١٢.

(٤) يُنظر: عمدة الطالب: ٣١٢.

(٥) للمزيد حول النسب الشريف للسادة الأعرجية، يُنظر: كتاب آل الأعرجي للسيد حليم الأعرجي، ولمن يروم الفائدة ومتابعة مشجرات الأسرة الشريفة مراجعة السيد عباس آل داموك الأعرجي أمير السادة الأعرجية في العالم من سعودية وكويت ومصر وغيرها من دول العالم.

القرن الثامن الهجري

وقد نبغ من هذه الأسرة نوابغ أفذاذ في العلم والأدب، في علوم الدين والدنيا، ما خلدها ورفع شأنها وبوأها المكانة المرموقة التي تستحقها حتى تقلد بعض أعلام هذه الأسرة نقابة الطالبين، وإمارة الحج، واضطلع بعضهم بمسؤولية التقليد والمرجعية الدينية.

ومن فروع هذه الأسرة آل زوين، وآل شكاره، وآل فخري زادة، وآل العميدي، وآل الفحام، وآل السيد مرتضى، وبيت الأعرجي في الحلة، الذي ينقسم إلى عدة بيوتات منها آل السيد عبد الحسين السيد منصور، ويتفرع منهم آل السيد أحمد العطار، وآل السيد حميد، وآل السيد حسن، وآل السيد محمد كما يتنسب إلى أعرجية الحلة السادة آل الشلاه، وآل الفحام، وآل حديد، وآل شوكة، ومنهم بيت سبع الدرج، وجد هؤلاء سُميت المحاويل باسمه؛ ف قيل (محاويل الإمام)^(١)؛ وتتصل الأسرة الأعرجية بالقاضي (سنان) قاضي المدينة المنورة، وقد أعقب القاضي سنان المذكور ولدين نشأ بكنفه؛ ولأُمور سياسية نُفيَا من الحجاز إلى العراق وهما (هاشم، وقاسم)؛ فسكن الأول قرية (جناجة) على وزن (نعامة وسحابة) وتسمى قديماً (فناقيا)^(٢).

وسكن الثاني بلدة الموصل، ولا أعرف سبب تفرقهما وعدم اجتماعهما في بلد واحد مع وحدة النسب والبلد والمصيبة، وكان مجيئهما إلى العراق سنة ٤٨٧ هـ قبل تمصير الحلة؛ ثم لما تم تمصيرها وسكنتها الدولة المزيديّة هاجر هاشم بن سنان من جناجة المذكورة إلى قرية (الخصين) تصغير حصن واسمها القديم (حصن سامة)^(٣) ومكث بها برهة من الزمن؛ ثم تركها وسكن الحلة فيمن سكنها منذ أول تأسيسها سنة ٤٩٤ هـ.

(١) المحاوليل ناحية من أعمال الحلة تقع في شهاها، وليته ذكر علّة ذلك.

(٢) يُنظر: فناقيا: ٣.

(٣) لم أعثر لها على ترجمة وافية، وقد ذكرها السيد صادق الفحام الأعرجي في شعره: =

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلَّةِ

وَلِهَاشِمٍ هَذَا تَنْسِبُ أَعْرَجِيَّةَ الْحَلَّةِ، أَمَّا أُسْرَةُ آلِ الشَّلَاهِ فَتَنْفَرِقُ عَنْ أَعْرَجِيَّةِ الْمَوْصِلِ مِنْ جَدِّهَا ضِيَاءِ الدِّينِ الْمُكَنَّى بِ: أَبِي الْبَرَكَاتِ، وَبَقِيَ فَرْعٌ فِي الْحَلَّةِ مِنْ بَيْتِ الْأَعْرَجِيِّ مُحَافِظًا عَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ، وَيُقَالُ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْهُ فَلَانُ الْأَعْرَجِيِّ وَمِنْ نُبَهَائِهِمْ صَدِيقُنَا الْمُحَامِي الْبَارِعُ السَّيِّدُ سَعِيدُ الْأَعْرَجِيِّ، وَمِنْ بَهَائِلِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ إِبْرَاهِيمُ مُحَمَّدَ الْأَشْتَرِ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الثَّلَاثِ الَّذِي كَانَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ نَيْفٌ وَعِشْرُونَ، بَسَطُوا نَفُوذَهُمْ عَلَى الْكُوفَةِ وَامْتَدَّ مُلْكُهُمْ^(١)، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ حَتَّى قِيلَ: «السَّمَاءُ لِلَّهِ، وَالْأَرْضُ لِنَبِيِّ عُبَيْدِ اللَّهِ»^(٢)، وَهَذَا الرَّجُلُ مِنْ مَشَاهِيرِ عَصْرِهِ مَدَحَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ، وَمِنْ مَدَحِهِ أَبُو الطَّيِّبِ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُنْسَرِحِ مَطْلَعُهَا:

أَهْلًا بِدَارِ سَبَاكَ أَغِيدُهَا أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا؟
وَمِنْ مَدِيحِهَا قَوْلُهُ:

خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبَا وَاعْجُدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا
وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَشَارَ الْمُتَنَبِّيُّ إِلَى مَا فِي وَجْهِ الْمُدُوحِ مِنْ أَثَرِ ضَرْبَةِ سَيْفٍ أَصَابَهُ بِهَا بَعْضُ مَرَدَةِ الْعَرَبِ بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ فزَادَتْهُ هَذِهِ الضَّرْبَةُ جَمَالًا عَلَى جَمَالٍ، فَقَالَ فِيهَا الْمُتَنَبِّيُّ:

يَا لَيْتَ لِي ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ (مَحْمَدُهَا)
أَثَرَ فِيهَا وَفِي الْحَدِيدِ وَمَا أَثَرَ فِي وَجْهِهِ مُهْنَدُهَا^(٣)
وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ مَثْبُتَةٌ بِرُمَّتِهَا فِي دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّيِّ.

ولي جسد في حصن سامة موثوق وقلب بأكناف الغري رهين
عسى الله يقضي بجمع فليتقي فؤاد وجسم ناحل وحزين
يُنظر: أعيان الشيعة: ٧/ ٣٦٢، ويُنظر: مقدّمة ديوانه بتحقيق السيّد مضر الحليّ.

(١) عمدة الطالب: ٣٢٣.

(٢) عمدة الطالب: ٣٢٣.

(٣) يُنظر: ديوان المتنبّي.

القرن الثامن الهجري

وإن من مشاهير هذه الأسرة في القرن الثامن الهجري المترجم له السيد الجليل عميد الدين عبد المطلب ابن أبي الفوارس محمد ابن فخر الدين علي الأعرجي الحسيني الذي يطاول نور الشمس نور كماله، ولد هذا السيد الجليل ليلة النصف من شهر شعبان من سنة ٦٨١ هـ، وأدركه الأجل المحتوم ليلة الاثنين العاشر من شعبان سنة ٧٥٤ هـ، وكانت وفاته في الحلة، وصلي عليه في مقام مشهد الشمس؛ ثم حملوه إلى مشهد أمير المؤمنين علي [عليه السلام]، ودفن فيه وأفتقد الناس بموته ركنًا من أركان العلم، ونجمًا مضيئًا من نجوم الفكر كان قد تلقى أكثر ثقافته على خاله آية الله العلامة الحلي، فاشتهر بعزارة العلم وجلالة القدر.

وله آثار حمودة منها رسالة نافعة في مناسخات الميراث سُميت: (المسألة النافعة للمباحث الجامعة)^(١)، وهي تكميل لمسألة المناسخات التي أوردتها الخواجه نصير الدين الطوسي في رسالة الفرائض، وتصدى إلى تقرير المسألة النافعة، الشيخ أحمد بن الحداد بقصيدة وقع في ذيلها «ملوكة أحمد بن الحداد الحلي في سنة ٧٢٠ هـ»، ومن الذين قرظوا خاله العلامة وجاء من جملة التقرير، قوله: «أحسن أيتها الولد، العزيز العبد، الحبيب النسب، المعظم، الفقيه المدقق، عميد الملة والدين، جعلت فداك فيما أودعته في هذه الأوراق الدالة على التمييز عن الأقران، والتبريز على أكثر أشخاص نوع الإنسان، وقد أتيت فيها بالمعاني اللطيفة، والمسائل الشريفة، أحسن الله إليك، وأفاض نعمته عليك، ولا استبعاد في ذلك منك، وأنت من نسل شجرة النبوة، وفقك الله لكل خير، ودفع عنك كل ضرر، بمنه وكرمه»^(٢).

(١) المسألة النافعة للمباحث الجامعة، في الإرث للطوسي، نصير الدين (ت ٦٧٢ هـ)، طبع طبعة حجرية سنة ١٣١٥ هـ ضمن (كلمات المحققين)، وهي الثالث عشر في المجموعة، في الصفحات (٤٣٨-٤٤٢)، وعنهما بالأوفسيت مكتبة المفيد بقم سنة ١٤٠٢ هـ. فهرس التراث: ٧٢٧/١.

(٢) الذريعة: ٢٢/٢٥٢، أعيان الشيعة: ٨/١٠٠.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

وَهَذَا تَقْرِيطٌ اشْتَمَلَ عَلَى جِهَاتٍ مِنَ الْمَدْحِ وَالْأَوْصَافِ فَقَوْلُهُ: «الْوَلَدُ الْعَزِيزُ» فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى رَابِطَةِ الدَّمِّ؛ حَيْثُ إِنَّ الْحَالَ وَالِدٌ ثَانٍ كَمَا يَقُولُونَ وَإِشَارَةٌ أُخْرَى إِلَى شَرَفِ اتِّصَالِهِ بِشَجَرَةِ النَّبَوَّةِ الزَّائِكِيَّةِ، وَهَاتَانِ الْإِشَارَتَانِ خَاصَّتَانِ بِالنَّسَبِ، وَلَيْسَ لَهُ فِيهِ قُدْرَةٌ اخْتِيَارٍ؛ وَإِنَّمَا هِيَ مَنَحَةٌ إِلَهِيَّةٌ يَهْبِهَا لِمَنْ يَشَاءُ، وَثَالِثُ الْإِشَارَاتِ تَتَعَلَّقُ بِصِفَةِ الْكِتَابِ وَأَنَّ الْمُؤَلَّفَ أَحْسَنَ مِنْ تَالِفِهِ بِمَا أَوْدَعَهُ فِي الْكِتَابِ مِنَ الْمَعَانِي اللَّطِيفَةِ وَالْمَسَائِلِ الشَّرِيفَةِ، وَهُنَاكَ إِشَارَةٌ إِلَى شَخْصِيَّةِ الْمُؤَلَّفِ الثَّقَافِيَّةِ؛ فَوَصَفَهَا الْعَلَّامَةُ بِأَنَّ عَمِيدَ الدِّينِ بِتَمَيِّزِهِ عَلَى الْأَقْرَانِ وَالتَّبَرُّيزِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَشْخَاصِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ، وَمِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ الْإِشَارَاتِ وَالْحُرُوفِ تَخْفِيهِ الْإِشَارَةُ، نَعْرِفُ مَا كَانَ لِلْسَيِّدِ عَمِيدِ الدِّينِ مِنْ مَرْتَبَةٍ سَامِيَةٍ وَقُرْبٍ مِنْزَلَةٍ مِنْ خَالِهِ الْعَلَّامَةِ وَوُثُوقِهِ بِهِ وَعَتِمَادِهِ عَلَيْهِ وَحُبِّهِ لَهُ حَتَّى تَمْنَى أَنْ يَفْتَدِيَهُ بِرُوحِهِ بِقَوْلِهِ «جُعِلْتُ فِدَاكَ» تَغْيِيرًا عَلَى فَرَطِ إِعْجَابِهِ بِالْكِتَابِ وَاسْتِجَابَ اللَّهِ مِنَ الْعَلَّامَةِ فَتَوَقَّى قَبْلَ عَمِيدِ الدِّينِ بـ (٢٨) سَنَةً، وَنَرَى أَصْحَابَ التَّرَاجُمِ وَالْمَعْنِينَ بِالسَّيْرِ مِنَ الْمَصْنُفِينَ الْمُنْصِفِينَ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى مَدْحِ عَمِيدِ الدِّينِ لَا تَقْلِيدًا لِلْعَلَّامَةِ وَأَتْبَاعِهِ لِرَأْيِهِ فِيهِ؛ وَإِنَّمَا لِشَهَادَةِ آثَارِهِ، وَمَدْحِ أَسَاطِينِ الْعُلَمَاءِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْأَفَاضِلِ صَاحِبُ كِتَابِ (الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ)؛ فَإِنَّهُ تَرَجَّمَ لَهُ وَقَالَ فِيهِ مَا يَلِي: «السَّيِّدُ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ بْنُ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ الدِّينِ ابْنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ فَخْرِ الدِّينِ - الْعَالِمِ الْفَاضِلِ الْجَلِيلِ، الْأَدِيبِ الشَّاعِرِ، النَّسَابَةِ - ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ الْأَعْرَجِيِّ الْمُتَنَهِّي نَسَبُهُ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ الْأَعْرَجِ بْنِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ»^(١).. إلخ.

وَأُمُّهُ أُخْتُ الْعَلَّامَةِ بِنْتُ الشَّيْخِ سَدِيدِ الدِّينِ؛ فَالْعِلْمُ لَمْ يَجِئْهُ طَارِئًا وَإِنَّمَا تَوَرَّثَهُ مِنْ أَبِيهِ وَخَالِهِ وَجَدَّهُ؛ فَبَرَزَ بِالْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ، وَالْفَقْهِيَّةِ وَالْأُصُولِيَّةِ، وَعِلْمِ الْأَنْسَابِ، وَالْعَرُوضِ، وَاللُّغَةِ، وَالتَّارِيخِ، وَمِنْ مَوْلَفَاتِهِ وَمُصَنَّفَاتِهِ - وَهِيَ كَثِيرَةٌ - رِسَالَةُ الْمَوَارِيثِ - الْمَارُّ ذِكْرُهَا آفَافًا - وَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ الشُّرُوحِ وَالتَّعْلِيلَاتِ وَالتَّعْقِيبَاتِ عَلَى كُتُبِ

(١) الكنى والألقاب: ٤٥٢/٢.

القرن الثامن الهجري

خَالِه الْعَلَامَةِ، مِنْهَا كِتَابُ (مُنِيَّةُ الْأَدِيبِ فِي شَرْحِ التَّهْذِيبِ) ^(١)، فِي عِلْمِ الْأُصُولِ وَكِتَابُ (كَتَرُ الْفَوَائِدِ فِي حَلِّ مُشْكَلَاتِ الْقَوَاعِدِ) ^(٢) فِي مُجَلَّدَيْنِ، وَالْقَوَاعِدُ مِنْ تَصَانِيفِ الْعَلَامَةِ أَيْضًا، وَلَهُ كِتَابُ (تَبَصُّرَةُ الطَّالِبِينَ فِي شَرْحِ مَهْجِ الْمُسْتَرَشِدِينَ) ^(٣)، وَكِتَابُ (شَرْحُ أَنْوَارِ الْمَلَكُوتِ) ^(٤) فِي عِلْمِ أُصُولِ الْكَلَامِ ^(٥).

يُرْوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ وَالِدُهُ مَجْدُ الدِّينِ أَبُو الْفَوَارِسِ مُحَمَّدٌ، وَقَدْ بَالَعَ بِالشَّنَاءِ عَلَيْهِ صَاحِبُ كِتَابِ [تُحْفَةِ الْأَزْهَارِ]، وَقَالَ: «إِنَّ اسْمَهُ مَرْفُوعٌ فِي حَائِرِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام)» ^(٦).

وَمِنْ ذُرِّيَّةِ عَمِيدِ الدِّينِ مِنْ مُعَاصِرِنَا الْمُرْخُومِ السَّيِّدِ حَكِيمِ الْعَمِيدِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَيْمَةِ الْجَمَاعَةِ فِي حِلَّةِ (الْكَلَجِ) ^(٧) مِنْ مَحَالِّ الْحِلَّةِ، وَابْنُهُ صَدِيقُنَا الشَّاعِرُ الظَّرِيفُ السَّيِّدُ رَجِيمُ الْعَمِيدِيِّ الَّذِي لَهُ أَكْثَرُ قَصَائِدِ دِيْوَانِ سَخِيفٍ، وَرَجِيمٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُحَافِظِينَ يَنْظُمُ الشُّعْرَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْقَدِيمَةِ بِالْأَوْزَانِ وَالْمَعَانِي انْتَحَلَ شَعْرَهُ مُتَطَفِّلٌ حَصَلَ فِيهَا

(١) ذكره السيّد الجلاليّ في فهرس التراث: ٧٢٧/١ (منية اللبيب في شرح التهذيب)، طبع بطهران سنة ١٣٠٨ هـ بهامش الأصل، ومنه نسخة مؤرّخة ١٠٣٨ هـ في مكتبة البروجرديّ في النجف، ونسخة في ١٤٦ ورقة، في مكتبة آستان قدس رضويّ الرقم ٢٨٩٨ ناقصة الأول والآخِر. وقد ذكره السيّد المؤلّف (منية الأديب)، ولم يُذكر الكتاب بهذه التسمية. يُنظر: كشف الحجب: ٥٦٩، الذريعة: ٢٠٧/٢٣.

(٢) طبع بتحقيق مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم سنة ١٤١٦ هـ في ثلاثة أجزاء، ونسخة منه مؤرّخة بسنة ٨٠٨ هـ، وعليها تواريخ سنة ٧٦٦ هـ، وسنة ٧٠٨ هـ في مكتبة المجلس الرقم ٦٣٢٨ من كتب مكتبة إمام جمعة خوي، وفيلمها في مكتبة دانشگاه الرقم ٢٨٢٢ و٢٨٢٣.

(٣) نسخة منه يتيمة في مكتبة الإمام الحكيم. الذريعة: ٣/٣١٨، معجم المؤلفين: ٦/١٧٦.

(٤) معجم المؤلفين: ٦/١٧٦، وهو شرح أنوار الملكوت في شرح الياقوت، للعلامة الحلّيّ، وقد شرحه السيّد عميد الدين في زمن خاله العلامة. يُنظر: الذريعة: ١٣/١١٥.

(٥) وله كتاب الأدعية، توجد نسخته في مكتبة نور عثمانية كما في فهرسها. الذريعة: ١/٣٩١.

(٦) تحفة الأزهار، لضامن بن شدقم: ١/٣٢، ويُنظر: خاتمة المستدرک: ٢/٤٠٠.

(٧) من محلات الحِلَّة القديمة.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

بَعْدَ عَلَى شَهَادَةِ الدُّكْتُورَاهِ بِطَرِيقَةِ (خَدْمَةِ الْحِبَالِ)، أَوْ اللَّعَبِ عَلَى الْحِبَالِ، وَهُوَ مِمَّنْ ارْتَدَّ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَنَتَجَّبُ مِنْ أَبِيهِ الَّذِي يَزْعُمُ التَّقْوَى لَمْ يَتَبَرَّأْ مِنْهُ بِالصُّحُفِ، وَسَوْفَ يَرِثُ مِنْ أَبِيهِ تِلْكَ الثَّرْوَةُ الطَّائِلَةُ فَيَكُونُ هَذَا الْأَبُ قَدْ أَعَانَ وَلَدَهُ الْكَافِرَ وَنَفَعَهُ؛ فَاللُّومُ يَعُودُ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ عَلَى الْوَالِدِ الَّذِي تَعَلَّمَ مِنْهُ وَلَدُهُ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ وَشَجَّعَهُ ضَمْنًا عَلَى الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ، وَ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^(١).

وَلْنَعُدَّ إِلَى التَّحَدُّثِ عَنِ الْفَاضِلِ سَيِّدِ رَحِيمٍ فَهُوَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الثَّابِتِينَ عَلَى الْإِيمَانِ وَلَا نَذَرِي لِأَيِّ بَاعِثٍ أَهْمَلِ تَرْجَمَتَهُ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ الْيَعْقُوبِيُّ، وَتَجَاهَلَهُ الْخَاقَانِيُّ وَتَرْجَمَا لِبَعْضِ الْعَوَامِّ، وَلَقَّبَهُمُ بِالشُّعْرَاءِ وَالْأُدَبَاءِ، وَمِنْ أُسْرَةِ رَحِيمٍ الْعَمِيدِيَّةِ الشَّاعِرُ الشَّعْبِيُّ السَّيِّدُ مُحْسَنُ نَجْلِ الْمَرْحُومِ الْخَطِيبِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ (قِيمِ عِمْرَانَ)^(٢)، وَالسَّيِّدُ مُحْسَنُ يُجِيدُ الشُّعْرَ الشَّعْبِيَّ وَلَهُ أَمْثَلَةٌ مُطْبُوعَةٌ مِنْهُ، يَنْتَهِي نَسَبُهُ الشَّرِيفُ إِلَى عَمِيدِ الدِّينِ الَّذِي لَقَّبَهُ الشَّهِيدُ، بِ(عَلَمِ الْهُدَى)، وَبِ(شَيْخِ أَهْلِ الْبَيْتِ) فِي زَمَانِهِ، كَمَا فَصَّلْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ بَعْضَ أَحْوَالِهِ.

٥٦. نِظَامُ الدِّينِ الْعَمِيدِيِّ - ٦٨٣هـ

السَّيِّدُ نِظَامُ الدِّينِ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدِّينِ أَبِي الْفَوَارِسِ، مُحَمَّدٌ بْنُ فَخْرِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ عَزِّ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَعْرَجِيِّ، هُوَ أَخُو عَمِيدِ الدِّينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّذِي تَرْجَمْنَا لَهُ فِي رَقْمِ (٥٥) مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَقَدْ تَمَتَّعَ نِظَامُ الدِّينِ بِمَرْكَزِ عِلْمِيٍّ دِينِيٍّ رَفِيعٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْلُغِ الْمُسْتَوَى الَّذِي بَلَغَهُ أَخُوهُ عَمِيدُ الدِّينِ، وَأَنَّهُ يَأْتِي بِالدرَجَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ أَخِيهِ فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالزَّعَامَةِ وَالرَّئَاسَةِ، وَكَانَ مِنْ أَفَاضِلِ فَقَهَاءِ عَصْرِهِ حِينَ كَانَ

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) يقصد به خدمة القبر المنسوب إلى السيِّد الجليل الشهيد عمران بن أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي استشهد في النهروان ودُفِنَ فِي شِمَالِ الْحِلَّةِ.

القرن الثامن الهجري

لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ دَوِيُّ:

وَضَجَّةٌ لَا تَسْتَقِرُّ سَاعَةً كَأَثَرِ ضَجَّةِ بُرْجِ بَابِلَ
وَأَتَجَهَّ نِظَامُ الدِّينِ اتِّجَاهَهُ الثَّقَافِيِّ السَّيِّدِ؛ فَاعْتَنَى كَمَا اعْتَنَى أَخُوهُ مِنْ قَبْلِهِ بِشَرْحِ
كُتُبِ خَالِهِ الْعَلَّامَةِ الْحَلِيِّ، وَمِنْ هَذِهِ الشُّرُوحِ، شَرْحُهُ لِكِتَابِ (نَهْجِ الْمُسْتَرَشِدِينَ)،
وَسَمَّى الشَّرْحَ: (تَذَكُّرَةُ الْوَاصِلِينَ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْمُسْتَرَشِدِينَ)^(١)، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي
شَرَحَهُ أَخُوهُ وَدَعَاهُ بِكِتَابِ (تَبْصِرَةُ الطَّالِبِينَ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْمُسْتَرَشِدِينَ)، وَقَدْ تَعَرَّضْتُ
مَجْمُوعَةً جَدَّنَا حُجَّةَ الْإِسْلَامِ الْمُسَمَّاةِ (نَشْرُ الْحَزَامِيِّ) إِلَى ذِكْرِهِ؛ وَلَكِنَّ التَّرْجَمَةَ أَتْلَفَهَا
الْعَثُ وَالضِّيَاعُ، وَالْبَاقِي مِنْهَا لَمْ يَكُنْ شَيْئًا ذَا بَالٍ سِوَى أَنَّ السَّيِّدَ الْمَذْكُورَ شَرَحَ كِتَابَ
(نَهْجِ الْمُسْتَرَشِدِينَ)، وَهُوَ ابْنُ تِسْعَةِ عَشَرَ عَامًا^(٢)، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ لَمْ تَنْفَرِّ بِذِكْرِهَا هَذِهِ
الْمَجْمُوعَةُ بَلْ ذَكَرْتُهَا كَافَّةً كُتُبِ التَّرَاجُمِ.

(١) طُبِعَ فِي الْعَتَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ. وَجَاءَ فِي الذَّرِيعَةِ: ٥١ / ٤ - ٥٢ «تَذَكُّرَةُ الْوَاصِلِينَ فِي شَرْحِ نَهْجِ
الْمُسْتَرَشِدِينَ، لِلْسَّيِّدِ نِظَامِ الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ابْنِ سَيِّدِ مُحَمَّدِ الدِّينِ أَبِي الْفَوَارِسِ مُحَمَّدٍ الْأَعْرَجِيِّ،
ابْنِ أُخْتِ آيَةِ اللَّهِ الْعَلَّامَةِ الْحَلِيِّ، هُوَ شَرْحٌ مُوجَزٌ بِقَالَ أَقُولُ، أَوَّلُهُ (أَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ يَا مَنْ أَهْبَرَتْ
صَنَائِعُ مَخْلُوقَاتِهِ عَقُولَ أَوْلِيَ الْأَلْبَابِ)، أَحَالَ فِيهِ بَعْضُ التَّفَاصِيلِ إِلَى كِتَابِ (إِيضَاحِ اللَّبْسِ فِي
شَرْحِ تَسْلِيكِ النَّفْسِ) لَخَالِهِ الْعَلَّامَةِ، وَذَكَرَ فِي آخِرِهِ أَنَّهُ فَرَّغَ مِنَ الشَّرْحِ وَهُوَ ابْنُ تِسْعَةِ عَشَرَ عَامًا،
وَقَدْ دَخَلَ فِي الْعَشْرِينَ، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ (٧٠٣) فَيُظْهِرُ مِنْهُ أَنَّهُ وَلِدَ (٦٨٣)، وَيُظْهِرُ مِنْ
تَارِيخِ وَلَادَةِ أَخِيهِ عَمِيدِ الدِّينِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي (٦٨١) أَنَّهُ كَانَ أَصْغَرَ مِنْ أَخِيهِ بِسِتِّينَ، وَالنَّسَخَةُ
الَّتِي رَأَيْتُهَا كَانَتْ بِخَطِّ الْمَوْلَى شَرَفِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْبَهْبَهَائِيِّ، كَتَبَهَا فِي أَصْفَهَانَ وَفَرَّغَ مِنَ
الْكِتَابَةِ فِي أَوَّلِ جُمَادَى الْأُولَى (١٠٥٨)، وَمَرَّرَ تَبْصِرَةَ الطَّالِبِينَ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْمُسْتَرَشِدِينَ لِلْسَّيِّدِ
عَمِيدِ الدِّينِ الْمَذْكُورِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الْبَحَارِ وَالرِّيَاضِ».

(٢) وَلَهُ كِتَابٌ آخَرُ عَتَوَانُهُ «إِيضَاحُ اللَّبْسِ فِي شَرْحِ تَسْلِيكِ النَّفْسِ إِلَى حَظِيرَةِ الْقُدْسِ (الْأَنْسِ)،
تَصْنِيفُ آيَةِ اللَّهِ الْعَلَّامَةِ الْحَلِيِّ لِابْنِ أُخْتِهِ السَّيِّدِ نِظَامِ الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ أَبِي الْفَوَارِسِ مُحَمَّدِ بْنِ
عَلِيِّ الْأَعْرَجِيِّ، أَحَالَ التَّفْصِيلَ إِلَيْهِ فِي كِتَابِهِ (تَذَكُّرَةُ الْوَاصِلِينَ) فِي شَرْحِ (نَهْجِ الْمُسْتَرَشِدِينَ)
الَّذِي أَلْفَهُ وَقَدْ دَخَلَ الْعَشْرِينَ سَنَةَ ٧٠٣، فَيُظْهِرُ أَنَّ تَأْلِيفَ الْإِيضَاحِ كَانَ قَبْلَ التَّارِيخِ». الذَّرِيعَةُ:
٤٩٨ / ٢.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْخِلَافَةِ

وَقَدْ نَسَبَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ لِلسَّيِّدِ نِظَامِ الدِّينِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

إِذَا اخْتَلَفْتَ فِي الدِّينِ سَبْعُونَ فِرْقَةً وَيَيْفُ كَمَا قَدْ صَحَّ عَنْ سَيِّدِ الرُّسُلِ
أَفِي الْفِرْقَةِ الْهَالِكِ آلِ مُحَمَّدٍ؟ أَمْ الْفِرْقَةُ النَّاجِيْنَ مَاذَا تَرَى قُلْ لِي^(١)

وَرَوَى الْمَرْحُومُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ السَّمَاوِيُّ^(٢) مِنْ كِتَابِهِ (ظَرَفَةُ الْأَحْلَامِ) فِي الْفَصْلِ السَّابِعِ نَقْلًا عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ حُسَيْنِ الثُّورِيِّ فِي كِتَابِهِ (دَائِرُ السَّلَامِ) أَنَّ بَعْضَ عُلَمَاءِ خَوَارِزْمٍ قَدْ نَذَرَ أَنْ يَحْجَّ فَجَاءَ حَتَّى وَصَلَ قَنْطَرَةً فِي شَطِّ النَّيْلِ فِي الْحِلَّةِ، وَكَانَتْ لَهُ زَمَنُ بَنِي الْعَبَّاسِ قَنْطَرَةٌ عَلَيْهَا طَرِيقُ الْحَاجِّ وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ مُدَّةً، فَرَأَى الشَّيْخُ الْفَقِيهَ ابْنَ نَمَا الْحِلِّيَّ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ: إِنَّ عَالِمَ خَوَارِزْمٍ قَدْ وَرَدَ إِلَى هَذِهِ الْبَلَدَةِ، وَقَدْ أَشْرَفَ أَنْ يَعْبُرَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَحَدَ أَصْحَابِكَ يَهْدِيهِ الْبَيْتَيْنِ يَسْأَلُهُ فِيهِمَا وَيَعَزِّمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُجِيبَهُ عَنْهُمَا - وَتَلَا لَهُ الْبَيْتَيْنِ - فَاَنْتَبَهَ الشَّيْخُ وَهُوَ يَحْفَظُهُمَا وَأَرْسَلَ أَحَدَ تَلَامِيذِهِ بِالْبَيْتَيْنِ إِلَيْهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ لَا يَعْبُرَ إِلَّا بَعْدَ الْجَوَابِ، فَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ وَلَمْ يَعْبُرْ، هَكَذَا رَوَاهَا صَاحِبُ كِتَابِ (ظَرَفَةُ الْأَحْلَامِ)؛ فَإِنْ أَرَدْتَ التَّفْصِيلَ فَرَأِجِعْ ذَلِكَ الْكِتَابَ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْبَيْتَيْنِ لَيْسَا مِنْ نَظْمِ نِظَامِ الدِّينِ، وَأَمْتُهُمَا مِنْ جُمْلَةِ مَقْطُوعَةٍ شَعْرِيَّةٍ لَشَرَفِ الدَّوْلَةِ مُسْلِمِ ابْنِ قُرَيْشٍ الْعُقَيْلِيِّ الْمُسَيْبِيِّ^(٣) مَلِكِ الْمُوَصِّلِ الْمَقْتُولِ سَنَةَ ٤٧٨ هـ، وَاللَّهُ الْعَالِمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ.

(١) فِي الْمَنَاقِبِ لِابْنِ شَهْرَآشُوبَ: ٢/ ٢٧٠ نَسَبَهَا لِشَرَفِ الدَّوْلَةِ، وَكَذَا السَّمَاوِيُّ فِي ظَرَفَةِ الْأَحْلَامِ: ٣٠-٣١، وَفِي خِلَاصَةِ عِبَقَاتِ الْأَنْوَارِ: ٤/ ٢٩ نَسَبَهَا لِلشَّافِعِيِّ صَاحِبِ الْمَذْهَبِ، وَكَذَا فِي كِتَابِ الْأَمْنِيِّ، الْغَدِيرِ: ٢/ ٣٠١، وَكَذَا فِي نَفْحَاتِ الْأَزْهَارِ لِلْمِيلَانِيِّ: ٤/ ٢٧. وَانْظُرْ: فَرَائِدُ السَّمَطِينَ: ٢/ ٢٤٢.

(٢) ظَرَفَةُ الْأَحْلَامِ: ٣٠.

(٣) السُّلْطَانُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ، أَبُو الْكَارِمِ، مُسْلِمُ بْنُ مَلِكِ الْعَرَبِ قُرَيْشِيُّ بْنُ بَدْرَانَ بْنِ الْمَلِكِ حَسَامِ الدَّوْلَةِ مَقْلُدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعِ الْعُقَيْلِيِّ. تُنْظَرُ تَرْجُمَتُهُ فِي: سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ: ١٨/ ٤٨٢، الْأَعْلَامِ: ٧/ ٢٢٢، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ: ١/ ٢٦٩.

القرن الثامن الهجري

٥٧. صفي الدين الحلي (٦٧٧-٧٥٠هـ)^(١)

إِذَا اسْتَشَرْتَ الْمَصَادِرَ التَّارِيخِيَّةَ عَنْ شَخْصِيَّةِ صَفِيِّ الدِّينِ؛ فَإِنِّي أُلْقَى جَوَابَهَا الإِجْمَاعِيَّ بِمَا لِهَذَا الرَّجُلِ الْعَبْقَرِيِّ مِنْ أَثَرٍ بَارِزٍ فِي تَارِيخِ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ سِوَاءٍ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ أَوِ الْأَدَبِيَّةِ، أَوِ السِّيَاسِيَّةِ أَوِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَقَدْ سَاهَمَ هَذَا الرَّجُلُ مُسَاهِمَةً فِعْلِيَّةً وَذَاتَ نَتَائِجٍ بَاهِرَةٍ فِي كُلِّ هَذِهِ النُّوَاحِي حَتَّى كَانَ رَئِيسَ مَدْرَسَةِ فِكْرِيَّةٍ فِي الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ فِي عَصْرِهِ؛ فَمِنَ النَّاحِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ نَقُولُ وَاثِقِينَ إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَسَاطِينِ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ وَمُتَقَدِّمِيهِمْ يَتَفَجَّرُ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً، وَمِنَ النَّاحِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ يَكْفِي دِيَوَانُهُ الْمَطْبُوعُ أَنْ يَعْطِينَا فِكْرَةً وَاضِحَةً عَنْ بُيُوغِهِ الشَّرْعِيِّ وَإِبْدَاعِهِ، وَأَمَّا نَاحِيَتُهُ السِّيَاسِيَّةُ فَقَدْ خَاصَ الْحُرُوبَ وَشَجَعَ عَلَى إِشْعَالِ أَوَارِهَا لِانْتِصَارِ فِكْرَةِ سِيَاسَةِ مُعَيَّنَةٍ، وَتَكْفِي بِإِثْنَتِهِ الَّتِي انْتَقَدَ بِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ مَثَلًا، وَإِنْ أَمَكْنَ تَفْسِيرَهَا بِالْبَاعِثِ الدِّينِيِّ، وَلَكِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ لَمْ يَتَنَصَّلْ مِنَ الْأُمُورِ السِّيَاسِيَّةِ فَيُمْكِنُ تَفْسِيرُهَا بِهَذَيْنِ السَّبَبَيْنِ وَلَا تَنَاقُضَ.

وَأَمَّا النَّاحِيَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ فِي دِيَوَانِهِ وَكُتُبِهِ مِنْ دَعْوَةٍ حَارَّةٍ إِلَى الْإِصْلَاحِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَمُحَارَبَةِ رَذَائِلِ الْأَخْلَاقِ، وَإِيقَاطِ الصَّمِيرِ، وَقَدْ اتَّصَلَتْ هَذِهِ الْحُلُقَاتُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ فَكَوْنَتْ شَخْصِيَّةَ الصَّفِيِّ الْعَالِمِ الْأَدِيبِ السِّيَاسِيِّ الْمُصْلِحِ الْاجْتِمَاعِيِّ الَّذِي أَحْدَثَتْ شَخْصِيَّتُهُ الَّتِي أَبَتْ الْأَنْطَوَاءَ عَلَى نَفْسِهَا أَعْنَفَ الْهَزَاتِ فِي عَالَمِ الْفِكْرِ تَبْلُورَتْ عَنْ تَقَدُّمِ الثَّقَافَةِ، وَاتِّسَاعِ الْوَعْيِ فِي مَجْتَمَعِهِ حِينَ تَفَاعَلَتْ مُحَاوَلَاتُهُ الْإِصْلَاحِيَّةُ وَمُحَاوَلَاتُ الْمُصْلِحِينَ الْآخَرِينَ مِنْ أُنْدَادِهِ، وَكَانَ لِشِعْرِهِ أَثَرٌ أَكْبَرُ بَرُوزًا مِنْ وَسَائِلِ إِصْلَاحَاتِهِ الْآخَرَى.

(١) ترجمته في: الغدير: ٦/ ٤٢، الدرر الكامنة: ٢/ ٣٦٩، مجالس المؤمنين: ٤٧١، فوات الوفيات: ٢٧٩/ ١، البدر الطالع: ١/ ٣٥٨، روضات الجنات: ٤٢٢، الأعلام: ٢/ ٥٢٥، مستدركات علم رجال الحديث: ٤/ ٤٤١، كشف الظنون: ١/ ٢٣٣، ٧٣٦، ٧٤٧، ٧٩٧، ١٣٦٩، كشف الحجب: ٢١٦، الذريعة: ١/ ٣٣٧، ٣/ ٧٦، ٩/ ٣٦٨، ١٧/ ٨٤، ٢٠/ ٩٩، رياض العلماء: ٣/ ٣٣٧-٣٣٩، وغيرها مما خرج عن الاستقصاء.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْخَلْقِيَّةِ

وَشِعْرُ الصَّنْفِيِّ الْحَلِيِّ يَقُومُ عَلَى ثَلَاثِ رَكَائِزَ: الْعَقْلُ الْوَاعِي، وَالشُّعُورُ الْفَيَّاضُ، وَالْخَيَالُ الْحَصِيبُ، وَالشُّعْرُ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ رَكَائِزُهُ فَهُوَ النَّبُوغُ بِعَيْنِهِ أَوْ ابْنُ عَمِّهِ.

لَقَدْ نَظَّمَ الصَّنْفِيُّ فِي كَافَّةِ الْمَوَاضِعِ الشُّعْرِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ فِي عَهْدِهِ وَطَرَقَ كَافَّةَ أَبْوَابِ الشُّعْرِ وَوَلَجَ مِنْهَا إِلَى الْإِبْدَاعِ وَالْإِمْتِنَاعِ وَالْإِجَادَةِ وَلَا عَجَبَ فَقَدْ كَانَ مُرْهَفَ الْحِسِّ يَتَحَسَّسُ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلَهُ فَيَمَيِّزُ خَيْرَهُ مِنْ شَرِّهِ وَجَيِّدَهُ مِنْ رَدِيئِهِ فَيَنْظُمُ فِيهِ مِنْ شُعْرِهِ الرِّثَاءَ وَكَأَنَّهُ يُنْقَلُ مَا هُوَ مُسْطُورٌ فِي نُسخَةٍ وَجَدَانِهِ، ثُمَّ نَظَرَ شَاعِرُنَا قَضِيَّةَ الْحَيَاةِ الْمَعْقَدَةَ فَحَاكَمَهَا بِإِحْسَاسِهِ الْعَمِيقِ، وَخَرَجَ مِنْهَا بِنتَائِجٍ صَحِيحَةٍ، فِيهَا الْحِكْمَةُ وَفِيهَا الْعِبْرَةُ، وَقَلِيلٌ هَذَا النُّوعِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ يَتَّصِلُ شُعْرُهُمْ بِشُعُورِهِمْ، وَيَتَلَفَّى خَيَالُهُمْ وَحَقَائِقُ الْأُمُورِ، فَأَكْثَرُ مَنْ نَعْرِفُ مِنْ هَذِهِ الْمَجْمُوعَاتِ الْكَبِيرَةِ مِنَ الشُّعْرَاءِ لَمْ يَزِيدُوا عَنْ كَوْنِهِمْ شُعْرَاءَ أَلْفَاظٍ جَوْفَاءَ، لَا تَكَادُ تَمْتَّازُ عَنِ النَّثْرِ الْمُبْتَدَلِ الرَّخِيسِ إِلَّا بِمَا فِيهَا مِنْ مُوسِيقَى الشُّعْرِ وَجَرَسِ الْقَافِيَةِ وَالْوِزْنِ، وَلَكِنَّ شِعْرَ الصَّنْفِيِّ وَهُوَ مِنْ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ لَمْ يَكُنْ فِي مِثْلِ هَذَا الْمُسْتَوَى الْمُنْحَطِّ؛ وَإِنَّمَا هُوَ أَزْهَارٌ مُؤَنِّقَةٌ وَأَسْفَارٌ خَالِدَةٌ، فِيهَا الْمُعْجَبُ الْمُطْرَبُ مِنْ بَدَائِعِ الشُّعْرِ، وَرَوَائِعِ الْفَنِّ تَتَبَارَى فِي مِضْمَارِ الْجُودَةِ نَاحِيَتُهُ اللَّفْظِيَّةُ، وَنَاحِيَةُ الْمَعْنَى؛ فَكِلَاهُمَا بَلَغَ مِنْ حُسْنِ الْإِخْتِيَارِ مَا جَعَلَهُ مُتَرَابِطَ الْحَلَقَاتِ فِي سِلْسِلَةِ الْإِبْدَاعِ؛ فَحُسْنُ اللَّفْظِ مُتَّصِلٌ بِحُسْنِ الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ شَدِيدُ الْإِتِّصَالِ بِالْعُلُومِ، الْمَعَانِي، وَالْبَيَانِ، وَالْبَدِيعِ، وَقَدْ تَنَاوَلَ شِعْرُهُ شَتَّى الْمَوَاضِعِ الشُّعْرِيَّةِ مِنْ مَدِيحٍ وَرِثَاءٍ، وَهَجَاءٍ، وَوَصْفٍ، وَعَزْلِ وَحِكْمَةٍ وَسِيَاسَةٍ وَعَرْفَانِيَّاتٍ، وَرُدُودٍ حَتَّى فِي الْأَحْمَاسِ وَالْمُجُونِ مِنَ الْأَدَبِ الْمَكْشُوفِ، وَأَجَادَ فِيهَا كُلَّهَا؛ فَبَيْنَمَا هُوَ مِنْ عَرَفَانِيَّاتِهِ فِي صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ، وَإِذَا بِهِ مِنَ الْمُجُونِ وَالْعَزْلِ فِي صَالَةِ رَقْصٍ وَمَجْلِسِ طَرَبٍ بَيْنَ الْغَيْدِ وَالْكَأْسِ وَالْغِلْمَانِ، وَإِذَا تَحَمَّسَ وَافْتَحَرَ جَعَلَكَ وَاقِفًا فِي سَاحَةِ قِتَالٍ، فِيهَا الْكُرُّ وَالْفَرُّ، وَلَمْعُ السُّيُوفِ، وَرَشْقُ السَّهَامِ هَذَا هُوَ الْوَصْفُ الصَّادِقُ لِدِيْوَانِ الصَّنْفِيِّ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ خُلَاصَةِ فَلَسَفَتِهِ

القرن الثامن الهجري

ومعرفته لهذه الحياة التي درسها وتوفق إلى حل الكثير من ألغازها وأسرارها متوصلاً إلى حل تلك الرموز بما لديه من وسائل المعرفة المشرقة والإدراك الواعي ما أهله لأن يصبح علماً من أعلام الفكر العربي يُشار إليه بالبنان، ويكفي الصفي دليلاً على نضوجه الفكري أن يكون من تلامذته مثل السيد تاج الدين بن معية، وقد أعطانا ابن حجر العسقلاني في كتابه (الدرر الكامنة) فكرة غير واضحة، وفيها من التحامل الطائفي البغيض ما يفسر لنا سبب الإجمال في ترجمته للصفي؛ فقد جاء في كتاب (الدرر الكامنة) أن الصفي «تعانى في الأدب ومهر في فنون الشعر كلها، وتعلم المعاني، والبيان والبدیع وصنف فيهما، وتعانى التجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر ومازدين وغيرها في التجارة، ثم يرجع إلى بلاده، في غصون ذلك يمدح الملوك والأعيان وانقطع مدة إلى ملوك مازدين، وله في مدائحهم الغرر، وامتنح الناصر محمد ابن قلاوون، والمؤيد إسماعيل بحماة، وكان يتهم بالرفض»^(١).

والمراد بالرفض حب أهل البيت عليهم السلام؛ لأننا قد أوضحنا فيما مر من مواضع هذا الكتاب افتعال هذه الفِرقة من المسلمين وعدم وجودها إلا في العقول المريضة، وقد أحسن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله في قوله:

إِنْ كَانَ رَفُضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِيٌّ^(٢)
وقد ذهب والله تلك العداوات التي لا طائل تحتها كما ذهب كثير من الخرافات الدينية التي اختلقتها الأوضاع الشاذة التي أثرت تأثيراً سيئاً في سلوك الناس في تلك الحقبة المظلمة من الزمن، والآن نرى من حسن الحظ الرعية الصادقة في تفاهم وإزالة تلك الخلافات، والعمل على وحدة كلمة المسلمين (الشيعة والسنة)؛ فقد مضى

(١) الدرر الكامنة: ٢/ ٣٦٩ وما بعدها.

(٢) ديوان الشافعي: (قافية الضاد).

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحِلَّةِ

أَمْسُ بِمَا فِيهِ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ الْيَوْمِ^(١)، وَقَدْ لَمَسْنَا الصَّرَرَ الْكَبِيرَ النَّاتِجَ عَنْ تِلْكَ الانْقِسَامَاتِ الْمُخَالَفَةِ إِلَى رُوحِ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَادَتْ أَنْ تُؤَدِّيَ بِالْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ دُونَ تَفْرِيقِ بَيْنِ شِيعِيٍّ وَسُنِّيٍّ، وَمَتَى كَثُرَتِ الثَّقَافَةُ وَانْتَشَرَ الْوَعْيُ زَادَ التَّفَاهُْمُ وَتَقَارَبَتِ الْأَرْاءُ، وَسَوْفَ لَا يَمُضِي زَمَنٌ طَوِيلٌ حَتَّى نَرَى زَوَالَ آخِرِ ظُلْمَةٍ مِنْ ظُلُمَاتِ الْمَاضِي السَّحِيقِ؛ فَلَمْ يَحِذْ فَرِيقٌ مِنَ الْمُتَبَدِّعَةِ سِلَاحًا أَمْضَى مِنْ سِلَاحِ الطَّائِفَةِ يَشْهَرُونَهُ لِقَتْلِ الْإِسْلَامِ بِاسْمِ (نَحْتِ رَايَةِ الْإِسْلَامِ) نَاسِبِينَ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ السَّلَامِ لَا دِينَ الْمُهَاتَرَاتِ وَالْبَغْضَاءِ، وَقَدْ دَعَا حَتَّى مُحَالِفِيهِ فِي الْعَقِيدَةِ إِلَى نَبْذِ الْخِلَافَاتِ، وَإِلَى الْوَحْدَةِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾^(٢) الْآيَةُ.

إِذْنٌ فِيمَنِ الْبَابِ الْأَوَّلَى وَالْأُخْرَى دَعْوَتُهُ الْمُسْلِمِينَ - وَهُمْ أَهْلُهُ - إِلَى اتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ، وَكَمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ شَوَاهِدٍ نَاصِعَةٍ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَى الْكَرِيمَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٣)؛ فَالْمُتَهَاتِرُونَ وَالْمُفَرِّقُونَ يُخَالِفُونَ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ بَعْدَادٍ وَإِضْرَارٍ، وَمَنْ يُخَالِفِ الْقُرْآنَ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَجْعَلَهُ فِي حَظِيرَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى، وَإِنْ تَظَاهَرَ بِأَنَّهُ مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةُ الْفَوْضَى وَالشَّقَاقِ، وَصَنِيعَةُ الْإِلْحَادِ عَنْ قَصْدٍ، أَوْ دُونَ قَصْدٍ.

وَلَادَةُ الصَّفِيِّ

وُلِدَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَاسِنِ بْنِ سَرَايَا بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي الْقَاسِمِ السَّنْبُسِيِّ الطَّائِي، فِي مَدِينَةِ الْحِلَّةِ نَهَارَ الْجُمُعَةِ الْمُوَافِقِ ٥ ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ بَعْدَ وَفَاةِ الْمُحَقِّقِ الْحِلِّيِّ بِعَامٍ وَاحِدٍ، وَتَعَهَّدَ تَرْبِيَّتَهُ أَبَوَانِ صَالِحَانِ كَرِيمَانِ، وَلَمَّا اسْتَوَى عُودُهُ تَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ وَمَبَادِي الْعُلُومِ؛ ثُمَّ تَدَرَّجَ فِي السَّلَمِ الْعِلْمِيِّ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ فَاتَّقَنَ الْعُلُومَ الْعَرَبِيَّةَ،

(١) يَا لَيْتَ فِي الْأَحْيَاءِ شَخْصُكَ حَاضِرٌ.

(٢) آل عمران: ٦٤.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

القرن الثامن الهجري

والعلوم العقلية والعلوم الدينية، وساعده عقله الراجح وفهمه الغزير وطبعه الشفاف، ومزايه النادرة، أن يكون نادرة زمانه علماً وأدباً، وكانت أسفاره العالم المساعد إلى نبوغه، فقد سافر إلى مصر، وفي مصر يوم ذاك ثورة ثقافية طاعية في شتى نواحي الثقافة والعلم، وكانت مصر في العهد الذي زارها فيه الصفي الحلي في عصر هو أزهى العصور؛ فاختلط بعلمائها وأدبائها واستفاد منهم، واستفادوا منه؛ فأصبح في وقت قصير موضع حُبهم وتقديرهم وحفاوتهم ولم يزل يعلو نجم سعوده حتى فاجأه القدر المحتوم في بغداد سنة ٧٥٠ هـ، وقد وقع اختلاف في تاريخ وفاته؛ فبعضهم يزيد سنة، وبعضهم يزيد سنتين على ما ذكرناه؛ ولعل اختيارنا هو الأصح.

شعره

كانت في عصر الصفي نهضة علمية وأدبية بلغت القمة، كالثورة العلمية والأدبية في مصر، وقد قدر للصفي أن يقف بنفسه على ما وصلت إليه الثورتان في الحلة ومصر؛ فكان في شعره أثر ظاهر من هيب الثورتين وشررهما، وليس بالأمر الغريب لمثل الصفي في رجاحة عقله وتفهمه للأُمور، وذكائه المفرط أن يأخذ من كنوز الثروة الثقافية أغلى ما تصل إليه يده من لآلى الشعر، وذرر العلم، ومن هذا وذاك تهيأ للصفي ما لم يتهيأ للكثير سواه من سعة الفكر فأصبح بجدارة، من أبرز شعراء العلماء، وعلماء الشعراء، له المكانة الممتازة والمكان المرموق، يُقابل بالحفاوة أينما ذهب، وبالا احترام والتقدير أينما سار، ولأق من حسن الوفاة في مصر وماردين، وغيرهما من المدين والأقطار التي زارها ما هو خليق به، ولكنه في مصر غيره في ماردين؛ نظراً لما أسداه الأزر من صنيع مشكور في الرقي الثقافي والأزهر يوم ذاك جامعة علمية ومركز مهم للثقافة عرف للصفي علمه وأدبه فكان موضع عناية العلماء الأزهريين وأدبائهم؛ ثم توسعت دائرة الاحتراف به فقربه البلاط الناصري حتى كان من حاشيته، ولما قفل راجعاً إلى العراق

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلِيقَةِ

نَظَمَ مَا بَذَنِيهِ مِنْ انْطِبَاعَاتٍ عَمِيقَةٍ عَنْ مِصْرَ وَعَبَّرَ عَنْ تِلْكَ الانْطِبَاعَاتِ بِشِعْرِهِ الرَّصِينِ أَحْسَنَ تَعْبِيرٍ، أَمَّا الثَّقَافَةُ فِي مِصْرَ فَكَانَ زُعْمَاؤُهَا جَدِيرِينَ بِرَفْعِ رَايَتِهَا؛ فَرَعَامَةُ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَمَا شَاكَلَهَا كَانَتْ لِلْأَزْهَرِ وَالْكِتَابَةِ وَالْإِنْشَاءِ قَدْ عُمِدَ بِهِمَا إِلَى عَلَاءِ الدِّينِ ابْنِ الْأَثِيرِ^(١)، وَالشَّعْرِ وَالْخُطْبِ، فَلِجَمَالِ الدِّينِ ابْنِ نُبَاتَةَ^(٢)، وَكَانَتْ لِلصَّنْفِيِّ مَعَ كُلِّ هَؤُلَاءِ صَدَاقَةٌ وَثِيقَةٌ لَمْ تَنْقُطْ حَتَّى بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى وَطَنِهِ فَقَامَتِ الْمُرَاسَلَةُ مَقَامَ الْمُقَابَلَةِ وَنَابَ الْقَلَمُ عَنِ الْقَدَمِ فِي مُسَاجَلَاتٍ أَدَبِيَّةٍ مُتَمَتِّعَةٍ كَانَتْ ثَرْوَةً أَدَبِيَّةً لَا يُسْتَهَانُ بِهَا بِمَا فِيهَا مِنْ رَوَائِعِ الْوَصْفِ وَمُبْتَكِرِ الشَّعْرِ وَرَائِقِ الْمَدِيحِ وَالتِّي تَشْفُ عَمَّا فِي نُفُوسِ الْحَلِيِّينَ مِنْ طَبِيعَةِ الْوَفَاءِ الْأَصِيلَةِ كَمَا تَنَمُّ عَنْ حُسْنِ تَوَاضُعِ هَذَا الشَّاعِرِ الْعَالِمِ، وَحُسْنِ عَشْرَتِهِ فِي شِعْرِ حَيٍّ؛ لِأَنَّهُ وَلِيدُ شُعُورٍ حَيٍّ، وَضَمِيرٍ حَيٍّ، وَعَصْرِ حَيٍّ، هُوَ الْقَرْنُ الثَّامِنُ الْمُهْجَرِيُّ الَّذِي بَلَغَ فِيهِ النُّضُوجُ الْفِكْرِيُّ الذَّرْوَةُ فَحَلَّقَ الصَّنْفِيُّ فِي سَمَاءِ الشَّعْرِ بِجَنَاحَيْنِ قَوِيَيْنِ مِنْ مَوْهَبَتِهِ الْفَنِّيَّةِ وَثِقَافَتِهِ الْوَاسِعَةِ؛ فَمَا تَكَادُ تَعْثُرُ فِي شِعْرِهِ عَلَى غُثَاءٍ أَوْ سَقَطٍ إِلَّا نَادِرًا، وَلَيْسَ النَّادِرُ مَوْضِعًا لِلْقِيَاسِ.

وإِنْ صَلَتَهُ الشَّعْرِيَّةُ بِأَيِّ تَمَامٍ وَالْبَحْثِيُّ وَهُمْ ثَلَاثَتُهُمْ مِنْ عَشِيرَةٍ وَاحِدَةٍ^(٣) كَانَتْ أَقْرَبَ مِنْ صَلَتِهِ بِهِمَا مِنْ نَاحِيَةِ النَّسَبِ وَالْقُرْبَى، فَأَصْبَحَ الصَّنْفِيُّ وَرِيشُهُمَا فِي زَعَامَةِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ، وَوَرِيشُهُمَا بِالْعَبْقَرِيَّةِ وَالْخُلُودِ، وَكَانَتْ جَوْلَاتُهُ وَتَعَدُّ سَفَرَاتِهِ وَضَرْبُهُ فِي عَرْضِ الْبِلَادِ وَطُولِهَا السَّبَبَ الْمُهَمَّ لَاصْطِبَاغِ شِعْرِهِ بِالصَّبْغَةِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَسَبَبًا مُبَاشِرًا لِهَيَامِهِ بِالطَّبِيعَةِ وَبِمَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ جَمَالٍ مَلَكَ عَلَيْهِ مِشَاعِرُهُ، وَلُبَّهُ فَوْصَفَ وَأَبْدَعَ فِي الْوَصْفِ، وَلَمْ يَنْسَ وَصْفَ الطَّبِيعَةِ حَتَّى فِي مَدَائِحِهِ فَتَرَاهُ حِينَ يَمْدَحُ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ مَثَلًا

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ الْوَافِيَةُ فِي: الْجُزْءِ الْعِشْرِينَ مِنْ كِتَابِ الْوَافِي لِلصَّفْدِيِّ، الصَّحِيفَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرِينَ

بَعْدَ الْمِئَةِ، وَرَقْمُ التَّرْجُمَةِ مِئَةٌ وَتِسْعٌ وَتِسْعِينَ. تَوَفَّى ٧٣٠هـ.

(٢) أَخْبَارُهُ فِي: طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى: ٩ / ٣١٠، وَتَرْجَمَتُهُ فِي: الْأَعْلَامِ: ٧ / ٣٨. تَوَفَّى ٧٦٨هـ.

(٣) وَهِيَ قَبِيلَةُ طِيءٍ.

القرن الثامن الهجري

لَا يَنْسَى الْوَصْفَ، يَقُولُ:

مِنْ نَفْخَةِ الصُّورِ؟ أَمْ مِنْ نَفْخَةِ الصُّورِ؟
أَحْيَيْتَ يَا رِيحُ مَيْتًا غَيْرَ مَقْبُورٍ
مِنْهَا:

وَالرَّيْحُ تَرْفُمُ فِي أَمْوَاجِهِ شَبْكًَا
وَالنَّزْجُ الْعُصْ لَمْ تَغْضُضْ نَوَاطِرُهُ
كَأَنَّهُ ذَهَبٌ مِنْ فَوْقِ أَعْمَدَةٍ
وَمِنْ الْحَائِيَّةِ السَّاكِنَةِ الْمُلْحَقَةِ بَتَاءً، يَقُولُ:

يَا نَسْمَةً لِأَحَادِيثِ الْحِمَى شَرَحَتْ
كَمْ مِنْ صُدُورٍ لِأَرْبَابِ الْهَوَى شَرَحَتْ
وَالْقَافِيَةُ الَّتِي مَطَّلَعُهَا:

فِي فَيْرُوزِ الصُّبْحِ أَمْ يَاقُوتَةِ الشَّقَقِ
بَدَتْ فَهَيَّجَتِ الْوَرَقَاءَ فِي الْوَرَقِ
وَالنُّونِيَّةُ الَّتِي اسْتَهْلَهَا بِقَوْلِهِ:

خَلَعَ الرَّبِيعُ عَلَى غُصُونِ الْبَانِ حُلَلًا فَوَاضِلَهَا عَلَى الْكُثْبَانِ
فَفِيهَا مِنَ الْوَصْفِ الرَّائِعِ صُورٌ تَأْسُرُ الْقُلُوبَ، وَتَأْخُذُ بِالْأَلْبَابِ كَأَنَّ قَرِيحَتَهُ الشَّعْرِيَّةَ
رِيشَةً رَسَامٍ فَتَانٍ تُجِيدُ رَسْمَ الْمَنَاطِرِ، وَتُبْدِعُ فِي التَّصْوِيرِ وَلَيْسَ دِيَوَانُهُ سِوَى لُوحَاتٍ
رَائِعَةٍ مِنَ التَّصْوِيرِ الشَّعْرِيِّ الْفَنِيِّ الْمَسْرُحِيِّ مِنْ دِقَّةِ الْمُلَاحَظَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ، وَهِيَ
حَصِيلَةُ ثِقَافَةِ الشَّاعِرِ الْعَبْقَرِيِّ وَنَتَاجَ قَرِيحَتِهِ الْفَيَاضَةِ.

إِنَّ الصَّفِيَّ الْحَلِيَّ مِنْ أَسَاتِذَةِ السَّيِّدِ تَاجِ الدِّينِ بْنِ مُعِيَّةَ^(١) الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٧٦ هـ، كَمَا
رَعَمَ أَنَّهُ مِنْ تَلَامِيذَةِ الْمُحَقِّقِ كَصَاحِبِ كِتَابِ (أَمَلُ الْأَمَلِ)^(٢) مَعَ أَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ وَفَاةِ الْمُحَقِّقِ
بِسَنَةِ وَاحِدَةٍ؛ فَانْكُرُوا أَنْ يَكُونَ ابْنُ سَنَةٍ مِنْ تَلَامِيذَةِ الْمُحَقِّقِ، وَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّهُ مِنْ تَلَامِيذَةِ

(١) الكنى والألقاب: ١/ ٤٠٢-٤٠٣.

(٢) يُنْظَرُ: أَمَلُ الْأَمَلِ: ١/ ١٧١.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحِلْيَةِ

فَخَرِ الْمُحَقِّقِينَ لَا الْمُحَقِّقَ ارْتَفَعَ الْإِشْكَالُ، وَعِنْدِي أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِمُ الصَّنْفِيُّ هُوَ سَمِيَّةُ الشَّيْخِ صَنَفِيِّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْهَذَلِيِّ ابْنِ عَمِّ الْمُحَقِّقِ الْحَلِيِّ الْمَذْكُورِ وَمِنْ مُعَاَصِرِهِ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْفَاضِلُ السَّيِّدُ حَسَنُ الصَّدْرُ فِي كِتَابِهِ (تَأْسِيسُ الشَّيْعَةِ لِلْعُلُومِ الْإِسْلَامِ) ^(١) مِنْ أَنَّ وَفَاةَ الصَّنْفِيِّ الْحَلِيِّ سَنَةَ ٦٩٦ هـ فَهُوَ سَهْوٌ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ تُوَفِّي سَنَةَ ٧٥٠ هـ.

نَمَازِجُ مِنْ غَزَلِهِ وَنَسِيبِهِ

أَسْبَلَنْ مِنْ فَوْقِ النَّهْدِ ذَوَائِبَا
فَجَعَلَنْ حَبَاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبَا
وَجَلَوَنْ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْعَةً
غَادَرَنْ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبَا
بَيْضُ دَعَاهُنَّ الْغَبِيِّ كَوَاعِبَا
وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدَ قَالَ: كَوَاكِبَا
سَفَهَنْ رَأَى الْمَانَوِيَّةَ عِنْدَمَا
أَسْلَبَنْ مِنْ ظِلِّمِ الشُّعُورِ غِيَاهِبَا
وَمِنْ غَزَلِهِ:

لَا تَحْشَى يَا رَبَّعَ الْحَبِيبِ هُمُودَا
فَلَقَدْ أَخَذْتَ عَلَى الْعِهَادِ عُهُودَا
كَمْ غَادَرْتَ بَغْنَاكَ يَوْمَ وَدَاعِنَا
صَوَّبَ الْمَدَامِعِ إِنْ طَلَبْتَ مَزِيدَا
وَلَكَمْ سَكَبْتُ عَلَيْكَ هَاطِلَ أَدْمُعِي
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الطَّوِيلِ مَرِيدَا
وَلَقَدْ عَهْدْتُ بِكَ الظُّبَاءَ سَوَانِحَا
بِظِلَالِ شِعْبِكَ وَالْحِسَانُ الْغِيدَا
حُورًا إِذَا غُوزِلْنَ كُنَّ جَاذِرَا
وَإِذَا أَرَذْنَ الْفَتَكَ كُنَّ أَسُودَا
أُحْجَلْنَ زَهَرَ الْأَقْحُوَانِ مَبَاسِمَا
زَهْرًا وَضَاهَيْنَ الشَّقِيقَ خُدُودَا
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى:

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٣٠٥.

القرن الثامن الهجري

كَيْفَ الظَّلَالُ وَنُورُ وَجْهِكَ مُشْرِقُ؟ وَشَذَاكَ فِي الْأَكْوَانِ مِسْكٌ يَعْبِقُ
يَا مَنْ إِذَا سَفَرْتُ مُحَاسِنُ وَجْهِهِ ظَلَّتْ بِهِ حَدُّقُ الْخَلَائِقِ تَحْدُقُ
أَوْضَحْتُ عُذْرِي فِي هَوَاكَ بِوَاضِحٍ مَاءَ الْحَيَاةِ بِأَدِيمِهِ يَتَرَفَّقُ
فَإِذَا الْعُدُولُ رَأَى جَمَالَكَ قَالَ لِي: عَجَبًا لِقَلْبِكَ كَيْفَ لَا يَتَمَزَّقُ؟
أَغْنَيْتَنِي بِالْفِكْرِ فِيكَ عَنِ الْكَرَى يَا أَسْرِي فَأَنَا الْغَنِيُّ الْمُملِّقُ
لَوْلَاكَ مَا نَافَقْتُ أَهْلَ مَوَدَّتِي وَظَلَلْتُ فِيكَ نَفِيسَ عُمْرِي أَنْفِقُ
وَصَحِبْتُ قَوْمًا لَسْتُ مِنْ نُظَرَائِهِمْ فَكَأَنَّنِي فِي الطُّرْسِ سَطْرٌ مُحَلَّقُ
صُورٌ مِنْ حِمَاسَتِهِ:

وَلَقَدْ أَسِيرُ عَلَى الضَّلَالِ وَلَمْ أَقْلُ أَيْنَ الطَّرِيقُ؟ وَإِنْ كَرِهْتَ ضَلَالِي
وَأَعَافُ تَسْأَلِ الدَّلِيلَ تَرْفَعًا عَنْ أَنْ يُفَوِّهَ فَمِي بَلْفِظِ سُؤَالِي
وَيَقُولُ أَيْضًا، وَفِيهِ اللَّفُّ وَالنَّشْرُ الْمُرتَّبُ:

سَوَابِقُنَا وَالنَّفْعُ وَالسُّمُرُ وَالظَّبَا
وَأَحْسَابُنَا وَالْحِلْمُ وَالْبَاسُ وَالْبِرُّ
هُبُوبُ الصَّبَا وَاللَّيْلُ وَالْبَرْقُ وَالْقَضَا

وَشَمْسُ الضُّحَى وَالطُّودُ وَالنَّارُ وَالْبَحْرُ
وَمِنْ حِمَاسَتِهِ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ الرَّائِعَةُ الَّتِي حَمَسْتُهَا وَأُذِيعَتْ مِنْ دَارِ الإِدَاعَةِ الْعِرَاقِيَّةِ
مَرَّتَيْنِ^(١)، وَقَدْ التَّقَطَّتْهَا الصُّحُفُ الْبَغْدَادِيَّةُ فَنَشَرْتُهَا، وَاتَّخَذْتُهَا بَعْضُ الْمَدَارِسِ الرَّسْمِيَّةِ
نَشِيدًا وَطَنِيًّا يَتْلَى صَبِيحَةَ كُلِّ يَوْمٍ، وَمِنْ هَذِهِ الْمَدَارِسِ مَدْرَسَةُ الْوَثْبَةِ فِي الْحِلَّةِ، وَإِلَيْكَ
الْأَصْلُ وَالتَّخْمِيسُ:

الْحَقُّ أَنَّ الْعُلَا مِنْ صُنْعِ أَيْدِينَا

(١) أولها ١١/١٢/١٩٤٧م.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِتِيِّ فِي الْخَلْتِ

فَإِنْ شَكَّتَ فَعَايِنْ عِزَّ مَاضِينَا
وَلَا تَسْلُنَا إِذَا حَاوَلْتَ بَيْبِنَا
سَلِ الرِّمَاحَ الْعَوَالِي عَنْ مَعَالِينَا
وَاسْتَشْهَدْ الْبَيْضَ هَلْ خَابَ الرَّجَا فِينَا
فَسَوْفَ تُنَبِّئُكَ تَفْصِيلًا صَوَارِمُنَا
بِأَنَّنَا مَعْشَرٌ شَاعَتْ مَكَارِمُنَا
وَطَالَمَا بَاءَ فِي خُسْرِ مُحَاصِمُنَا
لَمَّا سَعَيْنَا فَمَا رَقَّتْ عِزَائِمُنَا
عَمَّا نَرُومُ وَلَا خَابَتْ مَسَاعِينَا
عَلَى عِدَانَا الْعُلَى كَانَتْ مُحَرَّمَةً
تَأْبَى الْعُلَى فِتْنَةً رَعْنَاءُ مُجْرِمَةٍ
صُنَا- فِلَسْطِينَ- كَيْ تَبْقَى مُكْرَمَةً
بِضْمِرٍ مَارَبَطْنَاهَا مُسَوِّمَةً
إِلَّا لَنَغْزُو بِهَا مَنْ بَاتَ يَغْزُونَا
إِنَّ الْعِدَى لَمْ تَنْلِ مِنَّا مَطَامِعُهُمْ
وَإِنْ أَعَدُّوا ظِبَاهُمْ أَوْ مَدَافِعُهُمْ
فَيَبِضُّنَا أَخَذَتْ مِنْهُمْ مَوَاضِعُهُمْ
وَفِتْيَةٌ إِنْ نَقُلْ أَصْغَوْا مَسَامِعُهُمْ
لِقَوْلِنَا أَوْ دَعَوْنَاهُمْ أَجَابُونَا
قَدْ عَايَنُوا غُرَرَ الْعِلْيَاءِ مُعَايِنَةً
لَا يَعْرِفُونَ نِفَاقًا أَوْ مُدَاهِنَةً
وَلَمْ يَهَابُوا إِنْجِلِيزًا أَوْ صَهَابِنَةً

القرن الثامن الهجري



قَوْمٌ إِذَا اسْتُخْصِمُوا كَانُوا فَرَاعِنَةً
يَوْمًا وَإِنْ حَكَّمُوا كَانُوا مَوَازِينًا
أَحْسَابُهُمْ وَظَبَاهُهُمْ لَحْنٌ مُشْرِقَةٌ
وَأَحْرَزُوا غُرَرَ الْعَلْيَاءِ بِاسِقَةٍ
وَمَا مَفَاخِرُهُمْ كَانَتْ مُلَفَّقَةً
إِذَا ادَّعَوْا جَاءَتِ الدُّنْيَا مُصَدِّقَةً
وَإِنْ دَعَوْا قَالَتِ الْآيَامُ آمِينَ
هَذِهِ هِيَ الْعَرَبُ لَمْ تَجْهَلْ مَكَارِمَهَا
لَيْسَتْ تُسَالِمُ إِلَّا مَنْ يُسَالِمُهَا
عَجِبْتُ مِنْ آلِ صَبِيحُونَ تُخَاصِمُهَا
إِنَّ الزَّرَازِيرَ لَمَّا قَامَ قَائِمُهَا
تَوَهَّمتُ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
هُمُ الْكِلَابُ أَرَادَتْ ذِلَّةَ السَّبْعِ
وَذَاكَ أَمْرٌ مُحَالٌ قَطُّ لَمْ يَقَعِ
بَلْ كَالْبَغَاثِ الَّتِي لِلْجَهْلِ وَالطَّمَعِ
ظَنَنْتُ تَأْتِي الْبُرَاةُ الشُّهْبَ عَنْ جَزَعِ
وَمَا دَرْتُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ تَهْوِينَا
نَحْنُ الْحِمَاءُ فَفِينَا إِنْ دُهِيتَ فَلَذُ
وَمَنْ يَدِينَا إِذَا شَتَّ النَّوَالُ فَخُذْ
أَمَّا الْعُدَاةُ فَعَنَّا بِالْعَلَاءِ تَشُدْ
ذُلُّوْا بِأَسْيَافِنَا طَوَّلَ الزَّمَانِ فَمُذْ
تَحَكَّمُوا أَظْهَرُوا أَحْقَادَهُمْ فِينَا

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتِ

فَأَنْظُرْ عِدَانَا تَجَدُّهُمْ قَدْ بَعُوا وَطَعُوا
وَكَمْ هُمْ نَهَقُوا مِنْ جَهْلِهِمْ وَرَعُوا
جَارُوا عَلَيْنَا وَمَا هُمْ لِلصَّيْرِ صَعُوا
أَخَلُّوا مَسَاجِدَ مَنْ أَشْيَاخَنَا وَبَعُوا
حَتَّى حَمَلْنَا فَأَخَلَيْنَا الدَّوَايِنَا
فَالنَّصْرُ عَنْ أَوْجِهِ الْأَعْدَاءِ مُنْعَلِقُ
وَالذُّلُّ شَاعَ بِهِمُ وَالرُّعْبُ وَالْفَرْقُ
وَالسُّمُرُ مَيَّاسَةٌ وَالسَّيْفُ مَمْتَشِقُ
وَلِلدَّمَاءِ عَلَى أَثْوَابِنَا عَلَقُ
بِنَشْرِهِ عَنْ عَبِيرِ الْمِسْكِ يُغْنِينَا
فَإِنْ رَأَى الْخَضَمُ مِنَ الْمَوْتِ وَالتَّلْفَا
فَلَا يَلُمُ قَطُّ إِلَّا نَفْسَهُ أَسَفَا
فَمَا اعْتَدِينَا، وَلَكِنْ نَطْلُبُ النَّصْفَا
إِنَّا الْقَوْمُ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرَفَا
أَنْ نَبْتَدِيَ بِالْأَذَى مَنْ لَيْسَ يُؤْذِينَا
هَذِي السَّجَايَا عَلَيْهَا ظِلُّ طَابِعِنَا
هِيَهَاتَ مِنْ أَحَدٍ فِيهَا يُنَازِعُنَا
بَارْبَعٍ قَدْ سَبَقْنَا مَنْ يُضَارِعُنَا
بَيْضُ صَنَائِعُنَا سُودٌ وَقَائِعُنَا
خُضْرُ مَرَابِعُنَا حُمْرُ مَوَاضِينَا
يَا أَيُّهَا الْعَرَبُ هَيَّا وَاحْرُسُوا الْوَطْنَا
وَعَنْ عُيُونِكُمْ فَلْتَنْفِضُوا الْوَسْنَا

القرن الثامن الهجري



صُونُوا الْبِلَادَ جَمِيعًا فِي ظَبَا وَقَنَا
لَا يَظْهَرُ الْعَجْزُ مِنَّا دُونَ نَيْلِ
مُنَى وَلَوْ رَأَيْنَا الْمَنَايَا فِي أَمَانِينَا
أَمْثَلُهُ مِنْ حِكْمِيَّاتِهِ:

بَنُوا الدُّنْيَا فَرَائِسَ لِلْمَنَايَا وَنَابَ الْمَوْتُ عَنْهَا غَيْرُ نَابِ
وَمَنْ يَغْتَرَّ فِي الدُّنْيَا بِعَيْشٍ فَقَدْ طَلَبَ الشَّرَابَ مِنَ السَّرَابِ^(١)

فَنَاعَةُ الْمَرْءِ بِمَا عِنْدَهُ مَمْلَكَةٌ مَا مِثْلُهَا مَمْلَكَةٌ
فَارْضُوا بِمَا قَدْ جَاءَ عَفْوًا وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ^(٢)

لَعَمْرُكَ لَا يَغْنِي الْفَتَى طَيْبُ أَصْلِهِ وَقَدْ خَالَفَ الْآبَاءَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ
فَقَدْ صَحَّ أَنَّ الْحَمَرَ رِجْسٌ مُحَرَّمٌ وَمَا شَكَّ قَوْمٌ أَنَّهُ طَيْبُ الْأَصْلِ^(٣)

تَحْمَلُ مِنْ حَبِيبِكَ كُلَّ ذَنْبٍ وَوَعْدَ خُطَاهُ فِي وَفْقِ الصَّوَابِ
وَلَا تَعْتَبِ عَلَى ذَنْبِ حَبِيبًا فَكُمِ هَجْرٌ تَوَلَّدَ مِنْ عِتَابِ^(٤)

بِقَدْرِ لُغَاتِ الْمَرْءِ يَكْثُرُ نَفْعُهُ فَتِلْكَ لَهُ عِنْدَ الْمُلَمَّاتِ أَعْوَانُ

(١) يُنْظَرُ: دِيَوَانُ الصَّفِيِّ الْحَلِيِّ.

(٢) يُنْظَرُ: دِيَوَانُ الصَّفِيِّ الْحَلِيِّ.

(٣) يُنْظَرُ: دِيَوَانُ الصَّفِيِّ الْحَلِيِّ.

(٤) يُنْظَرُ: دِيَوَانُ الصَّفِيِّ الْحَلِيِّ.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

فَسَارِعُ إِلَى حِفْظِ اللُّغَاتِ مُجَاهِدًا فَكُلُّ لِسَانٍ فِي الْحَقِيقَةِ إِنْسَانٌ^(١)
أَلْوَانٌ مِنْ هِجَائِهِ:

قَالَ النَّبِيُّ مَقَالَ صِدْقٍ لَمْ يَزَلْ يَجْرِي عَلَى الْأَسْمَاعِ وَالْأَفْوَاهِ
مَنْ غَابَ عَنْكُمْ أَصْلُهُ فَفِعَالُهُ تُنْبِئُكُمْ عَنْ أَصْلِهِ الْمُتَنَاهِي
وَسَفَرَتْ عَنْ أَفْعَالٍ سُوءٍ أَصْبَحَتْ بَيْنَ الْأَنَامِ قَلِيلَةَ الْأَشْبَاهِ
وَتَقُولُ: إِنَّكَ مِنْ سُلَالَةِ حَيْدَرٍ أَفَأَنْتَ أَصْدَقُ؟ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ؟^(٢)
وَفِي الْآيَاتِ الْأَخِيرَةِ مُعَالِطَةٌ مَنْطِقِيَّةٌ؛ فَإِنَّهَا تَصَحُّ فِيمَنْ غَابَ أَصْلُهُ وَلَمْ تَظْهَرْ سَيَادَتُهُ
فَعِنْدَ هَذِهِ الْجَهَالَةِ التَّامَّةِ أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى الْأَفْعَالِ؛ أَمَّا السَّيِّدُ الْمَعْرُوفُ نَسَبُهُ
وَحَسَبُهُ فَلَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ هَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ؛ فَأَبُو هَلَبٍ جَاءَتْ مِنْهُ أَفْعَالٌ سُوءٌ مَعَ أَنَّهُ
مِنْ شَجَرَةِ النَّبُوَّةِ، وَجَعَفَرُ الْكَذَّابِ ظَهَرَتْ مِنْهُ أَفْعَالٌ سُوءٌ وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَةِ الرَّسُولِ بِلَا
شُبْهَةٍ^(٣).

مِنْ أَسْلُوبِهِ الْهَجَائِيِّ أَيْضًا:

(طَفِيلٌ) تُقَادُ بِأَذْنَائِهَا وَقَوْدُ الْجِيَادِ بِأَرْسَانِهَا
إِذَا افْتَخَرَتْ فِتْيَةٌ بِالرِّجَالِ فَفَخَّرُ - طَفِيلٌ - بِنِسْوَانِهَا^(٤)

سَمَّيْتَ عَيْسَى وَلَمْ تَظْفَرْ بِمُعْجَزَةٍ وَلَمْ تُشَابِهْهُ فِي عِلْمٍ وَلَا حَسَبٍ

(١) يُنْظَرُ: دِيَوَانُ الصَّفِيِّ الْحَلِيِّ.

(٢) يُنْظَرُ: دِيَوَانُ الصَّفِيِّ الْحَلِيِّ.

(٣) يُنْظَرُ: دَلَائِلُ الْإِمَامَةِ: ٢٤٨. وَقَدْ نَقَلَ أَنَّهُ خَرَجَ تَوْقِيعَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى أَنَّ جَعْفَرَ صَارَ تَوَّابًا.

(٤) يُنْظَرُ: دِيَوَانُ الصَّفِيِّ الْحَلِيِّ.

القرن الثامن الهجري

وَلَا أَتَيْتَ بِشَيْءٍ مِنْ فَضَائِلِهِ إِلَّا بِأَنَّكَ مِنْ أُمَّ بَغِيرِ أَبٍ^(١)

لَمَّا اغْتَنَى أَفْقَدْنَا نَفْعَهُ وَتِلْكَ مِنْ شِيمَةِ بَيْتِ الْخَلَا
يَسْعَى إِلَيْهِ إِنْ عَدَا فَارِعَا وَمَا بِهِ نَفْعٌ إِذَا مَا امْتَلَا^(٢)
صُورٌ مِنْ وَصْفِهِ:

فِي الشَّمْعِ أَوْصَافٌ كَوَصْفِي أَوْجَبْتُ حُبِّي لَهُ، وَالْبُعْدُ عَنْ أَضْدَادِهِ
جَرِيَانٌ أَذْمَعِهِ وَصُفْرَةٌ لَوْنِهِ وَسَهَادٌ مُقْلَتِهِ وَذَوْبٌ فُؤَادِهِ^(٣)

بَحْرٌ مِنَ الْحُزْنِ لَا يَنْجُو الْغَرِيقُ بِهِ إِذَا تَلَا طَمَ أَعْطَافٌ بِأَعْطَافِ
مَا حَرَّكَتُهُ نَسِيمُ الرَّقْصِ مِنْ مَرَحٍ إِلَّا وَمَاجَتْ بِهِ أَمْوَاجُ أَرْدَافِ^(٤)

خَلَعَ الرَّبِيعُ عَلَى غُصُونِ الْبَانِ حُلًّا فَوَاضِلَهَا عَلَى الْكُتُبَانِ^(٥)
وَهِيَ مَطْبُوعَةٌ بِدِيَوَانِهِ، وَكَذَلِكَ قَصِيدَتُهُ فِي وَصْفِ الرَّبِيعِ:
وَرْدُ الرَّبِيعِ فَمَرَحَبًا بِوَرُودِهِ وَبِنُورٍ بِهِجَتِهِ وَنُورِ^(٦) وَرُودِهِ
وَبِحُسْنِ مَنْظَرِهِ وَطِيبِ نَسِيمِهِ وَأَنِيقِ مَبْسَمِهِ وَوَشْيِ بُرُودِهِ^(٧)

(١) يُنظر: ديوان الصفي الحلبي.

(٢) يُنظر: ديوان الصفي الحلبي.

(٣) يُنظر: ديوان الصفي الحلبي.

(٤) يُنظر: ديوان الصفي الحلبي.

(٥) يُنظر: ديوان الصفي الحلبي.

(٦) النور: بتسكين الواو الورد الأبيض الصغير. العين للخليل.

(٧) يُنظر: ديوان الصفي الحلبي.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلِيِّ

وَقَالَ يَصِفُ الْخَمْرَ:

سَلَاةٌ تُمِيتُ الْعَقْلَ فِي حَالِ شَرِبِهَا وَتُنْعِشُ مِنَّا الرُّوحَ وَالْجِسْمَ وَالْقَلْبَا
مَحْجَبَةٌ وَسُطَّ الدُّنَانِ وَنُورُهَا يَمَزُقُ مِنْ لَأْلَاءِ غُرَّتِهَا الْحُجْبَا
إِذَا مَسَّهَا وَقَعَ الْمَزَاجُ تَأَلَّمَتْ وَأَزِيدَ مِنْهَا الثَّغَرُ وَامْتَلَأَتْ رُعْبَا
وَأَعْجَبُ مِنْ بَكْرِهَا الْمَاءُ وَالِدٌ وَتَرْجِعُ أَنَّى رَامَ تَقْيِيلَهَا غَضَبِي
هِيَ الشَّمْسُ إِلَّا أَنَّهَا فِي شُرُوقِهَا إِذَا امْتَزَجَتْ فِي كَأْسِهَا أَطْلَعَتْ شُهْبَا
يَعُضُّ عَلَيْنَا التَّائِبُونَ بَنَانَهُمْ وَيَنْدُبُ كُلُّ مِنْهُمْ عَقْلَهُ نَدْبَا
إِذَا مَا حَسَوْنَاهَا أَقْرُوا بِأَتَمِّهِمْ قَدْ ازْتَكَبُوا فِي تَرْكِهَا مَرْكَبَا صَعْبَا^(١)
وَفِي الْبَابِ الثَّالِثِ مِنْ دِيَوَانِهِ شَوَاهِدٌ كَثِيرَةٌ فَلْيُرَاجِعْهَا الْقَارِئُ إِذَا رَامَ الْمَزِيدَ.

طَرَائِفُ مِنْ مَدَائِحِهِ:

فَوَ اللَّهُ مَا اخْتَارَ إِلَاهَهُ مُحَمَّدًا حَبِيبًا وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ لَهُ مِثْلُ
كَذَلِكَ مَا اخْتَارَ النَّبِيَّ لِنَفْسِهِ عَلِيًّا وَصِيًّا وَهُوَ لَابْنَتِهِ بَعْلُ
وَصِيرَهُ دُونَ الْأَنْعَامِ أَخَا لَهُ وَصَنُوا وَفِيهِمْ مَنْ لَهُ دُونُهُ الْفَضْلُ
وَشَاهِدُ عَقْلِ الْمَرْءِ حُسْنُ اخْتِيَارِهِ فَمَا حَالُ مَنْ يَخْتَارُهُ اللَّهُ وَالرُّسُلُ^(٢)

يَا عِترَةَ الْمُخْتَارِ يَا مِنْهُمْ يَفُوزُ عَبْدٌ يَتَوَلَّاهُمْ
أَعْرِفْ فِي النَّاسِ بِحُبِّي لَهُمْ إِذْ يُعْرِفُ النَّاسُ بِسِيَاهُمْ^(٣)

(١) يُنظر: ديوان الصفيّ الحليّ.

(٢) يُنظر: ديوان الصفيّ الحليّ.

(٣) يُنظر: ديوان الصفيّ الحليّ.

القرن الثامن الهجري

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَاكَ أَمَّا ذَكَرْتُكَ عِنْدَ ذِي حَسَبٍ صَغَى لِي
وَأِنْ كَرَّرْتُ ذَكَرَكَ عِنْدَ نَغْلٍ تَكَدَّرَ بِأَلْهِ وَبَغَى قِتَالِي
فَصِرْتُ إِذَا شَكَّتُ بِأَصْلِ مَرءٍ ذَكَرْتُكَ بِالْجَمِيلِ مِنَ الْمَقَالِ
فَلَيْسَ يُطِيقُ سَمْعَ ثَنَاكَ إِلَّا كَرِيمُ الْأَصْلِ مُحَمَّدُ الْخِلَالِ
فَهَا أَنَا قَدْ خَبِرْتُ بِكَ الْبَرَايَا فَأَنْتَ مَحْكٌ أَوْلَادِ الْحِلَالِ^(١)

مَلِكٌ يَرَى تَغَبَّ الْمَكَارِمِ رَاحَةً وَيَعْدُ رَاحَاتِ الْحَيَاةِ مَتَاعِبَا
بِمَكَارِمٍ تَذُرُ السَّبَاسِبَ أَبْحُرَا وَعِزَائِمٍ تَذُرُ الْبِحَارَ سَبَاسِبَا
لَمْ تَحُلْ أَرْضٌ مِنْ ثَنَاهُ وَإِنْ خَلَتْ مِنْ ذِكْرِهِ مُلِئَتْ قَنَا وَقَوَاضِبَا
تَرْجَى مَوَاهِبُهُ وَيَرْهَبُ بَطْشُهُ مِثْلَ الزَّمَانِ مُسَالِمًا وَمُحَارِبَا
فَإِذَا سَطَّتْ مَلَأَ الْقُلُوبَ مَهَابَةً وَإِذَا سَخَا مَلَأَ الْعُيُونَ مَوَاهِبَا
كَالْغَيْثِ يَبْعَثُ مَنْ عَطَاهُ وَابِلَا سَبْطًا، وَيُرْسِلُ مَنْ سَطَّاهُ حَاصِبَا
كَالْيَيْثِ يَحْمِي غَابَهُ بَزَائِرِهِ طَوْرًا وَيَنْشُبُ فِي الْقَنْيَصِ مَخَالِبَا
كَالسَّيْلِ يَحْمِلُ مِنْهُ عَذْبًا وَاصِلَا وَيَعْدُهُ قَوْمٌ عَذَابًا وَاصِبَا
كَالْبَحْرِ يَهْدِي لِلنُّفُوسِ نَفَائِسَا مِنْهُ وَيُبْدِي لِلْعُيُونِ عَجَائِبَا
فَإِذَا نَظَرْتَ نَدَى يَدِيهِ وَرَأْيَهُ لَمْ تَلَفْ إِلَّا صَائِبًا أَوْ صَائِبَا^(٢)

لِلَّهِ مَلَا حُكَّ اللَّبِيبِ وَقَدْ أَبْدَى لَنَا مِنْ فِعَالِهِ حَسَنَا
قَدْ حَمَلَ الْبَحْرَ فِي سَفِينَتِهِ وَعَادَةُ الْبَحْرِ يَحْمِلُ السُّفُنَا

(١) يُنظر: ديوان الصفي الحلبي.

(٢) يُنظر: ديوان الصفي الحلبي.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحَلِيقَةِ

نُبْدَةٌ مِنْ رِثَائِهِ:

وَهِيَ مِنَ الْقَصِيدَةِ الَّتِي رَتَّى بِهَا النَّقِيبَ غِيَاثَ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ النَّيْلِيِّ الْمُرْجَمِ
الرقم (٥٢) مُثَبَّتَةٌ بِدِيَوَانِهِ:

هُوَ الدَّهْرُ مُعَرِّى بِالْكَرِيمِ وَسَلْبِهِ فَإِنْ كُنْتُ فِي شَكٍّ بِذَلِكَ فَسَلِّ بِهِ
أَرَانَا الْمَعَالِي كَيْفَ يَنْهَدُ رُكْنُهَا وَكَيْفَ يَغُورُ الْبَدْرُ مِنْ بَيْنِ شُهُبِهِ
أَبْعَدَ (غِيَاثِ الدِّينِ) يَطْمَعُ صَرْفُهُ بِصَرْفِ خِطَابِ النَّاسِ عَنْ دَمِّ خُطْبِهِ؟
وَتَخْطُو إِلَى عَبْدِ الْكَرِيمِ خُطُوبُهُ وَيَطْلُبُ مِنَّا الْيَوْمَ غُفْرَانَ ذَنْبِهِ
سَلِيلَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنِ عَمِّهِ وَنَجَلَ الْوَصِيِّ الْهَاشِمِيِّ لُصْلِبِهِ
فَتَى كَانَ مِثْلَ الْغَيْثِ يَخْشَى وَبَالَهُ وَيَرْجَى لِطَلَابِ النَّدَى وَبُلَّ سُحْبِهِ
رَقِيقُ حَوَاشِي الْعَيْشِ فِي يَوْمِ سَلْمِهِ كَثِيفُ حَوَاشِي الْجَيْشِ فِي يَوْمِ حَرْبِهِ
فَلَا يَتَّقِي الْأَسْيَافَ إِلَّا بِوَجْهِهِ وَلَا يَلْتَقِي الْأَضْيَافَ إِلَّا بِقَلْبِهِ
وَلَا يَنْظُرُ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِعَقْلِهِ وَلَا يَسْمَعُ الْأَخْبَارَ إِلَّا بِلُبِّهِ
إِذَا جَالَ فِي يَوْمِ الرَّدَى قِيلَ مَنْ لَهُ؟ وَإِنْ جَادَ فِي يَوْمِ النَّدَى قِيلَ: مَنْ بِهِ؟
أَمِنْ بَعْدَ مَا تَمَّتْ مُحَاسِنُ بَدْرِهِ وَدَارَتْ عَلَى كُلِّ الْوَرَى كَأْسُ حُبِّهِ؟
دَهْتُهُ الْمَنَايَا وَهِيَ فِي حَدِّ سَيْفِهِ وَصَرْفِ اللَّيَالِي وَهُوَ مِنْ بَعْضِ حَزْبِهِ
كَأَنَّ لَمْ يَقْدَحْهَا كَالْأَجَادِلِ شَاذِيَا وَيَرْفَعُ قَبَّ اللَّيْلِ مِنْ نَقْعِ قُبَّتِهِ
وَلَمْ يَقْرَعْ الْأَسْمَاعَ وَقَعَ خُطَابِهِ وَلَمْ يَطْرُقِ الْهَيْجَاءَ مَوْعُ خُطْبِهِ
وَلَا كَانَ يَوْمُ الدَّسِّتِ صَاحِبَ صَدْرِهِ وَلِلْجَيْشِ يَوْمَ الْحَرْبِ مَرْكَزَ قُطْبِهِ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْيَوْمِ لَيْثَ عَرِيكَتِهِ أَذَاقَهُ طَعْمَ الْمَوْتِ عَضَّةَ كُلْبِهِ
وَلَوْ كَانَ مَا بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا وَفَوْقَ مُتُونِ الْحَيْلِ إِدْرَاكَ نَحْبِهِ
لَكَانَ جَمِيلَ الذِّكْرِ عَنْ حُسْنِ فَعْلِهِ يَنْفَسُ عَنْ قَلْبِ الْفَتَى بَعْضَ كَرْبِهِ

القرن الثامن الهجري

والقصيدة كلها خالية من التعقيد اللغوي والمعنوي تفيض سلاسة وسهولة
تعبير، اكتفينا بهذا القدر منها؛ لوجودها في ديوانه.

آثاره:

من آثاره المهمة ديوانه في ثلاثة مجلدات، و(دُرر النحور في مدائح الملك
المنصور)^(١)، وكتاب (النوار المضيئة في الحكمة الشرعية)، وهو كتاب جليل القدر
في عدة مجلدات.

له تلاميذ منهم السيد تاج الدين ابن معيّة، والشيخ حسن بن سليمان الحلّي، ولولا
أنّ الفاضل جواد أحمد علوش قد كتب عن الصفي الحلّي كتابه (شعر الصفي)، والكتاب

(١) في المطبوع: (منصور)، والتصويب من الغدير: ٦/ ٤٤-٤٥، وجاء في الغدير: ٦/ ٤٤-٥٤
« ١. منظومة في علم العروض، ذكرها له صاحب رياض العلماء، ٢. العاقل الحلّي، رسالة
في الزجل والموالي، ٣. الخدمة الجليلة، رسالة في وصف الصيد بالبندق، ٤. درر النحور في
مدائح الملك المنصور، وهي القصائد (الارتقيات)، تحوي ٢٩ قصيدة مرتبة على حروف
المعجم، وأول أبياتها كآخرها من الحروف، وكل قصيدة منها ٢٩ بيتاً، ٥. ديوان شعره. قال
الكتبي في الفوات: إنّه دون شعره في ثلاث مجلدات وكلّه جيد. والمطبوع مجلد واحد، ولعلّه
بعض شعره أو ديوانه الصغير الذي ذكره له بعض المتأخرين من المؤلفين بعد ذكر ديوان
كبير له، ٦. رسالة الدار عن محاورات الفار، ٧. الرسالة المهمة، كتبها إلى الملك الناصر
محمد بن قلاوون سنة ٧٢٣. ٨. الرسالة الثومية، أنشأها بهاردين سنة ٧٠٠، ٩. الكافية، هي
بديعته الشهيرة الحاوية لمائة وواحد وخمسين نوعاً من محاسن البديع في ١٤٥ بيتاً في بحر
(البسيط)، يمدح بها النبي الأعظم ﷺ، طبعت في ديوانه، مستهلّها:

إن جئت سلماً فسل عن جيرة العلم وأقر السلام على عرب بذي سلم

١٠. شرح الكافية المذكورة في مصر سنة ١٣١٦. وفي غير واحد من المعاجم: إنّ له فضل السبق
في نظم البديعية على من نظمها، غير أنّنا نقول: إنّ المترجم وإن أبدع في نظم بديعته إلّا أنّ السابق
إليها هو أمين الدين عليّ بن عثمان بن عليّ بن سليمان الأربليّ الشاعر الصوفي المتوفى سنة ٦٧٠هـ،
المترجم في الوافي بالوفيات، وله فضل السبق كما ذكره السيد عليّ خان في (أنوار البديع)، وذكر
قصيدته.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحِلْيَةِ

مَطْبُوعٌ لَتَوْسَعَتْ فِي تَرْجَمَةِ الصَّفِيِّ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَنْصِفِ الصَّفِيَّ، وَقَدْ نَافَسْنَاهُ فِي كِتَابِنَا الْخَطِّيِّ (مُنَافَسَاتٌ وَمُدَاعِبَاتٌ) الَّذِي عَزَمْنَا عَلَى طَبْعِهِ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

٥٨. أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ الْحِلِّيُّ

فَرَعُ زَالٍ مِنْ شَجَرَةِ (آلِ الْمُطَهَّرِ) الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي فَاحَ عَاطِرُ ذِكْرُهَا عِنْدَ تَرْجَمَتِنَا لِسَيِّدِ الدِّينِ الرَّقْمِ (٤٣) وَتَطَرَّفْنَا لِقَبْسَةِ مُنِيرَةٍ مِنْ تَارِيخِهَا الْمُشْرِقِ وَجَدِيرُ بَتَارِيخِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ يَحْتَلَّ الصَّفْحَةُ الْأُولَى مِنْ سِفْرِ الْمَجْدِ وَالْخُلُودِ، وَلَا جُلَّ تَوْفِي مَلَلِ التَّكَرُّارِ لَمْ نَعُدْ إِلَى الْإِطَالَةِ فِي هَذَا الْمُبْحَثِ؛ فَتَقُولُ:

إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ الْمُفِيدَ الْمُلقَّبَ بـ: الْإِمَامِ شَمْسِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ السَّعِيدِ الْهَمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْمُطَهَّرِ مِنْ أَكَابِرِ تَلَامِذَةِ الْعَلَامَةِ الْحِلِّيِّ، وَشَرِيكَ سَيِّدِ الدِّينِ وَالِدِ الْعَلَامَةِ فِي قِرَاءَةِ (مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيهَةُ).

و(مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيهَةُ) مِنْ كُتُبِ الْإِمَامِيَّةِ الْجَلِيلَةِ وَيَعْتَبَرُونَهُ مِنَ الصَّحَاحِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ مَبَاحِثِ الْفَقْهِ الْجَعْفَرِيِّ لِمُصَنِّفِهِ ابْنِ بَابُوَيْهِ الشَّهِيرِ بِالشَّيْخِ الصَّدُوقِ تَبَثُّ تَوْفِي بِالرَّيِّ سَنَةِ ٣٨١ هـ.

كَمَا أَنَّهُ قَدْ زَامَنَ نَحْوَ (٥٠٠) مَجْتَهِدًا مِنْ شُرَكَائِهِ فِي الدَّرْسِ عِنْدَ الْعَلَامَةِ الْحِلِّيِّ كَرَضِيِّ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ، وَفَخْرِ الْمُحَقِّقِينَ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَدَّادِ، وَقَدْ وَصَفَهُ صَاحِبُ كِتَابِ (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ) بِقَوْلِهِ: «وَقَدْ كَانَ هَذَا الشَّيْخُ وَوَالِدُهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنِ الْمَذْكُورِ أَيْضًا مِنْ أَفْضَلِ الْعُلَمَاءِ كَمَا يَظْهَرُ مِنْ مَطَاوِي إِجَازَةِ الشَّيْخِ فَخْرِ الدِّينِ الْمَذْكُورِ لِلشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ الشَّيْخِ عَزَّ الدِّينِ حَسَنَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُظَاهِرٍ»^(١).

(١) يُنْظَرُ: رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ: ٤ / ٢٠٠.

القرن الثامن الهجري

ولعلّه كما يظهر لبعض المترجمين أنّه من أسباط العلّامة الحلّي^(١)، وعلى كلّ حال فهو فرع نصر من تلك الشجرة الطيبة التي أصلها في الأرض وفرعها في السماء.

٥٩. الشيخ رضي الدين^(٢) [ابن المطهر الحلّي ٦٣٥ - حدود ٧١٠هـ]^(٣)

هناك قرآن كثير تدلّ على تفوق صاحب الترجمة على كثيرين من رجال الفكر الإسلامي، وأنّه قد ساهم فعلاً بقسط وفير من الحقل الثقافي وخدم الدين من طريق العلم خدمة مشكورة؛ وبسبب جهاده العلمي وجهوده الإصلاحية احتل مكانه الاجتماعي اللائق، وقد وجد له في الحلّة ثروة خضبة؛ لبذر بذور الإصلاح؛ فشمّر عن ساعد الجد قائماً بواجبه الديني خير قيام.

إنّ هذا الشيخ الجليل هو رضي الدين عليّ بن الشيخ سديد الدين يوسف بن عليّ بن محمد ابن المطهر، أخو العلّامة الحلّي علماً وأدباً وحسباً ونسباً، كان رحمه الله من علماء الحلّة الأفاضل والفقهاء الذين ساروا في المقدمة حتّى اشتهر ذكره وذاع صيته في البلاد، وأصبح موضع احترام الناس وإكبارهم؛ فنخضعت لأوامره الرؤساء والزعماء؛ فإن كان مركزه المالي متواضعاً فقد كان نفوذه واسع النطاق ولا ينكر أحد جميل مساهمته الفعلية بترقية الشؤون الاجتماعية في نشاط كبير ملحوظ؛ ولولا وجود أخيه - العلّامة الحلّي - لاحتل مكانه أرفع بحيث لا ينافس عليه أحد، وهكذا سنة الله في خلقه؛ فترى الشمس

(١) ينظر: رياض العلماء: ٤/ ٢٠٠-٢٠١.

(٢) ترجمته في: أمل الأمل: ٢/ ٢١١ الرقم ٦٣٦، رياض العلماء: ٤/ ٢٩٤، لؤلؤة البحرين: ٢٦٦ الرقم ٩٣، روضات الجنّات: ٤/ ٣٤٤ الرقم ٤٠٨، هدية العارفين: ١/ ٧١٦، إيضاح المكنون: ٢/ ٩٦، أعيان الشيعة: ٨/ ٣٧٢، الفوائد الرضوية: ٣٤١، الذريعة: ١٥/ ٢٣٢ الرقم ١٥١٤، طبقات أعلام الشيعة: ٣/ ١٥٤، معجم رجال الحديث: ١٢/ ٢٤٠ الرقم ٨٥٩٠، معجم المؤلفين: ٧/ ٢٦٦، كشف الحجب والأستار: ٣٨١، فهرس التراث: ١/ ٦٩٣.

(٣) كذا وجدته في موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ١٦٥.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

تَحْجُبُ أَشْعَةَ الْقَمَرِ، وَإِنْ كَانَ لِلْقَمَرِ نُورٌ وَهَاجٌ، وَشُعَاعٌ هَادِيٌّ يَهِيْجُ.

يُكْنَى الشَّيْخُ رَضِي الدِّينِ صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ بِ: أَبِي الْقَاسِمِ حِينًا، وَبِأَبِي الْحَسَنِ تَارَةً أُخْرَى إِلَّا أَنَّ كُنْيَتَهُ الثَّانِيَةَ أَشْهَرُ، لَهُ مَوْلُفَاتٌ وَتَصَانِيفٌ جَدِيدَةٌ بِالْإِهْتِمَامِ ضَاعَ مَعَ الْأَسْفِ أَكْثَرُهَا، وَمِنْ مُصَنَّفَاتِهِ الْمَطْبُوعَةِ كِتَابُ (الْعُدَّة الْقَوِيَّةُ لِدَفْعِ الْمَخَافِ الْيَوْمِيَّةِ)^(١).

يُرْوَى عَنْهُ ابْنُ أَخِيهِ فَحْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ يُوسُفَ، كَمَا يُرْوَى عَنْهُ ابْنُ أُخْتِهِ السَّيِّدِ عَمِيدُ الدِّينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّذِي اشْتَهَرَتْ بِهِ السَّادَةُ الْعَمِيدِيُّونَ، وَرَضِي الدِّينِ مَوْضُوعٌ بَحْثًا هَذَا هُوَ غَيْرُ رَضِي الدِّينِ عَلِيِّ ابْنِ الْمُطَهَّرِ، فَقَدْ كَانَ هَذَا الْأَخِيرُ أَيْضًا مِنْ مَشَاهِيرِ عُلَمَاءِ الْحِلَّةِ، وَمِنْ بَيْتِ الْمُطَهَّرِ نَفْسِهِ ذَلِكَ الْبَيْتُ الْعَرِيقُ فِي الْمَجْدِ وَالسُّودِدِ وَالشَّرَفِ، وَقَدْ سَبَقَ لَنَا أَنْ نَحْدِثَ لَكَ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ الْجَلِيلِ، وَالْأُسْرَةِ الْكَرِيمَةِ؛ وَنَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ مَا يَكْفِي عَنِ الْعُودَةِ فِي الْمَوْضُوعِ مَرَّةً أُخْرَى^(٢).

٦٠. الْعَتَائِقِيُّ^(٣) [نحو ٦٩٩-٧٩٠هـ]

قَدْ تَحَسَّبُ مِنْ نَوْعِ الْخَيَالِ الشُّعْرِيِّ مَا سَأَحْدِثُكَ عَنْ كَفَاءَاتِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ

(١) تحقيق السيد مهدي الرجائي، الطبعة الأولى، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٨هـ.

(٢) قال الطهراني في طبقات أعلام الشيعة: ٢٠٩/٣: «إنَّ المترجم توفي في حياة أبيه».

أقول: وهذا ليس بصحيح، فإنَّه عاش بعد أبيه سنين طويلة، «وقد بقي أبوه كما قال الطهراني نفسه إلى حدود سنة ٦٦٥هـ»، ولعلَّه أراد أنَّ المترجم له توفي في حياة أخيه العلامة الحلي. والله العالم.

(٣) ترجمته في: رياض العلماء: ١٠٣/٣، إيضاح المكنون: ٤٩/٣، أعيان الشيعة: ٤٦٥/٧، الكنى والألقاب: ٣٥٤/١، الذريعة: ٣٥٦/٣، الرقم ١٢٨٣ و ١٥/١٥، الرقم ٣٢٦، طبقات أعلام الشيعة: ١٠٩/٨، الأعلام: ٣٣٠/٣، معجم المؤلفين: ١٦٧/٥، موسوعة طبقات الفقهاء: ١٠٤/٨.

القرن الثامن الهجري

العلمية الفذة؛ ولكنني لم أكن مُسرفاً أبداً عند تقديرِي للواقع التاريخي؛ ولذلك سيُكون تحدّثي عنها بما لا يقبل اللبس والمُكابرة، فالتعائقي أوشكت أعماله الجليله أن تنطق قبلي بِإِكباره وإجلاله، وأعماله وحدها هي التي فتحت له منافذ الشهرة ومهدت له طريق الخلود، وهي وحدها التي جعلت العبقرية تفتح له مسالكها، وهي وحدها التي جعلت الألسن تنطق بتمجّيده والكتب التاريخية تزdan باسمه، وتشيدُ بذكره، ورجلٌ كالتعائقي ممتازٌ بكفاءته المتعددة والخُصوبة الذهنية خَلِيقٌ بالإكبار والتعظيم؛ فهو من الرؤساء الأجلّة والعلماء الأفاضل والشعراء الألباء، ارتدّف ظهر النجم في علو الهمة، وأزرى بالمسك في طيب الأخلاق، وهو باقّة نديّة شديّة من روض الكمال يأسرك منظرها ورواؤها، ويعجبك شذاها وأريجها، وأخذ من كل نوع من الكمالات بنصيب، قويّ العقيدة والشخصية والأخلاق والهمة، قويّ القلب والعُضل، قويّ الحجة والعبارة والبيان، قويّ الإيمان والإسلام، وثيق العزم، صبور الوجه، مُهذب الطبع، رضي النفس، تجسّم فيه الكمال بأكمل معانيه.

من هذه الصفات النبيلة تكوّنت شخصيّة التعائقي المعروف بـ: الشيخ كمال عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يوسف ابن التعائقي الحلي نسبةً إلى العتائقي، وهي من القرى الملاصقة إلى الحلة التي لا زالت معروفة بهذا الاسم حتى اليوم، إلا أن العامّة حَرَفُوا القاف إلى الجيم، فيقولون: (العتايج) تقع شرق الحلة على جانب الفرات الأيسر، وهي لِشدة قربها من الحلة تحسب أحياناً من بعض محلاتها أكثر أبنيتها من الطين وجذوع النخل، وأكثر أهلها يشتغلون بالفلاحة وهم أهل قوّة ونشاط، واستقامة في المعاملة^(١).

نشأ التعائقي نشأةً صالحةً في بيئةٍ صالحةٍ وبيتٍ صالحٍ فتحلّى بِحُلِيّة العلم والأدب فكانت له معرفة تامّة بعلم الفقه واطلاع واسع بأصوله، متضلّع بالعلوم اللسانية، مُتقنٌ

(١) تقع في تخوم الحلة، وقد وصلت هذه المنطقة الجميلة التي تقع على شط الحلة، وتماز بطيب هوائها، وطيب أهلها، ولي مع بعض أهلها صحبة.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

للعلوم العقلية والكلام المعبر عنه بعلم التوحيد، وقد سجل علومه هذه بمؤلفاته ومصنفاته النفيسة التي يجيء في مقدمتها كتابه (صفوة الصفوة)^(١)، فرغ من تأليفه سنة ٧٨٧هـ، ويأتي بعده (مُصباح الأرواح) ألفه سنة ٧٣٢هـ.

كما تصدَّى إلى شرح ديوان المتنبي وفرغ منه سنة ٧٨١هـ، وصنَّف كتابه (تجريد النية من الرسالة الفخرية)^(٢)، وله كتاب (المُتخَب في لباب الأدب)^(٣) ألفه سنة ٧٧٦هـ، وهو كتاب أدبي جليل، وله أيضاً كتاب (مُختَصَر أوائل أبي هلال العسكري)^(٤) فرغ منه سنة ٧٥٣هـ، وهو كتاب جيد يحتوي على فنون غالية من علم الكلام والحكمة والرياضيات، والطب والأدب، والفقه والأصول؛ فهو موسوعة نفيسة ودائرة معارف قليلة النظير.

أمَّا كتابه (شرح الشمسية)، فبدیع الأسلوب، ومثله كتابه (شرح الكافية) لمصنف حكمة الإشراف، وكتاب (تسليك الأفهام)^(٥)، و(شرح معرب الزبدة)^(٦)، وشرح (نهج البلاغة)^(٧) فرغ منه سنة ٧٨٠هـ؛ وقد اتهمه المغرضون فرعموا أنه أغار في كثير من أبواب كتابه - شرح النهج - على أبواب شرح النهج لابن ميثم^(٨).

(١) الذريعة: ٥١ / ١٥.

(٢) في المطبوع (الرسالة الصخرية)، وهو خطأ، والفخرية رسالة مشهورة في العبادات لفخر المحققين محمد بن العلامة الحلبي، جرد منها المترجم نية العبادات كلها.

(٣) الذريعة: ٧٤ / ٨، معجم المؤلفين: ١٦٧ / ٥.

(٤) الذريعة: ٣٥٧ / ١.

(٥) يوجد كتاب بالعنوان نفسه للعلامة الحلبي. ينظر: أمل الآمل: ٨٤ / ٢، الفوائد الرجالية: ٢٧٥ / ٢.

(٦) وهو كتاب الشهادة شرح تعريب الزبدة للطوسي في علم الحياة. معجم المؤلفين: ١٦٧ / ٥.

(٧) الذريعة: ٥١ / ١٥.

(٨) في أعيان الشيعة: ٤٦٥ / ٧ «وجد على ظهره خطه بتاريخ ٨٧٦ اختاره من أربعة شروح: شرح ابن ميثم، وشرح القطب الكيدري، وشرح القاضي عبد الجبار الإمامي، وشرح ابن أبي الحديد، =

القرن الثامن الهجري

وإننا نستبعد ذلك غاية الاستبعاد؛ ولعدم وقوفي على الشرحين للمصاحفة والمقارنة لم أستطع أن أعطي حكمًا في السلب أو الإيجاب حول هذه التهمة التي لم يعضدها صاحبها ببرهان، والذي أظنه في العتائقي عدم هذه الإغارة؛ لاكتفائه الذاتي ورُسوخ قدمه في العلم والأدب.

وللعتائقي (رسالة في الدلالة) لأبي الحسن علي بن محمد البندهي استنسخها سنة ٧٧٨ هـ^(١)، ومن آثاره كتاب (الإيضاح والتبيين في شرح منهاج اليقين)^(٢) للعلامة الحلي أعلى الله مقامه، وللعتائقي كتب كثيرة أخرى منها الشروح الثمينه ك(كتاب التشریح)، ومن أجل ثروته العلمية والثقافية الطائلة لا يستطيع المنصفون إلا أن يضعوه في رأس قائمة المفكرين ورسل الثقافة في القرن الثامن^(٣).

إن العتائقي معاصر للشهيد ولبعض تلامذة العلامة كانت له ميول شديدة إلى تفهم الحكمة ودراسة التصوف الذي هو نوع خاص ليس على النحو

= وينقل في هذا الشرح عن السيد فضل الله الراوندي حل بعض الخطب وتاريخ فراغه في شعبان سنة ٧٨٠ هـ. ومن هذا يتبين أنه شرح النهج بإضاءة هذه الشروح ولم يسطر عليها، أو (أغار عليها) كما عبر المدعي.

(١) يُنظر: الصحيفة: ٧٤ من هذا الكتاب. قال في الذريعة: ٢٥٤ / ٨ «رسالة في الدلالة، للمولى الإمام العالم المحقق أفضل المتأخرين فخر الملة والدين أبي الحسن علي بن محمد البندهي المعروف ب: ابن البديع، رأيت نسخة منها في الخزانة الغروية قد كتبها بخطه الشيخ عبد الرحمان بن محمد ابن العتائقي الحلي ووصف مؤلفه بما ذكرناه من الوصف بعينه إلى قوله بابن البديع ثم دعا له بقوله: (تغمده الله بأرقه بمحمد وعترته)، وقد فرغ ابن العتائقي من نسخها في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعائة، وقال وفي هذا اليوم وقع مطر عظيم في الغري بل في العراق دخل الخانات فأفسدها وخرّب الدور الكثيرة، ومن دعائه للمصنف يظهر وفاته في هذا التاريخ، كما يظهر حسن حاله وجلالته من الدعاء ومن سائر أوصافه».

(٢) الذريعة: ٥٠٢ / ٢.

(٣) في مصنفاته يُنظر: أعيان الشيعة: ٤٦٤ / ٧ وما بعدها، موسوعة طبقات الفقهاء: ٨ / ١٠٤ - ١٠٥.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

الشَّائِعِ الْمَعْرُوفِ وَقَدْ جَعَلَهُ الْبَحَّاثَةُ آغَا بَزْرُكُ الطَّهْرَانِيُّ النَّجْفِيُّ فِي ذَرِيعَتِهِ^(١) مِنْ بَعْضِ تَلَامِذَةِ الْعَلَّامَةِ الْحِلِّيِّ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِالْأَمْرِ الْغَرِيبِ؛ فَقَدْ تَوَفَّى الْعَلَّامَةُ سَنَةَ ٧٢٦ هـ، وَقَدْ أَلَفَ الْعَتَائِقِيُّ كِتَابَهُ (الْمُضْبَاحُ) سَنَةَ ٧٣٢ هـ، أَيْ بَعْدَ وَفَاةِ الْعَلَّامَةِ بِسِتِّ سَنَاتٍ، وَمِثْلُ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقُومُ بِتَأْلِيفِهِ صَبِيٌّ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَلْفَهُ وَهُوَ فِي سِنِّ تَوْهَلُهُ لِأَنْ يَكُونَ مِنْ تَلَامِيزِ الْعَلَّامَةِ.

وَهُنَاكَ عَتَائِقِيٌّ آخَرُ هُوَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْعَتَائِقِيِّ مِنْ جُمْلَةِ شُيُوخِ السَّيِّدِ بَهَاءِ الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ النَّجْفِيِّ، وَأَمَّا الْمُتَرْجِمُ لَهُ، فَهُوَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَالْمَنْقُولُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَتَائِقِيُّ بَأَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ فِي الْحِلَّةِ السَّيْفِيَّةِ حَمَاهَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّ الْمَوْلَى - الزُّهْدَرِيَّ - كَانَ فَالَجَ فَعَالَجَتُهُ جَدَّتُهُ لِأَبِيهِ»^(٢)؛ ثُمَّ ذَكَرَ السَّيِّدَ بَهَاءَ الدِّينِ الْمَذْكُورَ فِي عَرَضِ الْحِكَايَةِ بِأَنَّهُ «حَصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ صُحْبَةٌ - أَيْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ - الزُّهْدَرِيِّ،

(١) الذريعة: ٤ / ١٨٤.

(٢) الْقِصَّةُ يَنْقَلِبُهَا الْمَجْلِسِيُّ فِي الْبَحَارِ: ٥٢ / ٧٣ «قَالَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَتَائِقِيُّ: إِنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ فِي الْحِلَّةِ السَّيْفِيَّةِ حَمَاهَا اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْمَوْلَى الْكَبِيرَ الْمُعْظَمَ جَمَالَ الدِّينِ ابْنَ الشَّيْخِ الْأَجَلِ الْأَوْحَدِ الْفَقِيهِ الْقَارِي نَجْمِ الدِّينِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّهْدَرِيِّ كَانَ بِهِ فَالَجٌ، فَعَالَجَتُهُ جَدَّتُهُ لِأَبِيهِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ بِكُلِّ عِلَاجٍ لِلْفَالَجِ، فَلَمْ يَبْرَأْ، فَأُشَارَ عَلَيْهَا بِبَعْضِ الْأَطْبَاءِ بِبَغْدَادَ فَأَحْضَرْتَهُمْ فَعَالَجُوهُ زَمَانًا طَوِيلًا فَلَمْ يَبْرَأْ وَقِيلَ لَهَا: أَلَا تَبْتَئِينَ تَحْتَ الْقَبَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْحِلَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِمَقَامِ صَاحِبِ الزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْافِيهِ وَيَبْرِئَهُ، فَفَعَلْتُ وَبَيْتُهُ تَحْتَهَا وَإِنَّ صَاحِبَ الزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقَامَهُ وَأَزَالَ عَنْهُ الْفَالَجَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ صُحْبَةٌ حَتَّى كُنَّا لَمْ نَكِدُ نَفْتَرِقُ... فَاسْتَحْكَيْتُهُ عَنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ، فَقَالَ لِي: إِنِّي كُنْتُ مَفْلُوجًا وَعَجَزَ الْأَطْبَاءُ عَنِّي وَحَكَى لِي مَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ مُسْتَفَاضًا فِي الْحِلَّةِ مِنْ قُضِيَّتِهِ وَأَنَّ الْحِجَّةَ صَاحِبَ الزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي وَقَدْ أَبَاتَنِي جَدَّتِي تَحْتَ الْقَبَةِ: (قُمْ!) فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي لَا أَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ مِنْذُ سُسْتِي، فَقَالَ: (قُمْ يَا ذَنْنُ اللَّهِ تَعَالَى)، وَأَعَانَنِي عَلَى الْقِيَامِ، فَقُمْتُ وَزَالَ عَنِّي الْفَالَجُ...، وَلِلْعِلْمِ وَقَعَ فِي الْبَحَارِ: (الْقَبَائِقِيُّ)، وَفِي النُّجُومِ الثَّاقِبِ: ٢ / ٢٢٢ كَذَلِكَ، وَفِي الْإِزَامِ النَّاصِبِ: ٢ / ١١ (الْعِمَانِيُّ)، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَصَحِيفَاتٌ، وَتَحْرِيفَاتٌ.

القرن الثامن الهجري

حَتَّى كُنَّا لَمْ نَفْتَرِقْ»، مَّا يَدُلُّ أَنَّهُ مِنْ مُسْتَوَى الزُّهْدِيِّ وَنُظَرَائِهِ.

٦١. الكَاشَانِيُّ^(١) [حُدُودَ ٦٧٥-٧٥٥هـ]^(٢)

الكَاشَانِيُّ، أَوْ الْقَاشَانِيُّ، مِنْ عُلَمَاءِ الْحِلَّةِ وَتَجْتَهَدِيهَا، مُجَازٌ مِنَ الْعَلَامَةِ الْحِلِّيِّ - أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ - سَنَةَ ٧١٣هـ، وَبَقِيَ يُصَاحِبُ الْعَلَامَةَ بَعْدَ إِجَازَتِهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا؛ ثُمَّ كَانَتْ فَجِيعَةُ الْإِسْلَامِ بَوَاقَةَ الْعَلَامَةِ تَنْتُزِعُ، وَبَقِيَ الْكَاشَانِيُّ نَجْمًا يُسْتَضَاءُ بِهَدْيِهِ وَهُوَ الْمُكَنَّى بِ: أَبِي الْحُسَيْنِ أَوْ أَبِي يُوسُفَ عَلِيِّ الْقَاشَانِيِّ الْحِلِّيِّ، قَالَ فِيهِ بَعْضُ مَنْ تَصَدَّى إِلَى تَرَاجُمِ الْأَكْبَارِ مِنَ النَّاسِ: «إِنَّهُ مِنْ أَجَلَةٍ مُتَأَخِّرِي الْمُتَكَلِّمِينَ وَكِبَارِ الْفُقَهَاءِ، مُعَاصِرٌ لِلْقُطْبِ الرَّازِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٦٦هـ»^(٣).

وَنَقَلَ عَنْهُ الْقَاضِي نُورُ اللَّهِ التَّسْتَرِي فِي كِتَابِهِ الْمَوْسُومِ بِ(مَجَالِسِ الْمُؤْمِنِينَ) مَا فَحَوَاهُ «أَنَّ وَلَادَةَ هَذَا الْعَالِمِ الْجَلِيلِ كَانَتْ بِمَدِينَةِ كَاشَانَ مِنْ مَدُنِ إِيرَانَ إِلَّا أَنَّهُ هَاجَرَ إِلَى الْعِرَاقِ وَاخْتَارَ الْحِلَّةَ الْفَيْحَاءَ دَارَ إِقَامَتِهِ فَاسْتَوْطَنَهَا، وَكَانَ تَتَقِفُهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ فِيهَا»^(٤) .
انتهى.

كَانَ مُتَوَقِّدَ الذَّهْنِ، صَافِي السَّرِيرَةِ، كَبِيرَ النَّفْسِ، عَلَايَ الْهِمَّةِ.

لَهُ أَثَارٌ فِكْرِيَّةٌ وَمَصْنُفَاتٌ مِنْ أَجُودِهَا كِتَابُهُ (الْحَاشِيَّةُ عَلَى شَرْحِ التَّجْرِيدِ) لِلْأَصْفَهَانِيِّ، وَلَهُ (شَرْحُ طَوَالِعِ الْقَاضِي الْبَيْضَاوِيِّ)،

(١) ترجمته في: أمل الآمل: ٢/ ٢٠٢ الرقم ٦١٢، رياض العلماء: ٤/ ٢٣٦، أعيان الشيعة: ٨/ ٣٠٩، الكنى والألقاب: ٣/ ٢٥٣، الفوائد الرضوية: ٣٢٦، طبقات أعلام الشيعة: ٣/ ١٤٩، معجم المؤلفين: ٧/ ٢١٩.

(٢) يُنظر في إثبات هذا التاريخ: موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ١٥٩.

(٣) الكنى والألقاب: ٣/ ٢٥٣. بتصرف.

(٤) مجالس المؤمنين: ٢/ ٢١٦.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفِكْرِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

و(حَاشِيَةُ شَرْحِ الشَّمْسِيَّةِ)^(١)، وَغَيْرَهَا^(٢).

وَالكَاشَانِيُّ سَاهَمَ فِي النَّهْضَةِ الْفِكْرِيَّةِ فِي عَصْرِهِ، وَكَانَ فِي طَلِيعَةِ رُؤَادِ الْعِلْمِ كَانَ كِتَابُهُ (الْحَاشِيَةُ عَلَى التَّجْرِيدِ)^(٣)، بِمَثَابَةِ طَلْقَةِ نَارِيَّةٍ فِي قَلْبِ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ.

وهُوَ مِنْ نَاحِيَةِ الْحَزْمِ وَالْعِلْمِ وَعُلُوِّ الْهَمَّةِ كَبِيرُ الشَّبهِ بِسَمِيِّهِ السَّيِّدِ أَبُو الْقَاسِمِ الْكَاشَانِيُّ الْمُعَاصِرُ مِمَّنْ حَضَرَ الدَّرْسَ عَلَى حُجَّةِ الْإِسْلَامِ السَّيِّدِ صَالِحِ السَّيِّدِ حَمْدِ الْحَلِيِّ؛ فَكَانَ فَاضِلًا مُبَرَّرًا بَيْنَ تَلَامِذِهِ ثُمَّ دَفَعَهُ طُمُوْحُهُ وَكَفَاءَتُهُ إِلَى خَوْضِ مَيَادِينِ السِّيَاسَةِ فَكَانَ صَوْتُهُ مُدَوِّيًا فِي حَقْلِ السِّيَاسَةِ الْعِرَاقِيَّةِ فِي ثَوْرَةِ الْعِشْرِينَ، وَالْإِيرَانِيَّةِ فِي قَضِيَّةِ اسْتِيلَاءِ إِيرَانٍ عَلَى شَرَكَةِ النَّفْطِ الْإِيرَانِيِّ وَطَرْدِ الْإِنْجِلِيزِ وَشَرِكَاتِ النَّفْطِ مِنْ أَكْبَرِ الرِّكَائِزِ الْاِسْتِعْمَارِيَّةِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْخُطُوَّةُ الْجَرِيئَةُ أَعْنَفَ صَدْمَةٍ لِلْمُسْتَعْمَرِينَ فِي وَزَارَةِ مُصَدِّقِ^(٤) الَّتِي كَانَ الدَّكْتُورُ فَاطِمِيُّ وَزِيرَ خَارِجِيَّيْهَا؛ ثُمَّ وَقَفَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُصَدِّقِ خِلَافٍ؛ لِتَقَارُبِ مُصَدِّقٍ مِنَ الْجِهَةِ الْيَسَارِيَّةِ وَمُهَاذَنَتِهِ حَزْبِ (تَوْدَةِ)^(٥) الْعَمِيلِ، وَقَدْ

(١) فِي هَذِهِ الْمَصْنُفَاتِ يُنْظَرُ: مُوسَوَّةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ١٦٠ / ٨.

(٢) هَا هُنَا مُنْقَبَةٌ يَنْقُلُهَا السَّيِّدُ حَيْدَرُ آمَلِي فِي جَامِعِ الْأَسْرَارِ وَمَنْبَعِ الْأَنْوَارِ: ٤٩٦ «الْإِمَامُ الْعَالِمُ وَالْحَكِيمُ الْفَاضِلُ نَصِيرُ الدِّينِ الْكَاشَانِيُّ قُدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ مِنْهُ مَرَارًا كَثِيرَةً هَذَا الْكَلَامَ بَعِينَهُ، وَهُوَ أَنَّهُ يَقُولُ: نَهَايَةُ مَا قَدْ عَلِمْتُ فِي مَدَّةِ ثَمَانِينَ سَنَةً، هُوَ أَنَّ هَذَا الْمَصْنُوعَ مَحْتَاجٌ إِلَى صَانِعٍ وَمَعَ ذَلِكَ، فَتَقْنُنُ عَجَائِزَ الْكُوفَةِ أَكْثَرَ مِنْ تَقْنُنِي فِي هَذَا الْبَابِ! عَلَيْكُمْ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَطَرِيقَةِ الْإِثْمَةِ الْمَعْصُومِينَ ﷺ، فَإِنَّ غَيْرَ هَذَا هَوًى وَوَسْوَسةً، وَلَيْسَ مَالَهُ إِلَّا إِلَى الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ».

(٣) تَجْرِيدُ الْعُقَائِدِ وَيُقَالُ لَهُ: (تَجْرِيدُ الْكَلَامِ) مِنْ تَأْلِيفِ الْخَوَاجَةِ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ (الْمُتَوَفَّى ٦٧٢هـ).

(٤) يُنْظَرُ: (مُحَمَّدُ مُصَدِّقٌ)، الْمَوْسَوَّةُ الْحَرَّةُ بِهَذَا الْعَنْوَانِ.

(٥) قَالَ حَسَنُ الْأَمِينِ، مُسْتَدْرَكَاتُ أَعْيَانِ الشَّيْعَةِ: ٣٠٦ / ٧ «وَقَدْ بَنَى مُصَدِّقٌ أَسَاسَ سِيَاسَتِهِ الْدَاخِلِيَّةِ عَلَى الشَّعْبِ الْإِيرَانِيِّ، وَأَسَاسَ سِيَاسَتِهِ الْخَارِجِيَّةِ عَلَى الصَّدَاقَةِ مَعَ أَمْرِيكََا وَالْاِعْتِمَادِ عَلَيْهَا، وَكَانَ يُولِي التَّنَافُسَ بَيْنَ أَمْرِيكََا وَالْاِسْتِعْمَارِ الْأَوْروْبِيِّ (وَهُوَ بَرِيطَانِيَا هُنَا) اِهْتِمَامًا كَبِيرًا، وَكَانَ ذَلِكَ دَافِعًا لِأَنْ يَقِفَ أَعْضَاءُ حَزْبِ تَوْدَةِ بِوَجْهِهِ؛ لِاتِّبَاعِهِمُ الْاِتِّحَادَ السُّوْفِيَّاتِيَّ مِنْ جِهَةٍ؛ وَلَكُونِهِمْ يَرُونَ فِي أَمْرِيكََا الْقُوَّةَ الرَّأْسَالِيَّةَ الْكُبْرَى، وَالْعَدُوَّ الْأَكْبَرَ لِلشَّيْوَعِيَّةِ».

القرن الثامن الهجري

تُوفِّي أَبُو الْقَاسِمِ الْكَاشَانِي قَرِيبًا فَخَسِرَتْ إِيرَانُ وَالْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ فِي مَوْتِهِ مُضِلِّحًا مِنْ أَكْبَرِ الْمُصْلِحِينَ قَامَ بِوِاجِبَاتِهِ الدِّينِيَّةِ وَالْوَطَنِيَّةِ أَفْضَلَ قِيَامٍ أَسْكَنَهُ اللَّهُ فَرَادِيسَ جَنَّاتِهِ، وَجَزَاهُ عَنْ جُهُودِهِ الْجَبَّارَةِ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

٦٢. ابْنُ الْبَقَالِ (٧٠٨-٧٨٨هـ)

إِنَّ مَنْ عَرَفَ فِي حَيَاتِهِ حُرِّيَّةَ الْعَقْلِ وَحُرِّيَّةَ الرُّوحِ لَيْسَ يُعْجِزُهُ النَّجَاحُ فِي حَيَاتِهِ الْعِلْمِيَّةِ؛ فَإِنْ أَكْثَرَ مَنْ نَجَحُوا فِي حَيَاتِهِمْ هُمْ مَنْ نَشَأُوا عَلَى هَذِهِ الْحُرِّيَّةِ فَدَخَلُوا دَائِرَةَ أَعْمَالِهِمْ بِهِمَّةٍ عَالِيَةٍ وَصَرَاحَةٍ وَنَشَاطٍ، وَتَقَدَّمُوا فِي أَعْمَالِهِمْ وَأَحْزَرُوا فِيهَا النَّجَاحَ الْمَطْلُوبَ، وَشَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحِلِّيِّ الْمَشْهُورُ بـ: (ابْنِ الْبَقَالِ) وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَفْذَاذِ الَّذِينَ قَدَّرُوا لِحُرِّيَّةِ الْعَقْلِ وَالضَّمِيرِ وَالرُّوحِ حَقَّ قَدْرِهَا كَانَ مَوْلَدُهُ فِي الْحِلَّةِ الْفَيْحَاءِ، وَعَاشَ تَحْتَ سَمَائِهَا الضَّاحِكَةَ وَنَشَأَ وَتَرَعَرَ فِي أُنْدِيَّتِهَا الْعِلْمِيَّةِ وَمَحَافِلِهَا الْأَدَبِيَّةِ حَتَّى أَصْبَحَ مِنْ عِدَادِ شَخْصِيَّاتِهَا الْبَارِزَةِ، تَعَلَّمَ الْأَدَبَ وَفُنُونَهُ وَمَهَرَهُ بِهِ، وَنَظَّمَ الشَّعْرَ وَعَاجَلَهُ؛ فَأَجَادَ فِيهِ؛ ثُمَّ سَافَرَ إِلَى حَلَبِ الشَّهْبَاءِ، وَمَدَحَ أَهْلَهَا، كَانَ مُعَاصِرًا لِمَجْدِ الدِّينِ أَحْمَدَ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ خَلِيفَةَ الْبَغْدَادِيِّ الْأَصْلِ^(١)، الْحِلِّيِّ الْمَسْكَنِ وَالدِّرَاسَةِ وَالتَّحْصِيلِ الْمَوْلُودِ سَنَةَ ٦٩١هـ، وَكَانَ مِنْ تَلَامِيذِ الْعَلَامَةِ الْحِلِّيِّ النَّاجِحِينَ فِي الْعُلُومِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى دِمَشْقَ كَمَا ذَهَبَ سَمِيُّهُ إِلَى حَلَبَ فَانْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَتَوَفَّى ٧٦٥هـ، وَيَعْرِفُ بـ: ابْنِ الْبَقَالِ الْحِلِّيِّ أَيْضًا اقْتَبَسْنَا تَرْجُمَتَهُ بِإِيجَازٍ وَتَصَرُّفٍ مِنْ كِتَابِ (تَارِيخِ الْعِرَاقِ بَيْنَ احْتِلَالَيْنِ) لِلْبَحَّاثَةِ الْفَاضِلِ عَبَّاسِ الْعَزَاوِيِّ^(٢)، وَمِنْ مَصَادِرٍ أُخْرَى، أَمَّا ابْنُ الْبَقَالِ الْمُرْتَجَمُ لَهُ، فَقَدْ وُلِدَ سَنَةَ ٧٠٨هـ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٨٨هـ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِي ذِكْرِ نِيلِ الْحِلَّةِ:

(١) فِي أَعْيَانِ الشَّيْخَةِ: ٣/ ٣٩ «مَجْدُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ خَلِيفَةَ الْحُسَيْنِيِّ التَّاجِرِ الْبَغْدَادِيِّ، وَلَدَ ٦٩١ وَتَوَفَّى فِي رَمَضَانَ ٧٦٥ بِدِمَشْقَ، فِي الدَّرَرِ الْكَامِنَةِ: أَخَذَ عَنِ الْمَطْهَرِ الْحِلِّيِّ فِي الْمَقُولِ وَقَدْ مَدِمَشْقَ فَشَغَلَ النَّاسَ وَانْتَفَعَ بِهِ جَمَاعَةٌ وَخَلَّفَ ثَرَوَةً جَيِّدَةً».

(٢) تَارِيخُ الْعِرَاقِ بَيْنَ احْتِلَالَيْنِ: ٢/ ١٢٠.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتِ

يَا صَاحِبِي بِأَرْضِ النَّيْلِ لِي قَمَرٌ جَمَالُ بَهَجَتِهِ أَهْبَى مِنَ الْقَمَرِ
وَرُدُّ الْحُدُودِ، وَرَمَانُ النَّهْودِ عَلَى بَانَ الْقُدُودِ بِهِ قَدْ عِيلَ مُصْطَبِرِي
وَعِنْدَ إِبْكَاتِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بَدَا لِي تَشْطِيرُهُمَا فَقُلْتُ:

(يَا صَاحِبِي بِأَرْضِ النَّيْلِ لِي قَمَرٌ) النَّاسُ تَعُزُّوهُ مِنْ جَهْلٍ إِلَى الْبَشْرِ
مَا قُلْتُ ذَا قَمَرٍ لَمَّا رَأَى بَصْرِي (جَمَالُ بَهَجَتِهِ أَهْبَى مِنَ الْقَمَرِ)
(وَرُدُّ الْحُدُودِ، وَرَمَانُ النَّهْودِ عَلَى) قَتْلِي تَظَاوَرَنَ حَتَّى صِرْتُ فِي خَطَرِ
كَيْفَ السُّلُوفِ وَرَمَانُ النَّهْودِ عَلَى (بَانَ الْقُدُودِ بِهِ قَدْ عِيلَ مُصْطَبِرِي).

٦٣. مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ الشَّيْبَانِيُّ^(١) [...] - بعد ٧٣٠ هـ^(٢)

كَمَا أَنَّ الْجِبَالَ أَوْتَادٌ لِلْأَرْضِ وَخِزَانَاتٌ لِلْمَاءِ؛ فَالْعُلَمَاءُ فِي كُلِّ عَصْرِ، هُمْ أَوْتَادُ الْأُمَّةِ،
وَخِزَانَاتُ شَرْفِهَا وَسُودِدِهَا يَحْفَظُونَهَا مِنَ الضَّعَةِ، وَيَصُونُونَ كَرَامَتَهَا، وَكَمَا أَنَّ الْكَوَاكِبَ
زِينَةُ السَّمَاءِ وَأَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ؛ فَالْعُلَمَاءُ زِينَةُ الْعَصْرِ وَأَمَانُ الْأُمَّةِ مِنْ مَهَاوِي الْجَهْلِ
وَالضَّلَالِ، وَمَزَالِقِ الرَّأْيِ يُقَدِّمُونَ لِلْبَشَرِيَّةِ ثَمَرَاتِ جُهِودِهِمْ الْعَقْلِيَّةِ وَبَاقَاتِ شِدَّةٍ مِنَ
السَّمَوِّ الرُّوحِيِّ وَالتَّقَدُّمِ وَالْإِرْتِقَاءِ، وَمُهَذَّبُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَالِمِ
الشَّيْبَانِيِّ الْحَلِّيِّ مِنْ أَشْهَرِ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَفْنَوْا زَهْرَةَ حَيَاتِهِمْ فِي الْحَقْلِ الْفِكْرِيِّ
وَالتَّبَعِ الْعِلْمِيِّ، قَدْ بَذَلَ جُهِودًا جَبَّارَةً فِي خِدْمَةِ الثَّقَافَةِ سَوَاءً مِنْ نَاحِيَةِ التَّدْرِيسِ أَوْ
التَّالِيفِ وَالتَّصْنِيفِ؛ فَقَدْ كَانَ أَسْتَاذًا نَاجِحًا فَذًا وَهُوَ مِنْ مَشَايِخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ السَّيِّدِ تَاجِ
الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُعَيَّةِ الْحُسَيْنِيِّ الدِّيَابَجِيِّ^(٣) أَسْتَاذِ الشَّيْخِ الشَّهِيدِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ

(١) ترجمته في: أمل الآمل: ٣١٧/٢، الرقم ٩٧٠، رياض العلماء: ٥/ ٢٠٥، أعيان الشيعة:

١٠/ ١١٣، ٩/ ٥٨، طبقات أعلام الشيعة: ٣/ ٢١٤، معجم رجال الحديث: ١٨/ ٩٢، الرقم

١٢١٤٧، قبيلة بني شيبان: ٧/ ٧٤.

(٢) عن موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ٢٣٩.

(٣) يُنظر: موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ٢٣٩.

القرن الثامن الهجري

٧٧٦هـ، قال في وصفه صاحب كتاب (روضات الجنات) بـ«الفقيه الصالح الأديب النحوي»^(١)، ووصفه مُصنّف كتاب (الفوائد الرضوية) بـ«الشيخ العالم، الفقيه الصالح، الشاعر الأديب، المُنشيّ البليغ»، وأخبر أنّه يزوي عنه ابنُ مُعيّة، وقال فيه صاحب كتاب (أمل الأمل) إنّه: «كَانَ فَقِيهًا، عَالِمًا صَالِحًا، شَاعِرًا أَدِيبًا، مُنْشِئًا بَلِغًا، يَزُوي عَنْهُ ابْنُ مُعِيّة»^(٢)؛ والأعجوبة التي تستلقت الأفكار أن يبرز أمثال الشيباني والصفي الحلبي بالأدب الجيد والشعر المقبول والآثار العلمية والأدبية بأسلوب رائع بليغ في عصر كانت فيه اللغة العربية تُعاني الفساد قد زاحمتها اللغة التركية فأثرت في تراكيبها ومفرداتها الأثر السيء، وكأنّ الله أرسل هذه الفئة من الناس لحفظ تراثنا العربي الإسلامي؛ وإلا لصاعت تلك الكنوز.

فالشيباني من أئمة الأدب كما أجمعت التراجم على ذلك ونعتته بالإحاطة والإجادة في علم النحو واللغة والفقه، أمّا في الشعر فإنه ينحط عن درجة شعراء الطبقة الأولى؛ بل والثانية ولذلك لا يُمكنني أن أوافق صاحب كتاب (روضات الجنات)^(٣) في مبالغاته المفرطة التي قد يكون باعثها عدم معرفته بالشعر وعدم ممارسته لفنونه وإلا فآية مصلحة له بهذه المبالغة التي تعرضه إلى النقد؟ فالرجل حين ارتضى القصيدة الهمزية التي سنذكرها قريباً؛ أمّا لموافقته موضوعها لرغبة في نفسه؛ أو لاشتياؤه بأنّها من الشعر الجيد أفرط في مدحها، والقصيدة المقصودة هي التي نظمها الشيباني في رثاء شمس الدين ابن وشاح؛ فزعم -عفا الله عنه- أنّها خريدة فريدة (قلّما يوجد مثلها في المراثي)؛ ولعلّ قوله هذا يوافق الواقع؛ فإنه لا يوجد مثلها في الرّكة وضعف التعبير، وقد يكون نظمها ارتجالاً دون معاودة الفكرة فيها فجاءت معبرة عن شعور دون أن تُعبر عن شعره، وليس

(١) روضات الجنات: ٦/ ٣٣٠.

(٢) أمل الأمل: ٢/ ٣١٧ وما بعدها.

(٣) يُنظر: روضات الجنات: ٦/ ٣٣٠.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْخَلْتِ

كُلُّ السَّاعَاتِ مُؤَاتِيَةٌ لِلنَّظْمِ الْجَيِّدِ فَقَدْ تَنَبَّوْا قَرِيحَةَ الشَّاعِرِ الْفَحْلِ فَلَا يَسْتَطِيعُ النَّظْمُ أَصْلًا
أَوْ يَجِيءُ بِالشَّعْرِ الرَّكِيكِ فَكَانَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ (فَلَمَّا يُوجَدُ مِثْلُهَا فِي الْمَرَاثِي) مِنْ بَابِ لَيْتَ
عَيْنِيهِ سَوَاءٌ، لَوْ لَمْ تَكُنِ الْقَرَائِنُ الْأُخْرَى تَقْتَضِي إِرَادَةَ الْمَدْحِ وَدُونَكَ مَا وَجَدْنَاهُ مِنْ هَذِهِ
الْقَصِيدَةِ:

عَزَّ الْعَزَاءُ فَلَاتَ حِينَ عَزَاءِ	مِنْ بَعْدِ فِرْقَةٍ سَيِّدِ الشُّعْرَاءِ
الْعَالِمِ الْحَبِيرِ الْإِمَامِ الْمُرْتَضَى	عَلِمَ الشَّرِيعَةَ فُدْوَةَ الْعُلَمَاءِ
أَكْذَا الْمَنُونُ تَهْدُ أَطْوَادَ الْحَجَى؟	وَيَغِيضُ مِنْهَا بَحْرُ كُلِّ عَطَاءِ
مَا لِّلْفَتَاوَى لَا يَرِدُ جَوَاهِهَا؟	مَا لِلدَّعَاوَى غُطِّيتْ بِغِطَاءِ؟
مَا ذَاكَ إِلَّا حِينَ مَاتَ فَقِيهَهَا	(شَمْسُ) الْمَعَالِي أَوْحَدَ الْفُضْلَاءِ
ذَهَبَ الَّذِي كُنَّا نَصُولُ بِعِزِّهِ	وَلِسَانِهِ الْمَاضِي عَلَى الْأَعْدَاءِ
مَنْ لِّلْفَتَاوَى الْمُشْكِلَاتِ يَحْلُهَا	وَبَيْنَهَا بِالْكَشْفِ وَالْإِمْضَاءِ
مَنْ لِّلْكَلامِ يَبِينُ مِنْ أَسْرَارِهِ	مَعْنَى الْحَقِيقَةِ خَالِقِ الْأَشْيَاءِ؟
مَنْ ذَا لِعِلْمِ النُّحُوِّ وَاللُّغَةِ الَّتِي	جَاءَتْ غَرَائِبُهَا عَنِ الْفُصْحَاءِ؟
مَنْ لِلْعُرُوضِ يَبِينُ مِنْ أَسْرَارِهِ	خَافِي؟ وَمَنْ لِلشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ؟
مَا خِلْتُ قَبْلَ يُحْطُ فِي قَعْرِ الثَّرَى	أَنَّ الْبُدُورَ تَغِيبُ فِي الْغُبَرَاءِ
أَيُّمُوتُ (مَحْفُوظٌ) وَأَبْقَى بَعْدَهُ؟	غَدْرُ لِعُمْرِكَ مَوْتُهُ وَبَقَائِي
مَوْلَايَ شَمْسَ الدِّينِ يَا فَخْرَ الْمَلَا	مَا لِي أَنْادِي لَا تُجِيبُ نِدَائِي

هَذَا نُمُودَجٌّ مِنَ الْقَصِيدَةِ الَّتِي زَعَمَ صَاحِبُ الرُّوضَاتِ قِلَّةَ وُجُودِ مِثْلِهَا فِي الشُّعْرِ
كَأَنَّهُ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى مَرَاثِي فَحُولِ الشُّعْرَاءِ كَالصَفِيِّ مَثَلًا وَهُوَ مِنْ أَصْدِقَائِهِ حَتَّى كَانَ
يَتَبَادَلَانِ الرَّسَائِلَ الْأَدَبِيَّةَ، وَمِنْ هَذِهِ الرَّسَائِلِ قَصِيدَةُ الشَّيْبَانِيِّ الرَّائِيَّةِ الَّتِي مَطَّلَعُهَا:

القرن الثامن الهجري

عَبْدَ الْعَزِيزِ عَلَيَّ أَنْتَ عَزِيزٌ وَلِمَجْدِكَ التَّعْظِيمُ وَالتَّعْزِيزُ^(١)
وهذه ترتفع عن مُستوى الهَمْزِيَّةِ، ولكنها لم تتخط متوسّط الشَّعْرِ أَيضًا، وقد انبرى
الصفِّي الحليّ إلى إجابته بقوله:

مَنْ لِي بِقُرْبِكَ؟ وَالْمَزَارُ عَزِيزٌ طُوبَى لِمَنْ يَحْظَى بِهِ وَيَفُوزُ
فَلَوْ اسْتَطَعْتَ رَفَعْتَ حَالِي نَحْوَكُمْ لَكِنَّ رَفَعَ الْحَالِ لَيْسَ يَجُوزُ
يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الَّذِي آرَأُوهُ حِرْزُ لَنَا فِي النَّائِبَاتِ حَرِيزُ
عَرَضَ الْعُرُوضِ فَلَمْ تُرْعَكَ دَوَائِرُ مِنْهُ وَلَمْ تُشْكَلْ عَلَيْكَ رُمُوزُ
وَكَذَا اقْتَفَيْتَ مِنَ الْقَوَائِي إِثْرَهَا فَأَطَاعَكَ الْمُقْصُورُ وَالْمُهْمُورُ
وَضَرَبْتَ نَحْوَ (النَّحْوِ) هِمَّةً أَوْحِدِ أَضْحَى لَهُ فِي (حَالِهِ) (تَمَيِّزُ)
وترى في البيتِ توريّةً بارعةً تُشبه التّوريّةَ البارعةَ في آخر الأبيات وهذه الأبيات
نظمها الصفّي وهو في (ماردين) وأرسلها جوابًا على أبيات صديقه الشّيبانيّ الذي نحنُ
الآن بصدد ترجمته، كما أرسل الصفّي قصيدةً أخرى رائيّةً للشّيبانيّ يصفُ له بها حالته في
ماردين وما نال في ظلّ حُكّامها من عِزٍّ ووجاهةٍ، ويتشوّقُ بها إلى وطنه ومسقط رأسه
(الحلّة) ويتودّدُ بها إلى إخوانه فيها ويقولُ في بعضها من البحر الطّويل:

أَخْلَايَ بِالْفَيْحَاءِ إِنْ طَالَ بُعْدُكُمْ فَأَنْتُمْ إِلَى قَلْبِي كَسَحْرِي مِنْ نَحْرِي
وإِنْ يَخُلْ مِنْ تَكَرُّرِ ذِكْرِي حَدِيثُكُمْ فَلَمْ يَخُلْ يَوْمًا مِنْ مَدِيحُكُمْ شِعْرِي^(٢)
ومنها:

أُطَالِبُ نَفْسِي بِالتَّصَبُّرِ عَنْكُمْ وَأَوَّلُ مَا أَفْقَدْتُ بَعْدَكُمْ صَبْرِي
وَمِنْ مَدِيحِهَا:

(١) يُنظر: ديوان الصفّي الحليّ: ٢٨٨.

(٢) ديوانه: ٢٨٥.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّرُ الْحُرُوفِ الْفِكَرِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ

فَيَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي وَصَفُ فَضْلِهِ يَحِلُّ عَنِ التَّعَدَادِ وَالْحَدِّ وَالْحَضَرِ
أَبْثُكَ بِالْأَشْعَارِ فَرَطَ تَشْوِيقِي وَلَا أَتَعَاطَى حَضَرَ وَصْفِكَ بِالشُّعْرِ^(١)
وَمِنْهَا:

أَسُوقَ إِلَى الْبَحْرِ الْخَضَمِ جَوَاهِرِي وَأَهْدِي إِلَى أَبْنَاءِ بَابِلَ مِنْ سَحْرِي^(٢)

٦٤. مُحَمَّدُ بْنُ كَحِيلٍ^(٣)

نشأ ابنُ كَحِيلٍ، ومَوَكِبُ النَّهْضَةِ الْفِكْرِيَّةِ قَدْ أَلْقَى رِحَالَهُ فِي الْحِلَّةِ الْفِيحَاءِ،
وَاسْتَقَرَّتْ فِي رُبُوعِهَا قَافِلَةُ الثَّقَافَةِ تُغْذِي ذَلِكَ الْمَجْتَمَعَ الْبَشَرِيَّ الْوَاعِي بِمَقَوِّمَاتِ
التَّطَوُّرِ الرَّشِيدِ؛ فَمَضَى كَمَا شَاءَتِ الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي هَذِهِ النَّهْضَةِ الْفِكْرِيَّةِ إِلَى أَعْدِ
الْحُدُودِ، فَلَوْ مَثَلَتْ هَذِهِ النَّهْضَةُ الْفِكْرِيَّةُ جِسْمًا لَكَانَ الْعِلْمُ عَقْلَهَا الْوَاعِي، وَالشُّعْرُ
قَلْبُهَا الْحَسَّاسُ وَالْفَنُّ الْكِتَابِيُّ أَصْلَبَ أَعْصَابِهَا، وَلَكَانَ التَّطَوُّرُ الْاجْتِمَاعِيُّ مَا تَبَقَّى
مِنْهَا مِنْ أَعْضَاءٍ؛ فَلَا جُلَّ إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ تِلْكَ النَّهْضَةِ يَجِبُ أَنْ تَدْرِكَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِدْرَاكًا
تَامًا وَحِينَئِذٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعْرِفَ فَضْلَ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْحِلَّةُ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ الْمُضِيِّ مِنْ
الْمَدْنِيَّةِ^(٤)، وَإِسْهَامِهَا فِي ذَلِكَ التَّرَاثِ الْإِنْسَانِيِّ الْعَظِيمِ مِنْ إِبْدَاعٍ تَارَةٍ وَمِنْ تَنْقِيحٍ
وَتَشْذِيبٍ تَارَةٍ أُخْرَى يُمَكِّنُ لِأَنْ يُعْبَرَ عَنْهُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ (الْجَبْرُوتُ).

أَمَّا الْعِلْمُ فَقَدْ عَرَفَتْ تَصْعِيدَهُ وَتَطَوُّرَهُ مِنْ وَفَرَةِ الْعُلَمَاءِ الْمَجْتَهِدِينَ اللَّامِعِينَ حَتَّى
كَانَ لِلْعَلَامَةِ الْحِلِّيِّ وَحْدَهُ (٥٠٠) تَلْمِيزٍ كُلُّهُمْ بَلَغَ رُتَبَةَ الْجَاهِدِ، وَأَمَّا الشُّعْرُ فَقَدْ أَنْتَجَتْ
تِلْكَ الْحِقْبَةُ الزَّمَنِيَّةُ أَمْثَالَ الصَّفِيِّ، وَالشُّفْهِنِيِّ، وَابْنِ حُمَيْدَةَ، وَالسُّنْبُسِيِّ، وَالْحَمْصِيِّ

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: (فِي شَعْرِي)، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْدِيَوَانِ: ٢٨٧.

(٢) دِيَوَانُهُ: ٢٨٧.

(٣) تَرْجُمَتُهُ: الذَّرِيعَةُ: ١٤/١٨٢، مَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ: ٩/٢١٨، أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ٢/٢٧٣، ٩/١٤٣.

(٤) فِي الْمَطْبُوعِ: (الْمَدِينَةُ)، وَالصُّوَابُ مَا أُثْبِتْنَاهُ.

القرن الثامن الهجري

وشُمِيمِ النَحْوِيِّ، والحِمِيِّ، وابنِ الدَّرِيِّ، والشَّيْبَانِيِّ، وابنِ عَقِيلِ التَّاجِرِ، وابنِ بِطْرِيقٍ، وسَالِمِ بْنِ مُحْفُوظٍ، وابنِ الْبَقَالِ؛ ذَلِكَ الْمُؤَكَّبُ الشَّعْرِيُّ الطَّوِيلُ الَّذِي يَبْتَدِئُ مَسِيرَتَهُ الْكُبْرَى مِنْ نَقْطَةٍ مَبْدَأُ تَأْسِيسِ الْحِلَّةِ واستمرَّ عُنْفًا وَشِدَّةً حَتَّى الْقَرْنِ الثَّامِنِ، وَحِقْبَةِ الْقَرْنِ الثَّاسِعِ؛ ثُمَّ أَدْرَكَهُ عَنَاءُ السَّفَرِ الطَّوِيلِ فَتَبَطَّأَ حِينًا وَاشْتَدَّ حِينًا فِي مَسِيرَتِهِ التَّطَوُّرِيَّةِ، وَكَانَ الْفَنُّ الْخَطَائِيَّ وَالْكِتَابِيُّ يُؤَاكِبُهُ وَيُسَايِرُهُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ الطَّوِيلِ^(١).

وُلِدَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ كَحِيلِ ابْنِ الشَّيْخِ سُلْطَانِ الْعَارِفِينَ (جَاكِر^(٢)) بن ناكير الكردي الأدراسي الحلبي المعروف بـ: ابنِ نَعِيمٍ [فِي الْحِلَّةِ]^(٣)، وَلَمَّا فَتَحَ عَيْنِيهِ رَأَى الثَّقَافَةَ فِي الْحِلَّةِ وَفِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِيهَا وَبِكُلِّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهَا؛ لِأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ مَفْهُومِ الْحِلَّةِ كَالْكَهْرِبَائِيَّةِ سَارِيَةٍ فِي كُلِّ أَوْصَالِ الْكَوْنِ؛ لِأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ طَبِيعَةِ الْكَوْنِ فَلَمْ يَضَعْ بَصَرَهُ عَلَى آيَةٍ جَمَاعَةٍ فِي الْحِلَّةِ إِلَّا وَبَرَى الْعِلْمَ وَالشَّعْرَ وَالْأَدَبَ يَدُورُ عَلَى أَلْسِنَتِهَا وَهُوَ مُحَوَّرٌ حَدِيثُهَا عَلَى الدَّوَامِ فِي طَابِعِ اسْتِطْرَادِيٍّ مُتَقَدِّمٍ فِي نُمُوِّ وَارْتِقَاءٍ؛ فَصَهْرَتُهُ تِلْكَ الْمَجَالِسُ الْفِكْرِيَّةُ الرَّاقِيَةُ بِنُورِهَا وَطَبْعَتُهُ الْعُرُوبَةُ بِطَابِعِهَا فَأَصْبَحَ أَبُو نَعِيمٍ الْكُرْدِيُّ؛ وَكَانَتْهُ مِنْ أَبْنَاءِ يَعْزُبَ وَقَحْطَانَ فَتَلَقَّنَ فِي الْحِلَّةِ عُلُومَهُ وَمَعَارِفَهُ حَتَّى أَصْبَحَ مَعْدُودًا مِنْ فُقَهَائِهَا وَأَكَابِرِ شَعْرَائِهَا الْمُجِيدِينَ، وَهُوَ صَاحِبُ دِيْوَانِ الْمَدَائِحِ الْكَبِيرِ الَّذِي رَتَّبَهُ عَلَى جَمِيعِ الْخُرُوفِ الْمَهْجَائِيَّةِ وَسَمَّاهُ (شَرَفُ الْمَزِيَّةِ فِي الْمَدَائِحِ الْعَزِيَّةِ)^(٤).

وَالدِّيْوَانُ كُلُّهُ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعَةِ مَدَائِحِ فِي الصَّاحِبِ الصَّدْرِ عَزَّ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ نَجْمِ الدِّينِ مُظَفَّرِ ابْنِ مَعَالِي بْنِ الْعُرُوِيِّ بْنِ قَيْصَرَ الْأَسَدِيِّ الْحَلِيِّ وَقَدْ دَعَاهُ فِي أَوَّلِ خُطْبَتِهِ بِ(نُزْهَةِ الْجَلِيسِ وَفَرَحَةِ الْأَنْبَسِ) فَرَّغَ مِنْهُ سَنَةَ ٦٩٥ هـ، وَهَذَا

(١) الطريق تذكَّر وتَوَنَّث، ولكن الأفضح الأفضى تأنيثها.

(٢) ترجمته في: سير اعلام النبلاء: ٢١ / ٢٦١، تاريخ الإسلام: ٤١ / ٣٧٤.

(٣) زيادة اقتضاها السياق، فقوله: (ولد) لم يتضح إسنادها.

(٤) يُنظر: الذريعة: ١٤ / ١٨١ وما بعدها، ٢٤ / ١١٥.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

الدِّيَوَانُ قَدْ مَدَحَهُ الْعَلَامَةُ الْحَلِيُّ وَقَرَّظَهُ فَقَالَ فِي جُمْلَةٍ تَقْرِيطُهُ: «لَقَدْ أَحْسَنْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْعَالِمُ الْفَاضِلُ الْبَارِعُ النَّحْرِيرُ اللَّقْنُ الْفَصِيحُ الْعَلَامَةُ الْمُحَقِّقُ مَلِكُ الْعُلَمَاءِ شَمْسُ الْمِلَّةِ وَالِدَيْنِ فِيهَا نَظْمَتُهُ»^(١) إلخ..

وَلَا يَعْسُرُ عَلَى الْقَارِئِ الْفَطْنِ إِدْرَاكَ قِيَمَةِ هَذَا الرَّجُلِ الْفِكْرِيَّةِ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي جَرَى بِهَا يَرَاغُ الْعَلَامَةُ فِي حَقِّ ابْنِ كَحِيلٍ؛ لِأَنَّهُ يُدْرِكُ بِنَفْسِهِ مَا لِابْنِ كَحِيلٍ مِنْ مَنْزِلَةٍ ثَقَافِيَّةٍ إِدْرَاكَ مُشَاهِدَةٍ، وَاخْتِبَارٍ وَمِثْلُ الْعَلَامَةِ الْحَلِيِّ يَعْنِي مَا يَقُولُ وَلَا يُرْسِلُ الشَّهَادَاتِ الْعِلْمِيَّةَ جُزْأً كَمَا تُعْطَى فِي عَصْرِنَا لِمَنْ يَسْتَحِقُّ وَلِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ فَكَانَتْ جِنَايَةً مَنْ يُعْطِي هَذِهِ الشَّهَادَاتِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتْسَاهِلِينَ أَكْبَرَ جِنَايَةٍ تَارِيخِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ؛ فَقَدْ قَلَّلُوا بِتِلْكَ الشَّهَادَاتِ الْمُزَيَّفَةِ مِنْ قِيَمَةِ الْعُلَمَاءِ الْحَقِيقِيِّينَ حَتَّى اقْتَضَى لِأَحَدِ الْعُلَمَاءِ الْفَاضِلِ أَنْ يُرِزَ شَهَادَتُهُ الْعِلْمِيَّةُ إِلَى وَجْهِهِ فَأَجَابَهُ الْوَجْهِ مُتَهَكِّمًا: «شَهَادَتُكَ هَذِهِ مِنْ فَابْرِيقَةٍ»^(٢) الشَّهَادَةُ الَّتِي أَعْطَاهَا الشَّيْخُ فُلَانٌ إِلَى فُلَانِ الْحَلِيِّ الْمُرَابِيِّ الْعَامِّيِّ، فَذَهَبَ الْعَالِمُ وَقَلْبُهُ يَكَادُ يَنْفَطِرُ مِنْ شِدَّةِ أَسْفِهِ عَلَى هَذَا التَّدَهُورِ الْخُلُقِيِّ الْوَبِيلِ.

وَلَا زَالَتْ أَمْثَالُ هَذِهِ الشَّهَادَاتِ الْمُزَيَّفَةِ تُعْطَى لِلْعَوَامِّ وَأَشْبَاهِ الْعَوَامِّ بِرُغْمِ انْكَارِ الْمُجْتَهِدِينَ الْمَصْلِحِينَ عَلَى هَذِهِ الْبِدْعَةِ كَمَا فَعَلَ الْمَرْحُومُ السَّيِّدُ مُحْسِنُ الْأَمِينِ الْعَامِلِيُّ فِي التَّنْذِيرِ بِهَؤُلَاءِ الْمُتْسَاهِلِينَ فِي كِتَابِهِ (أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ) وَلَكِنْ..

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي
فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

(١) يُنْظَرُ: الذَّرِيعَةُ: ١٤ / ١٨١.

(٢) فَابْرِيقَةُ الْوَرَقِ: مَصْنَعٌ لِلْوَرَقِ. يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ: شَهَادَتُكَ حَبْرٌ عَلَى وَرَقٍ.

القرن الثامن الهجري

٦٥. فخر المحققين (٦٨٢-٧٧١هـ)^(١)

لَقَبُ ضَخْمٌ فَخْمٌ؛ وَلَكِنَّهُ يَلْتَحِمُ التَّحَامًا عَرِيقًا وَثِقًا بِشَخْصِيَّةِ صَاحِبِهِ، وَيَتَّصِلُ اتِّصَالًا وَطِيدًا بِعِلْمِهِ وَثِقَاتِهِ، وَهُمَا الْفَيْضُ الْفِكْرِيُّ الْعَظِيمُ الَّذِي تَفَجَّرَ فَارْتَوَتْ بِمَعِينِهِ رِجَالُ الْعِلْمِ وَأَقْطَابُ الْفِكْرِ.

إِنَّهُ لَقَبُ عَظِيمٌ، إِلَى شَخْصِيَّةٍ عَظِيمَةٍ لَا يَسَعُ الْمُنْصِفُ أَنْ يَقِفَ مِنْهَا إِلَّا مَوْقِفَ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْبَارِ أَمَامَ هَيْبَتِهَا وَعَظَمَتِهَا لِمَا لَهَا مِنْ أَثَرٍ بَلِغٍ فِي سَيْرِ مَوْكِبِ الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ الْهَادِرِ بِطَرِيقِ النُّورِ طَرِيقِ الْكَوَاكِبِ وَالشُّهُبِ.

نَقُولُ ذَلِكَ وَاثْقَيْنَ مِنْ صَحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ دُونَ أَنْ نُلَاحِظَ مِنَ الْآخِرِينَ مُقَاوَمَةً تَتَحَدَّانَا أَوْ تَدْفَعُنَا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الشَّكِّ وَالْازْتِيَابِ؛ فَقَدْ وَصَفَهُ بِالنُّبُوغِ الْعِلْمِيِّ وَسِعَةِ الْفِكْرِ كُلِّ مَنْ تَرَجَّمَهُ وَكَتَبَ عَنْهُ وَالْآنَ بَيْنَ أَيْدِينَا كِتَابُ (أَمَلُ الْأَمَلِ) وَهُوَ يَحْدُثُكَ عَنْ هَذَا النَّابِغَةِ الْجَلِيلِ بِمَا تَتَأَكَّدُ مِنْهُ صَحَّةُ مَا قُلْنَا فِيهِ مِنْ مَدِيحٍ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنَّهُ: «مُحَمَّدُ أَبُو طَالِبٍ ابْنُ الْحَسَنِ ابْنِ يُوسُفَ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ الْمُطَهَّرِ، كَانَ فَاضِلًا، مُحَقِّقًا مُدَقِّقًا، فَقِيهًا، ثِقَةً جَلِيلًا، يَرْوِي عَنْ أَبِيهِ الْعَلَّامَةِ وَغَيْرِهِ»^(٢) كَلِمَاتٌ عَلَى وَجَارَتِهَا كَافِيَةٌ أَنْ تُعْطِينَا فِكْرَةً صَادِقَةً عَنْ عَظَمَةِ شَخْصِيَّةِ (فَخْرِ الْمُحَقِّقِينَ) النَّادِرَةِ اللَّامِعَةِ؛ فَوْصَفْتُهُ بِالْفَضْلِ بِمَدْلُولِهِ الْوَاسِعِ وَبِالتَّحْقِيقِ الشَّامِلِ، وَبِالتَّدْقِيقِ الْعِلْمِيِّ الدَّقِيقِ وَوَصَفْتُهُ بِالْوَرَعِ وَالتَّقْوَى؛ فَقَالَتْ إِنَّهُ

(١) ترجمته في: مجالس المؤمنين: ١/ ٥٧٦، جامع الرواة: ٢/ ٩٦، أمل الآمل: ٢/ ٢٦٠، الرقم ٧٦٨، رياض العلماء: ٥/ ٧٧، روضات الجنات: ٦/ ٣٣٠، الرقم ٥٩١، هدية العارفين: ٢/ ٢٠٤-١٦٥، إيضاح المكنون: ٢، ١٨٠، ٢٥٨، ٣٢٢-١٣٩، تنقيح المقال: ٣/ ١٠٦، الرقم ١٠٥٨١، أعيان الشيعة: ٩/ ١٥٩، الكنى والألقاب: ٣/ ١٦، الفوائد الرضوية: ٤٨٦، الذريعة: ٢/ ٤٩٦، الرقم ١٩٥٠، طبقات أعلام الشيعة: ٣/ ١٨٥، معجم رجال الحديث: ١٥/ ٢٥٣، الرقم ١٠٥١٥، معجم المؤلفين: ٩/ ٢٢٨، موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ١٩١.

(٢) أمل الآمل: ٢/ ٢٦٠، الرقم ٧٦٨.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

(ثِقَةٌ)؛ ثُمَّ وَصَفَتْهُ بِالْجَلَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ أَرْفَعِ أَلْقَابِ الْمُلُوكِ.

وَصَاحِبُ (رُوضَاتِ الْجَنَّاتِ) فِي تَرْجَمَتِهِ الْمُحَقِّقُ قَالَ: «وَنَقَلَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّهُ رَأَاهُ مَعَ أَبِيهِ فِي مَجْلِسِ السُّلْطَانِ (خُذَابْنَدَه) فَوَجَدَ شَابًّا عَالِمًا فَطِنًا مُسْتَعِدًّا لِلْعُلُومِ، ذَا أَخْلَاقٍ رَضِيَّةٍ رُبِّيٍّ فِي حَجَرِ أَبِيهِ»^(١).

وَقَدْ أَكَّدَ لَنَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَرْجِمِينَ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْفَاضِلِ الْقُمِّيِّ فِي كِتَابِهِ (الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ) ب: «أَنَّ فَخْرَ الْمُحَقِّقِينَ قَدْ فَازَ بِدَرَجَةِ الاجْتِهَادِ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ عُمُرِهِ الشَّرِيفِ»^(٢).

وَلَعَلَّ هَذَا مِنَ الْمُبَالَغَاتِ فَنَقِصِي لَا تَكَاذُ تَطْمَئِنُّ إِلَى صَحَّةِ الرِّوَايَةِ؛ وَلَكِنْ لَا نَجْزِمُ بَعْدَ إِمْكَانِهَا؛ فَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَوْدَعَ فِي بَعْضِ النَّاسِ قُوَى رُوحِيَّةً طَاعِيَةً؛ لَتَصْفَعَ الْمَادِّيَّينَ الْمَلَا حِدَةً كَالطِّفْلِ عَادِلٍ شَعْلَانِ^(٣) فِي الصَّفِّ الْخَامِسِ الْابْتِدَائِيِّ، وَقَدْ مَنَحَهُ

(١) روضات الجنات: ٦/ ٣٣٠.

(٢) الكنى والألقاب: ١٦/ ٣.

(٣) من مواليد الخمسينيات اسمه الكامل (عادل شعلان فرحان) من مدينة النعمانية محافظة واسط، لم يكن طفلاً عادياً عندما قدّمه لأول مرة (الأستاذ) كامل الدبّاغ في برنامجه (العلم للجميع)، وقدّمه كموهبة وأعجوبة في الرياضيات، كان يحلُّ أصعب الأرقام وجداول الضرب وبسرعة بديهة يعطي الجواب، وكان المشاهدون مشدوهين إلى شاشة التلفاز آنذاك، وبقي في الذاكرة سرعة بديهة ونباهته وموهبته الربّانية تلك في لغة الأرقام ضرباً وجمعاً وقسمةً وطرحاً، وقد خدم بصفة ضابط احتياط في الجيش العراقيّ كونه خريج كلية الزراعة في بداية السبعينيات. وفي حرب الخليج الثانية ١٩٩١م كان يخدم في الجيش مرّةً أخرى ورتبة (رائد احتياط)، وشاء القدر أن يقع أسيراً بأيدي القوّات الأمريكيّة، وحتىّ وهو في الأسر لم تفارقه موهبته الربّانية تلك، وقال لزملائه في الأسر: إنّ عدد الأسرى بالقفص الفلانيّ كذا عدد، والمجموع كذا، وكان العدد مطابقاً، ووصل الخبر إلى الأميركيّين فاستدعوه لبيان كيفية معرفة الرقم بالضبط !!! قال: إنّ الطعام يُنقل بالعجلات على شكل علب (باكيت)، فعرفت عدد الأسرى من خلال حساب عدد العلب !! ويقال إنّ الأميركيّين طلبوا منه العيش في أمريكا ولكنّه رفض !! وكان بحاجة =

القرن الثامن الهجري

الله قُوَّةٌ لَا إِرَادِيَّةَ تَظْهَرُ بِهَا لَهُ حُلُولُ أَعْوَصِ الْمَسَائِلِ الْحِسَابِيَّةِ الَّتِي لَا يَسْتَوْعِبُهَا عَقْلُهُ بِحَيْثُ أَخْطَأَتِ الْآلَةُ الْحَاسِبَةُ وَهُوَ لَمْ يَخْطِئْ، وَقَدْ سَبَقَهَا بِالْجَوَابِ وَلَمَّا سُئِلَ أَجَابَ بِأَنِّي أَرَى جَوَابَ الْمَسْأَلَةِ يَتِمُّثَلُ أَمَامَ عَيْنِي، وَقَضِيَّتُهُ مَشْهُورَةٌ فَلَعَلَّ فخرَ الْمُحَقِّقِينَ أُعْطِيَ مُوهِبَةً لَتَفْهَمُ الْقَضَايَا الْعِلْمِيَّةَ الدَّقِيقَةَ وَهُوَ فِي سِنٍّ مُبَكِّرٍ كَمَا أُعْطِيَ عَادِلٌ شِعْلَانٌ مُوهِبَتَهُ الْحِسَابِيَّةَ الْعَجِيبَةَ، وَهَذَا الْأَمْرُ مُمَكِّنُ الْوُقُوعِ، وَمَعْنَى الْمُمَكِّنِ مَا جَازَ حُصُولُهُ، وَاسْتِعْدَادُنَا لَا يَنْفِي وَوُقُوعَ الْأَمْرِ وَلَكِنَّا نَقُولُ حَسَبَ الْعَادَةِ لَا حَسَبَ شَوَاضِ الْأُمُورِ إِنَّ هَذَا السَّنَّ لَا يُمْكِنُ لِإِحَاطَةِ الْمَرْءِ لِدِرَاسَةِ عِلْمِ النَّحْوِ وَحَدَهُ لَوْ فَرَضْنَا أَنَّهُ بَدَأَ يَتَعَلَّمُ مِنْ يَوْمٍ وَلَدَيْهِ وَهَنًا كَاحْتِمَالٍ أَنَّ النَّاسِخَ أَضَاعَ فِي مَحَبَّرَتِهِ لَفُظَةً (تِسْعَةَ) سَهْوًا، وَكَانَ الْأَصْلُ (تِسْعَةَ عَشْرَةَ) وَاللَّهُ الْعَالِمُ بِوَاقِعِ الْأُمُورِ.

فخرُ الْمُحَقِّقِينَ عَمِلَ جَاهِدًا عَلَى تَطَوُّرِ الْوَعْيِ الثَّقَافِيِّ مُقْتَدِيًا بِسِيرَةِ أَبِيهِ وَجَدَّهُ وَبِالْمُحَقِّقِ الْحَلِيِّ خَالِ أَبِيهِ، وَمَتَأَثَّرًا بِتِلْكَ الْمَوْجَةِ الثَّقَافِيَّةِ الْعَارِمَةِ فِي عَصْرِهِ حَتَّى أَصْبَحَ أَبُوهُ الْعَلَّامَةُ الْحَلِيُّ فَخُورًا بِتَحْصِيلِهِ الْعِلْمِيِّ مُعْجَبًا بِفِكْرِهِ الْمُسْتَنِيرِ وَنُضُوجِهِ الْعَقْلِيِّ الْمُبَكَّرِ، وَلَمْ يَكُنْ يَكْتُمُ هَذَا الْإِعْجَابَ فَطَالَمَا حَدَّثَ عَنْهُ وَنَوَّهَ عَنْهُ وَأَطْرَاهُ وَكَفَاكَ شَاهِدًا عَلَى ثِقَةِ أَبِيهِ بِكَفَائَتِهِ الْمُتَازَةِ أَنَّهُ أَمَرَهُ فِي وَصِيَّتِهِ الَّتِي خَتَمَ بِهَا كِتَابَهُ (الْقَوَاعِدُ)^(١) بِإِتْمَامِ مَا بَقِيَ نَاقِصًا مِنْ كُتُبِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ثِقَةً مِنْهُ بِأَنَّهُ لَوْلَدِهِ تِلْكَ الرُّتَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي تَنْسَجِمُ وَرُتَبَةُ الْعَلَّامَةِ بِحَيْثُ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ بِإِتْمَامِ نَوَاقِصِ تِلْكَ الْكُتُبِ؛ فَعِزُّ عَجِيبٍ أَنْ يَكُونَ لِفَخْرِ الْمُحَقِّقِينَ تِلَامِذَةٌ كَثِيرُونَ حَرَصَ كَثِيرًا عَلَى تَثْقِيفِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ، مِنْهُمْ

= إلى علاج برغم معاناته من مرضه، وبعد انتهاء الحرب أطلق سراحه من الأسر. مقال في موقع (وحي بليقيس) بعنوان (عادل شعلان، الطفل الموهوب). توفي في ٣٠/٧/٢٠١٤ فقيرًا معدمًا. انظر: مقالة الأستاذ الدكتور قاسم حسين صالح في صحيفة المثقف الإلكترونية، بعنوان (عادل شعلان... موهوبون يموتون فقراء)، وكيف التقى به في الكويت حيث كان يبيع الإطارات.

(١) انظر تمام الوصية في: كتاب قواعد الأحكام: ١٥١.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتِ

الشَّيْخُ نِظَامُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ النَّيْلِيِّ، وَالشَّيْخُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَيْسَى بْنِ مُبَارَكِ الْحَلِيِّ وَعَشْرَاتٌ مِنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الْفُحُولِ.

وَفَاتَهُ

لَقَدْ اسْتَقْبَلَتِ الْحَلَّةُ نَبَأَ وَفَاتِهِ بِمَوْجَةٍ طَآغِيَةٍ مِنَ الْأَسَى وَالْأَسَفِ وَكَانَتْ هَذِهِ النَّكْبَةُ يَوْمَ ٢٥ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ٧٧١ هـ، وَأَرَّخْتُ وَفَاتَهُ بِقَوْلِي:

فَبُعَدَهُ أَثَارُهُ إِنَّ مَاتَ أَرَّخَ عَاشَتْ
أَمَّا وَلَادَتُهُ الْمُبَارَكَةُ فَكَانَتْ لَيْلَةَ ٢٠ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٦٨٢ هـ، فَعَمُرُهُ الشَّرِيفُ ٨٩ عامًا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(١).

٦٦. ابْنُ مُعَيَّةٍ - ٧٧٦ هـ

أَمَامِي الْآنَ دُوبُونُ أَضَحَمُ مِنْ وَاقِعِهِ فَهُوَ لَا يُجَاوِزُ ٥١٩ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ الرَّكِيكِ الْمُبْتَدَلِ بَلْ وَالْمَسْرُوقِ عَدَدُ صَفَحَاتِهِ (١٠٣) تَشْمُلُ الْمُقَدِّمَةَ وَالتَّقَارِيطَ الَّتِي اسْتَجْدَاهَا صَاحِبُهَا اسْتَجْدَاءً وَضَعَ مُقَدِّمَتَهُ (مُحَامِي) يُرِيدُ نَشْرَ اسْمِهِ بِكُلِّ ثَمَنٍ، وَبِكُلِّ مَكَانٍ هُوَ الْمَرْحُومُ عَبْدُ الْمُحْسَنِ الْقَصَّابُ؛ فَوَصَفَ حَرَكََةَ الشُّعْرِ وَاسْتَقْرَارَهُ عَلَى شَاطِئِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، شَاطِئِ الْحَيَاةِ الْهَادِيَةِ؛ ثُمَّ صَاحِبُ الْمُقَدِّمَةِ اسْتَمَرَ بِخَيَالِهِ وَتَصَوُّرَاتِهِ، وَوَصَفَ الشُّعْرَ الْقَدِيمَ وَاسْتَهْجَنَهُ، ثُمَّ وَصَفَ الشُّعْرَ فِي الْعَصْرِ الْمَادِّيِّ عَصَرَ الْكَهْرَبَاءِ وَمَا لِلشُّعْرِ الْمُتَجَدِّدِ مِنْ رِفْعَةٍ - حَسَبَ زَعْمِهِ - «فَلَا وَحْدَةَ الْقَافِيَةِ تَتَحَكَّمُ فِيهِ

(١) وَقَدْ صَنَّفَ كُتُبًا، مِنْهَا: الْكَافِيَةُ الْوَافِيَةُ فِي الْكَلَامِ، تَحْصِيلُ النِّجَاةِ، مَنَاسِكُ الْحَجِّ، أَجْوِبَةُ الْمَسَائِلِ الْحِيدَرِيَّةِ، رِسَالَةُ الْفَخْرِيَّةِ فِي النِّيَّةِ، وَرِسَالَةُ إِرْشَادِ الْمُسْتَرِشِدِينَ، وَهَدَايَةُ الطَّالِبِينَ فِي أَصُولِ الدِّينِ، وَلَهُ شُرُوحٌ عَلَى كُتُبِ وَالِدِهِ، مِنْهَا: إِضْوَاحُ الْفَوَائِدِ فِي شَرْحِ الْقَوَاعِدِ (مَطْبُوعٌ فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ)، وَحَاشِيَةُ الْإِرْشَادِ، وَغَايَةُ السُّؤُولِ فِي شَرْحِ تَهْذِيبِ الْأَصُولِ، وَغَيْرُهَا. يُنْظَرُ: مُوسَوْعَةُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ١٩٢/٨.

القرن الثامن الهجري

وَلَا الْمَعْنَى الْمُهَمَّ يُسَائِدُهُ وَلَا زُخْرَفَ الْقَوْلِ يُشَايِعُهُ يُرِيدُونَهُ وَاقِعِيًّا بَسِيطًا يَصِفُ حَيَاتَهُمْ كَمَا هِيَ بِقَوْلِ مُشْرِقٍ وَأُسْلُوبٍ سَهْلٍ، وَمَعْنَى رَائِعٍ بَسِيطٌ يَنْسَجِمُ وَعَصْرُهُمْ؛ ثُمَّ أَعْطَى - الْقَصَابُ - بُرْهَانًا مَا بَيْنَ لَدَيْهِ: «أَوَّلَ نَسَمَةٍ مِنْ نَسَمَاتِ ذَلِكَ الْقَدِيمِ هَذِهِ النِّسَمَاتُ الَّتِي تَمَرَّدَ صَاحِبُهَا عَلَى قَدِيمِهِ الْمُحَافِظِ».

كَلَامٌ لَا أَفْهَمُهُ، كَلَامٌ مُتَنَاقِضٌ لَا أَذْرِي فِي آيَةٍ سَاعَةٍ كَتَبَهُ؛ فَقَدْ جَعَلَ أَهَمَّ عَيْبِ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَحَدَّةَ الْقَافِيَةِ فَمَا بِالْأَلَا يَرَى وَحَدَّةَ الْقَافِيَةِ فِي هَذَا الدُّوَيُونِ، أَمَّا رَأَى قَصِيدَةَ (أَيُّهَا الشَّبَابُ) وَ(فَلَسْطِينُ) وَ(زَفَرَةُ) وَ(الشَّاعِرُ) وَ(أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ) وَ(الْعِيدُ) وَ(الْوَطَنُ الْمُضْطَهَّدُ)، وَهَكَذَا أَغْلَبُ نَظْمُ هَذَا الدُّوَيُونِ الَّذِي أَرَبَأُ بِنَفْسِي أَنْ أُسَمِّيَهُ شِعْرًا؛ فَهَلْ هَذَا النَّظْمُ الرَّكِيكُ أَفْضَلُ مِنْ شِعْرِ الْأَخْطَلِ وَالْفَرَزْدَقِ وَجَرِيرٍ وَأَبِي تَمَّامٍ لَا لَشَيْءٍ؛ إِلَّا لِأَنَّ عَبْدَ الْمُحْسَنِ يُحِبُّ التَّجَدُّدَ؛ وَهَذَا شِعْرٌ جَدِيدٌ!! فَإِنْ أَجَابَ بِالْإِيجَابِ فَقَدْ فُزْتُ أَنَا وَالسَّيِّدُ رَحِيمُ الْعَمِيدِي بِهَذَا الْفَخْرِ الْعَظِيمِ، وَلِنَقْدِّمُ لِلْقَارِي الْكَرِيمِ نَمُودَجًا مِنْ هَذَا الدُّوَيُونِ^(١):

وَاحِدِمِ بِلَادَكَ مَا اسْتَطَعْتَ وَكُنْ لَهَا
عَالِي الْبِنَاءِ رَصِينُهُ مُتَمَسِّكًا
كُنْ يَا فَتَى الْوَطَنِ الْمَجِيدِ كَحَارِسٍ
وُخْذْ شَاهِدًا آخَرَ^(٢):

هَذَا الْعِرَاقُ بِسَهْلِهِ وَخُزُونِهِ
ابْتَهَجَتْ مِيَاهُ الرَّافِدَيْنِ وَرَحَّبَتْ
بِاللَّهِ حَدَّثَنَا عَنِ الْوَطَنِ الَّذِي
قَدْ طَالَ (وَا وَيْلَاهُ) عَدُّ شُجُونِهِ

(١) انظر: الصحيفة ٢١ من الديوان.

(٢) الصحيفة ٣٧ من الديوان.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْخَلْتَيْنِ

يُبْكِي وَيَجْهَشُ بِالْبُكَاءِ وَيَقُولُ قَدْ ذَبَحَ الْعَدُوَّ فَتَايَ فِي سَكِينِهِ
وَشَاهِدًا ثَالِثًا^(١):

وَكَمْ قَائِلٍ لَمْ لَا تَكُنْ ذَا وَظِيفَةٍ لَتُصْبِحَ بَيْنَ النَّاسِ ذُو النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
وَيَسْطَعُ فِي الْآفَاقِ نَجْمُكَ زَاهِرًا وَتُصْبِحُ مِنْ دُونِ الْوَرَى رَجُلًا مُثْرِي
وَشَاهِدًا رَابِعًا^(٢):

لَوْ اعْتَقَدْتَ بِأَنَّ اللَّهَ أَوْدَعَهَا سِرَّ الْجَمَالِ لَحَقَّا كَانَ مُعْتَقِدِي
وَشَاهِدًا خَامِسًا^(٣):

هَيَّا لِنَرْكَبْ زُورَقًا وَنَسِيرُ فِي نَهْرِ الْفُرَاتِ الْمُؤْنَسِ الْفِضِيِّ
فَلَعَلَّنَا فِي النَّهْرِ نُدْرِكُ رَاحَةً فَلَقَدْ سَمِمْنَا الْعَيْشَ فِي الْأَرْضِ
وَشَاهِدًا سَادِسًا^(٤):

هَيَّا إِلَى الرُّوضِ أَيَا سَلُوتِي نَمْشِي الْهُوَيْنَا تَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ
هُنَاكَ نَسْتَلْهِمُ وَحْيَ الْجَمَالِ عَلَى ضِفَافِ الْجَدُولِ الْجَارِي
هُنَاكَ يَا لَيْلَى خَرِيرُ النَّهْرِ كَأَنَّهُ تَرْجِيعُ أَوْتَارِ
فَلَنَحْتَسِ فِي الرُّوضِ خُمُرَ الْوِصَالِ مَابَيْنَ أَغْصَانٍ وَأَزْهَارِ
هَيَّا فَقَدْ هَبَّ نَسِيمُ السَّحَرِ فِي الْحَقْلِ يَا جَلُوءَ أَفْكَارِي
هَيَّا مَعِيَ نَهْجُ كُلِّ الْمَلَأِ مَا النَّاسُ إِلَّا فِتْنَةٌ آثِمَةٌ

(١) الصحيفة ٤٢ من الديوان.

(٢) الصحيفة ٥٢ من الديوان.

(٣) الصحيفة ٥٦ من الديوان.

(٤) الصحيفة ٥٨ من الديوان.

القرن الثامن الهجري

وشاهداً سابغاً^(١):

أنا إن مت فاحملوني رويداً وارفقوا بي ولا تسيروا بجداً
وإذا جئتموا المقابر حطوا الذ غش فوق الثرى إلى جنب لحداً
واتركوني ملقى ولا تدفوني إن تركي خير من الدفن عندي
أنا ما بينكم وقد ذُبت خوفاً كيف بي لو تركت في اللحد وحدي
وشاهداً ثامناً في رثاء الملك غازي^(٢):

وأقمت للشعراء سوق عكاظهم وجعلتهم في أحسن الأحوال
قد كنت حصناً للعراق مشيداً قد كنت سوراً مُحكم الأقفال
شبل ترعرع في عرين جدوده وفراسه الأسد في الأشبال
ومنها في عبد الإله^(٣):

أأميرنا المحبوب يا من في سما العُرب أنت الكوكب المتعالي
حقق أمانينا فأنت المرتجى بعزائم فيهن أي صقال
وشاهداً تاسعاً في المرحوم السيد محمد علي القزويني:

رثتكَ البرايا في العويل وفي البكا كذلك يرثي العبقريُّ المجهد
يؤبنك الجمعُ الشجي بصمته وفي الصمت معنى لم تنله القصائد
فهل يسمخ الدهر الخوون بأوبة! وهل أنت للأفق المروع عائد
وشاهداً عاشراً^(٤):

(١) الصحيفة ٦٥ من الديوان.

(٢) الصحيفة ٦٦ من الديوان.

(٣) هذه وما بعدها من الصحيفة ٦٧ إلى الصحيفة ٧٥.

(٤) الصحيفة ٧٦ من الديوان.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

كَمْ مِنْ شَبَابٍ تَسُرُّ الْعَيْنَ نَظَرُهُ أَمْسَى عَلَيْهِ ثُرَابُ اللَّحْدِ مَهْدُومًا
قَدْ كَانَ يَرْضَعُ مِنْ ثَدْيِ الرَّفَاهَةِ وَالْ عَيْشِ الْهَنِيِّ فَأَضْحَى الْيَوْمَ مَقْطُومًا
وَالْدُّوِيْنَ كُلُّهُ شَوَاهِدٌ عَلَى تَفَاهَتِهِ، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكَ عَنْ نَاطِلِهِ الْحَقِيقِيِّ
الَّذِي تَعَمَّدَ هَذِهِ التَّفَاهَةَ؛ فَلِهَذَا الْمَوْضُوعِ مَوْضِعٌ آخَرٌ، وَلَكِنَّا نَعْتَبُ عَلَى الْمُقْرَظِينَ
وَصَاحِبِ الْمُقَدِّمَةِ لِمَاذَا يَقْفُلُونَ عِيُونَهُمْ، وَيَكْتُبُونَ مَا يَشَاوُونَ فَهَلْ مِثْلُ هَذَا النَّظْمِ
السَّخِيفِ يَسْتَحِقُّ التَّقْرِيطَ؟.

أَمَا تَرَى كَيْفَ النَّاطِمُ اخْتَطَفَ مَعَانِي قَصِيدَتِهِ وَبَعْضَ أَلْفَاظِهَا مِنَ الرُّصَافِيِّ ثُمَّ كَبَّاهُ
جَوَادُهُ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُحْسِنَ حَتَّى فِي الْأَخْذِ وَالرُّصَافِيِّ هُوَ الْقَائِلُ:

إِنَّ الْعِرَاقَ بَعَرَضِهِ وَبَطُولِهِ وَبِرَافِدِيهِ وَبَاسِقَاتِ نَخِيلِهِ
يَهْتَزُّ مَبْتَهَجًا بِمُقَدِّمِ ضَيْفِهِ وَيَبْشُ مَبْتَسِمًا بِوَجْهِ نَزِيلِهِ
وَمَرْحَبًا وَالشُّكْرُ فِي تَرْحِيْبِهِ وَمَوْهَلًا وَالْحَمْدُ فِي تَأْهِيلِهِ^(١)
وَكَيْفَ تَعَمَّدَ النَّاطِمُ أَنْ يَدْرُسَ شَطْرًا غَيْرَ موزُونٍ؛ لِيخْتَبِرَ بِهِ نِبَاهَةَ صَاحِبِ الدُّوِيْنَ
«ابْتَهَجَتْ مِيَاهُ الرَّافِدِينَ وَرَحِبَتْ» فَلَمْ يَنْتَبِهْ وَنَشَرَهُ عَلَى عَلَاتِهِ كَمَا نَشَرَ «قَدْ طَالَ وَابِلَاهُ
عَهْدُ شُجُونِهِ» وَ«دَبَّحَ الْعَدُوَّ فَتَايَ فِي سَكِينِهِ»، وَكَيْفَ فِي الشَّاهِدِ الثَّلَاثِ قَدْ جَزَمَ النَّاطِمُ
- فِعْلَ الْمُضَارِعِ - بِلَا جَازِمٍ، فَقَالَ: «وَكَمْ قَائِلٍ لَمْ لَا تَكُنْ ذَا وَظِيفَةٍ» وَالصَّوَابُ عَرِيَّةُ
(تَكُونُ) لِتَجَرُّدِهَا عَنِ النَّاصِبِ وَالْجَازِمِ، وَكَيْفَ رَفَعَ (ذُو) وَحَقَّقَهَا النَّصْبِ؟، وَكَيْفَ إِذَا
كَانَ ذُو وَظِيفَةٍ يُصْبِحُ ذُو الْوَرَى رَجُلًا مُثْرَى فَهَلْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَبْقَى وَحْدَهُ فِي الْوِظِيفَةِ؟؛
فَإِذَا شَارَكَهُ غَيْرُهُ فِي السَّبَبِ فَكَانَ لَا يُشَارِكُهُ فِي الْمُسَبَّبِ؟ وَفِي الشَّاهِدِ الرَّابِعِ لَمْ يَعْرِفْ
كَيْفَ الْغَزَلَ؛ فَقَالَ: «لَوْ اعْتَقَدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ أَوْدَعَهَا» إلخ.

و(لَوْ) لِلَامْتِنَاعِ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ أَنَّهُ لَمْ يَعْتَقِدْ بِأَنَّ اللَّهَ أَوْدَعَهَا سِرَّ الْجَمَالِ فَفَضَّلَا

(١) ديوان الرصافي، مكتبة مركز دراسات الكوفة.

القرن الثامن الهجري

عن كونه معنى مبتدلاً؛ فإنه يتناقى والغزل لتمخضه عن دم، وهو مناقض لبقية الأبيات.

وترى في الشاهد الخامس سداجة التفكير حتى أن الناظم تعمّد سطحية الفكرة فأخذها صاحب الدويوين وهو لا يعلم ما وراء الأكمة فشرها بالدويوين المنسوب إليه فطلاب الرابع الابتدائي يعلمون جيداً أن الأرض قسمان: ماءً ويابسة؛ ولكن البيتين يظهران أن النهر غير الأرض، ولعل المراد بالنهر المجرة في السماء.

فلعلنا في النهر ندرِك راحةً فلقد سئمنا العيش في الأرض وفي الشاهد السادس تعمّد الناظم التناقض ولم يفتن له صاحب الدويوين؛ فقد دعا سلوته إلى الروض في جنح الظلام؛ ثم زعم أن هناك الاستمتاع بمناظر الطبيعة فهل يصح هذا الظلام الذي يحجب رؤية كل شيء؟ ثم كيف انقلب ذلك الظلام إلى (السحر) وانظر إلى (فلنحتسي) لماذا لم تحزم بلام الطلب؟ فتحدف الياء لتذهب هذه المسكينة من سجنها إلى بعض شأنها؟ وكيف حكم حكمه القاضي على كل الناس، وفيهم أبوه وأقرباؤه؛ فدعا حبيته إلى هجر الناس؛ لأن الناس كلهم آثمة؟.

والشاهد السابع ما هو إلا صورة هزيلة تضحك الشكلى صورة على أنها لا تتجاوز أربعة أبيات فقط جاءت تفيض بالتناقض فالبیت الأول يدل على أنه حي؛ لأنه يقول «إذا أنا مت» والبيت الرابع يصرح أنه ميت وقد ذاب من خوف القبر، وهو بينهم فكيف إذا بقي وحده في قبره؟؛ ثم أن وصيته تقتضي أن يحملوه إلى قبره وأن يسروا بنعشه رويداً، وإذا به يطلب منهم أن يبقوه ملقى بلا دفن، وهذا تناقض آخر وتعليقه في إبقائه بلا دفن؛ لأنه يخاف من وحدة القبر؛ فهل إذا بقي ملقى في المقابر بلا دفن يضعون عليه حراساً إلى يوم يُبعثون؟ والشاهد الثامن لا يحتاج إلى تعليق؛ فسخافة الشعر واضحة لكل أحد حتى أنه يجهل معنى (فراسة) فحسبها من الافتراس؛ فقال «وفراسة الآساد في الأشبال»،

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِرِيِّ فِي الْحِلَّةِ

وَمَا مَعْنَى «صَقَالِ الْعَزَائِمِ»؟، وَمَا مَعْنَى «أَقْفَالِ السُّورِ»، كُلُّ ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْمُنَافِقَةِ.

وَالشَّاهِدُ النَّاسِعُ لَمْ يَخُلْ مِنْ هَذَا التَّنَاقُضِ الَّذِي أَصْبَحَ مِنْ صِفَاتِ هَذَا النِّظْمِ الْخَاصَّةِ «فَالرَّثَاءُ بِالْعَوِيلِ وَالْبُكَاءُ» يُنَافِي وَقَوْلُهُ «يُؤْنِكُ الْجَمْعُ الشَّجِيَّ بِصِمْتِهِ» وَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: «فَيَا قَمَرًا قَدْ أَوْحَشَ الْكَوْنَ وَالسَّمَاءَ»؟! سَلَّمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّ النَّهَرَ قِسْمٌ مِنَ الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْهَلُ أَنَّ السَّمَاءَ جُزْءٌ مِنَ الْكَوْنَ؟ فَمَا مَعْنَى هَذَا الْعَطْفِ؟ فَهَلْ هُوَ عَطْفٌ تَفْسِيرِيٌّ؟ فَلَيْسَ السَّمَاءُ هِيَ الْكَوْنَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ؛ ثُمَّ هَلْ أَنَّ الْمَرِثِيَّ كَانَ فِي السَّمَاءِ فَأَوْحَشَهَا فَقْدُهُ؟ وَإِذَا قُلْتَ لَكَ إِنَّ تَفْكِيرَهُ عَامِيٌّ لَا تُصَدِّقُ؛ وَلَكِنْ هَذِهِ الشَّوَاهِدُ كَافِيَةٌ لِإثْبَاتِ ذَلِكَ؛ فَالْعَوَامُ يَطْلِقُونَ لَفْظَةَ الْأَرْضِ وَيُرِيدُونَ مِنْهَا الْيَابِسَةَ وَقَدْ فَكَّرَ النَّاطِمُ مِثْلَ تَفْكِيرِهِمْ وَالْعَوَامُ يَطْلِقُونَ لَفْظَ (شَبَابٍ) وَهُوَ جَمْعُ شَابٍّ عَلَى الْمُفْرَدِ، وَالنَّاطِمُ فَكَّرَ أَيْضًا مِثْلَ تَفْكِيرِهِمْ فَقَالَ: «كَمْ مِنْ شَبَابٍ تَسُرُّ الْعَيْنَ نَظَرُتُهُ» إلخ..

وَسَطْحِيَّةُ التَّفْكِيرِ فِي كَافَّةِ الدُّوَيُونِ أَصْدَقُ شَاهِدٍ، وَمَعَ كُلِّ هَذِهِ التَّفَاهَةِ يَأْتِي الْمَقَرَّطُونَ^(١)؛ فَيَصِفُونَ هَذِهِ التَّفَاهَةَ (بِالْأَدَبِ النَّاصِجِ) الَّذِي كَادَ يَنْشُرُ ابْنَ سَرَايَا كَمَا زَعَمَ الشَّابُّ أَحْمَدُ رِضَا الْهِنْدِيُّ؛ وَإِنَّمَا سِحْرٌ حَلَالٌ، وَإِنَّ الْمُقَرَّطَ لَا يَعْلَمُ «أَهِيَ مَعَانِي زَهَتْ أَمِ الرُّوْضُ زَاهِرٌ؟» كُلُّ ذَلِكَ لِشِدَّةِ الْإِلْحَاحِ بِطَلَبِ التَّقْرِيطِ، وَلَوْفَرَةِ الْوَسَائِطِ.

وَقَدْ قُدِّمَتْ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ تَمْهِيدًا لِلْمُقَارَنَةِ بَيْنَ مَدَائِحِ عَصْرِ ابْنِ مُعِيَّةَ الَّتِي تَجِيءُ مُعْبَرَةً عَنْ وَاقِعِ الْمُدَوِّحِ وَبَيْنَ مَدَائِحِ عَصْرِنَا الَّتِي تَأْتِي جُزْأً لَاعْتِبَارَاتٍ خَاصَّةٍ وَدَوَافِعَ مَعْلُومَةٍ؛ وَلَكِنَّا إِذَا أَفْرَطْنَا بِالنِّثَاءِ عَلَى (ابْنِ مُعِيَّةَ) مَوْضُوعٍ بَحْثِنَا هَذَا فَقَدْ اعْتَمَدْنَا عَلَى أَقْوَالٍ مَتَرَجِّمِيَةٍ وَنَظَرَاتِهِمْ إِلَى هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْمَحْبُوبَةِ الَّتِي تَسْتَحِقُّ الْإِكْبَارَ

(١) فِي الْمَطْبُوعِ بِالضَّادِّ، وَالصُّوَابِ مَا أَثْبَتْنَاهُ. وَتَقْرِيطُ كِتَابٍ وَصَفَ مَزَايَاهُ.

القرن الثامن الهجري

والإجلال؛ فإنه عالمٌ فاضلٌ نحيرٌ وشاعرٌ أديبٌ وكاتبٌ بليغٌ وفقيهٌ متضلّعٌ ومؤلفٌ مثقنٌ ونقيبٌ جليلٌ، كانَ مَفْخَرَةً من مفاخرِ الحِلَّةِ عالِمًا صالحًا لودعيًا واسعَ الذكاءِ كثيرَ الروايةِ جيّدَ الحفظِ، عارِفًا بالأنسابِ مثقِنًا للعروضِ هو أبو عبد الله تاج الدين جعفر بن محمد ابن أبي جعفر القاسم بن الحسين بن مَعِيَّةِ الديباجي الحسني الحلبي، واشتهر بـ: ابن مَعِيَّةَ، وهي أُمُّ جدِّه الثاني عشر، وهي مَعِيَّةُ بنتُ مُحَمَّد بن جارية بن معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الكوفية الأنصارية، أمّا ابنُ مَعِيَّةَ فينتهي نسبُه الشريفُ إلى إسماعيل الديباج، وقد أثنى على صاحبِ هذه الترجمة كلُّ من كتبَ عن حياته ووصفوه بما يستحقُّه من أوصافِ المدحِ والثناءِ وفي مقدّمهم تلميذه البارُّ جمال الدين أحمد بن عليّ المتوفى سنة ٨٢٨ هـ صاحبُ كتاب (عمدة الطالب)؛ فقد تحدّث عن الديباجي ونقلَ لنا حديثه عن نفسه حيث يقول الديباجي: «لهجتُ بقول الشعر وأنا صبيٌّ فسمعَ والدي بذلك فاستدعاني، وقال يا جعفرُ قد سمعتُ أنّك تهذي بالشعر؛ فقل في هذه الشجرة حتى أسمعَ وكانت هناك شجرة نارنج فقلت ارتجالاً:

ودوحةٌ تدهشُ الأبصارَ ناضرةً تُريك في كلِّ غصنٍ جذوةَ النارِ
كأنما فصلتُ بالتّبر في حلٍّ خضرٍ تَمِيسُ بها قاماتُ أبكارِ
فاستدعاني وقبّلَ ما بينَ عيني وأمرَ لي بفرسٍ وثيابٍ ودراهمَ أمرَ بإحضارها في الحال، وهب لي ضيعةً من ضياعه، وقال يا بُني استكثرت من هذا؛ فإنّا نقصدُ دارَ الخلافةِ ومعناها من الخيلِ وغيرها وأنواعِ التكلُّفاتِ والهدايا، ومما لا يتمكّن من مثله، ويجيء ابنُ عامرٍ بدواته وقلمه فتقضي حوائجه قبلنا، ويرجعُ إلى الكوفةِ ونحنُ مقيمون ولمْ تُقْصَ لنا بعدُ حاجةٌ»^(١).

وبمثل هذه التشجيعات والتلطيفات تنمو الملكات العلمية والأدبية وأصبح

(١) عمدة الطالب: ١٦٥، أعيان الشيعة: ٤ / ١٨٤.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتَيْنِ

بتشجيع من أبيه من الشعراء المعدودين، ولكن لم تشغله مُزاولة الشعر عن تحصيله العلمي؛ فقد كان من العلماء المتقنين إلا أنه كثير المشايخ والأساتيد، وهذه حالتي أنا أيضاً فعند مكثي في مدرسة الشرباني في النجف الأشرف كنت أدرس عند أستاذ؛ فإذا لم أستفد منه أذهب إلى آخر، وقد لاحظت هذه الظاهرة الأديب السيد مسلم السيد حمود ابن بنت العالم فمأزحني بقوله:

يَا جَامِعاً دُرُوسُهُ أَحْرُفًا قَدْ عَادَ فِيهَا لَيْسَ بِالْمُسْتَفِيدِ
أَرَاكَ يَا رَبَّ النَّهْيِ وَالْعُلَا فِي كُلِّ يَوْمٍ لَكَ شَيْخٌ جَدِيدِ
فَأَجَبْتُهُ عَلَى سَبِيلِ الْمَزَاحِ أَيْضًا:

حَفِظْتُ دَرْسِي ثُمَّ حَرَرْتُهُ كَيْ لَا أُسَاوِيكَ فَلَمْ أَسْتَفِدْ
وَهَلِ بَرِّكَ الشَّيْخِ عَابٌ إِذَا لَمْ يَكْ شَيْخِي فَاصْلاً مُجْتَهِدٌ؟!
يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي قَدْ طَمَى لَكِنَّا أَغْنَيْ بِهِ (الْمُنْجَمُ)
هَجَوْتَنِي وَلَمْ أَكُنْ مُذْنِبًا فَصَحَّ فِيكَ الْقَوْلُ: حَرَّكَ تَجِدْ
وَالِدِيَّاجِي كَمَا كَانَ كَثِيرَ الْأَسَاتِيدِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الطَّلَبَةِ وَالتَّلَامِيذِ، لَهُ فَضَائِلُ
وَمَحَاسِنُ وَآثَارٌ جَدِيدَةٌ بِالاعتِبَارِ، وَقَدْ انْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمُ النَّسَبِ فِي زَمَانِهِ بِحَيْثُ تَفَوَّقَ عَلَى
كُلِّ مَنْ مَارَسَهُ.

آثَارُهُ

آثار ابن معيّة كثيرة منها كتاب (نهاية الطالب في نسب آل أبي طالب) ^(١)، وكتاب (الفلك المشحون في أنساب القبائل والبطنون) ^(٢)، وكتاب (معرفة الرجال)، وكتاب

(١) الذريعة: ٢٤ / ٤٠٠، معجم المؤلفين: ١١ / ١٣٨.

(٢) الذريعة: ١٦ / ٣١٣، الأعلام: ٥ / ٧.

القرن الثامن الهجري

(أخبار الأمم)^(١)، في (٢١) مجلداً، وكتاب (كشف الالتباس في نسب بني العباس)^(٢)، وكل هذه الكتب في علم النسب، وله كتاب (الابتهاج في علم الحساب)^(٣)، وكتاب (منهاج العمال وضبط الأعمال)^(٤).

وقد أضر آخر حياته، وكف بصره، ولكن بصيرته بقيت متوقدة نيرة؛ فقد نعمة البصر ولم يفقد نعمة البصيرة، قال فيه صاحب كتاب (عمدة الطالب): «شيخ المولى، العالم الحاسب، الساب، إليه انتهى علم النسب في زمانه، وإليه الأسانيد العالية والسماعات الشريفة، أدركته شيخاً، وخدمته قريباً من اثني عشرة سنة، قرأت عليه ما أمكن حديثاً، ونسباً، وفقهاً، وحساباً، وأدباً وتاريخاً، وشعراً، إلى غير ذلك»^(٥).

أما شعره فهذه بعض نماذجه:

يَعُزُّ عَلَى أَسْلَافِكُمْ يَا بَنِي الْعُلَا إِذَا نَالَ مِنْ أَعْرَاضِكُمْ شَتْمٌ شَتَائِمِ
بَنُوا لَكُمْ مَجْدَ الْحَيَاةِ فَمَا لَكُمْ أَسَأْتُمْ إِلَى تِلْكَ الْعِظَامِ الرَّمَائِمِ؟
أَرَى أَلْفَ بَانٍ لَا يَقُومُ بِهَادِمِ فَكَيْفَ بِيَانٍ خَلَقَهُ أَلْفُ هَادِمِ؟^(٦)
وَقَدْ أَعْجَبَنِي السَّاعَةُ تَشْطِيرُ هَذِهِ الْآيَاتِ فَقُلْتُ:

(يَعُزُّ عَلَى أَسْلَافِكُمْ يَا بَنِي الْعُلَا) إِذَا لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ فِي الْمَكَارِمِ
وَيُحْزِنُهُمْ جَدًّا وَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ (إِذَا نَالَ مِنْ أَعْرَاضِكُمْ شَتْمٌ شَتَائِمِ)
(بَنُوا لَكُمْ مَجْدَ الْحَيَاةِ فَمَا لَكُمْ) قَنِعْتُمْ بِمَجْدٍ تَالِدٍ مُتَقَادِمِ

(١) الأعلام: ٥/٧، ولم يتمه.

(٢) الذريعة: ٢١/١٨، إيضاح المكنون: ٣٥٧/٢.

(٣) موسوعة طبقات الفقهاء: ٢٢١/٨.

(٤) موسوعة طبقات الفقهاء: ٢٢١/٨.

(٥) عمدة الطالب: ١٦٩.

(٦) عمدة الطالب: ٢١٢، أمل الآمل: ٢/٢٩٥.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَكِيهِ فِي الْحَلْتَيْنِ

فَإِنْ لَمْ تَنَالُوا طَارِفًا بَعْدَ تَالِدٍ (أَسَأْتُمْ إِلَى تِلْكَ الْعِظَامِ الرَّمَائِمِ؟)
 (أَرَى أَلْفَ بَانَ لَا يَقُومُ بِهَادِمٍ) إِلَى أُسُسٍ مِنْ مَجْدِكُمْ وَدَعَائِمِ
 إِذَا أَلْفُ بَانَ سَعِيْهُمْ دُونَ هَادِمٍ (فَكَيْفَ بَانَ خَلْفَهُ أَلْفُ هَادِمٍ؟)
 وَمِنْ شِعْرِ الدِّيَابِجِيِّ فِي الْفَخْرِ وَالْحِمَاسَةِ:

مَلَكَتْ عِنَانَ الْفَضْلِ حَتَّى أَطَاعَنِي وَذَلَّلْتُ مِنْهُ الْجَامِحَ الْمُتَعَصِّبَا
 وَضَارَبْتُ عَنْ نَيْلِ الْمَعَالِي وَحَوَزَهَا بِسَيْفِي أَبْطَالَ الرَّجَالِ فَمَا تَبَا
 وَأَجْرَيْتُ فِي مِضْمَارٍ كُلِّ بِلَاغَةٍ جَوَادِي، فَحَازَ السَّبَقَ فِيهَا وَمَا كَبَا
 وَلَكِنَّ دَهْرِي جَامِحٌ عَنْ مَارِي وَنَجْمِي فِي بُرْجِ السَّعَادَةِ قَدْ خَبَا
 وَمَنْ غَالَبَ الْأَيَّامَ فِيمَا يَرُومُهُ تَيَقَّنَ أَنَّ الدَّهْرَ أَمْسَى مُغْلَبًا^(١)

وَيَتَرَجَّمُ ابْنُ مُعَيَّةٍ فِي أُنْيَاتِهِ عَنْ أَحَاسِيْسِهِ، وَمَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ سُمُوفٍ فِي النَّفْسِ وَعَمَّا لَدَيْهِ مِنْ هِمَّةٍ وَطُمُوحٍ وَاعْتِدَادٍ كَبِيرٍ؛ فَهُوَ يَشْتَكِي مِنْ مُعَاكِسَةِ الدَّهْرِ لِأَمَالِهِ وَرَغَائِيهِ، شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ كُلِّ شَرِيفٍ؛ فَهُوَ يَقَرُّرُ حُصُولَهُ عَلَى الْمُقَدَّمَاتِ وَيَأْسَفُ لِفَوَاتِ النَّتِيجَةِ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ النَّتِيجَةَ تَتَّبِعُ أَحْسَنَ الْمُقَدَّمَاتِ، وَلَا شَيْءٌ يُمَكِّنُ وَصْفُهُ بِالْحَسَةِ مِنْ صِفَاتِ هَذَا السَّيِّدِ الشَّرِيفِ النَّبِيلِ، وَقَدْ صَرََحَ أَنَّهُ مَلَكَ عِنَانَ الْفَضْلِ وَذَلَّلَ مِنْهُ كُلَّ جَامِحٍ، وَإِنَّهُ ضَارَبَ بِسَيْفِهِ أَبْطَالَ الرَّجَالِ فَمَا تَبَا سَيْفُهُ عَلَى طُولِ الضَّرَابِ عَنْ نَيْلِ مَعَالِيهِ وَحَوَزَهَا، وَأَنَّهُ أَجْرَى جَوَادَهُ فِي مِضْمَارِ كُلِّ بِلَاغَةٍ فَمَا كَبَا جَوَادُهُ فِي تِلْكَ الْمِضْمَارِ، وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ فَلَا بُدَّ أَنْ يُخْطِئَ بِالسَّعَادَةِ نَتِيجَةً لِهَذَا الْعَنَاءِ الطَّوِيلِ الْمُضْنِي؛ فَكَيْفَ كَانَتْ النَّتِيجَةُ أَنَّهُ يَحْدِثُنَا عَنْهَا بِأَنَّهَا جَاءَتْ مُعَاكِسَةً تَمَامًا لِأَمَالِهِ، وَأَنَّ الدَّهْرَ لَمْ يَسْعِفْهُ بِمَا يُرِيدُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ جَامِحًا عَنْ مَارِيهِ، وَأَنَّ نَجْمَ حَظِّهِ كَانَ خَائِبًا؛ وَيُعِلُّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

وَمَنْ غَالَبَ الْأَيَّامَ فِيمَا يَرُومُهُ تَيَقَّنَ أَنَّ الدَّهْرَ أَمْسَى مُغْلَبًا

(١) أمل الآمل: ٢/ ٢٩٥.

القرن الثامن الهجري

تعليلًا يريخ به نفسه القلقة فهو أقرب إلى التعلل منه إلى التعليل، ثم نراه بعد صراعه هذا مع الأيام يستسلم استسلام البطل الذي لا أمل له بنفع المقاومة يأكل قلبه الحزن ومرارة الهزيمة والخذلان، ويعلن هذا الاستسلام على المملأ بقوله: «ونجمي في برج السعادة قد حبا» وقوله: «ولكن دهرى جامع عن ماري»، وما أجدر أن يكون هذا الشعر من الشعر الوجداني المنتزع من صميم الحياة والواقع، إن ابن معيّة شاعر وابن شاعر نشأ في بيئة شعرية فلا عجب إذا أصبح من مبرزي الشعراء، وقد أورد الباحثون من شعر أبيه قوله:

وأهيف فاتر الأجفان أضحى يفوق الغصن لنا واعيدا
حكى قمر السماء بلا لثام وإن عطف اللثام حكى الهللا^(١)
ومن شعر والده أيضا:

ومن العجائب أن قلبي يشتكي ألم الفراق وأنتم بمكانه^(٢)
ولكننا نود أن نفق عند قوله لابنه: «يا بني استكثر من هذا فإننا نقصد دار الخلافة» إلى آخر الحديث؛ فقد صرح أن أشغاله لا تنقضي في دار الخلافة مع ما جلبه معه من نفائس الهدايا ويتقدمه ابن عامر بدواته وقلمه؛ لأنه شاعر، فإذا كان سبب تقديم ابن عامر هو الشعر فقد شاركه فيه أبو السيد تاج الدين وزاد عليه بما يقدمه من هدايا فلا بد أن يكون هناك سبب آخر لتعطيله في دار الخلافة وتقديم ابن عامر عليه؛ ولعل هذا التعطيل وثيق الصلة بالسياسة؛ ولكن ظاهر الرواية تدل على أن أبا السيد تاج الدين لا يعرف الشعر فطلب من ولده تعلم الشعر؛ ليتقدم في دار الخلافة، ولعله من باب التشجيع؛ وقد امتثل صاحب هذه الترجمة أمر أبيه فأكثر من نظم الشعر حيث كان

(١) البحار: ١٠٤/١٨٣، أعيان الشيعة: ٤٣٨/٨.

(٢) في البحار: ١٠٤/١٨٣ (وأنت سكانه).

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

سَمَحَ الْقَرِيحَةَ خَصَبَ الشَّاعِرِيَّةِ ذَا مَلَكَةٍ مُؤَاتِيَّةٍ، وَلَكِنَّ الْحَوَادِثَ لَمْ تُبْقِ لَنَا مِنْ شَعْرِهِ إِلَّا الْقَلِيلَ النَّادِرَ أَشْبَهُ بِقُوتِ الْأَرْمَلَةِ، وَمِنْ شَعْرِهِ الَّذِي تَمَرَّدَ عَلَى الْحَوَادِثِ قَوْلُهُ فِي الْحِكْمَةِ، وَفِيهِ الْاِقْتِبَاسُ:

أَحْسِنِ الْفِعْلَ لَا تَمُتْ بِأَصْلٍ إِنَّ بِالْفِعْلِ حِسَّةُ الْأَصْلِ تُوسَى
نَسَبُ الْمَرْءِ وَحَدَهُ لَيْسَ يُجْدِي إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى^(١)

النَّاهُونَ مِنْ آلِ مُعِيَّةَ

أَلْ مُعِيَّةَ أُسْرَةٌ حَسَنِيَّةٌ، شَرِيفَةُ النَّسَبِ، كَرِيمَةُ الْحَسَبِ، نَبَغَ مِنْهَا عِدَّةُ نَوَابِغَ فِي الْعِلْمِ الدِّينِيِّ فَقْهًا وَأُصُولًا وَحَدِيثًا، وَفِي الْأَدَبِ شِعْرًا وَكِتَابَةً، وَتَحَلَّى بَعْضُ أَفْرَادِهَا بِحِلْيَةِ النَّقَابَةِ وَالرَّئَاسَةِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ النَّاهِينَ أَبُو مُحَمَّدٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَكَانَ مَعْدُودًا مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمَتَفُوقِينَ فِي عَصْرِهِ، تَوَفَّى سَنَةَ ٦٨٠ هـ، وَهُوَ الْقَائِلُ:

أَسَرْتُ قَلْبِي الْأَسِيرَةَ لَهَا صِرْتُ فِي ذِكْرِهَا بِغَيْرِ خِلَافٍ
لَيْسَ بِالشَّعْرِ يَا مُعِيَّةَ تَحْطَى بِوَصَالٍ مِنَ الْغَوَانِي الْإِطَافِ^(٢)
وَمِنْهُمْ أَبُوهُ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّقِيبُ الَّذِي وَصَفَهُ صَاحِبُ كِتَابِ (أَمَلُ الْأَمَلِ) بِقَوْلِهِ: «عَالِمٌ جَلِيلٌ، يَرْوِي عَنْهُ ابْنُ أَخِيهِ الْقَاسِمُ بْنُ مُعِيَّةَ»^(٣) الْقَائِلُ:

أَلَمْ يَبْلُغْكَ شَأْنُ بَنِي حُسَيْنٍ وَفَرَّهْمُوا، وَمَا فَعَلَ (الْحُرُونُ)؟
فِيَا لِلَّهِ فِعْلٌ (أَبِي نُمَيٍّ) وَبَعْضُ الْفِعْلِ يُشَبِّهُهُ الْجُنُونُ
يَصُورُ بَارَبَعِينَ عَلَى مِئِينَ وَكَمْ مِنْ كَثْرَةِ طَلَبَتْ تَهُونُ
قَالَهَا فِي مَدْحِ (أَبِي نُمَيٍّ) فِي حَادِثَةٍ رَوَاهَا الْمُؤَرِّخُونَ، وَمِنْهُمْ صَاحِبُ كِتَابِ (أَعْيَانُ

(١) الكنى والألقاب: ٤١٦/١، أعيان الشيعة: ٤٠/١٠.

(٢) في أعيان الشيعة: ٣٩٢/٣ «الغواني الطراف».

(٣) أمل الأمل: ٥٥/٢.

القرن الثامن الهجري

الشيعة^(١)، وصاحب كتاب (عمدة الطالب)^(٢) فحواها:

إنَّ شريف مكة راجح بن قتادة ذهب إلى المدينة؛ ليستنجد أخواله من بني الحسين على ابن أخيه الحسن بن علي بن قتادة؛ فأنجدوه لغرض استعادة إمارته وذلك عام ٦٩٣ هـ؛ فلم يخرج من المدينة إلا وقد صحبه سبعمائة فارساً قصدوا مكة ومعهم الأمير عيسى الملقب ل (الحرون) وكان أشهر فارس في بني الحسين في يومه فلما بلغ الأمر أبا سعيد الحسن بن علي بن قتادة المذكور، وكان ابنه (أبو نمي) الذي توفي سنة ٧٠١ هـ في ينبع يتراوح سنه بين (١٨) عاماً و (١٧) عاماً أرسل إليه أبوه يطلب حضوره فخرج إليه في أربعين رجلاً، ولما التقوا برجال الحملة انهم جيش بني الحسين المؤلف من سبعمائة فارساً كما ذكرنا ورجع إلى المدينة، وهذه الحادثة هي التي أثارت فريضة عبد الله بن جعفر والد صاحب هذه الترجمة فنظم الأبيات النونية المذكورة على سبيل الفخر والحماسة متعصباً لقومه متباهياً بعشيرته؛ لأنَّ الهادح والممدوح ينتمي إلى قبيلة واحدة، وإذا تأمل المتأمل في هذه الحادثة فليس تعجزه معرفة الأسباب الواقعية للهزيمة هي غير قوة الأربعين فارساً وشدة بطشهم؛ وإنما هناك أمور أهم تكمن وراء الهزيمة؛ فإنَّ المستنجد والمستنجد عليه كلاهما من أسرة واحدة والخلاف لا يتجاوز الخلافات العائلية المؤقتة، خلاف بين عم وابن أخيه على رئاسة زمنية، أيهما يخطئ بها بقي فخرها في نفس الأسرة لم يخرج منها إلى أسرة غيرها؛ فإذا فرضنا أن بني الحسين قرروا الثبات والصدق في القتال فالحسارة خسارتهم أيما كانت سواء كانت في أصحاب راجح بن قتادة أو في أصحاب ابن أخيه الحسن بن علي بن قتادة؛ فكان خروج السبعمائة فارساً من باب تطيب النفس وجبر خاطر ورعاية المصاهرة لإمكان تسوية هذا الخلاف العائلي تسوية سليمة دون إراقة الدماء؛ ولأجل ذلك لم تر الحملة مبرراً للاستماتة في الحرب فانسحب أفرادها

(١) أعيان الشيعة: ٤ / ١٨٤.

(٢) عمدة الطالب: ١٤٣.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِرِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ

بِزِيٍّ مُنْكَسِرِينَ مَنْحَذِلِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْعُدْرِ فِي اسْتِجَابَتِهِمْ إِلَى نِدَاءِ الْمُسْتَنْجِدِ، وَلِهَذَا لَمْ تَذْكُرِ الرَّوَايَةَ أَنَّ قَتِيلًا وَاحِدًا قَدْ قُتِلَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الصُّورِيَّةِ لِأَسِيْمَا وَعَلَى رَأْسِ الْحَمْلَةِ بَطْلٌ عَظِيمٌ هُوَ (الْحُرُونُ) الَّذِي حَازَ هَذَا اللَّقَبَ؛ لِكَثْرَةِ مَا يَجْرُنُ إِذَا اسْتَحَرَّ الْحَرْبَ وَحَمَى الْوَطِيسَ؛ وَلَكِنَّهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ لَمْ يَجْرُنْ كِعَادَتِهِ الْأَمْرَ الَّذِي يَفْضُحُ هَذِهِ الْحَرْبَ الصُّورِيَّةَ وَيُوَيِّدُ السَّبَبَ الَّذِي أَوْضَحْنَاهُ، وَكَمَا أَنَّ الْحَرْبَ قَدْ وَقَعَتْ بَيْنَ عَمٍّ وَابْنِ أَخِيهِ؛ فَالْجُنُودُ الْمُقَاتِلُونَ أَبْنَاءُ الْحَسَنِ وَأَبْنَاءُ الْحُسَيْنِ هُمْ أَيْضًا أَبْنَاءُ عُمُومَةٍ؛ فَإِذَا جَدُّوْا فِي الْحَرْبِ فَالْخَسَارَةُ لَا تَنَالُ أَجْنَبِيًّا غَرِيبًا؛ وَلِهَذَا لَمْ تَذُرْ رَحَى الْحَرْبِ عَلَى قُطْبٍ مِنَ الْجَدِّيَّةِ وَالْوَاقِعِيَّةِ، وَإِلَّا فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَبَدًا أَنْ يَبْرَزَ لِكُلِّ حُسَيْنِيٍّ مِنَ الْأَرْبَعِينَ رَجُلًا نَحْوَ سَبْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا حُسَيْنِيٍّ مِنَ السَّبْعِمِائَةِ فَارِسًا وَفِيهِمْ مِثْلُ الْحُرُونِ؛ ثُمَّ لَا تَقَعُ إِصَابَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْجَانِيَيْنِ، وَكُلُّهُمْ فَوَارِسُ شُجْعَانٍ، وَالْمَعْرُوفُ عَنْ شَجَاعَةِ آلِ الْحُسَيْنِ أَكْثَرُ مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ شَجَاعَةِ آلِ الْحَسَنِ حَتَّى أَنَّ الثَّوَرَاتِ ضِدَّ الدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ كُلَّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا لَمْ تَوْجَّعْ لَطَافَهَا سِوَى السُّيُوفِ الْحُسَيْنِيَّةِ مُنْذُ اسْتِشْهَادِ الْإِمَامِ الثَّائِرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا أَجْدَرَنِي بِقَوْلِي الَّذِي أَقُولُ الْآنَ:

بَنِي الْحَسَنِ الْكَرَامَ لَكُمْ فَخَارٌ	وَلَكِنْ دُونَ أَبْنَاءِ الْحُسَيْنِ
فَلَمْ تَكُنِ الْإِمَامَةُ فِي بَنِيكُمْ	إِذَا فَكَّرْتُمْ فِي الْأُسْرَتَيْنِ
لَقَدْ كَانَتْ لَنَا حَقًّا صَرِيحًا	بِدُونِ تَعَسُّفٍ وَبِدُونِ مَيِّنٍ
فَمَنْ سَاوَاكُمْ يَأْقَوْمُ فِينَا	فَلَمْ أَرَهُ صَحِيحَ النَّاطِرِينَ
نَعَمْ لِلنَّجْمِ ضَوْءٌ لَيْسَ يَخْفَى	وَلَكِنْ دُونَ ضَوْءِ النَّيِّرِينَ
فَمِنْ عَزَمِ وَصَامٍ صَنِيعٍ	نُصُولُ عَلَى الْكُمَاةِ بِصَارِمِينَ
وَمَنْ يُنْكِرُ شَجَاعَتَنَا كَفَتْنَا	شَهَادَاتُ الْمُهَنْدِ وَالرَّادِينَ
نَمِدُّ إِلَى الْعُلَا بَاعًا طَوِيلًا	وَشَأْنُ خُصُومِنَا قَصْرُ الْيَدِينَ

القرن الثامن الهجري



وهل تحفى على أحد علانا؟ وقد ملأت فضاء المشرقين
 لقد ولّى منافسنا بغبن كما نقلوه عن حفي حنين
 رويدا يا بني عمي رويدا مخافة أن أقاضيكم بدين
 فإن كنتم هذي الناس عينا فأبناء الحسين ضياء عين
 وإن الله طهرنا جميعا من الرّجس الدّميم وكلّ شين
 لنا في المصطفى فخر عظيم وهل كالمصطفى في الخافقين؟
 ويُنمينا (عليّ) للمعالي وكفينا علّا بأيّ الحسين
 ولو أمسى يفاخرنا سواكم لأرجعناه دامي المقلتين
 ولستم تجهلون علاء قومي وقد شادوه فوق الفرقدين

وعن تاج الدين بن معيّة الديباجي يروي الشيخ زين الدين جعفر بن عليّ بن
 يوسف بن عروة الحليّ المنعوت في كتاب (أمل الأمل) بالفاضل الفقيه الصّالح^(١)،
 كما يروي عن ابن معيّة الشّيع الشّهد الذي لم يكتّم إعجابه به فلقبه بأعجوبة الزّمان،
 ويروي عنه تلميذه صاحب كتاب (عمدة الطالب)، ويروي هو عن العلامة الحليّ، وابنه
 فخر المحقّقين والعميديّ، والشيخ رضيّ الدين الآويّ، والسيد عليّ بن عبد الحميد
 الحسيني السّابة، كما يروي عن أبيه السيّد جلال الدين أبي جعفر القاسم بن الحسين
 وغيرهم^(٢).

وفاته

توفي رحمه الله في الحلة سنة ٧٧٦هـ؛ ثمّ نُقل جثمانه الطّاهر^(٣) إلى النّجف الأشرف،
 ومن المحتمل أنّه عمّر نحوًا من سبعين سنة حمل خلالها مشعل الهداية والإصلاح،

(١) عمدة الطالب: ١٤٣.

(٢) موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ٢١٩-٢٢١.

(٣) موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ٢١٩.

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفِكْرِي فِي الْحِلَّةِ

فَأَنَارَ دَرْبَ الْمَجْدِ لِلسَّالِكِينَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ تَاجَ الدِّينِ كَانَ مِنْ أَعْلَامِ النَّهْضَةِ الْفِكْرِيَّةِ فِي عَصْرِهِ؛ أَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ اسْتَحَالَتْ تِلْكَ الْجَذْوَةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي الْحِلَّةِ إِلَى حَفْنَةٍ مِنْ رَمَادٍ، وَذَهَبَتْ تِلْكَ الْمَدَارِسُ الْعِلْمِيَّةُ الْكَثِيرَةُ؛ لَتَقُومَ مَقَامَهَا أَوْكَارُ الرَّذِيلَةِ مِنْ حَانَاتِ الْحُمُورِ وَأُنْدِيَةِ الْقَهَّارِ، وَالْأَمَلُ وَطِيدٌ بِالْمُصْلِحِينَ وَبِالشَّبَابِ الْغَيُورِ عَلَى أَعْجَادِهِ وَتُرَاثِهِ الْإِنْسَانِيِّ أَنْ يَكْافِحَ فِي سَبِيلِ إِعَادَةِ ذَلِكَ الْمَجْدِ التَّلِيدِ.

٦٧. النَّدِيمُ الصُّوفِيُّ^(١) [تُوفِّيَ بَعْدَ ٦٨٧ هـ]^(٢)

هُوَ عَفِيفُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانِ الْعَطَاوِيِّ الشَّهِيرِ بِالنَّدِيمِ الصُّوفِيِّ مِنْ أَعْيَانِ الْحِلَّةِ وَوُجُوهِهَا، رَقِيقُ الطَّبْعِ حَسَنُ السَّجَايَا، خَفِيفُ الدَّمِ حَسَنُ الْمُعَاشَرَةِ، وَإِذَا صَحَّ الْقَوْلُ بِوُجُودِ نَوْعٍ بَيْنَ أَخْلَاقِ الْإِنْسَانِ وَخِلْفَتِهِ فَبِمَكَانِنَا عَلَى ضَوْءِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَبِيبَةِ أَنْ نَتَصَوَّرَ صَاحِبَ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ رَجُلًا مَعْتَدِلَ الْقَامَةِ، أَفْنَى الْأَنْفِ، أَدْعَجَ الْعَيْنِ، قُرْمُزِيَّ الشَّفَتَيْنِ، أَسِيلَ الْحَدِيدِ، أَرْجَّ الْحَاجِبِينَ، لَدُنَ الْقَوَامِ، مُفْلَجَ الثَّغْرِ، بَهِيَّ الطَّلَعَةِ، كَامِلَ الرُّجُولَةِ، سَاحِرَ الْجَمَالِ.

هُوَ مِنْ أَوْلَئِكَ الْأَفْذَاذِ الْقَلَائِلِ الَّذِينَ مَاتُوا بَعْدَ أَنْ أَحْيَا مَجْدَ الْحِلَّةِ وَذَكَرَهَا، وَلَمْ يَكُنْ تَارِيخُ هَذَا الرَّجُلِ الْجَلِيلِ سِوَى سَجَلٍ حَافِلٍ بِالْحُنُكَةِ وَالذِّكَاةِ النَّادِرِ، وَجَلَائِلِ الْأَعْمَالِ، نَادِمَ الْأَعْيَانِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْأَكَابِرِ، فَكَانَ مَوْضِعَ احْتِرَامِهِمْ وَتَقْدِيرِهِمْ، يَكَادُ يَقْطُرُ رِقَّةً وَظَرَفَةً، وَقَدْ دَاعَبَهُ السَّيِّدُ النَّقِيبُ الْفَاضِلُ صَفِيُّ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّقْطَقِيُّ سَنَةَ ٦٨٧ هـ بِأَبْيَاتٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُتْقَارِبِ مِنْهَا:

أَلَا مَا أَقَلَّ وَفَاءِ الْعَفِيفِ وَأَكْثَرَ هُجْرَانِهِ وَالصُّدُودَا
لَقَدْ كَانَ فِي الْوَدِّ خِلًّا وَدُودًا فَصَارَ - وَحَاشَاهُ - خَلًّا وَدُودَا

(١) ترجمته في: أعيان الشيعة: ٩ / ١٤٠.

(٢) تخميناً لا تحقيقاً.

القرن الثامن الهجري

وَكُنَّا نَرَى أَنَّ لُقْيَانَهُ قَرِيبًا، فَصَرْنَا نَرَاهُ بَعِيدًا^(١)
وبهذه المناسبة حدثت لي مُدَاعِبَةٌ شَبِيهَةٌ بِهَذِهِ؛ فَقَدْ كَانَ لِي صَدِيقٌ بِمُدِيرَةِ مَعَارِفِ
الْحِلَّةِ يَكْنَى بـ: أَبِي وَدُودٍ وَكُنْتُ أُدَاعِبُهُ فَأَقُولُ لَهُ إِنَّ وَادٍ وَدُودٍ وَأَوَّ عَطْفٍ فَكَانَ يَقُولُ
لِي لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ هَذَا التَّحْرِيفَ لَمَا سَمَّيْتُ وَلَدِي بِ(ودود)، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ أُطْلَعَ عَلَى
مُحَازَاةِ النَّقِيبِ لِصَاحِبِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ الَّذِي كَانَ بِحَقِّ نَادِرَةٍ زَمَانِهِ.

وقد مَالَ عَفِيفُ الدِّينِ إِلَى التَّصَوُّفِ وَمَا يَسْتَلْزِمُهُ مِنْ رِيَاضَةِ نَفْسِيَّةٍ، وَوَقَارٍ
وَانْزَوَاءٍ، وَزُهْدٍ، وَمِثْلُ هَذِهِ الصِّفَاتِ تَتَجَافَى وَظَرَفَةٌ عَفِيفِ الدِّينِ وَخَفَّةُ ظِلِّهِ،
وَمَا تَتَطَلَّبُهُ الظَّرْفَةُ أَغْلَبَ الْأَحْيَانِ مِنَ اللَّهْوِ وَالْبَطَالَةِ وَقَوْلِ الْبَاطِلِ؛ وَلَكِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ
هَذَيْنِ الْمُتَنَاقِضَيْنِ وَلِلَّهِ خَرَقُ الْعَادَاتِ.

يُعَرَفُ عَفِيفُ الدِّينِ بـ: الْعَطَاوِيِّ الْحَلِّيِّ، أَوْ بـ(الْعَطَاوِيِّ) بِدُونِ إِضَافَةِ (الْحَلِّيِّ)،
وَيَشْتَرِكُ مَعَهُ بِهَذِهِ النِّسْبَةِ رَجُلٌ آخَرُ؛ فَيُقَالُ لَهُ الْعَطَاوِيُّ أَيْضًا، وَهُوَ الشَّيْخُ خَلْفُ بْنُ
مُحَمَّدِ بْنِ حَرْدَانَ الْعَطَاوِيِّ الْحَلِّيِّ^(٢) قِيلَ إِنَّهُ عَالِمٌ فَاضِلٌ مِنْ تَلَامِذَةِ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ آغا مُحَمَّدِ
بَاقِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَكْمَلَ الْوَحِيدِ الْبُهْبَهَائِيِّ الْمَوْلُودِ سَنَةَ ١١١٨ هـ فِي (أَجَان)، وَالْمُنْتَقِلِ إِلَى
كَرْبَلَاءَ الْمُشْرِفَةِ حَتَّى تَوَفِّيَ فِيهَا سَنَةَ ١٢٠٨ هـ، وَبِهَا دُفِنَ وَقَدْ حَصَلَ عَلَى لَقَبِ (مُجَدِّدُ
الْمَذْهَبِ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ)، وَكَانَ مِنْ تَلَامِذَتِهِ الشَّيْخُ خَلْفُ الْمَذْكُورِ، وَالْعَطَاوِيُّ نِسْبَةُ
إِلَى (أَلْبُو عَطَا)، وَمِنْ مَآثِرِ الْمُرْجَمِ لَهُ كِتَابُ (تَسْلِيَةِ الْعَالَمِ فِي شَرْحِ الْمَعَالِمِ)^(٣) يَعْنِي شَرْحَ

(١) أعيان الشيعة: ١٤٠ / ٩، وتتممة الابيات:

وأصبح حبل مودّاته ضعيفًا وكان شديداً وكيدا

(٢) ترجمته في: أعيان الشيعة: ٦ / ٣٣٤ الكرام البررة: ٢ / ٥٠٣ الرقم ٩٢٤، الذريعة: ٤ / ١٧٨،
وفي: أعيان الشيعة: ٦ / ٣٣٤، وموسوعة طبقات الفقهاء: ١٣ / ٧١٨ (الغطاوي). وفي ترجمة
النديم الصوفي قال في أعيان الشيعة: ٩ / ١٤٠ (القطاوي). والصواب: العطايي؛ لأن النسبة
لآل العطا موجودة كثيرة، وقد أكدها المصنّف السيّد هادي كمال الدّين رحمته الله.

(٣) الذريعة: ٤ / ١٧٨.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحِلَّةِ

كِتَاب (مَعَالِمُ الْأُصُولِ)، وَهُوَ كِتَابٌ مِنْهَجِيٌّ لِطَلَبَةِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ طَالِبُ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ تَأْنِي قِرَاءَتُهُ بَعْدَ دِرَاسَةِ الْمُنْطِقِ، وَهُوَ كِتَابٌ قِيمٌ جَلِيلٌ وَتَعْبِيرُهُ عَرَبِيٌّ لَمْ تُشْنِهُ التَّرَاكِبُ الْأَعْجَمِيَّةُ الَّتِي نَجَدُهَا فِي مِثْلِ كِتَابِ (كِفَايَةُ الْأُصُولِ) لِلْأَخْنَدِ^(١) قَلَّ نَظِيرُهُ فِي سِلْسَلَةِ الْمَنْهَجِ الدِّرَاسِيِّ الدِّينِيِّ.

٦٨. مُفِيدُ الدِّينِ ابْنُ جَهْمٍ^(٢) (....-٧٢٦هـ)^(٣)

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جَهْمٍ الْأَسَدِيِّ الْحِلِّيِّ لَقَبُهُ مُفِيدُ الدِّينِ، وَكُنْيَتُهُ: أَبُو الْقَاسِمِ، وَبِعَبْرٍ عَنْهُ بِكُتُبِ الْإِجَازَاتِ^(٤) وَغَيْرِهَا؛ بِالْمُفِيدِ ابْنِ جَهْمٍ، مِنْ تَلَامِذَةِ الْمُحَقِّقِ الْحِلِّيِّ، وَهُوَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ عَنَاهُمَا نَجَمُ الدِّينِ الْمُحَقِّقُ الْحِلِّيُّ حِينَ سُئِلَ عَنْ أَعْلَمِ عُلَمَاءِ الْحِلَّةِ؛ فَقَالَ: «وَهَذَانِ أَعْلَمُ الْجَمَاعَةِ بِعِلْمِ الْكَلَامِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ»^(٥)، كَانَ مُفِيدُ الدِّينِ مِنْ أَشْهَرِ مَشَاهِيرِ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ، وَأَعْلَمِهِمْ بَعْدَ أَسَاتِذِهِ الْمُحَقِّقِ وَتَلْمِيزِهِ الْعَلَامَةِ الْحِلِّيِّ،

(١) وَتَكْتَبُ هَكَذَا: (الْأَخُونْد).

(٢) يُنْظَرُ: النِّهَايَةُ وَنَكْتَهَا: ١/ ١٥٠، رِیَاضُ الْمَسَائِلِ: ٢/ ٧٠، خَاتَمَةُ الْمُسْتَدْرَكِ: ٣/ ٣٥٨، مُسْتَدْرَكُ سَفِينَةِ الْبَحَارِ: ٨/ ٣٥١، الْكُنَى وَالْأَلْقَاب: ٣/ ٢٠٠، قَبِيلَةُ بَنِي أَسَدَ بْنِ خَزِيمَةَ: ٥/ ٨٦، بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ١٠٧/ ٦٤، إِجَازَةُ الْعَلَامَةِ الْحِلِّيِّ لِبَنِي زَهْرَةَ، الْأَنْوَارُ السَّاطِعَةُ: ١٥٥، طَبَقَاتُ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ: ٣-١٥٥، مَعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ: ١٥-١٨٢ الرَّقْمُ ١٠٤١٨. وَقَدْ سَمَّاهُ فِي مَوْسُوعَةِ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٧/ ٢٣٤ بـ (ابْنُ جَهِيم).

(٣) فِي مَوْسُوعَةِ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ: ٧/ ٢٣٤، إِنَّ وَفَاتِهِ ٦٨٠ هـ وَهُوَ الرَّاجِحُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ لَا كُوَّ عِنْدَمَا أُرْسِلَ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيَّ فِي سَنَةِ ٦٥٦ هـ أَوْ بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ فُقَهَاؤُهَا، فَأَشَارَ إِلَى الْمُحَقِّقِ جَعْفَرِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدٍ، وَسَأَلَ: مَنْ أَعْلَمُ هَذِهِ الْجَمَاعَةَ بِالْأُصُولَيْنِ؟ فَأَشَارَ إِلَى سَدِيدِ الدِّينِ وَإِلَى الْفَقِيهِ مُفِيدِ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنِ جَهِيمٍ، فَقَالَ: هَذَا أَعْلَمُ الْجَمَاعَةَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ. فَإِذَا كَانَ فِي تِلْكَ الْمَدَّةِ عَالِمًا فَقِيهًا بِالْأُصُولَيْنِ وَمِنْ جِيلِ سَدِيدِ الدِّينِ الَّذِي تَوَفَّى حُدُودَ ٦٦٥ هـ فَمِنْ الْمَرْجَّحِ أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ مُقَارِبَةً لَهُ عَلَى الْأَقْل.

(٤) يُنْظَرُ: إِجَازَةُ الْعَلَامَةِ الْحِلِّيِّ لِبَنِي زَهْرَةَ، وَغَيْرِهَا.

(٥) يُنْظَرُ: الْكُنَى وَالْأَلْقَاب: ٣/ ٢٠٠.

القرن الثامن الهجري

وولده فخر المحققين، تبحر بعلم النحو حتى كان من أساطينه ودرس علم الصرف، والمعاني، والبيان، والبدیع، والعروض حتى أتقنها وأتقن علم الحديث والتفسير، وتخصّص بعلم الكلام وأصول الفقه، وتفوّق فيهما حتى كان من شرف القدر وجلالة المنزلة ما جعله في الصف الأول من فقهاء الحلة حتى يميّزه المحقق بعلم الكلام وأصول الفقه على كافّة علماء الحلة الذي يفوق عددهم الحضر، وكفاه فخرًا ورفعة شأن أن يكون العلامة الحليّ - أعلى الله مقامه - من جملة طلبته ومثل غياث الدين أبي المظفر عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس من بعض تلاميذه، قال فيه صاحب كتاب (الفوائد الرضوية): «الشيخ مفيد الدين عالم فاضل، جليل شاعر، وجيه أديب علامة، شيخ فقهاء الحلة، وأحد المشايخ الأجلّة»^(١).

يروي رحمته الله عن السيد فخر، وعن أستاذه المحقق، وعن بعض أشياخ المحقق كعماد الدين بن معدّ الموسوي، كما يروي عن مفيد الدين جماعة منهم العلامة الحليّ - أعلى الله مقامه -^(٢).

يقال إن مفيد الدين توفي سنة ٧٢٦هـ؛ فإذا صحّ ذلك فيكون هو وتلميذه العلامة الحليّ قد توفيا في عام واحد^(٣)، والله أعلم.

(١) الفوائد الرضوية: ٤٥٠.

(٢) يُنظر: رجال ابن داود: ٨، معجم رجال الحديث: ١٥/ ١٨٢، الرقم ١٠٤١٨.

(٣) يُنظر: رجال ابن داود: ٨، مجمع الآداب في معجم الألقاب: ٥/ ٤٤٣، الرقم ٥٧٥٧، أمل

الآمل: ٢/ ٢٥٣، رياض العلماء: ٥/ ٥١، الكنى والألقاب: ٣/ ٢٠٠، الفوائد الرضوية: ٤٥٠،

طبقات أعلام الشيعة: ٣/ ١٥٥، معجم رجال الحديث: ١٥/ ١٨٢، الرقم ١٠٤١٨.



الفهرست الفئتي





فَهْرَسُ الْآيَاتِ

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾	البقرة	٤٤	٢٩٣
﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى...﴾	البقرة	٥٧	٢٠٩
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ...﴾	البقرة	٦٧	٩٥
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ...﴾	البقرة	١٥٦	٣٦٠
﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾	البقرة	١٧٣	٢٤٤
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾	البقرة	١٨٥	٨٨
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ...﴾	البقرة	١٨٨	٢٤٢
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾	البقرة	١٩٣	٩١
﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ...﴾	البقرة	١٩٤	٢٤٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾	البقرة	٢٠٨	٢٤٤، ٩٠
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهَا...﴾	البقرة	٢١٩	٢٤٤
﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾	البقرة	٢٣٧	٢١٢
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾	البقرة	٢٥٦	٨٨
﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾	البقرة	٢٧٥	٢٤٤
﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾	البقرة	٢٧٦	٢٤٤

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

٢٤٢	٢٨٠	البقرة	﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾
٢٤١	٦١	آل عمران	﴿لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾
٣٩٨	٦٤	آل عمران	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ...﴾
٣٩٨، ٣٤٧، ٢٤١	١٠٣	آل عمران	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾
٢٤١	١٠٤	آل عمران	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ...﴾
٢٤١	١٣٩	آل عمران	﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾
٢٤١	١٤٤	آل عمران	﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾
٢٤٢	١٥٩	آل عمران	﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾
٢٤٤	١٥٩	آل عمران	﴿وَسَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾
١٠٣	٧	النساء	﴿لَلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ...﴾
١٠٤	٢٤	النساء	﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾
٢٤٣	٥٨	النساء	﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾
١٠٨	٥٩	النساء	﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾
٢٤٢	١١٣	النساء	﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا...﴾
٩٢، ٩١	٢	المائدة	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى...﴾
١٠١	٥	المائدة	﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾
٣٥٣	٣٨	المائدة	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾
٢٣٧	٥٥	المائدة	﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...﴾
٣٨٣	٦٤	المائدة	﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾
١٠٤	٨٧	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ...﴾

الفهرس الفئتي



٩٤	١٠١	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ...﴾
٨٨	١٠٥	المائدة	﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾
٢٤٣	١٣٢	الأنعام	﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّا عَمِلُوا﴾
٢٧١، ٢٤٣	١٦٤	الأنعام	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾
٢٤٥	١٢	الأعراف	﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾
٢٤١	٧٩	الأعراف	﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾
٢٤٤	٦٠	الأنفال	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾
٢٣٧	١٧	التوبة	﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾
١٠١	٢٨	التوبة	﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾
٩٣	٦٠	التوبة	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ...﴾
٣٥٩	١٠١	التوبة	﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾
٩٣	١٠٥	التوبة	﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾
٢٤١	١١٩	التوبة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا...﴾
٧٥	١٢٢	التوبة	﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾
٩٣	٢٦	يونس	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾
١٦٦	٣٦	يونس	﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾
٢٤٢، ١٦٦	٣٦	يونس	﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي...﴾
٢٥٢، ١٠٢	١١٣	هود	﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾
٣٨٤	٢١	يوسف	﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾
٢٣٣	١٧	الرعد	﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ



﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾	الرعد	٣٩	٣٨٤
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ...﴾	النحل	١٢٥	٨٩
﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	النحل	٤٣	٩٣، ٨٤
﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾	الإسراء	٣٢	٢٤٤
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾	الإسراء	٣٦	٢٤٣
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ...﴾	الإسراء	٧٠	٩٢
﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾	الإسراء	٨٤	٨٨
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَذُّعُهُمْ أَرْأَى﴾	مريم	٨٣	٢١١
﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ...﴾	الحج	٧٨	٨٨
﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا...﴾	النور	٢	٣٥٢
﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾	الشعراء	١٨١-١٨٣	٢٤٣
﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾	النمل	١٦	٣٧٦، ١٠٠
﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ...﴾	القصص	٧٧	٩٣
﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾	الروم	٤٤	٢٥٢
﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾	لقمان	١٧	٣٤١
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾	الأحزاب	٣٣	٣٦١
﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾	الأحزاب	٣٥	٨٩
﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الزمر	٩	٣٥٧، ٢٤٠
﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾	الشورى	٢٣	٣٦١
﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ﴾	محمد	٣٨	٢٤٤

الفهرس الفئتي



٢٤٥	١٠	الحجرات	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾
١٦٦	١٢	الحجرات	﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾
٢٤٠	١٣	الحجرات	﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾
٢٤٢	٣٧	ق	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ...﴾
٩٣	٤٠-٣٩	النجم	﴿لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى...﴾
٢٤٣	٦٠	الرحمن	﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾
٣٩٢	٢٢	المجادلة	﴿لَا تَحِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
١٢٢	٧	الحشر	﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ...﴾
٢٤٣، ٩٣	٩	الحشر	﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾
٢٤٢	٤	المنافقون	﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ...﴾
٢٤٣، ١٢٥، ٩٣	١٥	الملك	﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ...﴾
٣٥٠	٧	الإنسان	﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾
١٢٩	٣٠-٢٧	الفجر	﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ...﴾
٢٤٤	١٠	الضحى	﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾
٨٨	٦	الكافرون	﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

فَهْرَسُ الْأَحَادِيثِ

الصفحة	القائل	الحديث الشريف
٣٤٨	الرسول الأكرم ﷺ	«أتوني بدواةٍ وقرطاسٍ...»
٩١	الرسول الأكرم ﷺ	«أحسن إلى من أساء إليك»
٩٠	الرسول الأكرم ﷺ	«ادروا السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ»
٣٤٩	الرسول الأكرم ﷺ	«ادعي لي أبالك وأخاك حتى أكتب...»
٢٤٠	الرسول الأكرم ﷺ	«اطلبوا العِلْمَ من المهدِ إلى اللحدِ»
٩٢	الإمام عليّ عليه السلام	«اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا...»
٩٤	الرسول الأكرم ﷺ	«إن الله كتب عليكم الحجَّ»
٢٤٦	الإمام الصادق عليه السلام	«إن الثَّواب على قدر العقل»
١٠٢	الرسول الأكرم ﷺ	«إن الصلاةَ جائزةٌ خلفَ البرِّ والفاجر»
٢٤١	الرسول الأكرم ﷺ	«إنَّ العِزَّةَ لله وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ»
٩٢	الرسول الأكرم ﷺ	«إنَّا بُعثت لأُتمِّم مكارمَ الأخلاق»
٩١	الرسول الأكرم ﷺ	«بني الإسلام على النظافة»
٩١	الرسول الأكرم ﷺ	«تنظفوا بكلِّ ما استطعتم»
٨٩	الرسول الأكرم ﷺ	«الجنة تحت أقدام الأمَّهات»
٩١	الرسول الأكرم ﷺ	«حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ»

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتِ



الحكمة ضالة المؤمن	الرسول الأكرم ﷺ	٣٣٠
«ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة...»	الرسول الأكرم ﷺ	٩٩
«سلوني قبل أن تفقدوني»	الإمام علي عليه السلام	٣٥٠
«صل فيه، ولا تغسله من ذلك...»	الإمام الصادق عليه السلام	٧٨
«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»	الرسول الأكرم ﷺ	٢٩٤، ٢٤٠، ٨٩
«فما فداك في واحدة منها مالك ولا حسبك»	الإمام علي عليه السلام	١٣٧
«القضاء ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار...»	الرسول الأكرم ﷺ	٢٦٣
«كان لي كما كنت لرسول الله»	الإمام علي عليه السلام	٢٩١
«كتاب ربكم فيكم مبيئاً حلاله وحرامه...»	الإمام علي عليه السلام	١٠٩
«كل شيء لك حلال حتى تعرف أنه حرام»	الإمام الصادق عليه السلام	٧٩
«كل شيء نظيف حتى تعلم إنه قدر»	الإمام الصادق عليه السلام	٧٩
«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»	الرسول الأكرم ﷺ	٢٤٠
«كلكم من آدم وآدم من تراب»	الرسول الأكرم ﷺ	٢٤٠
«كونوا أحراراً في دنياكم»	الإمام الحسين عليه السلام	٢٤٠
«لا تأكله»	الإمام الصادق عليه السلام	١٠٢
«لا تنقض اليقين بالشك»	الإمام الصادق عليه السلام	٧٧
«لا يترك الميسور بالمعسور»	الرسول الأكرم ﷺ	٥٤
«لا زلت مؤيداً بروح القدس يا هشام»	الإمام الصادق عليه السلام	١١٧
«لما حضر الإمام الحسن بن علي عليه السلام الوفاة»	الإمام الباقر عليه السلام	١٠١
«ليس ينبغي لك أن تنقض اليقين...»	الإمام علي عليه السلام	٩٨

الفهرس الفئتي



٧٩	الإمام الصادق عليه السلام	«الماء كله طاهر حتى تعلم أنه قذر»
٢٥٤، ٩١	الرسول الأكرم عليه السلام	«المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ»
٧٦	الرسول الأكرم عليه السلام	«من أكل لقمة سمينية نزل من الداء...»
٢٤٠، ٩١	الرسول الأكرم عليه السلام	«النظافة من الإيمان»
٣٧٥	الرسول الأكرم عليه السلام	«والذي بعثني بالحق نبياً ما اخترتك إلا لنفسي...»
٩٤	الرسول الأكرم عليه السلام	«ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم...»
١٠١	الإمام الحسن عليه السلام	«يا أخي إنني أوصيك بوصية فاحفظها...»
٦٢	الرسول الأكرم عليه السلام	«يجري فيكم ما جرى في الأمم السابقة...»

فَهْرَسُ الْفَنَيْنِ



فَهْرَسُ الْمُعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

الصفحة	اسم المعصوم
٢٢، ٦٣، ٧٥، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٢، ١١٣، ١١٧، ١٢٤، ١٣٩، ٢٠٠، ٢١٢، ٢١٩، ٢٣٥، ٢٥٤، ٢٥٥، ٣٢٨، ٣٣٠، ٤٠٨، ٣٧٦، ٣٥٩، ٣٥١	النبي الأكرم محمد ﷺ
٥٤، ٥٩، ٦٢، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٨٥، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٩، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٣٧، ١٤٥، ٢١١، ٢١٩، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٥٠، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٠١، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٩٤، ٣٥٥	الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
١٠١، ١٠٥، ٣٤٩، ٣٧٦	فاطمة الزهراء عليها السلام
٩٣	الإمام الحسن بن علي عليه السلام
٧، ٥٤، ٢٥٨، ٢٨٣، ٣٠٢، ٣٨٠، ٤٤٨	الإمام الحسين بن علي عليه السلام
٢٨٤، ٣٧٠، ٣٨٦	الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام
١٠٩، ١١٤، ١١٥	الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام
٧٨، ٧٩، ٩١، ١٠٩، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١٦١، ٢٤٦، ٢٥٤	الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَقَطْوُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ



الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام	١٦٤، ١٦٢، ٩٢
الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام	٢٤٨، ١٦٢
الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام	١٦٤، ١٣٨
الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام	١٦٢
الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام	٣٥١، ١٦٢، ١١٤
الإمام الحجة المهديّ عليه السلام	٣٤٥، ٢٨١، ١٢٢

فَهْرَسُ الْأَعْلَامِ

٣٠٨	ابن البرّاج الطرابلسي	(حرف الألف)	
٢١٠	ابن البزوني	١١٠	الآخوند
٤٢٩، ٢٣٢، ٧٢	ابن بطريق الأسدي	١٩، ٢٠، ٢٧، ٤١،	آغا بزرك الطهراني
١٤٥	ابن بطوطة	٣١٦، ٣١٥، ١٥٢، ٧٦، ٧٤، ٥٥، ٥٣	
٣٧٦، ٣٥٨، ٣٥١، ٣٤٦، ١٠٠	ابن تيمية	٤٢٠، ٤١٦	
٦٦	ابن جبير	٧٩	الأمدي
١٩١	ابن أبي جمهور الأحسائي	٦٣	إبراهيم عليه السلام ، النبي
٣٦٥	ابن الحاجب	٢٨٧	إبراهيم بن حسام ابن أبي الغيث
٣٩٧، ٣٥٥، ٦٠	ابن حجر العسقلاني	٣٦١	إبراهيم الراوي الرفاعي
٢٢٦	ابن الحريري	٨٦	إبراهيم بن عثمان الغزي
٨٣	ابن حزم	٣٥٢	إبراهيم بن محمد البصري
٤٢٨، ٢٧٣، ١٧٦	ابن حميدة النحوي	٦٠	إبراهيم بن محمد الحموي
٦٠	ابن حنبل	٣٨٨، ١٣٨	إبراهيم محمد بن علي = الأشر
١٥٧	ابن الخازن الحائري	٨٢، ٨١	إبراهيم النخعي
٣٦٧	ابن أبي خلف الأشعري	٦١	أبرهة الأشرم
٢٧٣	ابن الدبّاغ	٢٩٨	ابن الأبرار الحسيني
١٧٨	ابن الديبشي	٤٠٠، ٣٠٦	ابن الأثير
٤٢٩، ٢٨٩، ٢٨٨، ٢٣٤	ابن الدري	١٣٧	ابن الأشعث
٢٧٧	ابن الرضا العلوي	٢٧٣	ابن الأنباري
٢٢٢، ١٦٥	ابن رطبة السورايي	٢٧٣	ابن أيوب

فَهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْخُلَتَاءِ

ابن الرومي	١٣٦	ابن المغازلي	٦٠
ابن زياد	٢٩٢	ابن منعة	٢٢١
ابن السكوني	٢٣٠	ابن نباتة	٤٠٠
ابن سرايا	٤٤٠	ابن النجار	٢٣٠، ٢١٠، ١٨١، ٦٨
ابن سيده	٦١	ابن نجدة	٣١٤
ابن سينا	٣٤٤، ٣٤٠	ابن هبيرة الوزير	١٧٨
ابن شاعر الكتبي	٢٦٧	ابن أبي الهيجاء	١٨٠
ابن شهر آشوب المازندراني	١٤٦	ابن وشاح الشيباني	٢٣٤
ابن العرنس	٤٨	أبو إبراهيم الحلبي	٢٩٧
ابن العصار	٢٣٠	أبو أخزم الطائي	٢٢٥
ابن عامر	٤٤٥	أبو إسحاق الشيرازي	٢٤٩
ابن عباس علي بن أبي علي القطيعي	١٨١	أبو إسماعيل الكوفي	٨١
ابن عباس	٣٥٠، ٣٤٨، ١٠٣	أبو البركات	٣٨٨، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥
ابن عبيد البندنجي	٢٧٣	أبو بكر = الخليفة الأول	٨٤، ١٠٠
ابن عقيل التاجر	٤٢٩		١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١١٨، ٢١١، ١٢١، ٣٤٨
ابن عنبه = صاحب كتاب عمدة الطالب	٤٤٩، ٢٣٥، ١٩٤		٣٧٥، ٣٥٠، ٣٤٩
ابن فهد الحلبي	٣٨٠، ٣٧١، ٣٧٠، ١٩٠	أبو بكر السراج	١٧٦
ابن أبي الفوارس	٣٨٩	أبو البقاء العكبري	٢١٤، ٢١٠
ابن قبة	١٧٣، ١٦٥	أبو تمام الطائي	٤٣٥، ٤٠٠، ٣٢٣، ٢٢٥، ١٣٦
ابن القصار	٢٧٣	أبو جعفر الطوسي	١٦٠، ١٥٩
ابن كليب	٢١٠	أبو جعفر المنصور	٣٢٣
ابن محمد بن أحمد الأعرجي	٣٩٠	أبو جعفر عبد الواحد	١٧٨
ابن المستوفي	٢٢٧	أبو جعفر محمد علي الطبري	١٨٣
ابن مظاهر الحلبي	٣٧٠	أبو جهل	٢٣٨، ٢٣٧

الفهرست الفنی

۳۴۳	أبو الفتح بن محمد	۸۳، ۸۳، ۸۱، ۶۱	أبو حنیفة
۲۳۴	أبو الفضل البراز	۱۲۲، ۱۱۴، ۱۱۲، ۱۱۱، ۱۰۹، ۸۴	
۱۸۳	أبو الفضل بن الحسين الأحذب	۲۱۱	أبو الحسن الأشعري
۱۶۱، ۷۸، ۲۵	أبو القاسم الخوئي، السيد	۴۲۱، ۳۳۹، ۲۵، ۲۴، ۲۲	أبو الحسن الأصفهاني
۴۲۳، ۴۲۲، ۴۲۱، ۳۴۴	أبو القاسم الكاشاني	۲۳۲، ۱۳۱، ۴۰	أبو الحسن السكوني
۷۸	أبو القاسم الكوكبي، السيد	۳۱۴	أبو الحسن علي
۴۴۹، ۲۹۰	أبو القاسم بن الحسين الحلبي	۲۷۵	أبو الحسن بن الفضل المقدسي
۴۲۸، ۴۲	أبو القاسم بن الحسين = الرافضي	۲۱۳	أبو الخوارزمي
۲۹۰		۹۵	أبو السعد
۲۸۵	أبو القاسم بن حسين بن العود الحلبي	۲۲۰	أبو سعيد بن جعفر
۲۸۸، ۲۸۷		۳۶۶	أبو طالب بن رجب
۴۰۸، ۲۳۸، ۲۳۷	أبو لهب	۲۳۵	أبو طالب
۴۴۶	أبو محمد إسماعيل بن جعفر	۲۸۸	أبو عبد الله أحمد بن شهریار
۲۳۵	أبو محمد بن جعفر	۳۲۳	أبو عبد الله المهدي
۴۲۵، ۱۷۹، ۱۷۷	أبو محمد بن الخشاب	۲۹	أبو عبيدة
۲۷۲، ۲۳۰			أبو عثمان الجاحظ = صاحب (البيان والتبيين)
۲۹۷	أبو محمد إلياس بن محمد الحائري	۱۹۶، ۱۱۰	
۲۴۸، ۲۱۴	أبو محمد ابن المأمون	۱۶۰، ۱۵۸، ۱۴	أبو علي الطوسي
۲۸۶	أبو المعالي سالم بن علي التغلبي	۱۷۸	أبو علي القيلوي
۱۸۱	أبو المظفر ابن الطاهر الخزاعي	۲۶۷	أبو علي النحوي
۳۹۴، ۱۷۵	أبو المكارم	۱۹۵، ۱۸۳	أبو علي، ابن الشيخ الطوسي
۸۳، ۵۸	أبو موسى الأشعري	۳۰۳، ۲۹۹، ۲۹۳	
۱۳۲، ۴۰	أبو النجم الضرير	۱۷۶	أبو العلاء الفريضي
۴۴۷، ۴۴۶	أبو نبي	۲۳۴	أبو الغنائم ابن الحلابة
۲۴۹، ۹۴	أبو هلال العسكري	۶۴	أبو فراس الحمداني

فَهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْخَلَاتِ

٤٢٣	أحمد بن علي بن الحسن بن خليفة	٢٣٣	أبو الوفاء راجح الأسدي
٢٦٩	أحمد بن عمران	٢٨٣	أثير الدين أبو حيّان
٢٢٠	أحمد القزويني	١٥٥، ٤٢	إحسان الثامري
٣١٦، ٣١٥	أحمد بن محمد الحدّاد	٣٤٦	أحمد آل كمال الدين
١٩١	أحمد بن محمد بن الخطّاب	١٠٣، ٨٣	أحمد أمين المصري
١٦٢	أحمد بن محمد بن السيّار	١٩٩	أحمد البدوي
٢٦٠، ٢٥٧	أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس	١٥٩	أحمد حبيب قصير العاملي
٢٩٩	أحمد بن نجيب الدين	٣٨٩	أحمد بن الحدّاد
١٣٦	أحمد بن يعقوب الهمداني	١٨٩	أحمد بن الحسين بن جعفر الشامي
٣١٤	أحمد بن يحيى المزيدي	١٩٨، ١٨٥	أحمد الحسيني الأشكوري
٣٠٨	أحمد بن يوسف بن أحمد العريضي	٣٧٥	أحمد بن حنبل
٤٣٥، ١٣٦	الأخطل	٢٥٩	أحمد بن داود
١٣٧	إدريس عليه السلام ، النبي	١٩٤، ١٩٣	أحمد بن سعد الدين = أبو الفضائل
٢٧٣	الأدقوقي	٢٦٢، ٢٥٩، ٢٥٨، ٢٥٧	١٩٦
٢١	ارزوقي، الشيخ	٦٥	أحمد سنجر
١١٦	أسد الله الكاظمي	٣٧٧	أحمد ابن الشهاب محمد
٢٧٤	الأسعد أبي المكارم = ابن ممتّ	١١	أحمد الصافي، السيّد
٢٩	أسماء بن خارقة الفزاري	١١، ١٦، ٥٣، ٦٤	أحمد عليّ مجيد الحلّي
٢٨٠	إسماعيل، صاحب التوثيق	١٤٧، ١٤٥، ١٤٣، ١٢٨، ٩٤، ٧٤، ٧٢	
١٣٥	إسماعيل باشا البغدادي	١٨١، ١٧٥، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٥، ١٥٢، ١٤٨	
٣٩٧	إسماعيل بحمة	٢٨٥، ٢٦٠، ٢٥٧، ٢٠٨، ٢٠٣، ١٩٧، ١٩٠	
١٠٢	إسماعيل بن جابر	٣٣١، ٣٠٥، ٣٠٤، ٢٨٨	
١٣٧	الأشعث بن قيس الكندي	١٥١	أحمد بن عليّ بن عرفة
١٧٩	الأصبهاني	٤٤١	أحمد بن عليّ = صاحب عمدة الطالب
٣٢٣	الأصمعي	٤٤٩، ٤٤٧	

الفهرست الفنی

أقلیدس	۱۶۴	(حرف الثاء)	
أفضل الدين الشافعيّ	۳۶۱، ۱۴۹	ثامر الخفاجيّ	۲۶۰
إفلاطون	۱۰۶	(حرف الجيم)	
إلياس بن هشام الحائريّ	۱۸۳	جبرير	۴۳۵، ۶۱، ۲۹
الإمام العباس عليه السلام	۷	جعفر ابن نسما	۱۶۳، ۱۵۷، ۷۲، ۶۱
أمرؤ القيس	۵۴		۲۹۱، ۲۹۹، ۲۳۴، ۱۹۵، ۱۶۳
أمين الخالص	۳۷، ۳۶	جعفر الأشكوريّ، السيّد	۲۰
الأمينيّ، صاحب كتاب الغدير	۱۰	جعفر البرمكيّ	۱۱۳
أنس بن مالك	۸۱	جعفر الحلّيّ، السيّد	۳۲۰، ۲۷۲، ۲۳۷، ۳۹
إنستاس الكرمليّ	۱۳۸، ۱۳۶	جعفر الخليليّ	۲۷
أنوشتكين الرضوانيّ	۲۴۹	جعفر السبحانيّ	۲۳۹، ۲۲۱، ۱۸۵، ۸۶
(حرف الباء)			۳۶۳، ۲۹۷
الباباليون العاشر	۲۳۹	جعفر الكذاب	۴۰۸
البارقيّ	۷۲	جعفر الناصريّ	۵۲
باسيليوس الثاني	۲۱۳	جعفر ابن أبي البقاء	۲۹۷
باقر الدجيليّ، السيّد	۵۵، ۴۳	جعفر بن الحسن الحلّيّ = المحقق الحلّيّ	۳۹
البحريّ	۴۰۰		۱۸۵، ۱۸۴، ۱۶۱، ۱۵۸، ۱۴۳، ۱۳۱، ۷۲
البخاريّ	۳۴۹		۲۱۴، ۲۱۵، ۲۱۶، ۲۱۷، ۲۱۸، ۲۲۲
بدر الدين لؤلؤ الأرمنيّ الأتابكيّ	۱۹۳، ۱۹۲		۲۲۳، ۲۲۴، ۲۳۴، ۲۵۹، ۲۷۶، ۲۷۷
بركيارق	۶۵		۲۷۹، ۲۸۱، ۲۸۹، ۲۹۸، ۳۰۵، ۳۰۸
بشار بن برد	۲۹۴		۳۱۴، ۳۲۱، ۳۲۲، ۳۲۴، ۳۲۹، ۳۳۰
البغداديّ	۱۱۱		۳۳۱، ۳۳۲، ۳۳۳، ۳۳۹، ۳۴۱، ۳۶۳
البلخيّ	۳۸۳		۳۹۸، ۴۰۲، ۴۳۳، ۴۵۲
بنت المسعود ورّام	۱۶۵، ۱۶۰	جعفر بن عليّ بن عرفة	۱۵۱
البهائيّ	۱۴۳، ۸۰	جعفر بن عليّ بن يوسف	۴۴۹
		جعفر بن مُعَيّة	۴۴۶، ۴۴۴، ۴۰۱، ۳۹۷، ۲۳۳

فَهْمَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْخَلِئَةِ

جعفر مرتضى العاملي	٣٧٨	١٣٨، ١٣٦
جلال الدين الحنفي، الشيخ	٢٨٤، ٢٠١	الحسن بن الحسين الجزائري الأسدي ١٩٠
جلال الدين عبد الحميد	٣٧٠	حسن بن سليمان الحلبي ٣٧١، ٣٦٧، ٢٤٧
جلال الدين محمد	٣١٤	٤١٣
جمال الدين أحمد بن طاووس	٣٦٦، ٣٤١	حسن الصدر، السيد ٢٢٢، ١٦٧، ١٥٩
جمال الدين بن محمد بن المهنا	١٩٩	٤٠٢
جمال الدين بن منيع	٢٣٣	حسن بن عبد الكريم الفتال ١٩٠
جواد أحمد علوش	٤١٣	حسن بن علي بن الأبرر ٢٠
جواد البلاغي	٣٤٥	الحسن بن علي بن قتادة ٤٤٧
الجويني	٢٨٩	الحسن بن علي بن محمد الحسيني ٣٠٩
(حرف الحاء)		
الحارث بن ظالم المري	٣٠	الحسن بن علي، ابن داود ١٩٣، ١٨٤
حبيب بن عمرو بن علة	٢٩٢	٣١٤، ٣٠٩، ٣٠٨، ٢٣٤، ١٩٤، ٢٧٧، ٢٦١
الحجاج بن يوسف الثقفي	١٩٧، ٦٤	٣٦٧، ٣٦٦، ٣٦٥، ٣٦٤، ٣٦٣، ٣١٨
الحزر العاملي=صاحب الوسائل=صاحب أمل		حسن بن محمد بن راشد البحراني ٢٩١
الأممل	١٤، ٩١، ١١٦، ١٣٩، ١٦٠،	الحسن بن معالي الباقلاني ٢٠٠، ٧٢، ٤١
١٦٤، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٤، ١٩٤، ١٩٩،		٢٠١، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٤،
٢٤٧، ٢٩٨، ٣٠١، ٣١٤، ٣١٨، ٣٤٠،		٢١٥، ٢١٦، ٢٣٣، ٢٦٧
٤٢٥، ٤٠١، ٣٥٧		الحسن بن نجيب الدين، أبو يحيى=والد المحقق
الحريري	١٨١	الحلي ٣٢٨، ٢١٦، ١٨٥
حسام الدين، الأمير	٢٩٢	الحسن بن نما ٢٩٨
حسان مرجان	١٦٨، ١٤٥	الحسن بن يحيى بن سعيد ٣٣٢، ٢٩١
حسن، ابن الشيخ الأكبر كاشف الغطاء	١٩	الحسين ابن الأمير علي، ابن الخليفة الناصر ٢١٠
الحسن بن أحمد بن نما	٣٠٩	الحسين الأحدب الحلي ٢٨٢
الحسن بن أحمد الهمداني الحائك	١٣٢	الحسين بن أحمد المقدادي ٢٩٧
		الحسين بن أحمد بن ردة ١٩٨، ١٩٧، ١٩٦
		الحسين بن أردشيد بن محمد الطبري ٣٠٩

الفهرست الفنی

الحسین الأصغر	۳۸۶	الخزرجی	۱۳۹
حسین أمين، الدكتور	۱۴۸، ۶۵	خضر الحبلرودی، الشیخ	۳۴۴، ۳۴۳
الحسین ذو الدمعة	۳۷۰	الخطابی	۳۸۴
حسین السعد	۳۳۳	خلف بن حردان العطوي الحلي	۴۵۱
حسین الشاکري	۳۷۸	خليفة	۱۵۹
الحسین بن أبي الفرج بن ردة النيلي	۳۰۸، ۱۹۶	الخليعي	۱۰
الحسین بن عبد الصمد	۳۷۹	خليل الشهابي	۲۸۸
الحسین بن عقيل بن سنان الخفاجي	۱۷۶، ۱۴۳	الخليل	۱۳۶
حسین کمال الدين، السيد	۲۰، ۱۷	الخوارزمي	۵۴
الحسین بن محمد بن طحال المقدادي	۲۹۹	(حرف الدال)	
الحسین بن محمد المهنا العلوي العبدلي	۱۹۸،	دار ورد	۴۲
۱۹۹		داود، النبي	۱۱۸، ۱۱۷
الحسین بن هبة الله السوراوي	۱۸۳	دبيس	۶۳
الحكيم، السيد	۸۰	الدهلوي	۸۰
حماد بن سليمان	۸۳، ۸۱	(حرف الراء)	
حمالة الخطب	۲۳۸، ۲۳۷	راجح بن قتادة	۴۴۷
حمد محمد حسن كمال الدين، السيد	۱۷،	الرازي	۲۳۴، ۱۱۶، ۱۱۴
۳۰۹، ۴۵، ۲۳، ۲۲، ۲۱، ۱۹		الراعي النميري	۲۹
الحميري، السيد	۵۹	رافقت ليث	۱۱
حيدر آملی، السيد	۴۲۲	رجب البرسي	۴۸
حيدر الحلي، السيد	۲۷۸، ۴۱	رحيم العميدي، السيد	۴۳۵، ۳۹۱
حيدر وتوت	۱۴۵	رسول، السيد	۴۵
(حرف الخاء)		رشيد الموصلی	۳۶۰
خالد ابن الوليد	۳۵۰	رشيد عالي الكيلاني	۳۷، ۳۶
خدیجة	۹۰	رضي الدين أبو القسم	۳۰۸، ۲۶۱

فَهْمَاءُ الْفِيحَاءِ وَقَطَوُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

٢٧١، ٢٦٨	سليمان شاه الأيواني	١٨١	رمضان بهداد
١٩٩	سمنون بن حمزة	(حرف الزاي)	
١١٣	سيويه	٢٧٣	الزاغوني
٣٤٤	السيوري الحلي	٢١٩، ٢١٨	زكريّا بن محمود القزويني
١٧٥، ١٣٥، ١١٥، ١١٤	السيوطي	١٩	زوبع، جدّ السيّد هادي كمال الدين
٢٧٣، ٢٥٤، ٢٣١، ٢٣٠، ١٧٧		٣٧٥	زيد ابن أبي أوفى
(حرف الشين)		٣٨٦، ١٩	زيد الشهيد، الإمام
٢٧٢	الشاتاني	٣٦٦	زين الدّين المطارآبادي
٢٣٩	شارل الخامس	(حرف السين)	
١١٥، ١١٤، ١١١، ٨١، ٦١، ٥٢	الشافعي	٢٢٤، ٢٢٢، ٢٢١	سالم بن محفوظ
٣٦١	شاكر البدري، السيّد	٤٢٩، ٣٠٨، ٣٠٧، ٢٩١	
١٩٣	شرف الدين بن طاووس	٦٣	سامي البدري، السيّد
٢٧٨، ٢٧٢، ٢٣٥	الشريف الرضي الموسوي	١٠٤	سبرة بن معبد الجهني
٣٣٠، ٢٧٣، ١٧٢	الشريف المرتضى	١٥٣	سبط ابن التعاويذي
٣٧١	شمس الدين الآوي	١٥٩	السبكي
٢٢٤، ١٣١، ٤٠	شميم الحلي	٧٤، ٧٣	سديد الدين يوسف بن عليّ
٤٢٩، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦		٢٩٨، ٢٧٢، ٢٧١، ٢٦٩، ٢٥١، ٢٥٠، ١٩٣	
٢٩٨، ٢٨٦، ٢٢٢، ١٧٥	الشهيد الثاني	٤١٤، ٣٤١، ٣٣١، ٣٣١، ٣٠٨، ٣٠٦	
١٣٢، ٤٠	الشيبياني	٩٤	سراقة بن مالك
(حرف الصاد)		٨٣	السرخسي
٣٣٧	صاحب كتاب مرآة العين	١٤٥	سعد الحدّاد، الدكتور
١٦، ١١	صادق الخويلدي، الشيخ	٣٨٨	سعيد الأعرجي، سعيد
٣٨٧	صادق الفخّام، السيّد	١٨	سعيد الشيخ محسن
٨٦	صادق بحر العلوم، السيّد	١٣٢، ٤٠	سليمان الكبير المزيدي
٤٢٢	صالح السيّد حمد الحلي	١٣٦	سليمان بن عمرو

الفهرست الفنی

صبحي الصالح	١١٥، ١٠٩	٤٣٢، ٣٩٠، ٣١٨، ٢٨١، ٢٣٢، ٢٣١، ٢٢٠
صدقة بن منصور بن دبیس = سيف الدولة	٢٧٠، ٦٥، ٦٣	العبّاس بن عبد المطلب ١١٨، ١١٧، ١٠٥
الصدوق، الشيخ	٤١٤	عبّاس بیعی ١٦٨
صریح الغواني	٣٢٣	عبّاس عزّاوی، المحامی ٢٥٢
صفیّ الدین أبو عبد الله الطقطقيّ	٤٥٠	عبد الحمید ابن أبي الحديد ٥٤، ٥٣
صفیّ الدین الحلّيّ = السبسيّ	٢٣٤، ٧٢، ١٠	عبد الحمید ابن أبي الحديّد ٣١٦، ٢٧٦، ٢٣٥، ٢١١، ١٢١
٣٧٢، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٢، ٣٩٦، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٤٨، ٤٢٨		عبد الحمید بن فخار الحلّيّ ٢٦٢، ٢٦١
صلاح الدین خليل بن أليك الصفديّ	١٨١، ٢٨٦، ٢٨٣، ٢٦٧، ٢١٠	عبد الحمید بن مجد الدین أبي الفوارس ٣٩٢
صلاح الدّین، السلطان	٢٧٥، ٢٣٠، ٢٢٦	عبد الحمید شلاش، الدكتور ٣٥
(حرف الضاد)		عبد الحمید، السيّد ٢٥٩
ضياء الدین الرّيس، الدكتور	١٢١	عبد الخالق الیاسين ١٦٨
(حرف الطاء)		عبد الرحمن الشرقاويّ ١٠٩
الطبرسيّ	٢٦٨، ١٥٩	عبد الرحمن بن إبراهيم العتائقيّ ١٤٩، ١٤٧
(حرف العين)		٤٢٠، ٤١٩، ٤١٨، ٤١٧، ٢٦٠
عادل شعلان فرحان	٤٣٣، ٤٣٢	عبد الرزّاق الحسينيّ ٢٥٥
عامر بن صعصعة	٣٠	عبد الرزّاق بن أحمد ابن الفوطيّ = صاحب مجمع الآداب ٢٦٧، ٢١٥، ١٩٩، ٧٤
عامر سالم بن مارويه	٢٨٩	٢٩٧، ٢٨٩، ٢٧٠
عائشة	٣٧٧، ٣٤٩، ٣٤٨، ١٠١، ١٠٠، ٧٢	عبد الرزّاق سعيد إسماعيل ٢١
عبّاد بن أحمد	٣٥٢	عبد الرسول الجواهريّ ١٠٨
عبّاس العزاويّ	٤٢٣، ٣٤٤	عبد الرسول الطّريحيّ ١٣٢، ٤٠
عبّاس القميّ = صاحب الكنى والألقاب	١٥٨،	عبد الغنيّ ابن الدرنوس ٢٨٩
		عبد الفتّاح عبد المقصود ١٨٤
		عبد الكريم آل نجف ٢٥

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَقَطْوَةُ الْحَرْكِ الْفَيْحَاءِ فِي الْخَلْتِ

٢٩	عبد الملك بن مروان	٢٦،٢٤،٢٣	عبد الكريم الجزائري
١٦٨	عبد بدير	١٠٦	عبد الكريم الزنجاني
٢٨٦	عبد الإله العرداوي، الدكتور	٢٥٥، ٣٥	عبد الكريم الماشطة، الشيخ
٢٧٦، ١٩٩، ٥٤	عبد الحسين الأميني، الشيخ	٣٥٩، ٣٥٦، ٣٣٠، ٣٢٩، ٣٢٦، ٢٩٦	
٧٩، ٧٨	عبد الله بن سنان	٢٥٧،	عبد الكريم غياث الدين ابن طاووس
٣٥	عبود الشلاه، السيد	٤٥٣، ٣٣١، ٣٠٩، ٢٩٢، ٢٦٠	
٢٠١	عبود، الدكتور		عبد الله الأفندي=صاحب رياض العلماء=عبد
٣٨٦	عبيد الله الأعرج	١٩٨، ١٩٦، ٥٨، ٢٥	الله الأصفهاني
٨٥	عثمان بن عفان	٣٥٧، ٣٤١، ٣١٣، ٣٠٤، ٢٥٨، ٢١٥، ٢١٤	
١٥٦	عجيل بن لجيم	٣٨٠	
١٨٤، ١٨٣، ١٨٢	عربيّ بن مسافر العبادي	٥٣	عبد الله بن جعفر بن أبي طالب
٢٨٨، ٢٢٢		٢٨٩	عبد الله بن جعفر بن محمد الدوريسيّ
١٩٣	عزّ الدين ابن طاووس	٤٤٧	عبد الله بن جعفر بن مَعِيّة
٢٧٧	عزّ الدين الزنجاني	٢٦٨، ٢٦٨، ١٥٣	عبد الله ابن الجوزي
٢٣٣	عفيف الدين بن عقيل التاجر	٤٠	عبد الله شبر، السيد
٩٤	عكاشة بن محسن	١٤٣	عبد الله بن عليّ بن أبي المحاسن
٢٥٠، ١١٥	علاء الدين القزويني	١٠٤، ١٠٣، ١٠١	عبد الله بن عمر
٧٢، ٦١، ٥٧، ٤٠، ٢٥، ١٠	العلامة الحليّ	٣٩٥، ٣٧٧، ٣٧٥، ٣٧٢	عبد الله ابن المعتز
١٤٧، ١٤٦، ١١٣، ٩٩، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٨٠		١٤٤	عبد الله بن محمد الخفاجي
٢٥١، ٢٥٠، ٢٢٢، ٢٠٠، ١٩٥، ١٦٤، ١٦١		١١٧	عبد الله نعمة، الشيخ
٣٠٦، ٣٠٠، ٢٩٩، ٢٩٧، ٢٨١، ٢٧٣، ٢٦٠		٢٨٤	عبد الله اليافعيّ المكيّ
٣٢٩، ٣١٦، ٣١٥، ٣١٤، ٣١٣، ٣٠٩، ٣٠٨		١٠٦، ١٠٥	عبد المتعال الصعيديّ
٣٤٠، ٣٣٩، ٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٥، ٣٣٣، ٣٣١		٢٣٥، ٢١٠	عبد المجيد بن عبد الحميد المعتزليّ
٣٥٥، ٣٥٤، ٣٥١، ٣٤٨، ٣٤٦، ٣٤٢، ٣٤١		٤٣٤	عبد المحسن القصّاب
٣٧٥، ٣٦٨، ٣٦٥، ٣٦١، ٣٦٠، ٣٥٨، ٣٥٦		٨٣	عبد الملك بن الوليد
٤١٦، ٤١٥، ٤١٤، ٣٩٣، ٣٩٠، ٣٨٩، ٣٧٧			

الفهرست الفئتي

٤١٦، ٤١٥	الحليّ	٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٣٠،
٣٧٩، ٢٣٤، ١٠	عليّ ابن الشفهيّ	٤٣٣، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٣
٤٢٨، ٣٨٥، ٣٨١، ٣٨٠		عليّ، السيّد = صاحب الضياء اللامع ٢٠
٢٧٦	عليّ ابن الشيخ شرف الدين	٣٠٣، ١٦٣
١٤٣	عليّ ابن طاووس الحليّ، رضيّ الدين	٤١٤، ٣١٣
٢٤٦، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢١٨، ١٨٣، ١٦١، ١٥٣		عليّ بن أحمد بن يحيى ٣١٤
٢٥٥، ٢٥٤، ٢٥٢، ٢٤٩، ٣٣٣، ٢٥٧، ٢٥٥		عليّ بن أسامة العلويّ ٢٣٣
٢٨٠، ٢٧٢، ٢٦٧، ٢٦٢، ٢٦١، ٢٥٨، ٢٥٧		عليّ بن ثابت بن عبيدة السوراويّ ٣٠٨، ١٨٣
٣٣١، ٣٠٩، ٣٠٨، ٢٨٩		عليّ خضير ١١
٢٧٧	عليّ كاشف الغطاء	١٤٥
٢٤٩	عليّ كاظم المشريّ، الدكتور	٨٤
١٨، ١٥	عليّ كمال الدين، ابن السيّد هادي	٢٩٧
٣١٩، ٣٧، ٣٦، ٣٤، ٢٨، ٢١		٣٠٩، ٣٠٠
عليّ بن عبد الله بن سلمان، السيّد = عليّ		عليّ الحسينيّ السيستانيّ، آية الله العظمى،
٢٦٥	القاضي	١١
٤١٣	عليّ بن عثمان بن عليّ بن سليمان الأربليّ	١٥١، ١٥٠
٤١٤	عليّ بن الشيخ عزّ الدين حسن	عليّ أبو الحسن، ابن عرفة
١٤٩	عليّ بن عمر القزوينيّ = صاحب الشمسية	١٤٩، ١٤٨، ١٤٧
٤٤٩، ٣٧٧	عليّ بن محمّد رشيد الآوي	٢٢٤
٣٧٢	عليّ بن محمّد الرشيد	١٣٨
٤٣٤	عليّ بن محمّد بن عبد الحميد النيليّ	٣٠١
٢٣١	عليّ بن محمّد العسكريّ (عليه السلام)	٣٩٢، ٣٦٢، ٢٢٣، ١٨٢، ٧١
٦٥، ٦٤	عليّ بن مزيد	٢٦٩
٢٣٥	عليّ بن يحيى البطريق	٢٥٩
١٨٣	عليّ بن يحيى الحنّاط	عليّ بن سعيد الدين موسى
٢٢٤	عليّ بن يوسف القفطيّ	عليّ بن سعيد الدين رضيّ الدين = أخو العلامة

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

٤٢٢	فاطمي، الدكتور	٦٤	عليّ بو ملحم
٧٢، ٧٤	فخار بن معد الموسوي	١٢٤، ١٢٣	عليّ حسن أحمد عبدالرزاق، الشيخ
٢٨١، ٢٣٥، ١٩٥، ١٨٤، ١٨٣، ١٦٣، ١٥٧		٢٠	عليّ خان المدني = صاحب السُلالة
٤٥٣، ٣٣٢، ٣٠٨، ٣٠٧		١٥٦، ١٦، ٧	عليّ عباس الأعرجي، الدكتور
٣١٤، ٢٩١، ٤٠، ١٠	فخر المحققين	٣٥	عليّ عبد عجم، الأستاذ
٤٣١، ٤٠٢، ٤٠١، ٣٧٨، ٣٧١، ٣٦٩، ٣٥٥		٣٣١، ٣١٠	عليّ ابن الوزير
٤٥٣، ٤٤٩، ٤٣٣		٢٨٦، ١٧٩	عماد الدين الأصفهانيّ
٢٥٠	الفخريّ	١٧٥	عمّار جمعة الفلاحيّ
٤٣٥، ١٣٦، ٦١	الفرزدق	٥٢	عمر الطّبّاع
٢٧٣	فرسان الحليّ	١٠٣، ١٠١، ١٠٠، ٨٣	عمر بن الخطّاب
٣٥	فروود مكّي	٣٧٧، ٣٤٨، ٢١١، ١٢١، ١١٨، ١٠٥	
١١٣	فياض	٣١٦	عميد الدين عبد المطلب الأعرجيّ
١٢٤	فيليب وايرلند	٤١٦، ٣٩٣، ٣٩٠، ٣٨٩	
	(حرف القاف)	٦٣	عيسى عليه السلام، النبيّ
٢٦٥	القاسم بن يحيى الشهرزوريّ	٤٥، ١٩	عيسى كمال الدين، السيّد
٤٣٣	قاسم حسين صالح	٤٤٧	عيسى الحرون
٩٧، ٩٦، ٢٥	القاضيّ البيضاويّ	٢٠	عيسى بن كامل
٤٢١	قطب الدين الرازيّ		(حرف الغين)
	(حرف الكاف)	٣٧٠	غياث الدين عبد الكريم النيليّ
١٢٧، ٨٩	كارل ماركس	٤١٢، ٢٥٥، ٣٧١	
٢٩٥	كاظم الحلفيّ، الشيخ		(حرف الفاء)
٤٣٢	كامل الدبّاغ	٣٣١	الفاضل الآبيّ
٢٦	كامل سلمان الجبوريّ	٣٤٤	فاضل الحليّ، السيّد
٢٨١	الکراچکي، القاضيّ	١٣٨، ١٣٠، ٤٢	فاضل بن حمد آل كمال الدين
٣١٦، ١١٣	الكسائيّ	٢٠	فاضل، السيّد = نجل السيّد جعفر الحليّ

الفهرست الفني

الكفعمي	١٦٧	محسن الأمين، السيد=صاحب كتاب أعيان
الكليني	٢٥٤	الشيعه ٢٨، ٥٨، ٨٣، ١٣٩، ١٤٤،
كمال الدين الحلبي	٣٦٩	١٤٤، ١٤٥، ١٩٧، ١٩٨، ٢٣٦، ٣١٣،
(حرف اللام)		٣١٩، ٣١٩، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٥٥، ٣٥٦،
	٤٤٧، ٤٣٠	
لبيد بن ربيعة	٧٢	محسن الحكيم، السيد ٩٤، ١٦٨، ٢٩٥
أولجايتو خان=محمد خدا بنده	٣٤٢	محسن الكاشي ١١٦
	٤٣٢، ٣٥٢	
لينين	١٢٧	محفوظ بن نصر الكوفي ١٣٨
(حرف الميم)		محفوظ بن وشاح الأسدي ٢٢٣،
		٢٧٦، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٦٣
مارتن لوثر	٢٣٩	محمد إبراهيم سليم ٥٢
مالك ابن نويرة	٣٥٠	محمد بن أحمد ابن إدريس الحلبي ١٤، ٧٢،
مالك الأشتر	٢٩١	١٥٦، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣،
مالك بن أنس	٢١٩	١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤،
المامقاني	٢٣١	١٨٣، ٢٨٣، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣٦٠
المأمون العباسي	٨٧	محمد بن إدريس العجلي ٢٩٧
المتنبي	٣٢٩، ٢٢٦، ١٣٦	محمد بن إدريس الشافعي ٣٩٧
مجد الدين ابن جميل	٥٩	محمد بن أحمد بن حمزة بن جيا ١٧٧،
مجد الدين حسين	٢٦٩	١٧٨، ١٧٩، ١٨٠
مجد الدين بن طاووس	٢٤٩	محمد بن أحمد الفقيه الشافعي ٣١٦
	٢٥٠، ٢٦٩	محمد بن أحمد بن صالح القسيني ٢٩٨، ٣١٠
مجد الدين محمد، السيد	٢٤٧	محمد بن أحمد بن محمد المصري ٣١٦
مجيد العطار الحلبي	١٨	محمد بن أرغون ٣٣٧
مجير الدين، الأمير	٢٩٢	محمد بن اسحاق ٢٥٦
المحدث الأرموي	٢٦٠	محمد بن إسماعيل الهرقلي الحلبي ٢٨٠
محسن، السيد	٣٩٢	محمد بن الأصبع ١٣٨

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتِ

٤٣٠، ٤٢٩	محمّد بن الحسن بن كحيل	٣٠٩، ١٨٥	محمّد الأعرج العلويّ الحسينيّ
٢٩٧	محمّد بن الحسن بن محمّد بن المهديّ	١١٠	محمّد باقر الخوانساريّ
٤١٦	محمّد بن الحسن بن يوسف	٢٣٩	محمّد باقر الصدر
١٨١	محمّد بن الحسين البرحيّ	٤٥١	محمّد باقر بن محمّد أكمل البهبهانيّ
٤٢٣، ٤٢٣	محمّد بن الحسين الحلّيّ، ابن البقال	١٩٥،	محمّد باقر بن محمّد تقيّ = المجلسيّ
٤٢٩، ٤٢٣		٤٢٠، ٢٤٦	
محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب		١٧٤،	محمّد باقر الموسويّ = صاحب الروضات
١٣٨	الزيّات	٤٣٢، ٤٢٦، ٤٢٥، ٣٣٢، ٢٥٨، ٢٥٧	
١١٨، ٨٠	محمّد الخصريّ	١٨٤	محمّد بحر العلوم
٢٧١، ٢٦٨	محمّد بن الدويدار	١٨٣	محمّد بن أبي البركات الصنعائيّ
٢٤٧	محمّد بن زكريا	١٥١،	محمّد بن السيّد جعفر القاسم الديباجيّ
٣٠٤	محمّد بن زنجيّ	٤٤٢، ٤٤١	
١٦٥، ١٠٩	محمّد أبو زهرة	٢٣٥، ١٨٣،	محمّد بن جعفر المشهديّ
٣٦، ٢٨، ٢٥، ٢١، ١٨	محمّد سامي	٢٩٨، ٢٩٧	
٢٧٢	محمّد سعيد الحبوبيّ	٣٠٣، ٢٩٧	محمّد بن جعفر بن أبي البقاء
٢٨	محمّد سعيد رشيد الطاهريّ	٣٠٨، ٣٠٧	
١٤٣	محمّد شاذان بن جبريل القميّ	٣٦٢	محمّد جواد الجزائريّ
محمّد السماويّ = صاحب كتاب (ظرافة		٣٩١، ١٦٤	محمّد جواد الحسينيّ الجلاليّ
٣٩٤	(الأحلام)	٤٥	محمّد جواد كمال الدين، السيّد
١٥٤	محمّد بن شعيب = ابن الدهان	محمّد بن حسنّان العطائيّ، النديم	
٣٤٥	محمّد صادق بحر العلوم	٤٥١، ٤٥٠	الصوفيّ
محمّد صادق بحر العلوم = صاحب		٤١٤	محمّد بن حسين، الشيخ
٣٤٥، ١٧٤، ١٥٩، ٨٢، ٤٣	اللؤلؤة	١٨٣	محمّد بن الحسن بن أحمد الحسينيّ
٢٧٠	محمّد بن الصلايا	٢٩٧	محمّد بن الحسن ابن أحمد العلويّ
٢٥، ٢٤، ٢٢	محمّد طه النجف، الشيخ	٣٠٨	محمّد بن الحسن الحسينيّ البغداديّ

الفهرست الفئتي

١٢٧	محمد عيتاني	٢١١	محمد بن الطيب البصري البغدادي
١٨١، ١٢٤	محمد الغزالي	٢٨٩، ١٤٣	محمد بن عبد الله الشيباني
٣٢٠	محمد بن فضل علي الشرياني	٢٥٠، ٧٤، ٧٢	محمد ابن أبي العز
١٨٣	محمد أبي القاسم علي الطبري	محمد بن السيد عز الدين ابن	
١٥١، ١٥٠	محمد بن القاسم ابن معية	٢٤٨	طاووس
٤٤١، ٤٤٠، ٤٢٥، ٤٢٤، ٤١٣، ٣١٦، ٢٣٣		محمد ابن العلقمي	٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩
٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٩		٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٩٨، ٣٣١	
٣٩٧	محمد ابن قلاوون	٣٦٩	محمد بن عدنان
٣١٤	محمد الكوفي الهاشمي	٢١٢	محمد عبد الهادي، أبو ريذة
٢٧٧	محمد بن محفوظ بن وشاح	٢٨٨، ٢٨٦	محمد بن علي، ابن شهر آشوب
محمد بن محمد، أبو الفتح = ابن		٤٢٠	محمد بن علي بن أحمد العتائقي
٢٨٣، ٢٨٢، ٢٨١	الجعفرية	٣٤٤، ٢٨٥	محمد بن علي الأحسائي
١٦٤	محمد بن محمد الجهرودي	محمد بن علي بن جهم الأسدي = مفيد	
٢٩٧	محمد بن محمد بن علي الحمداني	٤٥٢، ٢٦٢	الدين
٣٥٩	محمد بن محمد الموصلي	٣١٦	محمد بن علي بن حسن الجباعي
٤٢٢	محمد مصدق	٢٨٦	محمد بن علي ابن العودي
٢٠٠	محمد بن معد العلوي	٧٤	محمد بن علي القويقي
١٥٧، ٣٦٤، ٣١٦، ٢٩٨، ٢٤٧، ١٩٠، ١٨٤، ١٥٨	محمد بن مكّي العاملي = الشهيد الأول	محمد بن علي بن المفضل ابن القامغاز =	
٣٦٧		٤٢٩، ٢٧٥، ٢٧٣	الخيبي
١٣٨	محمد بن موسى بن عيسى	٣١٠	محمد بن علي بن موسى ابن طاووس
٢٢٠	محمد المهدي بن حسن القزويني	٣٥	محمد علي النجار، السيد
١٦٢، ٥٩	محمد مهدي الخراسان، السيد	٥٣	محمد علي بن يعقوب النجفي
٢٣١	محمد بن نصير النميري	٣٩، ١٣٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٧٥، ٢٧٨، ٣٣٤	محمد علي يعقوبي، صاحب البابليات
٢٩٧، ١٦٣	محمد بن نها الحلي	٣٦٦، ٣٧٥، ٣٨٥، ٣٩٢	

فَهْمَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

٣١٤	محمّد الهاشمي الحارثي	١١٤، ١١١، ٨١	مصطفى عبد الرزاق
١٥٢	محمّد بن هارون بن محمّد الحليّ	١٣٦	المعريّ
١١٠	محمّد هاشم الخوانساريّ	معمر بن هبة الله بن نافع	معمّر بن هبة الله بن نافع
٣٠٩، ٢٣٤	محمّد بن يحيى	٣٠٨	الورّاق
٨٠	محمّد تقّي الحكيم	١٥٨، ٧٢	المفيد، الشيخ
٢١٠	محمود البغداديّ	١٥٩	المقدّس الأردبيليّ
١٧٢، ١٦١	محمود بن عليّ بن محمود الحمصيّ	٦٥	ملكشاه بن بركيارق
١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ٢٣٤، ٢٩٤، ٤٢٩		٢٩٤	متّجب الدين
٣٥٢	محمود بن محمّد الطبريّ	٥٨	منصور بن ديبس
٤٢٥، ٤٢٤	محمود بن يحيى بن سالم الشيبانيّ	١١٠	مهديّ الخالصيّ
٧٧	مرتضى الأنصاريّ، الشيخ	٤١٦	مهديّ الرجائيّ، السيّد
	مرتضى الرضويّ=صاحب كتاب الفوائد	٣٤٦، ٢٢٠، ٤٠، ٣٥	مهديّ القزوينيّ، السيّد
٤٥٣، ٢٩٩	الرضويّة	١٠٨	مهديّ بن أبي ذرّ النراقيّ
٨١، ٥٩	المرتضى علم الهدى، السيّد	٣٤٥	مهديّ بن محمّد عليّ الأصفهانيّ
١٦٥، ١٥٨، ١٠٣، ٩٩		٢٧٧	مهذبّ الدين الشيبانيّ
٣٣١، ٢٦٨	المستعصم، الخليفة	٢٧٨، ١٣٦	المهيار
٢٤٨، ٢٣٨، ٢٣٦	المستنصر، الخليفة العبّاسيّ	٢٠٠	موسى عليه السلام، النبيّ
٢١٠	مسعود ابن النادر	٤٣٤	موسى بن جعفر بن مبارك الحليّ
١٠٣	مسلم	٣٤١	ميثم بن عليّ البحرانيّ
٣٩٤	مسلم بن قريش العقيليّ	(حرف النون)	
٣٢٣	مسلم بن الوليد	٥٨	ناشرة بن نصر بن سرة
٢٩٢	مسلم بن عقيل عليه السلام	٢٨٨	ناصر الدين راشدين إبراهيم البحرانيّ
٨٥	مصطفى جمال الدين، الدكتور	٥٩	الناصر لدين الله
٢٦٧، ١٦٥	مصطفى جواد، الدكتور	٥٨	نبوخذ نصرّ
٢٨٦، ٢٦٩		٢٩٧	نجم الدين أبو القاسم الحليّ=ابن نما

الفهرست الفنی

۱۱۷، ۱۱۰، ۱۰۹	هشام بن الحكم	۳۹۴، ۳۳۲، ۲۹۹
۱۱	الهاللي، الشيخ	۲۸۹
۵۸	همام الدولة	۴۲۰
۱۹۳، ۷۴، ۷۳، ۶۸	هولاكو خان	۷
۲۶۸، ۲۵۱، ۲۵۰، ۲۴۹، ۲۴۸، ۲۳۳، ۲۲۰		۱۰۷
۲۷۲، ۲۷۱، ۲۶۹		۹۱
۲۶، ۲۴، ۲۲	هادي كاشف الغطاء، الشيخ	نصير الدين الطوسي، الشيخ=الخواجة ۱۴،
۱۷، ۱۶، ۱۵	هادي كمال الدين الحسيني	۷۲، ۶۴، ۱۶۵، ۲۵۹، ۲۶۲، ۲۶۸، ۲۷۲،
۲۹، ۲۸، ۲۷، ۲۵، ۲۴، ۲۳، ۲۲، ۲۱، ۱۹		۳۸۹، ۳۵۶، ۳۴۱، ۳۴۰، ۳۴۰، ۳۰۸
۴۲، ۴۱، ۴۰، ۳۹، ۳۷، ۳۶، ۳۵، ۳۱		نصير الدين الكاشي ۴۲۲
۲۶۱، ۲۵۰، ۱۸۹، ۵۳، ۴۷، ۴۳		نظام الدين العميدي ۳۹۴، ۳۹۲
(حرف الواو)		۲۶۹
۲۹۱، ۱۷۵، ۱۶۱	ورّام ابن أبي فراس	نظام الدين عبد المنعم ۲۸
۲۹۶، ۲۹۴، ۲۹۳، ۲۹۲		نعمة رحيم الغزوي، الدكتور ۲۵۰
(حرف الياء)		نكلة ۳۵۸
۱۸۰، ۱۷۷، ۶۹، ۵۸، ۵۷	ياقوت الحموي	نور الدين، الشيخ ۴۲۱
۲۳۰، ۲۲۸، ۲۲۷، ۲۱۵، ۲۱۴، ۲۱۰		نور الله التستري ۴۴، ۳۶
۱۱۷	يحيى بن أكثم	نوري السعيد (حرف الهاء)
۱۸۴، ۲۰	يحيى بن الحسن بن سعيد الحلّي	الهادي بن أحمد بن فاضل ۴۲
۲۶۱، ۲۳۵، ۲۳۴، ۲۲۴، ۲۲۲، ۱۹۸، ۱۸۵		هارون العباسي ۳۲۳، ۱۱۷، ۱۱۳
۳۰۸	يحيى بن الفرج السوراوي	هاشم بن سنان ۳۸۸، ۳۸۷
۳۰۴	يحيى بن علي بن يحيى الحنّاط	هاشم كمال الدين ۱۱۰
۱۷۸	يحيى بن هبيرة	هاني بن عروة ۲۹۲
۱۱۰	اليزدي	هانئ قبصة النميري ۳۰
۵۴	يزيد بن معاوية	هبة الله بن نما بن علي ۳۰۳، ۲۹۷
۳۸۴	اليعقوبي التبريزي	

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَقَطْوُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ



يوسف القاضي	١١٣
يوسف بن إسماعيل الدامغاني	٢٦٩، ٢١٤، ٢١٠
يوسف بن حاتم العاملي الشامي	٣٣١، ٣١٠
يوسف بن علوان	٣٠٥
يوسف بن علي	٣٠٥
يوسف بن ناصر بن حماد الحسيني	٣١٦
يوسف قراقوش = أبو سعيد = يوسف	
كركوش	٣٨٠، ٣٥٦، ٣٣٠، ٢٩٦، ٢٧٥
يوشع بن نون	٦٢
يونس بن عبد الرحمن	١١٠
يونس	٢٩



فهرس الأماكن والبُلدان

(حرف الألف)			
بغداد	٣٥، ٣٦، ٤٣، ٥٨، ٦٣، ٦٤	أذربيجان	١٦٥، ٣٣٧
	٧٢، ٧٣، ١٤٦، ١٥٥، ١٥٨، ١٧٧، ١٧٩	أربل	١٨١
	١٨١، ١٨٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥	أربيل	٤٤
	٢١٨، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٤٨، ٢٥٠	أردبيل	٣٥٧، ٣٤٤، ٣٤١
	٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٨٩	الأردن	٣٠
٣٩٩		أصفهان	٢٥، ٣٩٣
البقيع	١٠١	أمريكا	٢٤٥
بلخ	٦٨	الأهواز	٥٨
بنشّه	٤٥	أوربا	٢٣٩
البوازيح	١٨١	إيران	٧١، ١١٣، ١٨١، ٢٠٣
بيت المقدس	٢٣٨	٣١٩، ٣٣٧، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣	
بيت حاج شاهين	٣٨٠		
بيروت	٢٦، ٥٤، ١٨٤		

(حرف الباء)			
		باب الكرخ=الكرخ	١٥٨، ٢٧٠
(حرف الجيم)		باب المشهد	١٤٥
جامع عبد العزيز	١٤٥	بابل	٥٨، ٦٣، ٦٣، ١٨٠
جامع مقام الإمام الصادق عليه السلام	١٤٥	بريطانيا	٢٤٥
جامعة بابل	٣٥	بساتين الجامعين	٢٥٥
جامعة عين شمس	١٠٩	البصرة	٥٧، ٥٨، ٦٤
الجامعين	٦٣، ٦٥، ١٤٥، ١٤٦، ٣٠٠	بعقوبة	٧٣
جبال مصر	٢٧٥		
جبل عامل	٢٧٩، ٣٨٠		

فَهْمَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلَّةِ

٤٢١، ٤٢٠، ٤١٧، ٣٩٩، ٣٨٩، ٣٨٨، ٣٨٧	٣٢٣	جرجان
٤٤٩، ٤٣٤، ٤٢٩، ٤٢٩، ٤٢٨، ٤٢٧، ٤٢٣	٣٤٦	جزيرة واق واق
٤٥٠	٢٢٠	الجزيرة
١٧٣	٢٨٨، ٢٨٦	جزين
٥٨	٣٦	جُمُعِيَّةُ الحرس الوطني السَّرِيَّةِ فِي الْحَلَّةِ
(حرف الخاء)	١٨	الْجُمُعِيَّةُ
٧١	١٦٤	جهرود
٣٣٧، ٦٨	١٧٩	جيان الأندلسيَّة
١٤٩	(حرف الخاء)	
١٨١	٣٩١	حائر الإمام الحسين
٣٩٤	٣٨٧	الحجاز
٥٨	٤٢٣	حلب الشهباء
(حرف الدال)		الْحَلَّةُ=حَلَّةُ دَبِيسَ بن عَفِيفٍ=حَلَّةُ بَنِي
٣٠٠	٢٣، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٥، ١٠، ٩	مزید
١٨٥	٦٠، ٥٨، ٥٧، ٥٣، ٥٢، ٤٨، ٤١، ٢٩، ٢٤	
٥٢	١٣٩، ٧٥، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٦٩، ٦٧، ٦٦، ٦٣	
٤٤٥	١٥٢، ١٥١، ١٥٠، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣	
٢٢٥	١٦٨، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣	
١٨٤	١٩١، ١٨٩، ١٨٢، ١٨٠، ١٧٨، ١٧٧، ١٧٣	
١١٨	٢١٩، ٢١٨، ٢٠٠، ١٩٩، ١٩٧، ١٩٦، ١٩٣	
٥٢	٢٣٣، ٢٣١، ٢٢٧، ٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢١، ٢٢٠	
٥٩	٢٦٦، ٢٦٥، ٢٦١، ٢٥٨، ٢٥١، ٢٤٨، ٢٣٤	
٦٨	٢٧٧، ٢٧٥، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٧	
١٠٦	٢٩٣، ٢٩١، ٢٨٦، ٢٨٥، ٢٨٣، ٢٨١، ٢٨٠	
٥٤	٣٠٦، ٣٠٠، ٢٩٩، ٢٩٨، ٢٩٦، ٢٩٥، ٢٩٤	
	٣٣٢، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢١، ٣١٧، ٣١٣، ٣١٠	
	٣٨٦، ٣٨٥، ٣٨٤، ٣٨٠، ٣٦٨، ٣٥٦، ٣٣٦	

الفهرست الفنی



دار ورد	۱۵۵	(حرف الضاد)
دائرة المعارف الإيرانية بطهران	۲۸	ضريح أمير المؤمنين (ع) = مشهد أمير
دجلة	۲۸۱، ۵۸	المؤمنين (ع) = المشهد العلوي ۶۰، ۳۶۱،
درب المجوس	۲۱۴	۳۸۹، ۳۷۰
دمشق	۲۸۶، ۲۷۳، ۲۲۰	(حرف الطاء)
ديار بكر	۲۲۷، ۲۲۵	طنطا بمصر ۱۹۹
الديوانية	۲۷۰، ۳۶	طهران ۲۹۶، ۱۸۱
(حرف الزاي)		طوس ۳۲۱، ۱۶۴
زرباطية	۴۴	(حرف العين)
(حرف السين)		العتبات المقدسة ۲۴۸، ۵۳
سامراء	۲۸۱	العتبة العباسية المقدسة ۳۹۳، ۲۰
سجن الحلة المركزي	۳۰۰، ۲۵۵	العتبة العلوية المقدسة ۶۰
سقيفة بني ساعدة	۱۲	العراق ۷۲، ۶۸، ۴۸، ۴۶، ۳۶، ۳۰
السلطانية	۳۴۲، ۳۳۷	۱۴۹، ۱۵۳، ۱۵۸، ۱۸۱، ۱۹۴، ۲۱۹، ۲۲۰،
سنجار	۳۶	۲۴۸، ۲۶۸، ۲۷۰، ۳۲۱، ۳۲۲، ۳۳۷، ۳۸۷،
سوراء	۲۵۷	۴۲۱، ۳۹۹
السوق الكبير	۳۶۲	عقد الطويل ۳۰۰
(حرف الشين)		(حرف الفاء)
شارع ۴۰	۳۶	فرنسا ۲۴۵
شارع ميسان	۵۷	فلسطين ۶۸، ۳۱، ۳۰، ۲۶
الشام	۳۹۷، ۲۳۳، ۲۲۷، ۲۳۰، ۱۰۳، ۹۰	(حرف القاف)
شركة النفط الإيرانية	۴۲۲	القاهرة المعزية ۲۷۵
شط الحلة	۴۱۷	قبر النبي (ص) ۱۰۱
شط سوراء	۳۷۱	قرية الطهمازية ۱۶۸
(حرف الصاد)		قرية العتائق ۴۱۷
الصين الشيوعية	۷۱	

فَهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلَّةِ

(حرف الميم)		١٩٧، ١٩٦، ٦٥، ٦٤، ٦٣	قرية النيل
٣٩٧	ماردين	٤٢٣، ٢٨٦، ٢٧٠، ٢٤٨	
٣٦١	محافظة مصر	٣٨٧	قرية جناحة
٣٨٧	المحاويل	٢٥	قرية مديس
١٩٦	محلة أبي الفضائل	٢٨١	قرية هرقل
٣٢٠	محلة البراق	٢١٨	قروين = نهر الخزر
٢١	محلة التعيس	٢١٢	القسطنطينية
٣٣٢	محلة الجباوين	٣١٣، ٢٢٣	قضاء الهاشمية
٢٦١، ٢٢	محلة الطاق	١٧٥، ١٦٤	قم المقدسة
٣٩١	محلة الكلج	(حرف الكاف)	
٢٢	المدارس الحكومية في الحلة	٤٢١	كاشان
٢٠٣	مدارس أوروبا	٢٥٨، ٢٥٦، ٢٤٨، ٢٥	الكاظمية المقدسة
٣٢٠، ٤٤٢	مدرسة الشربياتي في النجف الأشرف	٢٥٩	
٤٠٣، ٣٠٠	مدرسة الوثبة في الحلة	٢٤٨، ٧٥، ٤٦	كربلاء المقدسة
١٤٥، ٢٩٨	مدرسة صاحب الزمان (عليه السلام) في الحلة	٤٥١، ٢٥٨	
٣٧	مديرية الأمن في الحلة	٦٨	كرمان
٣٨٧	المدينة المنورة	٣٢٢، ٦٢، ٦١	الكعبة المقدسة
٢٣٠	مدينة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)	٣٥	كلية التربية للعلوم الإنسانية
٢٢٠، ٢١٩، ٢١٨	مدينة قزوین	٢٣١	كندا
١٦٥	مراغة	٦٣	كوئي
٣٠٠	مرقد أبي الفضائل	١١٠، ٧٥، ٥٨، ١٩	الكوفة
٢٠، ١٨، ١٦، ١٥١١، ١٠	مركز تراث الحلة	٤٤١، ٣٨٨، ٣٧٠، ٣١٤، ١٤٦	
٣١٣	المزيدية	(حرف اللام)	
		٢٨٨، ٢٦	لبنان
		٣١٩	لندن

الفهرست الفنی

مستشفى الجمهوري ببغداد	٢٩٥	مكة	٤٤٧، ٦٣
المستنصرية	٢٥١	مكتب الإعلام الإسلامي	١٦٤
المسجد الأقصى	٢٦	مكتبة أحمد الثالث	١٧٥
المسجد الحرام	٣٢٨، ٣٢٢	مكتبة الإمام كاشف الغطاء	١٩٧
مسجد الخضر	٢٢٨	مكتبة البروجردي في النجف	٣٩١
مسجد صاحب الزمان (عليه السلام) = مقام الغيبة	١٤٥	مكتبة الجامعة المستنصرية	٤٢
مشهد الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)	٢٩٨، ١٩٧	مكتبة الزين	٤٣
مصر	٥٩، ٧٧، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦	مكتبة السليمانية في تركيا	١٧٥
٢٣٣، ٢٧٥، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٠		مكتبة الشيخ ضياء الدين النوري	٣١٦
مطبعة الآداب	١٨٥	مكتبة المتحف العراقي	٤٧، ٣٣، ٣٢، ٣١
مطبعة الإرشاد	١٤٨، ٦٥	المكتبة المستنصرية ببغداد	١٥٤
مطبعة الجامعة ببغداد	٢٠٢	مكتبة أمير المؤمنين (عليه السلام)	٥٥
المطبعة الحجرية	٣٥٥	مناطق الخليج العربي	١٢٨
المطبعة الحيدرية	٣٤٥	منزل بني عبد الدار	٦٣
مطبعة الراعي في النجف الأشرف	٣٦٢	مؤسسة المعارف للمطبوعات	٢٦
مطبعة السعادة	٣٦١	مؤسسة النشر الإسلامي	٣٩١، ١٧٥
مطبعة العالم	١٥٩	مؤسسة سيّد الشهداء العلمية	١٨٥
المطبعة العلوية في النجف	٣٤٦، ٢٦	الموصل	٢٢٠، ١٩٢، ١٨٠، ١٥٥
مطبعة القضاء	٢٩٥، ٣٥	٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٦٥، ٣٨٧، ٣٨٨	
المطبعة المليجية	١٠٤	ميسان	٥٨
مطير آباد	١٧٨	(حرف النون)	
معتقل أربيل	٤٤	النجف الأشرف	٥٥، ٤٦، ٢٦، ٢٥، ٢٢
مقام مشهد الشمس	٢٩٩، ٦٣، ٥٩، ٥٨	٧٢، ٧٥، ١٢٨، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٨٥	
مقبرة المعافي بن عمران	٢٢٩	٢١٨، ٢٢٠، ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٨٨، ٣٠٣، ٣١٤	
		٣٢٠، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٤٥، ٣٦١، ٤٤٩	

فَهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلَتَيْنِ

النعمانية ٤٣٢

نهر طابق ٢١٤

نهر العاصي ١٧٣

نهر الفرات ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٧،

١٤٦، ٣١٣، ٤١٧

نهر النيل في الحلة ٦٣، ٦٤، ١٩٧، ٣٩٤

(حرف الهاء)

الهامية ٥٨

همدان ٢٦٨

الهنود الحمر ٢٤٥

(حرف الواو)

واسط=الكوت ٥٧، ٥٨، ٢٣٤،

٣٧٨، ٤٣٢، ٤٣٣

وزارة التربية ٤٤

وزارة الثقافة ٥٣

وزارة الثقافة والإعلام العفلقية ٤٦

وزارة الدفاع ٤٤

وزارة المعارف ١٥، ٤٣، ٥٣

وزارة خارجية واشنطن ١٢٤

فَهْرَسُ الْبَيُوتَاتِ وَالْقَبَائِلِ وَالْفِرَقِ

٤١٦، ٣٨٧	آل العميدي	(حرف الالف)
٢٩٢	آل أبي فراس	آل البيت = أهل البيت = البيت العلوي ١٩،
٣٨٧	آل الفحام	٢١، ٢٢، ٨٤، ١٠١، ١٠٧، ١١٥، ١٩٢،
٣٨٧	آل فخري زادة	٢٨١، ٢٩١، ٣٢٢، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٦١،
٣٤٧	آل فرعون	٤٢٢، ٣٩٧
٢١، ٢٠، ١٩	آل كمال الدين	٣٨٧ آل السيد أحمد العطار
٣٨٧	آل السيد محمد	٦٨ آل بويه
٣٨٧	آل السيد مرتضى	٣٨٧ آل حديد
١٩٦	آل مرجان	٣٨٧ آل السيد حسن
٤١٦، ٤١٤، ١٥٩	آل المطهر = بنو المطهر	٣٨٧ آل السيد عبد الحسين السيد منصور
٤٤٦	آل معية	٣٨٧ آل السيد حميد
٣٠٣، ٢٩٨، ٢٩٦، ١٥٩، ٤٧	آل نما	٣٨٧ آل زوين
١١٠	آل يقطين	٣٨٧ آل شكاره
١٤٤، ٩٩	الأخبارية	١٥٩ آل السيوري
١٤٤	الأصولية	٣٨٨ آل الشلاه
٦٤	الأسرة المزيديّة	٣٨٧ آل شناوه
٢٨٠	أطباء بغداد	٣٨٧ آل شوكة
٢٨٠	أطباء الحلة	١٩ آل الصافي
٢٣٨، ٢٣٧	أعراب نجد	٢٥٦، ١٩٣، ١٥٩، ٤٧ آل طاووس
٤٥١	أبو عطا	١٥٩ آل عوض

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلَّةِ

الأمة الإسلامية=المسلمون	٢٨، ٢١٢،	(حرف الجيم)	
٢٣٨، ٣٤٧، ٣٧٧، ٣٩٧، ٣٩٨		جاوان	١٨٠
أمرء دولة الديلمة	٦٣	(حرف الدال)	
الإنجليز	٢٧٠، ٤٢٢	الدولة الإيلخانية	٢٨٩
أهل الحلة=الحليّون	٢٥٠، ٣٠٨، ٣٢٠،	(حرف الراء)	
٣٣٢، ٤٠٠		الرفاعيّة	٩٩
أهل السنة	٦٠، ٨٢، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٠،	(حرف الزاي)	
١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩، ١١٦، ١٢١، ١٢٢،		الزبيديّة	٩٩
٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢٣٤، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧١،		زوجات الرسول	٣٧٦
٢٨٤، ٣٤٦، ٣٦٠، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٩٧		(حرف السين)	
أهل الكرخ	٢٧١	السادة الأعرجيّة	٣٨٨، ٣٨٦
أهل الكوفة	٢٥٠	(حرف الشين)	
(حرف الباء)			
البابية	٩٩	الشيعة	٩٧، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩،
الباطنيّة	٢٣١		١٢٢، ١٣٩، ١٥٨، ٢١١، ٢١٤، ٢٣٠، ٢٣١،
بنو إسرائيل	١٩٩		٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٤، ٣٢٠،
بنو أميّة	٣٥٠		٣٣٣، ٣٣٦، ٣٥١، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٣،
بنو الحسين	٤٤٧، ٤٤٨	شيوخ الحلة	٢٨٤
بنو ربيعة	١٥٦	الشيوعيّون	٢٥٥، ٣٣٩
بنو زهرة	٢٨٩	(حرف الصاد)	
بنو سعد	٩٤	الصليبيّون	٢٣٨
بنو سعيد	١٥٩	(حرف العين)	
بنو سلجوق	١٤٧	العثمانيّون	٢٧٠
بنو العبّاس	١٤٧	علماء الأزهر	٣٦١
بيت سبع الدرج	٣٨٧	علماء الحلة	٢٧٧، ٣٠٦، ٣٠٧،
			٣١٤، ٣٧١، ٤١٥، ٤١٦، ٤٢١، ٤٥٢،

الفهرست الفنی

علماء الشافعية	٤٣٢	المذهب الجعفري = الفرقة الجعفرية = الفرقة الاثنا عشرية	٩٩، ٦١
علماء الشيعة	٣٥١، ٣٤٠، ٣٠٤، ٢٥٩	عشرية	٩٩، ٦١
علماء أهل السنة	٢٥٩	المذهب الحنيلي	١٠٠، ٩٩
علماء ايران = علماء فارس	٣٣٧، ٣٣٦	المذهب الحنفي	٢١٥، ١٠٠، ٩٩
العليّ اللاهية	٩٩	المذهب الشافعي	١٥٩، ١٠٠، ٩٩
العلويون	٣٧٢		٢١٥، ٢١٤، ٢٠٠
(حرف الفاء)		المذهب المالكي	٢١١، ٩٩
المعتزلة	٩٩	المغول	٢٧١، ٢٥٠
النقشبندية	٩٩	ملوك ماردين	٣٩٧
فقهاء الإمامية = علماء الإمامية	٣١٧، ٢٨٤	مؤرخي الشيعة	٢٧٠
٣٩٥، ٣٥٥، ٣٤١، ٣١٩		المؤمنون	٣٤٩
فقهاء الحلة	٤٥٣، ٤٥٣، ٣١٤، ٣١٤، ٢٨٨	(حرف النون)	
(حرف القاف)		النخع	٢٩١
القادرية	٩٩	النصاري	٢٤٠، ٢١٣
قبائل العراق	٢٥٢	النصيرية	٢٣١
قبائل اليمن	٢٩٢	(حرف الهاء)	
قبائل مذحج	٢٩١	همدان	١٣٨
قبيلة السكون	٢٣١	(حرف الباء)	
قريش	٣٥٩	اليهود	٣٨٣، ٩٢
(حرف الكاف)			
الكاثوليكية	٢٣٩		
الكشفية المغالية	٩٩		
الكيسانية	٩٩		
(حرف الميم)			
المذهب البروتستاني	٢٣٩		

فهرس المؤلفات المذكورة في المتن

١٢٣	الإسلام وأصول الحكم	(حرف الألف)
٢٧٤	الإسلاميات	٤٤٣ الابتهاج في علم الحساب
٣٤٤	الإشارات والتنبيهات	٢٦ إتقان المقال في أحوال الرجال
٣٤	الأعداد الحسابية في الآيات القرآنية	٣٦٧ اثبات الرجعة
١٣٧، ٢٦	الأعلام، للشيخ هادي كاشف الغطاء	٣٣ أحكام قرقوش
٣٥٧، ٣٥٦، ١٩٧، ١٤٤، ٤٢	أعيان الشيعة	١١٠ اختلاف الحديث
٢٤٦	الإقبال	٣٢ أدب الأعياد
٣٦٥	الإكليل في علم العروض	٢٧٤ الأربعون
٣٣	الألغاز والأحاجي	أرجوحة الأريب في هز أطروحة الدكتور حسن
١١٠	الألفاظ ومباحثها	٣٢ الخطيب
٢٤٧	أمان الأخطار	٣٤٥ إرشاد الأذهان
٤٦، ٣٢	الأمثال الشعبية في الديار العراقية	١٧٩، ١٧٧ إرشاد الأريب
٢٧٣	أمثال القرآن	٣٤٢ إرشاد المتعلمين
١٩٨، ١٨٣، ١٤٦، ٢٠، ١٤	أمل الأمل	٣٤ أزهير شتى
٤٣١، ٣٦٥، ٣٥٧، ٣٠٣، ٢٣٥		١٩٦ الأزدهار في شرح لامية مهيار
٣٤	أمواج الحياة	٣٦٢، ٣٥٢ استقصاء النظر
٣٤	أنا وإيليا أبو ماضي	٢٧٤ استواء الحكم والقاضي
٩٩	الانتصار	٣٥٢ الأسرار الخفية في العلوم العقلية
٤٢	إنسان العيون في مشاهير سادس القرون	٢٧٤ إسطرلاب الشعر
٢٦٥، ٢٣٥، ٢٣٤		١٢٤ الإسلام في نظر الغرب

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْحَاءِ فِي الْحَلِيقَةِ

أنفاس الربيع	٣٤	(حرف التاء)
الأنوار الساطعة	٤٢	تاريخ ابن بطريق
الأنوار المضيئة في الحكمة الشرعية	٤١٣، ٣٧١	تاريخ إربل
أنيس الجليس في التجنيس	٢٢٩، ٢٢٦	تاريخ العراق بين احتلالين
أنيس الموحدين في أصول الدين	١٠٧	تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام
أوجز الأنباء في مقتل سيّد الشهداء	٢٦	تبصرة
أوراد وأشواك	٣٤	تبصرة الطالبين في شرح نهج المسترشدين
الإيضاح والتبيين في شرح منهاج اليقين	٤١٩	٢٢٣، ٣٤٢، ٣٩١، ٣٩٣
الإيمان الحليّة	٣٢	البيان الجامع لعلوم القرآن
(حرف الباء)		١٦٦، ١٥٩
الباب الحادي عشر	١٣٠	التبيين والتنقيح في التحسين والتقبيح
بداية النهاية	١٧٥	١٧٥
براء الساعة	٢٤٧	تجريد الكلام
البرهان المبين فيمن يجب اتّباعه من النبيّين	٢٦	١٦٤
بساط النشاط في مواضع الاحتياط	١٥٢	تجريد النية من الرسالة الفخرية
بسط الإشارات	٣٤٤	٤١٨، ١٤٣
بسط الكفاية في علم النحو	٣٤٦	تحرير أصول الهندسة
البشارات بقضاء الحاجات	٢٤٧	١٦٤
البشارة	٢٤٧	التحرير الطاووسي
بشرى المحقّقين	١٩٦	١٩٦
بصائر السالكين في أصول الدين	١٥٢	التحرير
بغية الوعاة	٣٦٥، ١٧٧	٣٤٦، ٣٤٢
بهجة الخاطر	٢٤٦	تحصيل المنافع
البيان لشرح الكلمات	١٨١	٣٦٥
		تحفة الحضر والأعراب في النحو والإعراب
		٣١
		التحفة السعدية
		٣٦٥
		التخميس والتشطير في أصحاب آية التطهير
		٢٦، ٣١
		التذكرة
		٣٤٢
		التذكرة الجامعة
		٣٤٦
		التذكرة النصيرية
		١٦٤
		تذكرة الواصلين في شرح نهج المسترشدين
		٣٩٣
		تزيين الأسواق
		٣٨٠

الفهرست الفنی

٣١	جناح النجاح	٤٥١	تسلیة العالم فی شرح المعالم
٣١٩	جواهر الکلام	٤١٨، ٣٤٦	تسلیک الأفهام
٣٢	جولة فی عوالم الفکر	١٥٢	التصانیف الشریفة والتألیف المنیفة
٣٦٤	الجوهرة فی نظم التبصرة	٢٣٤	تصفّح الصّحیحین فی تحلیل المتعین
	(حرف الحاء)	٢٤٧	التعریف للمولود الشریف
٢٦	حاشیة المعالم	١٧٤	التعلیق العراقيّ الکبیر
٤٢٢	حاشیة شرح الشمسیة	١٦٦	التعلیقات
٤٢٢، ٤٢١	الحاشیة علی شرح التجرید	١٨١	تفسیر الکلبیّ
٣٤	الحرب الحاضرة	٣٦٥	تکملة المعتبر
٣١	الحرب بین الفضیلة والرذیلة	٣٥٧، ٢٧٨	تکملة امل الآمل
٣٦٥	حروف المعجم	٣٢١	تلخیص الفهرست
٣٦٥، ١٩٦	حلّ الاشکال فی معرفة الرجال	٣٤٢	تلخیص المرام
٣٤٠	الحلّة بین الحاضر والماضیّ	٢٩٦	تنبیہ الخاطر ونزهة الناظر
٢٢٥	الحماسة لأبی تمام الطائیّ		تهذیب النفس فی معرفة المذاهب
٢٢٩، ٢٢٥	الحماسة لشمیم الحلّیّ	٣٦٥، ٣٥٢	الخمسة
	(حرف الحاء)		توضیح ما یمتاج إلی توضیح فی القرآن
٣٦٤	الخريدة العذراء فی العقیدة الغراء	٣٤	الکریم
٢٣٤	خصائص الوحي		(حرف الثاء)
٢٢٩	الخطب الناصریّة	٣٣	الثعلب الصریع
٣٤٥	خلاصة الأقوال		(حرف الجیم)
٣٦٥	خلاف المذاهب الخمسة	٣٠٩	الجامع للشرائع
	(حرف الدال)	١٨٤	الجامع
٣٩٤	دار السلام	٣٢	جغرافیة القرآن الکریم
٣٦٤	الدّر الثمین فی أصول الدین	٣٣	الجغرافیة المنظومة
١٥٢	درر البحور وقلائد النحور فی الدراية	٢٤٧، ١٨٣	جمال الأسبوع

فَهْمَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

الدرر الفوائد في الأصول والقواعد	١١١	رياض العلماء	١٨٣، ١٨٩، ١٩٨
درر الفوائد	١١٠		٣٠٥، ٣١٦، ٣٥٧، ٤١٤
الدرر الكامنة	٣٩٧	(حرف السين)	
درر الكلام ويواقيت النظام	٢٠	سحر بابل وسجع البلابل	٤٢
درر النحور في مدائح الملك المنصور	٤١٣	السداسيّات، والسباعيّات	٣٤
الدرر والمرجان	٣٤٥	السرائر	١٦٦، ١٦٢
الدروع الواقية	٢٤٧	سعد السعود	٢٤٧
الدلائل البرهانيّة في تصحيح الحضرة		السلافة	٢٠
الغرويّة	٢٦٠	(حرف الشين)	
دليل القضاء الشرعيّ	٣٤٥، ٨٢	شرائع الإسلام	٣٢٠، ٣١٩
ديوان الكماليّات	٣٤	شرح أبيات الجمل	١٧٦
(حرف الذال)		شرح التجريد	٣٤٦
الذخيرة لأصحاب البصيرة	١٨١	شرح الثّار في أحوال المختار	٣٠٠
الذريعة إلى تصانيف الشيعة	٣٥٧، ١٤٣، ٤٢	شرح أنوار الملكوت	٣٩١
ذكرى رزيّة الطفّ	٣٣	شرح الشمسيّة	٤١٨
(حرف الراء)		شرح الكافية	٤١٨
الرائض في الفرائض	٣٦٤	شرح النهاية	٣٢١
ربيع الأسابيع	٢٤٧	شرح النهج لابن ميثم	٤١٨
رجال ابن داود	٣٦٥، ١٦٢	شرح ديوان المتنبّي	٤١٨
رحلتي إلى الآخرة	٣٤	شرح طوابع القاضي البيضاويّ	٤٢١
الرّد على الوزير المغربيّ	٢٧٤	شرح معرّب الزبدة	٤١٨
الرّد على أهل النظر	٢٣٤	شرح مقامات الحريريّ	١٨١
الرسالة القشيريّة	١٩٩	شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد	٢٣٥، ٢٩
روضات الجنّات	٣٠٣، ٢٢٣، ١٧٢، ١٦٧	شرح نهج البلاغة للعتائقيّ	٤١٨
٣٥٨، ٣٥٧		شطايا قنبلة	٣٢

الفهرست الفنی

۳۳	أبجد	۱۷۹، ۷۱	شعراء الحلة (البابلیات)
۴۴۳، ۲۳۴	عمدة الطالب	۳۸۵، ۳۶۶، ۲۶۲، ۱۸۱	
۱۱۰	العناوين	۲۶۰	الشمل المنظوم في مصنّفي العلوم
۱۹۶	عين العبرة في غبن العترة	۳۳	الشموخ لا الرضوخ
۱۸۱	عيون الشعر	۵۵	شهداء الفضيلة
	(حرف الغين)	۱۹۶	شواهد القرآن
۱۰	الغدير في الكتاب والسنة والأدب	۴۴	شيء من حياتي
۲۷۶	غرر الدلائل		(حرف الصاد)
	(حرف الفاء)	۱۰۴	صحيح البخاريّ
۳۳	فرائد الفوائد	۲۳۱	الصحيفة السجّادية
۲۴۷	فرج المهموم في تاريخ النجوم	۴۱۸	صفوة الصفوة
۲۶۰	فرحة الغريّ	۳۴۶	الصواعق الصواعق
۱۸۱	الفرق بين الرء والغين	۶۰	الصواعق المحرقة
۱۷۶	الفرق بين الضاء و الظاد		(حرف الطاء)
	فقهاء الفيحاء وتطوّر الحركة الفكرية في	۱۷۵	طبقات النحاة
۳۷۹، ۵۱، ۴۲، ۴۱، ۳۱، ۲۷، ۱۶	الحلة	۳۳	طرائف التاريخ الأبجديّ
۴۴۲	الفلك المشحون في أنساب القبائل والبطون	۲۴۷	الطرائف
۴۲۵	الفوائد الرضوية		(حرف الظاء)
۳۲	في مدح أهل البيت	۳۹۴	ظرائف الأحلام
	(حرف القاف)		(حرف العين)
۳۴	قبضة من أزهار	۲۲۰	عجائب المخلوقات
۳۴	القرآن يسأل ويحيب	۳۶۴	عدّة الناسك في قضاء المناسك
۳۶۵	قرّة عين الخليل في شرح النظم الجليل	۴۱۶	العدد القويّة لدفع المخاوف اليومية
۱۵۲	قلائد النحور في إثبات البعث والنشور	۳۶۴	عقد الجواهر
۳۴۲، ۸۰	قواعد الأحكام		عقود الزبرجد في حساب الكلمات بحساب

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلْتِ

القواعد الفقهية	٣٤٦	(حرف الميم)
(حرف الكاف)		ما وراء الستار ٣٤٦، ٣٤
الكافي	٣٦٥	مأخذ الشعراء ٢٧٨، ٣٢
كتاب الألفين	٣٥٥	مباني الاستنباط ٧٨
كتاب التشريح	٤١٩	مباني الأصول ١١٠
كتاب الرجال لابن الأبرر	٢٠	متشابه القرآن ١٥٢
كشف الالتباس في نسب بني العباس	٤٤٣	مثير الأحزان ٣٠٠
كشف اليقين باب مغيبات أمير المؤمنين عليه السلام	٢٥٠	مجالس المؤمنين ٤٢١
الكفاية	١١٠	المحتسب في شرح الخطب ٢٢٩
الكنى والألقاب	٢٦٢، ٢٣٥	المحصل ٢٢٢
الكهنة	٣٢١	المختصر في شرح اللمع ٢٢٩
(حرف اللام)		مختصر أسرار العربية ٣٦٥
لآلئ وأصداف	٣٣	مختصر أوائل أبي هلال العسكري ٤١٨
لحساب من هذه الخيانة	٣٢	مختصر الإيضاح ٣٦٥
اللحن الجلي	١٥٢	مختصر البصائر = مختصر بصائر الدرجات ٣٦٨، ٣٦٧، ٢٤٧
اللحن الخفي	١٥٢	مختصر تاريخ الحلة ٣٥٦، ٢٩٦
لزوم الخميس	٢٧٤	مختصر التبيان في تفسير القرآن ١٥٢
لسان الميزان	١٤٤	مختصر ابن الحاجب ٣٥٤
اللمعة البهية في الأدلة الإجمالية	٣٦١	مختلف الشيعة ٣٤٤، ٣٤٢
اللمعة دمشقية	٣٦٤، ٣١٩، ١٩٠	المختلف ٣٤٦
اللمعة في الفقه	٣٦٤	مدارك الأحكام ٣١٩
اللؤلؤة	٣٦٤	مداعبات ٣٢
لؤلؤة البحرين	٣٦٤، ٣٦٠، ٣٠٣	المساجلات الأدبية ٣٣
		مسالك الأفهام ٣١٩

الفهرس الفنى

٢٤٧	المهوف	١٨١	مسائل الامتحان
٣٤	من أعماق الضمير	٣٢١	المسائل العزّة
٤١٤	من لا يحضره الفقيه	٣٢١	المسائل المصرية
٣٢	من مخازي الشيوعيين	٣٨٩	المسائل النافعة للمباحث الجامعة
٢٢٩	مناحي المنى في إيضاح الكنى	٢٦	المستدرك على نهج البلاغة
٢٣٤	مناقب آل أبي طالب	٢٢٧	المستوفي
٣٦٨	منتخب البصائر	٣٢١	المسلك في أصول الدين
٤١٨	المنتخب في لباب الأدب	١٧٥	المصادر في أصول الفقه
٣٤٢	منتهى المطلب	٤١٨	مصباح الأنوار
١٤٤	المنجي من الضلال	٢٤٧	مصباح الزائر وجناح المسافر
٣٣	المنظوم في القرآن الكريم	٣١٩	مصباح الفقيه
١١١	منظومة الكواكب	٤٢٠	المصباح
٢٢٣، ٢٢٢	منهاج الأصول	٢٤٧	مضمار السبق في ميدان الصدق
٣٤٧، ٣٤٦	منهاج السنة النبوية	٤٥٢	معالم الأصول
٤٤٣	منهاج العمال وضبط الأعمال	٣٢١	المعتبر في شرح المختصر
٣٤٦	منهاج الكرامة	٢١٤	معجم الأدباء
٣٧٦	المنهاج	١٧٩	معجم البلدان
٢٥	منهج الاستنباط	٣٢١	معراج الوصول إلى علم الأصول
٣٠٠	منهج الشيعة	٤٤٢	معرفة الرجال
٣٢	منهل القضاء الشرعي وفق المذهب الجعفري	١٩٦	المقالة العلوية في نقض الرسالة العثمانية
٣٩١	منية الأديب في شرح التهذيب	٢٦	المقبولة الحسينية
٢٤٧	مهج الدعوات	٣٦٥	مقتصر المختصر
١٨٩	الميزان	٣٠٠	مقتل ابن نما
(حرف النون)		٢٧٤	المقصورة في الرد على العمري
٣٤٤، ٣٢١	النافع يوم الحشر	١٩٦	ملاذ العلماء

فَهْمَاءُ الْفِيحَاءِ وَقَطْوَالُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ



نخبة المقال	٣٤٢	(حرف الياء)
نزهة الناظر في الجمع بين الأشتباه والنظائر	٣٠٩، ١٩٨	اليقين
نشر الخزامى في تراجم أصحابنا القدامى	٤١، ١٣٠، ١٣١، ١٣٨، ١٥٠، ١٥١، ٢٨٥، ٢٩٠، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٩٣	
نظام الأقوال	١٤٣	
نقض الموجز	١٧٥	
نقض على ابن أبي الحديد المعتزلي	١٩٦	
النكت	٣٦٥	
نهاية الأحكام	٣٤٦	
نهاية الطالب في نسب آل أبي طالب	٤٤٢	
نهج البلاغة	١٠٩، ١١٥، ١١٩، ١٣٧، ٢١٠	
نهج العلوم في نفي المعلوم	٢٣٤	
نهج المسترشدين	٣٩٣	
النهج الوضاح في الأحاديث الصحاح	٣٤٦	
(حرف الهاء)		
هداية الأنام	٣١٩	
هكذا يجب أن نشور	٣٣	
(حرف الواو)		
وحشية المتمدّنين في حرب السويس	٣٣	
وفيات الأعيان	٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٥	
وفيات العلماء	١٦٧	
الوقوع بين محذورين	٣٣	



فهرس الأشعار

البيت الشعري	آخر البيت	الشاعر	الصفحة
قافية الهمزة			
حسن مرجان بنى قبة	الثناء	هادي كمال الدين	١٧٠
سدم الناس بالتقى وسواكم	الصفراء	البوصيري	٢٦٣
عز العزاء فلات حين عزاء	الشعراء	محمود بن سالم الشيباني	٤٢٥
قافية الألف			
أحسن الفعل لا تمت بأصل	توسى	عبد الله بن جعفر بن معة	٤٤٦
بإسلامه ما له من صلات	انتمى	السيد هادي كمال الدين	١٢٧
الشعر يرضى أن أكون عالما	شاعرا	غير منسوب	٣٣٠
عزيز علينا كتبنا بعدنا	ترمى	حمد محمد حسن كمال الدين	٣٠٩
للشرباني أصحاب وتلمذة	وهنا	جعفر الحلي، السيد	٣٢٠
ومن غالب الأيام فيما يرومه	مغلبا	ابن معة	٤٤٤
قافية الباء			
أسبلن من فوق النهود ذواثبا	ذواثبا	صفي الدين الحلي	٤٠٢
إن كنت تتبع الهوى	دأبا	يحيى بن سعيد	٢٢٤

فَهْمَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتِ



٢٦٥	غير منسوب	ريب	بقرت شويهي وفجعت قومي
٤٠٧	صفي الدين الحلي	ناب	بنو الدنيا فرائس للمنايا
٣٠١، ٦١	ابن نما	سغوب	جاد بالقرص والطوى ملء جنبيه
٥٩	السيد الحميري	للمغرب	رُذَّت عليه الشمس لما فاته
٤١٠	صفي الدين الحلي	والقلبا	سلاف تميّت العقل في حال شربها
١٧٦	ابن حميدة النحوي	ومرحبا	سلام على تلك المعاهد والربى
٣٢٣	أبو تمام	واللعب	السيف أصدق إنباء من الكتب
٣٠-٢٩	جرير	كلابا	فغض الطرف إنك من نمير
٢٣٦	ابن بطريق	لهب	الكفر في الترك دون الكفر في العرب
٢٧٧	ابن أبي الرضا العلوي	غروب	مصابب أصاب القلب منه وجيب
٤٤٤	الديباجي	المتعصبا	ملكك عنان الفضل حتى أطاعني
٥٩	السيد المرتضى	كبكب	هلاً وقفت على المكان المعشب
٣٠	الحارث بن ظالم المري	الرقابا	وما قومي بثعلبة بن سعد
٢١	عامر بن الطفيل	أب	وما سودتني هاشم عن وراثته

قافية التاء

٣٠	هادي كمال الدين	معركة	عن اندحار أمتي في حربها
٤٣٤	هادي كمال الدين	عاشت	فبعده آثاره
١٧٠	هادي كمال الدين	مفتتنة	قبر ابن ادريس بنته معشر
٢٥٥	غير منسوب	درست	مذ مات آثار العلوم
١٦٨	هادي كمال الدين	معطرة	هذا ابن إدريس له

الفهرس الفئتي

٤٠١ يانسمة لأحاديث الحمى شرت شرت صفى الدين الحلى

قافية الناء

٢٧٤ وحديث الإسلام واهي الحديث خبيث مهذب الدين الخيمى

قافية الحاء

٢٣٧ هزوا معاطفهم وهن رماح صفاح غير منسوب

قافية الدال

٢٧٤ أأصنام هذا الجيل طرا أكلكم ود مهذب الدين الخيمى

٤٥٠ ألا ما أقل وفاء العفيف الصدودا صفى الدين أبو عبد الله الطقطقى

٣٠٧ أمست خلاء وامسى أهلها احتملوا لبد النابغة الذبياني

٤٤٢ حفظت درسي ثم حررتة أستفد ابن معية

١٥٤ فكم ليلة قد بت أرشف ريقه المنضد محمد ابن الكيال

١٧١ قسما بمرقدك المقدس الممجد محمد على النجار

٤٠٢ لا تحش يا ربع الحبيب همودا عهدا صفى الدين الحلى

١٨٤ ليس في الناس فقيه سعيد غير منسوب

٤٤٢ يا جامعا دروسه أحرفا بالمستفيد مسلم حمود الحلى

قافية الراء

٣٨٤ أبكي اشتياقا كلما ذكروا الذكر اليعقوبى التبريزي

٣٠٢ إذا اعتقلوا سمر الرماح ويمموا والذعر ابن نما

١٧١ إلى الحسينية قد تبرعت أغمار هادي كمال الدين

٣٠١، ٦٠ إمام هدى بالقرص أثر فاقتضى أزهر ابن أبي الحديد المعتزلى

فَتْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِي فِي الْحَلْتِ

١٧١	الأبرار	هادي كمال الدين	حتى انبرى حسان مرجان ومن
١٧٠	أبرار	هادي كمال الدين	حسان مرجان فتى قد سعى
٤٠٣	والبرّ	صفّي الدين الحلّي	سوابقنا والنقع والسمر والطبا
٣٢٨	الكثير	غير منسوب	فما الإسراف من خلقي وأني
٢٤٨	جعفر	عليّ بن حمزة العلويّ	فهذا عليّ نجل موسى بن جعفر
٤٠١	مقبور	صفّي الدين الحلّي	من نفخة الصور أم من نفخة الصرّ؟
١٥٤	فطرًا	الفرضيّ الحلّي	نذر الناس برئك صومًا
٤٤١	النار	ابن مُعَيَّة	ودوحةٌ تدهش الأبصار ناضرةً
٢٠١	نيرًا	ابن الباقلانيّ	وجدتُك حقًا يا جلال مهذبًا
٢٧٤	والناظر	مهذب الدين الخيميّ	وسبحة مسوذةً لوها
١٧٥	الدار	سديد الدين الحمصيّ	وقد كنت أبكي وداري منك دانية
٦٤	القبرُ	غير منسوب	ونحن أناس لا توسّط عندنا
٤٢٤	القمر	ابن البقال	يا صاحبيّ بأرض النّيل لي قمرٌ
٤٢٤	البشر	هادي كمال الدين	يا صاحبيّ بأرض النّيل لي قمرٌ

قافية الزاي

٤٢٧	والتعزيزُ	محمود بن يحيى الشيبانيّ	عبد العزيز عليّ أنت عزيزُ
٤٢٧	ويفوز	صفّي الدين الحلّي	من لي بقربك ؟ والمزارُ عزيز

قافية الشين

٢٧٦	فرقوش	غير منسوب	كلّ الخنا والمخازي

قافية الضاد

الفهرست الفنی



فعلنا في النهر ندرک راحة الأرض غير منسوب ٤٣٩

قافية العين

لك الله أيّ بناء تداعى ارتفاعا محفوظ بن وشاح ٣٦٣
 من كان فوق محلّ الشمس رتبته يضع غير منسوب ٣٥٨
 يا من له ردت ذكاء ولم يفز يوشع ابن أبي الحديد المعتزلي ٦٠

قافية الفاء

أسرت قلبي الأسيرة لما خلاف إسماعيل بن جعفر ٤٤٦
 إلى الفقيه العلم البحّثة المصنّف هادي كمال الدين ٢٠١
 وإنّي أريد العيش ما رقّ واصفاً فأصرفا ابن السكوني الحليّ ٢٣٠
 وقائل لي قد شابت ذوائبها النحف ابن الباقلانيّ ٢١٥

قافية القاف

أترى يبلّ غليله المشتاق الخفاق ابن الجعفريّة ٢٨٣
 إن اتفاق (الأردن) الالاتفاق هادي كمال الدين ٣٠
 أشغلت نفسي عن الدنيا ولذتها مفترق جمال الدين بن محمد المهنا ١٩٩
 حتّام أجري في ميادين الهوى مسبوق محمد بن أحمد بن جيا ١٧٨
 في فيروزج الصبح أم ياقوتة الشفق الورق صفّي الدين الحليّ ٤٠١
 قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة مغلق إبراهيم بن عثمان الغزيّ ٦٨
 قد شاد حسان حسينية الحقّا هادي كمال الدين ١٧٠
 كيف الظلال ونور وجهك مشرق؟ يعبق صفّي الدين الحليّ ٤٠٣
 وأغلب وصف النّاس للنّاس باطل خليق هادي كمال الدين ٢٧١

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحُرُوفِ الْفَيْحِيَّةِ فِي الْحَلْتِ



١٧٠

الخلاق هادي كمال الدين

وقبة إلى ابن ادريس الذي

قافية الكاف

٣٨١

دماك الشفهيني

يا عين ما سفحت غروب دماك

قافية اللام

٣٩٤

الرّسل نظام الدين الأعرجي

إذا اختلفت في الدين سبعون فرقة

٣٨٥

ذبول الخطابي

إذا غبتم عن ربيع حلة بابل

٦١

رغال جرير

إذا مات الفرزدق فارجموه

٣٦٤

المحمل هادي كمال الدين

أفما نظرت على الكلام

٥٥

كمالا هادي كمال الدين

أيها الناظر في تأليفنا

٣٣٠

كامل أبو العلاء المعري

جمع الزمان فلا لذيد خالص

٢٤٩

الزّوال رضي الدين ابن طاووس

خبت نار العلا بعد اشتعال

٢٧٨

عيالا حيدر الحلي، السيّد

كان للناس جميعاً كفيلا

١٣٨

الرجال الإمام عليّ (عليه السلام)

لنقل الصخر من قلل الجبال

٢٧٨

محالا صفّي الدين الحليّ

لو أفادتنا العزائم حالا

٣٥٨

تنبلا العلامة الحليّ

ليس في كل ساعة أنا محتاج

٣٢٨، ٢١٦

النعل المحقق الحليّ

ليهنك أني كلّ يوم إلى العلا

٤٤٥

واعتدالا عبد الله بن جعفر بن مَعِيّة

وأهيف فاتر الأجفان أضحي

٣٩٣

بابل نظام الدين العميديّ

وضجّة لا تستقرّ ساعة

٣٨٤

الشّكل الخطابيّ

وما غربة الإنسان في شقة النوى

٣٢٨، ٢١٧

الفضائل غير منسوب

ولست أَرْضَى أن يقال شاعر

الفهرست الفنی



ولو أني جعلت أمير جيش بالسؤال أبو إسحاق الشيرازي ٢٤٩

قافية الميم

١٥٣	اجعل همومك واحداً	الهموم	سبط ابن التعاويذي
٣٣٣	أقلقني الدهر وفرط الأسى	الضرام	محموظ بن وشاح
٥٩	ألمت وهي حاسرة لثاما	الظلاما	مجد الدين جميل
٢٢٥	إن بني رملوني بالدم	يكلم	أبو أخزم الطائي
٣٠١	أنا ابن نما، أما نطقت فمنطقي	أعجبا	ابن نما
١٨١	عباد الله أقوام كرام	نظام	ابن الهيجاء
٣١	في حرب إسرائيل قومي قد مضوا	للأمام	هادي كمال الدين
١٩٠	ولو أن أهل العلم صانوه، صانهم	لعظما	غير منسوب
٣٥٨	لو كنت تعلم كل ما علم الوري	العالم	العلامة الحلي
٥٧	يأكل من خصب سيال وسلم	النعم	غير منسوب
٣٥٩	يا من يمّوه في السؤال مسفسطاً	بلازم	محمد بن محمد الموصلي
٤٤٣	يعزّ على أسلافكم يا بني العُلا	شتائم	ابن مُعِيّة
٤٤٣	يعزّ على أسلافكم يا بني العُلا	المكارم	هادي كمال الدين

قافية النون

٣٠٢	إن كنت في آل الرسول مشككا	القرآن	ابن أبي الحديد
٤٤٦	ألم يبلغك شأن بني حسين	الحرون	القاسم بن مُعِيّة
٤٤٨	بني الحسن الكرام لكم فخار	الحسين	هادي كمال الدين
٤٠٣	الحق أن العُلا من صنع أيدينا	أيدينا	صفي الدين الحلي

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْحِيِّ فِي الْحَلْتَيْنِ



٤٠١	الكثبان	صفِّي الدين الحليّ	خلع الربيعُ على غصون البان
٦٨	مغبون	صفِّي الدين الحليّ	من لم تَرِ الحَلَّةَ الفيحاء مقلته
١٦٩	المحسنون	هادي كمال الدين	الناس أنوعٌ وأفضلها
٢٨٩	مأمون	ابن الدريّ	نجمان كلّ منهما في بلدة
٣٢٤	زمنّا	المحقّق الحليّ	هجرت صوغ قوافي الشعر في زمن
٣٣٧	شان	هادي كمال الدين	هو علامة الدّهر، فيه
٣٦٢، ٣٤٣	الزمن	عبّاس الحاجيانيّ الدشتيّ	وآية الله أبو يوسف الحسن
٤٣٥	الأركان	ابن مُعيّة	واخدم بلادك ما استطعت وكن لها

قافية الهاء

٢٧٤	طرقه	مهذّب الدين الخيميّ	أبكى وَحَقَّ لناظري غرقه
١٩٣	بصدوده	أحمد بن الخطّاب	أحبي بموعده قتيل وعوده
٣٠٣	مشرقه	هادي كمال الدين	اظلمت الدُّنيا لفقدانه
٣٧٢	وكذّابها	صفِّي الدين الحليّ	ألا قل لشرّ عبيد الإله
٤٣٨	نخيله	الرّصافيّ	إنّ العراق بعرضه وبطولهِ
٣٨٨	خرّدها؟	أبو الطيب المتنبيّ	أهلاً بدار سباك أعيدّها
١٩٢	وريقه	أحمد بن الخطّاب	حكاه من الغصن الرطيب وريقه
١٨	سبيلها	مجيد العطار الحليّ	حمد بن فاضل أنت أعظم عالم
٣٨٨	وأجودها	أبو الطيب المتنبيّ	خير قریش أباً وأمجدها
٤٠٨	بأرسانها	صفِّي الدين الحليّ	طُفيلُ تَفَادُ بِأَذْنَابِهَا
٤٠٨	والأفواه	صفِّي الدين الحليّ	قالَ النبيّ مقال صدق لم يزل

الفهرست الفنی



۳۴۷	نلقاها	غير منسوب	قد أنصف القارة من رامها
۶۷	آفاقها	هادي كمال الدين	مدينة الحلة سحارة
۳۶۹	معانيه	كمال الدين الحلّي	لفظ اسمه حسن يحيي الفؤاد
۳۶۵	به	هادي كمال الدين	لما أتى أفق العلا
۵۲	صدره	هادي كمال الدين	ليس بإنسان ولا عاقل
۴۳۵	أمينه	ابن مُعِيّة	هذا العراق بسهله وحزونه
۳۷۱	فسل به	صفيّ الدين الحلّي	هو الدهر مغرّى بالكريم وسلبه
۷۰	بانتظاره	هادي كمال الدين	هي الحلة الفيحاء من زار ربعها
۳۷۷	بأثوابها	صفيّ الدين الحلّي	وعندك لا تورث الأنبياء
۱۷۹	جماعها	مسكين الدارميّ	وفتيان صدق لست مطلع بعضهم
۳۰۲	عرصاتها	ابن نما	وقفت على دار النبيّ محمّد
۲۰۱	منتبه	ابن الباقلانيّ	ولي صديقّ قد أتاني مازحا
۲۵۸	معائبه	ليزيد بن محمّد المهلبّي	ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلّها
۴۴۵	بمكانه	عبد الله بن جعفر بن مُعِيّة	ومن العجائب أنّ قلبي يشتكي
۳۷۲	بأهدابها	ابن المعتز	ونحن ورثنا ثياب النبيّ
۳۶۰	أنزله	محمد بن ادريس الشافعيّ	يا آل رسول الله حِكْمُ
۳۲۶	ترميه	المحقّق الحلّي	يا راقداً والمنايا غير راقدة
۳۸۸	محمّدها	أبو الطيّب المتنبي	يا ليت لي ضربةٌ أُتيح لها

قافية الواو

۲۳۵، ۵۴	فعلوا	عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	نبني كما كانت أوائلنا

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

قافية الباء

٤٢٧	محمود بن يحيى الشيبانيّ	نحري	أخلاي بالفيحاء إن طال بعدكم
٢٠٣	الباقلانيّ	الدّواهي	أشكو وشكواي إلى الإله
٢٧٩	محفوظ بن وشاح	العاني	أغيب عنك وأشواقِي تجاذبني
٣٩٧	محمّد ابن إدريس الشافعيّ	رافضي	إن كان رفضاً حُبُّ آلِ محمّد
١٩٩	هادي كمال الدين	راقي	حسان بن مرجان بنى مثدنةً
١٨١	ابن الهيجاء	دعاني	دعاني من ملامكما دعاني
٢٨٧	إبراهيم بن حسام ابن أبي الغيث	خفي	عَرَجَ بجزيّن يا مستبعد النجف
١٦٩	هادي كمال الدين	الشرقيّ	للحلة الفيحا حسينيةٌ
٤٣٠	غير منسوب	تنادي	لقد أسمعت لو ناديت حيّاً
٤٠٣	صفّي الدين الحلّيّ	ضلالي	ولقد أسير على الضلال ولم أقل



فهرس المحتويات

٧	الإهداء
٩	كلمة المركز
١٣	مقدمة التحقيق
١٧	المطلب الأول: السيد هادي كمال الدين حياته وآثاره (١٣٢٦-١٤٠٥هـ / ١٩٠٥-١٩٨٦م)
١٧	نسبه
١٨	ولادته
١٩	نسبه
٢١	نشأته
٢٢	وكالاته
٢٤	أبرز شيوخه
٢٧	أدبه وما قيل فيه
٢٩	توظيفه الشعر للقضايا الوطنية
٣١	مصنفاته بقلمه
٣١	القسم الأول: المصنفات المطبوعة للمؤلف
(٣٧٥٠)	القسم الثاني: المصنفات المخطوطة المسجلة بمكتبة المتحف العراقي بموجب الأمر الإداري (٣٧٥٠)
٣٢	في ٣/ ٣/ ١٩٧٦م
٣٣	القسم الثالث: المصنفات غير المسجلة في المتحف العراقي

فَقْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّرُ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ

٣٥	اغتياله
٣٩	المطلب الثاني: منهج السيّد هادي كمال الدين في فقهاء الفيحاء
٣٩	الأوّل: المنهج الخارجي
٤٠	الثاني: المنهج الداخلي
٤١	موارده
٤٣	هذا الكتاب
٤٦	عملنا في هذا الكتاب
٤٩	فَقْهَاءُ الْفِيحَاءِ وَتَطَوُّرُ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ
٥١	تمهيد
٥٧	المُقَدِّمَةُ
٦٣	تَأْسِيسُ الْحِلَّةِ
٦٤	كَيْفَ انْتَقَلَتِ الْأُسْرَةُ الْمَزِيدِيَّةُ إِلَى النَّيْلِ؟
٦٧	وَصَفُ الْحِلَّةِ
٧٠	النُّصُوجُ الْفِكْرِيَّةُ وَبَوَائِعُهُ
٧١	لِلتَّفَكُّهِةِ
٧٢	أَخْصَبُ الْأَدْوَارِ
٧٣	سَلَامَةُ الْحِلَّةِ مِنْ نَكْبَةِ التَّزْرِ
٧٥	تَعْرِيفُ الْفَقْهِ
٧٧	الاسْتِصْحَابُ
٧٩	الْإِجْتِهَادُ
٨٦	هَلْ تَأَثَّرَ الْإِسْلَامُ بِالْفَقْهِ الرُّومَانِيِّ؟

الفهرس الفنیة

٩٥	إشكال على العلامة الحلي
٩٩	الخلاف بيننا، وبين إخواننا أهل السنة
١٠٠	الأحكام الفرعية
١٠٩	تاريخ تأسيس علم أصول الفقه
١١٧	من سواهد عبقرية هشام
١١٨	الخلاف بيننا وبين الإخباريين
١١٩	الأدلة
١٢٠	من أمثلة الخلاف
١٢١	النهاية عكس البداية
١٢٣	مناقشة
١٢٩	حب الاستقلال، والإدراك السياسي
١٣٠	الإجازة
١٣٠	كتاب نشر الحرامى
١٣١	نشر الحرامى
١٣١	ملاحظة وتنبية
١٣٣	القرن الرابع الهجري
١٣٥	١. الحائك (المتوفى سنة ٣٣٤هـ)
١٤١	القرن السادس الهجري
١٤٣	٢. جمال الدين بن أبي القاسم (سنة ٥٣١هـ)
١٤٣	٣. الحسين بن عقيل (سنة ٥٥٧هـ)
١٤٥	٤. الجامعاني

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحَلْتَيْنِ

- ١٤٦ ٥. عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بَادِشَاه
- ١٤٧ ٦. الْبَنْدَهِيُّ الْحَلِّيُّ [ت ٧٧٨هـ]
- ١٥٠ ٧. السَّيِّدُ ابْنُ عَرَفَةَ
- ١٥١ ٨. مُحَمَّدُ ابْنُ الْكَيْالِ (٥١٥-٥٩٧هـ)
- ١٥٤ ٩. الْفَرَضِيُّ الْحَلِّيُّ [ت ٥٩٠هـ]
- ١٥٦ ١٠. ابْنُ إِدْرِيسِ [٥٣٤-٥٩٨هـ]
- ١٧٢ ١١. الشَّيْخُ سَيِّدُ الدِّينِ الْحَمَصِيُّ الرَّازِيُّ (ت ٦٠٠هـ)
- ١٧٦ ١٢. الشَّيْخُ ابْنُ حَمِيدَةَ النَّحْوِيُّ (٤٨٦-٥٥٠هـ)
- ١٧٧ ١٣. شَرْفُ الْكُتَّابِ ابْنُ جَيَّا (ت ٥٧٩هـ)
- ١٨٠ ١٤. أَبُو سَعِيدِ ابْنِ حَمْدَانَ (ت ٥٦١هـ)
- ١٨٢ ١٥. الْعِبَادِيُّ الْحَلِّيُّ [ت بَعْدَ ٥٨٠هـ]
- ١٨٤ ١٦. الشَّيْخُ نَجِيبُ الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَّا [ت ٦٩٠هـ]
- ١٨٧ القرن السابع الهجري
- ١٨٩ ١٧. الشَّيْخُ الشَّامِيُّ الْحَلِّيُّ
- ١٩١ ١٨. أَحْمَدُ بْنُ الْخَطَّابِ (٦٠٣-٦٥٦هـ)
- ١٩٣ ١٩. أَبُو الْفَضَائِلِ (٦٧٣هـ)
- ١٩٦ ٢٠. ابْنُ رَدَّةِ الْحَلِّيُّ النَّيْلِيُّ [ت ٦٤٤هـ]
- ١٩٨ ٢١. السَّيِّدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَنَّا [ت ٦٧٥هـ]
- ٢٠٠ ٢٢. ابْنُ الْبَاقِلَانِيِّ ٥٦٨-٦٣٧هـ
- ٢١٦ ٢٣. أَبُو يَحْيَى الْحَسَنُ بْنُ نَجِيبِ الدِّينِ
- ٢١٨ ٢٤. الْقُرُونِيُّ الْحَلِّيُّ [ت ٦٨٣هـ]

الفهرست الفنی

۲۲۱. ۲۵. سدید الدین سالم بن محفوط [المتوفى حوالي ۶۳۰هـ]
۲۲۴. ۲۶. شمیم الحلي (ت ۶۰۱هـ)
۲۳۰. ۲۷. ابن السكوني الحلي (ت ۶۰۶هـ)
۲۳۲. ۲۸. ابن بطريق (ت ۶۴۲هـ)
۲۴۶. ۳۹. رضي الدين ابن طائوس (۵۵۹-۶۶۴هـ)
۲۵۶. ۳۰. عبد الكريم غياث الدين ابن طائوس (۶۴۸-۶۹۳هـ)
۲۶۳. ۳۱. أبو الحسن علي القاضي (ت ۶۲۱هـ)
۲۶۶. ۳۲. ابن العلقمي (۵۸۹-۶۵۷هـ)
۲۷۲. ۳۳. مهذب الدين الحيمي (۵۴۹-۶۴۲هـ)
۲۷۶. ۳۴. محفوط بن وشاح (ت ۶۹۰هـ)
۲۷۹. ۳۵. الهرقلي الحلي [كان حياً ۷۰۷هـ]
۲۸۱. ۳۶. أبو الفتح (ت ۶۰۶هـ-...)
۲۸۴. ۳۷. الرافضي الفقيه (ت ۶۷۹هـ)
۲۸۵. ۳۸. ابن العود [ولد ۵۸۱، ۵۸۳-ت ۶۷۷، ۶۷۹هـ]
۲۸۸. ۳۹. نجم الدين، ابن الدري (ت ۶۰۰-...)
۲۹۱. ۴۰. الشيخ ورام (ت ۶۰۵هـ)
۲۹۶. ۴۱. الرئيس أبو البقاء، ابن نما (ت ۶۸۰هـ)
۳۰۳. ۴۳. يوسف بن علوان الفقيه [كان حياً ۶۲۸هـ]
۳۰۵. ۴۳. سدید الدین، ابن المظهر [كان حياً حدود ۶۶۵هـ]
۳۰۸. ۴۴. ابن سعيد الحلي (۶۰۱-۶۸۹هـ)
۳۱۱. القرن الثامن الهجري

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحِلْيَةِ

٤٥. أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَرْيَدِيُّ ٣١٣
٤٦. أَحْمَدُ بْنُ الْحَدَّادِ [كَانَ حَيًّا حُدُودَ سَنَةِ ٧٤٥هـ] ٣١٥
٤٧. الْمُحَقِّقُ الْحَلِيُّ (٦٠٢-٦٧٦هـ) ٣١٧
- [٤٨]. آيَةُ اللَّهِ الْعَلَامَةُ الْحَلِيُّ (٦٤٨-٧٢٦هـ) ٣٣٥
٤٩. الْحَسَنُ بْنُ دَاوُدَ الرَّجَالِيِّ (٦٤٧-٧٤٠هـ) ٣٦٢
٥٠. الْحَسَنُ بْنُ سُلَيْمَانَ [كَانَ حَيًّا عَامَ ٨٠٢هـ] ٣٦٧
٥١. ابْنُ مُظَاهِرٍ الْحَلِيُّ [بَعْدَ ٧٤١هـ] ٣٦٩
٥٢. النَّقِيبُ غِيَاثُ الدِّينِ النَّبَلِيُّ ٣٧٠
٥٣. النَّقِيبُ رَشِيدُ الدِّينِ الْأَوْيُّ [حَيًّا سَنَةَ ٧٠٥هـ] ٣٧٢
٥٤. الشُّفْهِينِيُّ الْحَلِيُّ [الْمَقْتُولُ سَنَةَ ٧٨٦هـ] ٣٧٨
٥٥. عَمِيدُ الدِّينِ الْأَعْرَجِيُّ ٦٨١-٧٥٤هـ ٣٨٦
٥٦. نِظَامُ الدِّينِ الْعَمِيدِيُّ - ٦٨٣هـ ٣٩٢
٥٧. صَفِيُّ الدِّينِ الْحَلِيُّ (٦٧٧-٧٥٠هـ) ٣٩٥
٥٨. أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ الْحَلِيُّ ٤١٤
٥٩. الشَّيْخُ رَضِيُّ الدِّينِ [ابن النُّظَّهَرِ الْحَلِيُّ ٦٣٥- حدود ٧١٠هـ] ٤١٥
٦٠. الْعَتَائِقِيُّ [نحو ٦٩٩-٧٩٠هـ] ٤١٦
٦١. الْكَاشَانِيُّ [حُدُودَ ٦٧٥-٧٥٥هـ] ٤٢١
٦٢. ابْنُ الْبَقَّالِ (٧٠٨-٧٨٨هـ) ٤٢٣
٦٣. مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمِ الشَّيْبَانِيِّ [...] - بعد ٧٣٠هـ] ٤٢٤
٦٤. مُحَمَّدُ بْنُ كَحِيلٍ ٤٢٨
٦٥. فَخْرُ الْمُحَقِّقِينَ (٦٨٢-٧٧١هـ) ٤٣١

الفهارس الفنية

٤٣٤	٦٦. ابنُ مُعَيَّةَ - ٧٧٦هـ
٤٥٠	٦٧. النَّدِيمُ الصُّوفِيُّ [تُوفِّيَ بَعْدَ ٦٨٧هـ]
٤٥٢	٦٨. مُفِيدُ الدِّينِ ابْنُ جَهْمٍ (...-٧٢٦هـ)
٤٥٥	الفهارس الفنية
٤٥٧	فهرس الآيات
٤٦٣	فهرس الأحاديث
٤٦٧	فهرس المعصومين عليهم السلام
٤٦٩	فهرس الأعلام
٤٨٧	فهرس الأماكن والبلدان
٤٩٣	فهرس البيوتات والقبائل والفرق
٤٩٧	فهرس المؤلفات المذكورة في المتن
٥٠٥	فهرس الأشعار
٥١٥	فهرس المحتويات

منشوراتنا

تشرفَ مركزُ تراثِ الحِلَّةِ التابع لقسم المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسية المقدسة بتحقيق ومراجعة ونشر الكتب الآتية:

١. معاني أفعال الصلاة وأقوالها.
تأليف: الشيخ أحمد ابن فهد الحليّ (ت ٨٤١هـ).
تحقيق وتعليق وضبط: مركزُ تراثِ الحِلَّةِ.
٢. مختصر المراسم العلوية.
تأليف: المحقق الحليّ، جعفر بن الحسن الهنديّ (ت ٦٧٦هـ).
تحقيق: أحمد عليّ مجيد الحليّ.
راجعته وأخرجه: مركزُ تراثِ الحِلَّةِ.
٣. التأصيل والتجديد في مدرسة الحِلَّةِ العلمية - دراسة تحليلية.
تأليف: الدكتور جبار كاظم الملاّ.
راجعته وضبطه: مركزُ تراثِ الحِلَّةِ.
٤. مدرسة الحِلَّةِ وتراجم علمائها، من النشوء إلى القمّة.
تأليف: السيّد حيدر السيّد موسى وتوت الحسينيّ.
راجعته وضبطه: مركزُ تراثِ الحِلَّةِ.
٥. المنهج التاريخيّ في كتابيّ العلامة الحليّ (ت ٧٢٦هـ) وابن داود (حيّاً سنة ٧٠٧هـ) في علم الرجال.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّرُ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ

- تأليف: أ.م.د. سامي حمود الحاج جاسم.
راجعه وضبطه: مركزُ تراثِ الحِلَّةِ.
٦. التراث الحِلِّيّ في مجلّة فقه أهل البيت عليه السلام.
أعدّه وضبطه: مركزُ تراثِ الحِلَّةِ.
٧. شرح شواهد قطر الندى.
تأليف: السيّد صادق الفحّام (ت ١٢٠٥هـ).
دراسة وتحقيق: أ.م.د. ناصر عبد الإله دوش.
مراجعة وضبط: مركزُ تراثِ الحِلَّةِ.
٨. مراصد التدقيق ومقاصد التحقيق.
تأليف: الحسن بن يوسف بن عليّ بن المُطَهَّر، العلامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ).
تحقيق: د. الشيخ محمّد غفوري نژاد.
راجعه وضبطه: مركزُ تراثِ الحِلَّةِ.
٩. درر الكلام ويواقيت النظام.
تأليف: السيّد حسين بن كمال الدين بن الأبرار الحسينيّ الحِلِّيّ (بعد ١٠٦٣هـ).
تحقيق: السيّد جعفر الحسينيّ الأشكوريّ.
راجعه وضبطه: مركزُ تراثِ الحِلَّةِ.
١٠. موسوعة تراث الحِلَّةِ المصوّرة.
إعداد: وحدة الإعلام. مركزُ تراثِ الحِلَّةِ.
١١. فقهاء الفيحاء وتطوُّر الحركة الفكرية في الحِلَّةِ. (بجزئين)
تأليف: السيّد هادي حمد آل كمال الدين الحسينيّ (ت ١٤٠٥هـ).
دراسة وتحقيق: أ.م.د. عليّ عبّاس الأعرجيّ.

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدٌ آلُ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

مراجعة وضبط: مركز تراث الحلة.

وسيصدر قريباً

١٢. موسوعة اللّغويين الحليّين.

تأليف: أ.م.د. هاشم جعفر حسين الموسويّ.

١٣. الموسوعة الرجاليّة للعلامة الحليّ (ت ٧٢٦هـ).

وتشتمل: تحقيق كتاب (خلاصة الأقوال)، مع إضافة حواشي كلّ من: الشهيد الثاني قدس،
والشيخ حسن صاحب المعالم قدس، والشيخ البهائيّ قدس، وتحقيق كتاب (إيضاح الاشتباه)،
وتأليف كتاب بعنوان: (المباني الرجاليّة للعلامة الحليّ في كتبه الأخرى).

تحقيق: الشيخ محمّد باقر ملكيان.

ومن الأعمال التي قيد التحقيق، بمراجعة وضبط مركز تراث الحلة

١٤. إجازات الحديث الحليّة.

جمع وتحقيق: أ. محمّد كاظم رحمتي.

١٥. الإجازة الكبيرة.

تأليف: الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهرّ العلامة الحليّ (ت ٧٢٦هـ).

تحقيق: المرحوم كاظم عبود الفتلاويّ.

١٦. تحصيل النجاة في أصول الدين.

تأليف: فخر المحقّقين محمّد بن الحسن بن يوسف ابن المطهرّ الحليّ (ت ٧٧١هـ).

تحقيق: الشيخ مصطفى الأحمديّ.

١٧. التحقيق المبين في شرح نهج المسترشدين.

تأليف: الشيخ خضر بن محمّد الحبلروديّ الحليّ (ت ٨٥٠هـ).

١٨. حاشية إرشاد الأذهان.

فَتْهَاءُ الْفَيْحَاءِ وَتَطَوُّلُ الْحَرْكِ الْفَيْكِيَّةِ فِي الْحِلَّةِ

تأليف: الشيخ ظهير الدين علي بن يوسف النيلي (حيًا سنة ٧٧٧هـ).

تحقيق: السيّد حسين الموسوي البروجرديّ.

١٩. العلامة الحليّ (ت ٧٢٦هـ).

تأليف: د. محمد مفيد آل ياسين.

٢٠. الفوائد الحليّة.

تأليف: أحمد عليّ مجيد الحليّ.

٢١. كافية ذي الإرب في شرح الخطب.

تأليف: الشيخ ظهير الدين علي بن يوسف النيلي (كان حيًا سنة ٧٧٧هـ).

٢٢. كشف الخفا في شرح الشفا.

تأليف: الحسن بن يوسف ابن المطهر، العلامة الحليّ (ت ٧٢٦هـ).

تحقيق: الشيخ مجيد هادي زاده.

٢٣. المختار من حديث المختار.

تأليف: أحمد بن محمد ابن الحدّاد البجليّ الحليّ (بعد ٧٤٥هـ).

تحقيق: مركز تراث الحلة.

٢٤. مزارات الحلة الفيحاء ومراقدها.

تأليف: السيّد حيدر السيّد موسى وتوت.

٢٥. منتهى السؤال في شرح معرب الفصول.

تأليف: الشيخ ظهير الدين علي بن يوسف النيلي (حيًا سنة ٧٧٧هـ).

تحقيق: الدكتور حميد عطائي نظري.

٢٦. منهج القصاد في شرح بانة سعاد.

تأليف: أحمد بن محمد ابن الحدّاد البجليّ الحليّ (بعد ٧٤٥هـ).

السَّيِّدُ هَادِي حَمْدُ آلِ كَمَالِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

تحقيق: د. عليّ عباس الأعرجي.

٢٧. موصل الطالبين إلى شرح نهج المسترشدين.

تأليف: الشيخ نصير الدين عليّ بن محمّد القاشي الحليّ (ت ٧٥٥هـ).

٢٨. نهج البلاغة، يُطبع بالفاكس ميل على نسخة كتبها تلميذ العلامة الحليّ سنة (٦٧٧هـ) في مقام صاحب الزمان عليه السلام في الحلة.

٢٩. نهج المسترشدين.

تأليف: العلامة الحليّ الحسن بن يوسف ابن المطهر الحليّ (ت ٧٢٦هـ).

